كتاب ألف با

تأليف

أبى الحجاج يوسف بن محمد البلوى
تغمده الله بالرحمة والغفران

تصحيح

مصطفى وهبى

المطبعة الوهبية

هذا كتاب ألف با

للامام الكامل والعالم الفاضل فريد الدهر

ووحيد العصر أبى الحجاج يوسف بن

محمد البلوى تغمده الله بالرحمة

والغفران وأنزل عليه

شآبيب العفو

والاحسان

آمين

وجد على ظهر نسخة معزيا للاديب الشيخ عبد الله الادكاوى [illegible]

هذا كتاب ألف با * به أهيبت قلبى * كم همت فيما حواه * وغل منى لبا
وطالما كان دهرا * بأى على وقدبا * والآن من فضل ربى * فى ساحتى قد ألبا
لكننى لست ممن * يعد بين الالبا * الباع منى قصير * ان رمت نظما تأبى
أو رمت نثرا بديعا * غدا على الطبع صعبا * لكننى باقتناى * لذا الكتاب ألف با
أفيد طبعى منه * والروح أكلا وشربا * حتى يصير ذكائى * لداء فكرى طبا
ويغتدى طب طبعى * لمن له قد أحبا * وأنثر الدر بهرا * على أكف الاحبا
من فى ان شئت نظما * يسير شرقا وغربا * وان أشاء فنثرا * يزيل ان قيل كربا
والحمد لله حمدا * يفوق فى العد تربا * ثم الصلاة على من * دنا من الله قربا
والآل والصحب طرا * ومن لهم قد أحبا * ما أنشأ الله سحبا * وأنبت الله حبا
آمين آمين ربى * انى رضيتك ربا

بسم الله الرحمن الرحيم

(قال) الشيخ الفقيه المحدث الزاهد الحاج ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوى عرف بابن الشيخ رضى الله عنه

ان أفصح كلام سمع وأعجز * وأوضح نظام جمع وأوجز * حمد الله تعالى نفسه قبل ان يخلق جنه وانسه * وأغنى عن لفظ التحميد * ما افتتح به كتابه الحكيم الحميد * الذى يجمع الى الحمد الثناء والتمجيد * اذ يقول المولى الجليل الكبير * اذا قاله العبد الذليل الحقير * حمدنى عبدى * أثنى علىّ عبدى مجدنى عبدى * فأبدأ به ألتمس خيره * ولا أبغى به بدلا غيره * (فأقول) الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * بهذه الكلمات كما تقدم افتتح الله كتابه * وبها أيضا افتتح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء خطابه * فجاءه من الغيث ببركة هذا القول * ما سالت منه فى الحين السيول * وهذا الخبر سقته هنا مجملا * وستراه بحول الله ونعمته داخل الكتاب مفصلا مكملا * (فالحمد لله) الجليل مولانا * على جزيل ما أولانا * من نعم جلت فكثرت أن تعد * وجلت فكبرت أن تحد * وعظمت أن يحصرها

انسان

انسان * أو يذكرها لسان * (والصلاة) على سيد العرب والعجم * المنتخب من جميع الامم * المبعوث بجوامع الكلم * وبدائع الحكم * محمد الرحيم بأمته الرؤف * المتحنن عليهم العطوف * ذى الخلق العظيم * والشرف الصميم والحسب الصريح * والنسب الصحيح * عفا عمن هفا * وحلم عمن جفا وصفح ونصح * وشفق ورفق * وعلم فعلم * صلى الله عليه وعلى آله وسلم * صلاة لا يعتريها فصم ولا قطع * ماطلع نجم ونجم طلع * ورضى الله عن أصحابه أجمعين وألحق بهم التابعين * وعم جميع المسلمين * برحمة شاملة * ونعمة كاملة انه شكور كريم * غفور رحيم (أما بعد) دام لنا ولكم السعد * فانى عزمت بعد استخارة ذى الطول * ومن بيده القوة والحول * ورغبتى اليه فى السداد فى العمل والقول * على ان أجمع فى هذه الاوراق * كل معنى رق أو راق * مما هو عندى مستحسن لا مستخشن * ومستملح لا مستقبح * وأثبت فيه من الفوائد * ما يزرى بالفرائد * ومن بدائع العلوم والفهوم * ما يرتقى به من التخوم الى النجوم * وجعلت ما أؤلف فيه وأبنى * لعبد الرحيم ابنى * ليقرأه بعدى ويرقى وينظر الى منه بعد فوتى * اذ لم يلحق بعد لصغره درجة النبلاء * ولم يبلغ مرتبة العقلاء * وأرجو أن يجعله الله منهم * ولا يقطع به عنهم * فيكون ان شاء الله تعالى بقراءة هذا الكتاب فى الزياده * الى ان يلحق بالساده

ان الهلال اذا رأيت نموه * أيقنت أن سيصير بدرا كاملا

وسميت ما جمعت لهذا الطفل المربا * (كتاب ألف با) * وقلت فيه

هذا كتاب ألف با * صنعته يا ألبا * من أجل نجلى المرتجى * اذا نشا أن يلبا أدعو لعلم ومن حق من دعا أن يلبا * وأنت عبد الرحيم الطفل الصغير المربا اذا عقلت فقل قد * رضيت بالله ربا * ودين الاسلام دينا * وبالنبى المنبا محمد فى رسولا * وقل نبيا محبا * ثم استقم واتبعه * تزدد من الله قربا وذا الكتاب اتخذه * لما عجهلت لبا * فانه صنع مرء * طب لمن حب لبا هذى وصاة أب لم * يزل لشخصك صبا * ولو يطيق عليك الخيرات أجمع صبا هذا كان السبب فى هذا المجموع وليس بحمد الله عن أحد بممنوع بل هو مباح لمن طلبه من الطلبه * ومتاح لمن أراده من الراده (فأقول) مستعينا بالله ومتوكلا عليه * متبريا من الحول والقوة الا اليه

مبحث أما بعد

(أوّل) ما أبدؤكم به من العلم وأفيدكم به يا أحبائى ذوى الفهم أنى قلت (أما بعد) وهذه اللفظة من فصيح الكلام * وأوّل من قالها داود عليه السلام وكذا قال أهل التفسير فى قوله تعالى وفصل الخطاب انها أما بعد وانه أوّل من قالها ويقال ان أوّل من كتبها من العرب قس بن ساعدة الايادى (وقلت) دام لنا ولكم السعد * بدأت بنفسى * وثنيت بأهل ودّى وأنسى * وتلك السنة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا من الانبياء عليهم السلام بدأ بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى أخى كذا هذا نص مسلم بن الحجاج رحمه الله ذكره ابن عباس رضى الله عنهما عن النبىّ صلى الله عليه وسلم فى قصة موسى مع الخضر عليهما السلام (وفيه) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى لولا انه عجل لرأى العجب * حدّثنى بالكتاب أجمع بمالقة حرسها الله تعالى الفقيه المحدّث أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن خلف الانصارى عرف بابن الفخار رحمه الله قراءة منى عليه عن ابن العربى عن الطبرى عن عبد الغافر عن الجلودى عن ابن سفيان عن مسلم رحمهم الله أجمعين * وهذه أيضا فائدة فى السند * أيها الولد * وكذا أصنع ان شاء الله بكل شيخ لقيته أذكر سنده وبلده (وفائدة أخرى) فى لفظة سعد * بعد قولى أما بعد * سقتها على وزنها * مع الفضل المستودع فى ضمنها * رأيت لبعض الادباء من النحاه رحمنا الله واياه * ما كتبته هنا بنصه * وجئت به من فصه * وذلك انه قال ان الله تعالى أودع هذا اللسان العربى أسرارا جليله * وحكما شريفه * علمها من علمها * وجهلها كثير * (وذلك) انه فضل بعض الكلام على بعض فى أصل الوضع * كما فضل بعض المتكلمين على بعض فالمطبوع فى علم اللسان يجد للفظة سعد فى نفسه معنى هو أوقع فى القلب وأشرح من لفظة يمن ومن لفظة اقبال وكل بمعنى واحد * وكذلك قولك الانصاف أمكن من العدل * والمدح أفخم وأكرم من لفظة الثناء * وذكر فى هذا المعنى فصلا جزلا اختصرته * (فائدة) زائدة (سعادة) هى مصدر سعد بفتح السين واسم الفاعل منه سعيد * كما تقول سلم فهو سليم * ومسعود اسم مفعول من سعد بضم السين مثل حمد فهو محمود وتقول أسعده الله فهو مسعود ولا تقول مسعد وكان القياس ولكن استغنوا عنه بمسعود * وقراءة الكسائى وأما الذين سعدوا فتوجه على ما روى عن العرب سعده الله بمعنى أسعده فيكون مثل حزنه الله

واحزنه

وأخزنه وأنت أيها الطالب المدرك حصل هذه الفوائد فى صدرك * ثم اطلب غيرها أعطانا الله خيرها وكفانا ضيرها (رجع الكلام) باعلام سبب تسميتى هذا الكتاب بهذه التسمية * وجمعى لهذه الابنية * أنى دعيت يوما من الأيام * لمشهد جماعة من الاعلام * وقيل لى قد اجتمعوا لكتب الحديث * فعجل اليهم بالسير الحثيث * واحمل معك جميع الاداه * من اللوح والقلم والدواه * وكنت قمت من المنام * فخفت الملام * فخرجت أستعجل استعجالا * واقتضبت فى الطريق هذين البيتين ارتجالا * وقلت لأنشدنهما اليوم * ولأطرفن بهما القوم * ولاصرفن عنى اللوم * فى ابطائى لاجل النوم * وهما

يا أيها السادة الالبا * دعو غبو بوسفا فلبا
وجاءكم فى يديه لوح * كأنه الطفل فى ألف با

وكنت فى الطريق أجعجع * ونفسى أشجع * شعر

وظننت القوى يبقى على ما * كان من قبل أن يلاقى الرجالا
فاذا القلب فى الحقيقة قلب * حار عما عهدت منه وحالا
الذى قال قبل انى وانى * من صفات الشجاع كان محالا
فتذكرت قولة المتنبى * حين قلبى عن البسالة زالا
واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

فها هو الا أن وصلت الى المجلس فما كدت بحرف أنبس الا أنى قعدت وسكنت وما أدري أسلمت أم سكت فلما انفض ذلك الجمع * وثاب الى البصر والسمع رجعت الى نفسى أخاطبها * وبما قالته أطالبها * وقلت لها أراك احتقرت هذين الحرفين أعنى الالف والباء المؤتلفين أرأيت ان سألك عنهما سائل ما أنت له قائل * قلت مجيبا عنها اقول فيهما مبلغ علمى * ومنتهى فهمى قالت فألف واجمع * وقل حتى أسمع * فقلت أفعل ان شاء الله وبه أستعين وهو المعين وأزيدك على مطلوبك وأفيدك فوق مرغوبك * انى أكرر الالف مع الباء وما شاكلها من اراشتى * ثم أشفعها بالوزن حتى تكون بيتا بعد ان أضم اليها كلمتين متشاكلتين باسم القافيه * دامت لنا ولكم العافيه ويكون الشكل فى الكل واحدا والمعنى على خلاف فافهم ثم أفعل ذلك

بالالف مع سائر حروف المعجم ليكبر الكتاب ويكثر الكلام وتعظم الفائدة وتعم المنفعة الا أنه لم يصح لى ذلك الا بضم الاشكال المؤتلفة فى حروف المعجم على تأليف بلادنا بعضها الى بعض مثل الباء والتاء والثاء فى بيت والجيم والحاء والخاء فى آخر والدال والذال وغير ذلك وبالحرى باجتماعها فيكمل منها كلها بيت وبيت وربما يضيق بعض الابيات عن جملتها فأذكرها خارجا عن البيت وربما لم يكمل الا بمعكوس اللفظة فأكملها بها ثم أفسر اللفظة بما أدريه وما وجدته فى كتب اللغة وما ذكره العلماء وأستشهد على ذلك بما أحفظه من الشعر وبما قالته العرب وربما ذكرت ما قاله غيرهم من المولدين المشهورين وربما ذكرت شعر من لقيته من أشياخى وان لم يكن فى ذلك حجة ففيه أنس مع الثقة بمعرفتهم وفضل التقدم علينا فى كل أمرهم مع انى رأيت الفقيه القاضى أبا الفضل عياض بن موسى رحمه الله قد ساق فى أحد تآليفه شعرا للوزير أبى عبد الله محمد بن شرف رحمه الله وكان متأخرا قرأت عليه فى أحد تآليفه جزءا أرخه بثمان عشرة وأربعمائة فاستشهد أبو الفضل بذلك الشعر فى ضرب من البلاغة ذكره وسيأتى ذلك الشعر فى هذا الكتاب ان شاء الله لانه أعجبنى فحفظته وبعد حفظه فيه أثبته ولى أيضا فى مثل ذلك الانشاد على غرضى استشهاد وبينى وبين أبى الفضل هذا فى الاسناد شيخى الأجل الرفيع العماد أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الحميرى عرف بابن قرقول رحمه الله لقيته وسمعت عليه وأجازنى بجميع ما لديه (رجع الكلام) بعد فائدة على ما تقدم زائده وربما ذكرت من شعرى ما يليق بالباب وان لم يعد فى اللباب لكن للمرء بشعره شغف وان لم يكن ذا شرف كما يعجب بابنه وهو الجون ومن غير اللون ألم تسمع قول بعضهم والمرء يعجب بابنه وبشعره نعم ويطيب له غناؤه وان طال فيه عناؤه ويولع بتصنيفه ويأبى من تعنيفه اياك أعنى يا مؤلف الكتاب تاب الله على جميعنا أحسن متاب ولى فى هذا المعنى مما كتبت به الى الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه أعرض عليه شعرا قلته بعد كلام ولا غرو كل امرئ مادح لهره ومعجب بشعره وأنا الذى أقول

كل امرئ يعجبه شعره * حتى يراه ناقد غيره

فى أبيات ذكرتها بكمالها فى كتاب سميته تكميل الابيات وتتميم الحكايات مما اختصر للالبا * فى كتاب أدب يا وقد ذكرت سببه فى أوله فانظره هنالك ان أردته وبالله التوفيق وما أحسن ما به اعتذر صاحب كتاب الزهر حيث قال

ويسيء بالاحسان ظنا لا كمن * هو بابنه وبشعره مفتون

لكن يا بنى ان العاقل * رحل عن هذا العاقل * ونزل بها الجاهل فعادت كالجاهل (فقلت)

أحسن الله لى عزائى بنفسى * ان يكن يحسن العزاء المذنب

تدرى من العاقل فى هذا المعنى ابن المقفع * الذى ارتدى بعقله وتلفع ومع هذا فعن الشعر ترفع وكان من البلاغة فى قلمه ولسانه حيث لا يبلغه أحد من أهل زمانه قيل له مالك لا تقول الشعر قال الذى أرضاه لا يجيء والذى يجيء لا أرضاه وقيل للمفضل لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمى به يمنعنى من قوله وأنشد

أبى الشعر الا أن يفئ رديه * على ويأبى منه ما كان محكما

فياليتنى اذ لم أجد حوكه وشيه * ولم آلك من فرسانه كنت مفحما

وقال غيره

يموت ردىء الشعر من قبل ربه * وجيده يبقى وان مات قائله

وقبله

نعونى ولما ينعنى غير شامت * وغير عدو قد أصيبت مقاتله

يقولون ان ذاق الردى مات شعره * وهيهات عمر الشعر طالت طوائله

سأقضى ببيت يحمد الناس أمره * ويكثر من أهل الرواية حامله

يموت ردىء الشعر البيت وقال الاشجعى

وانما الشعر لب المرء يعرضه * على المجالس ان كيسا وان حمقا

وان أفضل بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

وقال ابراهيم بن المهدى

أحسن من تسعين بيتا سدى * جمعك معناهن فى بيت

وقالوا رب متكلم فيما لا يعنى * قال له الكلام دعنى وقال الشاعر

وان كلام المرء فى غير كنهه * لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها

والكلام فى هذا المعنى طويل * لكن حسبنا الله ونعم الوكيل * اللهم الا أن يكون كما قال الشاعر اللبيب

كأن كلام الناس جمع عنده * فأطلق فى احسانهم يتخير

أو يكون حكيم القول * كما قال عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكما و يروى لحكمة *فهذا الذى يسير العنق * طويل العنق * رجع القول الى صفة الابيات * التى ذكرها بعد لم يات مثال ماذكرته لك (أب) فى بابه (وأخ) و (اد) وكذلك فكذلك الى آخر حروف المجم فلما لم يتزن لى ذلك احتلت عليه وتركت هذا المعنى وقلت أب الذى هو المرعى وأخ وأدوجئت بواو العطف فى اللفظة حتى تدخل فى الوزن ويصح دخولها فى العروض التى بنيت عليها وهى المتقارب الذى يجتمع من فعولن ثمانيا * وسقت مع أب وأت وأث مما يكون على وزن فعل أوفعل أوفعل أوفاع * فان هذا كله فى الوزن مع فعولن سواء وكذلك أفعل فى سائر الحروف * وأذكر خارج البيت ماهو على هذا الشكل مما لم يتزن أومايتزن واستغنى عنه البيت على ماتراه ان شاء الله تعالى بعد هذا فاذا فرغت من البيت سقت معكوسه مثل وباء وتاء وثاء * ثم أفسره كذلك ثم أقول مقلوبه ألف بين حرفين مثل وباب وتاب وثاب *ثم أفسر كل لفظة منها ثم أقول مقلوبه أيضا حرف بين ألفين مثل وأباوأتاوأثا ثم أرجع الى القافية فأفعل فيها مثل ذلك وربما كانت الواو من نفس الكلمة اذا لم أجد غيرها فأسوقها وأنبه عليها مثل وكل الذى هو الرجل الضعيف العاجز سقته مع وكل اللفظة التى هى ضد بعض وكذلك وشل الماء الجارى من الجبل مع وشل بعض أنامله وغير ذلك مما أقيم به شكل البيت ووزنه * وربما جلبت فائدة ثانية وعكسا آخر يفيد علما زائدا ثم أذكر مخارج الحروف وعملها ان كانت عاملة مع ماتشترك فى قافية واحدة لقرب المخرج ومايجعل عوض صاحبه فى النطق ثم أذكر آخر البيت فصلا من الكلام المطول يكون عليه المعول *وسيأتى تفسير هذا الفصل ان شاء الله تعالى فيما يستقبل فاقبل وقد اجتمع لى من ذلك تسعة وعشرون بيتا عدد حروف المجم لكن منها ماتكرر معكوسا ومقلوبا * ومنها مالم يكمل البيت الا بمعكوسه لقلة دوره فى الكلام * وزدت فى أول الشعر ثمانية أبيات * وفى آخره أربعة من الكلمات المزدوجات * المتشابهات الحروف * المتماثلات

الصنوف

الصنوف مثل الذى صنع ابن شرف فى قوله غزل غزل فصار فصار ذلك ذلك
فاخش فاحش فعلك فعلك تهدى بهذا وله أيضا مثل هذا وهو نعمه نعمه نعمه
نعمه نعمه نعمه نعمه اسم رجل ويعمه يتحير من قوله تعالى فى طغيانهم يعمهون
وباقى الكلمات مفهوم الى غير ذلك مما يشكل حتى ينقط ويشكل ومثل هذا ما
للحريرى فى مقاماته

زينت زينب بقد يقد * وتلاه ويلاه نهد يهد

فى أبيات له وهذه الابيات المذكورة قبل الشعر وبعده أخذتها من
شعر لى مطول من هذا النوع عدده ثمانية وعشرون بيتا جمعته فى جزء مع ما لابن
شرف فى ذلك من منثور مع أبيات لى أخر عددها أحد وأربعون بيتا قصدت
بها نوعا من المعمى واللغز منها أبيات ثمانية لا تقرأ البتة الا أن تشكل وتفسر مثل

نصح تصح نصح نضح * بصح تصح نضح نضح

وسأفسر لك هذا البيت مع الابيات الاثنى عشر قبل الشعر وبعده فى آخر
الكتاب ان شاء الله تعالى وقد أوردت الكراسة المذكورة فى كتاب التكميل
المذكور

(فصل) وهذا الكلام الذى سقته منثورا وفى صفة الابيات مذكورا
قد نظمته فى أرجوزة لزوميه ذات قافية لاميه واعتنيت بهذا الاعتناء
على ما فيه من العناء لانه الاصل فى الباب وعليه مدار الكتاب منه نبعت
عيونه وتفرعت فنونه وها هى ذه فعه حلبتها فئه تزيد على المائه

قال ابن شيخ يملى * على الذى يستملى * هذا الكتاب أصلى * أعددته لاصلى
به عظيم الجهل * حتى يرى بأهلى * بالقرب لا بالمهل * يذوب ذوب المهل
صنعته من أجل * عبد الرحيم نجلى * وذا كمو لعلى * أسقيه من ذا العل
اذ قد روى من نهل * فهو أعز الاهل * باسم الحكيم العدل * سبحانه من عدل
ما ان له من عدل * رب بعلم عدلى * قربه لا تعدلى * أملا منه عدلى
أفرغه فأملى * منه على المستملى * فصلا وأى فصل * فى وصف شعر الاصل
فهو قصيد يسلى * قارئه فى رسل * يدر در الرسل * ليس بقول فسل
ولا حرام بسل * بل من بلى نسلى * لكل هم مسلى * ضمن وزن فعل
أو فعل أو فعل * واحتيل فى المعتل * منه وفى المختل * حتى اذا ما حلى

وزن فعول خلى * وبعد هذا الفعل * زوّجته كالنعل * لاختها فى الشكل
لكنه بالشكل * يدرى سم من فعل * ونغل من بغل * وفعل من فعلى
وجعل من جعل * وحمل من حملى * وجمل من جمل * وحبل من حبل
وخبل من خبل * ورمل من رمل * وذا كثير المثل * يعجز عنه مثلى
قتل هذى السبل * تخفى على ذى النبل * الا انضبط الرجل * بالقيد أو بالجل
فارضع لبان النعل * واعلم بأن فعلى * لم أره باشبلى * لاحد من قبلى
جئت به فى حفل * مسببا للنفل * فانه دبه للختل * ولا تخف من قتل
فهو كمثل النصل * أبرزته للفصل * والفصل ضدّ الوصل * تعاو به وته لى
لانه مستعلى * مستغلق لجعل * عليه أى قفل * فصار شبه القفل
واللغز حين يغلى * قلوبنا بالشغل * حتى اذا ما جلى * عنه بكشف الجل
صقل أى صقل * وخف بعد الثقل * واعلم أيا ذا العقل * ان ليس ذا من نقلى
للغرّ بل للكهل * من لم يكن ذا جهل * جمعته فى مهل * من جبل وسهل
فاختلطت بالهزل * ألفاظه والجزل * وهاكه باخلى * كعسل أو خل
نحنده أو نخل * فرغت من سجلى * نفسى دعا الاجل * نصوتى المهل
ودمعى المنهل * يارب ألف شملى * يارب خفف حملى * واغفر لعبد قل
بالذنب مستقل * ياسيدى وقل لى * رضيت بالاقل * منك فسر فى حل
لأشرف المحل * جنة عدل نزلى * لاتخشين عذلى * مؤملا لوصلى
مؤمنا من فصلى * لك مناح نضلى * لك مباح بذلى * وبعد ذا أصلى
على الكريم الاصل * أحمد خير الرسل * وآله والنسل * والحمد وهو الكلى
* لله مولى الكل *

(فائدة فى القوافى * دامت لنا ولكم العوافى) ذكر ابن جنى رحمه الله فى عيوب الشعر الايطاء وهو أن يجمع فى شعر واحد بين كلمتين بلفظ واحد ومثل منه أمثلة * ثم قال فان اختلف المعنيان لم يكن ايطاء * وكذلك ان كانت احدى الكلمتين معرفة والاخرى نكرة لم يكن ايطاء * وهذا الرجز الذى تقدم على طوله وصعوبته * لما فيه من اللزوم ومؤنته * قد سلم من الايطاء بحمد الله وحسن معونته * وأما قولى فضلى وبذلى فقد تجمع الذال والضاد فى شعر واحد وستراه فى آخر الكتاب ان شاء الله تعالى * وخذ هذه ان شاء الله فائدة * على ما تقدم زائدة * فى معنى اللغز

هومن قولهم ألغز اليربوع فى جحره بمنة ويسرة وهو حفر يحفره عن يمين وشمال فيستخفى فيه يقال له اللغز واللغز وجمعه ألغاز واللغيزى بتشديد الغين مثل اللغز وليست الياء هنا للتصغير لان ياء التصغير لا تكون رابعة وسيأتى ذكر الشكل والشكل ان شاء الله تعالى وهذه أعزك الله الابيات المذكورة بين يديك مسطوره

أخى أجىء بقيل تقيل * مهيب مهيب بطل بطل
كلام كلام وباء وثاء * بجدر بجذر مدل مذل
بنى بنى بأنى بانى * خلال جلال نحل بجل
بقيد بقند بعود يعود * بعيد بعيد المحل المجل
بجد بجد يقد بقد * بوشى بوشى تكحل تكحل
أخال اخال بقول تقول * يعيب بغيب بخل بخل
تزيد يزيد كلامى كلامى * ووعر وعز فقل فقل
كثير كبير معين معين * لغات لعات كفل كفل
وآب وآب واب واب * وات وأث وبل وبل
وباء وباء وباء وباء * وتاء وثاء وبل وبل
وباب وثاب وناب وتاب * وثاب وبات ويل ويل
واج واح وأخ وأخ * واخ واح وجل وجل
وحاء وجاء وخاء وحا * وجاء وجاء وحل وجل
وأحا وأحا وأخا وأحا * ووانا اخاء وجل وحل
وحاح وحاح وحاح وحاخ * وحاح وحاح وحل وحل
وأد وأد وأذ واد * وأد وأذ وذل وذل
وأدا وادا وآدا وآذا * وادى واذى ودل ودل
وار وار وار وار * واز واز وزل وزل
وراء وراء وراء ورا * وراء وزاى وزل وزل
وزار وزار ورار ورار * وزار وراز وزل وزل
واط واط وطا * وطاء وظاء وطل وظل
والك والك والك * وكل وكل وكل وكل
وال وال وال وال * وال وال وال وال .

والاوالا والا والا * والا والا وال وال
وام وام وام وام * وام وام ومل ومل
وأن وان وان وان * وآن وآن ونل وثل
وانا وانا وانا وانا * واناوانا ونل ونل
واص واص واص واص * واض واض وصل وضل
وأع أع وأغ أغ وواع وعا * وعاء وعل وغل وغل
واف واف واف وفا * وفاء وقاء وفل وقل
واس واس واس واس * واش واش وسل وسل
وساء وشاء وساء وسا * وشاء وشاء وشل وشل
واه واه واه وها * وهاء وهاء وهل وهل
وأو وأو وآو وأو * ووأواء وأواو ول وول
ولاء ولاء ولاء ولا * ولاو لأو لآل لأل
وآى وأى واى واى * وآء وآء وأيل أديل
فرغنا فرغبا ترب برب * يمن يمن يحل يخل
خليل جليل حسيب حسيب * انى آتى مصل مضل
كسير كسير بطين بطيء * وحاف وجاف يعل بعل
أبيت أتيت أمام امام * ورائى ورائى المدل المذل

بنى تركت لك هذه الابيات ذوات الاشكال ذات اشكال لكونها بريئة من الضبط عرية عن النقط وفعلت ذلك لتفتح لها ذهنك كما فتحت جفنك وتشحذ قريحتك فتريح ذبحتك وتنظر ما أنتجت معرفتك وأخرجت مغرفتك فان كسوت الابيات جلبابها ومنحت أسبابها وفتحت أبوابها فاشكالها ببيانك قبل بنانك وبفصاحتك قبل راحتك وأنت حينئذ الولد وزين البلد ولمثلك يقال أجدت طلبت فوجدت بارك الله فيك وفيما تخرجه من فيك وان كانت الاخرى ولم تقو عليها البتة وعجزت عنها قريحتك الميتة فانظرها فى آخر الكتاب مخطوطه مشكولة منقوطه مفسرة ميسرة مكسوة معطره وكف عن لومى وأمسك

وبؤ بالعجز على نفسك وسل مرشدا وقل منشدا شعر

رحم الله الحريري لوكا * ن رأى قائل هذا سره

ودرى أن قد أتى بعده من * غاص في البحر فوافى دره

وبعد فهي كما تراها نوع من المعمى والاسم الذي لا يسمى وضرب من اللغز وجنس من الرمز اذ يشكل حتى يشكل واذا شكل وقرئ لم يفهم اذ هو مبهم حتى يفتح مقفله ويشرح مغفله فاذا فسر يسر واذا شرح فتح فتلج ان شاء الله الباب ويرفع لك الحجاب فتدخل المجالس والقباب فتعتنق الكواعب الاتراب وتعتنق الالوة والكباب وتغتبق اللذيذ من الشراب بالكؤس والاكواب وتسمع تلك النغمات من الغانيات وتلحظ ذلك النبات والزهر الذي هو أشتات وتنظر الثمر الذي في الغراسات النابتات في أشجار الجنات النابتات على الانهار الجاريات الى غير ذلك من الانواع المستحسنات والملاذ الطيبات لعلك تقول هذا الذي ذكرته من المعاني الفاخرة هي صفة جنات الآخرة فأقول ان في الدنيا ما هو أشهى وأحلى مما ذكرت وأغلى هو العلم الذي لا شئ أنفع ولا أرفع منه ولا لاحد غنى عنه ومن طعم حلاوته وتنعم بآياته وسحب ضافي أثوابه وشرب صافي أكوابه لم يشتغل بسواه ولم يعدل عن صواه ورآه أنفع شئ ناله في اكتسابه وأرفع ثوب اكتسى به ألم تسمع ما قاله الشاعر المصيب الذي نال من العلم أوفر نصيب

فضيلة العلم

لئن رفع الغني لواء مال * لأنت لواء علمك قد رفعتا

وان جلس الغني على الحشايا * لأنت على الكواكب قد جلستا

ومهما افتض ابكار الغواني * فكم بكر من الحكم افتضضتا

ثم قال يجهل من فضل المال على العلم

جعلت المال فوق العلم جهلا * لعمرك في القضية ما عدلتا

وبينهما بنص الوحي بون * ستعلمه اذا طه قرأتا

يريد قوله تعالى وقل رب زدني علما * وهذا الشاعر هو أبو اسحاق ابراهيم بن مسعود الالبيري رحمه الله والقصيد حسن طويل كان الاستاذ الفقيه أبو عبد الله ابن سورة شيخي رحمه الله يحمل طلبته على حفظه لجودته ولو اكتفى أحد بما عنده من العلم لاكتفى موسى عليه السلام ولكنه طلب الزيادة فقال للخضر عليه السلام

هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا * فلولا أن العلم أفضل الموجودات ما أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يستزيد منه * يروى انه لما كلمه الله تكليما ودرس التوراة حدثته نفسه ان الله تعالى لم يخلق خلقا أعلم منه فهوّن الله اليه نفسه بالخضر عليه السلام * خرج البخاري عن أبي بن كعب عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن موسى قام خطيبا في بني اسرائيل فسئل أي الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه اذلم يردّ العلم اليه قال له بل عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك الحديث دله فيه على الخضر عليهما السلام * قلت ومن يحيط بالعلم الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظنّ انه قد علم فقد جهل يروى أن مقاتل بن سليمان قال يوما وقد دخلته أبهة العلم سلوني عما تحت العرش الى أسفل الثرى فقام اليه رجل فقال له ما نسألك عما تحت العرش ولا أسفل الثرى ولا نسألك الا عما كان في الارض وذكره الله في كتابه * أخبرنا عن كلب أصحاب الكهف ما كان لونه فأفحمه * وقال عالم آخر كذلك سلوني من العرش الى الفرش أخبركم به فقال له رجل من عرض الدنيا أسألك عن معاء النملة أفي نصفها الاعلى هو أو في نصفها الاسفل فقال لا أدري فأفحمه * وقال أحد الحكماء لست أطلب العلم طمعا في غايته * والوقوف على نهايته ولكن التماس ما لا يسع جهله * وقال مالك بن دينار رضي الله عنه من طلب العلم لنفسه فالقليل منه يكفيه * ومن طلبه للناس فحوائج الناس كثيرة * وقال ابن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا من العلم * ومن أراد أن يكون أديبا فليتفنن في العلوم * وقال ابن سيرين العلم أكثر من أن يحاط به فخذ من كل شئ أحسنه * وقال الشاعر

يلومونني ان رحت للعلم طالبا * أجمع من عند الرواة فنونه
وا كتب ابكار العلوم وعونها * وأحفظ مما أستفيد عيونه

(فصل) ومما كتبته في كتاب لبعض الاصحاب اعلم أيها المتعلم أن العلم انما هو بالتعلم * مع توفيق العلام * ذي الجلال والاكرام * الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم * والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون * فمن شكر الله زاده * وجعل التقوى زاده * ومن اتقاه علمه * وأراده وفهمه * واتقوا الله ويعلمكم الله

وقال بعض الشعراء وكان قد رجع فى حفظه الى وراء

شكوت الى وكيع سوء حفظى * فأومأ لى الى ترك المعاصى
وقال بأن هذا العلم نور * ونور الله لا يؤتاه عاصى

ولكل شئ سبب * وسبب العلم التعلم * وهو لا ينال بالتراخى * ولا يدرك بالهوينا * بل بالجد والعزم * والقوة والحزم * كما قال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وقال الشاعر

أعكف على الكتب وادرس * تؤتى فخار النبوة
فالله قال ليحيـــى * خذ الكتاب بقوة

وفى كتاب مسلم بن الحجاج رحمه الله * لا ينال العلم * براحة الجسم * وقديما مازال أهل العلم والادب * ينسلون اليه من كل حدب * يجتنون أزهاره ويقطفون ثماره * يستكثرون منه بلحظه * ويؤثرون ولو لفظه * يدأبون فى جمعه وضمه * وينصبون فى حفظه وفهمه * حتى ان أحدهم اذا كانت له به صبابة * ونال منه أدنى صبابه * جعله أكبر همه * وفداه بابيه وأمه ولم ينكب عن أمه بل واصل فيه ليله بنهاره حتى وصل الى أنهاره وأذاب مهجته حتى اقتحم لجته فاستطاب فيه العذاب لما ورد مياهه العذاب واستسهل ما ناله فيه من العنا حين أوقفه على المنى فقال

فهذا الصنف فى الدنيا قليل * لعمرك بل أقل من القليل
بحقك هل رأيت لذا شبيها * بعصرك ذا أبن لى يا خليلى

من يضاهى هذا أو يجاريه وقد علا القمر فى مجاريه فان أضاف الى العلم العمل فقد نال الامل ورحل الى زحل وسما الى السما ولحق بالملأ الاعلى وكان حبيب الله تعالى * وقد قيل من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم وقالت الحكماء قال العلم التمسنى فان لم تجدنى فاعمل باحسن ما تعلم فاذا فعلت فأنا معك وما أمدح هذا البيت

حاز الشريفين من علم ومن عمل * وقلما يتأتى العلم والعمل

وأقول

تريد تدرك هذا * وأنت فى اللهو تدرج
هيهات رمت محالا * ماذا بعشك فاخرج

ولقد أبلغ الذى قال

دنوت للمجد والساعون قد بلغوا * جهد النفوس وألقوا دونه الازرا
وكابدوا المجد حتى مل أكثرهم * وعانق المجد من أوفى ومن صبرا
لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

بعيد أن يناله * أهل اللهو والبطاله * ما يناله الا الحازمون أولوا العقول
ولله در الذى يقول

شروط العلم أربعة * فأولها التفرغ له
ودرس ثم فهم ثم حملكه عن الجمله
شروط من تكن فيه * والا لم ينل أمله

فالعلم اذا أعطيته كلك أعطاك بعضه وقلت فى هذا المعنى

اعلم بأن العلم ذو همة * وهو عزيز النفس ذو غيره
ينيلك البعض من انواره * ان لم تكن مصطحبا غيره
وان تكن مشتغلا مقبلا * على سواه لم تنل خيره
فاطرح الاشغال واعكف على * تحصيل ما يعطى وسر سيره
واحفظه واذكره ولا تنسه * واعمل به تنج من الحيره

واذا كان العلم بهذه الصفه * التى وصفه بها أهل المعرفه * فكيف ينقاد لاهل الرقاد * وهل قط وصل * الذى كسل * أيستوى من درس وتعب مع من لها ولعب * هيهات هم هذا ضرسه * وذاك طرسه * كذلك بينهما ما بين التبر والترب * والسمك والسماك فى القيمة والقرب * وجماع الامر وملاكه * وفيه يتبين حياة المرء وهلاكه * من كان همه بطنه وفرجه فلا ترجه * لذلك قلت

اذا أعطيت بطنك ما اشتهاه * وفرجك سؤله أنت البهيمه
وأخشى أن يقال غدا لك اذهب * فمالك عندنا والله قيمه
أتطمع أن تنال نعيم الاخرى * وقد آثرت دنياك الذميمه
محال نيل هذا بعد هذا * أيحضر عاجز قسم الغنيمه
اذا لا فضل للطاوى حشاه * على من بطنه أبدا وليمه
فدع عنك الأمانى فهى زور * فليتك لو نجوت مع الهزيمه

ومع هذا فلا معطى ولا مانع * ولا ضار ولا نافع * الا الله سبحانه وتعالى * فمن أعطاه الله وصل * ومن حرمه انفصل * كم رأينا من أتعب نفسه فى الطلب وأنفذ عمره فى جمع الكتب * والحرمان يبعده * والبله يقعده * لكن اذا كان قصده وجه الله تعالى * فانه لا يضيع بكرم المولى * فانه يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب علما فأدركه كتب له كفلان من الاجر وهذه فائدة الطلب لله تعالى * ان وفق أيضا لهذه الطريقة * نسأل الله تعالى التوفيق * وهداية الطريق * لكنه يقال * من أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له * ومن أكثر من شئ عرف به * وفى مصاحبة العلماء وحضور مجالسهم خير كثير * وفضل كبير * يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء فجالسوا العلماء واسمعوا علما يدلكم على الهدى * ويردكم عن الردى * وكان يقال علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة أحب الى من قيام ليلة * ويروى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنه * وطلبه عباده * ومذاكرته تسبيح والبحث عنه جهاد * وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة * وبذله لاهله قربه * لانه معالم الحلال والحرام * ومنار سبل أهل الجنة * والانيس فى الوحشه * والصاحب فى الغربه * والمحدث فى الخلوة * والدليل على السراء والضراء * والسلاح على الأعداء * والزين على الاخلاء * يرفع الله به أقواما ويجعلهم فى الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم * ويقتدى بأفعالهم وينتمى الى آدابهم * ترغب الملائكة فى خلتهم * وبأجنحتها تمسحهم * يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان فى البحر وهوامه * وسباع الطير وأنعامه * لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلم ويبلغ بالعلم منازل الاخيار * والدرجة العليا فى الدنيا والآخرة * والتفكر فيه يعدل بالصيام * ودراسته بالقيام به توصل الارحام * ويعرف الحلال من الحرام * العلم امام والعمل تابعه * يلهمه الله السعداء ويحرمه الاشقياء * وفى بعض الاخبار ان أهل الجنة يحتاجون الى العلماء كما يحتاجون اليهم فى الدنيا * وذلك أنهم يرون ربهم فى كل جمعة فيقول تمنوا على ما شئتم فيلتفتون الى العلماء فيقولون ماذا نتمنى على ربنا فيقولون تمنوا

النظر الى وجه الله تعالى * وقال الحسن بن على رضى الله عنهما من أكثر من مجالسة العلماء أطلق عقال لسانه * وفتق مارتق من ذهنه * وسره ماوجد من الزيادة فى نفسه * وكانت له ولاية لما لا يعلم * وافادة لما تعلم وبعد هذا فعليك بالجد * ان ساعدك الجد * فبعد جهدك لا تلام * باغلام *

(فصل) وفضل العلم كبير * والكلام فيه كثير * وحسبك أن ابن عبد البر ألف فيه وحده سفرا كبيرا * فماذا عسى أن أقول فيه لكن لا أخليك من بعض ذلك * ومن أمدح ماقيل فى العالم

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

هذان البيتان لابن السيد رحمه الله * وروى أن سفيان الثورى رحمه الله لما قدم عسقلان مكث ثلاثا لا يسأله انسان عن شئ فقال اكتروا لى أخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم * وقال فتح الموصلى أليس المريض اذا امنع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال فكذلك القلب اذا امنع الحكمة ثلاثة أيام يموت * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسألة من العلم أحب الى من قيام ليلة * وجاء فى الحديث طلب العلم فريضة على كل مسلم وقد حدثنى شيخى الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن ابراهيم السلفى الاصفهانى رحمه الله بمدينة الاسكندرية حماها الله سنة اثنتين وستين وخمسمائة * قال سمعت القاسم بن الفضل الثقفى رئيس أصفهان يقول سمعت أبا عمرو محمد بن بالويه النيسابورى بها يقول سمعت محمد بن يعقوب الاصم الاموى يقول سمعت الربيع ابن سليمان يقول سمعت الشافعى يقول طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وهذا كما تراه * وفصل الخطاب * ماقاله ابن شهاب * وقد سئل رحمه الله أيما أفضل العلم أو العمل فقال العلم لمن جهل والعمل لمن علم * وفى الشهاب مااسترذل الله عبدا الا حظر عنه العلم والادب * وقال على ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك * وقال عليه الصلاة والسلام مانحل والد ولدا أفضل من أدب حسن * وقيل من أدب ولده * أرغم حسده ومن لم يجلس فى الصغر حيث يكره لم يجلس فى الكبر حيث يحب * وسيأتيك قول ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وانظر قوله رضى الله

عنه ذلت طالباً فعز مطلوباً * وكذلك ينبغي للطالب والا لم يحصل له شئ * ألم تسمع قول الشاعر

ان المعلم والطبيب كلاهما * لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه * واصبر لجهلك ان جفوت معلما

هذا زيد بن ثابت رضي الله عنه ركب فأخذ عبد الله بن عباس بركابه فقال لا تفعل يا ابن عم رسول الله * قال هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا قال له زيد أرني يدك فأخرج اليه يده فأخذها وقبلها * وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا وسأل رجل بعض العلماء فقال أيحسن بي أن أتعلم وأنا كبير فقال ان كان يحسن بك أن تعيش فانه يحسن بك أن تتعلم * وقال آخر ان كانت الجهالة تقبح بك فان التعلم يحسن بك * ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال له رجل أريد ان أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بتركك العلم اضاعة * وكان عطاء يقول وددت انى أحسن العربية وهو يومئذ ابن تسعين سنة * ويروى عن علي رضي الله عنه انه قال كل يوم لا أزداد فيه علماً فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم * وخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا ان الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه أو عالم أو متعلم * وقال سفيان بن عيينة أحوج الناس الى العلم العلماء لان الجهل بهم أقبح وهم أعلام ومنارات يهتدى بهم وقال بعض الحكماء العالم يعرف نقص الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف فضل العالم لانه لم يكن عالما * ومن أمثالهم من جهل شيئا عاداه * وفي ذلك يقول ابن دريد

جهلت فعاديت العلوم وأهلها * كذاك يعادي العلم من هو جاهله
ومن كان يهوى أن يرى متصدرا * ويكره لا أدري اصيبت مقاتله

وكما قيل

ما الفضل الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

وقيل هذا

الناس من جهة التمثيل اكفاء * أبوهم آدم والام حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فان يكن لهم من أصلهم حسب * يفاخرون به فالطين والماء

يروى أن قائل هذه الابيات علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وصدق فانه ليس على العالم شئ أصعب ولا أتعب من جاهل يغالطه بالجهل اذا لم يكن عنده عالم يفقه كلامه وكان مالك رحمه الله كثيرا ما يتمثل بقول القائل

وانّ عناء أن تفهم جاهلا * فيحسب جهلا أنه منك أفهم

متى يبلغ البنيان يوما تمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

ويروى عن النسابة البكرى أن للعلم آفة وهجنة ونكدا فآفته نسيانه ونكده الكذب فيه وهجنته نشره عند غير أهله وقال أبو حامد ليس الظلم فى كف العلم عن أهله بأقل منه فى بثه لغير أهله

فمن منع الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال واضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب * وعن عيسى عليه السلام لا تطرحوا الدرّ بين أرجل الخنازير يعنى العلم عند الجهال وقال أيضا عليه الصلاة والسلام لا تنطقوا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم وهذا الخبر هو فى روايتى بسند عال وهو حديث حسن يشتمل على آداب ومواعظ أردت ان أثبته لك هنا بسندى يا ولدى حدّثنى الحافظ السلفى بقراءتى عليه قال حدّثنى الرئيس أبو عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى رئيس أصبهان بها قال حدّثنى أبو بكر بن الحارث أخبرنا عبد الله محمد بن جعفر حدثنا القاسم بن عبد العزيز البغوى حدثنا عبيد الله بن محمد العبسى حدّثنا أبو المقدام هشام بن زياد حدّثنا محمد بن كعب القرظى قال عهدت عمر بن عبد العزيز وهو أمير علينا بالمدينة للوليد بن عبد الملك وهو شاب غليظ ممتلىء الجسم فلما استخلف أتيته بخناصرة فدخلت عليه وقد قاسى ما قاسى فاذا هو قد تغيرت حالته عما كان فجعلت أنظر اليه نظرا لا أكاد أصرف بصرى عنه فقال انك لتنظر الىّ نظرا ما كنت تنظره الىّ يا ابن كعب فقلت نعم تعجبنى فقال وما يعجبك قلت ما حال من لونك وشعث من شعرك ونحل من جسمك فقال كيف لو رأيتنى يا ابن كعب فى قبرى بعد ثالثة حين تقع حدقتاى على وجهى ويسيل منخراى وفمى صديدا ودودا كنت لى أشدّ نكرة ثم قال أعد علىّ حديثا حدّثتنيه عن ابن عباس فقلت حدّثنا ابن عباس رضى الله عنهما

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ شرفا وان أشرف المجالس ما استقبل به القبلة وانما تجالسون بالامانة ولا تصلوا خلف النائم ولا المحدث واقتلوا الحية والعقرب وان كنتم فى صلاتكم ولا تستروا الجدر بالثياب ومن نظر فى كتاب أخيه بغير اذنه فكأنما ينظر فى النار ومن أحب ان يكون أقوى الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما فى يد الله أوثق منه بما فى أيدى الناس ألا أنبئكم بشراركم قالوا بلى يارسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده وجلد عبده أفأنبئكم بشر من هذا قالوا بلى يارسول الله قال من يبغض الناس ويبغضونه أفأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يارسول الله قال من لا يقيل عثرة ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا وأنبئكم بشر من هذا قالوا نعم يارسول الله قال من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره * روى أن عيسى بن مريم قام فى بنى اسرائيل فقال يابنى اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها وقال مرة فتظلموهم ولا تظلموا ولا تكافؤا ظالما فيبطل فضلكم عند ربكم يابنى اسرائيل الامر ثلاث أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتنبوه وأمر اختلف فيه فردوه الى الله عز وجل * ويروى عن الشافعى رضى الله عنه

أأنثر درا بين سارحة النعم * وأنظم باقوتا لراعية الغنم

وقال أبو العباس الناشى

واذا بليت بجاهل متحامل * حسب المحال من الامور صوابا
أوليته منى السكوت وربما * كان السكوت عن القبيح جوابا

وقيل لبعضهم مالكم لا تعاتبون الجهال ليعلموا فقال انا لا نكلف العمى بأن يبصروا ولا الصم بأن يسمعوا ومن أحسن ماقيل فى الجهل قول صالح ابن عبد القدوس

لا تبلغ الاعداء من جاهل * مايبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى فى ثرى رمسه
اذا ارعوى عاد الى غيه * كذى الضنى عاد الى نكسه

وجاء فى الخبر أن الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا يحل للعالم أن يسكت على علمه * ويروى معنى هذا عن على بن

أبي طالب رضي الله عنه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل وكان سهل رحمه الله يقول ما عصى الله بمعصية أعظم من الجهل * قيل يا أبا محمد فهل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل * وفي مثل هذا أنشدوا

ومن أعجب الاشياء أنك لا تدري * وأنك لا تدري بأنك لا تدري

فان تك لا تدري ولم تك بالذي * يسائل من يدري فكيف اذا تدري

تمام العمى طول السكوت وانما * شفاء العمى يوما سؤالك من يدري

ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال لا يستحي جاهل أن يسأل عما لا يعلم ولا يستحي عالم اذا سئل عما لا يعلم أن يقول الله أعلم * قلت وليس عارا على من ليس يعلم علما أن يقول اذا ما سئل لا أدري فذلك أحسن من أن يفتي الناس بالجهل الذي اولى بنفسه أن يزري * قال ابن عباس رضي الله عنهما اذا أخطأ العالم لا أدري أصيبت مقاتله * ويروى عن مالك رضي الله عنه انه كان يكتب اليه بالمسائل فيجيب في الاقل منها ويكتب على الاكثر لا أدري والشئ يعرف بضده * فكذلك أيضا ما أطيع الله تعالى بمثل العلوم * ومن العلم العلم بالعلم أي شئ هو * وقد ذكر أبو طالب في القوت ان الناس ألفوا كتبا كثيرة وسموا ما فيها علما وليس كذلك * هذا معنى كلامه رحمه الله وان لم يكن لفظه كذلك ورأيت لأبي الوليد الوقشي

برح بي أن علوم الورى * علمان ما ان فيهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها * وباطل تحصيله لا يفيد

قلت ولست ترى صاحب علم أي علم كان الا وهو يرى أن لا فوق ما يعلم ان كان صاحب علم حديث يرى فضله على ماسواه * وصاحب علم القرآن يرى نفسه فوقه بدرجات * وصاحب علم التفسير يرى غيره بعين التحقير * وصاحب الفقه يقول لا شئ فوقه * وصاحب الادب واللغة يقول هذا الذي به أخبرت هو الطريق الذي يفهم به كل ما ذكرت * وصاحب الطب يقول حفظ الصحة هو الاصل الذي تقوى به على العبادة حتى صاحب النجوم والحساب * يقول لا بد من معرفة هذا بلا ارتياب وصاحب الاصول يزيد على هذه الفصول ويقول يكفي أن اسمه أصل ولا يثبت الفرع بغير أصل وأما صاحب الكلام فعلى رسول الله السلام * وكل يرى أن مذهبه ورقه مذهبه * ثم يرجع كل على مخالفه في الطريقه * فلا يبلعه ريقه * حدثني الحافظ أبو الطاهر السلفي رحمه الله عن بعض شيوخه انه كان يقول الحديث عز

فى عز * والفقه خبز فى خبز والكلام رز فى رز * وينشد لنفسه

أهل الحديث هم الرجال البزل * ومن المعالى فى الاعالى نزل
هل يستوى السمك الذى تحت الثرى * أبدا مقيم والسماك الاعزل

ويقول

العلم باب للشرف * ومامن العلم خلف
وكل من خالفنى * بابة تبن وعلف

وأنشدنى الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق الازدى لنفسه

ياطالبا للعلم مسترشدا * مستنجحا ان قبل الناصحا
ان كنت تبغى سننا قاصدا * تسألنى منتهجا واضحا
فاركض الى النص مطى السرى * فان فيه المتجر الرابحا
واطرح الرأى وأصحابه * ولاتكونن له لاحا

وقال الخليل بن أحمد العلوم أربعة فعلم له أصل وفرع وعلم له أصل ولا فرع له وعلم له فرع ولا أصل له وعلم لا أصل له ولا فرع * فأما الذى له أصل وفرع فالحساب ليس بين أحد من الخلق فيه اختلاف وأما الذى له أصل ولا فرع له فالنجوم ليس لها حقيقة علم يبلغ تأثيرها فى العالم يعنى الاحكام والقضايا على الحقيقة * وأما الذى له فرع ولا أصل له فالطب أهله منه على التجارب الى يوم القيامة * وأما الذى لا أصل له ولا فرع فالجدل وقال غيره شر العلوم الفلسفة ولذلك يقول الفقيه الزاهد أبو عمران موسى بن عمران القيسى المعروف بالميرتلى رضى الله عنه

شر العلوم اذا اعتبر * ت أخى علم الفلسفه
لاتعلقن بها لسا * نا ماحييت ولاشفه
لاخير فيها الفل أو * له وآخره سفه

وهذا الشاعر أحد الاذكياء الاولياء انظر حديثه فى باب التاء من هذا الكتاب الى غير ذلك مما يهول أمره ويطول ذكره وسيأتى منه طرف فى ذم القياس فى باب الميم * وأما أهل التصوف فيرون العلم علم الباطن من الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين وخواطر القلوب ومعاملة علام الغيوب ولعمر الله ان من ليس عنده علم بالله ولا أحكامه ولا حلاله وحرامه انه لمنزل عن العلم بمعزل وفصل الخطاب ان كل علم أريد به وجه الله وقام صاحبه فيه بأمر الله فهو ناج ان شاء الله وهذا كله بعد حصول مالا بد منه مما هو فرض عليه وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى

مولاى بثلثمائة درهم فأعتقنى فقلت باى حرفة أحترف فاحترفت العلم فما تمت لى سنة حتى أتانى أمير المؤمنين زائرا فلم آذن له ان قلت كيف هذا قيل العلماء اذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا اشغلوا افقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا فاذا هربوا أمنوا فهذا مولى قد فاق بعلمه الاشراف * ومثل هذا ماروى حميد الطويل رضى الله عنه قال قدم رجل من أهل البادية البصرة فاستقبله خالد بن مهران فقال له يا أبا عبد الله أخبرنى عن سيد أهل هذا المصر من هو قال الحسن ابن أبى الحسن قال أعربى أم مولى فقال مولى قال لمن قال للانصار قال فبم سادهم قال احتاجوا اليه فى أمر دينهم واستغنى هو عن دنياهم فقال البدوى كفى بهذا اسوددا وسيأتى طرف من فضائل الحسن ان شاء الله تعالى * وهذه رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها فى سوق البصرة ولا يرغب فيها أحد لكبر سنها فرحمها بعض التجار واشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها فاختارت العلم والعمل وأقبلت على العبادة فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم شأنها * وفيما أجازنى شيخى أبو عبد الله بن الفخار رحمه الله بسنده الى عبد الله بن وهب قال دخل عبد الملك بن مروان المسجد الحرام فرأى حلق العلم والذكر فأعجب بها فأشار الى حلقة فقال لمن هذه فقيل لعطاء ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لميمون بن مهران ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لمكحول ونظر الى أخرى فقال لمن هذه فقيل لمجاهد وكلهم من أبناء الفرس الذين من اليمن فرجع الى منزله وبعث الى أحياء قريش فجمعهم فقال يامعشر قريش كنا فيما قد علمتم فمن الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبهذا الدين فحقرتموه حتى غلبكم أبناء الفرس فلم يرد عليه أحد الا على بن الحسين فانه قال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ثم قال عبد الملك ما رأيت كهذا الحى من الفرس ملكوا من أول الدهر فاحتاجوا الينا وملكناهم فاستغنينا عنهم ساعة فان قلت هذا النوع الذى ذكرت قبل هذا اليس من قبيل هذا بل هو غيره اذ شرف كل علم بشرف معلومه * ولذلك كان العلم والتفقه فى كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم أشرف العلوم وأنفعها فى الدنيا والآخرة وكل علم لايدل على الله ولا توجد علامته على صاحبه فهو وبال وحجة عليه * كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم وعلم بالقلب

فذلك العلم النافع * وعن عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بنافع وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد * وقال بعض الموفقين اطلب العلم لتعمل به ولا تطلبه لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء وتأكل به مال الاغنياء وتستخدم به الفقراء فانما لك من علمك ما عملت به وعليك ما ضيعت منه * وقال عبد الله من تتبع العلم أو قال الاحاديث ليحدث بها لم يجد ريح الجنة * وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه اعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلم حتى تعملوا * وقال الحسن رضى الله عنه اعتبروا الناس باعمالهم ودعوا اقوالهم فان الله تعالى لم يدع قولا الا جعل عليه دليلا من عمل يصدقه أو يكذبه فاذا سمعت قولا حسنا فرويدا بصاحبه فان وافق قوله عمله فنعم ونعمت عين أخيه وأوداته وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قوله فذلك الذى أصاب حظه ومن خالف قوله فعله فانما يوبخ نفسه وقال الحسن رضى الله عنه فى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الى الله فاذا كان كلام طيب وعمل سيء رد القول على العمل وكان العمل أحق به من قوله * وقال ابن مسعود رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم ولو شاء الله لعلمه وويل لمن يعلم ثم لم يعمل سبع مرات * وكان من نقش خاتم الحسين رضى الله عنه علمت فاعمل وفى قصيد الالبيرى فى العلم من هذا المعنى

فواظبه وخذ بالجد فيه * فان أعطاكه الله أخذتا
وان أوتيت فيه طول باع * وقال الناس انك قد سبقتا
فلا تأمن سؤال الله عنه * بتوبيخ علمت فهل عملتا

وهذا المعنى قد سبق اليه أبو الدرداء رضى الله عنه قال ان أخوف ما أخاف اذا وقفت على الحساب أن يقال لى قد علمت فما عملت فيما علمت وذلك ان المرء فى الدنيا مبتلى بأربعة أشياء وهى الدنيا والشيطان والنفس والهوى وقد جمعهن الشاعر فى قوله

انى بليت بأربع يرميننى * بسهام قوس ما لها من توتير
ابليس والدنيا ونفسى والهوى * يارب أنت على الخلاص قدير

فيحتاج الى أربعة أشياء يقاوم بها هذه الاربعة المذكورة وهى العلم والعمل والاخلاص والخوف فيعلم أولا الطريق والا فهو أعمى ثم يعمل بالعلم والا فهو محجوب ثم يخلص العمل والا فهو مغبون ثم لا يزال يخاف ويحذر من الآفات الى

أن يجد الامان والا فهو مغرور * ولذلك قال ذو النون رحمه الله الخلق كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم نيام الا العاملين والعاملون كلهم مغترون الا المخلصين والمخلصون على خطر عظيم وتقدم ان الشاعر جمع الصفات الاربع المتقدمة في بيت ورأيتها لابي عمران موسى الميرتلي الزاهد رضي الله عنه مجموعة في بيت وقد زاد عليها اثنتين فصارت ستا فقال

ست بليت بها والمستعاذ به * من شرها من اليه الخلق تبتهل
نفسي وابليس والدنيا التي فتنت * من قبلنا والهوى والحرص والامل
ان لم يكن منك يا مولاي واقية * من شرها فقد اعيت عبدك الحيل

وكان من دعاء من قرأت عليه اللهم اجعلنا ممن قرأ ليعلم وعلم ليعمل وعمل فتقبل منه وفي الشهاب ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وفي الحديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وأنشد الفقيه المذكور لنفسه في هذا المعنى

من كان منتفعا به وبعلمه * يقظا وفي عمل حليف نعاس
فمثاله المسكين عند تأمل * وتثبت كذبالة النبراس
يأتي عليها الاحتراق ودأبها * أبدا تزايد ضوئها للناس

قلت وما أحسنهما اذا اجتمعا وما أكثر انتفاعهما وأقل اجتماعهما ألم تسمع الى ماقاله أحد النبهاء يرثي أحد الفقهاء

حاز الشريفين من علم ومن عمل * وقلما يتأتى العلم والعمل

والكلام أيضا في مثل هذا يطول والحق ثقيل فان قلت كذا أقول لك وأنا لم أقل لك اترك ما لا يسعك جهله لانه أول ما يجب تحصيل الأهم فالأهم والأوكد فالأوكد فاذا أحكمت ذلك علما وعملا فالاشتغال بهذا خير من الاشتغال بطلب الدنيا وخير من جمع المال وتعلمه أنفع من تعلم الصناعة اذ هو ان أعطيته من كل حرفة أجود * ومن كل صنعة أعود * وأنت فان كانت لك همة وتذوقته فلن تتركه ولو نهيت عنه وأيضا فلن يمنعك عن طلب ما يكفيك من الدنيا اذا اقنعت به وأما أنا فانما وضعت نوعا من العلم وضربا من اللغات كما وضعه غيري بل انما أخذت من تآليفهم وتطفلت على تصانيفهم فان قلت وأنت فهذا الذي ألفته وجمعته وفي هذا الكتاب أثبته ووضعته أحذر أن يكون من باب المباهاة والافتخار والمراآة

والاشتهار

والاشتهار وكم ضيعت فيه من زمان وعطلت عليه من أوان وقد كان الاشتغال بذكر المولى أحق منه وأولى وقد جاء عن سفيان الثوري انه خلا مع الفضيل بن عياض رضي الله عنهما فتذاكرا وبكيا فقال سفيان للفضيل اني لأرجو أن لا نكون جلسنا مجلسا أعظم بركة من هذا المجلس فقال الفضيل لكني أخاف أن لا نكون جلسنا مجلسا أضر علينا منه قال ولم يا أبا علي قال ألست قصدت الى أحسن حديثك فحدثتني به وقصدت أنا الى أحسن حديثي فحدثتك به فتزينت لي وتزينت لك فبكى سفيان أشد من بكائه الاول وقال أحييتني أحياك الله ومثل هذا اعترى للفضيل قصده رجل فلما علم با قباله نحوه قفل بابه من خارج فلما جاء الرجل ورأى الباب مقفلا انصرف فقيل له في ذلك فقال ما يصنع بي يظهر لي محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامي وهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب يوما كتابا أعجبه فخرقه الى غير ذلك من أخبار الصالحين ومراعاتهم لأوقاتهم أن لا تذهب سدى كما روي عن عطاء انه قال كنت مع سفيان الثوري رضي الله عنهما بمكة في المسجد الحرام ونحن نتحدث اذ قال لي سفيان يا عطاء نحن جلوس والنهار يعمل عمله قلت انا لفي خير ان شاء الله قال أجل ولكنا نتلذذ به ثم قال يا عطاء ان المؤمن ليرى في الموقف بعينه ما أعد الله له في الجنة وهو مع ذلك يتمنى انه لم يخلق لشدة ما هو فيه مع أشياء سوى هذا تروى عن أهل الفضل مع قول الحكيم *

فلا تكتب بكفك غير شيء * يسرك في القيامة أن تراه

فأين أنت من هؤلاء الرجال وأين حالك من هذه الاحوال فأقول لكل مقام مقال ولكل زمان رجال وعلى كل كلام جواب وفي كل مسئلة باب أول ما أقول لك في ذلك لسنا نحن كأولئك لم نبلغ بعد الى مرتبتهم ولا ارتقينا الى درجتهم أولئك قوم كفوا عن الحرام فكفوا وصفوا من الآثام فاصطفوا ونحن خلطنا وخبطنا فخططنا وحبطنا وظلمنا فأظلمنا وما ظلمنا أسألك بحق ربك أين الذي اذا صلى بالناس جهرا فأخطأ في قراءته أو خطب فأرتج عليه أو سئل عن مسئلة فلم يدر ما يقول فيها أو كتب رسالة أو قال شعرا فأخطأ فيه أو لحن أو كسر لا يعز ذلك عليه ولا يباليه ولا يهتم به ولا يكترث له وهؤلاء هم القدوة وفيهم الاسوة وأما أمثالنا فأينا الذي اذا أخطأ أو لحن لا يحزن لذلك ولا يغتم بل ليته لا يموت كمدا ويذوب حياء لا سيما ان كان ذلك بحضرة من يتعيب بل ليته لا يعتذر من ذلك كأنه أذنب ذنبا بل ليته لا يكذب

فى اعتذاره أم أبناالذى لا يفرح اذا قيل له انك لفصيح وان خطك لمليح وان شعرك لطيب * وان صوتك لحسن * وانك لمتقن * وسريع الحفظ * بل ليته لا يغضب على من لا يبتديه بذلك * يا أخى هذه منزلة ما بلغتها أنا بعد نعم ولا تحدّثنى نفسى بها الا أن يتداركنى الله كما تدارك أولئك القوم فهو مولانا * كما هو مولاهم ونحن عبده كما هم * ونحن الآن والحمد لله أحسن من غيرنا * ممن ألف كتبا فى الاهجاء والامداح * وأبواب اللهو والمزاح * ومدح الراحة والراح وقد قيل لابن الاحنف مالك لا تكون كأبيك * قال دعوا أبى وقيسونى بأبنائكم * وقلما يشبه المرء أباه فى العلم والحلم * وفى ذلك يقول الشاعر

اذا ما رأيت امرأ حاذقا * فكن فى ابنه سيء الاعتقاد

فما ان ترى من نجيب نجيبا * وهل تلد النار الا الرماد

وكان لمالك بن أنس رضى الله عنه ولد يدخل ويخرج ولا يجلس معه فى مجالس العلم فكان اذا نظر اليه يقول ها ان مما يطيب نفسى ان هذا العلم لا يورث وان أحدا لا يخلف أباه فى مجلسه الا عبد الرحمن بن القاسم ورآه يوما نازلا من فوق ومعه حمام قد غطاه فقال فعلم مالك انه قد فهمه الناس فقال الادب أدب الله لا أدب الآباء والامهات والخير خير الله لا خير الآباء والامهات وسأل سفيان بن عيينة رحمه الله رجلا فقال يا أبا محمد نشدتك بالله أطلبت هذا العلم يوم طلبته لله فأعرض عنه سفيان وسأله ثانية وثالثة فقال سفيان اللهم لا انا طلبناه تأدبا وتظرفا فأبى الله الا أن يكون له وهذا الفن الذى أخذت انا فيه سأحتج عليه بما لا ينفيه قد قالت الفقهاء ما لا يتم الفرض الا به فهو فرض مثله أليس علم اللغة واللسان العربى مما لا يفهم كتاب الله الا بهما وكذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم * وليت شعرى هل كان الفضيل بن عياض وسفيان الثورى ونظراؤهما من أهل العلم ممن لا يعد كثرة يجهلون هذا الشان وهل بلغوا الى ما بلغوا الا بالعلم بهذا وغيره وكذلك جميع ما فى هذا الكتاب مذكور هل هو الا من كتب الائمة مصابيح الامة أهل الفضل والعلم الذى حفظوا على الاواخر علم الاوائل وما أغفلوا منه لفظة حتى ذكروا فى كتبهم مثل * حبطقطق وشقشق وغير ذلك مما ترى بعضه فى هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهل هذه الالفاظ وغيرها الا آلة من آلات العلم وأداة من أدواته ومن لم يدر لسانا ولا لغة فكيف يفهم أو بم يتكلم وقد قال بعض

الحكماء

الحكماء ليت شعري أي شئ أدرك من فاته العلم وأي شئ فاته من أدرك العلم
وقال ابن المبارك عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه الى مكرمة ترى
أحدا من هذه الجماعة ذم أهل هذه الصناعة كيف وعلم اللسان هو نصف
الانسان * ومن لم يكن له لسان فهو أخرس ومن كان أخرس فهو بهيمة والله تعالى
يقول الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان وقال تعالى الذى علم بالقلم
علم الانسان مالم يعلم وقالوا ما الانسان لولا البيان الا صورة ممثلة أو بهيمة مهملة
وانما المكروه فى هذا الشان من قطع عمره كله بهذا الفن ولم يحسن غيره
وأفنى زمانه فيه ولم يشتغل بسواه هذا وعنده آلات كثيرة لم يعملها فى غيرها وانما
أتقن بعضها ببعض وقعد وغيره استعمل هذه الآلات فى سائر الصناعات فأحر بهذا
أن يكون أعلى من ذلك وأنفس وأحذق وأكيس وباب العمل بالعلم باب آخر
قد تقدم منه طرف وستطلع منه فى هذا الكتاب على أبواب كثيرة بحول الله تعالى
ودونك أيها الولد فائدة زائدة طريفة أدبية * شريفة لغوية * تقدم حبطقطق فائدة لغوية
وهذه اللفظة وقعت فى بيت من الشعر أنشده المازنى رحمه الله وهو

جرت الخيل فقالت * حبطقطق حبطقطق

يحكى صوت جرى الخيل كما قالوا الطقطقة أصوات حوافر الدواب مثل الدقدقة
وكما قالوا جلنبلق لصوت الباب اذا فتح واذا أغلق ويكون الباب جافيا ضخما
قال الشاعر فتفتحه طورا وطورا تجيفه * فتسمع فى الحالين منه جلنبلق
أنشده المازنى وساقه أهل اللغة شاهدا على أنه لا يوجد جيم وقاف فى كلمة واحدة
من كلام العرب الا أن يكون معربا أو حكاية صوت نحو الجردقة وهى الرغيف
والجرموق الذى يلبس فوق الخف والجرامقة قوم بالموصل أصلهم من العجم
والجوسق القصر وجلق بكسر الجيم واللام مع التشديد موضع بالشام والجوالق
الوعاء بضم الجيم وجمعه جوالق بفتحها وغير ذلك أشياء قليل عددها استعلمها اذا
علمت كما تجهلها اذا جهلت * وخذ أيها الولد النبيل * فائدة فى التقبيل * تقدم
ان زيد بن ثابت قبل يد عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال أهل العلم قبلة الامام
فى اليد وقبلة الام فى الرأس وقبلة الاخ فى الخد وقبلة الاخت فى الصدر وقبلة
الزوجة فى الفم * وقيل قبلة المؤمن المصافحة وقبلة الوالد الولد فى الرأس وقبلة
الام الولد فى الخد وقبلة الاخ الاخت فى العين وقال على بن أبى طالب رضى الله

عنه قبلة الولد رحمة وقبلة المرأة شهوة وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الاخ أخاه دين وقبلة الامام العادل طاعة * روى ان أباعبيدة قبل يد عمر رضى الله عنهما ثم تناول رجله فقال أما هذا فلا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحه انسان لم ينزع يده من يده حتى يكون ذلك الانسان الذى ينزع يده وكره مالك رحمه الله تقبيل اليد وقال انه من صنيع الاعاجم وكذلك قال هشام لرجل قبل يده أفه ان العرب ماقبلت الايدى الاهلوعا ولافعلته الاعاجم الاخضوعا واستأذن رجل المأمون فى تقبيل يده فقال ان قبلة اليد من المسلم ذلة ومن الذمى خديعة ولاحاجة بك أن تذل ولابنا أن نخدع * واستأذن أبودلامة الشاعر المهدى فى تقبيل يده فقال أما هذه فدعها قال مامنعت أم عيالى شيئا أيسر فقدا عليهم من هذه

(فصل) وقدقالوا فى البلاغة ان اللسان نصف الانسان ومن قال ذلك احتج بقول الاعور الشنى

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * فلم يبق الاصورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب * زيادته أونقصه فى التكلم

وقال يحيى بن خالد مارأيت رجلاقط الاهبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم شأنه فى صدرى وان كان مقصرا سقط من عينى وهذا مقتضى قول بعض المتقدمين المرء مخبوء تحت لسانه * وسئل الخليل عن البلاغة فقال كلمة تكشف عن البغية وقال الفضل قلت لبعض الاعراب ما البلاغة قال الايجاز فى غيرعجز والاكثار فى غير خطل وهذا أيضا معنى قول جعفر بن يحيى اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيرا واذا كان الايجاز كافيا كان الاكثار عيا * ووصف يحيى بن زياد رجلا بالبلاغة فقال أخذ بزمام الكلام فقاده أحسن مقاد وساقه أحسن مساق فاسترجع به القلوب النافرة واستصرف به الابصار الطامحة * وقال العتبى قيل لمسلمة بن بلال العبدى خطب جعفر بن سليمان خطبة لم نر أحسن منها ومادرينا أوجهه كان أحسن أم كلامه فقال أولئك قوم بوجه الخلافة يشرقون و بلسان النبوة ينطقون * وسأل المأمون العباس بن الحسن الطالبى عن رجل فقال رأيت له حلما وأناة ولم أرهما لك عجلة لاتسمع له لحنا ولا احالة يحدثك الحديث على مطاويه و ينشدك الشعر على مدارجه و يخبرك بالاخبار المتقنة و يرمى

البلاغ بالامثال المحكمة * وقال الكسائي لقيني اعرابي بمكة فجعلت أسأله وألح عليه فقال مارأيت رجلا أقدر على كلمة الى جنبها كلمة أشبه شئ بها وأبعد شئ منها منك وقيل لرجل قرشي مابال العرب تطيل كلامها وتقصرونه معاشر قريش فقال بالجندل يرمى الجندل ان كلامنا يقل لفظه ويكثر معناه ويكتفى بأوله ويستغنى بآخره * وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي وسمع شاعرا ينشد شعرا وقد أساء قولا وانشادا ان من الشعر بيوتا ملس المتون قليلة العيون ان قصدتها لم تبالها وان سمعتها لم تتفكه بها كذا رأيته قليلة العيون وأظنه كليلة والله أعلم

وقال اسحاق بن ابراهيم هذا أنشدت الرشيد شعرا امدحته به أقول فيه

وآمرة بالبخل قلت لها اقصري * فليس الى ما تأمرين سبيل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى * ورأى أمير المؤمنين جميل

قال فالتفت الى الفضل بن الربيع وقال ياعباسي قاتل الله أبياتا لايزال يأتينا بها الموصلي ما أشد أصولها وأقل فضولها وأحسن فصولها وقال الموصلي ذكر اعرابي عشيرة رجل بجودة الشعر فقال مابين التراب والسحاب أشعر من أسرته * وذكر رجل كاتبا فقال جمع الدنيا بين طرف لسانه وسن قلمه وخط يده وفص خاتمه ومدح شاعر كاتبا فقال

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمي هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وهذا البيت من أبدع كلام سمع وأبرع التزام جمع * وسمع رجل رجلا يتكلم فيحسن فقال له أبلغت وأوجزت وسهلت وكنت كالماء في الرقة والجوهر في اللطف والنار في الذكاء وكلامك أخصب من الروض وأحسن تعلقا من العقيان في صدور القيان * ووصف اعرابي رجلا فقال كان لسانه أرق من ورقه وألين من سرقه * وذكر العباسي العباس بن الحسن فقال كان والله كلامه يفت الخردل ويحط الجندل * وقال العتبي قيل لبليغ كيف رأيت كلام فلان قال يشجي بالريق ويملأ الصدور ويونق الاسماع ويستشرف الابصار ويأخذ أقطار البلاغة ويقصد المحجة ويردو يصدر بالحجة لله دره كيف يستصرف العيون اللامحة ويرد الاسماع الجامحة * ومدح شاعر قوما باصابة القول فقال

وأوتاد أرض الله في كل بلدة * وموضع فتياها وعلم التشاجر
وما كان سحبان يشق غبارهم * ولا السوق من حي هلال وعامر

السرق محركة شقق الحرير الابيض

يصيبون فصل القول فى كل منطق * كما طبقت فى العظم مدية جازر

والقول فى هذا الباب طويل ويكفى منه القليل فلنرجع أيها الانسان الى ذكر اللسان قال بعض النقاد اللسان ترجمان الفؤاد يعبر عنه بما أراد ألم تسمع قول الشاعر

ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفؤاد

وقال آخر

ان الكلام لفى الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وقال آخر

قل لمن يفخر جهلا بالحسب * انما الناس لأم ولأب

أتراهم خلقوا من فضة * أو من الياقوت أو هذا الذهب

كان البيت * أو حديد أو نحاس أو ذهب * وكما فى الكتاب رأيته فذيلته

أترى فضلا لهم من غيرهم * بسوى لحم وعظم وعصب

انما الفخر بعقل كامل * وبأخلاق كرام وأدب

وقال افلاطون باطن عقول الرجال أطراف أقلامها وظاهر عقولها فى حسن اختيارها وقال ارسطاطاليس لكل شئ صناعة وحسن الاختيار صناعة العقل

(فصل) وقد فضل قوم السكوت على الكلام وآخرون الكلام على السكوت قلت وليس السكوت بأفضل من الكلام الا من جهة العذر أو العى أو الفضول فان النبى صلى الله عليه وسلم قال رحم الله امرأ تكلم فسلم أو سكت فغنم فاذا سلم الانسان من الجهل وتكلم بالخير فلا شك انه أفضل من الساكت وقال بعض من فضل الكلام على السكوت لم ترو الرواة سكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه وذكر الله داود فقال وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وتذاكروا فى مجلس أبى مسهر الكلام وحسنه والصمت ونبله فقال أبو مسهر ان النجم ليس كالقمر انك تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما عبر به عن شئ فهو أكبر منه * وقال بعض العلماء ما أعلم فى الدنيا شيئا من البيوع يستطاع شراؤه بالسكوت ولا وشيجة بقل ويستطاع شراء الجنة من رب العالمين بالكلام وهو ذكر الله وقراءة القرآن والامر بالمعروف والنهى عن المنكر * وقال سهل بن هارون ان الله رفع درجة اللسان فوق جوارح الجسد وشرف منزلته على سائر الاعضاء فأنطقه بتوحيده وتمجيده فهو أداة يظهر بها البيان وناطق يرد به الجواب وشافع تدرك به الحاجة وواصف تعرف به

الاشياء

الاشياء ومعز يردّبه الحزن ومؤنس يذهب بالوحشة وواعظ ينهى عن القبيح ومزين يدعوالى الحسن وزارع يحرث المودة وحاصد يذهب بالضغينة ومفصاح بمعالى الامور ودليل على مابطن فى القلوب ومخبر عما بطن من الاخبار ان سألته أوضح وان استنطقته أفصح وهو رسول العقل الى السامعين وأداته التى تجمع بين مفترق الحكم * وقال غيره لسان المرء أنجح شفعائه وأنفذ سلاحه على أعدائه وشاهد العقل ودليله * قلت هذا كله على استقامته وسداده وأما ارساله فى الفضول وفيما لا يصلح فالعى خير منه والسكوت أسلم لامحالة نعم والسكوت للجهال ستر قال الشاعر

وفى الصمت ستر للعىّ وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وقال آخر اذا أنت لم تنطق بحق ولم تقل * صوابا فعن عىّ لسانك فاستر

وقال طرفه وان لسان المرء مالم تكن له * حصاة على عوراته لدليل

وقال آخر لسان المرء ينبى عن حجاه * وعىّ المرء يستره السكوت

وقال أبو العتاهية الصمت أجمل بالفتى * من منطق فى غير حينه

وتكلم رجل فى مجلس الهيثم بن صالح فهذر فقال الهيثم بكلام أمثالك رزق أهل الصمت المحبة وأطال رجل الصمت فعيب به فقال ان حظ الرجل فى اذنه لنفسه وحظه فى لسانه لغيره وقال آخر ان فوت الصمت أيسر من خطل القول وقالوا أبلغ الصمت مايكون الكلام شرا منه وقالوا فى الصمت أمان من تحريف القول وعصمة من زيغ المنطق وسلامة من فضول القول وقال أبو نواس

خل جنبيك لرام * وامض عنه بسلام

مت بداء الصمت خير * لك من داء الكلام

انما العاقل من ألجم فاه بلجام

شبت يا هذا وماتترك أخلاق الغلام

والمنايا آكلات * شاربات للانام

وتكلم رجل بين يدى معاوية رحمه الله فهذر فلما أطال قال يا أمير المؤمنين أأسكت قال وهل تكلمت ثم أقبل على جلسائه فقال أما ترون هذا يعثر فى كلامه بلسانه و يعثر لسانه بكلامه وتكلم رجل فى مجلس ابن عباس رضى الله عنهما فأساء الكلام فقال ابن عباس رضى الله عنه لغلام له أنت حر لوجه الله تعالى فقال الرجل ماسبب

هذا الشكر يا أبا العباس قال حمدت الله اذلم يجعلني مثلك ووصف رجل قوما فقال منهم من ينقطع كلامه قبل أن يصل الى لسانه ومنهم من لا يبلغ كلامه أذن جليسه وقال كسرى أنوشر وان عي الصمت خير من عي الكلام وقال آخر أعيي العي بلاغة بعي * وسمع اعرابي رجلا يتكلم ويهذر ثم التفت الى الاعرابي فقال له ما البلاغة عندكم فقال له خلاف ما كنت فيه منذ اليوم وكان الاصمعي يقول من جيد أمثالهم ربما أسمع فأدع والصمت حكمة وقليل فاعله والكلام في هذا المعنى كثير وربما أعيي من فيه أعني وقد تقدم فصل من هذا عند ذكر الشعر في أول الكتاب * ويروى أن رجلا كان يجالس الاحنف بن قيس وكان يطيل الصمت حتى أعجب به الاحنف ثم انه تكلم فقال للاحنف يا أبا بحر أتقدر أن تمشي على شرف المسجد فتمثل الاحنف بالبيت المتقدم * وكائن ترى من صامت لك معجب البيت ومثله أن رجلا كان في مجلس أبي يوسف وكان يطيل الصمت فقال له أبو يوسف يوما مالك لا تتكلم وتسأل عما بدا لك فقال بلى أيها الفقيه اني سائلك عن شيء فقال سل فقال متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل فتبسم أبو يوسف وتمثل بقول القائل

وفي الصمت ستر للعيي وانما * صحيفة لب المرء ان يتكلما

وقد تقدم هذا البيت الا انه روى للغبي بغين منقوطة وباء موحدة وهو هنا بياء بن وعين وكذا قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسكندرية وفي فوائد أبي القاسم الادريسي بسنده قال أنشدنا ثعلب

عجبت لازراء العيي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالامر أعلما

وفي الصمت ستر البيت ومن الفوائد أيضا وقرأته على الحافظ بسنده الى أبي الفضل علي بن محمد القطان بزبيد اليمن

أنت من الصمت آمن الزلل * ومن كثير الكلام في وجل

لا تقل القول ثم تتبعه * ياليت ما قلت لم أكن أقل

وأنشدني أيضا لنفسه

لعمرك ما للمرء كالرب حافظ * ولا مثل عقل المرء للمرء واعظ

لسانك لا يلقيك في الغي لفظه * فانك مأخوذ بما أنت لافظ

قلت وآفات اللسان أيضا كثيرة قالوا في المثل اياك أن يضرب لسانك عنقك كذا

ذكر أبو عبيد القاسم ورد عليه أبو عبيد البكرى فقال انما هو اياك وأن يضرب بالواو كما ورد فى الحديث اذا بلغ الرجل السبعين فاياه واياه الشواب وأنشد فى فيما يخاف من اللسان وبارب ألسنة كالسيو * ف تقطع أعناق أصحابها

وقال آخر وقد يرجى لجرح السيف برء * وجرح الدهر ماجرح اللسان

وقال آخر * والقول ينفذ مالا ينفذ الابر * وقال آخر * وجرح اللسان كجرح اليد وقالوا اللسان أجرح جوارح الانسان * وقال الصاحب بن عباد حفظ اللسان راحة الانسان فاحفظه حفظ الشكر للاحسان فآفة الانسان فى اللسان وبما رأيته مسندا الى شيخى الحافظ السلفى رحمه الله قال سمعت أبا على محمد بن محمد المهدوى الهاشمى ببغداد يقول سمعت أبى يقول سمعت يحيى الازدى النحوى يقول كنت يوما فى حلقة أبى سعيد السيرافى فجاء أبو عبد الملك خطيب جامع المنصور فقام واله وأحاوه فلما تمكن به المجلس قال قد قرأت قطعة من هذا العلم وأريد أن أستزيد منه فأيهما خير سيبويه أو الفصيح فضحك من فى المجلس ثم قال له أبو سعيد ياسيدنا نحنده اسم أو فعل أو حرف ففكر ساعة ثم قال حرف فضحكوا ثانيا فلما قام لم يقوموا اله قلت وكيف يعتدل القول أو يستقيم لذى الفهم السقيم ألم تسمع قول الشاعر وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم

وقال آخر وليس يصح فى الافهام شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

وفصل الخطاب المفضى الى عين الصواب ما رأيته واعلى رويته أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ يامعاذ أنت سالم ماسكت فان تكلمت فلك أو عليك وهذا حديث يسير يحتوى على علم كثير وقد رأيت أن أثبته بالكلية لعل الله أن ينفعنى به بالنية قال معاذ رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما عمل اذا عملته دخلت الجنة قال بخ بخ سألت عظيما وهو يسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة المفروضة وان شئت نبأتك برأس هذا الامر وعموده وذروة سنامه أما رأسه فالاسلام من أسلم سلم وأما عموده فالصلاة وأما ذروة سنامه فالجهاد فى سبيل الله ان شئت نبأتك بجوامع من الخير الصيام جنة والصدقة تمحو الخطيئة وقيام العبد فى جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وان شئت نبأتك بما هو أملك بالناس من ذلك فأشار باصبعه الى لسانه فقلت وانى لمأخوذ بما تكلمت به

فقال ويحك وهل يكب الناس على وجوههم الا ألسنتهم انك سالم ما سكت فاذا تكلمت فلك أو عليك * ومما قرأته بالاسكندرية فى التاريخ المذكور على الفقيه الشريف أبى محمد عبد الله بن عبد الرحمن العثمانى رحمه الله من ذرية عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الفارسى رحمه الله يقول سمعت الحسن بن حبيب النيسابورى يقول سمعت أبى يقول سمعت محمد بن محمد الوراق يقول سمعت يحيى بن معاذ الرازى يقول اذا سكت فأنا واحد من الناس واذا تكلمت فأنا واحد فى الناس قال وسمعته يقول أفواه الرجال حوانيتها وأسنانها مفاتيحها فاذا فتح الرجل باب حانوته تبين العطار من البيطار والتمار من الزمار وقال الشاعر

المرء يعجبنى وما كلمته * ويقال لى هذا اللبيب اللهذم
فاذا قدحت زناده وسبرته * فى الكف زاف كما يزيف الدرهم

وقال آخر

ترى الناس أشباها اذا جلسوا معا * وفى الناس زيف مثل زيف الدراهم

وقال عدى بن الرقاع

القوم أشباه وبين حلومهم * بون كذاك تفاضل الاشياء

قال وحدثنا محمد بن الحسين بن خلف البغدادى قال حدثنا أبو الفضل بن المأمون قراءة عليه قال حدثنا أبو بكر الانبارى قال حدثنا محمد بن المرزبان أنبأنا أبو عبد الله محمد بن شجاع قال حدثنا محمد بن زياد قال تكلم رجل عند عمر بن عبد العزيز رحمه الله فأحسن فقال عمر هذا والله هو السحر الحلال قلت الرجل الذى تكلم عند عمر رضى الله عنه هو والله أعلم الذى ذكر بعض الرواة انه لما استخلف عمر بن عبد العزيز فقدم عليه وفود أهل كل بلد فتقدم اليه وفد أهل الحجاز فاشرأب منهم غلام للكلام فقال عمر يا غلام ليتكلم من هو أسن منك فقال الغلام يا أمير المؤمنين انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله عبده لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد أجاد له الاختيار ولو أن الامر بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك فقال عمر صدقت تكلم فهذا هو السحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة لم تقدمنا اليك رغبة ولا رهبة لانا قد أمنا فى أيامك ما خفنا وأدركنا ما طلبنا فسأل عمر عن سن الغلام فقيل عشر

المرزئة بوزن التهنئة معناها المصيبة كالرزء والرزيئة اه قاموس

سنين وقد روى أن محمد بن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر قد تهلل عند ثناء الغلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك فان قوما خدعهم الثناء وغرّهم الشكر فزلت أقدامهم فهووا في النار أعاذك الله ان تكون منهم وألحقك بسالف هذه الامة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تخلنا من واعظ زاجر أخذ الشاعر قوله هذا هو السحر الحلال فقال

هو السحر الحلال لمجتنيه * ولم أر قبله سحرا حلالا

وقالوا الاصغران القلب واللسان والاصمعان القلب الذكى والرأى الحازم يقال فلان أصمع القلب اذا كان حديد القلب نقلته من الدلائل قال الشاعر

وما المرء الا الاصغران لسانه * ومعقوله والجسم خلق مصوّر
فان طرّة راقتك فاخبر فربما * أمرّ مذاق العود والعود أخضر
وما الزين في باد تراه وانما * يزين الفتى مخبوره حين يخبر

وجاء في الشهاب جمال الرجل فصاحة لسانه وقال ابن سيرين ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شحم وخرج ثابت رحمه الله أن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو أبيض بض فضحك النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال العباس ما يضحكك يا رسول الله أضحك الله سنك فقال أعجبني جمالك يا عم النبيّ قال وما الجمال في الرجل يا رسول الله قال اللسان وأنشدوا

رأيت العز في أدب وعقل * وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بحسن * اذا لم يسعد الحسن البيان
كفى بالمرء عيبا أن تراه * له وجه وليس له لسان

يقال فلان لا أصل له ولا فصل الاصل الحسب والفصل اللسان وقالوا الصورة الحسنة بلا لسان كالبيت الحسن ليس فيه أهل وكان العتابى لا يبالى بما لبس فقيل له في ذلك فقال أخزى الله امرأ رضى أن ترفعه هيئتاه جماله وماله انما ذلك حظ النساء والرجال الازرياء لا والله حتى يرفعه كبرياه وأصغراه همته ونفسه ولسانه وقلبه وقالوا زينة الرجل لسانه لا ثيابه كما قال الآخر لبعض الملوك وكان في جبة له فاحتقره فقال ان الجبة لا تكلمك انما يكلمك من فيها وأنشدنى الحافظ رحمه الله بسنده قال أنشدنى الصباح بن منصور الشاركى لنفسه

المشجب الخشبة التي تلقى عليها الثياب

ان أمس في سمل والتذل في حلل * فعادة الدهر في ذي الجود والكرم
أماترى المشجب الديباج ملبسه * والنصل ملبسه شبران من أدم

وفي المقامات للحريري من هذا المعنى

ما ان يضر العضب كونه في قرابه * خلقا ولا البازي حقارة عشه

وسيأتي قول الشاعر

على ثياب فوق قيمتها الفلس * وفيهن نفس دون قيمتها الانس

وخرج الواقدي أن عبد الله بن عوف الاشج قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما رآه نظر الى رجل دميم فقال عبد الله يارسول الله انه لا يستقى في مسوك الرجال انما يحتاج من الرجل الى أصغريه قلبه ولسانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك خصلتان يحبهما الله وفي رواية ورسوله الاناة والحلم فقال يارسول الله أشئ حدث أم شئ جبلت عليه فقال لا بل شئ جبلت عليه * وفي رواية أنه قال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله والحكاية المشهورة عن كثير اذ دخل على عبد الملك بن مروان فقال لما رآه أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه فقال يا أمير المؤمنين كل عنده محله رحب الفنا شامخ البنا عالي السنا ثم أنشده

ترى الرجل النحيف فتزدريه * وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير اذا تراه * فيخلف ظنك الرجل الطرير

في أبيات آخرها

فما عظم الرجال لهم بزين * ولكن زينهم كرم وخير

ذكر ذلك أبو علي في الامالي وذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في الامثال ان قائل ذلك المثل المنذر بن ماء السماء قاله لشقة بن ضمرة فقال له شقة ان الرجال ليسوا بجزر يراد منها الاجسام انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه وقال البكري في شرح الامثال انما قال له ان الرجال لا تكال بالقفزان وليست بمسوك يستقى بها الماء وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان قال قال ببيان وان صال صال بجنان فأعجب المنذر ماسمع منه ودخل بعض العلماء على الرشيد وكان دميم الصورة قصير القامة فاستحقره الرشيد وقال ما أقبح هذا الوجه فقال العالم يا أمير المؤمنين ان حسن الوجه ليس مما يتوسل به عند الملوك هذا يوسف عليه السلام أحسن الناس وجها قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم ولم يقل اني حسن الوجه جميل قال

صدقت

صدقت ارتفع فرفع قدره وقرب مجلسه
(فصل وأما الملح والآداب) فقد حدثني السلفي رحمه الله فيما رويه عن أشياخه انهم كانوا يقولون لقاطات الادب كقراضات الذهب قلت وما رأيت أحدا ممن لقيته من أهل الآفاق الاوله تعاليق وأوراق تحتوي على حكايات وأشعار ورسائل وأخبار * وهذه الملح هي حلية الكتاب وزينة أهل الآداب وفاكهة أولي الالباب من أهل هذا الباب تنشط الكسلان وتوقظ الوسنان وتبعث الطالب على الزيادة الى أن يلحق بالسادة وقال الاصمعي توصلت بالملح ونلت بالغريب وقرأت على الحافظ رحمه الله قال سمعت أبا الحسن المبارك بن عبد الجبار الطيوري ببغداد وقرأنا عليه جزءا من حكايات أبي عمرو بن حيوية الخراز يرويه عن أبي الحسن علي بن عمر القزويني الزاهد وفيه ملح ومضاحك فوضع يده على وجهه وتبسم وقال لا يسعني الا الرواية فقد رواه الى أزهد خلق الله أبو الحسن القزويني رحمه الله ثم ساق من فضائل أبي الحسن هذا قال سمعت أبا محمد جعفر بن محمد بن الحسين بن السراج النحوي ببغداد يقول رأيت على أبي الحسن القزويني الزاهد ثوبا رفيعا لنا فخطر ببالي كيف مثله في زهده يلبس مثل هذا * فقال في الحال بعد أن نظر الى "قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق" قال وحضرنا عنده يوما لقراءة الحديث فتمادى بنا الوقت الى أن وصلت الينا الشمس وتأذينا بحرها فقلت في نفسي لو تحرك الشيخ الى الظل فقال والله في الحال "قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون" * وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول اني لاستجم نفسي ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لي على الحق * وعن علي رضي الله عنه سلوا هذه النفوس ساعة بعد ساعة فانها تصدأ كما يصدأ الحديد وقال أيضا ان القلب اذا أكره عمي وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول اذا أفاض من عنده في الحديث بعد القرآن والتفسير أحمضوا أي اذا مللتم من الفقه والحديث وعلم القرآن فخذوا في الاشعار وأخبار العرب كما أن الابل اذا ملت ما حلا من النبت رعت الحمض وهو ما ملح منه ومنه قول الزهري هاتوا من أشعاركم فان الاذن مجاجة والنفس حمضة أي انها تشتهي الشئ بعد الشئ كما تفعل الابل وسيأتي تفسير الحمض في باب النون بأكثر من هذا ان شاء الله تعالى * وقال بعض الحكماء ان للآذان مجة وللقلوب ملالا ففرقوا بين الحكمتين ليكون ذلك استجماما * ذكر هذه

الاخبار الفقيه القاضي أبو الفضل عياض رحمه الله في كتابه الذي سماه كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد قال وفي الحديث من الفقه التحدث بملح الاخبار وطرف الحكايات تسلية للنفس وجلاء للقلوب وهكذا ترجم أبو عيسى الترمذي عليه باب ماجاء في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم في السمر وأدخل في الباب هذا الحديث يعني حديث أم زرع وحديث خرافة * ثم قال وهذا كله مالم يكن دائما متصلا * وانما يكون في النادر والاحيان كما قال ساعة بعد ساعة واما أن يكون ذلك عادة الرجل حتى يعرف بذلك ويتخذه ديدنا ويطرف به الناس ويضحكهم دائما فذلك مذموم غير محمود دال على سقوط المروءة ورذالة الهمة وقد عد هذا الفن الفقهاء فيما يقدح في عدالة الشاهد قال وفيه من الفقه جواز المدح في بعض الاحايين واباحة الدعابة مع الاهل وبسط الوجه واللسان مع جميع الناس بالكلام الحلو السهل فهو من حسن العشرة * وقد كان عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا * ومن أحسن ما قيل في المزح قول أبي الفتح البستي

أفد طبعك المكدود بالجد راحة * تجم وعلله بشئ من المزح
ولكن اذا أعطيته المزح فليكن * بمقدار ما تعطى الطعام من الملح

وكان ابن الماجشون ينشد

انما للناس منا * حسن خلق ومزاح * ولنا ما كان فينا * من فساد وصلاح

ولغيره

مازح أخاك اذا أراد مزاحا * فاذا أباه فلا تزده جماحا
فلرب مازح الصديق بمزحة * كانت لكل عداوة مفتاحا

وأنشد في الحافظ لنفسه

المزح حفار رأس كل قطيعة * والمزح منقصة تشين فظيعه
فاتركه فهو يشين من يعتاده * واهجره فهو الى الفراق ذريعه

وقال غيره

اذا ما طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا
فاياك اياك المزاح فانه * يجرئ عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد بهائه * ويورث بعد العز صاحبه ذلا

ولي من شعر لزومي

قل كيف يرجو فلاحا * من كان خصما فلاحا
فاتركه واترك مزاحا * واجعله عنك مزاحا

* (فائدة زائدة) * المزاح بكسر الميم مصدر مازحه وهما يتمازحان والاسم المزاح بالضم والمزاحة أيضا مثله والمزح الدعابة والممازحة المفاكهة * ومن أمثالهم قولهم (لا تفاكه أمه ولا تبل على أكمه) والفكاهة بالضم المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه أيضا الأشر البطر وقرئ ونعمة كانوا فيها فكهين أى أشرين وقرئ فاكهين أى ناعمين وقوله تعالى فظلتم تفكهون فمعناه تندمون وقيل تعجبون لهلاكه بعد خضرته وقد روى عكرمة فى حديث يرفعه أن النبى صلى الله عليه وسلم كانت فيه دعابة ويحكى ذلك أيضا عن على وابن ثابت وابن سيرين والشعبى وغيرهم وقد ذكر ابن قتيبة فى أدب الكاتب من هذا فصلا فانظره هنالك وقد قال عمر رضى الله عنه ينبغى للرجل أن يكون فى أهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا * وعن زيد بن ثابت انه كان من أفكه الناس فى أهله وأجدهم اذا جلس مع القوم وكان مالك رحمه الله من أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وكان يقول يجب على الانسان أن يتحبب الى أهل داره حتى يكون أحب الناس اليهم * وحديث أم زرع مشهور وهو الذى فسره عياض المذكور رحمه الله فجاء فى سفر صغير * وأما حديث خرافة فخرج الترمذى فى الشمائل عن عائشة رضى الله عنها قالت حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا رضى الله عنهن فقالت امرأة كان الحديث حديث خرافة * فقال أتدرون ما خرافة ان خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فى الجاهلية فمكث دهرا فيهم ثم ردوه الى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الاعاجيب فقال الناس حديث خرافة فهذا من حسن خلقه صلى الله عليه وسلم وخرج البخارى رضى الله عنه فى باب المداراة مع الناس وفيه يذكر عن أبى الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه قوم وان قلوبنا لتلعنهم وقال الشاعر فى هذا المعنى

أكاشره وأعلم أن كلا * على ماساء صاحبه حريص

خرجه ثابت رحمه الله وقال الكشر بدو الاسنان عند التبسم وجاء عن مجاهد رضى الله عنه أنه قال ان الرجلين اذا تلاقيا وتصافحا وتكاشرا تحاتت ذنوبهما كما تحات ورق الشجر فقال له رجل ان هذا اليسير فقرأ مجاهد لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وقالوا اذا لقيت المؤمن فخالصه واذا

رأيت الفاجر فخالقه وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خالقوا الناس وزايلوهم ودينكم فلا تهملوه وفي هذا المعنى قال الشاعر

خالق الناس بخلق حسن * لا تكن كلا على الناس تهن

والقدوة في هذا الشأن والأسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليه رجل وكان مجمقا جافيا ومع ذلك كان سيد قومه فقال بئس ابن العشيرة فلما دخل ألان له القول وضحك في وجهه فقالت له عائشة رضي الله عنها في ذلك فقال متى عهدتني فحاشا ان من شر الناس عند الله يوم القيامة من اتقاه الناس لشره أو كما قال عليه الصلاة والسلام * (فائدة زائدة) هذا الرجل هو عيينة بن حصن وقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خالقوا الناس المخالقة ضد المخالفة وهي موافقة الناس على اخلاقهم وخلق الانسان هو الذي طبع عليه ويقال فلان كريم الخلق وكريم الخليقة والجمع الاخلاق والخلائق * ومن وصية لبعض العلماء حق على العاقل أن يخالق من لقيه وأن يتزيا بزي من ساكنه وقد قال بعض الشعراء * ان جئت أرضا أهلها كلهم * عور فغمض عينك الواحده

وقالوا كل من الطعام ما تشتهي والبس من الثياب ما تشتهي الناس يريد انه لا يعلم أحد ما في بطنك كما يعلم ما على ظهرك

الإعراب في القرآن واللحن فيه

(فصل) وأما تعلم العربية فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام أعربوا القرآن فانه عربي وكفى بمن لا يحسن اعراب القرآن أنه لا تجوز الصلاة خلفه لانه يلحن فيقول مالم يقله الله ولا رسوله * ومن أشد ما رأيت في اللحن ما اخرجه الخطابي رحمه الله عن الاصمعي قال ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار لانه لم يكن يلحن فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت عليه وقال الاصمعي أيضا سمعت حماد بن سلمة يقول من لحن في حديثي فليس يحدث عني وقال الخليل لحن أيوب فقال أستغفر الله وسأل رجل الحسن فقال يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته فقال يا ابن أخي فتعلمها فان الرجل يقرأ الآية فيعيي بوجهها فيهلك فيها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن وقال عمر رضي الله عنه تعلموا اعراب القرآن كما تعلموا حفظه وقال أبو بكر الصديق لأن أعرب آية من القرآن أحب الي من أن أحفظ آية كهذا

ابو

أبو عبيد رحمه الله فى كتاب فضل القرآن وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن أقرأ فأخطئ أحب الىّ من أن أقرأ فألحن لانى اذا أخطأت رجعت واذا لحنت افتريت وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه يضرب ولده على اللحن وقال رجل للحسن يا أبو سعيد فقال له الحسن كسب بك للمال شغلك أن تقول يا أبا سعيد ثم قال تعلموا الفقه للاديان والطب للابدان والنحو للسان وأتى عثمان البستى الى الحسن فقال ماتقول أصلحك الله فى رجل زعف فقال له الحسن وما زعف لعلك تريد رعف قال فاستحيا البستى وطلب العربية * ودخل رجل على زياد فقال له ان أبينا هلك وان أخينا غلبنا على ميراثنا فى أبانا فقال له زياد ماضيعت من نفسك أكثر مما ضاع من مالك * وجاء رجل الى أحد الفقهاء فقال له رجل هلك وترك أبيه وأخيه فقال له قل وترك أباه وأخاه فقال الرجل وترك أباه وأخاه فالأباه وما الأخاه قال له قل فالأبيه وما الأخيه فقال له الرجل ما أراك تريد الاخلافى ومرّ وتركه * وسمع أعرابى اماما يقرأ ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بنصب التاء فقال سبحان الله هذا قبل الاسلام قبيح فكيف بعده فقيل له انه لحن وانما القراءة ولا تنكحوا فقال قبحه الله لا تجعلوه بعدها اماما فانه يحل ماحرم الله * ودخل أعرابى السوق فسمعهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وقال بعض السلف ربما دعوت فلحنت فأخاف أن لا يستجاب لى وسمع الاصمعى رجلا يدعو ربه ويقول فى دعائه ياذوا الجلال والاكرام فقال له ما اسمك فقال ليث فقال

ينا جى ربه باللحن ليث * لذاك اذا دعاه لا يجيب

وحدث هيثم عن بعض المشيخة أن رجلا أتى منزل ابراهيم فقال أهاهنا أبا عمران فسكت ابراهيم فقال أههنا أبى عمران فقال ابراهيم قل الثالثة وادخل * ومر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بقوم يتناضلون ورمى بعضهم فأخطأ فقال له عمر أخطأت فقال يا أمير المؤمنين نحن متعلمين فقال والله لخطاؤك فى كلامك أشد علينا من خطائك فى نضالك احفظوا القرآن وتفقهوا فى الدين وتعلموا اللحن واللحن فى هذا الموضع اللغة قاله الاصمعى وقال غيره هو نوع من التعريض من قوله تعالى ولتعرفنهم فى لحن القول اى فى نحوه ومعناه قال الشاعر

ولقد لحنت لكم لكيما تفهموا * واللحن يفهمه ذووا الالباب

أى بينت لكم واللحن بفتح الحاء الفطنة وربما سكنوا الحاء فيها وأما فى الخطأ

فالسكون لا غير يقال لحن الرجل يلحن لحنا فهو لاحن ومن الفطنة لحن يلحن لحنا فهو لحن ويقال لحنت للرجل فلحن لحنا أى فهمته ففهم وألحنته أنا اياه الحانا فهو لحن وهذا المعنى أراد الشاعر بقوله

منطق صائب وتلحن أحيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا البيت للفزارى واسمه مالك بن أسماء يكنى أبا سعيد كان من شعراء الدولة الاموية وفى هذا الشعر

أمغطى منى على بصرى للحب أم أنت أجمل الناس حسنا

أخذه من قول الآخر

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة * وحسنا على النسوان أم ليس لى عقل

وجاء فى الحديث من ذكر اللحن قوله عليه الصلاة والسلام انكم تختصمون الى ولعل أحدكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار وجاء منه أيضا ما قال للرجال من أصحابه الذين بعثهم عينا لينظروا الى عدوهم من اليهود وكانوا مصالحين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغه عنهم أنهم قد نقضوا الصلح فقال عليه الصلاة والسلام للقوم الذين بعثهم انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فأخبروا به الناس فمضى القوم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم من الغدر فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه وقالوا عضل والقارة وهما قبيلتان من العرب كانوا قد غدروا أيضا ونقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فهؤلاء فى الغدر كأولئك قلت واللحن قبيح اذا لم يغير المعنى فكيف اذا غيره * وقد أرخص كثير من العلماء أن يصلح اللحن الذى يأتى فى الحديث من قبل النقلة روى عن الاوزاعى رحمه الله أنه قال أعربوا الحديث فان القوم كانوا عربا وقال لا بأس باصلاح اللحن فى الحديث وقال عمر بن شبية قال لى عفان قال لنا همام ما سمعتم من حديث قتادة فأعربوه فان قتادة كان لا يلحن ثم قال لنا عفان قال لنا حماد بن سلمة من لحن فى حديثى فليس يحدث عنى وقد تقدم وعن الحسن بن على الحلوانى قال ما وجدتم فى كتابى عن عفان لحنا فأعربوه فان عفان كان لا يلحن وقال لنا عفان ما وجدتم فى كتابى عن حماد بن سلمة لحنا فأعربوه فان حمادا كان لا يلحن وقال حماد ما وجدتم

في

فى كتابى من قتادة لحنا فأعربوه فان قتادة كان لا يلحن * وقد أجاز بعض العلماء أن يترك المكتوب على حاله ويعتذر عنه ويقرأ على الصواب ويحتج بقول عثمان بن عفان رضى الله عنه فى القرآن العزيز أرى فيه لحنا وستقيمه العرب بألسنتها فأقامه رضى الله عنه بلسانه وترك الرسم على حاله * وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله كثيرا من هذا النوع فى مشكل القرآن له مثل ان هذان لساحران والمقيمين الصلاة والصابرين فى البأساء والضراء وغير ذلك وخرج وجوهها والحمد لله فانظره هناك ان شاء الله تعالى * وقد اختلف أهل الحديث فى ذلك فمنهم من رأى انه لا يسمع الراوى له الا أن يأتى بالالفاظ التى سمع وقرأ بلا زيادة ولا نقصان كما روى عن أبى معمر قال انى لأسمع الحديث لحنا فألحن اتباعا لما سمعت * ومنهم من تساهل فى ذلك فيقول اذا أتيت بمعنى الحديث فلا أبالى ألفاظه وعلى هذين الطريقين طائفة من العلماء رحمهم الله والأحسن والاولى ايراد اللفظ والمعنى والله الموفق والمعين * وممن لحن متعمدا اتباعا للمخاطب وأدبا معه الشعبى رضى الله عنه وكان من العلم والعربية حيث كان دخل يوما على الحجاج وكان الحجاج أيضا فصيحا حتى انه يضرب به المثل فى الفصاحة فقال له الحجاج كم عطاءك قال ألفين قال ويحك كم عطاؤك قال ألفان قال فلم لحنت فيما لا يلحن فيه مثلك قال لحن الامير فلحنت وأعرب فأعربت ولم أكن ليلحن الامير فأعرب أنا عليه فأكون كالمقرع له بلحنه والمستطيل عليه بفضل القول فأعجبه ذلك ووهب له مالا وتقدم ذكر فصاحة الحجاج * أرسلت مرة للخطيب أبى محمد رضى الله عنه كتابا فيه مقطوعة من الشعر ذكرت فيها حاجتى فكتب الى كذلك منظوما فيه جواب كتابى أوله

وافى كتابك يا أبا الحجاج * تبدو عليه فصاحة الحجاج

ان أردت الكتابين انظرهما فى التكميل * وقال عبد الملك بن عمير رأيت فصحاء الناس أبان بن عمرو بن عثمان ومحمد بن سعد بن أبى وقاص وأبان بن سعيد والحسن بن أبى الحسن البصرى وأبا الاسود الدؤلى فأما أبان بن عمرو فانه كان يصلى فسمع رجلا يقول ركبت دابتى فقمصت بى قصا فخفف الصلاة وقال قاصا لا أم لك وقد ذكر الخطابى رحمه الله هذه اللفظة وأنشد شاهدا على ذلك لابى النجم

ليس خليلى بالملول اللاصى * ولا ببرذون خصاه الخاصى

فلج فى ذمر وفى قماص

وأما محمد بن سعد فانى سمعته يوما يتكلم فسبق الى لسانه مالم يرد فلحن فقال حسى الله والله لوجدت حرارتها فى حلقى قبل أن اتكلم أما والله مانعرف سيئتكم من ميمكم من رائكم ولكن والله ان تكلمنا لنعرب * وأما أبان بن سعيد فكان يقول اللحن فى الرجل ذى الهيئة كالدنس فى الثوب الجيد وقال ابن شبرمة زين الرجال النحو وزين النساء الشحم وأما الحسن فانه قال يوما توضيت فقيل له أتلحن يا أبا سعيد فقال انها لغة هذيل وفيها فساد انتهى كلامه خرجه ثابت ابن قاسم فى الدلائل رحمه الله ولم يذكر لابى الاسود شيئا ويقال انه أول من وضع النحو ويقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ذكر أن رجلين تداعيا الى على ابن أبى طالب رضى الله عنه فادّعى أحدهما قبل الآخر مالا فاعتذر على الى الآخر فى ذلك فقال يا أمير المؤمنين ماله عندى حق فقال ادفع له ماله فقال وكيف ذلك وأنا أردت نفى المال عنى فقال على رضى الله عنه فسد اللسان ورب الكعبة يا أبا الاسود أنح للناس نحوا يعتمدون عليه فقال وكيف أقول يا أمير المؤمنين فقال قل الكلام عربية وعجمية لا يخلو من ثلاثة أشياء اسم وفعل وحرف ذكر ذلك الاستاذ أبو نصر رحمه الله وقيل ان أبا الاسود سمع بنية له صغيرة تقول وقد نظرت الى السماء فقالت له يا أبت ما أحسن السماء فقال نجومها فقالت لم أرد هذا انما أردت ان السماء حسنة فقال لها قولى ما أحسن السماء فلما أصبح ذهب الى على فذكر ذلك له وقال انى أخاف أن يفسد لسان العرب فصنع أبوابا فى علم العربية ثم زاد عليها من بعده حتى صار الى ماترى وكما أوردت الحكاية نقلتها من حفظى بلفظى والحمد لله * وقيل انما صنع ذلك حين سمع رجلا يقرأ أن الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فقال لا يسعنى الا أن أصنع شيئا أصلح به لحن هذا أو كلاما هذا معناه ويقال ان زيادا سأله ذلك فأبى عليه فبعث زياد رجلا يقعد له بطريقه وأمره أن يقرأ شيئا من القرآن ويتعمد اللحن فقرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله ان الله لا يبرأ من رسوله ثم رجع من فوره الى زياد فقال يا هذا قد أجبتك الى ماسألت وكان زياد من فصحاء الناس وبلغائهم وكان أبو الاسود رحمه الله واسمه ظالم بن عمرو يعد فى الصحابة والتابعين والمحدثين والشعراء والنحويين وقد ذكره الخطابى رحمه الله فى كتابه وقال عن محمد بن سلام الجمحى قال أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبلها

ووضع

ووضع قياسها أبو الاسود وكان رجلا من أهل البصرة وانما فعل ذلك حين اضطرب كلام العرب فغلبت السليقة ثم قال السليقة من الكلام ما كان الغالب عليه السهولة وهو مع ذلك فصيح اللفظ منسوب الى السليقة وهي الطبيعة يقال يقرأ بالسليقة أي بطبعه لم يقرأ على القراء ولم يأخذه عن تعليم قال الشاعر

ولست بنحوي يلوك لسانه * ولكن سليقي أقول فأعرب

ومما قيل من الشعر في اللحن واستحسن

النحو يبسط من لسان الألكن * والمرء تكرمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم أجلها * فأجلها منه مقيم الألسن

وكان يقال اذا أردت أن تعظم في عين من كنت عنده صغيرا ويصغر في عينك من كان عندك كبيرا فتعلم العربية * وقال الشعبي الآداب والعربية رأس كل صناعة وقال أبو محمد بن العلا قال حماد بن سلمة رحمه الله أنفقت على الادب أربعة آلاف فليت ما انفقت على الحديث أنفقت على الادب فان النصارى صحفوا حرفا فكفروا أوحى الله الى عيسى ابن مريم أنت نبي وأنا ولدتك فقرؤا أنت نبيي وأنا ولدتك فكفروا * وقال عبد الملك بن مروان أصلحوا من ألسنتكم فان المرء تنوبه النائبة فيستعير الثوب والدابة ولا يمكنه أن يستعير اللسان * وحدث قاسم بن أصبغ قال حدثنا المبرد قال حدثنا أبو حاتم عن الاصمعي عن أبي محرز خلف الاحمر مولى بلال بن أبي بردة قال قرأنا الكتب وقلناها فكلها نجدها علينا وانما نتعزى بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تكلم بالعربية ورضي دين العرب دينا لنفسه ورضي حكمها له وعليه فهو عربي وقد برئ من العجمة وبرئت منه قال أبو محرز الا أنا اذا تدبرنا في الاوائل وجدنا العرب أرجح حظا ولاسيما من اتقى الله منهم قال أبو العباس وكان خلف الاحمر مولدا ظريفا نحويا شاعرا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك فقال يا رسول الله وكيف أبغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه أحب العرب لثلاث قرآنك عربي ونبيك عربي ولسانك في الجنة عربي وستأتي هذه الحكاية أطول من هذا ان شاء الله وفي حديث آخر عنه عليه الصلاة والسلام انه قال ان الله خلق الخلق فاختار من

الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختارنى من قريش فأنا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم وفى حديث آخر ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشا واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم أخذ هذا المعنى شيخنا الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب بن على القيسى رضى الله عنه فقال

للعرب الفضل على الناس * وخيرها أولاد الياس
والنضر منظور الى فضله * ثم قريش عزها راسى
والسادة الغر بنو هاشم * خيارها فى الجود والباس
والمصطفى خير بنى هاشم * وخير مبعوث الى الناس

فى قطعة ستراها مع أخرى للفقيه أبى محمد عبد الحق وأخرى لى فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وأما الشعر فديوان العرب الأبعد منهم والاقرب وقد قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكما وروى لحكمة فأما تفسير الحكمة فهو ما وقع فى شرح الشهاب لابى القاسم بن ابراهيم الوراق قال ابن دريد الحكمة كل كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهى حكمة وحكم ومنه قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقال النبى عليه الصلاة والسلام الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها قيدها ثم ابتغى ضالة أخرى ينتفع بها ويردع نفسه عن هواها وقال مكحول سمع ابن جريج كلمة حكمة فقال ضالتى ورب الكعبة وسيأتى تفسير الحكم ان شاء الله تعالى وقال ابن عباس فى قول الله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قال المعرفة بالقرآن وقال مجاهد فى قوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة قال الفقه والاصابة فى القول * وأما الشعر فقد مدح به الرسول صلى الله عليه وسلم فأثاب عليه وقال عليه السلام انما الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح رواه ابن حبيب وقد كان له شعراء مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت الذى قال له النبى صلى الله عليه وسلم أجب عن رسول الله اللهم أيده بروح القدس وفى رواية اهجهم أو هاجهم وجبريل معك * وقد أنشده ابن أبى سلمى بمسجده فى مشهده فقال

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها

وفيها من التشبيب ما يسبي لب اللبيب فلم يرد عليه النبي ما قاله ولا كره منه تلك المقاله وقد كان عليه الصلاة والسلام يستنشد الشعر فينشد ثم يستزيد فيزاد ويعجبه ذلك اذا وافق صاحبه الحق * وذكر ابن الانباري عن أبي بكرة قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده اعرابي ينشده الشعر فقلت يا رسول الله أشعرا أم قرآنا فقال في هذا مرة وفي هذا مرة وقال في الكتاب كان الرجلان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يتناشدان الشعر وهما يطوفان حول البيت وسيأتي هذا المعنى مستوفى في باب الهاء من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * فان أردت أن تعرف مقدار الشعر وانه عند قائله أنفس من الدر فانظر ما أخرج ابن هشام وماذكره في كتاب السير أن حسان بن ثابت رضي الله عنه لما قال قصيدته التي أولها

منع النوم بالعشاء هموم * وخيال اذا تغور النجوم

قالها ليلا فدعا قومه فقال لهم خشيت أن يدركني أجلي قبل أن أصبح فلا ترووها عني ولذا كان العلماء رضي الله عنهم يرون درجة من لا يقوله نازلة لاسيما عند النازلة وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه وقد قيل له ان فلانا لا ينشد الشعر فقال تنسك تنسكا أعجميا أبو بكر شاعر وعمر شاعر وعلي أشعر الثلاثة * وقال أنس بن مالك رضي الله عنه كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة بيت الا يقول الشعر فقيل له وما هو فقال

يريد المرء أن يعطى مناه * ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي * وتقوى الله أفضل ما استفادا

وقال بعض السلف الشعر لا ينكره الا أحد رجلين مراء يظهر بذلك نسكه أو جاهل به لا يصلح لروايته * يحكى أن أبا عبد الله بن زياد دخل على معاوية رضي الله عنه فأجلسه معه على سريره وقال له يا ابن أخي أقرأت القرآن قال نعم قال له ورويت الشعر قال ما أروي منه شيئا لاني تجنبته قال له ولم يا ابن أخي فوالله لقد رأيتني بصفين واني لعلى الهرب فما ردني الا قول عمرو بن الاطنابة

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح
واقدامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي
أدافع عن مآثر صالحات * وأحمي بعد عن عرض صحيح

فلم كرهت الشعر أى بنى اروه كلما تهيأ لك أن ترويه فانه يشجع الجبان ويسخى البخيل ويهز البليد * وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول أفضل صناعات الرجل الابيات من الشعر يقدمها فى صدر حاجته فيستعطف بها قلب الكريم ويستميل بها نفس اللئيم * وكان رضى الله عنه متى عرضه أمر أنشد فيه شعرا وكذلك روى عن عائشة رضى الله عنها * وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى قلت رضى الله عن عمر اذ يقول فى الشعر يستعطف به قلب الكريم حدث الاصمعى قال سمعت بيتين لم أحتفل بهما ثم قلت هما على كل حال خير من موضعهما من الكتاب وهما

اذا شئت أن تلقى أخاك معبسا * وجداه فى الماضين كعب وحاتم
فيكشفه عما فى يديه فانما * تكشف أخلاق الرجال الدراهم

قال فانى لعند الرشيد ذات يوم وذكر حديثا طويلا دار الى معنى البيتين فقلت فى نفسى جاء موضع البيتين فأنشدتهما الرشيد وكان غضبان قال فتجلى عن الرشيد وأمر لى بألفى دينار فى البيتين وما كانا يساويان عندى درهمين وقال عمر رضى الله عنه علموا أولادكم الكتابة والعوم والرماية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا وروّوهم ما يحسن من الشعر وفى رواية وخير الخلق للمرأة المغزل ذكره فى هذا الخبر العوم من قول عمر رضى الله عنه وقد جاء من قول النبى صلى الله عليه وسلم ذكره ابن أبى زمنين فى كتاب آداب الاسلام وقال عن ابن أبى مليكة أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه انتهوا الى غدير فسبحوا فيه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه وأنا أسبح الى صاحبى فسبحوا وسبح النبى عليه الصلاة والسلام الى أبى بكر وسيأتى الكلام على الرمى فى باب الهاء مع الركوب ان شاء الله * قلت والشئ يذكر بالشئ ذكرنى عوم النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه المذكورين فى هذا الخبر مسابقته صلى الله عليه وسلم مع عائشة رضى الله عنها خرج ابن أبى زمنين فى كتابه المذكور عن عائشة رضى الله عنها قالت خرجت مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر من أسفاره قالت فنزلنا منزلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالى حتى أسابقك فسبقته وخرجت معه بعد ذلك فى سفر آخر فنزلنا منزلا فقال تعالى حتى أسابقك فسبقنى ثم ضرب بيده بين كتفى وقال هذه بتلك * وكان عروة بن أذينة الفقيه المحدث الذى روى عنه مالك وغيره رحمة الله عليهم شاعرا مجيدا مغرما فى الشعر وكان من أجل علماء المدينة وكان مع علمه

وثقته

بوثقته وثبوته رقيق الغزل * يحكى أن امرأة وقفت عليه فقالت له أنت الذى يقال عنه الرجل الصالح العالم وأنت القائل

اذا وجدت أوار الحب فى كبدى * أقبلت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره * فمن لحرّ على الاحشاء يتقد

والله ما خرج هذا من قلب سليم أو كما قالت هذا معناه وكان رضى الله عنه عزيز النفس أبىّ الطبع وفد على هشام بن عبد الملك فقال له ألست القائل

لقد علمت وما الاسراف لى طمع * أنّ الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى اليه فيعيينى تطلبه * ولو قعدت أتانى لا يعيينى

قال نعم قال فما أقدمك علينا قال سأنظر فى أمرى وخرج من فوره ذلك فأخبر بذلك هشام فأتبعه بجائزة * رجع الكلام الى معنى الشعر المتقدم وفضائله قال الاصمعى لما أنشد أشجع بن عمرو السلمى قصيدته التى برز فيها فلما انتهى الى قوله

وعلى عدوّك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

فلما سمع هذين البيتين استوى جالسا طربا وقال هكذا والله تمدح الملوك * ووقع فى الشهاب قول الرسول عليه الصلاة والسلام ان من الشعر لحكما وان من القول عيا وان من البيان لسحرا * قال بعض العلماء معنى ان من الشعر لحكما * ان منه ما يلزم المقول له كلزوم الحكم للمحكوم عليه اصابة للمعنى وقصد الثواب وفى هذا يقول أبو تمام

ولولا سبيل سنها الشعر مادرى * بغاة الندى من أين تؤتى المكارم
يرى حكمة ما فيه وهو فكاهة * ويرضى بما يقضى له وهو ظالم
ولم أر كالمعروف تدعى حقوقه * مغارم فى الاقوام وهى مغانم
وان العلى مالم ير الشعر بينها * لكالارض غفلا ليس فيها معالم
وما هو الا القول يسرى فيغتدى * له غرر فى أوجه ومواسم

ويروى ومياسم الميسم المكواة وأصل الياء واو فان شئت قلت فى جمعه مياسم على اللفظ وان شئت قلت مواسم على الاصل كما قال صاحب كتاب تاج اللغة والاحسن عندى أن يكتب مثل هذا بالياء فرقا بينه وبين مواسم الحج الذى واحدها موسم بالواو لا غير * فمن حكمه أن بنى أنف الناقة كان اذا ذكر أنف

الناقة عند أحدهم غضب فضلاً عن أن يسب أحدهم به أو يعير فما هو الا أن قال الحطيئة فيهم

قوم اذا عقدوا عقداً لجارهم * شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

قوم هم الانف والاذناب غيرهم * ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فلما قال هذا فيهم جعلوا يفخرون بهذا البيت واذا سئل أحدهم عن نسبه لم يبدأ الا بابن أنف الناقة بعدما كان يغضب اذا ذكر * وأنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم * وكذلك كان بنو العجلان بضدّ هذا يفخرون بهذا الاسم و يتشرفون به لان جدّهم عبد الله بن كعب سمي العجلان لانه كان يعجل قرى الاضياف ونزل به حيّ من طيء فبعث اليهم عبد الله بقراهم وقال له أعجل عليهم ففعل العبد فأعتقه لعجلته فقال القوم ما ينبغي أن يسمى هذا الا العجلان فسمي به فكان شرفاً لهم الى أن هجاهم أحد الشعراء فقال

وما سميّ العجلان الا بقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فصار الرجل منهم اذا سئل عن نسبه قال كعبيّ و يكني عن العجلان * ويروى انهم استعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على هذا الشاعر وقالوا هجانا فقال وما قال فيكم فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم وذلة * فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فان الله لا يعادي مسلماً قالوا فقد قال

قبيلته لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال وددت ان آل الخطاب كانوا كذلك قالوا فقد قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم * وتأكل من عوف بن كعب بن نهشل

فقال كفى ضياعاً بمن تأكل الكلاب لحمه قالوا فقد قال

ولا يردون الماء الا عشية * اذا صدر الورّاد عن كل منهل

فقال ذلك أصفى للماء وأقل للزحام قالوا فقد قال

وما سمي العجلان الا بقوله * خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

قال سيد القوم خادمهم قال الذي أورد الحكاية وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعلم بما في هذا الشعر من الذم ولكنه درأ الحدود بالشبهات * ومثل هذه الحكاية في الاستعداء بعمر رضي الله عنه ما روى ان الحطيئة هجا الزبرقان

ابن بدر بقوله

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

فلما بلغت الزبرقان استعدى عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده البيت فقال عمر رضى الله عنه ما أرى به بأسا فقال الزبرقان والله يا أمير المؤمنين ماهجيت ببيت قط أشدّ علىّ منه فبعث عمر الى حسان بن ثابت رضى الله عنهما فقال انظر ان كان هجاه فقال حسان رضى الله عنه ماهجاه ولكن سلح عليه ولم يكن عمر رضى الله عنه يجهل موضع الهجاء فى البيت ولكنه كره أن يتعرض لشأنه فأمر بالحطيئة الى الحبس وقال ياخبيث لأشغلنك عن أعراض المسلمين فكتب اليه من الحبس يستعطفه

ماذا تقول لافراخ بذى مرخ * زغب الحواصل لاماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم فى قعر مظلمة * فاغفر عليك سلام الله ياعمر

أنت الامام الذى من بعد صاحبه * ألقت اليك مقاليد النهى البشر

ماآثروك بها اذ قدّموك لها * لكن لأنفسهم اذ كانت الاثر

ويروى لكن بك استأثروا فلما قرأها عمر رضى الله عنه أمر باطلاقه وأخذ عليه أن لا يهجو مسلما وقوله فى الشعر الكاسى أراد المكسو كما قال الله تعالى من ماء دافق أى مدفوق وعيشة راضية لانه يقال كسى العريان ولا يقال كسا قاله الفراء رحمه الله وفى هذا الشعر بعد البيت المتقدم

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

ومن نوع ما تقدّم ان من الشعر لحكما ما يروى أن المحلق كان خاملا لا يذكر حتى طرقه الاعشى فى فتية وليس عنده الا ناقة فأتى أمه فقال ان فتية طرقونا الليلة فان رأيت أن تأذنى لى فى نحر الناقة فقالت نعم يابنى فنحرها واشترى لهم ببعض لحمها شرابا وشوى لهم بعض لحمها فأصبح الاعشى ومن معه مراحلين فلم يشعر المحلق حتى أتته القصيدة التى أوّلها * أرقت وماهذا السهاد المؤرق * وفيها * وبات على النار الندى والمحلق * وهى مشهورة فاشتهر وعرف كرمه وكانت أمه تخطب اليه وتقول * وبات على النار الندى والمحلق * كذا رأيته فى كتاب تاج اللغة المحلق وبينه فقال المحلق بكسر اللام رجل من ولد أبى بكر بن كلاب من بنى عامر الذى

يقول فيه الاعشى * وبات على النار الندى والمحلق * وقال فيه أيضا

تروح على آل المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

وقد فسر صاحب الكامل الشيخ وذكر فيه رواية أخرى السيح بالسين والحاء المهملة وفى هذا الشعر

لعمرى قد لاحت عيون كثيرة * الى ضوء نار باليفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها * وبات على النار الندى والمحلق

رضيعى لبان ثدى أم تحالفا * بأسحم داج عوض لا نتفرق

ترى الجود يجرى سائلا فوق وجهه * كما زان متن الهندوانى رونق

تقدم ذكر الاعشى وليس واحدا قال ابن دريد رحمه الله العشى من الشعراء ثمانية قال أبو عبيد البكرى رحمه الله وقد حكى قوله وتتبعتهم انا فوجدتهم خمسة عشر أعشى ثم سماهم انظرهم فى اللآلى من تآليفه (قلت) وأنت أى بنى أظنك لا تعرف الاعشى ولا العشا وانما تعرف العشا من أجل العشا فدونك هذه الفائدة بارزة من الغشا قال أهل اللغة الاعشى الذى لا يبصر اذا أظلم عليه الوقت بالليل والاغطش الضعيف البصر والاخفش كذلك ويزيد عليه صغر العين والاحول الذى ينظر الى المحاجر والاقبل الذى ينظر الى عرض أنفه والازرق الاخضر الحدقة والاملح أشد من الزرق وهو الذى يضرب الى البياض والادعج الشديد سواد العين والاحور الشديد سواد العين الشديد بياض الابيض منها والانجل الواسع العينين فى حسن والاشكل الذى يخالط الحمرة سواد عينيه والاشهل أن تكون الحمرة أكثر من صاحب الشكلة * قال بعض الحكماء قال الله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين فالكلام زوجان منثور ومنظوم فالمنثور قول العامة والمنظوم قول الشعراء يريد ما يحل من هذا يحل من هذا وما يحرم من هذا يحرم من هذا قال الشاعر

وما الشعر الا خطبة من مؤلف * لمنطق حق أو لمنطق باطل

ذكر أوصاف العين

وخرج أبو نعيم الحافظ رحمه الله فى كتاب حلية الاولياء وذكر الشعر فقال فأما الشعر المحكم الموزون فهو من الحكم الحسن المخزون يخص الله به البارع فى العلم ذا الفنون فقد كان أبو بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم يشعرون (قلت) والكلام القبيح حرام من أى نوع كان مثل مدح الخمر والكلام بالخنا والهجو ولقد أذكرنى هذا الكلام خبرا كنت أنسيته كلفنى بعض الاصحاب نسخ جزء فانتسخته حتى انتهيت

منه الى أبواب فيه تتضمن مدح الخمر وأوصافها وتحسينها وشاربها فتركت مواضعها من الكتاب بياضا وتعديتها الى غيرها وكان اذذاك في شئ من خير ثم لما أتممت الكتاب بعثت به اليه مع قطعة شعر قلتها أعتذر اليه من صنيعي وكان اسمه محمدا وهي

أبا عبد الاله فدتك نفسي * تبلغ من أخ بر سلامه
بهذا الجزء أبواب تراها * تضمنت الندامى والمدامه
أأكتبها فتقرأ بعد موتي * اذا سالت عن الجسد النعامه
وربما أعنت على فساد * فأحصل ان فعلت على الندامه
وقد قال الحكيم وقال حقا * وقول الحق داع للكرامه
فلا تكتب بكفك غير شئ * يسرك أن تراه في القيامه
فخليت المواضع من كتابي * بياضا فهو أقرب للسلامه

وأما قوله وان من القول عيا قال وحشي في تفسيره هو أن يتكلم الرجل بالعلم بين يدي من هو أعلم منه * كما يروى أن رجلا قال لبعض الولاة ان جاري الى تزندق فاستفهمه عن مذهبه فقال انه يبغض معاوية بن الخطاب الذي قاتل علي بن العاصي * فقال له الامير ما أدري على أي شئ أحسدك أعلى معرفتك بالانساب أم على معرفتك بالكلام * ومثله ما يروى أن رجلا كانت له لحية طويلة جلس الى جماعة من أهل العلم وهم يتكلمون في أيام الجمل وصفين فقال لهم ما تقولون في معاوية وعلي قالوا له وما تقول أنت فقال أوليس هو علي بن فاطمة قالوا ومن كانت فاطمة قال امرأة النبي صلى الله عليه وسلم بنت عائشة أخت معاوية قالوا وما كانت قصة علي قال لهم قتل في غزوة خيبر مع النبي عليه السلام * ومثله ما يروى أن رجلا سأل عمرو بن قنبر وكان من كبار أصحاب مالك رضي الله عنهما فقال له ما تقول فيمن وجد في خفه حصاة من المسجد وهو في طريق داره فقال له عمرو يلقيها عن خفه فقال له أوليس الحصاة تصيح حتى ترد الى مكانها فعلم عمرو بن قنبر عيه فقال له كالمستهزئ به دعها تصيح حتى ينفلق حلقها فقال الرجل أولها حلق فقال عمرو ومن أين تصيح اذا * وأما قوله ان من البيان لسحرا فالسحر في كلامهم الصرف والخديعة * وأما السحر بفتح السين فالرئة ومنه قول أبي جهل انتفخ سحره وقول عائشة رضي الله عنها بين سحري ونحري قال ثابت رحمه الله في الدلائل معناه انه يغلب على القلوب بحجته ويسبيها بحلاوته فكأنه سحر السامع ومنه حديث عمر بن عبد العزيز رحمه

لطيفه

الله أن رجلا كلمه فى حاجته فأبطأ عليه فلم يزل يتلطف به و يتلين له حتى أذعن له عمر بحاجته وقال هذا والله السحر الحلال * وقال الشاعر

لقد خشيت أن أكون ساحرا * راوية مرّا ومرّا شاعرا

و روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام للزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم حين قدما عليه وسأل عمرا عن الزبرقان فأثنى خيرا فقال الزبرقان يارسول الله قد علم منى أكثر مما قال ولكنه حسدنى فقال عمرو يارسول الله انه كذا وكذا وأثنى شرا ثم قال والله يارسول الله لقد صدقت فى الاولى وما كذبت فى الآخرة رضيت عنه فقلت بأحسن ما علمت وسخطت فقلت بأسوء ما علمت فحينئذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا * وقد فسر ابن عبد ربه البيان فقال البيان كل شئ كشف لك قناع المعنى الخفى حتى يتأدى الى الفهم و يتقبله العقل فذلك البيان الذى ذكره الله فى كتابه ومنّ به على عباده فقال الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان * . وقالوا الروح عماد البدن * والعلم عماد الروح * والبيان عماد العلم

(فصل) رجع الكلام الى الشعر قلت قد تقدم ان من البيان لسحرا وقول ثابت رحمه الله انه القول الذى يغلب على القلوب بحجته و يسبيها بحلاوته فكان هذا القول الى الذم أقرب منه الى المدح والدليل على ذلك ان الله سماه فسادا فقال بعد قوله ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين وقد تقدم قولهم السحر الحلال فلولا انه حرام ماخصه اذا كان صلاحا بالحلال وأما الحرام فهو الذى يسوق الكلام المسجع المطبوع فى معرض الرد على المخاطب كانه علم متبع أو سنة معمول بها كما قال الذى كلف أن يغرم دية الجنين الذى سقط من ضربته * كيف أغرم مالا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل ومثل ذلك بطل و يروى يطل فقال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعه انما هذا من اخوان الكهان قال الراوى من أجل سجعه الذى سجع ومثله الرجل العابدى من بنى عابد حين جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطلب دية ابنه وكان قد قتله رجل أعتق سائبة فقال عمر رضى الله عنه لا دية له فقال العابدى أرأيت لو قتله ابنى فقال عمر اذا تخرجوا ديته فقال العابدى هو اذا كالارقم ان يترك يلقم وان يقتل ينقم * خرجه مالك رحمه الله فى الموطأ فهذا العابدى قد سجع بباطل ليرد به حقا وهذا هو المنكر وه من البلاغة

التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قائلها على هذا النحو ان الله لبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها وقال في ضده ثلاث يبغض بهن العبد في الدنيا ويدرك بها في الآخرة ماهو أعظم من ذلك الرحم والحياء وعي اللسان خرجه ثابت وفسر الرحم بالرحمة وجاء في القرآن وأقرب رحما فسر برّا ومرحمة قال الشاعر

أحنى وأرحم من أم بولدتها * رحما واشجع من ذي لبوة ضاري

قلت والبلاغة والفصاحة لا تتم الا بالتوفيق الى التحقيق والاستقامة والسلوك على سواء الطريق والافصاحها منسوب الى التزويق والترقيق وان كان ذا تشقيق وتدقيق وخير منه من كان يقوى على التقوى وان كان أعجميا عجميا ولم يكن اعرابيا عربيا وقد حدثني الحافظ رحمه الله بسنده الى أبي زرعة الطبري قال دخلت على نفطويه الاديب وكان معي جماعة من الفقراء وكان بين يديه أولاد الرؤساء والوزراء فقام لنا نفطويه وقال ادخلوا يا سادة ورحب بنا وفرح فرحا شديدا قد تبين في وجهه فتعجب الصبيان من فرحه بنا ففطن نفطويه فقال اكتبوا ياصبيان ما أملي عليكم وأنشأ يقول

سيبلى لسان كان يعرب لفظه * فياليته في موقف العرض يسلم
وما ينفع الاعراب ان لم يكن تقى * وما ضرّ ذا التقوى لسان معجم

وقال ابراهيم بن أدهم لقد أعربنا في كلامنا فما نلحن ولحنا في أعمالنا فما نعرب وقال الاوزاعي اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع * تقدم ذكر حسان في الاحسان وأريد أن اذكرك هنا من فضائله فصلا لتتخذه أصلا كان رضي الله عنه أحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول فيه

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

وفي هذا الشعر المذكور أبيات يمدح فيها الخمر ومر يوما بقوم يشربون الخمر فنهاهم فقالوا لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك * ونشربها فتتركنا ملوكا * فقال والله ماقلتها الا في الجاهلية وماشربتها منذ أسلمت رضي الله عنه وفي هذا الشعر

كأن سبيئة من بيت رأس * يكون مزاجها عسل وماء

وقال فيه أيضا * لساني صارم لا عيب فيه * وهو الذي يقول

فان أهلك فقد أبقيت بعدي * قوافي تعجب المتمثلينا

رقيقات الفوالمع محكمات * لو ان الشعر يلبس لارتدينا
وكان شاعرا محسنا كثير الاحسان طويل اللسان خلقا وخلقا يروى انه كان
يضرب بلسانه أرنبة انفه هو وابنه وجده ويقول لو وضعته على حجر لفلقه أو على
شعر لحلقه وابنه هذا أظنه عبد الرحمن ومن حذقه ونبله انه لسعه زنبور وهو
صغير فجاء الى أبيه يبكي فقال له مالك فقال له لسعني طائر كانه ملتف في بردتي حبرة
فقال له أبوه قلت والله الشعر وأم عبد الرحمن هذا سيرين ابنة شمعون أخت مارية
سرية النبي صلى الله عليه وسلم وكان عبد الرحمن يفتخر بأنه ابن خالة ابراهيم بن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وروت سيرين هذه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا في قبر ابنه ابراهيم فأصلحه
وقال ان الله يحب من العبد اذا عمل عملا أن يتقنه الى غير ذلك من فضائله رضي الله
عنه * وبعد هذه الفصول والمقدمات فالاعمال بالنيات والمجازي عليها علام
الخفيات وفي آخر الحديث وانما لكل امرئ ما نوى فمن نوى الخير فعليه نوى
وسترى تفسير نوى مع اشكاله ثوى وبوى في باب النون ان شاء الله تعالى وأنا قد
جمعت هذا الكتاب ومرادي أن نذكر الله تعالى فيه ونصلي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم متى جرى ذكره لأني لما رأيت ذلك الشعر عقده انحلت بالفتح وظلمه
انجلت بالشرح جعلت في آخر كل باب منه فصلا جزلا طويلا نبيلا أردت أن
أزيده انشراحا وايضاحا بتفسير آية من كتاب الله تعالى وضياء وسنا بأحاديث
عن نبيه المصطفى مع ذكر مآثر ومفاخر عن أصحابه عليهم أكمل الرضا وحكايات
ومواعظ مرويات عن العلماء وأخبار وأشعار عن الحكماء ورقائق عن أهل
اليقين وحقائق عن المتقين وآتي فيه بعجائب رأيتها وغرائب رويتها
وأشياء كانت عندي مضاعة صيرتها مذاعة وأخبارا كانت متفرقة فجمعتها
ومستورة فأبرزتها وكنت عولت أولا أن يكون لغويا موجزا صغير الجرم
مكتنزا فها هو الآن شرعت في تأليفه وأخذت في تصنيفه فأقبلت بحمد الله
على الفوائد من كل أوب وألمعت الى الشوارد بدون ثوب فمن آية من القرآن
العظيم الذي بنوره يهتدى وحكاية عن النبي الكريم الذي بأموره يقتدى
ومن حكمة زهدية جديه وكلمة غزلية هزليه فهذه مطربة مسليه وتلك مكربة
مبكيه الى غير ذلك من مسألة فقهية من لباب اللباب وأخرى نحوية قل

أن توجد فى كتاب ومن نظم ونثر لاشياحى أولى الالباب ومالى أيضا من هــذا
النوع مما يليق بالباب وعلى هذا الفن عولت أبرزه وفى هذا المجموع عزمت
أحرزه فنازلت بهذه الفوائد ألطف شاردتها فأربطها وتلك الفرائد أتحف
وارداتها فأضبطها حتى اذا صار الكل صيدى وفى ملكى وتحت قيدى أودعت
جميع ذلك الآن هذا الديوان فكبر جرمه وكثر علمه وعاد طويل الذيل جزيل
النيل ينشط القارى والسامع وينفع ان شاء الله الكاتب والجامع ويستفيد
منه المبتدى والشادى والحاضر والبادى والذكى والبكى والعى والالمعى لانى
وضعت فى هذا التأليف المنى من كل شئ علمته فنا كما قال محمد بن يزيد رحمه الله
فى بعض تراجم كتاب الكامل هذا كتاب اذكر فيه من كل شئ وكتابى هذا كله كذلك
والحمد لله على ذلك وان كنت قد جمعت فيه بين جد وهزل ولين وجزل فما ذلك
الا لأنشط الناظر وأستجم الخاطر وأقول

خلطت الجد بالهزل * ولين القول بالجزل
فسر للجد تبتبه * وسر للهـزل بالعزل

سر الاول من السير وسر الثانى من السيرة ومع ذلك فلا بد من خطأ فيه لان ذلك
وصفى مع عجزى عن كمال العلم وضعفى فمن عثر على شئ من ذلك فليعلم انى لم أعتمده
فلا يعتقده وليخرج له وجها ولا ينحه بالمؤلف نحها كما شاهدت ذلك فى بعض
المولدين ممن ليس بعشر من قبله فى علم ولا دين يخطئه ويحمل عليه ويضيف
الجهل جهرا اليه وليس ذلك بمستقيم ومايفعله الا كل خبيث القلب سقيم وانما
يعد فى الاكياس من صوب خطأ الناس والتمس له وجها فى كلام العرب وفى
لغتها الواسعة الأبعد منها والاقرب وأما طلب عوراتهم والتماس عثراتهم
فليس ذلك فى حكم المروة ولا يدل على حسن آداب الفتوة وما أرى السبب
فى ذلك والعلة الا ضيق الحوصلة أو الحسد والغيره على ما آتى الله غيره فنهض
بما أولاه مولاه من فضله وأقام هو على جهله أو لان المؤلف كان معاصره
ومماشيه ومحاضره كما قال ابن شرف رحمه الله

أغرى الناس بامتداح القديم * وبذم الحديث غير الذميم
ليس الا لأنهم حسدوا الحى ورقوا على العظام الرميم

الى غير ذلك من الابيات التى قالها الماضى ويقولها أيضا الآتى ولى أيضا فى هذا

المعنى قطعة ابتدأت بها كتابي كتاب التكميل وآخرها

ولكن حرمة الموتى تراعى * لهم والحى مهتضم طليح
فيعطى للقديم من السهام المعلى والحديث له المنيح

انظرها بكمالها فى التكميل المذكور وعلى ذلك فانى أحرج على من أراد أن ينتسخ كتابى هذا أن يجرده أو يسلخه أو يختصره فيمسخه لانى ألفته كما يقول الناس شحمة بفحمه وتمرة بجمره ولعلك ماتستخشنه غيرك يستحسنه وماتستقبحه غيرك يستملحه فدعه كما وقع على ما به من صحة أو فدع وخذ كله أوفدع اللهم الا من أراد أن يعلق منه نتفا فعنه الحرج قد انتفى لانى أعلم ان الطالب اذا رأى شيئا أعجبه لابد وأن يكتبه وبعد كتبه اياه يحفظه ويمدحه ويقرظه وقد بلغ بأحدهم الافراط فى مدح كلام سمعه من غيره فقال أأكتبه فقال نعم اكتبه فى الاوراق فان مثله يكتب نقشا بالخناجر فى الاحداق فأول من يناله نفع هذا الكتاب ان شاء الله أنا وأرجو بذلك عند الله أجرا وهنا أتذكر به ماشرد وأتعلم به ماورد ويكون بابا من العلم قد أحرزته وجزءا منه قد حويته لانه ليس لك من العلم الا ماحفظته لا ماكتبته وأحسن من محفوظك ماسمع من ملفوظك لانه يقال العالم يكتب أحسن مايسمع ويحفظ أحسن مايكتب ويتكلم بأحسن مايحفظ وبضد هذا ماوصف به بعضهم رجلا فقال يغلط فى علمه من وجوه أربعة يسمع غير مايقال له ويحفظ غير مايسمع ويكتب غير مايحفظ ويحدث بغير مايكتب وقال أعرابى حرف فى تامور قلبك أحسن من عشرة فى كتبك والتامور علقة القلب وفى مثل هذا ينشد

اذا لم تكن حافظا واعيا * فجمعك للكتب لا ينفع
أتحضر فى مجلس جامع * وعلمك فى الدار مستودع

وقال الخليل بن أحمد اجعل مافى كتبك رأس مال ومافى قلبك للنفقة وكنت أقرأ باشبيلية على رجل فاضل رحمه الله فيسألنى عن المسألة فربما أتوقف فيقول عجل بالجواب الرفقة سائرة فأقول مامعنى هذا فيقول ربما تسأل وأنت فى الطريق وقالوا العلم ماعبر معك الوادى وعمر بك النادى وكما يقال فى الكلام العلم ماتدخل به الحمام ولى فى هذا المعنى

لا تودعن علمك ياحاذق * فى صحف يسرقها السارق

بل صدرك اجعله وعاء له * مفتاحه مقولك الناطق
حينئذ ان قال عنك امرؤ * أنك تدرى فهو الصادق
بالله قل لى يافتى ان تسل * عن قصة صاحبها طارق
وقال عجل قل لنا شرحها * الركب عنى ذاهب زاهق
والعلم فى بيتك مستودع * فى كتب منظرها رائق
كيف ترى حالك هل فوق ذا * من خجل يرمقه الرامق
لآخر فى صدره علمه * وهو بما يحفظه واثق
ان سيل كان القول فى شدقه * لكل ما ينقفه راتق
شتان ما بينكما أنت فى العلم ضعيف وهو الفائق
فادرس ولا تغفل وكن حافظا * وربك اسأل فهو الرازق

فلعل هذا الكلام عسى ان يقع فى قلب من له همه فيجعل العلم همه فيحمله العلم على العمل وينشطه من الكسل فأكون ان شاء الله مصيبا ولى من عمله نصيبا ومع هذا فان ربى الوهاب الكريم وهب لى ولدا سميته عبد الرحيم وقلت فيه

أهلا بمولود أتى من بعد ما * أخذ الزمان شبابنا فأبانه
لكن على كبرى وشيب مفارقى * الله يعلم ما كرهت مكانه
سميته عبد الرحيم تبركا * باسم الذى سنى لنا اتيانه
الله يهديه وايانا لما * نرجو به منه غدا رضوانه
وأنا سأنفعه وأحسن عونه * ما اسطعت ان أرخى الزمان عنانه
وأنيله علمى وما اكتسبته * وأبيحه ما قد كتمت عيانه
وان المنية عجلت فخليفتى * ربى عليه فهو يصلح شانه
ذاك الذى أرجو وذا ظنى به * فى أمره سبحانه سبحانه

والولد كما قال عليه الصلاة والسلام فى ابنته فاطمة رضى الله عنها انما فاطمة بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها وفى رواية أخرى يبسطنى ما بسطها ويقبضنى ما قبضها معناه يسرنى ما سرها ويسوءنى ما ساءها خرجه ثابت فى الدلائل وكذا فسره قال أهل اللغة يقال راب وأراب بمعنى وأفضل ما نحل والد ولده أدب حسن وقد تقدم كما تقدم أيضا * والمرء يعجب بابنه وبشعره * وحب الولد شديد ونفعه وكيد كيف لا وولده انما هو كبده كما قال

وانما أولادنا بيننا * اكبادنا تمشي على الارض

وقال غداني وراح مثلى * يلبس ماقد خلعت عني

فسرني مارأيت منه * وساءني مارأيت مني

ولى فى هذا المعنى

عندى بنى رعاه ربى * مازاد فيه منى ينقص

يقوى اذا ماضعفت حتى * اذا مشينا أحبو ويقمص

ان قلت ياصاح كيف هذا * افصص حديثى على وانصص

نقل قضاء الاله هذا * فاطلع أواهبط واقص أوارقص

فسنة الله من يعمر * ينكس ونحو الاعقاب ينكص

والكلام فى الاولاد واد ومن أملح ماأحفظ منه قول بعضهم وقد غاب عن ولده صغيرا أخبرت انه للحفيد بن زهر القرطبى رحمه الله

ولى واحد مثل فرخ القطا * صغير تخلفت قلبى لديه

نأت عنه دارى فياوحشتى * لذاك الشخيص وذاك الوجيه

تشوقنى وتشوقته * فيبكى على وأبكى عليه

وقد تعب الشوق مابيننا * فمنه الى ومنى اليه

قال فى هذا الشعر ولى واحد وأبو الولد الواحد أبدا كثير الشفقة زائد المقة ومن كلام الفرس من حرم الولد فقد حرم السرور ومن كان له ولد واحد فهو بمنزلة من لا ولد له وقال آخر

طربت الى الاصيبية الصغار * وهاجك منهم قرب المزار

وأبرح مايكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وقال آخر وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النأى يسلى من الصد

بكل تداوينا فلم يشف مابنا * على ان قرب الدار خير من البعد

وكثيرا ماكنت أنشد اذا تغربت عن بلدى وخلفت به أهلى وولدى قول يزيد بن الطثرية قال ثعلب وهو راوية * الطثرة الخصب وكثرة الخير

بنفسى من لا يستقل بنفسه * ومن هو ان لم يحفظ الله ضائع

فضع فى يديه من تركت وديعة * فان لديه لاتضيع الودائع

فقلت أنا لا محالة فى السبيل سائر والى ربى الجليل صائر ومن دخل فى عشر

المعترك فماله من مترك وهذا صبي صغير وأنا شيخ كبير أخاف أن تفجأني المنيه قبل أن أبلغ في تأديبه الامنيه والمعترك معترك الحرب وهو موضع القتال حيث الطعن والضرب وفي الشهاب معترك أمتي ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقد كنت أدبت اخوته جهدي وعلمتهم ما عندي فقلت ان عاش هذا المولود وأنا مفقود ويكون من أهل الطلب ويتعلق منه بسبب يتعرف من هذا الكتاب صفتي وحيث انتهت معرفتي فمن عاين من السيف أثره فكأنه في يده أبصره ومن حمده شهره فلعل ذلك يبعثه على التعلم والازدياد من التفهم ويكسبه نشاطا وبالعلم اغتباطا وعساه اذا علم انه من جمع أبيه ونظم فيه يحمله على حفظ ما فيه وقد سئلت أن أجيزه فيما أجمله عما أرويه وأحمله ففعلت ذلك وكتبت اجازته في شعر يطول ووضعته بكماله في غير هذا الكتاب والحمد لله مع ما كتبت به من الاجازات المنظومة لأشخاص معلومة حسبما طلب مني من استجازني بمنظوم نسبه اليه فأجزته عليه مع استجازاني أشياخي رحمهم الله بالمنظوم والمنثور مع قطع من الشعر كقطع الزهور وأيضا

فكم دار بنيت وكم جدار * أقمت وكم بها سقفا سمكت
وكم بئر حفرت وكم غراس * غرست وكم فجاج قد سلكت
وكم بيدي كتبت وكم فؤادي * أمل وكم كسبت وكم ملكت
وها أنا سوف أتركه جميعا * وهذا منه أحسن ما تركت
لعل الله ينفعني وغيري * به حيا وأيضا ان هلكت

رأيت في بعض الكتب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن يموت ويترك ورقة من علم الا كانت له الورقة سترا من النار وأنت يا من له قد * أتعبت نفسي تعبا * حتى جمعت كلاما * غضا طريا ورطبا سبكته لك سبكا * من كل الانواع فنا * فنا وضربا فضربا أعملت في ذاك كفا بالكتب والفكر قلبا * فحين أحكمت أمري * أودعت ذلك كتبا خذها هنيئا مريئا * كفيت نسخا وسغبا * وعند تحصيلها قل * أهلا وسهلا ومرحبا ثم ارو ها بعد عني * وكن لذا العلم صلبا * فقد أجزتك فيما * أرويه شرقا وغربا وكل نظم ونثر * قيدته لك كتبا * فاعمل بكل جميل * منه تنل منه قربا وقل لربك وامدد * يديك رغبا ورهبا * يارب فارحم أبي انه تكلف صعبا

واغفرله كل ذنب * وهب له الفوز وهبا * والمسلمين فان * للكل غيرك ربا

(فصل) وهذا الكتاب القمه كما ذكرت لولدى أولمن يكون كمثله من مبتدى فربما جمعت فيه من الكلام بين الغث والسمين والرخيص والثمين والجدّ والهزل والضعيف والجزل كما تقدّم فيه القول من قبل وجلبت ما حضر من يابس وأخضر وعقول الناس مدوّنة فى أطراف أقلامهم بها يستدل على معرفتهم وأفهامهم وبتآليفهم وأوضاعهم يعرف الطول والقصر فى باعهم ويدرى اختلاف طباعهم فمنهم من كلامه مقفر موعر مقعد مبعد ومنهم من كلامه سهل هين سلس لين تستطيبه اذا تذوّقته وتستحليه متى رمقته وربما استعيده ونيتك تستفيده وليس ذلك فى النثر المخزون بل هو كذلك فى الشعر الموزون فمن السهل الممتنع القريب المرتفع الذى تطمع فيه وتظن انه منك بقرب فاذا هو عنك بمهرب ما انشد فى بعض الادباء ونحن فى نيل مصر على ظهر الماء يصف والدا كان اسمه سليمان وله أخ اسمه على

قال لى يوما سليما * ن وبعض القول أشنع

هات صفنى وعليا * أينا أسخى وأرفع

قلت انى ان أقل بينكما بالحق تجزع

قال كلا قلت بل لا * قال عجل قلت فاسمع

قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

أين هذا من قول الآخر

فالنوى جد النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

ولما أنشده الاصمعى رحمه الله قال وددت ان الله تعالى سلط على هذا البيت شاة فأكلت هذا لنوى كله ومثله فى الفتور ماقاله بعض منتحلى الشعر فى زياد بن عمرو

زياد بن عمرو عينه كزجاجة * وأسنانه بيض وقد طر شاربه

ومثله

ذكر الحبيب حبيبه * فبكى بكاء صالحا

وجرى الدموع بشاربه فذاق طعما مالحا

(فصل) وأنت تعرف بالذوق الأسفل والفوق كم بين هذا الذى تقدّم وبين ما عليك يقدم قال بعض العلماء أربعة ماعرفوا ما خرج من أفواههم وهو أحسن ماقالت العرب قول العقيمى رحمه الله

ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا تجود يد الا بما تجد

وقول الآخر ألا عائذ بالله من عدم الغنى * ومن رغبة يوما الى غير مرغب

وقول الآخر

ومن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وقول الآخر من يسأل الناس يحرموه * وسائل الله لا يخيب

ومن أحسن ما قيل في انجاز الوعد قول عوف بن محلم

ذكرت مواعيد الامير بن طاهر * ومثل العطايا في الاكف عداته

وزكيت مالم أحوه من عطائه * وكنت كمن حلت عليه زكاته

وقيل في التجربة مما يستحسن

لا تمدحن امرأ حتى تجربه * ولا تذمنه من غير تجريب

فرب خدن وان أبدى بشاشته * يخفي على خدنه أعدى من الذيب

غيره وان مدحك من لم تبله صلف * وان ذمك بعد المدح تكذيب

وقال بعض العلماء اجتمعت الامم على تباينها واختلافها على بيتين وهما

تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أرضا بأرض وجيرانا بجيران

والآخر من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

وهذا البيت قد تقدم للحطيئة أنشدنيه الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب رضي الله عنه زمن الحداثة وقال لي أرأيت لو أنشدك أحد * من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * وقال لك أجزه ما كنت تقول له فلم أدر ما أقول فسألته فقال * جوازيه بابنة الهيثم * في سؤالات سألني عنها من هذا النوع على جهة التدريب ذكرتها في غير هذا الموضع جزاه الله وايانا خيرا والبيت المتقدم الذي هو ذكر الحبيب حبيبه ذكره ابن السيد رحمه الله في فصل وصف فيه الشعر أنه مؤسس على المحال مبني على تزوير المقال ولاجل ذلك اذا سلك الشاعر المطبوع مسلك الزهد وخرج عن طريق الهزل الى طريق الجد غاض رونق قوله وماؤه ونقصت طلاوة شعره وبهاؤه كقول الشاعر ذكر الحبيب حبيبه البيت حتى اذا أفرط في المحال وأغرق وقال ما لا يمكن أن يتوهم أو يتحقق عدمي أهل الصناعة وشهدله بالتقدم فيها والبراعة كقول الآخر

ويا أخا الذود قد طال الظماء بها * لا تعرف الورد في بيداء مقفار

ردبا لقلاص الى عيني ومحجرها * تروا لقلاص بدمع واكف جار

وقول أبي الطيب * شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي * انتهى كلامه قلت وهذا الذي قاله ابن السيد رحمه الله قد قاله قبله علماء جلة * روى ابن أخي الاصمعي عن عمه قال الشعر فكر يقوى في الشر ويسهل واذا دخل في الخير ضعف ولان هذا حسان فحل من فحول الجاهلية فلما جاء الاسلام سقط شعره وقيل لحسان سقط شعرك أم هرم شعرك في الاسلام يا أبا الحسام فقال للقائل يا ابن أخي ان الاسلام يحجز عن الكذب أو يمنع من الكذب وان الشعر يزينه الكذب يعني ان شأن التجويد في الشعر الافراط في الوصف والتزيين بغير الحق وذلك كله كذب كما تقدم والله الموفق

*(فصل) وأنا أقول لمن وجد في هذا الكتاب لفظا مستعملا مبتذلا أو كاملا مقفرا موعرا

انظر الى القائل لاغيره * وخذه لو كان على الغره
ولا تلم من ضمه الوزن أن * يجمع بين الجزع والدره

وقد علمت اني لا أسلم من منتقد يتعلق بطوقي معتقدا انه في المعرفة فوقي على أني لا أدعيها واني مع سني الآن أستدعيها وأقر بقصر الباع في كل الانواع فقل هذا المنتقد أقصد واياه أنشد

أنا المقر بجهلي * وأنت صاحب فضل * أخو ذكاء وعقل * وذو ذكاء ونبل قل ما تريد فاني * جعلت في الحل حلي * ولست في ذاك بدعا * قد قيل في الناس قبلي لكن ترى سائر الباب باقيا دون قفل * التاء والثاء حتى * للياء سهل بن سهل انزل عليه وألف * وضم شكلا لشكل * حتى ترى كيف تقفو * وكيف تسلك سبلي أو كيف تجزعنها * تقول ماذاك شغلي

وقد رأيت لبعض المصنفين وقد ذكر كتابه وانه لا يخلو من عائب فقال بعد كلام الناس كما قالوا أعداء لما جهلوا وأصدقاء لما ألفوا فليعلم العائب أنه لم يذهب عنا موضع ما فطن له منا ولا غبنا عن ماشهده من تأليفنا ولا قصرنا عن معرفة ما استخرج علينا ومن كتب من ألف واحدا فقد وجد طلبه واتمنى فائدة فالربح له والخسران على من استخرجه له لا عليه انتهى كلامه * وفي أمثال الحكماء من ألف فقد استهدف وقد بين العتابي هذا المعنى فقال من صنع كتابا فقد استشرف للمدح والذم فان أحسن فقد استهدف للحسد والعيب وان أساء فقد تعرض للشتم واستقذف بكل لسان كذا رأيته للمدح وأظنه للقدح لان الكلام الذي بعده يدل

عليه وقال الجاحظ لا يزال المرء في فسحة من عقله مالم يصنع كتابا يعرض فيه على الناس مكنون فضله ويتصفح فيه ان أخطأ مبلغ عقله وصدق لانه يقال من امتحن قولا ظهر على عيبه ومن طلب عيبا وجده على انه لا يعيب العياب الا العياب ولا تجده أبدا الا وفيه أكثر مما يقذفه من فيه كما قال الاحنف وقد قال له رجل دلني على رجل كثير العيوب فقال اطلب عيابا فانه يعيب الناس بفضل ما فيه وقال الشاعر * ويأخذ عيب المرء من عيب نفسه * مراد لعمري ما أراد قريب *

ولله در الذي يقول * ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه يعني ان معايبه قليلة يأخذها العد وانه مما ينعين ويشتغل بذكره وانه محمود على ما هو عليه فيجعل له عيبا وحدثني السلفي رحمه الله فيما رواه عن أبي نصر عن أحمد انه قال سمعت أبا بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ يقول من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس وأنا قد عولت على هذا فاسترحت وجعلت الناس مني في حل فأرحت وقلت

هنيئا مريئا غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

لكن على شريطة من رأى خللا فلينبهني عليه ان كنت حيا وان كنت ميتا فليصلحه ان كان من أهل العلم وذوي الفهم وقد كان الخطابي رحمه الله على جلالة قدره ومكانته من العلم يقول في كتابه كل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله في اصلاحه وأداء حق النصيحة فيه فان الانسان ضعيف لا يسلم من الخطأ الا ان يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله عز وجل ذلك ونرغب اليه في دركه انه جواد وهاب * هذا كلامه في كتابه في شرح الحديث * وقال في كتاب أبي عبيد رحمه الله بلغني ان القاسم بن سلام مكث في تصنيف كتابه أربعين سنة يسأل العلماء عما أودعه من تفسير الحديث والناس اذ ذاك متوافرون والروض أنف والحوض ملآن وروى عن أبي زيد انه قال لا يبيض الكتاب حتى يسود ولما رأيت هذا الكلام الذي هو الدر من هذا الامام الحر قلت

يا صاح قل واقصد بذا الخطاب * ليوسف الخطاب لا الخطابي

اذا يقول مثل ذا الخطابي * فأنت قل ما أليق الخطابي

أعزكم الله قد سمعتم مقالة هؤلاء الاعلام كالخطابي وابن سلام والعتابي والجاحظ وابن ثابت الحافظ وفي كل ما قالوا اصدقوا والحق فيما به نطقوا وأنا أقول أيضا

وأصدق وأرتق ماأفتق أي بني انه من حكى قول الناس فما عليه من باس وقد كنت أظن ان التأليف يصعب فاذا هو أسهل شئ وأقرب خذ كلام الناس من هنا وضعه هنا وقل مؤلفه أنا وفي ذلك أقول

ظننت اللغات غدت تصعب * على من بغاها ومن يطلب
اذا هي أسهل شئ وما * أراها اذا طلبت تهرب
وما هي الا كما قاله * ابن قزمان في النحو اذ يطرب
وأي غريب به ثم الا * تقل ضارب ثم قل يضرب
كذا الآن مؤلفها اليوم ان * يرد جمعها أوله يذهب
تراه يهر ول لا ينثني * وأذياله خلفه يسحب
الى كتب الناس يحلو بها * ويقعد ينسخ أو يكتب
فينقل منها الى كتبه * وبعد الى نفسه ينسب
يقول كتابي ألفته * ويلقى له اسما به يعرب
وهل هو الا كلام الشيوخ * الالى قبل أنفسهم أتعبوا
فهذا الخليل ويونس أو * أبو عمرو أو أحمد ثعلب
والاخفش وابن قريب وعمرو * وذا ابن دريد وذا قطرب
وان كنت خليت أصحابهم * فلا تكون ذا الآن كذا فاحسبوا
وقدمت قوما وأخرت قوما * من أجل القوافي فلا تعتبوا
فهم كالنجوم تضيء لنا * وموضعها شرق أو مغرب
وكلهم سيد عالم * وقل عامل فاضل طيب
هم أهل ذا الشان أربابه * هم صنفوا بوبوا ارتبوا
ومن جاء من بعدهم انه * الطفيلي حقا فلا تعجبوا
أيا ليت شعري ماذا عسى * يقول مؤلفنا المطنب
أيلقي كلاما قد اغفله * الأئمة أو من له مذهب
فيا ليته قال ألفته * من اقوالهم فهو الاصوب
ويعزي المقال الى أهله * ولا يدعيه ولا يغصب
كمثلي أنا قلت هذا كتاب * وليس بحق ولا أكذب
وهل لي فيه سوى كاغد * وغير مداده أكتب

وترصيف قول الائمة فى * مواضع منه كما تو بوا
وان كان نظم فربما * ولكن من الغث قد يقرب
واياى أعنى بما قلته * ولم أت غيرى بذا أجذب
بدأت بنفسى أو بخها * لكى تستريحوا ولا تحبوا
ومن شاء منكم يقل فليقل * فانى أقول ولا أغضب
هنيئا مريئا العزة ما استحلته من عرض من تحسب
وأنت الهى فلا تنسنى * من الخير يا من له أرغب
تغمد عبدك والمسلمين * بعفو خطيئتنا يغلب
وصل على أحمد المصطفى * رسولك من داره يثرب

وسيأتى الكلام فى تسمية المدينة يثرب فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد تقدم ذكر الطفيلى وسيأتى ان شاء الله فى باب الباء وخذ الآن فائدة أيها الطالب النبيل والصاحب الجليل فى فضل الخليل لتنظره بعين التبجيل وتفضله على أبناء هذا الجيل فانه رجل جليل * ذكر ابن عائشة قال كان الخليل بن أحمد يغزو سنة ويحج سنة الى أن مات رضى الله عنه وبعث اليه سليمان بن على الهاشمى بطرف وكساء وفاكهة فقبل الفاكهة ورد ما سوى ذلك وكتب اليه وكان سليمان استدعاه

أبلغ سليمان أنى عنه فى دعة * وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سخى بنفسى أنى لا أرى أحدا * يموت هزلا ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر لا العجز ينقصه * ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه * ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

وفى رواية لما أتاه الرسول أخرج له خبزا يابسا وقال ما عندى غير هذا ومادمت أجده فلا أحتاج الى سليمان ولا غيره قال فأبلغه عنك قال أبلغ سليمان الابيات انتهى وانما جرأنى على هذا الذى صنعت حتى وضعت فى هذا الكتاب ما وضعت انى كنت فى سن الحداثة وزمن الطلب أسمع الحكاية من الشيخ فتعجبنى فاكتبها عنه وأحفظها فلما صرت فى حد من يقرأ الكتب ويطالعها كنت أرى تلك الحكاية فى الكتاب فأقول من هاهنا أخذها ثم أجدها بعينها فى كتاب آخر وفى آخر فقلت اذا كان العلماء النظار والمصنفون الكبار يفعلون هذا فأنا بهم أيضا

أقتدى بل أنا أحق لانى مبتدى فحملنى ذلك على أن تشجعت فجعت وفعلت أفعالى التى فعلت وجعلت فى كتابى من كلام الناس ماجعلت وأنت فاعليك قدساقه الله اليك فدعها كما وقعت وخذ الفائده مهما نفعت وتلق الحكمة ولو من غير حكيم واغتنم العلم ولو من غير عليم فقد جاء فى الشهاب الحكمة ضالة المؤمن وأخبرنى من أثق به انه قال فى كتاب البزار يطلبها حيث وجدها ولو فى أيدى الشرط وفى الحديث رب حامل فقه الى من هو أفقه منه ومع هذا فأنا المعترف انه ليس لى من هذا التصنيف سوى التأليف ولا من العلوم المستودعة فيه سوى الترتيب والتبويب اللهم الا ما كان من قفره ساقتها فكره أو نظم جلبه فهم أو عكس وقلب سمح بهما القلب أو كلام جعلته لغيرى سلما ولربما ولعلما على أنى أنبه عليه ولا أستره بل أقول قبله قلت ثم أذكره وها أنا أقول وبأشياخى أصول

ما كان من نظم ومن نثر به * فهما اللذان حوتهما أشراكى
وسواء للعلماء سادات أجل * أقول عنهم أنهم أشراكى
بل قادتى بهم أعز وأهتدى * وأذل أهل الشك والاشراك

وقد أكثرت من القول حتى آلت الفريضة الى العول وقد آن أن ابتدئ بعون الله ذى الطول ومن بيده القوة والحول وأقدم هنا بابا فى حروف المعجم كلها وشرفها وفضلها وفى الكتابة وكيف تعلمها الصحابة (قلت) والخط فضل وشرف ومنفعة لا تجهل بل تعرف به تقيد العلوم وتثبت وتزرع فى الصدور وتنبت ألم تسمع ربك الاكرم حيث يقول فى الكتاب المحكم علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم وقال عليه الصلاة والسلام قيدوا العلم بالكتابة وخرج ابن شاهين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال يارسول الله انى لا أحفظ شيئا فقال استعن بيمينك على حفظك يعنى الكتب ولما عدمت العرب الكتابة فى الجاهلية وكانت أمة أمية جعل لها الشعر العوض فأدركت به الغرض أقامته مقامها فدونت به كلامها وعرفت به أيامها كما يروى الشعر ديوان العرب وفضل الكتابة كبير والكلام فيها وفى مدحها كثير * ومن أمدح ماقيل فى كاتب

ان هز أقلامه يوما ليعملها * أنساك كل كمى هز عامله
وان أقر على رق أنامله * أقر بالرق كتاب الانام له

وهذا البيت من الشعر النفيس وفيه ضرب من التجنيس ويكفى صاحب

الخط مدحاماقاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خط وخالط وفرس وعام فذا كم
الغلام على ان من كان خطه حسنا واستعمله في النسخ ضيع كثيرا من العلم
كما حدثني الحافظ فيما قرأت عليه بالاسكندرية قال سمعت أبا الطاهر محمد بن عمر
بالكرخ يقول سمعت أبا الفضل عبد الرحمن بن أحمد الرازي يقول سمعت أبا مسلم
محمد بن أحمد بن علي الكاتب البغدادي يقول سمعت أبا بكر أحمد بن موسى بن
مجاهد المقرى يقول سمعت أبا العباس ثعلبا يقول اذا أردت أن تكون أعلم الناس
فاكسر القلم وحدثني الحافظ أيضا رحمه الله قال سمعت أبا القاسم بن أبي يعقوب
الحافظ يقول سمعت أبا الحسن الفقيه الشيرازي ببغداد يقول سمعت
فنا خسرو يعني عضد الدولة بن بويه يقول لطالب العلم ينبغي أن يكون خطه رديئا
حتى لا يشتغل بالكتب انما يشتغل بالدرس والسهر وحدثني الحافظ أيضا قال
سمعت أبا الرجا بندار بن محمد بن جعفر الخلقاني بأصبهان يقول سمعت أبا بكر أحمد
ابن جعد الحافظ المعروف بالفقيه يقول ينبغي لطالب الحديث أن يكون سريع
القراءة والكتابة سريع المشي (رجع) * تقدم ذكر حروف المعجم وسميت حروف
المعجم لانها منقطة أعجمية أي انها لا تفهم حتى يضاف بعضها الى بعض وتعجم
أي تنقط والنقط عندهم الشكل وقد يقال لهذا النقط المعروف عندنا والشكل
الضبط والحركات وأصله التقييد تقول شكلت الكتاب شكلا أي قيدته وضبطته
وشكلت الدابة شكالا وشكلت الطائر شكولا والشكل الضرب المتشابه ومنه
قول الله عز وجل وآخر من شكله أزواج أي من ضربه ومنه قول الرجل ما أنت
من شكلي أي من ضربي والشكل المثل والشكل بالكسر الدل يقال امرأة
ذات شكل والشكلة بالضم كهيئة الحمرة تكون في بياض العين كالشهلة في سوادها
وعين شكلاء بينة الشكل وفي صفة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكل
العين جاء في تفسيره طويل شق العين خرجه الترمذي وتقول أشكل الامر اذا
اشتبه عليك والقوم أشكال أي أشباه قاله أبو عمرو رحمه الله قال ثابت رحمه الله
في الدلائل يقال كتاب معجم وتعجيمه تنقيطه لكي تستبين عجمته قال الشاعر

لمن الديار بعاقل فالانعم * كالوحي في رق الزبور المعجم

وقد قال أبو زيد القيسوني يقولون هم الاعجم ولم يعرفوا المعجم وقال الراجز

سلوم لو أصبحت وسط الاعجم * في الروم او فارس أو في الديلم

معنى المعجم

الشكل

اذا الزناك ولو يسلم

وأنكر على أبى محمد عبد الله بن قتيبة قوله لا يجوز ان يقال أعجمى الا لمن تنسبه الى عجمة اللسان وان كان عربى النسب قال وقول ابى زيد أولى أن يكون محفوظا وقال الخطابى رحمه الله يقال رجل أعجم اذا كان فى لسانه عجمة وان كان من العرب ورجل أعجمى وعجمى اذا كان أصله من العجم وان كان فصيح اللسان قال الفراء ويقال رجل اعرابى اذا نسب الى أنه من اعراب البادية وعربى اذا نسبته الى أنه من العرب فان كان يتكلم بالعربية وهو من العجم قلت عربانى خرج هذا من حديث عبد الله ما كانتعاجم أن ملكا ينطق على لسان عمر رضى الله عنه وفسره قال قوله تتعاجم أى نكنى ونورّى وكل من كنى عن شئ وأخفى بيانه ولم يفصح به فقد أعجمه قال ذو الرمة .

أحب المكان القفر من أجل أننى * به أتغنى باسمها غير معجم

وانما قيل للبهيمة عجماء لانه لا بيان لصوتها وأنشد شاهدا على ان الرجل اذا كان فى لسانه عجمة يقال له أعجم قول الشاعر

ومازال كتمانيك حتى كأننى * برجع جواب السائلى عنك أعجم

لأسلم من قول الوشاة وتسلمى * سلمت وهل حىّ من الناس يسلم

وقال أبو عمر والمقرى رحمه الله فى كتابه المحكم وتقول أعجمت الكتاب اعجاما اذا نقطته وهو معجم وانا معجم وكتاب معجم ومعجم أى منقوط وحروف المعجم هى المقطعة من الهجاء وفى تسميتها بذلك قولان أحدهما انها مبينة للكلام مأخوذ من قولك أعجمت الشئ اذا بينته والثانى ان الكلام يختبر بها مأخوذ من قولك عجمت العود وغيره اذا اختبرته انتهى ومن هذا قول الحجاج ان أمير المؤمنين نثر كنانته بين يديه فعجم عيدانها ذكره محمد بن يزيد فى الكامل وفسر عجم عيدانها يقول مضغها لينظر أيها أصلب قال والمصدر العجم ويقال لنوى كل شئ عجم مفتوحا ومن أسكن فقد أخطأ قال صاحب كتاب تاج اللغة العجم النقط بالسواد مثل التاء عليها نقطتان يقال أعجمت الحروف والتعجيم مثله ولا تقول عجمت ومنه حروف المعجم ومعناه حروف الخط المعجم كما تقول مسجد الجامع وصلاة الاولى أى مسجد القوم الجامع وصلاة الساعة الاولى قال وناس يجعلون المعجم بمعنى الاعجام مصدرا مثل المخرج والمدخل أى من شأن هذه الحروف أن تعجم وأعجمت الكتاب خلاف قولك أعربته

قال رؤبة الشعر لا يستطيعه من يظلمه * يريد أن يعربه فيعجمه
أي يأتي به أعجميا يعني يلحن فيه قال والعجم بالضم خلاف العرب والابل العجم التي تعجم العضاه والشوك فتجتزئ به عن الحمض

(باب معرفة الحروف المقطعة أوائل السور)

وذلك ان الله تعالى أقسم ببعضها في كتابه الكريم في أوائل بعض السور مقطعة وموصولة ومجمعة ومفصولة كما ترى أقسم بالتين والزيتون والعاديات والعصر وغير ذلك قال ابن عزيز (الم) وسائر حروف الهجاء في أوائل السور كان بعض المفسرين يجعلها أسماء للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وكان بعضهم يجعلها أقساما أقسم الله بها لشرفها وفضلها ولانها مبادي كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفات الله تعالى كقول ابن عباس رضي الله عنهما في كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق وروى عنه أيضا ان معنى كهيعص كبير هاد عزيز صادق ذكره الهدوي وقال هذا مذهب مستعمل في لغة العرب ومثله قوله

نادوهم ألا الجموا ألا تا * قالوا جميعا كلهم ألا فا

يريد ألا تركبوا وفاركبوا وقال طرفة بن العبد في كلام له ويل لنا وأشار الى رقبته مما يجيء ذا وأشار الى لسانه وسيأتي مع قوله يقال تي وتابعني ذه * ومثله قوله

قلت لها قفي فقالت قاف * لا تحسبي أنا نسينا الايجاف

فاكتفى بقولها قاف من وقفت ذكره أبو بكر النقاش رحمه الله ويروى عن سعيد ابن جبير أن كهيعص كاف هاد عزيز صادق * وذكر عن ابن عباس رضي الله عنه في الم الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد صلى الله عليه وسلم وعنه ان الر وحم ون فواتح ثلاث سور واذا جمعت كانت الرحمن وقيل في الر انا الله أرى وفي ألم انا الله أعلم وفي المص انا الله أفصل * وقيل أقسم بحروف المعجم كلها واقتصر على ذكر بعضها كما يقول القائل تعلمت اب ت ث وهو لا يريد هذه الاربعة انما يريد جميعها وكما يقول أحفظ من شعر امرئ القيس قفا نبك * وهو يريد القصيدة بكمالها وكما يقول قرأت الحمد لله وهو يريد السورة كلها وقد سأل أحمد بن يحيي ثعلب رحمه الله عن قسم الله تعالى بهذه الاسماء فقال

رأيت الرؤساء من العلماء رضي الله عنهم يقولون معناه وخلق الذى لا يقدر أحد أن يخلق مثله لقد كان كذا وكذا يريد والله أعلم قسمه بمثل ق يريد الجبل ونون يعنى الدواة وشبه ذلك من مخلوقاته على مذهب من فسر ذلك بهذه فاذا جاء القسم بعد الحروف نحو قوله تعالى والتين والزيتون والسماء والطارق فقد قيل ان ذلك على حذف واضمار تقديره ورب التين والزيتون ورب السماء والطارق كما قال تعالى فى موضع آخر فورب السماء والارض انه لحق وقيل انما أراد بذكر هذه الاشياء التنبيه على قدر عظمها عنده وله سبحانه أن يعظم ماشاء من مخلوقاته و يفعل مايشاء سبحانه وقد يجوز أن يريد أن يتعبدنا بتعظيم هذه الاشياء فلذلك خصها بالذكر وأقسم بها والله أعلم بكتابه * ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه هى أسماء مقطعة لو علم الناس تأليفها علموا اسم الله الذى اذا دعى به أجاب وقال داود بن أبى هند سألت الشعبى رحمه الله عن فواتح السور فقال ياداود لكل كتاب سر وان سر القرآن فواتح السور فدعها وسل عما بدالك وقال الربيع ابن أنس الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقال بعض المفسرين افتتح الله هذه السور بهذه الحروف وهى عربية كلها ليس فيها حرف من حروف المعجم ليبطل به مازعم الكفار من ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتعلم من يهود ونصارى كما قال تعالى حكاية عنهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين والله أعلم بما أراد من ذلك كله وقد قال ابن سلام فى تفسيره سمعت بعض من أقتدى به من مشايخنا يقول ان الامساك عن تفسيرها أولى وقال شيخى الفقيه الاستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن الحسن الخثعمى ثم السهيلى ويكنى أبا القاسم رحمه الله فى شرح السيرله ولهذه الحروف التى فى أوائل هذه السور معان جمة وفوائد لطيفة وما كان الله لينزل فى الكتاب مالا فائدة فيه ولا ليخاطب نبيه وذوى الالباب من صحبه بما لا يفهمون وقد أنزله بيانا وشفاء لما فى الصدور وفى تخصيصه هذه الحروف بأوائل بعض السور دون بعض وكونها أربعة عشر حرفا حكم لمن تدبرها وقد جمعها فى كلام ستراه بعد ان شاء الله تعالى وروى عن كعب الاحبار انه قال أول من كتب العربى والسريانى وسائر الكتب آدم عليه الصلاة والسلام قبل موته بثلثمائة سنة كتبها فى طين ثم طبخه فلما أغرق الله الارض أيام نوح عليه السلام بقى ذلك فأصاب

بكل

كل قوم كتابهم و بقى الكتاب العربى الى أن خص الله تعالى به اسماعيل عليه السلام فأصابه وتعلمه وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال أوّل من تعلم الكتاب العربى اسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه وروى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وعروة بن الزبير انهما قالا أوّل من وضع الكتاب العربى قوم من الاوائل نزلوا فى عدنان بن أدبن أدد أسماؤهم أبجد وهوّز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت فوضعوا الكتاب العربى على أسمائهم ووجدوا أحرفا ليست من أسمائهم وهى الخاء والثاء والذال والغين والشين والظاء فسموها الروادف يريد ثخذ ظغش والله أعلم لم يذكره فى الخبر أنا قلته وقد روى انهم كانوا ملوك مدين وان رئيسهم كلمن وانهم هلكوا يوم الظلة وهم قوم شعيب عليه السلام فقالت أخت كلمن ترثيه

كلمون هدّ ركنى * هلكه وسط المحله * سيد القوم أتاه الحتف نارا وسط ظله

وقال رجل من أهل مدين يرثيهم

ملوك بنى حطى وهوّاز منهم * وسعفاص من أهل المكارم والفخر

وقال آخر من أهل مدين يرثيهم

ألا ياشعيب قد نطقت مقالة * سبقت بها عمرا وحىّ بنى عمرو
ملوك بنى حطى وهوّاز منهم * وسعفص أهل فى المكارم والفخر
هم صبحوا أهل الحجاز بغارة * كمثل شعاع الشمس أو مطلع الفجر

ويذكر ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقى اعرابيا فقال له هل تحسن أن تقرأ شيئا من القرآن قال نعم قال له فاقرأ أم القرآن فقال والله ما أحسن البنات فكيف الام قال فضربه ثم أسلمه الى الكتاب فمكث فيه حينا فهرب ثم انشأ يقول

أتيت مهاجرين فعلمونى * ثلاثة أسطر متتابعات
كتاب الله فى رق صحيح * وآيات القران مفصلات
وخطوا لى أباجاد وقالوا * تعلم سعفصا وقريشيات
وما أنا والكتابة والتهجى * وما حظ البنين من البنات

(فصل) ويكره لمعلم القرآن أن يعلم الصبيان هذه الاسماء خشية أن يعدوها من القرآن قال سحنون أكره للمعلم أن يعلم أباجاد قال وأرى أن يتقدم الى المعلمين فى ذلك * وقد سمعت جعفر بن غياث يحدث ان أباجاد أسماء الشياطين

ألقوها على ألسنة العرب فى الجاهلية فكتبوها قال محمد وسمعت بعض أهل العلم يقول انها اسماء ولد سابور الملك ملك فارس أمر العرب الذين كانوا فى طاعته أن يكتبوها فلا أرى لاحد أن يكتبها فان ذلك حرام وقد أخبرنى سحنون عن سعيد عن يحيى بن أيوب عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان قوم ينظرون فى النجوم يكتبون أباجاد أولئك لا خلاق لهم ذكر هذا أبو الحسن على بن محمد القابسى فى كتاب التفضلة فى تأديب المتعلمين *(قلت) ومع هذا فان الناس لم يتركوها ولعلهم لم يبلغهم هذا أو قصدوا المنفعة فيها لحصرها جميع حروف المعجم والله أعلم وسهل ذلك عليهم أيضا ما اخرجه أبو عمرو المقرى فى كتاب المحكم له بسنده الى ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لكل شئ تفسير علمه من علمه وجهله من جهله ثم فسر أباجاد أبى آدم الطاعة وجد فى أكل الشجرة وهوّز زل فهوى من السماء الى الارض وحطى حطت خطاياه كلمن أكل من الشجرة ومنّ عليه بالتوبة سعفص عصى فأخرج من النعيم الى النكد قرشت أقر بالذنب فأمن العقوبة ووقع أيضا فى كتاب المبدأ ان سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لما بلغ تسع سنين أسلمته امه الى الكتاب عند رجل من المكتبين يعلمه كما يعلم الغلمان فلا يسأله عن شئ الا بدره عيسى الى علمه قبل أن يعلمه اياه فعلمه أباجاد فقال عيسى عليه السلام وما أبوجاد قال المعلم لا أدرى فقال عيسى كيف تعلم مالا تدرى ماهو فقال المعلم فعلمنى اذا فقال له عيسى عليه السلام قم من مجلسك فقام فجلس عيسى مجلسه وقال سلنى فقال المعلم ما أبوجاد فقال عيسى الالف آلاء الله والباء بهاء الله والجيم جمال الله وبهجته والدال دين الله فعجب المعلم من ذلك فكان أوّل من فسر أباجاد عيسى بن مريم عليه السلام *قال وسأل عثمان بن عفان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما تفسير أبى جاد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا تفسير أبى جاد فان فيه الاعاجيب قيل يارسول الله وما أبوجاد قال الالف آلاء الله حرف من أسمائه وأما الباء فبهجة الله وجماله وجلاله وأما الجيم فجنة الله وأما الدال فدين الله وأما هوّز فالهاء الهاوية وفسر جميع الحروف كذلك الى آخر قرشت فى نوع ماتقدم فهذا ما جاء فيه والله أعلم

(فصل) وأما ابن اسحاق فذكر فى السيران ادريس عليه الصلاة والسلام كان أوّل نبىّ أعطى النبوّة والخط بالقلم ذكره بغير اسناد وذكر فى كتابه الكبير عن

شه

شهر بن حوشب عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أوّل من كتب بالقلم ادريس وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أوّل من كتب بالعربية اسماعيل عليه السلام قال أبو عمرو وهذه الرواية أصح من رواية من روى أوّل من تكلم بالعربية اسماعيل والخلاف كثير في أوّل من تكلم بالعربية وفي أوّل من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز فقيل حرب بن أمية وقيل سفيان بن أمية وقيل عبد الدار بن قصي تعلمه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من الانبار ويروى عن زياد بن أنعم قال قلت لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما معاشر قريش هل كنتم في الجاهلية تكتبون غير الكتاب العربي تجمعون فيه ما اجتمع وتفرقون فيه ما افترق هجاء بالالف واللام والميم والشكل والنقط وبما يكتب به اليوم قبل أن يبعث الله النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قلت فمن علمكم الكتاب قال حرب بن أمية قلت فمن أين تعلمه قال من أهل الانبار فقلت فمن علم أهل الانبار قال طارئ طرأ عليهم من أرض اليمن من كندة قلت فمن علم ذلك الطارئ قال الخلجان بن الموهم فانه كان كاتب هود نبي الله بالوحي عن الله عز وجل ذكر هذا الكلام أبو عمرو في المحكم ويروى أنه سألوا المهاجرين من أين تعلموا الكتابة فقالوا من أهل الحيرة فقيل وأهل الحيرة من أين تعلموها فقالوا من أهل الانبار فكان أهل مكة يحسنون الكتابة بمكة وكان أهل المدينة لا يحسنونها فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت وقعة بدر وأسر فيها من أسر من أهل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل بدر ان بكم عيلة فلا يفلتن منهم يعني الاسارى أحد الا بفداء أو ضربة عنق وكان فداؤهم أربعين أوقية عن كل انسان الا العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم فان فداءه كان مائة أوقية فكان من لا مال له من الاسارى يقبل منه أن يعلم عشرة من غلمان أهل المدينة الكتابة ويخلى سبيله فيومئذ تعلم زيد بن ثابت الكتابة في جماعة من الانصار ومعنى كتبت الكتاب أي جمعت حروفه وقيل كتيبة لاجتماعها قاله ابن قتيبة

(فصل) ومما جاء في الخط قال بعض العلماء كتاب الامم على نوعين أحدهما أن يبتدئ الكاتب خطه من يمينه الى يساره وهي العربية والسريانية والعبرانية والنوع الآخر ابتداء الخط من يسار الكاتب الى يمينه وهي الرومية واليونانية وكتابة الفرس واحتجوا في ذلك بانهم ابتدؤها على اليسار ليكون الاستمداد عن حركة القلب

لاعليه قال واحسن الكتابة السينية وذلك انها نقش وصور وانما يكتب الكاتب منها فى اليوم ثلاث ورقات ورأيت فى بعض الكتب ان عادا كانت كتابتها نقشا فى الصخر واستشهد على ذلك بقول يزيد بن الخرم

اذا قلدتهن بنى خزيم * بقين لهم بقاء سطور عاد

يريد قوافى شعره يعنى ان عادا كانت كتابتها نقشا فى الصخر فهى لا تندرس وقال كعب بن زهير لمزرد بن ضرار

أنا ابن الذى لم يخزنى فى حياته * ولم أخزه حتى تغيب فى الرجم

اتى العجم والآفاق منه قصائد * بقين بقاء الوحى فى الحجر الاصم

وفى آخرها أقول شبيهات بما قال عالما * بحسن ومن يشبه أباه فما ظلم

فأشبهته من بين من وطئ الحصى * ولم ينتزعنى شبه خال ولا ابن عم

ومما قيل فى الخط القلم أحد اللسانين كما قيل قلة العيال أحد اليسارين قيل لنصر بن يسار فلان لا يخط قال تلك الزمانة الخفية قال ابن التوأم خط القلم يقول بكل مكان وفى كل زمان ويترجم الى كل انسان ولفظ الانسان لا يجاوز الآذان ولا يعم الناس بالبيان وقيل الخط لسان اليد وهو أفضل أجزاء اليد وقال اسماعيل عقول الرجال تحت أسنان أقلامها وقال عبد الله بن العباس بن الحسن العلوى الخط لسان اليد وصدق * وقال بعض العلماء من حلف أن لا يكلم أحدا فكتب اليه أو كتب بطلاق امرأته بيده ولم يتكلم بلسانه فانه حانث وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكم به تفصل شذورها وينظم منثورها وقيل صنعة الخط حلى العقول وقال بشر ابن المعتمر القلب معدن والعقل جوهر واللسان مستنبط والقلم صائغ والخط صيغة وقال مسلمة بن الوليد الخط هو المقيد للباقين حكم الماضين والمخاطب للعيون بسرائر القلوب على لغات مختلفة فى معان معقودة بحروف معلومة من ألف ولام وميم وتاء متباينات الصور مختلفات الجهات لقاحها التفكر ونتاجها التأليف تخرس مفردة وتنطق مزدوجة بلا أصوات مسموعة ولا ألسن مشهورة (قلت) انظر هذا الكلام ما أسمنه وأحسنه وأكمله وأتقنه انما أراد به والله أعلم تمام الخبر وكمال الفائدة لان الحرف الواحد لا يفيد على انفراده حتى يزدوج بغيره وحينئذ يكون كلاما مفيدا وقد يكون للبعض منه معنى مفيد أيضا على ما سيأتى بعد ان شاء الله

(فصل) وقد سقت هذا الخبر شاهدا على الخط والكتاب وتطرقت منه الى

تحصيل هذه الفوائد فى هذا الكتاب وكذا أفعل بكل خبر أو حديث عجيب أطرق اليه بأدنى سبب حتى أقيده بالكتابة فى هذا الامام ثم أرجع الى بقية الكلام

بالله قل لى يا فتى اننى * أسأل الآن ترد الجواب
لو لم أسق ذاك ولا غيره * بأى شئ كنت أملى الكتاب
آخذ من ذاك وألقى هنا * حتى يرى السفر كتخت الثياب
ولست فى أخذى له غاصبا * لكنه عارية للثواب
وان يكن ذاك أتب عاجلا * فالله غفار لمن بعد تاب

بقى من حديث الاسارى بقية أذكرها الآن بغير تقيه وأطول بقدر مقدرتى اذ قد قدمت معذرتى تقدم ان العباس رضى الله عنه كان فداؤه مائة أوقية قال الاستاذ رحمه الله قد آتاه الله خيرا مما أخذ منه قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مال من البحرين فقال له خذ فبسط ثوبه وأخذ ما لم يقدر على حمله حتى خفف منه فى حديث طويل وصدق الله تعالى لانه يقول سبحانه يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم والله غفور رحيم وفى هذه الآية الشريفة بشرى عظيمة للعباس رضى الله عنه اذ أخذ أكثر مما أعطى وغفر له فيما أخطا وكان الذى أسر العباس أبو اليسر واسمه كعب بن عمرو وكان قصيرا دميما وكان العباس رضى الله عنه عظيم الخلق طويل القامة من مقبلى الظعن يعنى انه كان يدرك فم الظعينة وهى راكبة على البعير وهو على قدميه فى الارض و فى مسند البزار قيل للعباس رضى الله عنه كيف أسرك أبو اليسر ولو أخذته بكفك لوسعته فقال ماهو الا أن لقيته فظهر فى عينى كالخندمة والخندمة جبل بمكة وذكر أبو عمر وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لقد أعانك عليه ملك كريم ولما فدى العباس نفسه وابن أخيه عقيل بن أبى طالب قال لرسول الله لقد تركتنى أتكفف قريشا فقيرا معدما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الذهب التى تركتها عند أم الفضل وعددها كذا وكذا وقلت لها كيت وكيت فقال من أعلمك بهذا يا ابن أخى فقال الله فقال هذا حديث ما اطلع عليه الا عالم السرائر أشهد أنك رسول الله وأم الفضل هذه رضى الله عنها هى لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأختها لبابة الصغرى أم خالد بن الوليد ولدت أم الفضل للعباس سبعة نجباء عبد الله بن عباس صاحب

التفسير الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وعسى أن يأتي له موضع في الكتاب أزين بذكره أوراقي واضرب في ميدان نخره أوراقي واخوته الستة عبيد الله وعبد الرحمن والفضل وقثم ومعبد وكثير واختلف في كثير فقيل ان أمه رومية وأختهم أم حبيب وفي أم الفضل يقول الشاعر

ماولدت نجيبة من فحل * بجبل نعرفه أو سهل
كسبعة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وكان له أيضا سوى هؤلاء ثلاثة من غير أم الفضل عون والحرث وتمام وكان أصغرهم تمام وهؤلاء لام ولد رومية تسمى سبا و يقال شقيقهم كثير المتقدم الذكر وكان العباس يحمل تماما هذا و يقول

تموا بتمام فصاروا عشره * يارب فاجعلهم كراما بره
واجعل لهم ذكرا وأنم الثمره

قلت أجاب الله دعاء العباس رضي الله عنه وعن بنيه الاكياس كانوا كما أراد أبوهم واشتهى كلهم له رواية ونهي ومع ذلك فيقال مارؤيت قبور أشد تباعدا بعضها من بعض من قبور بني العباس بن عبد المطلب ولدتهم أمهم أم الفضل في دار واحدة واستشهد الفضل بأجنادين ومات معبد وعبد الرحمن بافريقية وتوفي عبد الله بالطائف وعبيد الله باليمن وقثم بسمرقند وكثير وأمه سبا المذكورة أخذته الذبحة بينبع رضي الله عنهم أجمعين * تقدم أن العباس رضي الله عنه كان من مقبلي الظعن خرج محمد بن يزيد رحمه الله في الكامل أن العباس كان الى منكب عبد المطلب وكان عبد الله بن عباس الى منكب العباس وكان علي بن عبد الله الى منكب أبيه عبد الله وطاف علي هذا بالبيت وهنالك عجوز قديمة وعلي قد فرع الناس كأنه راكب والناس مشاة فقالت من هذا الذي فرع الناس فقيل هو علي بن عبد الله بن العباس فقالت لا اله الا الله ان الناس ليرذلون عهدي بالعباس وهو يطوف بالبيت كانه فسطاط أبيض وكان ابن عفير يقول أدركت الاسلام من العرب عشرة نفر طول كل واحد منهم عشرة أشبار عبادة بن الصامت منهم رضي الله عنهم وكان طول جبلة ابن الايهم اثني عشر شبرا وكان يمسح الارض برجليه وهو راكب وسيأتي خبره وكيف أسلم ثم ارتد ومات نصرانيا في باب الكاف فانظره هنالك ان شاء الله تعالى

وكان

أولاد أبي طالب

وكان منهم أيضا عقيل المذكور تأخر اسلامه الى يوم الحديبية قال له النبي صلى الله عليه وسلم لما أسلم أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما أعلم من حب عمي اياك وكان لابيه أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة من الولد طالب وعقيل وجعفر وعلي كان طالب أسن من عقيل بعشر سنين وكان عقيل أسن من جعفر بمثل ذلك وجعفر أسن من علي بمثل ذلك أما الثلاثة فلا خفاء باسلامهم وأما طالب فلا يعلم له اسلام يقال ان الجن اختطفته فذهب وعقيل هذا هو المذكور في الموطأ كنت أرى طنفسة لعقيل بن أبي طالب تطرح الى جدار المسجد الغربي وفسرت الطنفسة انها مقعد يجلس عليه ويقال فيها طنفسة بفتح الفاء وكسرها وجمعها الطنافس ومثله قول أبي الدرداء رضي الله عنه لا أبالي ان أصلي على ست طنافس بعضها فوق بعض وكان في الاسارى أيضا نوفل بن الحارث بن عبد المطلب تأخر اسلامه الى عام الخندق وقيل بل أسلم حين أسر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له افد نفسك فقال ليس عندي مال أفتدي به فقال افد نفسك بأرماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد ان لي بجدة أرماحا غير الله أشهد انك رسول الله ثم شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا وأعانه عند الخروج اليها بثلاثة آلاف رمح فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى أرماحك هذه تقصف ظهور المشركين توفي نوفل هذا بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وكان في الاسارى أيضا أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم امرأته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن خالتها هالة بنت خويلد أخت خديجة رضي الله عنها وفيها يقول اذ كان بالشام تاجرا

ذكرت زينب لما يممت اضما * وقلت سقيا لشخص يسكن الحرما

بنت الامين جزاه الله صالحة * وكل بعل سيثني بالذي علما

يريد بقوله يممت راحلته والله أعلم وكان الذي أسره عبد الله بن جبير فجاء أخوه عمرو بن الربيع في فدائه بمال فيه قلادة لزينب كانت أمها خديجة رضي الله عنها قد أدخلتها بها على أبي العاص فرق لها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لاصحابه ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا الذي لها فافعلوا فقالوا نعم وهاجرت زينب

مسلمة من مكة الى المدينة وتركته بمكة على شركه فلم يزل كذلك حتى كان قبيل الفتح
خرج بتجارة الى الشام ومعه أموال من أموال قريش من المشركين فلما انصرف
لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم أميرهم زيد بن حارثة فأخذوا ما فى تلك
العير وأسروا ناسا وأفلت أبو العاص ثم أقبل من الليل حتى دخل على زينب فاستجار
بها فأجارته فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصبح وكبر وكبر الناس
معه صرخت زينب أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص بن الربيع فلما سلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال هل سمعتم ما سمعت
قالوا نعم قال أما والذى نفسى بيده ما علمت بشئ كان حتى سمعت ما سمعتم انه يجير على
المسلمين أدناهم ثم انصرف فدخل على ابنته فقال أى بنية أكرمى مثواه ولا يخلصن
اليك فانك لا تحلين له فقالت انه جاء فى طلب ماله فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبعث فى تلك السرية فاجتمعوا اليه فقال لهم ان هذا الرجل منا بحيث علمتم
وقد أصبتم له مالا وهو فىء أفاءه الله عليكم وأنا أحب أن تحسنوا فتردوا اليه الذى له
وان أبيتم فأنتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرده عليه فردوا عليه ماله ما فقد منه
شيئا فاحتمله الى مكة فأدى الى كل ذى مال من قريش ماله الذى كان أبضع معه ثم قال
يامعشر قريش هل بقى لاحد منكم مال لم يأخذه قالوا جزاك الله خيرا فقد وجدناك
وفيا كريما قال فانى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والله ما منعنى
من الاسلام الا تخوف أن تظنوا انى آكل أموالكم ثم قدم على رسول الله صلى
الله عليه وسلم مسلما وحسن اسلامه ورد عليه ابنته زينب رضى الله عنهما وولدت
زينب لابى العاص هذا امامة وعليا وهذه امامة التى كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلى بالناس صلاة الفريضة وهو حاملها ذكر ذلك البخارى رحمه الله تزوج
امامة هذه على بن أبى طالب بعد موت فاطمة رضى الله عنها وكانت أمرته بذلك
وماتت فاطمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر وقيل ثلاثة وقيل
سبعين يوما والله أعلم ولم تر ضاحكة بعده صلى الله عليه وسلم الا يوما افترارا
بطرف نابها وكان سنها يوم ماتت ثلاثين سنة وكان سنها يوم تزوجها على رضى الله عنه
خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصفا وسن على احدى وعشرين سنة ونصفا وكانت
أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت اذا دخلت عليه قام اليها
فقبلها ورحب بها كما كانت هى تصنع به صلى الله عليه وسلم ولما حانت وفاتها

أمرت أسماء بنت عميس أن لا يدخل عليها أحد وان تغسلها هي وعلى فكان كذلك وقيل انها اغسلت نفسها قبل موتها وقالت قد غسلت نفسي فلا أغسل وسيأتي ذكر ذلك ان شاء الله تعالى ولما توفي علي عن أمامة تزوجها بعده ابن عمه المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب يروى ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال لامامة هذه اني لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل عشيرا فلما انقضت عدتها كتب معاوية الى مروان بن الحكم يأمره أن يخطبها عليه وبذل لها مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا قد أرسل يخطبني فان كان لك بنا حاجة فأقبل فأقبل وخطبها الى الحسن بن علي فزوجها منه رضي الله عنهم وهو مراهق الحلم وكان يوم الفتح رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتت زينب قبل الفتح بعام وأسلم أبو العاص وحسن اسلامه في خبر طويل ذكره ابن اسحاق وغيره وكانت قريش قد أرادته على أن يطلق زينب فأبى وأثنى خيرا وأرادت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب على طلاق رقية وأم كلثوم بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعلا هوانا بهما أعني الرجلين وكرامة لهما أعني المرأتين ولبعلهما عثمان بن عفان رضي الله عنهم تزوج الواحدة بعد الاخرى كانت الاولى رقية تزوجها بمكة وكانت أكبر بناته فهاجر بها الى أرض الحبشة فقال صلى الله عليه وسلم انهما اول من هاجر الى الله بعد ابراهيم ولوط ثم هاجر الى المدينة فله هجرتان ثم تزوج أم كلثوم بعد موت رقية رضي الله عنهما وكان له من رقية ولد اسمه عبد الله ذكروا انه بلغ ست سنين فنقره ديك على عينه فمرض فمات وجاء في الخبر انه عليه الصلاة والسلام قال لو أن لي ثالثة لزوجتها اياه فمن أجل جمعه بين رقية وأم كلثوم الواحدة بعد الاخرى كان يقال له ذو النورين وكانت رقية كما تقدم أكبر بناته وبعدها زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة رضي الله عنهن وصلى على أبيهن وأمهن واحذر أن تسب عتبة فانه أسلم مع أخ لهما ثالث اسمه معتب يوم فتح مكة وبها أقاما حتى ماتا ولهما بها عقب ومن ولد عتبة بها الفضل بن العباس بن عتبة المعروف بالاخضر سمي بذلك لقوله في أبيات

وأنا الاخضر من يعرفني * أخضر الجلدة في بيت العرب

وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان عتبة ومعتب قد هربا من الاسلام فأرسل اليهما عمهما العباس فقدما وأسلما فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدا

معه حنينا والطائف وأما عتيبة فانه لما أسلمت ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فارقها وقال يا محمد فارقت ابنتك وتركت دينك فلا تحب لي خيرا أبدا فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسلط الله عليه كلبا من كلابه فخرج الى الشام تاجرا فلما كان في بعض الطريق جاءهم الاسد ففزع وقال أترى ابن أبي كبشة قاتلي وهو بمكة وأنا بالشام فأدخله أصحابه بينهم وتوسطوا به جميعهم فلما كان في بعض الليل أتاهم الاسد فتقراهم رجلا رجلا حتى أتى اليه فشدخه من بينهم وأما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل حمالة الحطب فيكفيهما ما أنزل الله فيهما من قوله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب وزاد الله أبا لهب عدو الله خزيا في الدنيا ظاهرا أصابه الله بالعدسة فقتلته * ذكر الطبري في تاريخه ان العدسة قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويرون أنها تعدى أشد العدوى فلما رمى بها أبو لهب تباعد عنه بنوه فبقي ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن فلما خافوا السبة دفعوه بعود في حفرته ثم قذفوه بالحجارة وقيل لم يحفروا له ولكن أسندوه الى حائط وقذفت عليه الحجارة من خلف الحائط حتى ووري ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم وذكر أن عائشة رضي الله عنها كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها * نقلت أكثر هذا الكلام من كتاب شيخي الفقيه الاستاذ أبي القاسم السهيلي رحمه الله في شرح السيرة وهو روايتي عنه تقدم ذكر عتيبة وعتبة وربما أشكل عليك أيها المسلم منهما واشتبه وقد قلت فيهما بيتين كي تعلم من كفر منهما ومن أسلم

كرهت عتيبة اذ أجرما * وأحببت عتبة اذ أسلما

كذا معتب أسلم فاحترز أن تسب فتى مسلما

ومثل عتبة وعتيبة في الصلاح والفحش عبد الله وعبيد الله ابنا جحش عبد الله تبين وتبصر فأسلم وعبيد الله افتتن وتنصر فأجرم وسأسوق ذكرهما معا ومن أخبارهما لمعا ان شاء الله تعالى والله الموفق * جاء في هذا الفصل أمر كأنه لي أصل وهو ان الاكبر ممن ذكر هو الافضل وان الاصغر هو الارذل وأريد أن أسوق في هذا الفصل من عرفت من شخصين أحدهما مكبر والآخر مصغر اذ كر المكبر بالمدح والمصغر بالقدح كما تقدم فيمن كفر ومن أسلم إذ قالوا في المثل (أسعد أم سعيد) اذا سئل عن الشئ أهو مما يحب أم يكره فان قيل سعد مكبرا فهو المحمود المضموم وان قيل سعيد مصغرا فهو المنبوذ المذموم وأصله فيما ذكر أن سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا

فى حاجة لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد بعد فضرب بهما المثل فيما نفع وضرّ وساء وسرّ وسيأتى حديث سعد وسعيد عند ذكر الحديث ذو شجون وقد ذكر ذلك زياد وأشار الى هذا المعنى خطيب أهل البصرة فأغلظ فى خطبته وقال والله لآخذن المقبل بالمدبر والمحسن بالمسيء والمطيع بالعاصى حتى يلقى الرجل منكم أخاه فيقول يا سعد انج فان سعيدا قد قتل فى خبر طويل وفى آخره فقام اليه الاشعث بن قيس فقال أصلح الله الامير ان الجواد بشدّه وان السيف بحدّه وان المرء بجدّه وان جدّك بلغ بك ماترى وان الثناء بعد البلاء ولسنا نثنى عليك حتى نبتليك فأول خيرا نثن به * ينظر قول الاشعث هذا الى قول الشاعر

لاتمدحنّ امرأ حتى تجربه * ولاتذمنه من غير تجريب

فحمدك المرء مالم تبله خطأ * وذمك المرء بعد الحمد تكذيب

(قلت) خرجت من شئ الى غيره * وهكذا أشياخنا يصنعون

ان ألفوا أو صنفوا انهم * فى كل روض وجد وايرتعون

قرأت على القاضى أبى محمد العثمانى الديباجى رحمه الله مقصورة ابن دريد وفيها من الشرح أثناء الابيات ومن أخبار امرئ القيس وجذيمة وقصير وغيرهم ماهو أكثر من هذه الاصناف وهذا أنفع من ذلك بأضعاف مع ان نفسى لمثل هذا أميل وهو من الذى قبله على أسهل فلذلك أطلت فطلت وصلت فقلت

هذى المقالة أولى * من قول هوز وحطى

قلبى يميل لهذا * نعم وكفى وخطى

لكننى سأفى يا * أحباب قلبى بشرطى

لو لم أتم الذى قد * بدأته كنت أخطى

وبما بدأته ولم أكمله بعد حديث طرفة بن العبد الذى تقدم قبل ذا وقوله ويل لذا من ذا ذكر الخطابى رحمه الله بسنده عن سماك بن حرب عن يحيى بن أبى يحيى عن أبيه قال انى لأسير على فرس لى فى الجاهلية اذا أنا بطرفة بن العبد فقال يا أبا يحيى احملنى خلفك قلت أين تريد قال الى موضع كذا اسماه فحملته ثم نزل فاذا غلام آدم أزرق أوقص أزور أفدع قال فقلت ويلك يا طرفة ما أشد تناول خلقك قال فكيف لو أريتك من خلقى ماهو أشد من هذا قلت وأى شئ هو فأخرج لسانه فاذا هو أسود كأنه لسان ظبى قلت ما رأيت كاليوم قط شيئا أعجب قال فأهوى بيده الى

خبر طرفة بن العبد والمتلمس

رقبته وقال ويل لذا مما يجنى ذا قال فكان الذى جنى عليه أن قتل وكان سبب قتله أنه والمتلمس كانا ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة فهجواه فكتب لهما الى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما انه أمر لهما بجائزة وكتب اليه يأمره بقتلهما فخرجا حتى اذا كانا ببعض الطريق اذا هما بشيخ على جنب الطريق يحدث ويأكل من خبز فى يده فقال له المتلمس ما رأيت كاليوم شيخا أحمق فقال الشيخ أحمق منى من يحمل حتفه بيده فاستراب المتلمس وقال لغلام رآه أتقرأ يا غلام قال نعم ففك صحيفته فدفعها الى الغلام فاذا فيها أما بعد فاذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا فقال لطرفة ادفع اليه صحيفتك فيها والله ما فى صحيفتى فقال طرفة كلا لم يكن ليجترئ على فقذف المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال

قذفت بها فى الثنى من جنب كافر * كذلك أقنو كل خط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها * يجول بها التيار فى كل جدول

وأخذ نحو الشام وأخذ طرفة نحو البحرين فلما وافى صاحب البلد ضرب عنقه ويقال سقاه الخمر وفصد أكحليه الى أن مات وفيه يقول المتلمس

كطريفة بن العبد كان هديهم * ضربوا صميم قذاله بمهند.

فضرب المثل بصحيفة المتلمس وفيه يقول الشاعر

ألق الصحيفة كى يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

وقوله تشاول خلقل يريد اختلافه قال الخطابى وأراه من قولهم شال الميزان اذا ارتفع وسيأتى شال وشل فى باب الشين ان شاء الله تعالى من هذا الكتاب وقوله كذلك أقنو قال ابن الاعرابى يقال لأقنونك قنا وتك أى لأجزينك جزاءك قال ابن دريد ومثله لأنبلنك نبالتك ولأمنونك منا وتك بفتح الميم وكسرها أى لأجزينك جزاءك خرج القصة الخطابى رحمه الله تعالى فى شرح حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه كتب لعيينة بن حصن كتابا فلما أخذ كتابه قال يا محمد أترانى حاملا الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس ثم ذكر ما تقدم (قلت) وهذه الحروف أعنى حروف المعجم قد حصرها أبجد هوز حطى الخ وهى ثمانية وعشرون حرفا فيها آية من آيات الله تعالى اجتمع فيها خط علم الاولين والآخرين ومنها يتفرع جميع كلامهم وجميع كتبهم الى ما جعل الله فيها من السر واستأثر به من علم ذلك وقد استنبط منها أهل كل علم على قدر اتساعهم من ذلك الحساب الذى هو أصل من أصول العلم الوكيد

المبنى على الدين لانه يعلم عدد الصلوات والزكوات والصيام والشهور والسنين وتحدد السنون من الشهور والشهور من الجمعات والجمعات من الايام والايام من الساعات والساعات من الدرج والدرج من الدقائق والدقائق من الشعائر والشعائر من الانفاس وتنتهى قسمة الانفاس الى أجزاء لا يعلمها الا الله تعالى ومنشأ هذه الازمنة من دوران الفلك ويستدل على ذلك بسير الكواكب والشمس والقمر فتنشأ بين ذلك الازمنة والاوقات التى يستدل بها على معالم الدين من أوقات الصلاة والصيام والحج وحين الزكاة ومدد عدد النساء ومحل الآجال ويقيد ذلك كله بالحساب والعدد حتى لا يشذ شئ مما يحتاج الى علمه بالتاريخ المصطلح عليه وقد عدد الله تعالى نعمه علينا بذلك فى قوله هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون * وحقيقة الزمان انما هو مقابلة حادث بحادث آخر تقول

بيان الزمان

متى يجيء فلان فيقال اذا كان كذا لامعنى للزمان الا هذا وقد دقق أهل الاصول الازمنة حتى صيروها الى جزء لا ينقسم كما فعلوا بكل جرم وجسم دققوه الى الجزء الفرد الذى سموه بالجوهر وحجتهم فى ذلك قول الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لم يرد الساعة من النهار التى هى واحدة من اثنتى عشرة ساعة فى النهار اذ معلوم ان المرء لا يستأخر دقيقة ولا نفسا اذا تمت انفاسه وفى ساعة من الانفاس اعداد كثيرة وفى نفس من الاجزاء مالا يعلمه الا الذى خلقه وهى معدودة محدودة كما روى ان رجلا قدم من سفر وكان قد غاب عن أهله مدة فلما وصل الى قريب من البلد دخل خربة يقضى فيها حاجته فدخل عليه ملك الموت عليه السلام فقال له ما تريد قال أقبض روحك قال دعنى حتى أدخل البلد فأسلم على أهلى فقال له قد تم رزقك فقال له الرجل أستغنى عن الرزق حتى آتيهم قال له قد تمت انفاسك وسقط ميتا أو كما قال هذا معناه ومثله ما روى ان رجلا جاءه ملك الموت عليه السلام وهو فى درج الغرفة فسأله أن يتركه حتى يصعد الى الغرفة أو يهبط من الدرج فلم يفعل وقبض روحه فى الدرج (رجع الكلام الى الحساب) فأخذت العرب

حساب أبجد

حسابها من أبجد المذكور فوجدوه ينتهى من واحد الى ألف بلا زيادة ولا نقصان أولها الالف الذى هو واحد وآخرها الغين الذى هو ألف والدليل على معرفتهم بالعدد المذكور قول يهود العرب حين أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم

ألم حيث سألوه من أنزل عليك هذا أجبريل أخبرك بها عن الله قال لهم نعم قالوا لقد بعث الله قبلك أنبياء ما نعلمه بين لنبي منهم ما مدة ملكه ثم قالوا الالف واحد واللام ثلاثون والميم أربعون فهذا احدى وسبعون سنة ثم قالوا هل معك غيرها قال نعم المص قالوا هذه أثقل وأطول ثم جعلوا يعدون ثم كذلك في الر والمر وكذا وكذا ويعدون حتى اذا فرغوا قالوا لقد اشتبه علينا أمره وقال بعضهم لبعض ما يدريكم لعله قد جمع لمحمد هذا كله الى آخر العدد فهذه الحروف كانت العرب تحسب وايا ها كانت تعرف وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بيديه كلتيهما صلى الله عليه وسلم وحبس ابهامه في الثالثة انما أراد بهذا والله أعلم ان هذه الامة انما تعبدت برؤية الهلال عند الصوم وعند الافطار لا بالحساب الذي يقوله الحساب والمنجمون من ان الهلال لم يظهر اذا كان في حجاب الشمس أو في السرار مما لم نتعبد به وأحالنا عليه الصلاة والسلام على الرؤية التي يستوي فيها الناس فقال صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فاقدروا له ولا نقول مع هذا انهم كانوا لا يعرفون هذا العقد بالاصابع فان في الحديث الذي وصف به الراوي هيئة القعود في التشهد قال ووضع كفه اليسرى على فخذه اليسرى واليمنى على فخذه اليمنى وعقد ثلاثا وخمسين وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد وهيب تسعين وفي رواية وعقد النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون الراوي حكى فعل النبي صلى الله عليه وسلم ومع علمهم بالعقد فان العلماء كانوا اذا سبحوا أو كبروا عقدوا ذلك بجميع أصابع اليدين لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم واعقدن عليهن بالانامل فانهن مسؤلات مستنطقات ورأيت أحد أشياخي رحمه الله يحسب بجميع أصابع يديه فقلت له في ذلك فذكر لي هذا الحديث وقال قوم من أهل النجوم المتشرعين ان في هذه الحروف آية عددها عدد منازل القمر وتندغم منها مع لام التعريف نصفها أربعة عشر ويظهر معها أربعة عشر النصف الآخر وكذلك المنازل يظهر معها أربعة عشر ويغيب أربعة عشر سرمدا وأقصى ما تبلغ الكلمة بالزوائد سبعة أحرف عدد الدراري السبعة وهذا اتفاق غريب مثال اللام المدغمة من الحروف الدار والنار ومثال المظهرة البحر والقمر الى آخرها وسبب هذا الادغام مخارج الحروف على ما سيأتي في تفسيره ان شاء الله

تعالى

تعالى والذي اجتمع من هذه الحروف في أوائل السور أربعة عشر حرفا سوى المتكرر وجمعها الاستاذ أبو القاسم السهيلي في قوله (ألم يسطع نص حق كره) وقال يجتمع فيها من العدد على حساب أبي جاد تسعمائة وثلاثة وليس يبعد ان يكون من مقتضاها اشارة الى الالف الذي بعث النبي عليه الصلاة والسلام فيه الذي هو السابع من الآلاف غير انه يحتمل ان يكون من مبعثه أو من هجرته أو من وفاته وقد روى ان المتوكل سأل جعفر بن عبد الواحد عما بقي من الدنيا فحدثه بحديث رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان أحسنت أمتي فبقاؤها يوم من أيام الآخرة وان أساءت فنصف يوم وفي حديث آخر ان يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم يعني خمسمائة عام وفي حديث زمل الخزاعي حين قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤياه وقال فيها رأيتك يا رسول الله على منبر له سبع درجات والى جنبك ناقة عجفاء كأنك تبعثها ففسر الناقة بقيام الساعة ودرجات المنبر بسبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفا * وقال ابن عباس الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة ومع هذا كله فقد قرب الله أمر الساعة بقوله تعالى وما أمر الساعة الا كلمح البصر أو هو أقرب ان الله على كل شئ قدير * وخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تدور رحى الاسلام بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين فان يهلكوا فبسبيل من هلك وان يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما قال قلت أمما بقي أو مما مضى قال مما مضى * قال الهروي في تفسير هذا الحديث قال الحميدي ويروى تزول وكان تزول أقرب لانها تزول عن ثبوتها واستقرارها وتدور ربما يكرهون فان كان الصحيح سنة خمس فان فيها قدم اهل مصر وحصروا عثمان وان كانت الرواية سنة ست ففيها خرج طلحة والزبير الى الجمل وان كانت سنة سبع ففيها كانت صفين وقال الخطابي يريد عليه الصلاة والسلام ان هذه المدة اذا انقضت حدث في الاسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك يقال للامر اذا تغير واستحال دارت رحاه وهذا والله أعلم اشارة الى انقضاء مدة الخلافة وقوله بقي لهم دينهم أي ملكهم وسلطانهم وذلك من لدن بايع الحسن معاوية الى انقضاء أيام بني أمية من المشرق نحو من سبعين سنة كذا وقع الحديث هنا وخرج أبو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكافي رحمه الله في كتاب التسلي عن الدنيا قال روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي

ثلاثون سنة ثم يكون الملك قال وجدت فى بعض التواريخ أيام أبى بكر رضى الله عنه سنتان وثلاثة أشهر وثمانية أيام وأيام عمر رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وثمانية عشر يوما وأيام عثمان رضى الله عنه احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وثلاثة وعشرون يوما وأيام على رضوان الله عليه أربع سنين وسبعة أشهر ويوم واحد وأيام الحسن رضى الله عنه خمسة أشهر وعشرة أيام قال فجمعت ذلك كله فكان ثلاثين سنة لا تزيد يوما ولا تنقص آخر فلو خرج هذا فى دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لكان يصلح لذلك وبالله التوفيق تقدم ذكر الحسن وهو ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ولدته أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وولدت الحسين رضى الله عنه بعده فى العام الثانى وكان له منها سواهما محسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى * ذكر أبو عمر رضى الله عنه عن على رضى الله عنه قال لما ولد الحسن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه قلت سميته حربا فقال بل هو حسن فلما ولد الحسين قال أرونى ابنى ما سميتموه قلت سميته حربا قال بل هو حسين فلما ولد الثالث جاء النبى صلى الله عليه وسلم فقال أرونى ابنى ما سميتموه قلت حربا قال بل هو محسن وفى رواية ثم قال انى سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير ومشبر ووقع فى كتاب تاريخ الرقى أن عليا سمى ابنه الاكبر حمزة وسمى حسينا جعفرا فسماهما النبى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين قال على رضى الله عنه كان الحسن أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين الصدر الى الرأس والحسين أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أسفل من ذلك انتهى كلامه تزوج أم كلثوم التى من فاطمة رضى الله عنها عمر بن الخطاب رضى الله عنه زوجها منه أبوها على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما خطبها اليه قال له انها صغيرة فقال له عمر زوجنيها يا أبا الحسن فانى أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد فقال له على رضى الله عنه أنا أبعثها اليك فان رضيتها فقد زوجتكها فبعثها اليه ببرد وقال لها قولى له هذا البرد الذى سقت لك فقالت ذلك لعمر فقال قولى له قد رضيت رضى الله عنك ووضع يده على ساقها فكشفها فقالت له أتفعل هذا لولا انك أمير المؤمنين لكسرت أنفك ثم خرجت حتى جاءت أباها فأخبرته الخبر وقالت بعثتنى الى شيخ سوء قال يا بنية انه زوجك فجاء عمر الى مجلس المهاجرين فقال لهم رفؤنى فقالوا بماذا يا أمير

المؤمنين قال تزوجت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل نسب وسبب وصهر ينقطع يوم القيامة الا نسبي وسببي وصهري فكان لي به عليه الصلاة والسلام النسب والسبب وأردت ان أجمع اليه الصهر فرفؤه وتزوجها على مهر أربعين ألفا فولدت له زيد بن عمر وتوفي هو وأمه في يوم واحد وفي ساعة واحدة ولم يورث واحد منهما من صاحبه لانه لم يدر من مات قبل صاحبه وولدت لعمر أيضا رقية وكان لعلي من خولة بنت اياس وهي الحنفية محمد بن علي وله من أسماء بنت عميس يحيي ومن سوى هؤلاء عشرون ولدا بين ذكور واناث من أمهات شتى رضوان الله تعالى عليهم وذكر أبو ابراهيم عبيد الله بن محمد الجحندي رحمه الله ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه قبض عن تسعة وعشرين ولدا أربعة عشر ذكرا وخمسة عشر أنثى الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم من فاطمة رضي الله عنها ومحمد الاكبر وعباس الاكبر وعمر وأبو بكر وعبد الله وعثمان وجعفر ومحمد الاصغر وعباس ويحيي وزينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى ورقية الكبرى ورقية الصغرى وأم الكرام وخديجة وجمانة وأم هانئ وميمونة وأم سلمة وأمامة ونفيسة ورملة انتهى كلامه توفي محسن وهو صغير وتوفي الحسن بالمدينة بعد أن صالح معاوية وكفى الله المؤمنين القتال وصدق رسوله بقوله صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كما قال عليه الصلاة والسلام ثم أتى المدينة فمات بها رضي الله عنه يقال ان امرأته سمته وأما الحسين فلا خفاء بقتله بكربلاء وأما زينب فتزوجها عبد الله بن جعفر وولدت له وأما أم كلثوم فتزوجها عمر بن الخطاب وولدت له كما تقدم ثم تزوجت بعده أزواجا رضي الله عنهم أجمعين (رجع الكلام الى الحروف * بعد ما نفدت الظروف)

(فصل) والحساب بهذه الحروف أولى من الحساب بالاشكال المصطلح عليها عند الحساب لمعان منها أن بهذه الحروف كانت العرب تحسب ونحن عرب فلا نتعداها الى سواها ومنها انك ان احتجت الى اظهار رسمها حروفا وقرأتها فحصل لك منها علم الفن الذي تقصد اليه وقد وجدنا ذلك في كلمات تتضمن معان من الحساب لا تقدر على رسمها بغيرها من ذلك قولهم اد د ز ب ه ز ج و ح د * وهذا كلام يقرأ ويحفظ نعم وهو موزون وضع ليعرف به أي يوم يدخل

الحساب بالحروف

الشهر العجمي من الايام وهي اثنا عشر حرفا لاثني عشر شهرا امثاله الالف واحد في حساب أبي جاد كما تقدم لاول شهر من السنة الشمسية وهو ينير ان دخل مثلا يوم السبت عرفته ثم تبني عليه وتقول على التوالي الدال لفبراير وهو أربعة فتقول يدخل فبراير يوم الثلاثا وهو اليوم الرابع والدال أيضا أربعة لمارس فتحسب من السبت أربعة فيدخل مارس يوم الثلاثا كذلك والزاي سبعة لابريل فتحسب سبعة أيام بالسبت يدخل ابريل الجمعة والباء لمايه وهي اثنان يدخل يوم الاحد وكذلك تفعل بسائر الشهور الى آخرها وهذا لا تعلمه بالحساب الرومي ولا بحساب الغبار لانه لا يقرأ ولعلك أن تقول فر رت من العجمي بالحساب ورجعت الى أسماء الشهور الاعجمية فأقول ذلك لان الله تعالى قد قدر جريان الشمس على خلاف جريان القمر والاعتماد في القمر على الرؤية والاعتماد في الشمس على الحساب لان السنة الشمسية أيامها لا تزيد ولا تنقص الا نقصا يسيرا وزيادة قليلة على اختلاف في ذلك عند الحساب ويعلم ذلك بدورانها وقطعها المشارق والمغارب كل سنة على ترتيب واحد لا زيادة فيه ولا نقصان ذلك تقدير العزيز العليم والشهر القمري كما تراه مرة ثلاثين ومرة تسعا وعشرين كما شاء الله وقدره لحكمة بالغة وتدبير عجيب وأيضا فان العرب لم تكن تجهل تسمية هذه الشهور الاعجمية وان كانت لها أسماء سوى ينير وفبراير فقد كانوا يعرفون أسماءها بالسريانية ويسمونها بها كما روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول من بشرني بخروج اذار فله دينار أو كما قال وكما تقول العرب مطرة في نيسان خير من ألف سان واذار هو مارس ونيسان هو ابريل يعنون المطر فيه أنفع للنبات والزرع من ألف دابة سانية تسنو بالماء من الارض فهذا عندهم معلوم لانهم يحتاجون الى معرفة ذلك بسبب الزراعة والحصاد والابار والجذاذ وغير ذلك مما جعل الله له من السنة أوقاتا معلومة لا تتعداها وكما ان عندنا ينير وفبراير ومارس وابريل ومايه ويونيه ويوليه واغشت وشتنبر واكتوبر ونونبر ودجنبر كذلك عندهم كانون الآخر وشباط واذار ونيسان واياروحزيران وتموز وآب وايلول وتشرين الاول وتشرين الآخر وكانون الاول وهذه التسمية على مقابلة شهورنا واما أول سنتهم فتشرين الاول وعدد أيام سنتهم مثل عدد السنة الاعجمية سواء الا ان شهورهم كلها ثلاثين ثلاثين وشهور الاعجمية سبعة منها من أحد

وثلاثين

وثلاثين وأربعة من ثلاثين وفبراير من ثمانية وعشرين يوما وربع يوم وتعرف الذي هو من أحد وثلاثين بحروف أيضا جعلوها لذلك وهي قولك (فاز رجل ختم بحج) أو (يعقوب بن عياض) تبدأ بينير له أول حرف من احدى الكلمتين كل منقوط من أحد وثلاثين وكل معرى من ثلاثين وقد تقدم أن فبراير من ثمانية وعشرين وكان تسمية الشهور العربية المستعملة المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة فكذلك كان في الجاهلية من يسمي المحرم مؤتمرا وصفر ناجرا وربيعا الاول خوانا وربيعا الآخر بصانا ووبصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخر رنة وقيل ربى مثل رنى ورجبا الاصم وشعبانا وعلا ورمضان ناتقا وشوالا عاذلا قال الفراء ومنهم من يقول وعلان وذا القعدة هواعا وذا الحجة بركا وقد عدوا مؤتمرا من أيام العجوز وهي سبعة أيام نظمها بعضهم فقال

كسع الشتاء بسبعة غبر * أيام شهلتنا من الشهر
فاذا انقضت أيامها ومضت * صن وصنبر مع الوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر * ومعلل ومطفئ الجمر
ذهب الشتاء موليا عجلا * وأتتك وافدة من البحر

يقال هذه الابيات لأبي شبل الاعرابي والشهلة العجوز فان قيل لم سميت الشهور بهذه الاسامي أعني جمادى وربيعا ورمضان قيل لانهم لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق خوان زمن الربيع فسمي ربيعا وكذلك رمضان وافق زمن الحر وجمادى زمن البرد فسمي به وكذلك سائرها والله أعلم وكذلك تسمية الايام عندهم بغير التسمية المعلومة عندنا فيسمون يوم الاحد أول ويوم الاثنين أهون وسيأتي ذكرها منظومة الى آخر الايام ان شاء الله تعالى * تقدم ذكر كانون ووقع ذكره في الحديث الذي خرجه مسلم عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء الا نزل فيه من ذلك الوباء قال الليث بن سعد الاعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الاول وفي الحاشية كانون الاول هو دجنبر وفي كتب اللغة الكانون والكانونة موقد النار وقد يقال للرجل الثقيل كانون قال الحطيئة

قوله بصانا كغراب ورمان ووبصان كسحبان ونعمان اه

أغر بالا اذا استودعت سرا * وكونا على المتحدثينا

معرفة حلول الشمس فى منازل الفجر لاشهر المغاربة

﴿فصل﴾ وأذكر لك هنا من الحساب فائدة أخرى أفادنيها بعض الحجاج استفادها بدمشق وذلك ان أحد علماء هذه الطريقة اختصر معرفة ترحيل الشمس الذى صنع فيه الهاشمى قصيدته التى اشتهرت عند من له عناية بالنجوم التى منها

اذا ما ثلاث بعد عشرين وفيت * لمرس فان الشمس بالنطح تطلع

ومنزلة الشمس البطين اذا خلت * لابريل خمس ليس فى ذاك مدفع

كذلك الى آخر المنازل وآخر العام فاختصر هذا الدمشقى ذلك وجعل معرفة ذلك بالحروف أخذ أول حرف من شهر ينير وهو الياء وأضاف اليه حرف الدال وهو أربعة وأخذ أول حرف من المنزلة وهو الباء من بلع فجاء منه يدب يقول اذا مضى من ينير أربعة أيام حلت الشمس فى سعد بلع كما قال الهاشمى

وفى رابع النيروز للشمس منزل * قد اغتال سعد نجمه فهو بلع

فهذه ثلاثة أحرف أقامها مقام البيت وقال الهاشمى

وان شرع النيروز فى سبع عشرة * فللشمس باب فى السعود ومطلع

وقال الدمشقى عوض هذا البيت يزس الياء الاولى اسم ينير والثانية منه بعشر والزاى بسبعة فذلك سبعة عشر يوما وحلت الشمس فى سعد السعود الذى جعل له الدمشقى السين من السعود لا من سعد كما جعل الباء لبلع والذال للذابح ثم مضى على ذلك الى آخر العدد وآخر العام بشئ مختصر قريب عجيب غريب وهو

يدب يزس يلخ فيم فكهر ميب مكجن أهب ايحت مأد ميده مكزه يطذ يكن يهط يجج غاخ غيدص غكزع شطس شكبغ أهز ايحد الق نيحش نكون دطب دكبس وقيل فى هذا دكبذ يكون حرف الذال من سعد الذابح وان قلت دكبس تكون السين من سعد بالسين كتبه لى رحمه الله وبالذال رأيته أولى لانه جعل الباء فى يدب المذكور أولا من بلع وجعل فى يزس من سعد السعود وقس على هذا ما ذكرته لك اجعل أول حرف من الكلمات لاول حرف من اسم الشهر وآخر حرف منها لاسم المنزلة وما بينهما للاعداد وابدأ كما ذكر من ينير واختم بدجنبر تجده صحيحا ان شاء الله تعالى وانما أردت بهذا كله أن تعرف أن هذا الحساب بحروف المعجم أولى وأعز وأعلى ولا حول ولا قوة الا بالله وحده (ودونك فائدة أخرى) قلت وكما دلت هذه الحروف على العدد كذلك يدل العدد على

الحروف كما قال الشاعر

اذا ماشئت أن تدرى الذى حار الورى فيه
أضف خمسا الأربعة * وأعط الثوب رافيه

ألغز هذا الشاعر بقوله أضف خمسا الأربعة يريد بخمسة حرف الهاء و بأربعة حرف الدال يعنى عن هذا (ده) ثم قال رافيه يريد راء فيه فجاء من مجموعه دهر وهو الذى حار الورى فيه وسيأتى قول هشام بن عبد الملك لاعرابى وقدمر على ميل عليه مكتوب خمسة فسأله ماعليه فقال الاعرابى محجن صورة الخاء وحلقة صفة الميم وثلاث كأنها ظباء صفة السين وهامة كأنها منقار طائر صفة الهاء فقال هشام خمسة * ودونك فائدة يا ابن الوالدة الدهر قالوا مدة الاشياء الساكنة والزمان مدة الاشياء المتحركة

(فصل) ومن معنى ماتقدم قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا أى انها ثلثمائة بحساب الشمسية وان حسبت بالاهلة زادت تسعا لأن أصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم و يؤرخون به فجاء اللفظ فى القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتتم الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب فان حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر واشتقاق السنة من قولهم سنا يسنو اذا دار حول البئر والدابة هى السانية فكذلك السنة دورة من دورات الشمس وقد تسمى دارا فى الخبر ان بين آدم ونوح ألف دار أى ألف سنة ومن هذا قول الحريرى رحمه الله سنى أهل الكهف

ولا تضع فرصة السرور فما * تدرى أيوما تعيش أم دارا

يريد أم عاما أو سنة والله أعلم ثم قد تسمى العرب السنة عاما والعام سنة اتساعا ولكن بينهما فى حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقا ولا كلام أفصح من القرآن فقد جاء فيه ماهو من هذا الغرض قال الله تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ولم يقل أعواما لان رؤيا يوسف عليه السلام دلت على سبع سنين شداد والعرب تعبر عن الشدة والجوع باسم السنة تقول أكلتهم السنون كما قال الله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وكما قال الشاعر (راعى سنين تتابعت جدبا) ومن ثم قالوا أسنت القوم اذا قحطوا و يعبرون بالعام عن الرخاء والخصب والقرآن نزل على مذاهبهم قال تعالى بعد ذكره السنين التى تدل على الشدة ثم يأتى

من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون قال قتادة العنب والزيتون فاتسق الكلام والتأم أحسن التئام بتنزيل الحكيم العلام وان كان قال تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ومعلوم ان تلك السنين كانت خصبة مباركة لانه أفاء الله فيها من الرزق ما أكل فيها وفى السبع بعدها ولكن انما ذكر لفظ العام بعد السبع الشداد لانه ليس بعد الشدة الا الرخاء * وينظر الى هذا المعنى قوله تعالى فى قصة نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما قيل انما ذكر أولا السنين لانه كان فى شدائد فى مدته كلها الا الخمسين عاما منذ جاءه الفرج وأتاه الغوث ويجوز أن يكون الله سبحانه علم ان عمره كان ألفا الا ان الخمسين منها كانت أعواما فيكون عمره ألف سنة ينقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة لانه ينقص ما بينهما مقدار عام ونصف أو نحوه والله أعلم بما أراد من ذلك والذى ورد فى القرآن أيضا من ذكر السنة والعام ينظر الى هذا ألا ترى قوله تعالى فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وقوله ألف سنة مما تعدون لما كان فى معرض التكثير والتفخيم لطول ذلك اليوم وهول ذلك المقام جاء بلفظ السنة التى هى أطول من العام وكذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة لفظ السنة هنا أولى من لفظ العام لانه مخبر عن اكتهال الانسان وتمام قوته واستوائه ولفائدة أخرى وذلك انه خبر عن السن والسن يعتبر بالسنين واصل ذلك فى الحيوان لأن النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف المعتبر بالسنة الشمسية ألا تراهم يقولون ربعى للكبير وصيفى للمؤخر كما قال الراجز

ان بنى صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

واستعمل ذلك فى الآدميين اتساعا وان كان أصله فى الحيوان يقال ابن سنة وابن سنتين كما يقولون ابن مخاض وابن لبون وأما قوله تعالى وحمله وفصاله فى عامين فذلك لان الرضاع من الاحكام الشرعية التى تعبدنا بها كالصيام والحج وذلك بالاهلة كما قال تعالى قل هى مواقيت للناس والحج وكذلك قوله تعالى يحلونه عاما ويحرمونه عاما ولم يقل سنة لانه يعنى شهر المحرم وصفر وربيع الى آخر العام ولم تكن العبادة ولا الشرع بأيلول ولا بتشرين ولا بينير ولا فبراير ولكل مقام مقال فسبحان الكبير المتعال * نقلت أكثر هذا الفصل من كتاب الاستاذ رحمه الله الا يسيرا أدخلته فيه من غيره والله المخلص وبقى من مشكل الآية قوله تعالى ولبثوا فى كهفهم

قيل معنا هسيقولون ذلك وعلى هذا القول قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين بزيادة قالوا وقيل غير ذلك والله أعلم بكتابه * تقدم ذكر الكهف وأهل الاندلس يزعمون انه فى بلادهم وذلك بالطل والكهف انما هو فى الاقليم الخامس بين عمورية وأنقره وهو جبل عظيم فيه كهف تحت الارض وهو على أساطين وله باب من حجارة وفى داخله قوم أموات كأنهم أحياء مفتوحة أعينهم فى ظلمة لا تستبان وجوههم الا بالمصابيح وأجسامهم قد يبست وجلودهم لاصقة بالعظام وشعورهم باقية ولا يدخل أحد اليهم الا أخذته هيبة عظيمة وفزع من هول منظرهم وعليهم موكلون يحفظون المكان لا يحدث عليهم حادث ذكر ذلك اسحاق بن الحسن فى بعض التواريخ ورأيت فى كتاب آخر أن الكهف المذكور فى مدينة يقال لها أفسوس وهى من القسطنطينية على ستة فراسخ والله أعلم وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال غزونا مع معاوية غزوة المضيق فمررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف الذين ذكرهم الله فى القرآن فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس ليس ذلك لك قد منع الله من ذلك من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا فقال معاوية لا أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث ناسا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم

(فصل) قد تقدم الكلام فى ذكر أدار فى أسماء الشهور قال بعض العلماء ان القيامة تقوم فى شهر مارس وهو ادار الذى كان عمر بن الخطاب يستبشر بخروجه كما تقدم واستدل على ذلك أيضا بقول الله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء الى قوله حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت قال وانما تكون كذلك فى هذا الشهر المذكور ثم قال تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس والله أعلم بما أراده من ذلك لا اله الا هو (قلت) ولا نقول ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لم يعلم بأشراط الساعة ومقدماتها الكائنة قبلها التى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم خرجه مسلم رحمه الله وفى بعض الروايات تنزل معهم اذا نزلوا وتقيل معهم اذا قالوا وفى رواية

من قول الصاحب وربع تلقى الناس في البحر فان صح ذلك القول عن عمر في ادار فانما قاله على وجه الشفقة والحذار وعلى تقريب مايخاف ويتوقع اذ الشفيق بسوء ظن مولع وقد قلت في ذلك

ماقاله عمر هزلا ولا هذرا * حاشاه حاشاه من هزل ومن هذر
لكن مقالته ان صح ذلكم * عنه على جهة الاشفاق والحذر
هذا هو الظن بالفاروق ياسندى * فقس مقالته ان شئت أو فذر
وكن بقول رسول الله متعظا * والعشر الايات يامغرور فانتظر
وكن على حذر من فجأ موتك ان الموت مدركه من في البدو والحضر
وماعليك من الآيات ان نزلت * والموت ينزل بالآصال والبكر
من مات مناقد قامت قيامته * ومن يعش فهو للاموات بالاثر

تقدم ذكر العشر الآيات وفيها الدخان وفي القرآن العزيز فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين قال المهدوي رحمه الله قال على رضي الله عنه لم يأت الدخان بعد وسيأتي دخان يصيب المسلمين منه مثل الزكام وينفذ الكافر * وروى عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه من آيات الساعة وقال ابن مسعود رحمه الله قد مضى الدخان وهو ما أصاب المشركين من الجوع بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الرجل يرى بين السماء الارض دخانا وقد كشفه الله تعالى عنهم ولو كان يوم القيامة لم يكشفه عنهم وكان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قريش حين أبطؤا عن الاسلام قال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم الجوع حتى أكلوا الميتة والعظام حتى كان أحدهم يرى بينه وبين السماء دخانا من الجهد قال ابن أبي زمنين قيل للجوع دخان ليبس الارض في سنة الجدب وانقطاع النبات وارتفاع الغبار ومن كلامهم جوع أغبر وسنة غبراء لسنة المجاعة * وأما الدابة فان ابن عباس رضي الله عنهما قال هي دابة ذات زغب وريش لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة تسم كل انسان على مسجده فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض لها وجهه وأما الكافر فتكون نكتة سوداء فتفشو في وجهه حتى يسود لها وجهه حتى انهم يتبايعون في أسواقهم يقول كيف تبيع هذا يامؤمن ويقول كيف تأخذ هذا ياكافر فمايرد بعضهم على بعض * وعن خالد بن معدان لتخرجن الدابة حتى يدخل الناس في بيوتهم فتخبرهم بأعمالهم حتى تقول أنت من أهل النار

دابة الارض

وأنت من أهل الجنة * وعن أنس ان فيها من كل أمة سيماء وان سيماها من هذه الامة انها تتكلم بلسان عربى وقال ابن سلام وفى بعض القرا آت تحدثهم ان الناس كانوا بى لا يوقنون وجاء من ذكرها فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب جياد قالوا وفيم ذلك يارسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات فيسمعها من بين الخافقين وسيأتى حديث الدجال

(فصل وجمع الكلام الى الحروف) قال الكندى لا أعلم كتابا يحتمل من تحليل الحروف وتدقيقها ما تحتمله العربية (قلت) يريد والله أعلم ان الكلمة تحتمل أن تكون كثيرة الحروف ويكون لها معنى فان نقصت حرفا صارت بمعنى آخر فان نقصت آخر صارت كذلك أى بمعنى آخر حتى تصير الى حرف واحد فيدل أيضا على معنى وكذلك تبنيها كما هدمتها وتعقدها كما حللتها فتزيد حرفا فيحدث معنى ثم كذلك فكذلك الى تمامها وأعلى ما تنتهى اليه الكلمة بالحروف الزوائد سبعة ثم قد تكون الكلمة مغلقة من النقط أو الشكل فتقررها على وجوه * مثال ذلك (مطلب ما يخرج من زيد) زيد وعمرو ولهذين الاسمين العلمين أليس لفظة زيد ان لم تنقطها تقول زند لهذا الذى يقدح به أو للذى فى الذراع وزبد للرغوة التى تعلو الماء واللبن كما قال الشاعر

وتحت الرغوة اللبن الصريح وفى القرآن العزيز فاحتمل السيل زبدا رابيا وربد جمع أربد وزبد وهو ما أهداه الكافر للمسلم وزبد معلوم ورند وهو العود وقيل الآس وتقول زيد فى السعر كذا وهذا زيد على هذا أى زيادة عليه وفيه لغات غير ذلك ثم اذا تتبع الكلام فى هذه الالفاظ بالقلب والعكس تشعب وتسلسل وتولد وتنسل والمدار أن يكون عندك دقيق وتكون فى الصنعة ذا تشقيق وتدقيق فان صحت ذلك وكان فقد ساعدك الامكان على أن تصنع من الاطعمة ما تريد كذا وكذا وأعلاها الثريد وكذلك ان كنت ذا علم وذكاء وفهم أحرزت من الكلمة الواحدة عشرا وأبرزت لها لبابا وقشرا وطويتها طيا ونشرتها نشرا حتى يجد لها الفطن الكيس عرفا ونشرا ويعلم الأديب الأريب والنبيل اللبيب ان الله مولاك قد أولاك فى العلم سعه وما ضيق على غيرك فعليك وسعه وهذه درجة العلماء وأهل اللغة القدماء رضى الله عن جميعهم وجزاهم خيرا على صنيعهم وأما أنا فما أعملت فيه براعتى فليس من براعتى ولا أدعى ان تلك صناعتى انما أنا متطفل وبكلامهم متكفل من تآليفهم أستقى ومن تصانيفهم أنتقى وأضع ذلك كله فى كتابى والى الله

متابي وعليه ثوابي واليه ايابي وان أردت ان أضرب لك مثلا فيما تقدم فتأهب
لجيوش عليك تقدم ابليس قد ذكرت لك ان شكل زبد ربد وفسرته انه الآس أو العود
دنر فيما ذكر * ومعكوس ر ندر دنر قال صاحب كتاب العين دنر وجهه اذا أشرق
ردن كالدينار وفرس مدنر أشهب فيه تدنير سواد تخالطه شهبة * ومقلوبه ردن وهو
مقدم كم القميص وجمعه أردان وليل مردن مظلم وعرق مردن أي يعس
الجلد كله وجمل رادني جعد الوبر كريم والردن الحرير قال الاعشى
* على صحصح ككساء الردن * ويقال الخز والروادن النساء اللواتي ينسجن الحرير
وأنشد عجبت لكهل قاعد بين نسوة * يقات بما اردت عليه الروادن *
ومعنى يقات يقتات من القوت وسيأتي شرح ذلك ان شاء الله تعالى وردينة اسم
امرأة تنسب اليها الرماح الردينية والاردن اسم كورة بالشام ومقلوبه أيضا
ندر ندر يندر الشئ سقط من جوف شئ ومنه قول سلمة بن الاكوع فضرب رأس الرجل
فندر فخرجه مسلم رحمه الله وكذلك نوادر الكلام تندر وهو ما يأتي بالندرة وسيأتي
نرد تفسير الندرة ان شاء الله تعالى والاندر البيدر لغة شامية * ومقلوبه أيضا نرد وهو شئ
درن يلعب به فارسي وقد جاء في الحديث النهي عنه * ومقلوبه أيضا درن وهو الوسخ ومنه
الحديث فما ترون ذلك يبقى من درنه يقال درن الثوب والدرين والدرانة الحشيش
وأهل الكوفة يسمون الاحمق درينة ودرانة من أسماء النساء * ومن شكل زبد
زبد زبيد بفتح الزاي وكسر الباء موضع بالشام وزبيد بزيادة ياء بلد باليمن كبير معروف
ربد * ومن شكله أيضا ربد جمع أربد وأربداء والربدة في لون النعام سواد مختلط بغبرة
وفي الحديث تربد وجهه أي تغير والأربد ضرب من الحيات وأربد اسم رجل
معروف وربد السيف فرنده وهو الذي تراه فيه شبه الغبار أو مدب النمل
دبر * ومعكوسه دبر دبر الشئ خلاف قبله وأدبر الشئ ولى وفي القرآن من هذا يولون
الدبر وقيل الدبر هنا الظهر والليل اذا دبر ويقرأ والليل اذا أدبر ويقال دبر يدبر
دبورا اتبع الاثر وفي الحديث من هذا قول عمر رضي الله عنه ظننت انه سيدبرنا يعني
النبي صلى الله عليه وسلم يريد انهم يموتون ويكون النبي صلى الله عليه وسلم يدبرهم أي
يموت بعدهم قال هذا حين مات النبي صلى الله عليه وسلم وتقول جعلته دبر أذني أي
خلفها اذا لم تلتفت اليه وتصاممت عنه ودابر الشئ آخره وفي التنزيل فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ويقال جعل الله الدبرة عليه اى الهزيمة

والدبرة له أى النصرة والظفر ومنه قول أبى جهل لعنه الله يوم قتل وهو بآخر رمق لمن الدبرة اليوم فقال له ابن مسعود رضى الله عنه لله ولرسوله ثم حز رأسه ودابرت الرجل عاديته وأصله ان المتهاجرين يولى كل واحد منهما لصاحبه دبره ويعرض عنه ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لا تدابروا والدبور ريح من قبل المغرب والجمع الدبر والدبابير ودابرة الطائر الاصبع التى من خلف ومنه فى الحديث يأتون الصلاة دبارا وهو الذى يأتيها بعد أن تفوته ويقال فلان لا يعرف قبيلا من دبير والقبيل ماوليك والدبير ما خالفك ويقال القبيل فتل القطن والدبير فتل الكتان والصوف وقد فسره ابن قتيبة بغير هذا أنظره فى أدب الكتاب ودبار اسم ليلة الاربعاء ويقال دبر القوم يدبرون دبارا هلكوا ودبرت الدابة فهى دبرة والدبرة واحدة الدبر والدبرة الساقية بين المزارع والجمع دبار ودبرت الامر نظرت فى عاقبته ودبرت المملوك أوجبت عتقه بعد الموت والرأى الدبرى الذى يكون من غير روية وكذلك الجواب الدبرى ودبرت الحديث اذا حدثت به عن غيرك وهو يدبر حديث فلان أى يرويه وكانوا يقولون نعوذ بالله من الرأى الدبرى والدبر اسم النحل واحدته دبرة وتجمع أيضا على دبور ويقال أيضا للزنابير دبر واحدته دبرة كذلك ومن أسماء النحل أيضا الخشرم واحدته خشرمة ومنهم من يقول لا واحد له من لفظه ومن الخشرم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من قبلكم ذراعا بذراع وباعا بباع حتى لو سلكوا خشرم دبر لسلكتموه خرجه ثابت رحمه الله وقال الخشرم هنا مأوى الزنابير والنحل وقد يجىء فى الشعر الخشرم اسما لجماعة الزنابير قال طفيل

فقلت ألا يا هؤلاء وقد بدت * سوابقها كالخشرم المتحدب

ومن أسماء النحل أيضا الشول والنوب واللوب وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى ووقع فى السير من قول النجاشى رضى الله عنه دبر من ذهب ويروى دبرو فسره الدبر الجبل بلسان الحبشة وقال صاحب العين الدبر المال الكثير ويكون للواحد والاثنين والجمع والدبر أيضا صغار الجراد ومنه يقال مال دبر قاله أبو حنيفة والدبران نجم يدبر الثريا أى يتبعها * ومقلوب دبر بدر البدر ليلة أربع عشرة وتقول بدر فلان اذا سبق اليه وكذلك ابتدره وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدر من لقيه بالسلام والبادرة ما يبدر من حدة الرجل والبادرتان جانبا الكركرتين وفى الحديث ترجف بوادره قال ابن قتيبة هى جمع بادرة وهى لحمة بين المنكب

برد والعنق وكذلك هى من الفرس وغيره ❊ ومن مقلوبه بردمن قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا فسرها هنا بالنوم ويقال فى مثل (منع البرد البرد) فالاول هو البرد المعلوم والثانى النوم ومن البرد المعلوم قوله تعالى كونى بردا وسلاما على ابراهيم ومن شكله برد من قوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد وبرد واحد البرود العصب وهى نوع من الاردية رقاق والبردة أيضا كساء يلتحف به ومن هذا فى الحديث كثير والبرد جمع بريد والبريد أربعة فراسخ والفرسخ ثلاثة أميال والبريد أيضا الرسول على دواب البريد ويجمع أيضا على برد ومنه الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أخيس بالعهد ولا أحبس البرد وتقول ضربته حتى برد أى مات وفى حديث أبى جهل فضربه ابنا عفراء حتى برد وبرد الشئ يبرد وبردته أنا وبرد الحديد سحله بالمبرد وبرد عينه بالكحل يبردها واسم الكحل البرود وسحاب برد ذوقر وبرد القوم أصابهم البرد وبرد عليه كذا لزمه وأبرد القوم ساروا فى آخر النهار ومنه الابراد بصلاة الظهر فى شدة الحر والابردان الغداة والعشى ومن شكل بردتردى أعنى فى الصورة لا فى الوزن وكذا أفعل بمثله مهما أذكره فلا تنكره من

درب قوله تعالى وما يغنى عنه ماله اذا تردى ❊ ومعكوس برد درب وهو باب السكة الواسع وكل مدخل الى الروم درب وتقول فلان درب بكذا اذا كان حاذقا كيسا والدربة العادة ❊ ومن شكل درب ذرب والذرب الحاد من كل شئ يقال لسان ذرب وسنان

ذرب ذرب ومذروب ومذرب وقد ذرب ذربا وذرابة وقوم ذرب وامرأة ذربة سليطة وتذريب السيف أن ينقع فى السم ثم يشحذ وسم ذرب وذرب الجرح اتسع ولم يقبل البرء والذرب من الامراض التى لا تبرأ وذربت معدته ذربا اذا فسدت ❊ ومن مقلوب

ذبر هذه اللفظة ويشبه نحو ما تقدم ذبر تقول ذبر يذبر ذبرا كتب ويقال قرأ ويقال الذبور الفقه بالشئ ومن شكله ذبر الكتاب مثل زبر يزبر بالضم ويزبر بالكسر قال الاصمعى سمعت اعرابيا يقول أنا أعرف بزبرتى أى بخطى وكتابتى والزبر الكتاب والجمع زبر وزبور وقرأ بعضهم وآتينا داود زبورا بضم الزاى ومن قرأ زبورا فهو كتابه صلى الله عليه وسلم هذا بالزاى ويقال بالذال ذبرت الكتاب كما تقدم أذبره وأذبره بالضم والكسر ذبرا قال أبو ذؤيب

عرفت الديار كرقم الدواة يذبرها الكاتب الحميرى

ربذ يذبرها بالذال وبكسر الباء وضمها ❊ ومعكوس هذه اللفظة ربذ الربذ خفة

الرجل

الرجل واليد في المشي والعمل يقال انه لربذ والربذة صوفة يهنأ بها البعير والربذة
خرقة الحائض وربذة الصائغ خرقة يمسح بها ويقال رجل ربذة لا خير عنده
والربذة عهنة تعلق على البعير والربذة أيضا موضع معلوم فيه كان يسكن أبوذر
بذر رحمه الله * ومن مقلوبه بذر الحب يبذره بذرا زرعه والبذر ما زرع والجمع بذور
والبذر النسل ورجل بذور وبذير وقد بذر بذارة اذا لم يمسك سرا وبذر اذا أفسد
ماله وأنفقه في السرف وبذر اسم بئر من آبار مكة شرفها الله تعالى حفرها هاشم بن
نذر عبد مناف * ومن شكل بذر نذر النذر ما ينذره الانسان على نفسه والمصدر
النذر ومنه الحديث ولا نذر فيما لا يملك والنذيرة اسم الذي يعطى والنذر اسم
للانذار يقال أنذر بكذا أي أعلم وأنذرتهم فنذروا أي علموا والنذر جماعة
النذير وفي التنزيل كذبت ثمود بالنذر وفي هذه السورة فكيف كان عذابي ونذر
ذئر وهو بمعنى انذاري والله أعلم * ومن شكله ذئر ذئر الرجل يذأر ذأرا اغتاظ وامرأة
ذائر أي ناشز ومنه الحديث ذئر النساء على أزواجهن قال الاصمعي نفرن ونشزن
واجترأن يقال منه امرأة ذائر على فاعل مثل الرجل قال عبيد

ولقد أتاني عن تميم انهم * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا

زئد يعني نفروا من ذلك وأنكروه ويقال ذئر الرجل فزع وأذأرته ألجأته ومن شكل
زيد الاول زئد الرجل اذا فزع فهو مزؤود ومنه قول الشاعر

حملت به في ليلة مزؤودة * كرها وعقد نطاقها لم يحلل

ريد وريد بالراء قال صاحب العين الريد الحيد في الجبل وهو الحرف الناتئ فيه والجمع
دير ريود * ومعكوس هذه اللفظة دير وهو معروف ودار الحمار وساكنه ديراني وديار
ردي ومقلوبه ردي الرجل يردى فهو رد اذا هلك وأرداه الله ومنه قوله تعالى واتبع
هواه فتردى وتردى في هوة تهور فيها وتردى بالرداء وارتدى به والردي مصدر
قولك ردت الخيل رديا ورديانا والرديان مشي الحمار من آريه الى متمعكه ورديت الشئ
بالمرداة كسرته والمرداة الصخرة وهو مردى حرب وتقول أردى الشئ على غيره
أربى عليه والمرادي المرامي والردئ بالهمز ضد الجيد وفعله بالواو تقول ردؤ الشئ
رداءة فهو ردئ ورجل مردئ اذا فعل فعلا رديئا وردأت الرجل بكذا جعلت
رثد له قوة والاسم الردء من قوله تعالى ردأ يصدقني وتقول أردأته أعنته * ومن
شكل زيد رثد يقال رثدت المتاع رثدا نضدته ورثد البيت اسقاطه ومرثد اسم رجل

دثر والمرثد أيضا من أسماء الأسد * ومعكوس هذا دثر الشئ درس والدثار ما يتدثر به

ثرد * ومن مقلوب رثد ثرد يقال ثردت الذبيحة بالتشديد قتلتها من غير أن تفرى أوداجها والثرد الفت والثريدة معروفة ويقال أيضا ثريد ومنه الحديث فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام فهذه جملة علم خرجت من لفظة زيد وقيدت لك فى هذا الكتاب بقيد بدأت لك فيها أيها الطالب المريد بالثريد وبه ختمت هذا الفصل اذ هو الاصل وجاء فى الحديث تفضيله وسيأتيك تفصيله فهو اذا أول ما يجب تحصيله فان عدمت ثريد الطعام فدونك ثريد الكلام اجتز بحولك القصيد عن لولك العصيد وبصحائف العلوم عن صحاف الطعوم وبتعريف صفات الاعراب وتصريف لغات الأعراب عن الطعام والشراب

قوت الروح أرواح المعانى * وليس بأن طعمت وأن شربتا

وكن فى العلم طويل الباع وفى الطعم قليل الاتساع اكتف بالكف من الصاع وبالظلف من الذراع فان الحر يجزأ بالكراع

هذا الكلام قد أتى كالترى * جميعه حق وليس مفترى
ممسكا مسوكا معطرا * ملخصا مخلصا محبرا
مرصعا مسجعا مفقرا * فاقرأه فهو ممتع لمن قرا
فيه قرى للضيف يوما ان عرا * كما أتى فى مثل قبل جرى
يحفظه أهل البوادى والقرى * ان الحديث طرف من القرى

وها أنا أصنع بعمرو ما صنعت بزيد فلهنك الصيد لكن على ايثار التقليل على الاكثار وحذر التثقيل فى القيل خشية العثار فأقول عمرو اسم لرجل فيكون مأخوذا من العمر الذى هو الكم يقال سجد على عمره أى على كمه أو من العمر الذى هو احد عمور الاسنان وهو ما بدا من اللثة وقد جاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم فى شأن السواك مازال جبريل يوصينى به حتى خشيت على عمورى وهو اللحم الذى بين الاسنان كما تقدم أو يكون من العمر الذى هو القرط أو الشنف كما قال التنوخى وهو المعرى

مطلب مايخرج من عمرو

وعمر هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

يقول قرط هذه المرأة يعنت القلوب ويعذبها كما يفعل عمرو بن هند بقوسه وله خبر يطول أو يكون أخذ من العمر أعنى عمر الانسان يقال فيه عمر وعمر وعمر

فهذه أربعة أوجه ذكرها الاستاذ رحمه الله قال وزاد صاحب كتاب العين
وجها خامسا فقال العمر ضرب من النخل طويل ويقال فيه عمر أيضا قال وكان
ابن أبي ليلى يستاك بعسيب العمر فان صرفت من هذه اللفظة فعلا خرجت الى
معنى غيره مثل عمر فلان داره وعمر أرضه وعمره الله فيها وعمر طويلا وغير ذلك العمارة
وتخرج الى معنى آخر تقول عمرت الارض عمارة فهى عامرة ومعمورة والعمارة
أجر العمارة والعمرة فى الحج معروفة والعمار كل شئ على الرأس من قلنسوة
أو تاج ويقال العمار الريحان والمعتمر فى الحج من العمرة كما تقدم والمعتمر أيضا
المعمر والمعتمر الزائر كما قال (وراكب جاء من تثليث معتمر) والعمارة والعمارة
أصغر من القبيلة والعمرى أن تجعل للرجل الشئ عمرك أو عمره وأعمرت الارض
وجدتها عامرة وكنت بمعمر ترضاه أى بمنزل ومنه قول الشاعر

يالك من قنبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى

وعمر وكثير فى الصحابة وكذلك عمرو وأعلاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وفضله
كثير وشرفه كبير رضى الله عنه وعن جميع أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
(فائدة زائدة) الذى قال يالك من قنبرة هو كليب بن وائل كان له حمى يرعى فيه ابله
وابل صهره جساس فنزل رجل من جرهم على البسوس وهى خالة جساس وكانت له
ناقة فكان يرسلها فى الحمى مع ابل جساس فطاف كليب يوما فى حماه مع جساس
فمر بقنبرة قد عششت فى الحمى وباضت فطارت ورفرفت على العش وصرصرت
فقال كليب الابيات وله خبر طويل من أنه كيف عقرت الناقة وقتل عاقرها وهاجت
حرب البسوس الذى يضرب به المثل فان عكست لفظة عمر وجاء منه رمع تقول رمع
رمع الرجل رمعانا اذا تحرك والرماعة ماتحرك من رأس الصبى الصغير والرماعة
الاست واليرامع الحصى البيض واحدها يرمع ويقال الحجارة الرخوة ورمع منزل
بعينه ذكر ذلك صاحب العين وفى الطرة فى المصنف رمع أنف الرجل يرمع رمعانا
اذا تحرك من غضب فان قلبت جاء منه مرع يمرع مرعا وهو الكلأ وقد أمرع مرع
القوم أصابوا الكلأ وأمرع الوادى ومرع اذا أكلأ فهو ممرع والمريع الخصيب
ومن أمثالهم (أمرعت فانزل) والمرع الاسم والمرعة طائر صغير والجمع المرع
وتقلبه أيضا فيجئ منه معر الظفر يمعر اذا نصل من شئ أصابه ومعر رأس الرجل معر

وأمعر ذهب شعره وأمعرت الارض اذا لم يكن فيها نبات وأمعر الرجل افتقر وتمعر وجهه وفى الحديث فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم معناه تغير وتقلبه

عرم أيضا فتقول عرم الانسان يعرم فهو عارم وعرم والعرم المسناة وفى التنزيل سيل العرم وفسر كذا بالمسناة وهى السد والعرمة السكر وهى السد أيضا وجمعها عرم وقيل اسم للوادى قاله عطاء وقيل هو الجرذ الذى خرب السد وقيل هو صفة للسيل من العرامة وقيل غير ذلك والله أعلم وسيأتى والعرم الحيات المنقطة بالحمرة والسواد والعرمة الكدس المدوس ليذرى والعرمرم الجيش الكثير والعرمرم الشديد الجمة وقد تقدم العمر والعمر والكلام عليهما وتقلبه أيضا فتقول رعم

رعم الشمس يرعمها اذا راقب غيوبتها ورعمت الشاة ترعم اذا سال من أنفها الرعام فهى رعوم وفى الحديث ن هذا اصل فى مراحها يعنى الغنم واسم الرعام ويروى فى هذا الموضع واسم الرغام بالغين المنقوطة وفتح الراء وهو التراب اللين والثرى وسيأتى ورعوم اسم امرأة وكذلك رعمى ومرعم اسم بلدة قاله البكرى

غمر فى المعجم فان نقطت العين من عمر جاء منه غمر وهو الماء الكثير والجمع غمار والاغمار الاغماس وفى الحديث انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر الحديث وفرس غمر سريع والغمر السيد الجواد والغمر موضع بحيرتيماء قال حميد بن ثور * نظرت بوادى الغمر والليل مقبل * والغمر أيضا بئر بمكة لبنى سليم وغمير وغمرة موضعان وغمارة بضم أوله وبزاى بئر معروفة بين البصرة والبحرين قاله البكرى والغمرة غمرة الحرب وغمرة الماء وغيرها والمغامر الذى يرمى بنفسه فى الغمرة وغمار الناس جماعتهم والغمر بضم الغين الذى لم يجرب الامور وبكسرها الحقد وقال ابن السيد يقال فى هذا غمر للرجل الذى لم يجرب الامور وغمر بضم الغين والميم وغمر بفتحهما والغمر بفتح الغين والميم ريح اللحم والغمر بضم الغين وفتح الميم قدح صغير وكذلك التغمر أقل الشرب ويقال دار غامرة أى خراب

غرم وكذلك الارض وهى ضد العامرة وتقلب هذه اللفظة فتقول غرم غرما ومغرما وفى التنزيل فهم من مغرم مثقلون والغريم الغارم والغرام العذاب اللازم قاله صاحب العين والمراغمة الهجران والمراغم المتسع وفى التنزيل يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة وفى التفسير المراغم والمهاجر واحد يقال راغمت وهاجرت وأصله أن الرجل كان اذا أسلم خرج من قومه مراغما أى مغاضبا مقاطعا ومن

مقـلوبها المغرة طين أحمر وثوب ممغر والامغر الاحمر الوجه والشعر ومن مقلوبها
مغرة المرغ الاسباغ بالدهن وقد مرغ عرضه ومراغ الابل متمرغها وفي الحديث من
مرغ هذا قول عمار حين أجنب فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة وفي لفظ آخر فتمعكت
في التراب ثم صليت ومراغة اسم بلدة واليها ينسب المراغي أنشدني الحافظ
رحمه الله قال أنشدني أبو المظفر لنفسه في أبي النجيب المراغي

شعر المراغي وحوشيته * كعلمه أسلمه أسقمه

يلزم ما ليس له لازما * لكنه يترك ما يلزمه

غمز فان جعلت الراء زايا قلت غمز والغمز الاشارة بالجفن وفي التنزيل واذا مروا بهم
يتغامزون والغمز العصر باليد ومنه في الحديث فيغمزني فأقتح عليه ونحن نصلي
وكذلك فغمزه رجل الى جنبه هذا كله باليد لا بالجفن والغميزة ضعف في العمل
والمغمز المطعن قال الاخطل

أ كلت القطائط فأفنيتها * فهل في الخنانيص من مغمز

يقوله في رجل يهجوه ويهزأ به ومنه قولهم ليس في فلان غمزة أي مطعن والمغموز
المتهم والغمز في الدابة أن تغمز من رجلها يريد تعرج والغمز بالتحريك رذل
المال قاله الاصمعي ورجل غمز أيضا ضعيف وقد تقدم غمازة اسم بئر ومن مقلوبه
رغم رغم بغين منقوطة وا لترغم التكذب والتغضب أيضا مع كلام والترغم حنين خفي
كما يترغم الفصيل فان صحفت لفظة عمرو وجعلت منه مكان الراء زايا جاء منه
معز معز وذلك معلوم ويقال لها المعزى والعزاة والمعيز والامعوز جماعة التيوس من
زعم الظباء ويأتي من معكوس هذه اللفظة زعم ومعناه قال والزعم والزعم القول وهو
الظن أيضا وقرأ الكسائي هذا لله بزعمهم بضم الزاي والزعيم الكفيل وفي القرآن
وأنا به زعيم وفي الحديث الزعيم غارم والزعيم ايضا السيد والزعامة السيادة
عزم وسيأتي قول لبيد والزعامة للغلام ويأتي من هذه اللفظة عزم وفي القرآن فاذا عزم
الامر وفي مثل (قد أحزم لو أعزم) ويقال فلان ذو عزم وذو عزيمة وذو عزيم ومن
زمع مقلوبها زمع هنة شبه أظفار الغنم في الرسغ ويقال الزمع الشعرات التي خلف الثنة
والزمع رذال الناس وأتباعهم والجمع أزماع والزميع الشجاع والزميع السريع
وأزمعت السير عزمت عليه وفي الحديث من هذا اذا أزمع السير وهو الزماع وأزمع
النبت اذا كان قطعا متفرقة وزمعة اسم رجل والد احدى نسوة النبي صلى الله

عليه وسلم سودة بنت زمعة قال أبو عبيد البكري زمعة ساكنة الميم من منازل حمير باليمن ومن مقلوبها نزع الفرس والظبي نزعا اذا أسرعا والمرأة تمزع القطن اذا قطعته ثم ألفته والمزعة قطعة من لحم وتكون من الريش والقطن ومزعت اللحم فرقته ويقال فلان يتمزع غيظا أي يتقطع والمزعة بقية من دسم انتهى الكلام في عمرو كما انتهى في زيد بعون من به القوة والايد وذلك على حد الاقتصار على الاختصار وان أردت التطويل والتكثير بالتذييل لما وقع في الفصلين من القال والقيل فدونك فصلا جزلا في تذييل بعض اللغات بما جاء منها في القرآن العزيز من الآيات وايصالها بالحديث والحكايات لكن أيضا على نوع من التفصي عن التقصي اذ لو تتبع ما فيها من الكلام الى التمام لآل الى الملال لكن اقنع بما أوتيته باغلام والسلام وانما أكتب ما اقتضى لي ان أكتب فلا تلم ولا تعتب

نزع

قصة زيد بن حارثة

(فصل) تقدم في الباب الاول ذكر زيد وفيه تنبيه لك كما ذكرت بقيد جاء في القرآن العزيز هذا الاسم منصوصا وخص به صاحبه دون الناس خصوصا ولا أعلم في القرآن من جاء اسمه مصرحا به وليس نبي غيره وهذه فضيلة في حقه رضي الله عنه قال تعالى في حقه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها هو زيد بن حارثة بن شرحبيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم به حكيم بن حزام بن خويلد من الشام في جملة رقيق فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا عمة اختاري أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فأعتقه وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل * أحي فيرجى أم أتى دونه الاجل
فوالله ما أدري واني لسائل * أغالك بعدي السهل أم غالك الجبل
ويا ليت شعري هل لك الدهر أوبة * فحسبي من الدنيا رجوعك لي علل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها * وتعرض ذكراه اذا قارب الطفل
وان هبت الارياح هيجن ذكره * فيا طول ما حزني عليه وما وجل
سأعمل نص العيس في الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل
حياتي أو تأتي علي منيتي * فكل امرئ فان وان غره الأمل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم وصلى معه وكان أول

من أسلم من الصبيان على بن أبى طالب أسلم وهو ابن عشر سنين وزيد هذا أسلم
بعد على وهو أيضا صغير وأول من أسلم من النساء خديجة ومن الرجال الكبار
أبو بكر الصديق رضى الله عنه و بلال مولاه رضى الله عنهم فلما قدم حارثة هذا على
ابنه زيد خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت فأقم عندى وان شئت
فانطلق مع أبيك فقال بل أقيم عندك فتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان
يدعى زيد بن محمد فلما أنزل الله تعالى أدعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة وهو زوج
زينب التى قال الله تعالى فيها فلما قضى زيد منها وطرا الآية تزوجها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعده وسيأتى طرف من خبرها وتزوج هو أم أيمن مولاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واسمها بركة ولدت له أسامة بن زيد حب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقتل زيد يوم مؤتة أميرا مع جعفر وعبد الله بن رواحة رضى الله عنهم
ذكر معنى هذا الكلام محمد بن اسحاق وفى زيد قال عليه الصلاة والسلام وأيم الله
ان كان لاحب الناس الى وايم الله ان هذا يعنى أسامة لاحبهم الى من بعده
وأوصيكم به فانه من صالحيكم ولذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يفضله
فى العطاء على ابنه عبد الله بن عمر فكان يعطيه خمسة آلاف ولابنه عبد الله بن عمر
ألفين فقال له ابن عمر فضلت على أسامة وقد شهدت مالم يشهد فقال ان أسامة كان
أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك وأبوه كان أحب اليه من أبيك وسيأتى
طرف من ذكره وذكر أبيه فى باب الفاء ان شاء الله تعالى رضى الله عنهم أجمعين
وجزاهم خيرا على صنيعهم * تقدم ان زيدا قتل يوم مؤتة شهيدا وكان قد نجاه الله قبل
ذلك من القتل جاء فى فضائله رضى الله عنه انه اكترى من رجل بغلا من الطائف
واشترط عليه المكارى أن ينزله حيث شاء فمال به الى خربة فقال له انزل فنزل فاذا
فى الخربة قتلى كثيرة قال فلما أراد أن يقتله قال دعنى أصل ركعتين قال صل فقد صلى
قبلك هؤلاء فلم تنفعهم صلاتهم شيئا قال فلما صليت أتانى ليقتلنى فقلت يا أرحم
الراحمين قال فسمع صوتا لا تقتله قال فهاب ذلك فخرج فطلب فلم ير شيئا فرجع الى
فناديت يا أرحم الراحمين ففعل ذلك ثلاثا فاذا أنا بفارس على فرس بيده حربة حديد
فى رأسها شعلة نار فطعنه بها فانفذها من ظهره فوقع ميتا ثم قال لما دعوت المرة
الاولى يا أرحم الراحمين كنت فى السماء السابعة فلما دعوت المرة الثانية يا أرحم
الراحمين كنت فى السماء الدنيا فلما دعوت الثالثة أتيتك (قلت) وكما كان زيد حب

حكاية زيد مع اللص

رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حبه (بلغه ان أم قرفة) كانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أمكنه الله منها قتلها قتلا عنيفا كذا قال ابن اسحاق وفسر غيره القتل العنيف قال ربطها بفرسين ثم أجريا بها حتى ماتت وذكر أبو عبيد فى كتاب الاموال ان أم قرفة ارتدت فقتلها أبو بكر رضى الله عنه وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت وجمعت النساء يضربن بالدفوف لعنها الله (قلت) خلاف المرزبانة رضى الله عنها لما بلغها موته صلى الله عليه وسلم بصنعاء اجتمعت مع نساء الابناء فشققن الجيوب وضربن الخدود وأما المرزبانة فشقت درعها من بين يديها ومن خلفها رضى الله عنهن أجمع ولم يرتد من الابناء أحد والحمد لله رب العالمين وتنبأ فيهم الاسود العنسى لعنه الله وغلب على المرزبانة فاحتالت فى قتله على ما يأتى فى باب اللام ان شاء الله تعالى وأم قرفة هذه التى ضرب بها المثل فى الامتناع فيقال (امنع من أم قرفة) كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا كلهم لها ذو محرم واسمها فاطمة بنت بدر وكنيت بابنها قرفة الذى قتله النبى صلى الله عليه وسلم وكان لها سواه بنون تسعة قتلوا مع طليحة يوم بزاخة وبنتها هى التى خرجت فى سهم سلمة بن الاكوع فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فقال هى لك يا رسول الله ففدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيرا كان فى قريش من المسلمين خرج حديث هذه المرأة أبو داود رحمه الله وفى السير انه صلى الله عليه وسلم أهداها لخاله حزن بن وهب فولدت له عبد الرحمن والحمد لله وممن كان لها منعة وعز فى قومها عجوز لبنى رئام تسمى خويلة كان يدخل عليها أربعون رجلا كلهم لها محرم بنو اخوة وبنو أخوات وكانت مع ذلك عقيما وكانت هند بنت صعصعة عمة الفرزدق تقول من جاءت من نساء العرب بأربعة كأربعتى يحل لها أن تضع عندهم خمارها فصرمتى لها أبى صعصعة وأخى غالب وخالى الاقرع بن حابس وزوجى الزبرقان بن بدر فسميت ذات الخمار وتقدم ريد وفسر أنه الريحان وفى القرآن ذكر الريحان قال الله تعالى والحب ذو العصف والريحان والعصف ورق الزرع والريحان الرزق وكذلك فروح وريحان قيل فيه الرزق وقيل الاستراحة وقال الحسن ريحانكم هذا وقال أبو العالية لم يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض وقال الحسن يقبض الملك نفس المؤمن فى ريحانة وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قتل أم قرفة

الابناء قوم من العجم سكنوا اليمن ومن أراد معرفتهم فليرجع الى تاريخ الخميس ص ١٩٣ من الجزء الاول

قال

قال من عرض عليه ريحان فلا يردّه فانه طيب الريح خفيف المحمل وفي التفسير ان عصا موسى عليه السلام كانت من ورق آس الجنة من أحد الخيوط المستطيلة في وسط الورقة وان طولها اثنا عشر ذراعا بذراع موسى عليه السلام وفي الشعر من قول الهذلي

تالله يبقى على الايام ذو حيد * بمشمخر به الظيان والآس

وتقدم زند العظم الذي في الذراع وجاء منه في الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال انكسر احد زندي فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمسح على الجبائر ذكره الدارقطني وذكر علته وفي صفته صلى الله عليه وسلم طويل الزندين والزند هو طرف الذراع من الكف وهما زندان الكوع وهو الذي يلي الابهام والكرسوع وهو الذي يلي الخنصر والزند الذي يقدح به النار هو الاعلى والزندة هي السفلى وفيها ثقب فاذا اجتمعا قيل زندان وتقدم أربد وربد وهو لون الى الدبسة والغبرة وفي الحديث عليهم ثياب ربد ويروى رمد وهو لون الرماد والباء تبدل من الميم وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى وتقدم الزبد وهو الرفد وتقدم الحديث فيه أنه عليه الصلاة والسلام قال ونهيت عن زبد المشركين يقال زبدته زبدا أعطيته والزبد بضم الزاي معلوم وهو خلاصة السمن وفي الحديث دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقربنا اليه تمرا وزبدا وكان يحب التمر والزبد صلى الله عليه وسلم وتقدم دنر وجهه اذا أشرق كالدينار وأصل دينار دنار بالتشديد أبدل من أحد حرفي تضعيفه ياء وبنو دينار قوم معروفون والوجه يوصف بالدينار لا للاصفرار ولا للاحمرار لكن للاشراق وعلو المقدار وفي رسالة الفقيه الخطيب أبي محمد عبد الوهاب بن علي رضي الله عنه يا أوجه الدنانير هل عندكم سنانير وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى وقد تكلم الناس في الدينار الذي هو سبب دخول الجنة أو صلى النار فمنهم من ذمه فوهبه ومنهم من ضمه وكان مذهبه ومنهم من جمع بين الصفتين لمعنيين معنيين ويكفيك في ذلك قول الحريري رحمه الله مدح وقدح وجذب وحرب قال في مدحه (أكرم به أصفر راقت صفرته) وقال في ذمه ذكر الدينار

تباله من خادع مماذق * أصفر ذي وجهين كالمنافق

الى آخرها وقال غيره بذمه

النار آخر دينار نطقت به * والهم آخر هذا الدرهم الجاري

والمرء بينهما ان لم يكن ورعا * معذب القلب بين الهم والنار

وأنشدني بعض الاصحاب

يختبر الدينار في يدق * والدرهم الزائف اذ يتهم
والمرء ان رمت اختبارا له * بيدقه الدينار والدرهم
من عف عن هذا وهذا معا * فهو التقي الورع المسلم

وله رضي الله عنه

ان المذمة والحساب كلاهما * قرنا بهذا الدرهم المذموم
شغف الانام بذمه و بضمه * فلتعجبوا لمذم مضموم

وفي هذا المعنى

كلام الناس أزاذ أرادوا * عطاء شاع فيهم واستمرا
ولكن ذا لكم في غير دين * وفي الدينار نص الدين أزرا
كما في درهم قل درهم * وذا قال فأقدم أو ففرا
ومهرد عكسه والهرد قطع * وكسر فاجتنب قطعا وكسرا
فكم قوم أرادوا ضم هذا * الى هذا فأمسى الكل أسرى

ولي من قطعة

وقد يحسب المرء أن الغنى * اكتساب الحطام وجمع النشب
وهيهات والله ان الغنى * غنى النفس لا رقة أو ذهب
ولو علم الناس مافيهما * من الشؤم فروا فرار السحب
ولو لم يكن غير لفظيهما * كفى من له مسكة من أدب
ففي الرقة الرق حكما كما * ترى في هجاء الذهاب الذهب
ودينار ان قلت فالنار فيه وفي الدرهم الهم فالطلب تصب
وما سمي المال الا لما * يميل لذا ولذا ينقلب

قلت ان الغنى غنى النفس أخذته من قول الرسول عليه الصلاة والسلام ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن انما الغنى غنى النفس فان بغنى النفس يستريح الانسان وبغنى العرض يقع في الطغيان كما قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى وأحسن ما رأيت في هذا المعنى قول من ذم صديقه من أهل الغنى

أظنك أطغاك الغنى فنسيتني * ونفسك والدنيا الدنية قد تنسى
فان كنت تعلو عند نفسك بالغنى * فاني سيعليني عليك غنى نفسي

(وقلت هذا أيضا) قبل أن أرى شعر المعرى ثم رأيته فاذا فيه هذا الغرض قال رحمه الله
وماقلت مالاقط الاومال بى * ولادرهما الاودرّلى الهمّ

ولذلك قالوا مازاد على الكفاف فهو فقر لا نك تفتقر الى حفظه والى تثميره والغنى على الحقيقة هو الكفاف ألم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام اللهم انى أسألك غناى وغنى مولاى قال الشاعر

غنى النفس مايكفيك من سد خلة * فان زاد شيئا عاد ذاك الغنى فقرا

ولى أيضا من قطعة أخرى مطوّلة كذلك وقد رأيت رجلا اهتم بدرهم أعطى من داره لاناس فى ختان أونفاس

درّهم ان منك أخرج درهم * فى سرور فكيف تصنع فى الهم

ولى أيضا من نوع ماتقدم

درّهم ياصاح تصحيف درهم * فاكتسبه ان كنت تحتمل الهم
ثم معكوسه مهرد فاعلم * وهو فأل شر عليه أواجم
هبك تقوى على احتمالك للهم * أمهرد يأتى عليك وتسلم
ياأخى اسمع وصاة خلاك وافهم * ثمت اختر لنفسك الامر الاقوم
اجتلبه تقدم على ماتقدّم * اجتنبه تسلم وتظفر وتغنم

وسئلت تذييل هذين البيتين

اذا ماشئت أن تنعم * بلا همّ ولا مأثم
فلا تجنح على حال * الى الدينار والدرهم

فقلت

وخل الناس لاتعنى * بأمرهم ولاتهتم
ولاتشغل بذكرهم * بمدح فيهم أوذم
فكل مضرة تأتى * فمن قبل الذى تعلم
تجنب كل من تدرى * لعلك منه أن تسلم
فصحبته أضر عليك ياهذا من الابهم

وأنشدنى الشيخ الفقيه أبو محمد العثمانى رحمه الله لبعض الشعراء يمدح أحد الملوك وكان يرمى عدوه فى حال القتال بسهام من ذهب

وقد صاغ من ذهب نصله * فأبدى من المنّ مالم يعن
يداوى الجريح به جرحه * ويشرى به للقتيل الكفن

ولى فى مدحه فى غرض أعرض بعد سلام وكلام

فقالوا ان تشا تغلبه وجه * له من وجهه أبدا جميل
ومن ان جاء والابواب سدّت * اذا فتحت وكان له دخول
ومن فى صفحتيه غدت نقوش * اذا لاحت فقد راحت عقول
ومن ان تلق ذا وجه عبوس * به يشرق وكان له قبول
ومن يقضى الحوائج كل وقت * وفى أفنانه ظل ظليل
ومن عظمت منافعه وجلت * ومالكه به أضحى يصول
وأصبح من حواه عزيز قوم * ولولاه لقيل هو الذليل
به تمتاز قيمة كل شئ * وتبتاع الفروع بل الاصول
ولولاه لما وليت ولاة * ولولاه لما قالت قيول
ولولاه استوى جود وبخل * ولم يدر الجواد ولا البخيل
هو الدينار يدرك كل أمر * به وينال مأمول وسول

الى آخر الشعر وهو ستون بيتا انظرها فى التكميل * وقع فى الشعر (قالت) ومعناه ملكت ومنه القيل وسيأتى سبحان الذى تعطف بالعز وقال به يعنى ملك وتقدّم بيتان فى الكلام على الشعر وفضله وهذا موضعهما أيضا لان فيهما منفعة الدراهم وهما

اذا شئت أن تلقى أخاك معبسا * وجداه فى الماضين كعب وحاتم
فكشفه عما فى يديه فانما * تكشف أخلاق الرجال الدراهم

(قلت) وما أحسن الدينار اذا وقى المرء به نفسه من النار وقدّمه أمامه ولم يتخذه كنزا يكوى به جنبه وجبهته وظهره يوم القيامه ألم تسمع قول الرسول عليه الصلاة والسلام نعما بالمال الصالح للرجل الصالح يريد الذى ينفقه فى سبيل الله والله أعلم كما كان لسعد بن عبادة جفنة كل يوم مملوءة طعاما يبعث بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدور معه حيث دار من نسائه ويقول اللهم ارزقنى مالا فانه لا تصلح الفعال الا بالمال (وقال بعضهم) انه ليس بكسب المال بأس اذا كان من وجهه وصان به وجهه عن الناس ألم تسمع قول بعض الحكماء خصلتان لا تزال بخير ما حفظتهما درهمك لمعاشك ودينك لمعادك (وقال سعيد بن المسيب) رضى الله عنه لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله يعطى منه حقه ويكف به وجهه عن الناس وكان سعيد هذا أحد العباد والزهاد وسيأتى حديثه وكيف كان لا يأخذ

فضل الغنى

من أحد شيئا لا دينارا ولا درهما وكيف أتى بنيف وثلاثين ألفا فلم يأخذها وخرج أبو أحمد بن عدى، عن محمد بن المنكدر عن جابر (قال قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما أنفق الرجل على نفسه وعلى أهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة وما أنفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من نفقة فى بنيان أو معصية (قيل لابن المنكدر) ما الذى وقى الرجل به عرضه قال يعطى الشاعر أوذا اللسان وخرج مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دينار أنفقته فى سبيل فى الله ودينار أنفقته فى رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك أعظمه أجرا الذى أنفقته على أهلك (وعن أبى ذرّ عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال) ما أحبّ عندى مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله وتمسى ثالثة وعندى منه دينار الا دينارا أرصده لدين الا أن أقول به فى عباد الله هكذا احثا بين يديه وهكذا احثا عن يمينه وهكذا عن شماله (وذكر الحديث وفى حديث آخر) تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم (وقالت عائشة رضى الله عنها) ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما وكذلك قال فى حياته صلى الله عليه وسلم لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما (وخرج أبو طالب فى القوت) روينا فى الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وأنشد ثعلب رحمه الله

اذا كنت ذا مال ولم تك منفقا * فأنت اذا والمقترون سواء

على ان للاموال يوما تباعة * على أهلها والمقترون براء

(قلت) التباعة المذكورة فى هذا البيت هى على الذى يكنزه ولا يؤدّى زكاته فتكوى به جبهته وجنبه والفقير برىء من هذا كما قال الشاعر

ما ان سمعت بعائل تكوى غدا * فى النار جبهته على الاقلال

واذا أردت صحيح من يكوى بها * فاقرأ عقيبه سورة الانفال

ولما مات الاسكندر جعل فى تابوت من ذهب فاجتمع الحكماء لموته فقال أحدهم كان الاسكندر يخبأ الذهب فأصبح الذهب يخبأ الاسكندر (وقال آخر) ان الذهب كان كنز الاسكندر وان الاسكندر قد أصبح كنز الذهب وجاء من ذكر الكنز فى الحديث يجىء كنز أحدكم يوم القيامة شجاعا أقرع وجاء من كان له مال لم يؤدّ زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان يطلبه حتى يمكنه يقول أنا

كنزك وجاء خير ما يكنز المرء المرأة الصالحة وسيأتي عند ذكر النساء (وجاء عن النبيّ صلى الله عليه وسلم) من استطاع منكم أن يجعل كنزه في السماء حيث لا تأكله السوس ولا تناله السرّاق فليفعل فان قلب الرجل مع كنزه وأنشدني الحافظ رحمه الله لنفسه

تبا لمن آتاه رب العلى * مالا ولم يرزقه انفاقه
فالمال كالآل متى لم يكن * يبين الانفاق اشراقه

وكان الحسن رضي الله عنه يقول بئس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقانك وكان يحلف بالله ما أعز أحد الدرهم الا أذله الله (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم أهلك من كان قبلكم الدينار والدرهم وهما مهلكاكم (وأنشدني العثماني) رضي الله عنه قال أنشدنا أبو عبد الله الحسين بن عبد الله الهاشمي الشريف الرضي رضي الله عنه

خذ من زمانك ما استطعت فانما * شركاؤك الايام والورّاث
لم يقض حق المال الا معشر * وجدوا الزمان يعيث فيه فعاثوا
المال مال المرء ما بلغت به الشهوات أو دفعت به الاحداث
ما كان منه فاضلا عن قوته * فليوقنن بأنه ميراث
اني لأعجب من أناس أمسكوا * بعلائق الدنيا وهنّ رثاث
كنزوا الكنوز وأغفلوا شهواتهم * فالارض تشبع والبطون غراث
مالي وللدنيا الخؤونة حاجة * فليخش ساحر كيدها النفاث
عاراتها منقوضة وعهودها * منكوثة وحبالها أنكاث
طلقتها ألفا لأحسم داءها * وطلاق من عزم الطلاق ثلاث

ما ورد من الحكايات في الدراهم

(قلت) والشئ يذكر بضدّه من أغرب ما رأيت في حب الدراهم ما روى عن الحجاج أن عنبسة بن سعيد بن العاصي وكان عنبسة من خلصاء الحجاج بن يوسف فطلع له ابن فسماه الحجاج باسمه ودخل به على الحجاج يوما وهو طفل فأعطاه دراهم فسأله أن يشدّها بخيط فلما شدّها سأله المبالغة في الشدّ حتى عقد اثنى عشرة عقدة فتعجب الناس من شأنه ثم دخل عنبسة على الحجاج فأخبره بشأنه فقال له ان رأيته أيها الامير فاسأله ما صنع بالدراهم فأرسل اليه الحجاج وقال له ما صنعت بالدراهم التي أعطيتك قال عمدت الى أغمض بيت في الدار فحفرت فيه حفرة ثم دفنت

الدراهم فيها وملأت البيت تبنا وقلت لها هذا آخر عهدك بالدنيا قال فما أردت بملء البيت تبنا قال ان أرادها اللصوص لم يفرغوا من اخراج التبن حتى يدركهم الصباح فيفضحهم فازداد الحجاج عجبا من ضبطه وسر به ووهب له مالا (وقال اعرابى) لرجل هب لى درهما فقال لقد سألت خزيدا الدرهم عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالف عشر ديتك خرجه الخطابى وقال المزيد الكثير ومنه قولهم اذا كان المال ذا مزيد ففرقه فى الاصناف الثمانية يعنى الصدقة واذا كان قليلا فأعطه صنفا واحدا * ووقع فى عيون الاخبار قال كان فلان بخيلا فكان اذا وقع فى يده الدرهم نقره باصبعه ثم أخذه براحته ثم يقول كم مدينة قد دخلتها ودورقد وقعت فيها فالآن استقر بك القرار والمطمأنت بك الدار ثم يرمى به فى صندوق له فيكون آخر العهد به وذكر عن آخر أنه نظر الى درهم فاذا فى شق لا اله الا الله و فى شق محمد رسول الله و فى وجه آخر الله لا اله الا هو الحى القيوم فقال ما ينبغى أن يكون هذا الا معاذة وقذفه فى الصندوق فكان آخر العهد به وكان آخر اذا صار الدرهم فى يده خاطبه وناجاه واستبطأه وفداه وكان يقول بأبى أنت وأمى كم من أرض قطعت وكم من كيس دخلت وكم من خامل رفعت لك عندى أن لا تعرى ولا تضحى ثم يلقيه فى كيسه و يقول اسكن على اسم الله فى مكان لا تزال فيه ولا تزعج عنه ويذكر أن ابليس لعنه الله أخذ أول دينار ضرب فى الارض ووضعه على وجهه وقال بهذا أصطاد قلوب بنى آدم (وعن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال) لما ضرب الدينار والدرهم أخذه ابليس فوضعه على عينيه وقال أنت ثمرة قلبى وقرة عينى بك أطغى وبك أكفر وبك أدخل النار رضيت من ابن آدم بحب الدينار أن يعبدنى (قلت) نعوذ بالله من شر الذهب وشر ابليس الذى ذكره ذهب وجاء فى الذهب (من قول أبى هريرة رضى الله عنه) لابنته قولى أبى أبى أن يحليني الذهب يخشى على حر اللهب (وقال يحيى) بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيتها فلا تأخذها فانها ان لدغتك قتلك سمها قيل ما رقيتها قال أخذها من حلها ووضعها فى حقها (قلت) قوله ووضعها فى حقها يريد أن لا تنفق الا فى الواجبات لا فى المنهيات ولا فى المحرمات ولا فى الملاهى والتنزهات كما يصنع أهل الدنيا يتخذون الاوانى من الذهب والفضة ويقطعونهما الغزل والنسج فى الستور وغيرها لكسوة الحيطان (وقد جاء النهى فى ذلك) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول

قطع الذهب والفضة من الفساد فى الارض قيل معناه ماتقدم وقيل قطعه قرضه للانفاق اذا ضاق الصرف والاول أليق بالمعنى والله أعلم (وقد جاء فى الحديث) أنه نهى عليه الصلاة والسلام أن تكسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الامن بأس ذكره أبوداود وذكر ضعف اسناده وجاء فى الشرب فى آنية الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم أعاذنا الله منها (وجاء فى الاثر) انه لما أخرج آدم عليه السلام من الجنة بكى عليه كل ما كان فى الجنة الا الذهب والفضة فقيل لهما فى ذلك فقالا لانبكى على من عصى الله تعالى فقيل لهما أنتما الحكام فى الارض أوكما ورد الخبر والله أعلم (وقال أبوحامد رحمه الله) انما الذهب والفضة فى الارض بمنزلة الحكام بين الناس فاذا صنع من الذهب والفضة اناء فقد عطل الحكم عن حكمه بمنزلة من أخذ القاضى من الناس وصرفه فى مهنته وعطل الناس عن الوصول الى حقوقهم وقد كان يمكنه أن يصرف غيره فى ذلك كما كان يمكنه أن يتخذ اناء من فخار وهذا من قطع الذهب المنهى عنه فى الشرع أوكما قال رحمه الله هذا معنى كلامه والله أعلم (فصل) وأختم لك هذا الباب بحكايات غراب فيها ذكر الدرهم فاقرأتفهم والحديث يجر بعضه بعضا فاسمعه أيضا (قال الاصمعى رحمه الله) حججت فررت على بعض المناهل فاذا بجارية تسأل الناس وكأن وجهها بدر طالع فقلت لها مثل هذا الوجه يسأل فأخرجت كفا لها من تحت خمار كأنه كف صبى ولطمت به وجهها ثم أنشأت تقول

لم أبده حتى تقضت حيلتى * فبذلته وهو الاعز الاكرم
قد صنته وحجبته حتى اذا * لم يبق لى سبد ومات الهيثم
أبرزته من خدره مقهورة * والله يشهد لى بذاك ويعلم
كشف الزمان قناعه فى بلدة * قل الصديق بها وعز الدرهم

ماله سبد ولا لبد بالتحريك فيهما أى لا قليل ولا كثير

فقلت لها من أنت فقالت أنا المتمناة بنت الهيثم الفزارى قال فرجعت من الحج على رحبة مالك بن طوق أريد الغزو وبها أبو كلثوم فحدثته الحديث ثم مضيت الى طرسوس فأقمت بها عامين ثم رجعت الى أبى كلثوم فاذا بصبى يدب ومعه خرقة فيها صرة لا يقدر على جرها فقال أبو كلثوم هذا ولد المتمناة بنت الهيثم الفزارى أنفذت الى بنى فزارة فوجدتها كما وصفت فتزوجتها وولدت لى هذا الصبى وهذه هديتها بحق دلالتك عليها فأخذت الصرة فاذا فيها مائتا دينار * قولها فى الشعر (وعز

الدرهم) معناه قل تريد الدرهم الحلال والله أعلم كما قال بعض الحكماء شيئان ليس في الدنيا أقل منهما ولا يزدادان الا قلة درهم من حلال تنفقه في وجهه وأخ ثقة تسكن اليه (وأغرب مما تقدم وأعجب) حديث سعيد بن المسيب مع صهره كثير ابن المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنه وعن تلك الجماعة قال كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال أين كنت قلت توفيت أهلي فاشتغلت بها فقال ألا أخبرتنا فشهدناها قال ثم أردت أن أقوم فقال هل استحدثت أهلا فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة فقال أنا قلت وتفعل قال نعم ثم تحمد وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال ثلاثة قال فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فسرت وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت الى منزلي وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر وكان خبزا وزيتا فاذا بالباب يقرع فقلت من هذا قال سعيد قال فأفكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب فانه لم ير أربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت وخرجت فاذا سعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له فقلت يا أبا محمد ألا أرسلت الي فأتيتك قال لا أنت أحق أن تؤتى فقلت فما تأمر قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت أن أبيتك الليلة وحدك وهذه امرأتك فاذا هي قائمة من خلفه في طوله ثم أخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم تقدمتها الى القصعة التي فيها الزيت والخل فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت الى السطح فناديت الجيران فجاؤني فقالوا ما شأنك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم وقد جاء بها على غفلة فقالوا سعيد بن المسيب زوجك قلت نعم وها هي في الدار قال فنزلوا اليها وبلغ أمي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها في ثلاثة أيام قال فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس واذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد علي السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس فلما لم يبق غيري قال ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين ألف درهم (قال

قصة زواج سعيد ابنته بدرهمين

الراوى) وكانت بنت سعيد بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد ابن عبد الملك حين ولاه العهد فأبى سعيد أن يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط فى يوم بارد وصب عليه جرة ماء وألبسه جبة صوف وسيأتى خبره ولم ضرب ومن ضرب معه ونوع من هذا فى فرار الاولياء من الاغنياء (قصة الحسن بن أبى الحسن البصرى رضى الله عنه) قال حميد الطويل رحمه الله خطب رجل الى الحسن فكنت أنا السفير بينهما قال وكان قد رضيه فذهبت يوما أثنى عليه بين يديه فقلت يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم قال له خمسون ألفا اجتمعت من حلال (قلت يا أبا سعيد) انه ما علمت لورع مسلم قال ان كان جمعها من حلال فقد ضن بها عن حق لا والله لا يجرى بينى وبينه صهر أبدا (واغرب من هذا) حديث أبى الدرداء رضى الله عنه وكان فقيها عالما حكيما كان يقول فيه يزيد بن معاوية ان أبا الدرداء من الحكماء الذين يشفون من الداء كانت له بنت خطبها يزيد بن معاوية فرده فقال رجل من جلسائه أصلحك الله أتأذن لى أن أتزوجها قال اعزب ويلك قال ائذن لى أصلحك الله قال نعم قال فخطبها فأنكحها أبو الدرداء الرجل فسار ذلك فى الناس أن يزيد خطب الى أبى الدرداء فرده وخطب اليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه (قال) فقال أبو الدرداء ما ظنك بالدرداء اذا قامت على رأسها الخصيان ونظرت فى بيوت يلتمع فيها بصرها أين دينها منها يومئذ * اسم أبى الدرداء عويمر بن عامر وكنى بابنته هذه واسمها الدرداء وسيأتى تفسير الدرد وبها أيضا كنيت أمها أم الدرداء امرأة أبى الدرداء واسمها خيرة بنت أبى حدرد وكانت خيرة عند اسمها وسيأتى خبرها فى باب السين من هذا الكتاب ان شاء الله واسم أبى حدرد عبد *(فصل)* فى تفسير الرقة والدرهم وفى شرح الابهم أما الدرهم فذكر أهل اللغة أنه فارسى معرب وكسر الهاء لغة فيه وجمعه دراهم وربما قالوا درهام وجمعه دراهيم قال الشاعر

تفسير الرقة والورق

لو أن عندى مائتا درهام * لجاز فى آفاقها ختامى

يقال ختام وخاتام وخاتم بالفتح والكسر مثل طابع وطابع كله بمعنى والجمع الخواتيم كذا رأيته والقياس أن يجمع خاتم على خواتم بغير ياء ويجمع خاتام على خواتيم بالياء على قياس درهام ودراهيم كما قالوا مفتاح ومفاتيح (وأما الرقة) فذكر أبو عبيدة فى كتاب الاموال ان الورق ما كان سكة مضروبة فان كان

حليا أو حلية أو نقدا لم يسم ورقا يريد بهذه التفرقة أنه لا زكاة فى الحلى واحتج بقول النبى صلى الله عليه وسلم حين ذكر الزكاة قال فى الرقة كذا وحين ذكر الربا قال الفضة بالفضة ربا ومثله قال الهروى قال الاستاذ رحمه الله قد جاء فى الحديث خلاف ما قال من ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم عن بيع الفضة بالفضة واباحته بيع الذهب بالورق فدل على أن الورق والفضة شئ واحد وقال فى صفة الحوض يصب فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ورق وحديث عرفجة حين أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق الحديث فدل على أن الفضة تسمى ورقا على أى حال كانت (وجاء فى الحديث أيضا) بالذهب العين والورق العين يريد النقد لان الغائب يسمى ضمارا ويسمى الحاضر عينا لموضع المعاينة فالعين فى الاصل مصدر عنته أعينه اذا أبصرته بعينك وسمى المفعول بالمصدر ومنه نحو الصيد لانه مصدر صدت أصيد (وقد جاء فى التنزيل) لا تقتلوا الصيد فسماه بالمصدر ولعلك أن تلحظ فى هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى ولتصنع على عينى (وقال أبو سليمان الخطابى) التبر جوهر الذهب والفضة يقال للقطعة منه تبرة ما لم تطبع فاذا ضربت دراهم أو دنانير سميت عينا فسر به حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الذهب بالذهب تبرها وعينها والفضة بالفضة تبرها وعينها انتهى كلامه الورق بالكسر الفضة وحكى الفراء فيه ثلاث لغات ورق وورق وورق مثل كبد وكبد وكبد وكلمة وكلمة وكلمة وجمع الرقة رقات ورقون والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة وفى مثل (وجدان الرقين يغطى أفن الافين) الافن الحمق يقول الغنى وقاية للحمق والورق بفتح الواو والراء معلوم ورق الاشجار وغيرها والورق أيضا المال قال كثير

فما ورق الدنيا بدوم لاهلها * ولا شدة البلوى بضربة لازم

ويروى بباق لاهله والرقون بفتح الراء أيضا والرقان اليرنأ بفتح الياء مقصور ويقال اليرناء بضم الياء والهمز والمد وهى الحناء والرقان الزعفران ويقال منه أيضا الرقون ويقال هو الحناء قال المعرى * فاهتاج يكتب بالرقان ويعجم * (ومن أسماء الحناء أيضا) العلام ومنه قول المعرى فى رسالته البديعة فى خبز كره غنيت عن كذا غناء الوصيف عن لبس النظيف والغلام عن الاختضاب بالعلام وأما الايهم فواحد الايهمين وما زال الناس يستعيذون بالله من الايهمين وهما بيان الايهم

السيل والحريق لانهما لا يهتدى فيهما كيف العمل كما لا يهتدى فى الهماء وهى الفلاة التى لا يهتدى لطرقها ولا ماء فيها والايهم البلد الذى لا علم فيه (قال ثابت رحمه الله) وقد قالوا فى تفسير الهماء المفازة لا ماء فيها وكأنه مقلوب من هيماء والله أعلم (وقال الخطابى) وذكر الاعميين اذ فسر حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال تعوذوا بالله من الاعميين ومن قترة وما ولد قال يريد بالاعميين السيل والحريق وهما الايهمان أيضا وقال الشاعر

وهبت اخاءك للايهمين * وللاثرمين ولم تظلم

وسيأتى الشعر بكماله فى باب الطاء ان شاء الله وقال قترة اسم ابليس ويقال كنيته أبو قترة وقال ابن الاعرابى أبو قترة حية خبيثة وقال الاصمعى هو ذكر الافاعى وطوله نحو الشبر وقال صاحب كتاب تاج اللغة انه يقال للفلاة التى لا يهتدى فيها الطريق يهماء وللبر أيهم قال والايهم من الرجال الاصم والايهم الشجاع (قال أبو عبيد) بعد ذكر السيل والحريق وانما قيل له أيهم لانه ليس مما يستطاع دفعه ولا ينطق فيكلم أو يستعتب * وذكر ابن السكيت أن الجمل الصؤول الهائج يسمى أيضا أيهم وقالوا فى الامرين انهما الجوع والعرى وفى الاجوفين الجوف والفرج و فى الحديث ان الامرين غير هذين قال عليه الصلاة والسلام ماذا فى الامرين من الشفاء الصبر والثفاء فالصبر معلوم والثفاء الخردل وسيأتى ذكر الاثرمين فى باب الطاء عند ذكر لفظة الطا ان شاء الله وفسرهما ثابت بالدهر والموت وباب تثنية الاسماء مثل العمرين والقمرين واللابن أحد اللحمين والشعر أحد الوجهين وما أشبهه باب كبير وأثبت لك هنا قطعة زهدية لابن سارة رحمه الله ذكر فى كل بيت منها اسمين من هذا القبيل وهو من أحسن ما قيل

يا من يصيخ الى داعى السفاه وقد * نادى به الناعيان الشيب والكبر
ان كنت لا تسمع الذكرى ففيم ثوى * فى رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاصم ولا الاعمى سوى رجل * لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها * فراقها الثاويان البدو والحضر

تقدم ذكر اربد اسم رجل واربد قيس بن أخى لبيد بن ربيعة لامه وفيه أنزل الله تعالى و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وذلك أنه قدم على رسول الله صلى الله

هلاك اربد وعامر ابن الطفيل

عليه وسلم هو وعامر بن الطفيل يريدان الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عامر لاربد سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ففعل ذلك
وجعل يشغله وينظر الى اربد لا يصنع شيئا والله سبحانه قد منعه منه فلما خرجا من
عنده قال له عامر أين ما أمرتك به قال لا أبا لك لا تعجل على والله ما هممت بالذى
أمرتنى به من أمره الا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك
بالسيف فلما رجعا الى بلادهما بعث الله على عامر الطاعون فى عنقه فقتله الله
ورجع اربد فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما وأنزل الله فيهما الله
يعلم ما تحمل كل أنثى الى قوله شديد المحال والمحال القوة قاله مجاهد وفى اربد هذا
يقول أخوه لبيد يرثيه

أخشى على اربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد

فى أبيات ذكرها ابن اسحاق فى السير وأسلم لبيد وعاش فى الاسلام ستين سنة ومات
فى أيام معاوية رحمهما الله وسيأتى ذكره فى باب الراء من هذا الكتاب ان شاء الله

حديث عاصم

وتقدم فى الباب ذكر الدبر ومنه حديث عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح رضى الله عنه
حين قتل كانت فيه آية وعجب أرادت هذيل أن يأخذوا رأسه فبعث الله عليه
مثل الظلة من الدبر فحمته فلم يقدروا عليه ولذلك قيل له حمى الدبر وكانت الزنابير

ابرة الذراع مستدقها

التى أرسلها الله عليه كبارا كابرة الذراع فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى
يمسى فتذهب عنه فنأخذه فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به وكان قد
أعطى الله عهدا أن لا يمس مشركا ولا يمسه مشرك فكان عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يقول حين بلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر أن
لا يمسه مشرك وأن لا يمس مشركا أبدا فى حياته فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه
فى حياته (ومن الدبر) أيضا ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه لما ارتدت
العرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد غزوهم واستشار فى ذلك
الصحابة رضى الله عنهم فكلهم ترخصوا فى تركهم الى أن يشتد أمر المسلمين وأشار
عليه بعضهم أن يترك لهم صدقة عامهم (فقال) والله لأن أخر من السماء أحب
الى من أن يكون هذا رأيى والله لو لم أجد ما أقاتلهم به الا الدبر لقاتلتهم به فامتلأ
المسجد عليهم من الدبر (أو كما قال هذا) معناه رضى الله عنه وعنهم (وتقدم) أيضا
فى الباب من ذكر الدبرة حديث ابن مسعود رضى الله عنه حين اقتطع رأس أبى جهل

مقتل أبي جهل

لعنه الله فأردت أن أسوقه في هذا الكتاب بكماله وأذكر من قتله وأخذ سلبه * خرج مسلم رحمه الله عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال بينما أنا واقف في الصف يوم بدر إذ نظرت عن يميني وشمالي فإذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة أسنانهما فتمنيت أن لو كنت بين أضلع منهما فغمزني أحدهما فقال يا عم هل تعرف أبا جهل قال قلت نعم وما حاجتك إليه يا ابن أخي قال أخبرت أنه يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا قال فتعجبت لذلك فغمزني الآخر فقال مثله فلم أنشب أن نظرت الى أبي جهل يجول في الناس وفي رواية أخرى يرفز في الناس (فقلت) ألا تريان هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر في السيفين فقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء وفي مسلم أيضا عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل فانطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل فقال وهل فوق رجل قتلتموه قال أو قال قتله قومه زاد ابن اسحاق في السير قال عبد الله ابن مسعود فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلي على عنقه قال وقد كان ضبث بي بمكة فآذاني ولكزني ثم قلت هل أخزاك الله يا عدو الله قال وما أخزاني الله أعمد من رجل قتلتموه أخبرني لمن الدائرة اليوم ويروى الدبرة قال قلت لله ولرسوله وقال ابن هشام وقال أعار على رجل قتلتموه أخبرني لمن الدبرة اليوم قال ثم احتززت رأسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل وذكر الحديث وفي آخره فألقيت رأسه بين يديه فحمد الله وفي هذا الحديث حتى برد أي مات وهو من الباب (ومعكوسه درب) وقد تقدم وأزيدك من خطابي ما ذكره الخطابي (قال أخبرني) أبو عمر عن ثعلب عن ابن الاعرابي قال سمعت أبا المكارم يقول كان منافق له في الحي علقة وكان عفيف الخلوة فجاءها يوما وهي في بيتها فدخل يتحدث اليها فأسرع الخروج فقيل له مالك قال منعني البرد قال فدخلنا فاذا الجارية ميتة (ومن البرد) حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

أنه شرب النبيذ بعد ما برد عليه أي سكن قال وقد يكون النوم انما سمى بردا لهذا المعنى وذلك أنه يرخى المفاصل و يسكنها وزعم بعضهم أنه انما سمى بردا لانه يبرد حرارة العطش و يسكنها ذكر هذا في تفسير حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه نحو المدينة خرج بريدة الاسلمي في ركب من أهل بيته من بني سهم فتلقى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال له من أنت فقال بريدة قال فالتفت الى أبي بكر فقال يا أبا بكر برد أمرنا وصلح (وقال) قوله برد أمرنا فيه قولان أحدهما سهل أمرنا ومنه قولهم الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة و يقال عيش بارد أي ناعم سهل ومن هذا قولهم في الدعاء للميت اللهم برد عليه مضجعه والقول الآخر معناه ثبت أمرنا واستقام من قولهم برد لي على فلان حق أي ثبت و وجب قال وفيه وجه آخر أن يكون برد بمعنى ضعف وفتر وهو يريد به أمر قريش والخارجين في أثره من الطلب يقال جد فلان في الامر ثم برد أي فتر ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم من صلى البردين دخل الجنة فسره أيضا الخطابي قال الغداة والعشى قال وهما الابردان وأنشد * اذا الارطى تسوّد أبرديه * البيت وانما قيل أبردان لطيب الهواء و برده في هذين الوقتين وقد جاء في حديث آخر حافظ على العصرين وفسره كذلك الغداة والعشى وجاء في الحديث اذا اشتدّ الحرّ فأبردوا عن الصلاة فان شدّة الحرّ من فيح جهنم و يقال أبردت بريدا اذا أرسلت رسولا ودار البريد مشهورة عند الامراء والبريد اثنا عشر ميلا وقد تقدّم وتقول بردت الماء و بردت بالتثقيل والتخفيف لغتان قال ثابت وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحمى أنه أمرنا أن نبردها بالماء والرجل مبرد و بارد وأنشد

قد علمت أني مروّي هامها * و بارد الغليل من أوامها

تقول العرب اسقني وأبرد أي اسقني باردا واسقني وابرد غليلي وأنشد

هذا بردت ببرد الماء ظاهره * فمن بحرّ على الاحشاء تتقد

وقد تقدّم هذا البيت وماقبله وحكايته ومن قاله والحمد لله * اقنع أيها الولد بما ورد عليك في برد (وأزيدك فائدة أخرى) أيها الحر في البرد الذي هو ضدّ الحر وكلاهما من نفس جهنم أعاذنا الله منها خرج مسلم رضي الله عنه في باب الابراد بالصلاة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا اشتدّ الحرّ فأبردوا بالصلاة فان شدّة الحرّ من فيح جهنم وفي حديث آخر قالت النار رب أكل بعضي بعضا فأذن لي أتنفس

فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فما وجدتم من برد أو زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر وحرور فمن نفس جهنم وهذا الا يابق له الانسان بالا بل يتكلم في شدتهما بما يكون عليه وبالا يروى أن رجلا رؤى في النوم بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه وقال كلاما فيه شدة ثم قال لي قد غفرت لك يا شيخ السوء على فضول كان فيك كنت تقول هذا يوم حار هذا يوم بارد أمد براغير الا له تريدون قال بعض العلماء ينبغي للانسان اذا رأى شدة البرد والحر أن يتذكر جهنم فيتعوذ بالله منها فتحصل له عبادة ور بما يستجاب له لانه يروى أنه ما استعاذ أحد من جهنم الا قالت اللهم أعذه مني * تقدم في الحديث فيح وهو وهج النار وتوقدها يقال فاحت النار فيحا وفاح الطيب فوحا وتقدم من هذا اللفظ دبار

أيام الاسبوع

اسم ليلة الاربعاء وللايام أسماء غير هذه المشهورة وهي عند العرب مذكورة وقد جمعها الشاعر

أؤمل ان أعيش وأن يومي * بأول أو بأهون أو جبار

أو التالي دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

فأول هو الاحد وأهون يوم الاثنين وامش على هذا السمت الى شيار وهو يوم السبت * ومن عروبة قول الحريري في احدى مقاماته يوم عروبة وقد كابدت الصعوبة (ومن لفظ دبر) جمع دبرة ما جاء في الحديث أن أهل الجاهلية كانوا يرون العمرة في صفر من أفجر الفجور في الارض وكانوا يقولون اذا برا الدبر وعفا الاثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر (ومن الدبر) قول سفيان الثوري رحمه الله وقال له رجل مضى الناس فأصبحنا على حمير دبرة فقال ما أحسن حالها ان كانت على الطريق تخرجه ثابت وقال دبر ظهر الدابة من الدبر وأدبر الرجل اذا رث وبعير أدبر (قال) وسمعت رجلا من الاعراب ينشد لغزا

فما راكب أبصرته فوق مركب * يحث النار كضه وهو مدبر

وقول سفيان ما أحسن حالها ان كانت على الطريق يريد أن البطيء اذا كان على

اللاحق البطيء

القصد يدرك بالالحق غاية الجواد المخفق وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه القصد والدوام وأنت الجواد السابق وجاء في الحديث ان المنحقق لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى يقال حقحق في السير وهقهق اذا سار سيرا متعبا وقالوا شر السير الحقحقة وفي رواية ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وهو بمعناه ولي من هذا

المعنى من قطعة مطولة أنظرها بكمالها فى كراسة الزهد من التكميل

وأطع الهلك ما استطعت ولا تكن * فى السير منبتا ولكن فارفق
فالرفق زين والمعدّ لسيره * لا أرضه انقطعت ولا ظهر بقى
فاطلب لنفسك فوزها وانظر لها * نظر الشفيق وخف عليها واتق
من ليس يرحم نفسه ويصدّها * عما يهلكها فليس بمشفق

ذكر البدر

وقد تقدم ذكر البدر وفى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وليلة البدر هى ليلة أربعة عشر تسمى بذلك لامتلائه وتمامه ومنه قيل عين بدرة أى عظيمة (قال امرؤ القيس) * وعين لها حدرة بدرة * البيت وبدر اسم رجل احتفر بئر بدر فسميت به كما سميت خيبر باسم رجل من العماليق نزلها ووقع فى كتاب البخارى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر بقدر فيه خضرات وبقول وفى رواية ببدر مكان قدر وفسره فى الطرة فقال هو الطبق فان كان محفوظا سمى به لاستدارته وتمامه كما تقدم والله أعلم وكل شئ تم فهو بدر ولذلك قيل لعشرة آلاف بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه قاله ابن قتيبة رحمه الله وقال غيره والبدر جلد السخلة اذا فطم ويحتمل أن يدبغ هذا الجلد فيصير كيسا فتجعل فيه هذه العدة من الدراهم فسميت الدراهم به على مذهب العرب فى تسميتهم الشئ باسم الشئ اذا كان بسببه أو مجاورا له كما سموا الغائط باسم الموضع المطمئن لقضاء ذلك فيه وكما سموا المطر سماء لنزوله منها الى غير ذلك *(فائدة)* زائدة تقدم كل شئ تم فهو بدر قلت وفى ضمن هذا الكلام موعظة لو تدبر وذلك أن كل شئ من النبات والحيوان وجميع الامور الموجودة الاعيان نعم حتى الانسان اذا انتهى وتم أخذ فى النقصان ألم تسمع قول الشاعر

كل شئ اذا تناهى تواهى * وانتقاص البدور عند التمام

وقال آخر

اذا تم أمر بدا نقصه * فحاذر زوالا اذا قيل تم

وقال آخر

كأن الفتى يرقى من العمر سلما * الى أن يجوز الاربعين فينحط

وفى كتاب الدلائل لثابت رحمه الله الشكوة مسك السخل اذا رضع فاذا فطم وفطامه أن يدع الرضاع فمسكه يقال له البدرة فاذا أجذع فجلده سقاء وجمع السقاء أسقية والسقاء للماء وهى القربة واذا بلى فهو الشن والشنة ومنه ثم قام الى شن معلق جمعها شنان وشنات ومنه قولهم ولا يقعقع لى بالشنان ومنه المثل وافق شن

شن وطبقة

طبقه وافقه فاعتنقه قيل فى تفسيره أقوال ذكرها الحريرى رحمه الله وذكر آخرها الرجل الذى ألزم نفسه أن لا يتزوج الا امرأة تلائمه وكان اسمه شنا فكان يجوب البلاد الى أن صحب فى طريقه الرجل الذى قال له شن أتحملنى أم أحملك فقال له ياجاهل وهل يحمل الراكب ولما استقبلتهما الجنازة قال شن أترى صاحبها حيا فقال له ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا الى القبر حيا ولما أتيا على الزرع قال شن أترى هذا الزرع قد أكل فجهله كذلك أيضا ثم لما انتهيا الى قرية الرجل جعل يحدث ابنته بحديثه ويطرفها به وكان اسمها طبقة فقالت له ما نطق الا بالصواب أما قوله أتحملنى أم أحملك فانه أراد قطع الطريق بالحديث وأما الجنازة فانه أراد هل ترك بعده عقبا يحيى ذكره به وأما الزرع فأراد هل استسلف أهله ثمنه أم لا فأخبر الرجل بذلك شنا فخطبها اليه فتزوجها فقيل وافق شن طبقه هذا معنى كلام الحريرى رحمه الله وشبيه بهذه القصة ما خرج ثابت رحمه الله ذكر بعض الناس ان امرأة يقال لها صدوق وكانت مفوهة قالت لا أتزوج الا من يرد على جوابى فجاءها خاطب فوقف ببابها فقالت من أنت قال بشر ولد صغيرا ونشأ كبيرا قالت أين منزلك قال على بساط واسع وبلد شاسع قريبه بعيد وبعيده قريب قالت ما اسمك قال من شاء أحدث اسما ولم يكن ذلك عليه حتما قالت كأنه لا حاجة لك قال لو لم تكن لى حاجة لم آتك لحاجة وأقف ببابك وأتصل بأسبابك قالت سر حاجتك أم جهر قال سر وستعلن قالت فأنت اذا خاطب قال هو ذاك قال فرضيته فتزوجها ساق هذا الخبر شاهدا على أن الحتم ايجاب الامر والقضاء يقال أمر واجب ومكتوب ومفروض ومحتوم ومنه قيل للقاضى حاتم فسر به حديث ابن مسعود رضى الله عنه انى لادع الاضحية وأنا من أيسركم كراهية أن يعلم الناس أنها حتم واجب واشترى ابن عباس رضى الله عنهما لحما بدرهم وقال اعلم من لقيت أنها أضحية ابن عباس (قال ثابت) وجمع الحتم حتوم قال وفى كراهية ثلاث لغات كراهية وكراهة وكراهين قال وقال أبو زيد سمعت اعرابيا من بنى تميم يقول أتيتك كراهين أن تغضب والعرب تسمى الغراب حاتما لانهم كانوا اذا رأوه حتموا بالفراق كما قال المرقش

ولقد غدوت وكنت لا * أغدو على واق وحاتم
فاذا الاشائم كالايا * من والايامن كالاشائم

وكذلك

وكذاك لا خير ولا * شر على أحد بدائم
قد خط ذلك في الزبو * ر الاوليات القدائم

وكانوا يكتبون الحكم في الحجارة وقيل سمي الغراب حاتما لسواده والحاتم الخالص السواد والواقي الصرد على مثال القاضي وقيل هو الواق بكسر القاف من غير ياء وانما سمي بذلك لحكاية صوته (قلت) وهذا القول من هذا الشاعر قول مؤمن بالقدر مكذب بالطير لقوله عليه السلام لا طيرة وكانوا في الجاهلية يتطيرون بالبارح والسارح وبما طار لهم من جهة اليمين الى الشمال ومن الشمال الى اليمين فهدم ذلك الاسلام ونهى عنه عليه السلام فقال أقروا الطير على مكناتها

النهي عن الطيرة

و يروى مكناتها بضم الكاف أي على أمكنتها ويروى وكناتها أي على مواضعها فلا تزجروها ولا تلتفتوا اليها فانها لا تضر ولا تنفع وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذا من أمر الجاهلية وأن المسلم ربما وقع في نفسه من هذا شئ فعلم كيف المخرج منه فقال صلى الله عليه وسلم واذا تطيرت فامض أي لا تلتفت الى الذي وقع في نفسك فاذا فعل هذا الانسان فقد تحقق بالايمان وسلم من الشيطان وقد جاء في القرآن العزيز ذكر التطير في مواضع انا تطيرنا بكم قالوا طائركم معكم قال بعض أهل اللغة الطير الاسم من التطير ومنه قولهم لا طير الا طير الله كما يقال لا أمر الا أمر الله وأنشد الاصمعي قال أنشدنا الاحمر

ستعلم أنه لا طير الا * على متطير وهو الثبور
بلى شئ يوافق بعض شئ * أحايينا و باطله كثير

وقال ابن السكيت يقال طائر الله لا طائرك ولا يقال طير الله و يروى عن ابن جبير أنه قال سأل كعب الاحبار عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له هل تتطير قال نعم قال فكيف تقول اذا تطيرت قال أقول اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا رب غيرك ولا قوة الا بك فقال كعب أنت أفقه العرب وانها لكذا في التوراة (قلت) انا لله وانا اليه راجعون قد ترك ما يعلم وأكثر ما تأتي الطوام من قبل العوام وممن لا علم عنده يمر الطائر اليوم على الدار فيقول الرجل خير بالطير وتريد المرأة على ذلك أشياء من الكلام الجلف فهلا قالوا خير يا الله وأي خير أو شر عند الطائر لكن أين العالم وأين الموفق وكثيرا ما أقول في مثل هذا * ياصاحبي ياصاحبي * ليس الفلاح بسائب * والنحي والحميت للسمن والعسل وجمعها حمت وأنحاء

ومنه المثل أشغل من ذات النحيين وذات النحيين امرأة من بنى تيم الله بن ثعلبة اسمها خولة كانت تبيع السمن فى الجاهلية وحديثها مشهور وكان صاحبها خوات ابن جبير رضى الله عنه ومن شعره فى ذلك * فشدت على النحيين كفا بخيلة * البيت وهذه الاخبار التى كانت فى الجاهلية قد جنبها الاسلام فلا معنى لذكرها لولا فائدة فى الاشارة اليها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله عنها وتبسم فقال يارسول الله قد رزق الله خيرا وأعوذ بالله من الحور بعد الكور وسيأتى تفسير هذه اللفظة ان شاء الله ويروى أيضا أنه قال له مافعل بعيرك الشارد قال قيده الاسلام يارسول الله وكان عليه السلام قد مر بخوات هذا وهو جالس الى نسوة أعجبه حسنهن وذلك فى الجاهلية أيضا فسألهن أن يفتلن له قيدا لبعير زعم أنه شارد فأعرض عنه وعنهن صلى الله عليه وسلم فلما أسلم سأله عن ذلك وتبسم صلى الله عليه وسلم واذ وقع ذكر خوات هنا فأذكر لك من فضله ما أمكن يكنى أبا عبد الله وقيل أبا صالح وكان أحد فرسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بدريا وقال عليه السلام لن يلج النار أحد شهد بدرا والحديبية وقيل لم يشهد بدرا خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى بدر فلما بلغ الصفراء أصاب ساقه حجر فرجع الى المدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه وكان شاعرا كما تقدم وخرج مرة للحج مع عمر بن الخطاب وأبى عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف فقال له القوم غننا من شعر ضرار فقال عمر دعوا أبا عبد الله فليغن من بنيات فؤاده يعنى من شعره قال فمازلت أغنيهم حتى كان السحر فقال عمر ارفع لسانك ياخوات فقد أسحرنا ويشبه قول خوات للنبى عليه السلام قيده الاسلام يارسول الله قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام قيد الفتك وقريب من قصة خوات قصة أبى سهم واسمه يزيد بن أبى شيبة رضى الله عنهما قال مرت بى امرأة فى بعض أزقة المدينة فأخذت بكشحها وجبذت خاصرتها فأصبح الرسول عليه السلام يبايع الناس فأتيته فمددت يدى لابايعه فقبض يده عنى وقال لى ألست صاحب الجبذة بالامس فقلت يارسول الله بايعنى فوالله لا أعود أبدا بعدها فبايعنى صلى الله عليه وسلم (والوطب) للبن وجمعه وطاب ومنه * ولو أدركته صفر الوطاب * والذارع للخمر وجمعه ذراع قال ابن قتيبة واسم الزق يجمع ذلك كله والاهاب الجلد غير المدبوغ ومنه الحديث اذا دبغ الاهاب فقد طهر وفى لفظ آخر أيما اهاب دبغ فقد طهر قال بعض العلماء

خوات بن جبير

الاهاب كل جلد أكل لحمه وقال النضر بن شميل يقال فيه اهاب وان لم يؤكل لحمه واحتج بقول عائشة رضى الله عنها فى أبى بكر رضى الله عنه أقر الرؤس على كواهلها وحقن الدماء فى اهابها و يقال له أيضا مسك وفى حديث آخر خرجه الدارقطنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بمسك الميتة اذا دبغ وفى كتاب أبى داود قال النضر بن شميل انما سمى الاهاب مالم يدبغ فاذا دبغ يقال له شن أوقربة انتهى كلامه و يجمع على أهب مثل أدم وأفق وعمد على غير قياس جمع أديم وأفيق وعمود والجمع أيضا أهب بالضم وهو القياس مثل كتاب وكتب وجاء أهب بالضم فى الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال دخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو متكئ على زمل حصير قد أثر فى جنبه وذكر الحديث وفيه فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت شيئا يرد البصر الا أهبا ثلاثة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع الله على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا ثم قال أفى شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم قد عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا فقلت استغفر لى يا رسول الله ووقع فى هذا الحديث ذكر البيت والسرير أما بيوته عليه الصلاة والسلام فكانت تسعة بعضها من جريد مطين بالطين وسقفها جريد و بعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض مسقفة كذلك بالجريد وقال الحسن بن على كنت أدخل بيوت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا غلام مراهق فأنال السقف بيدى وكانت حجره عليه السلام أكسية من شعر مربوطة من خشب عرعر وكان سرير عائشة الذى ينام عليه النبى صلى الله عليه وسلم من خشبتى ساج منسوج بالليف وعليه حمل أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى قبره حيث دفن فى بيت عائشة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و بيع ذلك السرير فى ميراثها فى زمن بنى أمية فاشتراه رجل من موالى معاوية بأربعة آلاف درهم فجعله للناس قاله ابن قتيبة ولما توفى أزواجه رضوان الله عليهن وسلامه عليه خلطت البيوت والحجر بالمسجد وذلك فى زمن عبد الملك بن مروان فلما ورد كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء كيوم وفاته عليه السلام وفى تاريخ البخارى أن بابه عليه السلام كان يقرع بالاظافر أى لا حلق له (والميتة) الجلد فى الدباغ ومنه الحديث واذا هى تمعس منيئة لها والافيق قال صاحب العين * الاديم والجمع أفق وفى الحديث من هذا عن عمر بن الخطاب أيضا

فى رواية من الحديث الاول فنظرت ببصرى فى خزانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا أنا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثلها قرظ فى ناحية الغرفة واذا أفيق معلق قال فابتدرت عيناى قال ما يبكيك يا ابن الخطاب قلت يا نبى الله ومالى لا أبكى هذا الحصير قد أثر فى جنبك وذكر الحديث (وأفيق) أيضا اسم موضع جاء منه فى الحديث فى شأن الدجال ثم يسير حتى يأتى الشام فيهلكه الله عند عقبة أفيق *(فصل)* وتقدم درب وأنه باب السكة الواسعة والمدخل الى بلاد الروم ومنه قول امرئ القيس * بكى صاحبى لما رأى الدرب دونه * البيت وفى الدلائل قال الاصمعى أنشدنا شعبة بن الحجاج

تذكرت ليلى ودها وصفاءها * فأحببها لو أستطيع لقاءها

ضربت ابن عبد الله ضربة ثائر * لها سبب لولا الشعاع أضاءها

ملكت بها كفى فأنهرت فتقها * ترى قائما من دونها ما وراءها

(قال) ثم كسر شعبة وقال ليس هذه طعنة انما هى سبب فى جنبه درب قال الاصمعى هذا من الافراط لو كان هذا رزية ما زاد قال ومثله قول النابغة

يقد السلوقى المضاعف نسجه * ويوقد بالصفاح نار الحباحب

يصف السيف أنه يقطع الدرع ولابسه وينتهى الى الارض ويصادف الحجر فيطير منه الشرار وتقدم ذكر (درب) وجاء منه فى الحديث الذى أرويه عن الحافظ رحمه الله بالسند المتصل الى حذيفة رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان فى لسانى ذربا على أهلى وقد خشيت أن يدخلنى النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين أنت من الاستغفار انى لاستغفر الله عز وجل فى كل يوم مائة مرة ومن الذرب قول الاعشى المازنى واسمه عبد الله ابن الاعور وشكى امرأته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

يا مالك الناس وديان العرب * انى لقيت ذربة من الذرب

كالذئبة العبساء فى ظل الدرب * خرجت أبغيها الطعام فى رجب

فخلفتنى بنزاع وحرب * أخلفت الوعد ولطت بالذنب * وهن شر غالب لمن غلب

ويروى أنه أنشده يا مالك الملك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مه ذلك الله ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أنشد قوله وهن لمن غلب شر غالب فيقول من حضر أشهد أنك رسول الله لقوله تعالى وماعلمناه الشعر

وما ينبغي له (وتقدم ذكر دثر) والدثار ما يكون فوق الشعار ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار والشعار من الثياب ما يلصق بجلد الانسان والدثار ما يكون فوقه يريد والله أعلم ان الانصار ألصق بي وامس من غيرهم وهذا امثل والله أعلم ومن الشعار قول النبي صلى الله عليه وسلم اذ ألقى حقوه الى النسوة اللاتي كن يغسلن ابنته وقال أشعرنها اياه يريد اجعلنه مما يلي الجسد لتنالها بركته صلى الله عليه وسلم والحقو الازار ويقال القوم أهل دثر أي كثرة مال ومن الدثار قول النبي صلى عليه وسلم اذ فجأه الوحي وارتاع لذلك دثروني دثروني وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها المدثر ومثله يا أيها المزمل أصله المتدثر والمتزمل وينظر هذا الى قوله عليه الصلاة والسلام أنا النذير العريان كأنه يقول كره لي أن أنذر وأمرت بالانذار فها أنا قد تجردت لذلك فأنا النذير العريان والله أعلم بما أراد من ذلك وقد فسر النذير العريان بغير هذا قيل هو الذي جرده العدو فأقبل عريانا ينذر به فهو أدل شئ على صحة قوله وقيل هو الذي يجرد ثوبه ويشير به مع صياحه وانذاره بالعدو والله أعلم وتقدم أيضا ثرد من الثريد قال الشاعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وعمرو هذا هو هاشم بن عبد مناف والد عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم وانما سمي هاشما لهشمه الثريد كما ذكر الشاعر ومعنى مسنتين مجدبين أصابتهم السنة وهو القحط وعجاف معناه ضعفاء مهزولون وجاء ذكر الثريد في الحديث حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ثم قال وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام قال بعض العلماء انما يريد بذلك أنها تزيد على سائرهن بالعلم وهو الفضل وهو الزيادة وأربع والثريد في الربع الثالث وذلك انك تأخذ مدا من طعام فتطحنه فيصير أكثر من مد اذا كلته ثم تعجنه فيزيد ربعا ثانيا ثم تثرده فيزيد ربعا ثالثا وينتهي فبذلك أراد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله كفضل الثريد والله ورسوله أعلم وكذلك عائشة رضي الله عنها كانت أعلم أزواجه عليه السلام بسيره وأخباره وجاء عنها حديث كثير وعلم كبير روت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ألفين ومائتي حديث وعشرة أحاديث رضي الله عنها وكان مسروق رضي الله عنه اذا حدث عنها يقول حدثتني الصادقة ابنة الصديق البريئة المبرأة بكذا وكذا وقال هشام بن عروة عن أبيه ما رأيت أحدا أعلم بفقه

فضل عائشة

ولا بطب ولا بشعر من عائشة ما كان ينزل بها شئ الا أنشدت فيه شعرا حتى يروى أنها دخلت على أبيها أبي بكر رضى الله عنه وهو فى الموت فأنشدت

واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فقال لها رضى الله عنه يا بنية لا تقولى هذا ولكن قولى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وقال الزهرى لو جمع علم عائشة الى علم جميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وجميع النساء لكان علم عائشة أفضل وكانت رضى الله عنها يقال فيها رجلة الرأى وكانت تكنى أم عبد الله فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قالت له كل صواحبى لهن كنى غيرى تكنى بابن أختك عبد الله ابن الزبير ويروى بابنك لانها كانت قد استوهبته من أبويه وكان فى حجرها وعدّها أمّا يروى عنها رضى الله عنها أنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت أغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتوقد نورا قالت فبهت فنظر الىّ وقال مالك فقلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتوقد نورا فلو رآك أبو كبير الهذلى لعلم أنك أحق بشعره قال وما يقول يا عائشة أبو كبير الهذلى قالت يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل

واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فى يده وقام الىّ فقبل ما بين عينى وقال جزاك الله يا عائشة خيرا ما سررت منى كسرورى منك وقال عروة لعائشة يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة أبى بكر ولا أعجب من علمك بالشعر وأيام الناس أقول ابنة أبى بكر كان أعلم الناس ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ومن أين هو وما هو قال فضربت على منكبى وقالت أى عروة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم فى آخر عمره فكانت تقدم عليه الوفود من كل وجه فتنعت له وكنت أعالجه فمن ثم وروى هشام بن عروة عن أبيه قال ما رأيت أحدا من الناس أعلم بالقرآن ولا بفريضة ولا بحلال ولا بحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب ولا بنسب من عائشة رضى الله عنها * رجع الكلام الى الثريد يا أيها الرجل المريد وقع ذكر الثريد فى جامع معمر بزيادة فائدة عن قتادة وأبان يرفعه فقال فيه كفضل الثريد باللحم ذكره الاستاذ

رحمه الله وقال وجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال في حديث آخر سيد أدم الدنيا والآخرة اللحم مع أن الثريد اذا أطلق لفظه فهو ثريد اللحم أنشد سيبويه

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

ومن الثريد المتقدم الذكر ما ذكره ثابت في حديث شريح القاضي رحمه الله ذهب رجل الى منزله برجل فأطعمه ثريدا وتمرا وزبدا ثم راح به الى شريح فقال اشهد لي فتقدم الرجل فقال له شريح بم تشهد فقال

شهدت بأن التمر والزبد طيب * وان الثريد الانبجاني صالح

فقال شريح وأنا أشهد فلم يزل يرددها عليه حتى فطن شريح فقال اطلبوا الرجل فطلب فلم يوجد وفسر ثابت الانبجاني الذي قد روي من الودك وقيل هو العجين الحامض قال ولم يأت في الكلام على افعلان الا انبجان وأرونان ووقع في الحديث من هذا اللفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ من أبي جهم انبجانية له رواه الزهري انبجانيه بالتذكير والانبجاني كساء صوف غليظ لا علم فيه يقال كساء انبجاني فعلى هذا لا يؤنث الا أن يكون أراد خميصة وقال ابن قتيبة انما هو كساء منبجاني بفتح الباء قال ولا يقال منبجاني لانه منسوب الى منبج وفتحت باؤه في النسب لانه خرج مخرج منظراني ومخبراني وقال ثعلب الانبجاني بفتح الباء وكسرها كل ما كثف والتف قالوا شاة انبجانية أي كثيرة الصوف وقال غير ابن قتيبة جائز أن يقال انبجاني كما جاء في الحديث لانه رواية عرب فصحاء ومن النسب ما لا يجري على قياس وانما هو مسموع هذا لو صح أنه منسوب الى منبج (قلت) وقول الشاهد لشريح شهدت بأن التمر والزبد طيب هو من التعريض الممدوح القائم عند اللقن الفطن مقام التصريح ومنه في الكلام كثير وكذلك في الشعر فمن ذلك ما قاله بعض العرب لقوم منهم قتل أبوهم فلم يطلبوا دمه ورضوا بأخذ الدية فقال يعيرهم بذلك وكانوا أخذوا ديته تمرا

ألا أبلغ أبا وهب رسولا * بأن التمر حلو في الشتاء

وقيل لآخر في مثل ذلك وكان أخذ في دية أبيه ابلا

اذا صب ما في الوطب فاعلم بأنه * دم الشيخ فاشرب من دم الشيخ أودع

يقول ان الذي تشربه من ألبان الابل التي أخذتها في الدية انما هو دم أبيك وقال آخر في ضد هذا وانه لم يرض بأخذ الدية

لا يشربون دماءهم بأكفهم * ان الدماء الغاليات تكال

يقول لسنا من القوم الذين يقبلون الدية فيشربون ألبان الابل فاذا شربوها فكأنهم شربوا دماء أوليائهم والدم الغاليات تكال أى يسفك بها أمثالها وقال آخر فى مثل ذلك

وطل يضوز التمر والتمر نافع * بورد كلون الارجوان سبائبه

يقول أخذ الخمر فى الدية بدلا عن الدم الذى لونه كالارجوان يقال ضاز التمرة يضوزها ضوزا اذا لاكها فى فيه ويقال أيضا ضازه يضيزه حقه اذا بخسه وضاز جار فى الحكم ومنه قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى أى جائرة وهى فعلى مثل طوبى وحبلى وانما كسروا الضاد لانه ليس فى الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى والدفلى قال الفراء وبعض العرب يقول ضأزى وضؤزى وحكى أبو حاتم أنه سمع العرب تهمز ضيزى وسيأتى الكلام على طوبى فى باب اللام ان شاء الله واختم لك هذا البويب بخبر أبى ذؤيب الشاعر تقدم فى هذا الشعر البيت الذى قال فيه الاصمعى أبرع بيت قالته العرب بيت أبى ذؤيب

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

وهذا البيت ذكره ابن البستى فى كتاب القناعة وقرأته على الحافظ السلفى رحمه الله وفى هذا الشعر حكم وفوائد وأوله

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحبا * منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع
أوما لجنبك لا يلائم مضجعا * الا أقض عليك ذاك المضجع
فأجبتها أن ما لجسمى أنه * أودى بنى من البلاد فودعوا
أودى بنى فودعونى حسرة * بعد الرقاد وعبرة ما تقلع
فالعين بعدهم كأن حداقها * سملت بشوك فهى عبرى تدمع
سبقوا هواى وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع
واذا المنية أنشبت أظفارها * ألفيت كل تميمة لا تنفع

فى أبيات كثيرة يرثى بها بنيه وكانوا خمسة أصيبوا فى عام واحد وكان مسلما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يره كان يحدث قال بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزنا وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ولا يطلع نورها فظللت أقاسى طولها حتى اذا كان قرب السحر أغفيت فهتف بى هاتف وهو

يقول

يقول خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومعقد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فتفاءلت به ذبحا يقع في العرب وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض أو هو ميت من علته فركبت ناقتي وسرت حتى قدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام (فقلت مه) قالوا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت الى المسجد فوجدته خاليا فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت بابه مرتجا وقد خلا به أهله فقلت أين الناس فقيل بسقيفة بني ساعدة فأتيت الى قريش وتكلمت الانصار فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب فتكلم أبو بكر فلله دره من رجل لا يطيل الكلام * ويعلم مواضع فصل الخصام * والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع الا انقاد له ومال اليه ثم تكلم عمر بعده بدون كلامه ومد يده فبايعه وبايعوه ورجع أبو بكر ورجعت معه ورثى النبي صلى الله عليه وسلم في أبيات حسان نفعه الله ثم انصرف الى باديته فأقام بها حتى خرج غازيا الى أرض الروم فمات بها مجاهدا وقال عند موته رضي الله عنه

أباعبيد رفع الكتاب * واقترب الموعد والحساب

في أبيات له رحمه الله تعالى (قلت هذا) ما أمكنني كتبه أيها السيد العمر من باب زيد أطال الله لك العمر (فلنأخذ) في باب عمرو * تكلم العلماء في الحاق الواو به دون عمر وجعلوا العلة فيه الفرق وخصوه بالزيادة لخفته قالوا وفيه زيادة لا شك ولي في هذا المعنى وقد حصرت الياء والراء في شعر أوله

حكمة زيادة واو عمرو

لي خليل ألزمت نفسي هواه * كالتزامي للكسر في راء جير
وأنا مثل واو عمرو لديه * زائدا أو كمثل ياء زهير
أو كأن بعد ماوان بعدلما * مقبلي عنده سواء وسيري
عجبا لي أنا به مستهام * وهو لاه عني ولوع بغيري
أنا راض منه اذا قلت يوما * كيف أصبحت أن يقول بخير

في أبيات كثيرة أنظرها في التكميل رجع الكلام الى عمرو تقدم انه بغير واو واحد عمور الاسنان وفسر وجاء منه في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في شأن السواك مازال جبريل يوصيني به حتى خشيت على عموري (وفي حديث آخر) لقد

أمرت بالسواك حتى خشيت أن يدردني (الدرد) أن تسقط أصول الاسنان وبه سمي الرجل أدرد وفي الصحابة أبو الدرداء وأم الدرداء رضي الله عنهما وسيأتي بعد هذا منه طرف فيه طرف في باب الواو من هذا الكتاب ان شاء الله (والسواك) مرغب فيه وحسبك ان الرسول عليه السلام قال لولا ان أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل وضوء وروى البزار في حديثه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فضل الصلاة بالسواك على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وجاء ان في السواك عشر خصال مطهرة للفم ومرضاة للرب ومسخطة للشيطان ومكسبة للحفظ و يشد اللثة ويطيب النكهة في الفم ويقطع البلغم ويصفي المرة ويجلو البصر ويوافق السنة خرجه البزار من طريق عائشة رضي الله عنها وخرج أيضا من طريق علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنو منه أو كلمة نحوها حتى يضع فاه على فيه فما يخرج من فيه شئ الا صار في جوف الملك فطهروا أفواهكم للقرآن وقال في آخر الحديث وقد روي موقوفا عن علي رضي الله عنه وفي الشهاب السواك يزيد الرجل فصاحة وفسره وحشي فقال يريد أن من استاك لم يكن في أسنانه قلح فهو يتكلم بما عنده ولا يضم شفتيه كما يصنع من بأسنانه القلح والله أعلم والسواك بكل عود له رائحة طيبة مما ينشوص الفم وأعلاها الاراك *وقد تقدم أن ابن أبي ليلى كان يستاك بالعسيب دلني بعض أشياخي رحمه الله على هذا العود الاخضر من شجر السرو وقال انه يطيب الفم ويشد اللثة وقال يستاك بكل عود ما خلا القصب والريحان والرمان والحلفاء (قال) ومواطنه أربعة عند الفراغ من الوضوء وعند الفراغ من الطعام وعند القيام من النوم وعند القيام الى الصلاة وهو مستحب لا فرض وليس بالطول لكن بالعرض (جاء في الحديث) اذا استكتم فاستاكوا عرضا ولاء وجاء في الحديث عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار فيستيقظ الا تسوك قبل أن يتوضأ وفي القرآن العزيز من هذه اللفظة لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون (قال المهدوي) العمر والعمر واحد الا انه لا يستعمل في القسم الا بالفتح ومعناه مدة بقائه حيا فاذا قيل لاحد من المخلوقين لعمرك فانما معناه مدة بقائه حيا وكره كثير من العلماء ان يقول الانسان لعمري لان معناه وحياتي وكذلك قال ابن عباس معنى لعمرك وحياتك وهذا من فضائل النبي

مبحث لعمرك

عليه السلام التي اختص بها فأقسم الباري جل وعز بحياته انتهى كلامه (ومن كتاب عياض) رحمه الله تعالى قال ابن عباس ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال أبو الجوزاء ما أقسم الله بحياة أحد غير محمد صلى الله عليه وسلم لانه أكرم البرية عنده وقيل معنى لعمرك أصله ضم العين ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال وهو بمعنى وبقائك يا محمد وقيل وعيشك وقيل وحياتك (تقدم) في هذا الفصل وكره كثير من العلماء أن يقول الانسان لعمري وكذلك هو وممن كرهه مالك امامنا رحمه الله تعالى ولكن مع ذلك فان الناس لا يتركون استعمالها في كتبهم ولم أرفيها رخصة أكثر من قول ابن عباس رضي الله عنه في جواب ابن الازرق قال له وكتبت الي تسألني متى ينقضي يتم اليتيم فلعمري ان الرجل لتنبت لحيته وانه لضعيف الاخذ لنفسه ضعيف العطاء منها فاذا أخذ لنفسه من صالح ما يأخذ الناس فقد ذهب عنه اليتم فقال في هذا الخبر فلعمري (وهذا) كما تراه وتركه أحوط كما تقدم لي

وقد يلام الفتى في الشئ يأخذه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

(وتقدم ذكر الدرد) ودونك منه هنا نتف فاقنع بها واكتف * قال ثابت في تفسير الدرد يقال للصبي قبل أن تنبت اسنانه وهو يمضغ على درده ويقال للشيخ ما بقي الا درده وهي مغارز الاسنان وفي مثل أعييتني بأشر فكيف بدردر وذلك ان عجوزا كانت سقطت اسنانها فجعلت تغازل زوجها فقال أعييتني باشر أي وأنت شابة واسنانك مؤشرة للحداثة فكيف وقد سقطت اسنانك كلها انتهى كلامه والاشر تحديد في أطراف الاسنان ولا يكون ذلك الا في زمن الحداثة ومنه المئشار الذي يؤشر به العود قال الشاعر بدلته الشمس من منبته * بردا أبيض مصقول الاشر ومعنى بدلته الشمس ان أهل الجاهلية كان الحدث منهم اذا قلع ضرسه رمى به الى الشمس وقال يا شمس أعطيتك سنا من عظم فأعطيني سنا من فضة (قلت) وقد بقي هذا المعنى عند الناس من الجهال الى اليوم تقول أم الصبي لولدها اذا قلع سنه ارم به على السقف وقل يا فار يا فار خذ باليا وأعطني جديدا فهلا قالت يا الله ويقال ان قائل أعييتني بأشر فكيف بدردر هو زوج دغنة التي يضرب بها المثل في الحمق فيقال أحمق من دغنة رأت زوجها يقبل ابنة له منها ويقول بأبي دردرك فذهبت ودقت اسنانها بفهر ثم جاءت وقالت له كيف ترى درردي فقال لها أعييتني بأشر فكيف بدردرأي

معنى الدرد والاشر

انما كانت أحسن شئ فيك اسنانك وكنت مع ذلك غير حظية عندي فكيف اذا فسد أحسن شئ فيك ويقال انما قالها حين سقطت أسنانها من الكبر كما تقدم (وتقدم العرم) وانه اسم لكذا وكذا وقال البخاري رحمه الله العرم ماء أحمر حفر في الارض حتى ارتفعت عنه الجنتان فلم يسقهما فيبستا وليس الماء الاحمر من السد ولكنه كان عذابا أرسل اليهم انتهى كلام البخاري رحمه الله (قال المسعودي) كان هذا السد من بناء سبأ بن يشجب وكان ساق اليه سبعين واديا ومات قبل أن يستتمه فأتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودي أيضا ويقال بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا في فرسخ وجعل له ثلاثين شعبا *(فصل)* وتقدم من مقلوب عمر مرع يقال أمرع القوم اذا أصابوا الكلأ (واذكر) هنا حكاية فيها لفظ أمرع من كلام الخطيب أبي محمد أغرب فيه وأبدع كنت أقرأ عليه زمن الحداثة فذكر له اني أزن الشعر فأخبرني بكلام هذا نصه

أدام الله عزك ان بني * وبينك ماشددت عليه من بعد بينك راحتي
وبحق ذاكم * علينا فاعلموا من ودّ أمرع * نباته واخضر والحمد لله

وقال لي أخرج من هذا الكلام بيتين تامين فقلت له هذا الشعر من الوافر وآخر البيت الاول حرف العين من بعد وأول الآخر حرف الدال من بعد وآخره أمرع فقال أحسنت وصنع غير ذلك فأخرجت بعضه حتى فتح الله ونقل الى حالة أخرى حسنة والحمد لله وهذه الحكاية وغيرها في التكميل (وتقدم ذكر الغمر) وانه الماء الكثير وفي الحديث منه انما مثل الصلاة كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه * تكلم بعض العلماء على هذا الحديث فقال الماء العذب يزيل الدرن وينقي أكثر من غيره من المياه وقوله بباب احدكم اشارة الى ان الصلاة تكون خارج المنزل في المساجد لقوله بباب أحدكم ولم يقل في منزل أحدكم وفيه ان الصلوات يمحو الله بها الخطايا كما جاء في موضع آخر وانتظار الصلاة بعد الصلاة الحديث (وتقدم) ذكر الغمر بفتح الغين والميم وقد جاء في الحديث منه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم من بات وفي يده ريح غمر فلا يلومن الا نفسه وذكر ثابت في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة أتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرب اليه لحم فجعل يناولها فقالت له عائشة يارسول الله

لا تغمر يدك فقال يا عائشة ان هذه كانت تأتينا زمن خديجة وان حسن العهد من الايمان ومثل هذا الحديث ان حسن العهد من الايمان حديث حسانة المزنية وكان اسمها جثامة فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بل أنت حسانة قالت عائشة رضى الله عنها جاءت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها من أنت قالت أنا جثامة المزنية فقال بل أنت حسانة المزنية كيف حالكم كيف كنتم بعدنا قالت بخير بأبى أنت وأمى يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال قال انها كانت تأتينا أيام خديجة رضى الله عنها وان حسن العهد من الايمان (وروى) أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهديت اليه هدية قال اذهبوا ببعضها الى فلانة فانها كانت صديقة لخديجة أو انها كانت تحب خديجة وقول عائشة فى الحديث الاول لا تغمر يدك فهو من غمر اللحم وهو السهك وقال قال ابن الزبير كل ما كان من ذات كرش فهو غمر وكل ما كان من ذات عفج فهو زهم وكل ما كان من الارض فهو دسم ومن الحديد والصفر فهو الصمر وذكر الخطابى رحمه الله هذا الباب فأشبع القول فيه قال فى شرح حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى الاستسقاء فلما رأى لثق الثياب على الناس ضحك حتى بدت نواجذه اللثق الوحل ثم قال تقول العرب يدى من الوحل لثقة ومن اللحم غمرة ومن السمك وضرة ومن اللبن والزبد شترة ومن العجين ورخة ومن الدم سلطة ومن الثريد ثردة ومن الحمأة ذوطة ومن الاشنان فصفة بالصاد ومن المداد وحرة ومن الماء بللة ومن البزر والنفط نمسة ونسمة ومن الزعفران ردعة ومن العطر عبقة وقال ابن قتيبة يدى من السمك سهكة ومن الحديد كذلك ويدى من اللحم غمرة وزهمة ومن الزبد واللبن وضرة وأنشد

* أباريق لم يعلق بها وضر الزبد * وهذا الشعر لابى الهندى وأوله

سنغنى أبا الهندى من وطب سالم * أباريق لم يعلق بها وضر الزبد
مقدمة قزا كأن رقابها * رقاب بنات الماء تفزع للرعد

وهذا من حسن التشبيه كان أبو الهندى هذا مولعا بالشراب ثم انه أقلع عن ذلك وتاب وقال تركت الخمور لشرابها * وأقبلت أشرب ماء قراحا

وقد كنت حينا بها معجبا * كحب الغلام الفتاة الرداحا
فلم يبق فى الصدر من حبها * خلال اذا ذكرت قلت آحا

فى أبيات له رحمه الله (وتقدم) الغامر الذى يرمى بنفسه فى الغمرة وجاء من هذه اللفظة فى الحديث عن البخارى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر رضى الله عنه آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبى صلى الله عليه وسلم أما صاحبكم فقد غامر فسلم وقال انى كان بينى وبين ابن الخطاب شئ ثم ندمت فأسرعت اليه فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت اليه فقال يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثا ثم ان عمر ندم فأتى منزل أبى بكر فقال أثم أبو بكر قالوا لا فأتى الى النبى صلى الله عليه وسلم فسلم فجعل وجه النبى يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه وقال يا رسول الله أنا كنت أظلم مرتين فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وواسانى بنفسه فهل أنتم تاركون لى صاحبى مرتين فما أوذى بعدها (قلت) انظر فعل أبى بكر رضى الله عنه حين أتى النبى صلى الله عليه وسلم استعمل قول الله تعالى ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية فكان ذلك كذلك (وتقدم ذكر الغمر) بضم الغين فى الحديث منه قول النبى صلى الله عليه وسلم أطلقوا الى غمرى ويروى هلموا غمرى وهو القدح الصغير كما تقدم

ذكر الاوانى

وقال الشاعر تكفيه حزة فلذات ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر أخذ من التغمير وهو الشرب دون الرى وكذلك التغمر أقل الشرب وقال ابن الاعرابى أول الاقداح الغمر وهو الذى لا يبلغ الرى (ثم القعب) وهو قدر ما يروى الرجل ثم القدح وهو يروى الاثنين والثلاثة ثم العس قعب فيه العروة ثم الرفد أكبر منه ثم الصحن أكبر منهما قال الشاعر * ألا هبى بصحنك فاصبحينا * والعلبة كالقدح الضخم يحلب فيها قال الشاعر * ولم تسق دعد فى العلب * (ثم) أكبر منها الجفنة تعمل من جلد البعير ثم الحوباة دلو واسعة ضخمة قال أبو زيد كل اناء يدعى مهدى مثل الجفنة والقصعة والقدح * والفرق اناء يسع ثلاثة آصع والصاع أربعة أمداد والمد رطل وثلث بالبغدادى والوسق ستون صاعا وسيأتى ذكر ذلك مع الاوقية والدرهم والمثقال فى باب القاف والفاء ان شاء الله تعالى (لم يفرق) فى هذا الكتاب بين الجفنة والقصعة وقد فرق بينهما بعض أهل اللغة قال الكسائى أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل وتقدم ذكر الرفد قال

الاصمعي الرفد بفتح الراء مصدر رفدته والرفد بالكسر القدح وقال أبو عبيدة معمر ابن المثنى بضد ذلك قال ابن السيد رحمه الله وعدل القوم بينهما الرفد بالفتح المصدر و بالكسر الاسم وأما القدح فيقال فيه رفد ورفد بالفتح والكسر وتقدم ذكر القدح وقال بعض أهل اللغة لا يقال فيه قدح حتى يكون فيه ماء أو غيره وأما اذا كان فارغا فيقال فيه اناء وتقدم انه يروى الاثنين وأنه لا يقال فيه اناء الا اذا كان فارغا وهذا كما تراه وجاء في الحديث ذكر القدح مفسرا اخرج مسلم رحمه الله عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من القدح وهو الفرق وكنت أغتسل أنا وهو من الاناء الواحد قال سفيان الفرق ثلاثة آصع انتهى كلامه والبيت الذي تقدم * تكفيه حزة فلذ ان ألم بها * هو لاعشى باهلة يرثي المنتشر من قصيدة له أولها

اني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

فبت مرتقبا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

وجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

يأتي على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر

ينعى من لا يغب الحي جفنته * اذا الكواكب أخطا نوأها المطر

من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر

ولا يباري لما في القدر يرقبه * ولا تراه أمام القوم يقتفر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب * ولا يعض على شرسوفه الصفر

(والصفر) دواب البطن وقوله من علو يروى بضم العين وفتحها وكسرها أي من أعلى وتقدم من مقلوب هذه اللفظة الغرام قال ابن عزيز في تفسير قوله تعالى ان عذابها كان غراما هلاكا و يقال ملحا و يقال عذابا ملازما ومنه فلان مغرم بالنساء اذا كان يحبهن و يلازمهن ومنه الغريم الذي عليه الدين لان الدين لازم له يقال خذ من غريم السوء ما سنح (والغريم) أيضا الذي له الدين لانه يلزم الذي له عليه الدين قال كثير قضى كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى ان عذابها كان غراما كل غريم مفارق لغريمه الا النار اعاذنا الله تعالى منها والغرامة ما يلزم الانسان أداؤه وكذلك الغرم والمغرم وأغرمته وغرمته بمعنى واحد وتقدم أيضا من مقلوبها رغم أنفه اذا ذل

مبحث الغرام

وأرغم الله أنفه ومن دعاء العرب رغماً دغماً شنغماً فسره أبو الحسن رحمه الله رغماً أي رغم الله أنفه ودغماً مثله وشنغماً توكيد أنظره في الذيل وفي الحديث من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله تعالى عنه ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق ثلاثاً ثم قال في الرابعة على رغم أنف أبي ذر قال فخرج أبو ذر وهو يقول وإن رغم أنف أبي ذر وقد تكلم الناس على هذا الحديث وفسروه ومنهم البخاري خرج هذا الحديث وقال في آخره هذا عند الموت أو قبله إذا تاب وندم وقال لا إله إلا الله غفر الله له انتهى كلامه (قلت) والذي عليه أولو العزم وذوو الحزم أن لا يغتر به أحد فيستسهل الزنا والسرقة لأنه قال عليه الصلاة والسلام ثم مات على ذلك لأنه يخاف على العاصي المصر أن يبدل به عند الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقال إلا دخل الجنة ولم يقل لم يدخل النار فيحتمل أن يدخل الجنة بعد أن يخرج من النار (وقد صح) أن طائفة من الموحدين يدخلون النار إلا أن الله برحمته نفعهم بتوحيدهم فأماتهم فيها إماتة كما جاء في حديث الشفاعة وهؤلاء هم أهل الكبائر والزنا والسرقة وهم الذين يخرجون من النار بالشفاعة وشر من النار الخلود في النار (يروى) أن الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنه ذكر رجلاً يخرج من النار بعد ألف سنة فقال يا ليتني ذلك الرجل حمله خوف الخلود في النار على أن قال هذه المقالة ويحتمل أن يكون قوله عليه الصلاة والسلام ثم مات على ذلك تائباً مما كان منه قبل من الزناء والسرقة والله أعلم (وسيأتي) الكلام على ذلك في باب الألف واللام إن شاء الله تعالى (وتقدم أيضاً) زعم وهذه اللفظة لم تأت في القرآن إلا في موضع الذم مثل قوله تعالى زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن وألم تر إلى الذين يزعمون وهذا لله بزعمهم وغير ذلك وفي الحديث بئس مطية الرجل زعموا والزعم بالكسر الكذب ويكون بمعنى الطمع يقال زعم زعماً وزعم زعماً وأزعمته قال عنترة

علقتها عرضاً وأقتل قومها * زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم

أي ليس بمطمع (وقال أبو محمد عبد الحق بن عطية رحمه الله في قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم الزعم إنما هو مستعمل أبداً في غير اليقين بل أغلبه في الكذب ومنه هذه الآية وأرفع مواضعه أن يستعمل زعم بمعنى أخبر حيث تبقى

عهدة الخبر على المخبر كما يقول سيبويه رحمه الله تعالى زعم الخليل انتهى كلامه قال العلماء فيه ثلاث لغات الزعم والزعم والزعم وله معان تقول زعم بالكسر زعامة بمعنى ضمن والزعم بالفتح مجازية والزعم بالضم تميمية والزعم بالكسر فيما ليس صحيحا كما تقدم ولما أنشد أعشى بكر بن قيس بن معدى كرب قصيدته التى أولها

* لعمرك ماطول هذا الزمن * أعجبها فلما انتهى الى قوله

فأنبئت قيسا ولم أبله * كما زعموا خير أهل اليمن

قال ماهو الا الزعم لحرمه وأقصاه وفائدة لغوية قد فسر هنا الزعم واختلاف معانيه لاختلاف لفظه وفى كتب اللغة جاءت هذه اللفظة مجملة قالوا يقال زعم وزعم وزعم كما قالوا قتل وقتل وقتل وود وود وود قال بعض أهل اللغة وقد يكون الزعم بالملاو يكون حقا وأنشد

تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

وقال آخر وانى أدين لكم انه * سيجزكم ربكم ما زعم

(وتقدم) الزعامة السيادة قال لبيد

تطير عدائد الاشراك شفعا * ووترا والزعامة للغلام

يريد السلاح لانهم كانوا اذا اقتسموا الميراث دفعوا السلاح الى الابن دون البنت وأذكر لك هنا فى هذه اللفظة حديثا عجيبا صحيحا غريبا ذكره أهل الاخبار فيما تقدم فى الزمن عن سيف بن ذى يزن بشر بالنبى صلى الله عليه وسلم جده عبد المطلب حين وفد عليه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لما ظفر سيف ابن ذى يزن بالحبشة وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم أتته وفود العرب وشعراؤها واشرافها تهنيه وتمدحه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثار قومه فأتاه وفد قريش فيه عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وأسد بن عبد العزى وعبد الله بن جدعان فقدموا عليه فى عدد من وجوه قريش وأهل مكة فأتوه بصنعاء وهو فى قصر له يقال له غمدان وفيه يقول أبو الصلت والد أمية بن أبى الصلت

وفود العرب على سيف بن ذى يزن

ليدرك الثار أمثال ابن ذى يزن * يلج فى البحر للاعداء أحوالا

ثم انثنى نحو كسرى بعد تاسعة * من السنين لقد أبعدت ايغالا

حتى أتى ببنى الاحرار يقدمهم * اليك عمرى لقد أسرعت ارقالا

من مثل كسرى وبهرام الجنود لهم * ومثل وهرز يوم الجيش اذ صالا

لله درهم من عصبة خرجوا * ما ان رأيت لهم فى الناس أمثالا
صيدا جحاجحة بيضا خضارمة * أسدا تربب فى الغابات أشبالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * غادرت جمعهم فى الارض فلالا
اشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دارا منك محلالا
ثم اطل بالمسك اذشالت نعامتهم * وأسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

فطلبوا الاذن عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فوجدوه متضمخا بالعبير ينطف وبيص المسك فى مفرق رأسه وعليه بردان أخضران قد اتزر بأحدهما وارتدى بالآخر وسيفه بين يديه والملوك عن يمينه وشماله وأبناء الملوك والمقاول فلما دخلوا عليه دنا منه عبد المطلب فاستأذنه فى الكلام فقال له سيف ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد أذنا لك فقال عبد المطلب أيها الملك ان الله قد أحلك محلا رفيعا صعبا منيعا باذخا شامخا وأنبتك منبتا طابت أرومته وعزت جرثومته وبسق فرعه فى أكرم معدن وأطيب موطن وأنت أبيت اللعن رأس العرب وربيعها الذى به تخصب وملكها الذى له تنقاد وعمودها الذى عليه العماد ومعقلها الذى يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا بعدهم خير خلف ولن يهلك من أنت خلفه ولن يخمل من أنت سلفه نحن أيها الملك أهل حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذى أبهجنا لكشف الكرب الذى فدحنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المترزئة قال ومن أنت أيها المتكلم قال أنا عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا قال نعم فأدناه وقربه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال * مرحبا وأهلا * وناقة ورحلا * ومستناخا سهلا * وملكا ربحلا يعطى عطاء جزلا * فذهبت مثلا وكان أول من تكلم بها قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فأهل الليل والنهار أنتم ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء اذا ظعنتم قال ثم استنهضوا الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الانزال فأقاموا به شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فدعا بعبد المطلب من بين أصحابه فأخلاه وأدنى مجلسه وقال له يا عبد المطلب انى مفوض اليك من على أمرا لو كان غيرك لم أبح له به ولكنى رأيتك معدنه فأطلعتك عليه فليكن عندك مصونا حتى يأذن الله فيه فان الله بالغ أمره انى أجد فى العلم والكتاب المكنون الذى ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما

فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولنفسك خاصة قال عبد المطلب مثلك أيها الملك من بر وسر وبشر ماهو فما الله أهل الوبر زمرا بعد زمر (قال ابن ذي يزن) اذا ولد مولود بتهامه بين كتفيه شامه كانت له الامامه ولكم به الزعامه الى يوم القيامة قال عبد المطلب أبيت اللعن لقد أبت بخير ما آب به أحد فلولا اجلال الله الملك واعظامه لسألته من سره ما أزداد به سرورا (قال ابن ذي يزن) هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه يفتح بهم كرائم الارض ويضرب بهم الناس عن عرض يخمد الاديان ويكسر الاوثان ويعبد الرحمن قوله حكم وفصل وأمره حزم وعدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد المطلب طال عمرك ودام ملكك وعلا جدك وعز فخرك فهل الملك مساري بأن يوضح فيه بعض الايضاح قال ابن ذي يزن والبيت ذي الطنب والعلامات والنصب انك يا عبد المطلب لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا (قال ابن ذي يزن) ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا فخرك فهل أحسست شيئا مما ذكرته لك قال عبد المطلب كان لي ابن كنت له محبا وعليه حدبا مشفقا فزوجته كريمة من كرائم قومه يقال لها آمنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام بين كتفيه شامه فيه كل ما ذكرت من علامه مات أبوه وأمه فكفلته أنا وعمه (قال له ابن ذي يزن) الذي قلت لك كما قلت فاحفظ ابنك واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن أن تدخلهم النفاسه في أن تكون لك الرياسه فيبغون له الغوائل وينصبون له الحبائل وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا اني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب دار مهاجره فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن يثرب دار هجرته وبيت نصرته ولولا اني أقيه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأوطأت أقدام العرب عقبه ولكني صارف اليك ذلك عن غير تقصير مني لمن معك ثم أمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد وعشر اماء وخمسة أرطال فضة وحلتين من حلل اليمن وكرش مملوءة عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة اضعاف ذلك وقال اذا حال الحول فائتني بما يكون من أمره فما حال الحول حتى مات ابن ذي يزن فكان عبد

المطلب بن هاشم يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك فانه الى نفاد ولكن يغبطني بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قالوا له وماذا ذاك قال سيظهر بعد حين (وتقدم من مقلوب زعم) زمع وفسر وهو جمع زمعة ويجمع أيضا زمعات وقد جاء ذلك فى حديث صحيح ثابت خرجه فى الدلائل ثابت أردت أن أثبت منه فى هذا الكتاب موضع الشاهد الا أنى رأيت القلب على ذلك غير مساعد لشغفه به قديما وحديثا وطلبه اياه طلبا حثيثا ولان النقص يشينه والنص يزينه فاستخرت الله تعالى وسقته بكماله فهو أتم لجماله كما صنعت بحديث سيف الذى تقدم سقته بكماله كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم * حدث ثابت رحمه الله بسنده الى على بن أبى طالب قال لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر حتى دفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر رضى الله عنه فسلم وكان رجلا نسابا وكان مقدما فى كل خير فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال ومن أى ربيعة أنتم أمن هامها أم من لهازمها قالوا بل من هامتها العظمى قال وأى هامتها العظمى أنتم قالوا ذهل الاكبر قال أبو بكر فمنكم عوف الذى يقال له لاحر بوادى عوف قالوا لا قال فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس صاحب اللواء ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالبها أنفسها قالوا لا قال فمنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة م قالوا لا قال فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فمنكم أصهار الملوك من لخم قالوا لا قال أبو بكر فلستم ذهلا الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه غلام من بنى شيبان حين بقل وجهه يقال له دغفل فقال

حديث ابتداء الاسلام

م انما قيل له ذلك لانه كان اذا ركب لم يعتم معه غيره اجلالا له

ان على سائلنا أن نسأله * والعبء لا نعرفه أو نحمله

يا هذا انك سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا فمن الرجل قال أبو بكر أنا من قريش قال له دغفل بخ بخ أهل الشرف والرياسة فمن أى قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة أفمنكم قصى الذى جمع القبائل من فهر فكان يدعى فى قريش مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف قال لا قال فمنكم شيبة الحمد مطعم طير السماء الذى كان وجهه القمر يضىء فى الليلة الظلماء قال لا قال أفمن أهل الافاضة بالناس أنت قال لا قال أفمن أهل الرفادة أنت قال لا قال أفمن أهل الحجابة أنت قال لا واجتذب

أبو بكر زمام الناقة فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغلام

صادف درء السيل سيلا يدفعه * يهيضه حينا وحينا يصدعه

أما والله يا أخا قريش لو ثبت لاخبرتك انك من زمعات قريش ولست من الذوائب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي يا أبا بكر لقد وقعت من الاعرابي على باقعة فقال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا وفوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق قال ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر وسلم وكان مقدما في كل خير فقال ممن القوم قالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بأبي أنت وأمي هؤلاء غرر في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة والمثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم فقال مفروق انا لنزيد على ألف ولن يغلب ألف من قلة فقال له أبو بكر كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا حين نلتقي وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر أوقد بلغكم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر ذلك فالام تدعونا يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله عز وجل وكذبت رسله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد فقال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون فقال مفروق والام تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق

دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وانى أرى أن تركنا ديننا واتباعنا اياك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وانا نزلنا بين صبرى اليمامة والسمامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذان الصبران فقال أنهار كسرى ومياه العرب فأما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول وانا انما نزلنا على عهد أخذه كسرى أن لا نحدث حدثا ولا نؤوى محدثا وانى أرى أن هذا الامر الذى تدعوا اليه أنت مما تكرهه الملوك فان أحببت أن نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان ابن بشير اللهم لك ذلك ثم تلا النبى صلى الله عليه وسلم انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ثم نهض النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ بيدى فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية أحلام فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا اصدقا صبرا (الهام) أعلى الرأس وهو أعلى من اللهازم (واللهازم) جمع لهزمة وهو مجتمع اللحم بين الماضغ والاذن من اللحيين والماضغ ما يمضغ عليه من الاضراس (والزمعات) جمع زمعة كما تقدم وهى هناة تشبه أظفار الغنم فى الرسغ فى كل قائمة زمعتان يكون ذلك لكل ذى ظلف هذا الحديث يجدد الايمان على مرور الازمان نفع الله به الراوى والسامع والقارئ والجامع (وتقدم أيضا ذكر عزم) من قوله تعالى فاذا عزم الامر معناه عزم عليه وهو هنا الجهاد فى سبيل الله مثل قوله تعالى ان العهد كان مسئولا أى عنه وفى القرآن من هذا ولم نجد له عزما قال ابن عزيز رأيا معزوما عليه وقال غيره صبرا وفى القرآن فاذا عزمت فتوكل على الله أى اذا صححت رأيك فى امضاء الامر وفيه فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل قال الكلبى يعنى ممن أمر

حكاية طريفة

بالقتال منهم (واذ كرلك هنا حكاية طريفة) غريبة شريفة يروى أن الرشيد كان له ولد اسمه عباس وكان شديد السمرة فنكره لذلك مكانه وقصر عن الحاقه بسائر بنيه ثم اتفق أن تنبأ في عهده رجل سخيف فبلغ أمره الى الرشيد فأحضره وجعل يعظه و يفنده وجميع أبناء الرشيد مصطفون بين يديه بينهم عباس لم يجاوز العشر فأبى ذلك الشقى الا التمادى فى غيه فأمر الرشيد بضربه فلما باشر السوط جسده جعل يضطرب و يرعد و يقوم و يقعد فقال عباس ان كنت كما زعمت فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل فاستطار لها الرشيد استبشارا واستنبالا وقال ابنى والله ثم رفع منزلته وأكرم مثواه وألحقه بمرتبة من سواه (وتقدم ذكر مزع) معكوس عزم وذكر المزعة وجاء فى الحديث من هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم خرجه مسلم من طريق ابن عمر وخرج أيضا من طريق عوف بن مالك الاشجعى رضى الله عنه أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جماعة وذكر حديثا طويلا فى آخره أسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فلا يسأل أحدا يناوله اياه وهذا الحديث حدثنى به الحافظ رحمه الله فى كتاب الاربعين للطوسى برواية عالية رضى الله عنه وقد كان بعضهم يسأل منه أن يسأل فلا يسأل و يعطى فلا يقبل يروى أن سالم بن عبد الله دخل البيت الحرام فصادف فيه هشام بن عبد الملك فقال له هشام سل حاجتك فقال انى أكره أن أسأل فى بيت الله غير الله وقد جاء تحريم المسألة والصدقة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغنى ولا لذى مرة سوى وفى حديث آخر ولا حظ فيها لغنى ولا لقوى مكتسب وجاء فى الصدقة أنها أوساخ الناس * كاتب ابن عمر رضى الله عنه غلاما ونجمها عليه نجوما فلما حل أول نجم أتاه المكاتب فسأله من أين أصبت هذا قال كنت أعمل وأسأل قال ابن عمر فجئتنى بأوساخ الناس تريد أن تطعمنيها أنت حر ولك ماجئت به وخرج مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من سأل الناس أموالهم فانما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر وفى كتاب أبى داود المسائل كدوح يكدح بها الرجل وجهه فمن شاء أبقى عليه وجهه ومن شاء ترك الا أن يسأل الرجل ذا سلطان فى أمر لا يجد له منه بدا وخرج النسائى عن النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما فى المسألة ما مشى أحد الى أحد يسأله شيئا وعن ابن الفراسى

النهى عن سؤال الناس

أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أسأل يارسول الله قال لا وان كنت سائلا ولا بد فسل الصالحين وخرج أبونعيم عن مسعود بن الربيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يسأل وهو عنه غنى حتى يخلق وجهه فما يكون له عند الله وجه وخرج أبوداود عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسأل بوجه الله الا الجنة (قلت) انظر ماجاء على كراهية المسألة من الأدلة مع مافيها من الذلة وجاء بعض الشعراء الى بعض الامراء فقال أنشدك ثلاثة أبيات هنّ خير من ثلاثة آلاف فاذا أنشدتكهنّ قل صدقت قال هات فأنشده

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير ختال وقال
قال صدقت قال وذقت مرارة الاشياء طرّا * فما شئ أمرّ من السؤال
قال صدقت قال ولم أر فى القلوب أشد وقعا * وأنكى من معاداة الرجال

قال صدقت وأعطاه صلته بنظر قول الشاعر من معاداة الرجال الى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان أوّل مانهانى عنه ربى بعد عبادة الاوثان شرب الخمر وملاحاة الرجال صدق صلى الله عليه وسلم ولى منه قطعة لزومية

قل كيف يرجو فلاحا * من كان خصما فلاحا
فاتركه واترك مزاحا * واجعله عنك مزاحا

وقد تقدّم هذا فى باب المزاح وأنشدنى الفقيه المحدث أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الازدى الاشبيلى رحمه الله ببجاية حماها الله لنفسه قطعة حسنة أوّلها

لا تبك خلا ولا انقطاعه * ولا لاسرارك المذاعه
وابك زمانا مضى وولى * عنك وأيامك المضاعه
وارجع الى الله من قريب * واخش تخليه والطلاعه
لعله أن يراك فيمن * قصر عما يريباعه
وان تشا أن تنال عزا * بغير مال ولا جماعه
فاقنع بقوت وبعض قوت * فانما العز فى القناعه
ولا تسل فالسؤال ذل * حاشاك من تلكم الصناعه
واصبر على حادث الليالى * واترك الذل والضراعه
فانما عمرك المرجى * هذا اذا لته كساعه

ولما رأى هذه القطعة بمالقة الفقيه الخطيب أبو محمد عبد الوهاب بن على رضى الله

عنه أنشد في عروضها والتزم عادا فقال

بالله لا تشتك البعادا * وخل سعدى ودع سعادا
ولا تقف بالديار تبكي * عهد حبيب جفا وعادى
وان شدا في الغصون شاد * فلا تقل ليته أعادا
وذر حماما واحذر حماما * وانس بعادا واذكر معادا
أين ثمود وقوم نوح * كل غدا رمة وعادا
ماترك الموت جمع ترك * ولا عداد الجسوم عادا
لم يسلم المسلمون منه * كلا ولا المبعد المعادا

وقال بشر بن الحارث رحمه الله من أراد العز والسلامة فليلتزم ثلاثا لا يسأل أحدا حاجة ولا شيئا ولا يأكل طعام أحد ولا يذكر أحدا بسوء نظمت أنا هذا المعنى فقلت

يا مبتغي العز والسلامه * الزم ثلاثا تلق الكرامه
لا تسأل المرء ما لديه * ولا ترى آكلا طعامه
ولا تكن ذاكرا بسوء * ما عشت خلقا حتى القيامه
وزد لهذي الثلاث تقوى الاله تكمل لك السلامه
ودم على ذا واصبر عليه * فالصبر خير من الندامه

ومن شعر الفقيه الامام الزاهد الورع أبي عمران موسى بن عمران القيسي الميرتلي رضي الله عنه وهو الآن في قيد الحياة في سنة ثلاث وستمائة

ترجى السلامة في القناعة والخمول والاعتزال
لا في التكاثر والظهور * وفي مصاحبة الرجال
من رام مع هذي الثلاث سلامة رام المحال

وله رضي الله عنه وبلغه أن بشر بن الحارث رضي الله عنه كان يقول من أحب أن يكون عزيزا في الدنيا فليجتنب أربعا لا يشهد ولا يؤم ولا يحدث ولا يقبل هدية فنظمها في شعر وزاد فيها خمسا فبلغها تسعة وقال

تسع أبى منها أولو الاحلام والهمم السنيه
الا بحال ضرورة * تدعو لها مع حسن نيه
وهي الشهادة والوساطة والحكومة في القضيه
وكذا الامامة والوديعة والتعرض للوصيه

ثم الأجابة للطاعم في الولائم والهديه
فسد الزمان وأهله * لم تبق في حرّ بقيه
زمن يكون به البرىّ من المريب على تقيه

ذكر الرخصة في السؤال

وله رضي الله عنه التزامات ألزمها نفسه ستراها في باب الثناء والإثناء عند ذكر الزهاد ان شاء الله وقد أرخص بعض العلماء لمن طرقته فاقة أو رهقته حادثة أن يسأل اذا عدم القوت والصبر وقد جاء في الاثر من جاع فلم يسأل فمات دخل النار لان ترك السؤال عند خوف التلف سبب التلف فكأنه أعان على قتل نفسه والله أعلم وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في استعاذاته وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد سأل موسى والخضر عليهما السلام عند الضرورة فردّا وقد أخبر الله سبحانه عنهما بذلك في قوله استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وقال الحريري في المعنى وان رددت فما في الردّ منقصة * عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

ولابي عمران المذكور

اقبل البرّ اذا احتجت من البرّ الوصول
وارأى أن لك الفضل عليه في القبول
وأتى بالشئ صفوا * طيبا من غير سول
وأمنت المنّ منه * في كثير أو قليل
ربّ منّ قد أقام الحرّ في حال الذليل
واذا استغنيت عنه * لاتعرّض للفضول
وصن النفس بسف الترب عن عرف البخيل

(فصل) تقدّم من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وان كنت لابدّ سائلا فسل الصالحين وجاء طعام البخيل داء وطعام السخي شفاء أنشدني الحافظ السلفي رحمه الله لنفسه في هذا الخبر

لا تجب دعوة البخيل لأكل * فطعام البخيل في الجوف داء
واذا ما دعاك شخص سخي * فأجبه وكل له فهو شفاء

وأنشدني أيضا لنفسه اقتنع ما دمت تحيا * بغداء وعشاء
ثم لا ترج غنيا * في غدوّ وعشاء
فجماع العز للانسان في قطع الرجاء

عن جميع الناس فى الشدة أو وقت الرخاء

هذا كله فى السؤال وأما ما جاء من غير مسئلة من النوال فقد جاء فيه من حديث مسلم رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء فيقول أعطه يا رسول الله أفقر اليه منى (فقال له) رسول الله صلى الله عليه وسلم خذه فتموله أو تصدق به وما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخذه ومالا فلا تتبعه نفسك (قال) سالم فمن أجل ذلك كان ابن عمر لا يسأل احدا شيئا ولا يرد شيئا أعطيه (وحدثنى) شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله (قال) رويت بالاسناد المتصل الصحيح الى خالد بن محمد الجهنى (قال) سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من جاءه من أخيه معروف من غير اشراف ولا مسئلة فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله اليه ذكره أبو عمر بن عبد البر وغيره (قلت) وأنت أيها المستشهد بهذا الحديث الغريب الآخذ من كل من أعطى من بعيد أو قريب أذكرك هنا نكتة أزيدها مع علمى أنك لا تريدها هى المكافأة على العطاء ممن أعطى ألم تسمع قول النبى صلى الله عليه وسلم من أتى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه وكان عليه السلام يقبل الهدية ويثيب عليها وقال ولقد هممت أن لا أتهب الا من ثقفى أو دوسى اجعبودكم أيها القوم أكذا نحن اليوم ما أظن ذلك كذلك بل نأخذ الهدية مع الوعاء ولا نكافئ الا ان كان بالدعاء نعم ونأخذ ونقبل من كل من أدبر وأقبل ولا نتورع ممن به اتبرع ولله در الذى يقول

وطالما زفت الصلات الى * رحلى فلم أرض كل من يهب

ولابى عمران الميرتلى

لا تقبلن هدية ولو انها * جاءتك من أصفى الانام اليكا
فتذل نفسك ان فعلت وربما * انقلب الصديق غدا فمن عليكا

وله أيضا

هدية جاءت ولم أحتشم * فى ردها من ذى اخاء كريم
لانه قد جاء فيما رووا * بأنها تفقأ عين الحليم
وتنقل الحر عن اخلاقه * لطمع مزر وخلق ذميم

(وقال بعض الزهاد) ما أدخلت يدى فى قصعة أحد الا وجدت الذلة فى نفسى وقال غيره من العاوفين لا تسأل من الناس شيئا أبدا فان كان ولا بد من سؤالهم فاسألهم

مما ليس فى خزائن مولاه جل وعلا (قلت) انظر هذا العارف ما كان أعرفه وأرفعه فى الامر وألطفه نهاه أولا ثم أطمعه فتأنسه وضمن فيما أباح له ماعنه أيأسه فالواجب على الانسان والفرض أن يوقن أن لله خزائن السموات والارض وجميع المؤمنين والحمد لله لهذا يتنبهون واليه ينتهون ولكن المنافقين لا يفقهون والمسألة على كل حال ذل الا الى الله سبحانه الذى يملك الكل وبهذا تشهد العقول وما أحسن الذى يقول

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولونال الغنى بسؤال
واذا السؤال مع النوال قرنته * رجح السؤال وخف كل نوال

ومن أجل كراهية السؤال أمر بحفظ المال (قال بعض الحكماء) حفظك لما فى يديك أولى بك من طلب ما فى يدى غيرك (قلت) ثم مع هذا اذا سألت المخلوق وألححت عليه أبغضك واذا سألت الهك وألححت عليه احبك ألم تسمع قوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء وقال الشاعر

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسأل يغضب

ولى فى هذا المعنى مقطعات أنظرها فى التكميل منها آخر بيت

ولا تسأل الناس ما عندهم * وسل من على كل شئ قدير

وقال الشاعر

ان الوقوف على الابواب حرمان * والعجز أن يسأل الانسان انسان
حتام تأمل مخلوقا وتقصده * ان كان عندك بالخلاق ايمان
اعطاؤه لك ان أعطا كه ضعة * فكيف ان كان بعد المطل حرمان
ثق بالذى هو يعطى ذا ويمنع ذا * فى كل يوم له فى خلقه شان

(قال الاصمعى) مررت بكناس وهو يحمل على ظهره جرة من عذرة وهو يقول

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى

(قال فقلت له) وعن أى شئ أكرمتها وأنت تحمل العذرة على ظهرك (فقال) أكرمتها عن الوقوف على باب مثلك (قال الاصمعى) مالقيت مثلها وكان مطرف ابن عبد الله بن الشخير يقول اذا كانت لاحدكم حاجة فلا يواجهنى بها فانى اكره أن أرى فيكم ذل المسألة ولكن ليرفعها الى فى رقعة فان الشاعر قد صدق فى قوله

يا أيها المتعب بذل الجمال * وطالب الحاجات من ذى النوال

لا تحسبن الموت موت البلى * فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * أشد من ذاك لذل السؤال

وكان خالد بن صفوان يقول فوت الحاجة خير من طلبها الى غير أهلها وأشد من المصيبة سوء الخلف منها (وقال الحسن بن على لمعاوية) رضى الله عنهم أعطنا من قبل أن نسألك فانك ان أعطيتنا بعد المسألة كان ثمن وجوهنا ولم نحمدك (قلت) ذكرنى قول الفقيه رحمه الله

وانما عمرك المرتجى * هذا اذا نلته كساعه

قول بعضهم الدنيا ساعة فاجعلها طاعه وأنشدنى بعض أشياخى

اذا كنت أعلم علما يقينا * بأن جميع حياتى كساعه
فلم لا أكون ضنينا بها * وأجعلها فى صلاح وطاعه

(وقد مثل نوح عليه السلام) الدنيا بيت له بابان دخل من أحدهما وخرج من الآخر ذكر معنى ذلك مكى فى الهداية قال يروى أن نوحا صلى الله عليه وسلم أرسل الى قومه وهو ابن مائة وخمسين سنة فلبث فيهم يدعوهم الى الله والى عبادته ألف سنة الا خمسين عاما ثم دعا على قومه فغرقوا ثم عاش بعد الغرق مائتى سنة وخمسين فكان عمره ألف سنة وأربعمائة سنة وخمسين فلما احتضر قال له ملك الموت يا أطول الانبياء عمرا وأكثرهم عملا كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من باب وخرجت من باب (ودونك فائدة فى القوت) خير من الياقوت تقدم فى شعر أبى محمد عبد الحق رحمه الله ذكر القوت قال فيه ثابت رحمه الله يقال قوت ليلة وقيت ليلة وقيتة وقد قات أهله يقوتهم قوتا وفسر الشعبى قوله تعالى والذين لا يجدون الا جهدهم قال الجهد القيتة (فرع) قوله قيتة لما انكسرت القاف صارت الواو ياء تقول قته فاقتات كما تقول رزقته فارتزق وهو فى قتات من العيش أى فى كفاية واستقاته سأله القوت ومن أيمانهم لا وقائت نفسى ويقال فلان يتقوت بكذا واقتت لنارك قيتة أى أطعمها الحطب قال ذو الرمة

مدة عمر نوح

مبحث القوت

فقلت له ارفعها اليك وأحيها * بروحك واقته لها قيتة قدرا

ويقال أقات على الشئ اقتدر عليه قال الشاعر

وذى ضغن كففت النفس عنه * وكنت على مساءته مقيتا

قال الفراء المقيت المقتدر الذى يعطى كل رجل قوته قال الله عز وجل" وكان

الله على كل شئ مقيتا أى مقتدرا ويقال المقيت الحافظ للشئ والشاهد له وأنشد ثعلب للسموأل

ليت شعرى وانشرنها اذا ما * قربوها منشورة ودعيت

ألى الفضل أم على اذا حوسبت انى على الحساب مقيت

يعنى بالمنشورة صحفه أى أعرف ما عملت من السوء لان الانسان على نفسه بصيرة (وقال أبو سعيد) يروى ربى على الحساب مقيت وهو أحسن لان الخاضع لربه لا يصف نفسه بهذه الصفة (رجع الكلام) وغيرك الغمر الى فائدة أخرى فى عمرو من معنى ما قاله السكندى من تحليل الحروف فيما تقدم وذلك انك تحل لفظة عمرو المكتوب بالواو كما تقدم فيتغير الى معان كثيرة كلها مفيدة فتبدأ من أوله فتكتب (ع) بلا ضبط فلا تؤدى لك على هذا الشكل معنى غير أنها عين وليست واوا ولا ألفا واحتمل أن تكون عينا أحد حروف الهجاء وهو سبعون فى حساب أبى جاد فان كسرتها فتقول (ع) فتؤدى لك معنى الامر من وعى يعى الا أنهم كرهوا النطق بها مفردة فألحقوا بها حرفا زائدا وتموها بها وهى هاء السكت أى تحذف فى الوصل ويستغنى عنه به فقالوا عه فى الوقف وقالوا فى الوصل (ع) كلام زيد فقد أفادك هذا الحرف على انفراده معنى الامر وكذلك فعلوا بسائر الحروف المعتلة الاوائل والاواخر مثل (له) من ولى يلى (وشه) من وشى (وفه) من وفى الى آخر الحروف نعم وفعلوا ذلك فيما كان أوله صحيحا مثل (رأى) قالوا فيه (ره) فى الامر ورزيدا ولم يفعلوا ذلك فى نأى وهو صحيح الاول مثل رأى قالوا فى الامر من نأى (انأ) والفرق بينهما انهم قالوا فى مستقبل نأى ينأى فلما أرادوا أن يبنوا منه فعل أمر حذفوا الياء من أوله كما فعلوا فى أول كل فعل مستقبل أرادوا أن يبنوه للامر فبقيت النون فجلبوا لها ألف الوصل للتوصل الى النطق بالساكن فقالوا (انأ) وقالوا فى مستقبل رأى يرى وان كان أصله (يرأى) لكن كذا نطقوا به لعلة ذكروها فلما حذفوا الياء بقيت الراء متحركة فلم يحتاجوا للالف فقالوا (ر زيدا) مثل (ع) كلام زيد حذفوا حرف العلة من أوله ومن آخره ولم يبق الا الصحيح ولو كان آخره صحيحا لابقوه مثل (وعد ووفد) فقالوا فى مستقبله يعد ويفد وفى الامر عد وفد ولا تحتج على توجل بوجل فتنشب وتوحل أقول لك من أول وهلة النادر لا حكم له ذاك فعل خرج عن بابه فى قلة من أصحابه فتكلف معه من التصريف ما يكثر عن التصنيف قالوا وجل يوجل وييجل وكذا قالوا وجع فلان رأسه يوجع وياجع وييجع وييجع

مبحث الامر من الحروف المعتلة الاوائل والاواخر

بكسر الياء وهى لغة لبنى أسد وهم لا يقولون يعلم استثقالا للكسرة عـلى الياء فلما اجتمعت اليا آن فى ييجع قويتا فاحتملتا مالم تحتمله المفردة (قال متمم بن نويره)

فعيدك ألا تسمعيني ملامة * ولا تنكأى قرح الفؤاد فييجعا

أين هذا المذهب من ذهب يذهب بقى هذا عـلى حاله لصحته وكماله وتغير ذلك لاعتلاله نسأل الله الصحة فى الاقوال والافعال انه الكبير المتعال وسيجيء فى هذا الفعل المعتل خبر فيه عندى عبر (رجع الكلام الى الحرف المفرد) المسلوب الطرفين المجرد انظر كيف دل حرف واحد عـلى معنى كما دلت الحروف المقطعة فى أوائل السور على معان كما تقدم على مذهب من رأى ذلك فتقول من حرف العين من عمرو (ع) كلام زيد فان أضفت اليه مما جاء منه عم صباحا أيها الرجل العالى لا الطلل البالى وتفتح العين فتقول عم أخو الاب (وقد جاء فى القرآن) وبنات عمك وأعمامكم وعماتكم وجاء منه فى الحديث كثيرا ان عم الرجل صنو أبيه أى أصلهما واحد كما قيل فى تفسير قوله تعالى صنوان وغير صنوان انهما النخلتان أو النخلات يكون أصلهما واحدا وقيل الصنو المثل وكان للنبى صلى الله عليه وسلم تسعة أعمام العباس وحمزة أسلما رضى الله عنهما وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير والحارث والحجل والمقوم وضرار وأبو لهب واسمه عبد العزى وعماته صلى الله عليه وسلم ست صفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأروى وبرة وأميمة وكلهم اخوة عبد الله بن عبد المطلب وعبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم أصغرهم (رجع الكلام ويأتى منه عم الخير الناس) وعمّ عـلى فلان هذا الخبر وعمّ بمعروفه الخلق وانه النخل عمّ فى الحديث وفلان عم اسم فاعـل من عمى يعمى والجمع عمون وفى التنزيل بل هم منها عمون وفى الاستفهام عمّ تسأل يا هذا ويأتى من معكوسه مع كان الله معنا وقالوا امع كلمة تدل على المصاحبة والمعمعى من الرجال الذى يكون مع من غلب وهو الامعة أيضا ومنه قوله لست بامعة فى الرجال وسيأتى معنى قوله انى معكما أسمع وأرى فان نقطت العين مفردا دل أيضا على حرف من حروف أبى جاد وهو فى الحساب تسعمائة فان أضفت اليه مما جاء منه غم عافانا الله منه وغم هذا الخبر ولا تفشه وغم الهلال (وفى الحديث) فان غم عليكم فاقدروا له وغم قرية من قرى قطربل (قال الشاعر)

فى روضة من رياض الغم مشرقة * تنوح فيها مثاكيل الفواخيت

مبحث عم

أعمامه وعماته عليه الصلاة والسلام

المعمعى والامعة

فان زدت راء جاء منه عمرو وغمر و بالعين عمر وعمر الى غير ذلك مما تقدم فان زدته واوا
جاء منه عمرو اسم الرجل فان زدت نونا جاء منه عمرون اسم رجل واسم الجمع السالم
قبل دخول الالف واللام فان زدت هاء التأنيث على مذهب العامة ذهب جمع
الرجال وبرزت عمرونه ذات الجمال على ان لفظة عمرونه ليست عربيه بل هى
عامية حضريه ولم أسدها للقياس لكن على مذهب كلام الناس فانظر الى
هذا التغيير الغريب فى هذا الاسم القريب كيف انقلب بالزيادة والنقصان
الى شتى معان هل تجد هذا الشان فى غير هذا اللسان فاحمد الهك أيها الانسان
على ما علمك من البيان وألهمك من التبيان ومعنى قولى والنقصان أنك تهدم
ذلك الاسم كابنيته وتحله من حيث أكلته حتى يصير الى الحرف الذى منه بدأته
(وأغرب من هذا) ان الكلمة تتغير بأقل من الحرف وهى الحركة تقول فى تثنية
قنو وصنو قنوان وصنوان بغير تنوين فاذا نونت فقلت قنوان وصنوان انقلب الى
لفظ الجمع بحركة واحدة فى الكلمة مثل أن تقول هذان قنوان اثنان خذهما
فى قنوان ثلاثة لك عندى وقد يذهب التنوين من الجمع بدخول الالف واللام فى أوله
فيشبه المثنى فلا يفهم الا بالمعنى مثال ذلك هذان القنوان أعطيتهما ايالك فى القنوان
الثلاثة التى أعطيتنى قبل هذا وما أشبه هذا مما يتبين فيه التثنية من الجمع والله
ولى النفع (وكذلك قالوا جوالق) فى الواحد وقالوا فى الجمع جوالق فتحوا الجيم فى
الجمع وضموها فى الواحد ولم يجعلوا بينهما فرقا غير ذلك ولم يقولوا جوالقات وقالوا
وترعنابل وهو المتين الصلب وفى الجمع عنابل فهذا أغرب مما تقدم (تقدم فى
الالفاظ المؤتلفة) من العين والميم نحو عم ودونك فى ذلك فائدة يا ابن عم كان من
دعاء الحسن بن أبى الحسن البصرى رضى الله عنه يوم تغيب عن الحجاج ودخلوا عليه
فلم يروه قال يا عدتى عند كربتى وياصاحبى عند شدتى ويا وليى فى نعمتى و يارب
آبائى الاولين ابراهيم واسحاق ويعقوب ويارب طه وكهيعص ويس
والقرآن الحكيم عم علمهم مكانى ففعل الله ذلك به (وأزيدك أيضا يا ابن الوالده
فى عمرو فائده) وذلك انك لما زدت فى آخره هاء التأنيث على المذهب الرثيث
(فقلت) عمرونة ان زدت فى أوله كاف التشبيه فقلت كعمرونة ثم عكسته
جاءك منه تنور معك كلام قائم المعنى صحيح المبنى وليس يستغرب هذا فقد يوجد
العكس فى كثير من الكلام لم يلق له قائله بالا انظر المنسوج فى الحصر التى

مما اختلف فيه الجمع والمثنى بالحركة

ما يقرأ طردا وعكسا

وينبنى على التصحيف والاعكاز

فى

فى الجدر توكل نكفا وسل تعطا ان عكسته وأسقطت توكل جاءك منه أطعت لسوأفكت كلام سديد له معنى مفيد ولو بدأت لفظة توكل وقلت أس بمعنى أعط لجاءت الكلمات كلها مقروءة فقلت أطعت لسوافك تساوهذا لم يلق له الذى عمله ولا الذى قرأه بالا وكذاغيره ورأيت فى حصير مكتوب (سعادة لصاحبه) فان قدمت وقلت لصاحبه سعادة وعكسته جاء منه (نداعسه بحاصل) كلام أيضا مفيد المداعسة المطاعنة والمداعس الرماح قاله صاحب العين (وفى الحديث) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ليلة بدر كيف تقاتلون فقالوا اذا دنا القوم كانت المراضخة فاذادنوا حتى نالونا ونلناهم كانت المداعسة بالرماح حتى تقصدت خرجه الخطابى رحمه الله وقال المداعسة المطاعنة يقال داعست بالرمح ورجل مداعس وأنشد اذاهاب أقوام تجشمت هول ما * يهاب حمياه الألد المداعس والمراضخة الرمى بالسهام يقال تراضخ القوم اذا تراموا وقوله حتى تقصدت أى تكسرت قصدا قصدا أى كسرا كسرا * ودونك فائدة فى التنور لا عدمت النور قال ثعلب كل اسم على فعول فهو مفتوح الاول مثل تنور وكلوب وشبوط وسفود وسمور الا السبوح والقدوس فالضم فيهما اكثر وقد يفتحان قال أبو عبيدة ولم يسمع فى الكلام فاعول الاغيرمهموز مثل طاوس وداود ولا فعل بضم الفاء والعين الاذول وهودويبة تشبه ابن عرس ولا فعيل مفتوح الفاء وثم فعليل بالكسر مثل زنبيل أو زبيل فان فتحت فقل زبيل مخففا مثل زبير قال ولم يسمع فى الكلام فعل وفعل الا أربعة مثل ومثل وبدل وبدل وشبه وشبه ونكل ونكل والبدل البديل ويقال بدل وبديل وأبدال وبدل الشئ غيره والبدل وجع فى اليدين والرجلين يقال بدل يبدل بدلا والبديل واحد الابدال وهم قوم صالحون اذا مات واحد أبدل الله مكانه آخر فلا تخلو الارض منهم قال ولم يأت فى الكلام فعلان مفتوح الفاء من غير ذوات التضعيف الاحرف واحد ناقة خزعال وهى اذا كان بها ظلع وزاد ثعلب قهقار وخالفه الناس وقالوا قهقر وزاد أبو مالك قسطال وهو الغبار وأما فى المضاعف فكثير كالقلقال والزلزال ولى بهذا المعكوس ولوع وله بقلبى وقوع وقد عنيت به فيما خلا من الازمان نعم وحتى الآن وقلت فى ذلك

قد ما شغفت بذا المعكوس ان له * لذاذة عند مايه طاده الفكر
وحق ذا لجميع الشعر أرملة * أنثى وذا النوع منه الاعزب الذكر

والحريري رحمه الله امام هذا الشان وفارس الميدان لم ينسج أحد على منواله ولا رأيت أحدا أتى بمثاله ساق منه فى مقاماته خمسة أبيات بمثلها أحد لم يات وأنا اعترني وقت قراءتها مع بعض الطلبة ممن له حلبة ولا غلبة كلام طويل عريض أدى الى أن صنعت منها عشرة أبيات على القافية والعروض وان لم تكن ابنة أمها فهي بنت عمها وقد كفيتك لومي يومي وبينت لك ليسي بما قلته مخاطبا النفسي وهو

لا يغرنك ان أتيت بمقلوب من الشعر طل وهو كثير
فالذي سقت منه فهو لطيف * والذي ساقه الحريري حرير

وكنت لما قلت ذلك الشعر أريته شيخنا الفقيه الخطيب أبا محمد عبد الوهاب بن على وسألته هل قال من هذا النوع شيئا أو رآه لغيره فكتب الى بعد كلام ونظرت الى صنف من المقلوب أخذ بجامع القلوب ولم أر مثل هذا النوع نوعا يأبى أن ينقاد لا كرها ولا طوعا كم أعيا شعراء حذاقا راموه فما وجدوا له مذاقا واذا وقع منهم الفذ الفريد على البعض مما يريد صدر عن قريحة معذبه وألفاظ لا فصيحة ولا مستعذبه واندرمت ذلك مدة الشباب ولزمت أسكفة الباب واكثرت القرع وشمرت للولوج الدرع ثم لا أذن تسمع الاذن فتلذذ ذلك القول ولا رجل تتارق الحل فتأخذ فى الدخول فعندها ثنيت عناني ومضيت لشاني وأنت أيها الصفوة النحول قد تهيأ لك الدخول وتمكنت من تلك الدار وسكنتها بمساعدة الاقدار فامدد بهار حليك فلا حرج عليك فى كلام كثير اختصرته (قلت) وأنت أيها الناظر فى أحرفي لا تلتفت الى المدح ولا الى القدح وانظر الى بيت واحد من تلك القطعة أثبته لك فى هذه الرقعه فان استقللت خيره فقل غيره والانعم الديك وقل بنفسي أفديك وهو

أسأل من من الا * لا ان من مل أسا

هذا أحد الابيات العشره حروفه بين يديك منتشره فاعكسه وقسه فان استحسنته فاجبذه وان استخشنته فانبذه ألا واحد الآلاء وهي النعم ولي فى هذا النوع من المقلوب نحو العشرين بيتا قد جمعتها فى غير هذا الموضع انظرها فى التكميل مع ما يشبهها من هذا القبيل وسيأتي من ذلك طرف عندي من اللباب فى باب ناب وتاب وهذا الباب يستظرفه أهل الآداب وربما يكتبون الكلمة فيلغزون بمقلوبها على من لا يفهم غير مكتوبها فاذا عكسها المكتوب اليه بها كان

لسرها

لسرها منتها كما يحكى ان امرأة أديبة ظريفة لبيبة رحلها زوجها الى أرض غربة لم يكن لها بها مفرج كربة فاحتاجت الى ما يحتاج اليه النساء من الاستحداد واستحيت أن تطلع على ذلك أحدا من الانداد فكتبت بيتي شعر الى أبيها أظن أو أمها تلغزفيهما بعمهما وكانت تلك البنت بحصن يعرف بالتبت فقالت

التبت شر مكان * لا أعدمن فيه بوسا

فقدت هرون فيه * فابعث الى بموسى

ومعكوس هرون على هذا الشكل نوره فانظر الى هذه الحرة الرشيدة كيف أخفت الموسى الحديده حين جعلت هرون لها ترسا وكيف أخفت النورة فيه كي تنسى فلا يهتدى لها حتى تقرأ عكسا وقد أعجبت أخرى بأغرب من هذا كانت تهوى غلاما اسمه رشا فصحفته زينبا (وقالت)

أضحى الفؤاد بزينبا * صبا كئيبا معربا

فجعلت زينب سترة * وكتمت أمرا معجبا

وأقول الاولى عندى أعجب وتقديمها أوجب ومثل هذا التصحيف ما قاله عباد ابن ماء السماء لما تفاءل وقد أهدى اليه سفرجل

أهدى اليه سفرجل فتطيرا * منه وظل مفكرا مستشعرا

خوف الفراق لان شطر هجائه * سفر وحق له بأن يتطيرا

أخذ هذا المعنى الحصرى فقال

متحفى بالسفرجل * لا أحب السفرجلا

مبتداه سفرجل * سفر جل واعتلى

ونمى هذا الى أبى محمد البستربنى فقال فى ضده

ما فى السفرجل شئ يستراب به * فلا تبت منه مطويا على وجل

واقبل هديته من راحتى مرة * راحت عليك به أوراحتى رجل

انى نظرت الى تصحيف أحرفه * فانفك منهن لى بث يفرج لى

ولا تقل سفرجل البلاء به * أوحل منه وقوع الحادث الجلل

ومن هذا النوع من التصحيف أيضا ما يحكى عن أمير حسيب شريف كان يمشى مع وزير له أديب ظريف فمرا فى طريقهما بنسوة تسابين فقال أحدهما لصاحبه الجباسين وقال له الآخر الجبارين ففهم كل واحد منهما ما أراد صاحبه أما الجباسين

فتصحيفه الخنا شين وأما الجبارين فتصحيفه الخبازين ومن التصحيف الظريف مايذكر أن رجلا رأى فى منامه كأن قرمدة من السقف سقطت عليه فأتى لمعبر فى زمانه فسأله عن منامه فقال له المعبر نويت سفرا عن قريب قال نعم قال له لا تسافر فى هذا الوقت فان تصحيف قرمدة قرمدة فأقام الرجل وتبين له بعد ذلك ان الخبر كان فى مقامه (ومثله من التصحيف) ان مدينة آبدة أخذها ثائر فى زمان الفتنة فبعث الامير يستخبر أمرها فوجدها قد أخذت فجاء الى الامير وهو فى الناس فكره أن يفشى ذلك الامر فورّى بأن قال احدب آبده ففهم الامير ماقال والآبدة من أسماء الدواهى وهذا النوع من الادب يجذب ولا يجذب * ودونك فائدة فى الجذب والجذب أحلى من الخصب بعد الجدب جبذ وجذب وهما سواء والجدب بالدال المهملة غير المعجمة ضدّ الخصب وجدب فلان فلانا سبه وشتمه وهذه أيضا فائدة على ماتقدم زائدة كمل الكلام فى معانى هذه اللفظة عندى بأسرها ولا أرتبط لحصرها لانى أجهل ماغيرى به زعيم وفوق كل ذى علم عليم وسآتيكم أيها الحفاظ فى هذا الكتاب بألغاظ

نشطت اليها فصرفتها * على النص ثمت عكسا وقلبا
فهما تمر بها فى الكتاب فادع لمن فيه أتعب قلبا

وأختم لكم هذا الفصل أيها النبوث بفائدة كبيرة فى قوله تعالى عمّ يتساءلون على معنى من التفصيل ذكره صاحب التحصيل يكون كفارة لما تقدم لان الشرّ بالخير يهدم قرأ ابن مسعود عما يتساءلون بألف وكذلك قرأ عكرمة وغيره ومن حذف وهو الاكثر فللفرق بين الاستفهام والخبر وقوله عن النبأ العظيم ليس متعلق عن يتساءلون الظاهر فى التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيقول أعن النبأ يتساءلون كقولك كم مالك أثلاثون أم أربعون فوجب لما امتنع أن يتعلق يتساءلون الذى فى التلاوة أن يتعلق بيتساءلون آخر مضمر تقديره عن أىّ شئ يتساءلون فقيل يتساءلون عن النبأ العظيم وحسن ذلك بتقديم يتساءلون فأضمر يتساءلون آخر والله أعلم بكتابه والنبأ العظيم هنا هو البعث بعد الموت وكانوا ينكرونه * فرغت من التعريف بما فى هذين الاسمين من التصريف على حدّ من التوسيط بين الافراط والتفريط * وقد صنعت لك أبياتا أيها الاديب الظريف أعضل فيها العلم على التلميذ والطريف فان تعلمتها فأنت العريف وان تفهمتها فأنت الشريف

فاجعلها

فاجعلها فى صدرك لعلك تدرك

لتصريف العلوم ألذ مما * أصرفه من الذهب المصفى
لان العلم ينفع دون مال * وليس كذلك نفع المال يلفى
ويكفى المال عيبا أنه صامت والعلم ينطق ليس يخفى
ويكفى المال أن لا فوح فيه * وأن العلم تلفى فيه عرفا
يشهى حامليه لنشره حيث حلوا واتو أدبا وظرفا
ترى الاقوام ان علموا ولا مال عندهم هم كالشمس عرفا
وان جمعوا الدراهم دون علم * فهم نعم وقل عدم بلا خفى
ولكن يافتى للعلم شرط * به تزداد فى الخيرات ضعفا
تكون بما تعلم عاملا لا * تضيع من جميع العلم حرفا
فهذا شرطه وعليه تقوى * بتقوى الله فاتقه لتكفى
وهذى وصيتى فاعمل بها لا * تضعها بعد ذا عجزا وضعفا
فانك ان أضعت قرعت سنا * أسى وندامة وازددت لهفا
وما التوفيق والتسديد الا * من المولى فمد اليه كفا

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه العلم خير من المال لان العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه (وقال) مصعب بن الزبير تعلم العلم فان لم يكن لك مال كان لك مالا وان كان لك مال كان لك جمالا والكلام فى هذا المعنى كثير وما التوفيق الا من عند الله الذى هو على كل شئ قدير (قلت) والذى يعينك أيها الطالب على العلم الدرس مع الفهم ولا يزال فى يدك كتاب تتعلمه فافهمه فانه نعم الجليس ونعم الصاحب والانيس ألم تسمع قول الشاعر ذى العتاب * وخير جليس فى الزمان كتاب * أنشدنى الشيخ الفقيه الاديب أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله لبعضهم وكتبه لى بخط يده رضى الله عنه

ياماجدا أثنى على مالك * ممتدحا فى شعره مالكا
شيمتك الافضال يامفضل * وأنت مطبوع على ذلكا
فان يكن يهلك لى مالك * فلا ترانى بعده هالكا
ما النور الا كتب حازها * بيتك من نسخك أو مالكا
فأنت فيها كل حين ترى * بعض الذى مر على بالكا

فان يكن أقفلها واضع * فعند أخرى فتح أقفالكا
ما كل حين تجد الشيخ ذا * ميسرة وقتا لاشغالكا
لاسيما ان كنت ذا قلة * فأنت مهجور لاقلالكا
وربما أبرمته فاشتكى * والكتب لاتدرى بإملالكا
فالكتب لاتعدمها ساعة * فاستبقها فى حمل أثقالكا
أخلل بها مما ترى دارسا * ففخرها فى فرط اخلالكا

وقد تقدم فى أول الكتاب * اعكف على الكتب وادرس * توتى نخار النبوة
فالله قال ليحيى * خذ الكتاب بقوة

وقد حضضت فى شعرى كما تقدم وفى فهرستى أبيات منها

عليك بدرس الكتب تسم الى العلى * وتدعى شريفا كالذوائب من فهر

وحكى أحمد بن أبى عمران قال كنت يوما عند أبى أيوب أحمد بن شجاع وقد تخلف فى منزله فبعث غلاما من غلمانه الى أبى عبد الله بن الاعرابى صاحب الغريب يسأله المجىء اليه فعاد الغلام وقال قد سألته ذلك فقال عندى قوم من العرب فاذا قضيت أربى معهم أتيت قال الغلام ومارأيت عنده أحدا الا أنى رأيته وبين يديه كتب ينظر فى هذا مرة وفى هذا مرة ثم ماشعرنا حتى جاء فقال له أبو أيوب يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وأحرمتنا الانس بك وأنه قال لى الغلام مارأى عندك أحدا وقد قلت له انا مع قوم من الاعراب فاذا قضيت أربى معهم أتيت فأنشد

لنا جلساء لانمل حديثهم * ألباء مأمونون غيبا ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم من مضى * وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا
فلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة * ولا نتقى منهم لسانا ولا يدا
فان قلت أحياء فلست بكاذب * وان قلت أموات فلست مفندا

وقلت خرجت من شئ الى غيره * والعلم خل الخاشع الخاضع
فاعمل بما كنت له عالما * واسترحم الرحمن للواضع

وأنت قد خرج لك من لفظ زيد وعمرو بحر كلام غمر مع التعويل على ترك التطويل والعلم القليل والذهن الكليل فاقنع بهذا التعليل ففيه شفاء العليل والطفاء الغليل وقد كنت لما أردت جمع تلك الابيات المتقدمة جمعت من هذه الالفاظ الاشكال نحو خمسين بيتا على تلك القافية المتقدمة نحو

وعم وغم وعمّ وغمّ * وغمّ وعمّ وعل وعل

ونحو وخل وخلّ وجلّ وحلّ * وحل وخل وحل وجلّ

وغيرذلك مما أردت أن أحصرفيه هذا الفن فرأيته بحرالا يرتبط وغمرالا ينضبط فرجعت الى الالف والباء مع سائر الحروف التى جمعتها فى الابيات (فقلت) ان عمل بسائر الحروف كما عمل بالالف مع الباء فيستخرج ذلك وغيره وقدكان ذلك فى الشعر أيضا أبيات كل كلمة على ثلاثة أحرف نحو (زيد وزند وزبد وزبد) مثل ماتقدم ومثل (وخبر وخبر وخبر وختر) الى غيرذلك وقداعترانى مع بعض الطلبة نوع من هذا اذحدثتهم أن الوزير أباعبدالله بن شرف رحمه الله صنع ست كلمات لكل كلمة معنى غيرالاخرى وهى (يمة يمه) الكلمات المتقدمات فاستغرب ذلك وقال لايقدر فى هذا الزمان أحدعلى مثل هذافأخذت تبنة من الارض فصحفتها على ستة وسبعين مرّة ولم أغيرشكلها غيرانها منثورة دون وزن ثم انى وصلت منها فى شطرواحدست عشرة لفظة تقرؤها متصلة يكون لها معنى آخذ من الحسن بطرف مثل الذى لابن شرف ومثال ذلك (نبيه تنبه بنية بنية تبنة تنبه بنيه بثنة بنيه) والنبية هنا البعد وكذلك فكذلك الى آخرالكلمات ثم انى نظمت منها بيتين اثنين موزونين وقد تقدم ذكرهذا فى أول الكتاب وكذافعلت معهم فى هجاء يرملون الاحرف الستة صحفتها وقلبتها خمسين مرّة لكن على غيرشكل هذه اللفظة على أنواع من العكس والقلب مثال ذلك أن معكوس يرملون (نول مرى) ومقلوبه (لون مرى ولونى مرّ ونيل مرو وولى نمر ونميرول) وكذلك فكذلك الى آخرالعدد وقدجمعت هذه الكلمات وأضفت اليها الشعرالملغز به المتقدم الذكر فى ألفاظ التبنة المذكورة وما كان من هذا الجنس وما أجاب عليه بعض من رآه فجاء من جميعها كراسة كبيرة وضمنتها كتاب التكميل المذكور ماتظرها هنالك فهوفيها مسطور (وقد تقدم ذكرها أيضا) وانماذكرت هذا لتعلم ان هذا اللسان العربى عجب من عجائب الله ليس لاحد من الامم ماللعرب من ذلك وسأمثل لك من هذا النوع هنا شيئا تتعلل به تخذها مائدة زنة تريد أذكرها لك أى (قل قل أى قل فان قلت لى كذا أقل لك نعم دامت لك النعم ها أنا اذا أجيب * بالامر العجيب ولا أزيدك أى قل على قل قل فأقول نداك ايالك قل وأمرك لى قل اذا جمعتهما جاء منهما قل قل كلام له معنى فأول ما أبدأ بالفاء اذا كتبت لك ماشكله ف

بلا ضبط ولا نقط وقيل لك تكلم على هذا الشكل علمت بصورته أنه ليس بألف ولا دال ولا غير ذلك فلم يحتمل الا أن يكون فاء أو قافا وأقرب ماتقول فيه فاء لان القاف لا تكون على هذا الشكل منفردا فتقول فيها فا وتقول فيها ماقلته فى العين والغين المتقدمتين من أنها تدل على العدد المعلوم فى أبى جاد فان كسرتها (فقلت) فِ رجعت أمرا من وفا يفى وجاء منها فى الحديث على هيئة صورتها فى التهجى ماخرج مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفة الدجال مكتوب بين عينيه (كـ ف ر) أى كافر وفى رواية أخرى مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاها كـ ف ر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب (وجاء فى فضائل عمر بن العزيز) رضى الله عنه عن الليث بن سعد أن رجلا رأى فى المنام مناديا ينادى من السماء جاءكم اللين والدين والعمل الصالح فى المصلين فقال الناس من فنزل المنادى من السماء حتى كتب فى الارض (ع م ر) يريد عمر وكان ذلك فى مولده سنة احدى وستين وقيت قتل الحسين بن على رضى الله عنهما وولى الخلافة سنة تسع وتسعين وتوفى سنة احدى ومائة فى رجب وكانت ولايته سنتين وخمسة أشهر وأربع ليال وفضائله رضى الله عنه مشهورة مذكورة * فان كتبتها معربة فأخرج من صورتها معنى آخر وهو فاء تقول منه فاء يفئ فيئا ومنه فى القرآن العزيز فان فاؤا حتى تفئ الى أمر الله فان فاءت وسيأتى هذا مع ذكر الفئ فى بابه من هذا الكتاب مع الفاء الحرف العامل فى الاسماء والافعال ان شاء الله (وقد تقدم مادلت عليه من المعنى فى قول الشاعر * ألا فا ألا تا * وكذلك تقول رأيت فازيد تريد فمه وسيأتى وفى رجال الحديث من اسمه (فأفاء) أخرج الدارقطنى من حديث بشر بن فأفاء حديث الصلاة فى السفينة فذكره ويقال رجل فأفاء على وزن فعلال اذا تردد فى الفاء وفيه فأفأة والكلام فى القاف فى قولك ق مثل الكلام فى الفاء وسيأتى الكلام أيضا فى قوله تعالى ق والقرآن المجيد واختلاف القراء فى ذلك الا أنه بقى من شكل فاء قاء فعل أيضا من القئ وقد جاء فى الحديث مواضع على ماستراه وقد فسر أبو عبيد حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى الصبى الذى كان به جنون فمسح صدره ودعا له فثع ثعة فخرج من جوفه جرو أسود يسعى قال معناه قاء قيئة ويقال أثاع الرجل اثاعة اذا قاء فهو مثيع والقئ مثاع وأنشد * تمج عروقنا علقا مثاعا * يصف الجراحات قاله صاحب العين ويقال هاع يهوع هوعا اذا قاء بلا كلفة وهوعته

قبأنه وكذلك ان كتبت معر باقاف جاء منه أيضا معنى آخر وقد تقدم قول الشاعر
* قلت لها قفي فقالت قاف * وسيجيء قاف مع معكوسه فاق في بابه ان شاء الله
و يأتي من مقلوب قاف أفق من رقدتك وأفق جمع أفيق وهو الاديم وقد تقدم
وسيأتي الكلام عليه بحول الله وقوته وقال صاحب العين الافيق الاديم والجمع أفق
والافقة مرقة من مرق الاهاب وقال السيرافي لم يجمع فعيل على فعل الا في أفيق
وأفق وأديم وأدم وقضيم وقضم وهي الصحيفة وقال غيره ويجمع آفقة وأديم
وآدمة مثل رغيف وأرغفة (رجع) ويأتي منه أفق واحد الآفاق قال ع يقال
أفاق الرجل يأفق اذا ركب رأسه في الآفاق ومنه رجل أفقي بفتح الهمزة والفاء
وكان أبو نصر وغيره يقول بضمهما وهو القياس وقد جاء أفق بمعنى فضل قال الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته * بأمته يعطي القطوط ويأفق

والقطوط جمع قط وهي الصحيفة من قوله تعالى عجل لنا قطنا أي حسابنا فمعنى
البيت أنه يكتب الجوائز في الصحف و يفضل والامة النعمة ومن القط حديث زيد
أنه كان لا يرى ببيع القطوط بأسا خرجه ثابت وقال القطوط الارزاق وأصل القط
الكتاب وانما سمي الرزق قطا لانه كان يكتب به الى الناحية التي يكون بها
حق السلطان من الطعام وكره مالك رحمه الله وطائفة من العلماء هذا وهي الصكوك
التي ذكر في الموطأ أن مروان بن الحكم رحمه الله كان يبعث الحرس ينتزعونها من
أيدي الناس لان ذلك من بيع الطعام قبل أن يستوفى وسيأتي القط بفتح القاف في
باب الدال ان شاء الله تعالى (رجع) ويأتي من مقلوبه أقف بمعنى اتبع من قوله
تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وأقف انا من وقف * وقفا واحد الاقفاء ويجمع أيضا
على أقفية ويقال قافية (ومنه) الحديث يعقد الشيطان على قافية أحدكم وهو
مؤخر الرأس وسميت القافية بذلك لانها آخر البيت والقفن لغة لبعض العرب
وكذلك القفي والقفو يقولون ذلك عند الوقف و يقولون ذلك أيضا اذا وصلوه بالضمير
مثل قفيك وقفيّ كما قالوا عليك وعليّ ومنه حديث ابن الزبير رضي الله عنه وضعوا
اللج في قفيّ وسيأتي ومثله قول الشاعر .

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم * فتخرموا ولكل جنب مصرع

وأنكر الزبيدي ذكر القفن والوشحن في الرجز الذي أنشده بعض العرب وهو

أحب منك موضع الوشحن * وموضع الازار والقفن

(وقال) انما جاء الغير الفصحاء وهو كالعبث ممن قاله وقد أجازه غيره وقال يقال القفن في موضع القفا فتزاد فيه النون مشددة وأنشد الرجز المتقدم وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه انى أستعمل الرجل الفاجر لاستعين بقوته ثم أكون على قفانه والقفاوة البر واللطف والقفي الضيف المكرم وفلان قفي بفلان ويقال لفلان عندى قفية ومزية ولكن يقال أقفية ولا يقال أمزية قاله ثابت وقال عمر بن الخطاب في العباس رضي الله عنهما قفية آبائه يريد تلوهم وسيأتي يقال هذا قفي الاشياخ وقفهم وسيأتي الكلام في القافة في باب القاف مع قف وغيره والقفينة بالنون هي الشاة التي تذبح من قفاها وقد قفنها قفنا وهو منهى عنه فان ذبحها في الحلق فقطع الرأس فقد جاء في حديث ابراهيم النخعي رضي الله عنه فيمن ذبح فأبان الرأس يقال تلك القفينة لا بأس بها وقد يقال في هذا ان النون زائدة لانها القفية و يقال الياء الاخيرة بدل من النون لانها لو كانت أصلا لبقي الفعل بلا لام في قولك قفنها ولا يعرف أبو زيد الا القفية بالياء و يقال القفن أن تضرب بعصا أو سيف فتموت وهذا منهي عنه أيضا بل حرام لانه بالعصا وقذ و بالسيف عقر و يأتي من شكل قفا قفانك وقفأ عينه بالهمز وقفا بغير همز مقصور وهو النمس الاخضر اذا انتفخ وعليه قشرة غليظة قبل أن يدرك ولم يحمر قاله ثابت وفسره في قول الراجز

وصار لي مثل القفا ضراتري ✽ مخمر نطفات عسرا عواسري

فصرت ما بينهما كالساحر

يقول انتفخت على من الغضب ومخمر نطفات متعصبات عواسري يحملنني على العسر ✽ وربما بقي من هذا النوع ما لا أعلمه الآن و يعلمه غيري وأذكرك أبياتا ذكر فيها القفا مما أنشدني الحافظ رحمه الله قال أنشدني القاضي أبو محمد الحسن ابن نصر بن مرهف النهاوندي بها قال أنشدني الاديب المأمون بمر ولنفسه

لي على الناس فضل نظم ونثر ✽ من أباه هجوته وأباه

واذا ما أتى صفعت قفاه ✽ وقفا من أعانه وقفاه

ولي من هذا النوع قطعة مطولة منها

حبذا غادة كخوطة بان ✽ لو رآها الحكيم كرر آها

أدبا جمعت وخلقا وخلقا ✽ أبواها بذلكم حبواها

وحماها عن أن تطار حماها ✽ وحماها عن أن تضام حماها

كم بها هام ويحه من همام * فنهاها عن القبيح نهاها
رام منها الحرام قبلة ثغر * فأبت أن يبوس فاها سفاها
قبل الارض حين لم يلق فاها * ثم لما ولت قفاها قفاها

الى آخر الابيات انظرها فى التكميل ويكون قفا بمعنى اتبع ويكون أيضا بمعنى قذف تقول قفوت الرجل أقفوه قفوا قذفته وسيجيء مستوفى فى باب القاف ان شاء الله تعالى *(فصل)* وقد فرق أهل اللغة بين الحروف التى آخرها حرف صحيح مثل الدال والذال وبين الحروف التى آخرها همزة مثل الطاء والظاء والفاء فقالوا كل حرف بعد ألفه حرف صحيح فانه يرجع الى الواو فى التصغير فتقول فى الدال دويلة وفى الذال ذويلة وتقول فى الظاء ظيية وظييت ظاء اذا صورتها وقياس الواو فى النحو أن تقول فى تصغيرها أوية وتنسب الى ما كان آخره همزة مثل الباء والهاء فتقول لقصيدة الباء بيوية والفاء فيوية والى ما كان آخره حرفا كالصاد والكاف والقاف فتقول الصادية والكافية والقافية *(فصل)* فان عكست هاتين اللفظتين أعنى فا وقا جاء منهما أف وأق وستراهما فى مكانهما وما يؤديان من المعانى واختلاف القراء فى أف ان شاء الله (ثم نرجع) الى اللام المتقدمة فى فل فان كتبتها ل ولم تشكلها دلت على العدد المتقدم وان كسرتها جاء منها فعل أمر من ولى يلى كما تقدم فى الفاء والقاف وان كتبتها على هذا الشكل لام معربة جاء منها فعل تقول لام فلان فلانا على كذا وكذا بمعنى عتب وعذل من قولك لام يلوم لوما وكان فى العرب من اسمه لام وهو جد أوس بن حارثة بن لام الطائى وهو مشهور شريف فى العرب (وجاء لام فى الحديث) حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الارض تكون يوم القيامة خبزة واحدة كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى النائم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بادامهم قال ادامهم لام ونون قالوا ما هذا قال ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا ذكر فى الحديث باللام ونون فلا أدرى أهو اسم واحد بكماله لانى رويته فى مسلم بضم الميم أم هو حرف تهج من حروف المعجم والله أعلم فان همزت الالف مع اللام جاء منه معنى تقول لأم بين الشيئين جمع بينهما وفى الدعاء من هذا ألأم الله شعثكم ولأم شعثكم وتقول هذا شئ لأم أى مجتمع ملتئم ومآل مرجع ومصير ومال أمر من مالأت اذا تركت همزه فى الامر ويأتى منه مال منادى مرخم وقد قرئ فى القرآن

ونادوا بامال قراءة على وابن مسعود رضى الله عنهما ولى شعر مطوّل قوافيه كلها
مال مال انظره فى التكميل ان شاء الله وشعر آخر قوافيه كلها امال ذلك مال ذلكما
الى خمسة عشر مرة و يأتى من مقلوبه امل وأمل على الكتاب وأمل الى رأسك
وآمل اسم بلد واليه ينسب أبو سعيد الآملى من أهل الحديث وآمل اسم فاعل
وكذلك اذا أدخلت على مل ألف الاستفهام قلت أمل زيد كذا أم لا وأمل كذا
من الامل وغير ذلك مما اذا طلبته وجدته و يأتى من مقلوبه أيضا ألم ذلك الكتاب
لاريب فيه وكذلك الم وألم فى الامر وألم فعل مضى فان أضفت الى الفاء اللام
جاء منه فل مخفف من فلان وليس بترخيم و يأتى الكلام عليه فى بابه ان شاء الله
تعالى وفل السيف وفل القوم المنهزمين وغير ذلك مما يأتى بعد ذلك مع معكوسه
لف ولف فى باب الفاء ان شاء الله فان جعلت الفاء قافا جاء منه قل أمر من القول
وتكلم العلماء فى معنى اثبات هذه اللفظة حيثما وقعت فى القرآن مثل قوله تعالى قل
يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وغيره فخرج البخارى عن أبى قال سألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قيل لى قل قال فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيما قرأته على الحافظ بالاسناد المتصل الى أبى رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فى حديث فقيل لى قل فقلت لكم فقولوا قال أبى فقال لنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نقول وقال بعض العلماء جاء بذلك جبريل
عليه السلام مكتوبا كذلك فلم يكن يسقط منه شيئا وفى القرآن منه شئ كثير
قل يا أيها الناس وقل انما أنا بشر وقل أعوذ وغير ذلك والله أعلم بما أراد من ذلك
(ويأتى منه أيضا) قل من القائلة وقل من القل وغير ذلك مما يأتى مع معكوسه لق
والق فى بابه ان شاء الله تعالى فان ذكرت الفاء واللام مع القاف جاء منه فلق فعل
بمعنى شق ومنه قوله تعالى فالق الاصباح قال أهل التفسير معناه شاق الضياء عن
الظلام وكذا قالوا فى قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى قال ابن عباس معنى
فالق خالق وقال مجاهد هو الشق الذى فى الحبة والنواة وقال الحسن وقتادة هو
فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وكثيرا ما كان على بن أبى طالب يقسم
والذى فلق الحبة وبرأ النسمة وسيأتى ان شاء الله تعالى و يكون منه فلق أيضا
كقوله تعالى قل أعوذ برب الفلق قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما الفلق الصبح
وذلك لان عموده ينفلق بالضياء عن الظلام وقال ابن عباس الفلق الخلق وقد تقدم

فى فالق الحب والنوى وعنه أيضا الفلق سجن فى جهنم وقال كعب بيت فى جهنم
وقال ابن جبير هو جب فى جهنم وسيأتى تفسيره فى باب الدال ان شاء الله نعوذ بالله
من جميع عذابه وأليم عقابه والفلق الفجر والله فلقه أى برأه ومنه قولهم
والذى فلق البحر لموسى وهذا أبين من فلق الصبح وفرقه وسمعته من فلق فيه وضربته
على فلق رأسه والفلق بالكسر واحدتها فلقة والفلق والفليق والفيلق الداهية
والفيلق أيضا الكتيبة الشديدة والفليق والفليقة الشئ العجيب قال الشاعر

يا عجبا لهذه الفليقه * هل تذهبن القوباء الريقه

والقوباء تمد وذكر بعضهم أنها لا تمد قاله ثابت رحمه الله وهى مأخوذة من القوب
وهو التقوير وقالوا شاعر مفلق والمفلاق الرذل الدنىء والفالق والفالق مطمئن بين
ربوتين قاله صاحب العين ويأتى من معكوسه قلف وهو مصدر الاقلف وفى البخارى
قال الحسن وابراهيم لا بأس بذبيحة الاقلف والقلفة الجليدة ذكر ذلك صاحب
العين يريد به الذى لم يبالغ فى قطع ذلك منه عند الختان والله أعلم (قال) والقلف
اقتلاع الظفر من أصله (ومن مقلوبه) قفل الجند قفولا وقفلا رجعوا وقفلتهم
انا وهم القفل وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبر
أسرى ويجىء مصدر هذا قفولا كما تقدم وجاء فى حديث آخر فلما أردنا الاقفال
من عنده سألت عنه بعض أشياخى فقال قد يجىء المصدر على غير المصدر كما قال
تعالى أنبتكم من الارض نباتا وتقول قفل السقاء قفولا يبس وشيخ قافل وأقفلت
القفل وأعطيته ألفا قفلة أى مرة ومن هذا قول عبد الملك بن حبيب القرطبى
رحمه الله صلاح أمرى والذى أبتغى * هين على الرحمن فى قدرته

ألف من الحمر وأقلل بها * لعالم أزرى على بغيته

زرياب قد يأخذها قفلة * وصنعتى أشرف من صنعته

وكان زرياب مغنيا مشهورا (ومن مقلوبه أيضا اللقف) تناول الشئ اذا لقفته
ورجل لقف وسيأتى والتلقف الابتلاع (وفى الكتاب العزيز) تلقف ما صنعوا
واللقيف الحوض الذى لم يطين ويقال الملآن واللفق خياطة الثوبين تلفق أحدهما
بالآخر ويقال لهما مادا ما ملفوقين اللفاق وكلاهما لفقان مادا ما منضمين (ومن
مقلوبه أيضا) بفاء بين لفف فى اللسان والكلام وبقافين قلق وقلق وسيأتى فان زدت
على هذه الحروف اللام الاخرى جاءتك فلفل شجر وقلقل وسيأتى مع القافلة التى

هي الحركة وجاء من معكوسه لعلق وهو اللسان وبقاء من قلقل لهذا الحب المعلوم
وبقاء وقاف معه ولا قل قل (رجع الكلام من حيث بدا) بعد ما نشأ منه ما نشأ
منه ووفاق برز من سماء اتفاق وخلاف خرج من غلاف وكلام عجاب كان عنك
في حجاب وانما ذكرت هذا كله لتعلم سعة هذا اللسان الشريف المستغرب الذي
لا يوجد الا عند العرب كما حدثني الحافظ السلفي عن بعض أشياخه رحم الله جميعهم
قالوا فضلت هذه الامة على سائر الامم بالاسناد والانساب والاعراب ولو كانت
هذه اللفظة على غير هذا الشكل لكان الكلام بما أثرفيها أكثر لان فيها الا ما
مكررة كما أخرجت من تثنية ما ذكرت لك من العدد وغيري يجد أكثر مما وجدت
وأين تقع معرفتي في معرفة من فوقي وفوق كل ذي علم عليم *(فصل)* من نوع
ما تقدم من التذييل وتكثير القليل من ذلك اني ذكرت فيما تقدم النقط والشكل
فاعلم أن النقط في القرآن محدث وانما صنع ذلك لتعرف به أعيان الحروف
اصطلاحا دليل ذلك أن أهل هذه البلاد ينقطون الفاء واحدة من أسفل والقاف
واحدة من فوق وأهل المشرق ينقطون الفاء واحدة من فوق والقاف اثنتين من
فوق وقد رتب أهل العلم هذه الحروف أحسن ترتيب ضموا الاشكال بعضها الى
بعض مثل الباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء الى غير ذلك مما هو معلوم وقدموا
الالف عليها لفضلها على ما سيأتي ان شاء الله وكذلك الباء ونقطوها واحدة للفرق
كما تقدم ثم لما أضافوا اليها التاء اذ كانت من شكلها نقطوها اثنين ثم الثاء ثلاثا
على نسق العدد ثم أضافوا اليها الجيم على حسب اتصالها بالباء في أبجد وكذلك
وصلوا الدال بالجيم ولا تحسب الاشكال مثل الحاء والخاء لانها من شكل الجيم
كما لا تحسب التاء والثاء لانها من شكل الباء ويحتمل أن يكون قدموا هذه اللفظة
أعني أبجد لان تصحيفه أب جد كأنه ينبئك أنه جد فجد أنت وقدموا الاب على
الجد لان أباك أقرب اليك من جدك والله تعالى أعلم بالحكمة في ذلك ولما أضافوا
للجيم الحاء تركوها بلا نقط ونقطوا الخاء للفرق وكذلك سائر الازواج كلها مثل
الدال والذال والراء والزاي والطاء والظاء والصاد والضاد والعين والغين والسين
والشين وراعوا في أكثرها ترتيبها في أبجد مثل الكاف واللام والميم والنون في كلمن
وما شذ من ذلك فانما قدموه بحسب المخارج وهذه علة ترتيب أهل المشرق وحروفهم
على غير ترتيب بلاد المغرب ذكر أكثر هذه المعاني أبو عمرو المقرى رحمه الله في كتاب

بحث النقط والشكل وترتيب الحروف

المحكم

المحكم أولعل ذلك ليس يعلمه الا الله ومن علمه اياه من أنبيائه وأوليائه كما خلق صور
هذه الحروف على هذا الشكل والله تعالى أعلم وكذلك الشكل الذى هو النقط
والضبط أو الضبط بالحركات حسبما تقدم بخالف ماعندهم ماعندنا وكره طائفة
من العلماء نقط المصحف وقالوا جردوا القرآن ولا تخلطوه بشئ وفى لفظ آخر ولا
تخلطوا به ماليس منه وكان الحسن وابن سيرين يكرهان نقط المصحف ولم يكن
منقوطا فيما تقدم وأرخص فيه طائفة أخرى وقالوا هو نور له (وقال ابن وهب)
حدثنى الليث هو ابن سعد قال لا أرى بأسا بنقط المصحف بالعربية وقال ابن وهب
وسمعت مالكا يقول أما هذه الصغار يعنى التى يتعلم فيها الصبيان فلا بأس بذلك
فيها وأما الامهات فلا أرى ذلك فيها وسئل ربيعة بن عبد الرحمن عن شكل القرآن
فى المصحف قال لا بأس بذلك (وقال أبو عمرو المقرى فى كتاب المقنع) أحد تآليفه
اختلف الرواة لدينا فى من نقط المصاحف من التابعين فروينا أن المبتدى بذلك
كان أبا الاسود الدؤلى رحمه الله تعالى وذلك أنه كان أراد أن يعمل كتابا فى النحو يقوّم
الناس به ما فسد من كلامهم اذ كان فرشيا فقال أرى أن أبتدئ باعراب القرآن
أولا فأحضر من يمسك المصحف وأحضر صبغا يخالف لون المداد وقال للذى يمسك
المصحف اذا فتحت شفتى فاجعل نقطة فوق الحرف واذا كسرتهما فاجعل النقطة
تحت الحرف واذا ضممتهما فاجعل النقطة الى جانب الحرف فان أتبعت شيئا من
هذه الحركات غنة فاجعل نقطتين ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف وذكر فى
المحكم سبب ذلك أن معاوية رحمه الله تعالى كتب الى زياد يطلب عبيد الله ابنه فلما
قدم عليه وجده يلحن فرده الى زياد وكتب اليه كتابا يلومه فيه ويقول أمثل عبيد الله
يضيع فبعث زياد الى أبى الاسود فقال يا أبا الاسود ان هذه الحمراء قد كثرت
وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم ويعرفون به
كلام الله تعالى فابى ذلك أبو الاسود وكره اجابة زياد الى ماسأل فوجه زياد رجلا
فقال له اقعد فى طريق أبى الاسود فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن
فيه ففعل ذلك فلما مر به أبو الاسود رفع الرجل صوته فقال ان الله برىء من المشركين
ورسوله فاستعظم ذلك أبو الاسود وقال عز وجه الله أن يتبرأ من رسوله ثم رجع
من فوره الى زياد وقال يا هذا قد أجبتك الى ماسألت ورأيت أن أبدأ باعراب
القرآن فابعث الى ثلاثين رجلا فأحضرهم زياد فاختار منهم عشرة ثم لم يزل يختار

منهم حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس فقال خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد وذكر الحديث المتقدم قال وروينا أن المبتدئ بذلك كان نصر بن عاصم الليثي وأنه الذي خمسها وعشرها وروينا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نقطه يحيى بن يعمر وأن يحيى أول من نقطها وهؤلاء الثلاثة من جلة تابعي البصرة وأكثر العلماء على أن أبا الاسود كان المبتدئ بذلك جعل الحركات والتنوين لا غير وان الخليل بن أحمد هو الذي بدأ التمد والتشديد والروم والاشمام وأنه عمل الشكل الذي على الحروف وأخذه من صورة الحرف فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف لئلا تلتبس بالواو المكتوبة والكسرة ياء تحت الحرف والفتحة ألف مسطوحة فوق الحرف وجعل الحرف المشدد شبه شين أخذه من أول شديد فاذا كان خفيفا جعل شبه خاء أخذه من خفيف *(فصل)* تقدم ذكر الحرف المعتل (قلت) وفيه معتبر لمن اعتبر وتبصرة لمن استبصر فضل الله بعض الكلمات على بعض كما فعل بجميع خلقه حتى بين الانبياء عليهم السلام فقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وقال في الناس ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات وكذا هم في الآخرة فمن الناس مبتلى ومعافى وكذلك الافعال أنظر ضرب ووفى اذا صرفت ضرب لم تنقص منه شيئا بل تزيده حرفا آخر في أوله فتقول يضرب فاذا أمرت منه حذفت الياء وعوضت منها ألفا وقلت اضرب واذا صرفت وفى نقصت الواو وقلت يفي فاذا أمرت منه قلت فه ذهبت عنه الزوائد وحروف العلة وبقي في نهاية من القلة وكذلك ان جزمته حذفته فقلت زيد لم يف وهذا مثال به اكتف فمع الامتحان لا يبقى الا الصحيح الصافي ولا يقبل الا الخالص الوافي كذلك العبد في الدنيا يظن أنه يأتي بشئ وذلك الشئ كالفئ يلقى ربه عز وجل كما أخبر ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون وكما قال تعالى ويأتينا فردا الى غير ذلك من الآي (ويروى) أن أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس قدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت

لنفسك فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدامه فلا يرى شيئا غير جهنم ومن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (قلت) وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته عدد من سلم عليه ومن لم يسلم عليه أضعافا مضاعفة بغير نهاية ولا آخر وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم طرح في النار هذا حال من قد ذهب ماله وأخذت أعماله ثم انظر الى هذا المغتر كيف يحشر ان كان بماله مفتخرا وعلى عباد الله مستكبرا خرج الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيامة مثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال فمثل هذا الرجل المختل الحال مثل هذا الفعل المعتل بين الافعال (قلت) وما أحسن قول بعض الشعراء يمدح أحد الامراء رحمهما الله تعالى

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

يصفه بأنه يخاف العواقب فيهب قبل حدوث النوائب مثل الفعل المضارع يعني أنه ينوي أن يعطي أو يهب هبة من ورق أو ذهب فيمضي ما نواه وهذا فعل الحر الحازم قبل دخول الحرف الجازم فيقال لم يعط ولم يهب فزال عنه اسم الجود وذهب ولا ينكر على هذا النوع من الاعتبار فقد فعله من فوقي من العلماء الكبار حدثني بعض أشياخي عن بعض أشياخه قال كنا ندخل على فلان العالم ونحن طلبته فيقول من أين أقبلتم فنقول من موضع كذا فقال لنا مررتم واجتزتم بالسوق فقلنا نعم فقال وما رأيتم بها فقلنا كذا وكذا ورأينا فيها حوتا قد قلي ما رأينا أحسن منه فقال وما قال لكم فقلنا له سبحان الله وهل يتكلم الحوت مشويا مقلوا فقال انا لله وانا اليه راجعون تزعمون انكم طلبة حذاق والاشياء تكلمكم ولا تفهمون عنها فقلنا فأخبرنا أنت يرحمك الله فانا لا نعقل هذا فقال نعم قال لكم ذلك الحوت يا أيها الناس

قوله نار الانيار معناه نار النيران فجمع النار على انيار وأصلها أنوار لانها من الواو كما جاء في ريح وعيد ارياح واعياد وهما من الواو اهـ نهاية

انظروا الىّ واعتبروا ففيّ معتبر بينا أنا فى الماء أسبح وأمرح اذ رأيت طعمة ملقاة فابتلعتها ولم أفتش مافيها فكان فى جوفها سنارة الصائد فأخرجت حتى كما ترون هذا ماقال لكم وان لم يكلمكم حوارا كلمكم اعتبارا كم من لقمة تأكلون أنتم كل يوم ولا تفتشون مافى جوفها هذا معنى كلامه رحمهم الله أجمعين (ومثل هذه الحكاية) خرّج أبوطالب المكى رحمه الله فى كتاب قوت القلوب عن بعض أهل الاعتبار أنه كان يمشى فى الوحل فكان يتقى ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشى فى جوانب الطريق الى أن زلقت رجله فى الوحل فأدخل رجليه فى وسط الوحل وجعل يمشى فى المحجة قال وبكى فقيل له ما يبكيك فقال هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب ويجانبها حتى يقع فى ذنب منها أو ذنبين فعندها يخوض فى الذنوب خوضا وكان بعضهم يعتبر بما يعتريه ويقول انى لاعرف ذنبى فى خلق حمارى وفى تسليط فأرتى علىّ وصدق بقول الله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوعن كثير (فان قلت هذا الذى ذكرته) كل أحد يدريه فأقول وأنا أيضا لم أخترعه وانما أخذته من كتب العلماء وهم ذكروه وتركت أشياء ذكروها لم اذكرها *(فصل)* قد أخرجت لك أيها الولد مما فتح الله تعالى علىّ من لفظة فلّ علما أدبيا دنيويا وها أنا أخرج لك من لفظة التينة المتقدمة الذكر بعون الله تعالى علما آخر زهديا أخرويا فأقول على بركة الله عزوجل يستدل بتلك التينة على أنها مخلوقة وما خلق الله شيأ عبثا بل ماخلقه الا ليدل به على نفسه

ففى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

أوّل ذلك ماذكره بعض العلماء أنها تدل على أنها مقتطعة من نبات أكمل من الجماد كالحجر الذى لا ينمى ولا يغتذى وان هذا النبات خلقت فيه قوة يجتذب بها الغذاء الى نفسه من جهة أصله وعروقه التى فى الارض وهى العروق التى تتصل بالعروق الظاهرة فى الورقة وهى تتشعب الى غلائظ ودقاق تكاد تخفى عن البصر لدقتها وانها لا تجيء الا بأشياء تختص بها من تراب وماء وهواء اذ لو تركت الحبة فى البيت مثلا لم تزد ولم تنم لانه لا يحيط بها الا الهواء فقط وهو لا يصلح لغذائها وحده حتى ينضاف اليه التراب أوما يتولد من الارض ولا بدّ من الاصل الاكبر وهو الماء لقوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حيّ أفلا يؤمنون ولو كان الماء أيضا وحده لم تتغذ به حتى يخالطها التراب فيصير طينا ثم يداخله الهواء اذ لو تركت الحبة فى

أرض ندية صلبة متراكبة لم تنبت حتى يصل اليها الهواء فيخلخل الارض فتنشق
كما قال تعالى انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا والنبات لا يتحرك بنفسه
فلا بد من ريح تحركه وتضربه بقهر وعنف على وجه الارض حتى ينفذ فيها واليه
الاشارة بقوله تعالى وأرسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج بين
الهواء والماء والارض ثم كل ذلك لا يغني اذ الماء والارض باردان فانظر كيف سخر
الله الشمس وهي مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت ليحصل
البرد عند الحاجة اليه والحر عند الحاجة اليه ثم ان النبات اذا ارتفع عن الارض
وأثمر كان في الفواكه انعقاد وصلابة فيحتاج الى رطوبة تنضجها فانظر كيف خلق
الله القمر وجعل فيه خاصية الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو
ينضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم ولذلك لو كانت الاشجار في ظل
يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان
الشجرة الصغيرة تفسد اذا أظلتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف
رأسك في الليل فتغلب على رأسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب
رأسك يرطب الفواكه أيضا وليس هذا وحده بل كل كوكب في السماء مسخر
لنوع فائدة كالشمس والقمر علمه من علمه وجهله من جهله تصديق ذلك قوله تعالى
ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ولما قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات الى آخر الآية قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته
وسيأتي الحديث بذلك مستوفى في باب الراء ان شاء الله تعالى ومعناه أن يقرأ
ويترك التأمل ويقتصر في فهم السماء على اللون وضوء الكواكب دون أن يعرف
أنها مسخرة بأمر الله تعالى لمصالح عباده وبلاده ولا تظن أن معرفة ذلك تقدح في
الشرع لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الاشتغال بعلم ذلك انما المنهي عنه أن
تعتقد أنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها
وقهرها فهذا كفر أو تعتقد تصديق ما يقول المنجم مما يدعيه من علم الغيب وهذا
باطل اذ لا يعلم ما في غد الا الله وتأكد النهي أيضا فيها لانها كانت تعبد وعابدوها
يزعمون أنها تحكم وتقضي تعالى الله عن قولهم ولقد صدق الذي يقول

لو دبرت أنفسها لم تغب ✻ والطلع الناقص كالكامل

فاذا قال الانسان قد أجرى الله العادة أنه متى حلت الشمس فى البرج الفلانى كان الحر لا محالة وكذلك فى البرد لم يكن الانسان بذلك مخطئا ما لم ينسب ذلك الفعل لغير الله الفاعل سبحانه وتعالى كما يقول فى الصيف يحصد الزرع وفى الخريف تخترف الثمار لا فرق فاذا المقصود أن غذاء النبات الذى كانت منه تلك التبنة أو الحشيشة لا يتم الا بالتراب والماء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التى هى مركوزة فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتحرك الا بملائكة يحركونها وكذلك يتمادى ويتسلسل الامر فيه الى ما لا يعلمه الا الله وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يعلم جنود ربك الا هو (فان قلت) ذكرت أن النبات لا يكون الا فى الارض وبالماء وأنا أرى نباتا مثلا على الحجر الصلد وعلى القرامد فى السقف والبصل فى البيت وأرى حيوانا يتولد فى الماء وحده دون تراب كالخابية والقلة وفى داخل الفاكهة والحيوان أغرب من النبات (فيقال لك لولا التراب) والغبار الذى على القرامد والطحلب الذى اجتمع فى الخابية وان قل ما رأيت ذلك والا فانظر آنية مزججة حيث لا يمكن أن يعلق بها شئ من الغبار هل ينبت فيها نبات ولما كانت القرامد والحجارة فيهما من الخشونة وقلة الملوسة بحيث يسكن فيهما الماء والغبار وان قل تكون فيها ذلك النبات بأمر الله ونبت واستقر عليها بقدرته ونبت وكذلك الطحلب النابت على الماء الراكد الكلام فيه واحد (فان قلت) فالبصل فى البيت قيل لك ليس ذلك ابتداء نبات انما هو فضلة ماء بقيت فى البصلة مما قد تكون قبل فى التراب وانظر الى الحكمة فى نباته ليس ينبت الا فى الفصل الذى فيه ينبت لو كان فى التراب بقدرة الله تعالى ولقد نظرت الى العنصل الذى تقول له العامة بصل الخنزير معلقا فى الفرن مقلوبا رأسه الى أسفل وقد أخرج عسلوجا وورقا ونورا ورفع رأسه الى جهة السقف وهو مع ذلك يصيبه دخان الفرن بكرة وعشيا ولكنه أخرج عسلوجه وورقه ونوره كما ذكرت حتى قلت فى ذلك أبياتا كأنها لغز

ألا قل لى فديتك ما نبات * له ورق وعسلوج ونور
تراه يانعا من غير ماء * ولا ترب ولا يرعاه ثور

(وفيه أيضا)

ألا قل لى فديتك ما نبات * له ورق على الاشجار تربى
تراه يانعا من غير ماء * ولا شمس ولا أرض وترب

واعى

وأعنى بذلك كونه معلقا فى القرن كما تقدم (ودونك فائدة فى التراب) من غير الباب قال الجوهرى التراب فيه لغات يقال تراب وتوراب وتورب وتيرب وتيراب وترب وتربة وترباء وتريب وتريب وجمع التراب أتربة وتربان والترباء الارض نفسها وترب الرجل أصابه التراب وترب افتقر كأنه لصق بالتراب وأتربت الشئ جعلت عليه التراب (وفى الحديث أتربوا الكتاب) فانه أنجح للحاجة وفى آخر فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وأترب الرجل استغنى كأنه صار له من المال بقدر التراب والمتربة المسكنة والفاقة ومسكين ذو متربة أى لاصق بالتراب والتربات الانامل واحدها تربة وهذه ترب هذه أى لدتها وهن أتراب والتريبة واحدة الترائب وهى عظام الصدر وقيل موضع القلادة من الصدر وفى القرآن العزيز من هذا يخرج من بين الصلب والترائب يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وفى القرآن العزيز أيضا من الترب التى هى اللدة قوله تعالى عربا أترابا يعنى أترابا على سن واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة قال ابن سلام ومعنى عربا جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها وأصل الكلمة من المعاربة وهى المداعبة (وقال سعيد ابن جبير هن المتغلات يقال تغلت المرأة فى مشيتها مثل تهالكت اذا تساقطت فى التغنج قال الشاعر * تغلت لى حتى اذا ماقتلتنى * تنسكت ماهذا بفعل النواسك (فان قلت فالحيوان فى جوف الثمرة) والفاكهة قبل ذلك الاصل واحد فأقام ما فيها من الرطوبة مقام الماء ومافيها من الخثورة مقام التراب وتكون فيها ماتكون بقدرة المكون وتصور وتلون بحكمة المصور والملون وهذه السنن التى سنها فى عباده والحكم التى أظهرها لهم من ارتباط الاشياء بعضها ببعض وظهورها بالوسائط والاسباب مثل كون الولد من الوالدين وخروج النار من بين الزندين ونبات النبات بين الشيئين انما فائدتها لانخراق العادات للانبياء عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضى الله عنهم جعلها لهؤلاء فضيلة وكرامه وللانبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة وعلامه اذ لو قال النبى معجزتى أن أفعل لكم ما أردتم من كذا وكذا و يشير الى المعتاد الذى يعرفه العباد لم تكن معجزة ولا استجاب له أحد فاذا أتى بالشئ الذى يعجز عنه البشر من انخراق العادات ثبتت المعجزات (مثال ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد أجرى العادة) ان النار تحرق باذن الله وان الماء يغرق من ألقى فيه كذلك بقدرة الله وقد رأينا عكس ذلك فى الانبياء

والاولياء مثل الغلام الذى كان يلقيه الجبار فى الماء فيخرج منه سالما انظره فى كتاب مسلم ومثل ابراهيم عليه السلام الذى لم تحرقه النار ولو كانت النار من شأنها الاحراق ولابد لاحرقته كما أحرقت القيد الذى كان فى رجليه الكريمتين صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما فاذا النار مأمورة بحرق الحبل وترك الرجل وتضرم على قوم اضراما وتكون لآخرين بردا وسلاما كما قال الله عز وجل (قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم) ولولا ما قال وسلاما لقتله البرد وكانت نارا عظيمة جمعوا لها الحطب زمانا حتى ان الشيخ الكبير الذى لم يخرج من بيته قبل ذلك زمانا كان يجيء بالحطب فيلقيه يتقرب به الى آلهتهم فيما يزعم فلما أراد وا أن يلقوه فيها لم يستطيعوا الدنو منها لشدة حرها وعظمها فألقى فى المنجنيق وكان ذلك أول منجنيق عمل يقال دلهم عليه ابليس لعنه الله وجاءت عامة الملائكة الى ربها (فقالت يارب خليلك يلقى فى النار) فأذن لنا أن نطفئ عنه فقال هو خليلى ليس لى فى الارض خليل غيره وأنا الهه ليس له اله غيرى فان استغاثكم فأغيثوه والا فدعوه وجاء ملك القطر فقال مثل ذلك فقيل له مثل ذلك (قال فلما ألقى فى النار) قال حسبى الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال فبردت على أهل المشرق والمغرب فما أنضج بها يومئذ كراع ويروى أن جبريل عليه السلام لقيه فى الهواء قبل أن يصل الى النار فقال له يا ابراهيم ألك حاجة فقال أما اليك فلا حسبى الله ونعم الوكيل فكان ما تقدم والله أعلم فلا تستغرب هذا فى قدرة الله تعالى وفى حرمة نبى فقد كان قريب من هذا فى غير نبى ألقى أبو مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثور فى النار فلم تحرقه وجيء به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فقال الحمد لله) الذى لم يمتنى حتى أرانى فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به مثل ما فعل بابراهيم الخليل عليه السلام فلم تحرقه النار أو كما قال رضى الله عنه وكان الذى رماه فى النار الاسود العنسى وسيأتى ذكره مع مسيلمة فى باب اللام ان شاء الله تعالى فخرج من هذا أنه لا فاعل الا الله ولا فعل الا بأمر الله كما قال تعالى فى الريح تدمر كل شئ بأمر ربها وكما جاء فى شأن البعير الذى ند (قال الراوى) فرماه رجل بسهم فحبسه الله انظر حسن أدبهم مع ربهم وكما يروى أن رجلا كانت له غنم كثيرة وكان يرعاها فقال له رجل لمن هذه الغنم فقال لله وهى فى يدى وهذا باب يطول وأمر يهول فاستدل بالادنى على الاكثر وبما بطن على ما ظهر (وأما

في

فى حق الله وفى قدرته) فانه يخلق بغير واسطة كعيسى عليه السلام من أنثى بلا ذكر وآدم عليه السلام خلقه بلا أنثى ولا ذكر (فان قلت) فمن التراب خلق قيل لك فالتراب من أين كان وهذا أيضا ان تتبعته أفضى بك الى لا اله الا الله ولا فاعل للأشياء الا الله وان ماسواه وسوى صفاته وأسمائه خلقه وصنعه والله خلقكم وما تعملون ويخلق مالا تعلمون

خرجت من شئ الى شئ * ونشر ماقد كان فى الطى
حتى انتهى الامر الى العالم الفرد المريد القادر الحى

(ثم أرجع الى التينة المباركه) ولا أعاملها بالمتاركه (فأقول) وأنها أيضا تدل على الصانع لان كل صنعة تدل على صانعها وأنه سبحانه ليس من جنسها ولا مثلها وأنه حى اذ الميت لا يخلق وأنه صانع اذ المصنوع قد وجد وأنه عالم اذ لا يصدر فعل محكم متقن الا من عالم والاتقان نوعان الاول جمال المصنوع وكماله والآخر مجيئه عند الحاجة اليه ألا ترى المولود مثلا يكبر فى بطن أمه واللبن ينعقد فى ثديها فساعة يولد وجد غذاء باسرا وزريعة الحرير فى البيت والتوتة فى الجنان مثلا لا تتحرك الدودة من موطنها الا اذا بدأت التوتة تخرج ورقها ان فى هذا لآية بل آيات (فائدة على ماتقدم زائدة) يقال توت وتوث بالثاء المثلثة ذكر ذلك بعض أهل اللغة قال ويقال أترجه وأترنجه كما قالوا خروب وخرنوب وهو الينبوت خرج ثابت رحمه الله ان عبد الملك بن مروان ذكر معاوية رضى الله عنه فقال كان أميرا عشرين سنة وستة خليفة ثم قال هذا قبره عليه ينبوتة وفسر الينبوتة بما تقدم ذكره وذكر صاحب كتاب التاج الينبوت فى جملة العضاه قال هو كل شجر يعظم وله شوك كالعرق والطلح والسلم والسدر والسيال والسمر والقتاد والينبوت والغرب والكنهبل والعوسج وقس على هذا جميع هذا الفن تجده ألا ترى أن الطير لا تتحرك للسفاد طول العام الا وقت أن تصلح الثمار لاخراج الورق وفى وقت أن يخلق الله أرزاق فراخها من الجراد وغيره فتدنع أعشاشها فى الاشجار وفيها الورق فتستذفى فيها ولو صنعت عشها فى الشجرة وهى دون ورق لاخذ بفها قبل أن تفرخ وكذا غيره وغيره وزد غيره فكل فيه تذكره وغيره فقس عليه فقد دلت تلك التينة على ماتقدم وأنه تعالى مدبر لجميع الكائنات اذ لا يوجد الفعل على صورة وشكل بدلا من غيره ولا فى زمان دون زمان الا بارادة تقدم بعضا وتؤخر بعضا وأنه تعالى عز وجل سميع بصير

متكلم وسر على هذا المسرى حتى تستكمل جميع صفات الخالق مما يجب اثباتها له وهى فى حقه حقيقة ثابتة ثم باثباتها تضطر الى نفى اضدادها مما لا يليق بجلاله اذ ما كان عندنا من تلك الصفات المحمودة من العلم والقدرة والارادة وغير ذلك انما هو مجاز وعارية عندنا مستودعة يوجدها فينا ويبقيها متى شاء ويصرفها عنا ويبدلها أو يأخذها مع جميع ما خولنا متى أراد لا يسأل عما يفعل وليس كمثله شئ وهو السميع البصير خلق ذلك فينا لنستدل به عليه ونرد الحول والقوة اليه دل على ذلك العقل والنقل وهذا علم برأسه ضبطه العلماء وقيدوه حتى لا يجد صاحب هوى ولا مبتدع ولا معطل مدخلا فى الدين والحمد لله رب العالمين (ثم نرجع الى التبنة فنجدها) ان طلبت علمها على حقيقته قام معك الوجود كله من العرش الى الفرش والصناع أجمعون من أهل السماء والارض كما قال بعض العلماء لا يستدير الرغيف حتى يعمل فيه أكثر من ألف صانع فاذا أكلته فان عصيت بالقوة التى حصلت لك منه فقد كفرت شكر أولئك الصناع كلهم فضلا عن مولاك الذى سخر لك ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه أولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من الخزائن فيفرغه فى السحاب فتحمله الريح ثم كذا وكذا من الشمس والقمر والهواء والملائكة الذين يرسلون مع القطر مع كل قطرة ملك حتى من الارض والتراب والبهائم والارحى والآلات وتلك الآلات صنعت بآلات أكثرها كما يذكر أن الابرة لا تكمل حتى ترجع الى يد الصانع خمسة وعشرين مرة كل مرة بآلة تخلاف الآلة الاولى ثم كذلك فكذلك ويتسلسل الامر حتى لا يبقى فى الوجود ولا فى العالم شئ ولا صانع ولا ما يحتاج اليه ذلك الصانع من المطعومات والمشروبات والمنكح والملبس والكتاب والتجار والحاكم والوالى والجند ورزقهم والدور والسور كل ذلك مرتبط بعضه ببعض وبعضه يطلب بعضا حتى لا يبقى فى الوجود صغير ولا كبير الا ووجدت اليه طريقا فى أقل من تبنة لان الغنى الحميد خلق الخلق كلهم مفتقرين فقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد انظر كيف جعل فى قلوب العباد الالفة والانس حتى اجتمعوا فى موضع وبنوا حولهم ما يحميهم من عدوهم وضموا دورهم بعضها الى بعض ولم يفترقوا كافتراق الوحوش لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وأعنى بذلك أهل كل دين وكل حزب بما لديهم فرحون ثم مع تجمعهم وتألفهم فى جبلتهم الغيظ

والحسد

والحسد والمنافسة وذلك يؤدي الى التقاتل والظلم فانظر كيف سلط الله عليهم
السلاطين وأمدهم بالقوة وألقى رعبهم فى قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكرها
وكيف هدى السلاطين الى طريق اصلاح البلاد والعباد حتى رتبوا أجزاء البلد
كأنها أجزاء شخص واحد يتعاون بعضهم ببعض كتعاون أعضاء الجسد بعضها
ببعض فرتبوا الرؤساء والقضاة وزعماء الاسواق وجعلوا السجون والاعوان
وأنواع النكال للعصاة حتى اضطروا الخلق الى قانون العدل والاستقامة والتعاون
والمساعدة حتى صار الحراث ينتفع بالحداد ويحتاج اليه هو وغيره كما يحتاج الحداد
مثلا الى النار التى ليس عنها غنى فى الدنيا فى أكثر الاشياء ويحتاج الحداد
الى آلات كثيرة يحتاج فيها الى النجار والنجار الى الحداد وهؤلاء كلهم يأكلون
ويشربون ويلبسون ويسكنون وينكحون وليس كل واحد يعمل وحده ما يحتاج
اليه واذكر فى ذلك كل شئ من أمور الدنيا تجده والسلطان أيضا من جهة أخرى
يحتاج اليهم فى كل ماذكر ويزيد عليهم بجمع المال لاقامة أرزاق الجنود وتحصين
رعيته كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والذى نفسى بيده لولا المال الذى
أحمل عليهم فى سبيل الله ماحميت عليهم من بلادهم شبرا ثم السلاطين يحتاجون الى
العلماء الذين يصلحون عليهم دينهم والعلماء يحتاجون الى الانبياء عليهم السلام
والانبياء محتاجون الى الملائكة والملائكة يفعلون مايؤمرون وينتهى الامر الى
صاحب الامر الغنى الحميد كما بدأ منه اليه يعود (ثم ارجع الى النبتة) تجدها
فى ذاتها بعد مادلت عليه من ايجاد الصانع ذات لون وطعم ورائحة ومؤلفة من أجزاء
وعلى شكل وهيئة من طول أو قصر أو رقة أو غلظ أو خفة أو ثقل الى سائر صفاتها
التى تختص بها وتمتاز من غيرها ويستدل بها على كونها مفتقرة الى فاعلها مع دقائق
الساعات الى امضاء حكمه فيها منتظرة الى الاقدار الواقعة عليها من زيادة
أونقصان أو ابقاء بما يخلق فيها والا تلاشت ان الله يمسك السموات والارض أن
تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا ثم يخرج
من خلال هذه الخلال الموت الذى دل عليه ضده وهى الحياة فمن كانت فيه لان
الاشياء تعرف أيضا باضدادها فتعرف الحركة بالسكون والقليل بالكثير والخالق
بالمخلوق والموت بالحياة فلا تقع عينك على شئ حى الا ورأيت فيه الموت اما ظاهرا
واما منتظرا واما مقدرا فسبحان الحى الذى لا يموت الذى لا يتغير ولا يتبدل ولا

يتقدر ولا يتمثل اذ ليس كمثله شئ فيعرف بالتمثيل ولا له جنس فيقاس على التجنيس جاوز المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام فليس كمثله شئ فى كل شئ ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه أدنى شئ وان شاء لم يسعه كل شئ وان أراد عرفه كل شئ وان لم يرد لم يعرفه شئ وان أحب وجد عند كل شئ وان لم يحب لم يوجد عند شئ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وكل شئ سواه يتبدل و يتغير مع أدنى من اللحظة وأقل من النفس لو لم يكن الا بمرور أجزاء الساعات عليه وجريان الشمس التى عنها تحدث الاوقات واعتبر ذلك بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام هل زالت الشمس قال لا نعم فسأله عن قوله لا نعم وقال كيف هذا فقال بين قولى لا ونعم قطعت من الفلك خمسين ألف فرسخ وسيأتى هذا مستوفى فى باب الراء ان شاء الله تعالى فخرج من هذا ان كل شئ يتغير و يتبدل الا القديم سبحانه وتعالى وهو الفرق بينه تعالى و بين من لا يصح منه الا التغير ألا ترى أنه لا يأتى على شئ فى الوجود وقت وان دق الا تغير ذلك الشئ لو لم يكن الا بمرور الشمس عليه كما تقدم ودوران الفلك الذى لا يعلم سرعة حركته الا الذى دبره نعم ثم لا يعود ذلك الذى تغير الى الحالة الاولى أبدا لتغير جميع المخلوقات فى كل الاوقات واعتبر ذلك بنفسك اذا تكلمت بكلمة أو تحركت بحركة لابد أن فلانا فى المشرق وفلانا فى المغرب قد أحدث فى ذلك الوقت حدثا أو تحرك بحركة أو تكلم بكلمة أو استقبلك أو استدبرك أو مات فيه ميت أو ولد فيه مولود وقس على ذلك جميع المخلوقات والحيوانات والنباتات من الزيادة والنقصان فى ذلك الزمان أترى ذلك يعود أبدا الى ما كان اذا تحركت أنت أو تكلمت أيها الانسان هيهات ذلك لا يكون ولا يتصور ولا يتمثل ولا يتقدر بل خلق الله الزمان جديدا و يخلق فيه خلقا جديدا هكذا سرمدا الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فسبحان الحكيم العلام الخلاق على الدوام ويخلق مالا تعلمون وقد تهدى لهذا المعنى الذى يقول

منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى

وطلوعها بيضاء صافية * وغروبها صفراء كالورس

يقال ان قائل هذا هو تبع الاول وكان مؤمنا وفى هذا الشعر بعد الورس

تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

اليوم أعلم ما يجىء به * ومضى بفصل قضائه أمس

وقد ذكر بعض العلماء جميع ماذكرته وتعلق الاشياء بعضها ببعض وافتقار كل شئ الى شئ واضطرار كل أمر الى غيره واحتياج الوجود كله الى أن يكون كما هو الآن عليه مما لا يستغني عنه حتى مثل لك الدنيا أمامك على هيئتها وصفتها ذلك تقدير العزيز العليم المفتقر كل ذلك اليه وحده الذي يمسك السموات بغير علاقة والارضين دون دعامة بل بلطف القدرة وخفي الحكمة وهو اللطيف الخبير وهذا الذي ذكره هذا العالم أين يقع في علم من فوقه من العلماء والحكماء ثم ارق الى علم التابعين واصعد الى علم الصحابة واسم الى علم رسول رب العالمين الذي أوتي جوامع الكلم وبدائع الحكم واختصر له الكلام اختصارا ثم اعل الى علم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والملائكة المقربين صلى الله عليهم وسلم أجمعين فاذا انتهيت الى هنا فاتل ما قاله الهنا وما أوتيتم من العلم الا قليلا ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء فالحمد لله الذي أعطانا من علمه قسما نعلم به أن له علما وعلمنا كصفتنا ناقص ذو آفات وعيوب وعلمه لا اله الا هو كهو لا يسع كنهه القلوب كيف وهو علام الغيوب قديم أزلي حكيم علي لا تحيط به الافهام ولا تصوره الاوهام بل كل في كنه وصفه قد هام سبوح قدوس رب الملائكة والروح ويكفي من ذلك ما ضربه لك مثلا محسوسا وهو ما قاله الخضر لموسى على نبينا وعليهما السلام والتحية والاكرام وقد أراه الآيات المستبينة حتى وقع العصفور على حرف السفينة فأخذ بمنقاره من البحر بله وناهيك بما قاله ياموسى ما نقص علمي وعلمك وعلم الخلائق من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وفي رواية ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره ولعلك أن تلحظ من مقتضى هذا الحديث قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا مع قوله سبحانه ولو أنّ ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله أفاد لك هذا أن البحار والاقلام متناهية وأن كلامه سبحانه غير متناه وأنه أحد صفاته القديمة وكل شئ سواه من مخلوقاته متناه واحذر أن تعتقد أن كلام الله تعالى ليس الا ما أنزل على نبينا من القرآن وعلى موسى من التوراة وعلى عيسى من الانجيل وعلى داود من الزبور أو ما أنزل على بعض الانبياء من الصحف اذ لو كان ذلك لكان متناهيا ولكتب هذا كله بقلم واحد أو بقلمين أو بأكثر مما هو متناهي العدد وكذلك المداد متناه

لكن كلامه تعالى غير متناه لا ينفد ولا ينعدم كما قال سبحانه لنفد البحر قبل أن تنفد
كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قال ابن عباس معنى الكلمات ههنا ما انفرد به
البارى جل وعز من علم ما كان وما يكون وكذلك فسر مجاهد الكلمات بالعلم
وقال الخطابي رحمه الله مثل ذلك أيضا كلماته علمه وقال في قول النبي صلى الله
عليه وسلم أعوذ بكلمات الله التامات ان كلماته القرآن وصفه بالتمام تنزيها له أن
يلحقه نقص أو عيب كما يوجد ذلك في كلام الآدميين قال والكلمة تتصرف على
وجوه جماعها ما أمر الله به ودعا الناس اليه قال الله تعالى قل يا أهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء الآية ثم فسرها فقال ألا نعبد الا الله الآية وقوله تعالى بكلمة منه
اسمه المسيح فانه يريد والله أعلم أنه أوجده بالكلمة وكونه بها وهي قوله كن من غير
توليد من فحل أو تنسيل من ذكر وهو معنى قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل
آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون وقوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فبيان
ذلك قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وقوله تعالى وصدقت بكلمات ربها فانها
أربع كلمات تكلم بها عيسى عليه السلام في المهد صبيا قال انى عبد الله الآية وقوله
تعالى واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الآية قال المفسرون هي عشر خصال في الطهارة
أمر الله بهن خمس في الرأس فرق الرأس وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في الجسد تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة
والاستجمار والختان فأتمهن أي وفاهن ثم قال تعالى وابراهيم الذي وفى (وقول)
النبي صلى الله عليه وسلم في النساء واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى يريد والله
أعلم ما شرطه لهن في كتابه وهو قوله تعالى فامساك بمعروف أو تسريح باحسان
وقال بعض الاصوليين كلام الله تعالى صفة واحدة لا تنعدم ولا تفنى بها يأمر وينهى
ويعد ويتوعد ومنها يفهم جميع المقاصد وكلامه هو قوله وانما سمي كلامه كلمات
في قوله تعالى ما نفدت كلمات الله على جهة التعظيم كما عظم نفسه في قوله تعالى انا
نحن نزلنا الذكر وهو واحد لا اله الا هو وكذلك يقول جميع أهل الحق انه تعالى
يقدر على المقدورات التي لا تتناهى بقدرة واحدة ويعلمها بعلم واحد ويدبرها
بارادة واحدة وقال بعضهم في قوله تعالى قل الله القول من الله تعالى على أربعة أنحاء
يكون بمعنى التكليم كما قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما ويكون بمعنى التكوين
كما قال تعالى انما أمرنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون وقول بمعنى الامر

مثل قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقول بمعنى الخطاب مثل قوله تعالى
قال اخسؤا فيها ولا تكلمون والفرق بين التكليم والقول ان التكليم لا يكون الا ثناء
وفضيلة كما قال تعالى وكلم الله موسى تكليما والقول قد يكون ذما وابعادا كما قال
تعالى لابليس قال اخرج منها مذؤما مدحورا والمسلمون مجمعون على أنه لا يقال
كلم الله ابليس ولا هو كليم الله ولا أنه تعالى كلم أهل النار ويقال في هذا قال
لابليس كذا وقال لاهل النار كذا *(فصل)* ولا يجوز عليه سبحانه أن يتكلم
تارة ويسكت أخرى كما لا يجوز عليه تعالى أن يعلم تارة ويخرج عن العلم تارة
أخرى لان ذلك تغير لا يجوز الا على المحدثين والرب تعالى عن ذلك هذه صفة
الخالق وأما المخلوق فبخلاف ذلك يتكلم مرة ويسكت أخرى ويسمع تارة ولا
يسمع أخرى لاسيما اذا لم يسمعه الله تعالى وشاهد ذلك أن الرجل يكلمك في بعض
الاحيان ولا تسمعه وكذلك يمر عليك فلا تراه ألم تسمع قوله تعالى ان الله يسمع من
يشاء وقال عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فاذا الله تعالى يتكلم على
الدوام فاذا كشف الغطاء عن أذن المخلوق سمع كما فعل بموسى عليه السلام حين سمع
كلام ربه تعالى ونشأت هنا مسألة يقال كيف عرف موسى صلى الله على نبينا وعليه
كلام الله سبحانه وتحقق أنه هو ولم يكن سمع قبل ذلك خطابه فقيل في ذلك أقوال
منها أنه سمع كلاما ليس بحروف ولا أصوات وليس فيها تقطيع ولا نفس فعلم حينئذ
أن ذلك ليس هو كلام البشر وانما هو كلام رب العزة وقيل فيه أيضا انه سمع كلاما
لا من جهة وكلام البشر يسمع من جهة من الجهات الست فعلم أنه ليس من كلام
البشر وقيل انه صار جسده كله مسامع حتى سمع بها ذلك الكلام فعلم أنه كلام الله
تعالى وقيل فيه ان المعجز دل على أن ما سمعه هو كلام الله تعالى جده وذلك أنه قال له
ألق عصاك فألقاها فصارت ثعبانا فكان ذلك علامة له على صدق الحال وان الذي
يقول له أنا ربك هو الله جل جلاله وقيل انه كان قد أضمر في نفسه شيئا لا يقف عليه
الا علام الغيوب فأخبره الله عز وجل في خطابه بذلك الضمير فعلم أن الذي يخاطبه
هو الله تعالى جده وجل ثناؤه وعلى كل حال فلا بد أن تعتقد أن موسى عليه السلام
سمع كلام الله تعالى بأذني رأسه كما رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعيني رأسه
كما أثبته المحققون من أهل العلم فقالوا اقسم الله عز وجل الرؤية والكلام بين محمد
وموسى عليهما السلام انظره في شرف المصطفى لعياض رحمه الله فاذا ثبت هذا

مبحث كيف عرف موسى كلام الله تعالى

الكلام فارجع الى بقية الكلام واقرأ قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين وقد فسر النبى صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب بما فسرها الله فى قوله ان الله عنده علم الساعة فقال عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام وما تزداد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر الا الله ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا ولا تدرى نفس بأى أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة الا الله وانظر ما تحت قوله سبحانه ولا رطب ولا يابس هل ترك شيئا من الاشياء أى نوع كان وقد قرئ ولا من رطب ولا يابس خارج السبع ويزيد الامر توكيدا لانه يدخل ما قبله فيه اذ لا يخلو من أن يكون رطبا أو يابسا وكذلك من فى قوله تعالى من ورقة قالوا هى للتوكيد والله يعلم الورقة سقطت أو لم تسقط وقوله الا فى كتاب مبين يعنى اللوح المحفوظ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خلق الله تعالى اللوح المحفوظ من درة دفتاه من ياقوتة بيضاء قلمه نور وكتابته نور ينظر فيه كل يوم ثلثمائة نظرة وستين نظرة يحيى فى كل نظرة ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء ذكر ذلك المهدوى (وفى رواية) وعرضه ما بين السماء والارض واثباته فى اللوح المحفوظ لا لحاجة منه الى ذلك ولا يضل ربى ولا ينسى وما كان ربك نسيا لكن لتعتبر به ملائكته الموكلون بمقابلة الحوادث بما فى اللوح المحفوظ قال الحسن رضى الله عنه فعل ذلك ليعلم ابن آدم أن عمله أولى بالاحصاء وكذا روى أن الحفظة الموكلين باحصاء أعمال العباد يعطى أحدهم بطاقتين احداهما مكتوبة مختومة والاخرى بيضاء فيكتب عمل العبد طول يومه فاذا فرغ قابلها بالمختومة فيجد ما فى هذه فى هذه بلا زيادة ولا نقصان هذا معنى الكلام والله أعلم فاذا تقرر هذا فانظر أى بحار وأى أقلام وكثر عددها ما شئت تحيط بكلمات الله وكيف يتصور أن يحيط ما هو متناه معلوم محصور محدود بكلام الله الذى لا نهاية له وعلمه القديم الذى لا يهتدى الى معرفة كميته وأضرب لك مثلا بالبحار أجمعها والاقلام كلها أليست أجزاء مؤلفة ردها بوهمك بحرا واحدا أليس فى اعتقادك ان الله تعالى يعلم كم من نقطة فيه ولو لم يكن ذلك كذلك لكان عجزا كما أنه عندك الراعى الذى لا يعرف عدد ماشيته والامير الذى لا يعرف عدد جنده عاجز وقد قال الله تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم يعنى

المطر

المطر وفي غيره قال يعلم مستقرها ومستودعها وكل شئ عنده بمقدار ولا تتحرك
ذرة الا باذنه فاذا استقر هذا وثبت ردذلك البحر مع جميع ماخلق الله أجزاء ثم خذ
جزءا واحدا من نقطة من البحر أو رملة واحدة من رمال الدنيا أليست تلاصق
أختها من فوقها ومن تحتها ومن جميع جهاتها أليس الماء يتحرك أحيانا وكذلك
الرمل ثم يسكن أحيانا أليس الله تعالى يعلم مقدار أوقات مماسة ذلك الجزء صاحبه
ومقدار مفارقته اياه ثم اذا فارقه أليس يماس غيره كذلك من جميع جهاته ان كان
فوقه مثله والا فقد ماسه الهواء وقابله من السماء جزء آخر ثم قد يجتمع مع صاحبه
الاول كهيئته اذ كان معه قبل التفرق أولا يجتمع و يجتمع مع غيره وان اجتمع متى
يماسه مثل المماسة الاولى مع هيجان البحر واضطرابه وتكوم الرمال بالرياح
أمثال الجبال يمينا وشمالا وجنوبا وشمالا ثم هكذا في جميع المخلوقات المتحرك
منها المعلوم حركته والساكن المعلوم سكونه وكل شئ عنده بمقدار وهذا كله محصى
في كتاب مبين وكل صغير وكبير مستطر أليس الحفظة والملائكة الموكلون بجميع
المخلوقات الذي أيضا لا يعلم جنود ربك الا هو لو احتاجوا الى مداد يكتبون
كل ماذكرته لك ومالم أذكره مما لا يتصور فيه أن يذكر أي مداد كان يقوم بهم
في تصريف نقطة بل جزء من الاجزاء التي لا يعلم مقدارها الا الذي خلقها ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير (ثم نرجع الى المداد الذي تكتب به الحفظة)
ماتقدم فنفعل في نقطة مافعلت في هذا ثم في مداد المداد الى مالا ينحصر ولا ينضبط
ومايعلم حقائق الاشياء على ماهي عليه الا من خلقها ثم انظر نظرا آخر فيما قرئ
من كتب الله جميعا منذ أنزلت على جميع الانبياء وزبرت مع ما أجرى الله تعالى على
ألسنة خلقه من الملائكة والانس والجن من الذكر على أنواعه من تقديس وتسبيح
وغير ذلك من أول ماخلق الله الخلق الى أن تقوم الساعة نعم وفي الجنة التي لا آخر
لها وتكرير ذلك الكلام المحمود على الألسن مع الكلام المذموم الواقع من الجهال
والكفرة الذي أحصاه الله ونسوه ومع نطق البهائم والحشرات مع النطق المقدر
في الكل من الحيوانات مع قوله سبحانه وتعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم على مذهب من جعل ذلك من العلماء حقيقة بلسان المقال مع
تقديس الرب نفسه قبل أن يخلق خلقه في الازل الذي لا يفهم ولا يدرك بوهم وهذا
كله الايمان به واجب والتفكر فيه محمود وهو أولى ما أعمل فيه الخاطر وأجيل

فيما لفكر الحاضر وهو يدرك بالعقل الذى جعله الله تعالى آية من آياته فمن شاء من عباده ومن أوتيه ورزق العمل بمقتضاه وأطاع مولاه فما حرم شيئا سواه والخيرات له تبع كما يروى ان جبريل عليه السلام أتى آدم عليه السلام (فقال) له أتيتك بثلاث فاختر واحدة قال وماهم قال العقل والحياء والدين قال اخترت العقل فخرج جبريل عليه السلام الى الحياء والدين فقال ارجعا فقد اختار العقل عليكما فقال أمرنا ان نكون مع العقل حيث كان ولله در الذى يقول

وما بقيت من اللذات الا * مجالسة الرجال ذوى العقول
وقد كانوا اذا ذكروا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وأعقل العقلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق له ذلك لانه يروى عن سعيد ابن جبير رضى الله عنه قال بلغنى أن العقل قسم على ألف جزء فأعطى محمد صلى الله عليه وسلم تسعمائة وتسعة وتسعين جزأ وأعطيت أمته جزأ واحدا وكذلك الانبياء عليهم السلام قبله الا ما فضل الله به محمدا صلى الله عليه وسلم وانما اختار الله الانبياء لعقولهم وما أعطاهم من العلم والصبر وما زهدوا فى الدنيا مع القيام والصبر عليه الا بفضل عقولهم فمن زهد فى الدنيا وصبر على الحق فقد استكمل العقل وانما فاز العابدون بالاجتهاد وقال سعد بن أبى عروة عن قتادة عن الحسن قال كيف يسمى عاقلا وهو يمسى ويصبح فى الدنيا ومباهاة أهلها فى المطاعم والمشارب والملابس والمراكب أولئك هم الخاسرون وأولئك هم الغافلون وأولئك هم الجاهلون ويروى ان الله تبارك وتعالى لما خلق العقل قال له أقبل فأقبل وقال له أدبر فأدبر ثم قال له اسكن فسكن فقال وعزتى وجلالى لاركبنك فى أحب الخلق الىّ وقال فى الحمق ضد ذلك الى أن قال فى أبغض الخلق الىّ اختصرته ومما أرويه فى العقل لبعض أشياخى رحمهم الله

العقل نور الله يهدى به * من شاء ان يكتب من حزبه
ومن يمت شوقا الى ربه * يكشف له مولاه عن حجبه

وزدت أنا على هذا

فيرتقى منه الى رتبة * تفضى الى ما شاء من قربه
ما أقرب الامر على مفلح * ساعده التوفيق من ربه

فى أبيات كثيرة أنظرها فى التكميل وقد تكلم الناس فى ماهية العقل وفى

أسمائه وفي محله فمن أسمائه العقل واللب والحجا والحجر والنهى فقالوا سمي عقلا لانه يعقل صاحبه عن ركوب شهواته ومنه أخذ عقل الناقة قال عامر بن عبد القيس اذا عقلك عقلك فأنت عاقل وفي القرآن لعلكم تعقلون وسمي لبا لانه صفوة الرب وخالصه ولبابه ولب كل شئ خالصه ومحضه وجمع اللب ألباب وفي القرآن العزيز يا أولي الالباب (وسمي حجا) لاصابة الحجة به والاستظهار على جميع المعاني يقال حاجيته فحجيته وسيأتي طرف منه ان شاء الله عز وجل (وسمي حجرا) لانه يحجر عن ركوب المناهي ومنه حجر الحاكم على فلان ويقال للرجل اذا كان ضابطا لنفسه رابطا لجاشه مالكا لاربه انه لذو حجر وفي القرآن الحكيم هل في ذلك قسم لذي حجر (وسمي النهى) وهو جمع نهية لانه اليه ينتهي الذكاء والمعرفة والنظر وهو نهاية ما يمنع العبد من الخير المؤدي الى صلاح الدنيا والآخرة ولذلك قيل نهي الوادي ونهيه وهو مبلغ ما ينتهي اليه السيل (وفي القرآن العظيم) ان في ذلك لآيات لاولي النهى (وأما ماهيته فقيل) هو ادراك العلوم الضرورية وقيل ادراك العلوم على ما هي عليه وقالوا اصابة الفهم وادراك البيان وقالوا هي معرفة تكون في الانسان تزيد باكتساب العلوم وتظهر عند افادة المعلوم ولكل هذه الاقوال حجج وتفسير أمرها كبير وأما محله فقيل الدماغ لاشرافه على البدن ولانه مقر الحواس وقيل محله الدماغ وصفاؤه في القلب وقيل محله القلب لانه سلطان البدن وهذا هو الاظهر والله أعلم لان الله تعالى قال فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فجعل السمع في الآذان والعقل في القلب وكما قال تعالى أعين يبصرون بها وقد جاء مثل هذا في الحديث الذي يرويه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى ان العبد ليتحبب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت رجله التي يمشي بها ويده التي يبطش بها ولسانه الذي يتكلم به وقلبه الذي يعقل به ان سألني أعطيته وان دعاني أجبته فأضاف سبحانه كل جارحة الى ما جعل فيها وهذا الحديث أيضا يحتاج الى شرح ومعناه والله أعلم أن يتكلم فيما يرضي الله ويمشي في طاعة مولاه ويبطش فيما لا يكره الله ويعقل عن الله مراده وقيل في العقل انه نور موضوع في القلب كنور البصر في العين ينقص ويزيد ويذهب ويعود واليه أشار شيخي رحمه الله في شعره المتقدم وكما يفقد البصر من العين ولا يتغير شكلها كذلك يفقد العقل من القلب ولا تتغير هيئته وأسوأ العمى عمى القلب وفي القرآن العزيز

محل العقل

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وفى الحديث ليس الاعمى من عمى بصره انما الاعمى من عميت بصيرته نعوذ بالله من هذين العميين ونسأله السلامة فى الدارين * قيل لعمرو بن العاص ما العقل قال الاصابة بالظن ومعرفة ما يكون بما قد كان وقال له يوما معاوية رحمه الله ما بلغ من عقلك قال ما دخلت فى شئ قط الا خرجت منه قال له معاوية لكنى ما دخلت فى شئ قط أريد الخروج منه قلت

خرجت من شئ الى غيره * ولم أقف ها انا اذا أخرج
لكن لما لا بد منه وما * أنت له من غيره أحوج

(فصل تقدم ما خرج) أهل الصحيح من حديث موسى والخضر عليهما السلام وما قص الله تعالى عنهما فى كتابه العزيز وفيه من قول الخضر لموسى عليهما السلام يا موسى ما نقص علمى وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر وفى رواية ما علمى وعلمك وعلم الخلائق فى علم الله الا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره (قلت) قال بعض أهل العلم أما قوله مقدار ما غمس فبين وكذلك ما ذكره ابن سلام فى تفسير الآية أنهما لم يتفرقا حتى بعث الله طائرا فطار الى المشرق ثم طار الى المغرب ثم طار نحو السماء ثم هبط الى البحر فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران فقال الخضر أتعلم ما يقول هذا الطائر يقول ورب المشرق ورب المغرب ورب السماء السابعة ورب الارض السابعة ما علمك يا خضر وعلم موسى فى علم الله الا قدر الماء الذى تناولته من البحر فى منقارى وأما ما وقع فى الحديث الاول من ذكر النقص من العلم وما وقع فى حديثه الآخر فيما يرويه عليه السلام عن ربه تعالى يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا أدخل فى البحر وفى حديث آخر فى معناه ما نقص ذلك من ملكى الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ذلك بأنى جواد ماجد أفعل ما أريد عطائى كلام وعذابى كلام انما أمرى لشئ اذا أردته أن أقول له كن فيكون فذكر النقص فى هذه الاحاديث على معنى ضرب المثل فى النهاية من القلة على ما تعرفه العرب وتستعمله تقول ما غمضت البارحة ولا أستطيع القيام ولا أطيق الحركة ولا الكلام وفى كتاب الله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم أن الساعة

تنقسم الى أجزاء ودقائق وكما قال تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة والذرة تنقسم الى أجزاء وأشياء وقال فى موضع آخر ان الله لا يظلم الناس شيئا فهذا كله على النهاية فى الدقة والقلة (وكما قال) ولا يظلمون فتيلا نخرج النقص فى الحديثين والله أعلم على هذا المعنى اذ علم الله تعالى قديم لا يقبل التبعيض والتقسيم وأيضا فان العلم المبثوث فى جميع الخلائق من أهل السموات وأهل الارضين هو من عند الله ومن الحيطة التى شاء سبحانه أن يخلقها لنا كما قال تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء سبحانه وكما قال تعالى علم الانسان مالم يعلم وأمرنا بالسؤال فيه والزيادة منه بقوله تعالى وقل رب زدنى علما فاذا لم ينقص من علم الله تعالى شئ وما عندنا منه خلق يخلقه لنا نعلم به علمنا ومعلومنا على قدر تفاضلنا فى ذلك ونعلم ان لله علما غير أن علم الله تعالى مخالف لعلم المخلوق لا يشبهه ولا يقاربه ولا يحمل عليه ولا هو منه فى شئ الا فى مشاركة الاسم لان علم المخلوقين يكون بالتعلم والتبصر والتدبر والتذكر وأخذ البعض عن البعض ولذلك وقع الاختلاف وتفرقت المذاهب وتشعبت الطرق ألم تسمع قوله تعالى فى القرآن الذى أنزله بعلمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا فسبحان من سبق علمه جميع المعلومات قبل كونها وتقدم جميع الموجودات قبل عينها اذ الاشياء كلها مستفادة من علم الله بسبقه اياها وعلم الانسان مستفاد من الاشياء لانها سابقة له باذن الله (وأما علم الانبياء عليهم السلام) وان كانوا بشرا امثلنا فهو تخصيص من ربهم اياهم بما شاء من علمه بوحى ينزله اليهم أو الهام يقرره فى نفوسهم وبعضهم فى ذلك أعلى من بعض قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية نعم ومتباينون فى العلوم ألم تسمع ما قال الخضر لموسى عليهما السلام حين أراد الافتراق يا موسى انك على علم من علم الله لا أعلمه وأنا على علم من علم الله لا تعلمه قال بعض العلماء كان الخضر عليه السلام يعلم الباطن وموسى عليه السلام يعلم الظاهر والله أعلم (وكذلك) علم الملائكة صلوات الله عليهم بعضهم أعلى من بعض وأعلم وأرفع جاها واعظم وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى وبعد هذا كله فالله أعلم بما أراد وبما أراد أنبياؤه عليهم السلام من ذلك وينظر الى هذا كله قوله تعالى كن فيكون وكم بين الكاف والنون من الازمنة ولولم يكن الا التبعية وليس فى كلام الله تعالى حرف ولا صوت وان كان قد ورد فى الحديث ذكر الصوت فله

تأويل يحمل عليه ولا يشبه بخلقه تعالى وليس فيه تقديم ولا تأخير اذ هو صفة واحدة لا تشبه صفاتنا وشتان بين القديم والحديث ألم تسمع ليس كمثله شئ وكذلك صفاته تعالى فليس كمثله شئ فى شئ وليس فى الوجود شئ الا الله وصفاته وما أحدث تعالى من مخلوقاته فعنى كن كناية عن سرعة الشئ واجابة المأمور فى أقرب ما يكون وليس فى الكلام شئ يعبر به عنه فى السرعة أوجز من كن فهو عبارة عن السرعة (فان قال قائل) قد خلق الله السموات والارض فى ستة أيام وهى ستة آلاف سنة وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون وقد كان قال لذلك كن فالجواب عن ذلك ان قول البارى سبحانه كن يتوجه الى المخلوق مطلقا ومقيدا فاذا كان مطلقا كان كما أراد لحينه وان كان مقيدا بصفة أو زمان كان كما أراد بحسب ذلك الزمان أو الصفة فان قال كن فى ألف سنة كان فى ألف سنة وان قال كن فيما دون اللحظة كان كذلك وفيما قرأته بالاسكندرية فى أحد المجالس على شيخى أبى محمد العثمانى رحمه الله من الحديث المسلسل ويده على كتفى قال حدثنى شيخى فلان وسماه ويده على كتفى ثم كذلك فكذلك كل شيخ يقول عن شيخه ويده على كتفى حتى انتهى بالمسند الى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال حدثنى حبيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويده على كتفى قال حدثنى الصادق الناطق رسول رب العالمين وأمينه على وحيه جبريل عليه السلام ويده على كتفى قال سمعت اسرافيل عليه السلام يقول سمعت القلم يقول سمعت اللوح يقول سمعت الله عز وجل يقول من فوق العرش للشئ كن فلا تبلغ الكاف النون الا ويكون الذى يكون فهذا يحمل على ما تقدم من سرعة المكون ولا بد للمخلوقين من عبارة يفهمون بها مراد الله تعالى فى السرعة فليس ثم أسرع ولا أوجز فى اللفظ من كن كما تقدم فقيل لنا ذلك لنفهم والله ورسوله أعلم وقال النبى عليه الصلاة والسلام ان قلوب بنى آدم كلها بين اصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء حذار حذار من توهم جارحة أو تخيل تشبيه وانما ذلك كناية عن السرعة أيضا فى التقليب فى كل جزء من الزمان على وفقه ألم تسمع ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قيل يقلبها من ايمان الى كفر ومن كفر الى ايمان وكانت يمينه عليه السلام لا ومقلب القلوب ويقول يامقلب القلوب قلب قلبى على طاعتك وقال لقلب ابن آدم أشد تقلبا من القدر اذا استجمعت غليانا أو كما قال عليه السلام ومعنى بين اصبعين بين أثرين وأمرين

كذا

كذا فسره أهل العلم وخص الاثنين لان المعلوم عندنا فى المخلوق اذا قلب شيئا بين اصبعيه انما يقلبه الى جهة اليمين أو الى جهة الشمال وكذلك تقليب الله تعالى القلوب الى الطاعة أو المعصية أو الكفر أو الايمان فتكون أصحاب القلوب من أصحاب اليمين أو من أصحاب الشمال كما قال تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة وليس هناك مماسة ولا حاسة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (فائدة لغوية) و يستشهد على قوله بين اصبعين أى على أثرين بقول الشاعر أنشده ابن دريد

من يجعل الله عليه اصبعا * فى الخير أو فى الشر يلقاه معا

و بقولهم لراعى بنى فلان على ماشيتهم اصبع أى أثر حسن وأنشدوا على هذا قول الشاعر يصف راعيا

ضعيف العصا بادى العروق ترى له * عليها اذا ما أجدب الناس اصبعا

(فائدة زائدة) يقال اصبع واصبع بكسر الالف وضمها والباء مفتوحة فيهما ولك أن تتبع الضمة فتقول اصبع ولك ان تتبع الكسرة فتقول اصبع ولغة خامسة أصبع بفتح الالف وكسر الباء وكذلك يقال ابلم وأبلم وأبلم وكله جمع أبلمة وهى الخوصة وقس على هذا حديث القبضتين وذكر اليمين والشمال فى ذلك انما هو راجع الى المخلوقين ألم تسمع فى الحديث وكلتا يديه يمين أدبا منه عليه السلام ونفيا لما عسى أن يقع فى الاوهام نسأل الله الثبات الى الممات والعصمة من الزيغ والنزغ * وألحق بهذا الفصل ما جاء فى الحديث والقرآن من ذكر الصفات نحو قوله تعالى لما خلقت بيدى وتجرى بأعيننا واننى معكما أسمع وأرى وكل شئ هالك الا وجهه ويحذركم الله نفسه وعلى العرش استوى وما أشبه ذلك وما فى الحديث من ذكر النزول والقدم والرجل وما أشبه ذلك وسيأتى تفسيره ان شاء الله والباب كله واحد والحمد لله و يسهل مفهوم المعنى اذا نفيت عن نفسك تشبيه المعبود وتجسيم اليهود وتعطيل الفيلسوف وعدوى الطبيعى السخيف ويظهر لعين قلبك بالعين اليقين الحق المبين ذو القوة المتين من غير تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ولا تخييل موجود لا كالموجودات بصفات كمال ليست كالصفات حى عالم متكلم مريد قدير ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وما أبدع وأجمع قول من قال فيما روى عن أسلافه مهما قام فى نفسك شئ فالله بخلافه و يستشعر مع ذلك العجز عن معرفة الحقيقة كما قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل معرفته

توجيه مشكلات الصفات

الا بالعجز عن معرفته وتقول أيضا العلم بالعجز عن المعرفة هو المعرفة ويقال في مثل هذا العجز عن درك الادراك ادراك ويكفي من هذا قوله عليه السلام لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وقد اختلف قول العارفين في هذا المعنى فقال الجنيد رحمه الله لا يعرف الله الا الله وقال غيره لا أعرف شيئا الا الله وقال أغلقت عيني ثم فتحتها فلم أر شيئا غير الله وكلام هؤلاء يحتاج الى شرح وبسط أما قول الجنيد فأراد الحقيقة ومن أين للعبد المخلوق بهذه الطريقة وهو لا يعرف حقيقة نفسه مع استصحاب الحال وقد قالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وهذا أيضا يحتمل معنيين أحدهما ان هذا ممتنع يقول هو لا يعرف نفسه حق المعرفة فكيف يعرف ربه والمعنى الآخر أن يعرف نفسه بانه مخلوق فيستدل به على الخالق كما قال تعالى وفي أنفسكم افلا تبصرون ويعرف نفسه بالنقص فيعرف ربه بالكمال وسر على هذا المسرى في جميع صفات الخالق الكاملة وصفات المخلوق الناقصة فاذا قد عرف ربه من هذه الجهة وهذا الذي أراد الذي قال لم أر الا الله يعني انه رأى المخلوقات فاستدل على الخالق والله عز وجل اعلم بحقائق الامور وبما أراد رسوله صلى الله عليه وسلم من ذلك * ورأيت في بعض الحكم من ترك التوهيم في صفة الله تعالى وقي الشك والنفاق ولذلك قيل تفكروا في مخلوقاته لا في ذاته وقال أبو طالب المكي رحمه الله صفات الشهيد لا تشهد بنور العقل وانما تشهد بنور اليقين ونور اليقين من نور الصادر ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقال سهل رحمه الله أثبتوا الرؤية فان خالج قلوبكم التشبيه ورأيتم ذلك فانفوا التشبيه في الله تعالى وأثبتوا الرؤية ونزهوه عن الاشباه والاشباح وقال غيره ظاهر التوحيد لا يجري على ترتيب العقول ولا يعقل بقياس العقول لان نفي الصفات أو اثباتها بالممثلات موجود في رأي العقول كان الكفر والاضلال موجود في طبائع النفوس لعدم مشاهدة الابصار ولفقد وجود الالهية في تخييل الافكار ولجريان المعتاد من ظهور الاسباب كما روي ان بعض الصديقين دعا الى الله بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فعجب من ذلك فأوحى الله اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال احجبني عنهم قال كيف أحجبك وأنا أدعو اليك قال تكلم في الاسباب وفي أسباب الاسباب قال فدعا

الى الله من هذه الطريق فاستجاب له الجم الغفير فانما صحة التوحيد باثبات الصفات وأوصاف الذات التى جاءت بها السنن وشرعها الرسول مع نفى الشبهة والماهية ونفى الجنس والكيفية ثم سكون القلب وطمأنينة العقل الى الايمان بهذا والتسليم له لاجل نور الايمان الموهوب لان هذا انما يشهد بنور اليقين وعلمه لا بعلم العقل ونوره والعقل مرآة الدنيا بنوره يشهد ما فيها والايمان مرآة الآخرة به ينظر اليها فيؤمن بما فيها والله تعالى انما يرى بنور اليقين وفى هذا النور مشاهدة الصفات وهى حقيقة الايمان وأعز ما نزل من السموات هو السكينة المنزلة فى قلوب المؤمنين لتزايد الايمان لانا أخذنا الايمان بمشيئة الله تعالى ورحمته من قبل التصديق واليقين والنقل لا من قبل التقليد وحسن الظن والعقل سأل اعرابى محمد بن الحسين رضى الله عنه فقال له هل رأيت الله حين عبدته قال لم أكن لأعبد ربا لم أره قال فكيف رأيته قال لم تره الابصار بمشاهدة العيان لكن رأته القلوب بحقيقة الايمان لا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور فى القضيات ذلك الله الذى لا اله الا هو (فقال الاعرابى) الله أعلم حيث يجعل رسالاته وقالوا أربعة أشياء تسلم تسليما ولا تعارض اعتراضا أخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الصحابة وفضائل الاعمال ولولا ان الله تعالى تولى قلوب المؤمنين فحبب الايمان اليها وزينه فيها وكره الكفر وشانه عندها لتاهوا فى الظلمات وغرقوا فى بحار الهلكات لظهور الاعتياد ومعاينة الاسباب ولغيب القدرة عن العيان ولما ابتلوا به من الحجب والاعيان ولكن الله سلم وحبب الايمان فى القلوب وزين وكره الكفر والعصيان وشين (وقال تعالى) الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فلولا انهم كانوا فى ظلمة الطبع ما امتن عليهم باخراجهم منها الى ما أدخل عليهم من نور اليقين (وجاء فى الخبر ان الله تعالى) خلق الخلق فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه اهتدى ومن أخطأه ضل وفى أحد المعانى من قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو الاسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الاسباب (وسئل بعض العارفين) عن علم الباطن فقال هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وهو من نور الهداية المخصوص به الانبياء ومن اصطفى من الاولياء

ومن أحسن ما رأيت في المعرفة قول الحسين بن منصور رحمه الله ألزم الله لكل الحدوث لان القدم له فالذى بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه والذى بالأداة اجتماعه فقوتها تمسكه والذى يؤلفه وقت يفرقه وقت والذى يقيمه غيره فالضرورة تمسه والذى الوهم يظفر به فالتصوير يرتقى اليه ومن آواه محل أدركه أين ومن كان له جنس طالبه كيف والله سبحانه لا يظله فوق ولا يقله تحت ولا يقابله حد ولا يزاحمه عند ولا يأخذه خلف ولا يحده أمام لم يظهره قبل ولم يفته بعد ولم يجمعه كل ولم يوجده كان ولم يفقده ليس وصفه لا صفة له وفعله لا علة له وكونه لا أمر له منزه عن أحوال خلقه ليس له من خلقه مزاج ولا في فعله علاج باينهم بقدمه كما باينوه بحدوثهم ان قلت متى فقد سبق الوقت كونه وان قلت هو فالهاء والواو خلقه وان قلت أين فقد تقدم المكان وجوده فالحدود آياته ووجوده اثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه ما تصور في الاوهام فهو بخلافه كيف يحل به ما منه بدا أو يعود اليه ما هو أنشاه لا تماقله العيون ولا تقابله الظنون قربه كرامته وبعده اهانته علوه في غير ترق ومجيئه من غير تنقل هو الاول والآخر والظاهر والباطن القريب البعيد الذى ليس كمثله شئ وهو السميع البصير وقد تهدى الشاعر لهذه المعانى فقال

ان قلت جسم فما ينفك عن عرض * أو جوهر فالى الاقطار مردود
أو قلت متصل بالشئ فهو به * أو قلت منفصل فالكل تحديد
لا تجعلن الى التشبيه من سبب * ان الطريق الى التشبيه مسدود

تم القسم الاول من كتاب الف با لابي الحجاج يوسف البلوى المذكور في صحيفة ١٠٩ من الجزء الاول من كشف الظنون ويليه القسم الثانى منه واوله

(فصل ومما يمنع منه السؤال)

وهو أحد الكتب الجارى طبعها على ذمة جمعية المعارف بالمطبعة الوهبية
وقد بلغ عدد أهلها الخمسين بعد الاربعمائة

بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل) وممايمنع منه السؤال بأين (قيل) لصوفي أين الله (فقال) أتطلب مع العين أين وقد سئل علي بن أبي طالب أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض فقال أين توجب المكان وكان الله ولا مكان وقال لآخر وقد سأله أين الله (فقال) الذي أين الأين لا يقال فيه أين فبين للسائل فساد سؤاله بأن الاينية مخلوقة وكان قبلها سبحانه وتعالى قال الاستاذ رحمه الله مثال هذا السائل كمن سأل عن نور العلم أيظلم الشك يريد في فساده * وقيل ليحيى بن معاذ أخبرنا عن الله فقال اله واحد فقيل كيف هو فقال هو ملك قادر فقيل له أين هو فقال بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا امر يدا كان من صفة المخلوقين فأما صفته فما أخبرنا عنه (وقال بعض العلماء) وجائز أن نسأل عن الله بأين ونجيب عنه بما يليق بالله مثل أن تقول أين الله من قلبك أو من ذكر محله كما قال الشاعر (فأين الله والقدر) وكما قالت الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أين الله قالت في السماء لم ترد المكان انما أرادت الرفعة والعلو كما يقال فلان في السماء اذا أرادوا مكانته ورفعته في جاه أو علم وحسن قولها في السماء انها كانت في زمان المشركين وكانوا يعبدون آلهة كثيرة في الارض من الاصنام والاوثان فنفت ذلك وأشارت الى المعبود في السماء كما قال تعالى وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله وقال تعالى أأمنتم من في السماء والله تعالى أعلم وكذلك تقول في المكان مكان الله من قلبي معظم أي أعرف قدره وأحبه بقلبي و يستشهد على هذا المعنى بقول عباس بن مرداس للنبي صلى الله عليه وسلم

فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش الهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بمراده وقال الشاعر

قلت له والرحيل يحجله * وقد تدانى الفراق أين أنا
فدكفا الى ترائبه * وقال سر آمنا فانت هنا

وفي الترمذي عن ابي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل

يخلق خلقه قال كان في عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء وخلق عرشه على الماء وفسره قال يزيد بن عمرون أي ليس معه شئ وجاء في البخاري الذي هو أصح من هذا كان الله عز وجل ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شئ زاد النسائي ثم خلق سبع سموات وفسره أبو عبيد فقال العماء السحاب وقال غيره الرقيق من السحاب وقال بعض أهل العلم قوله اين كان ربنا يريد أين كان عرش ربنا فحذف اتساعا كما قال تعالى واسأل القرية وقال تعالى وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم أي حب العجل ويدل على صحة هذا قوله تعالى وكان عرشه على الماء وذلك ان السحاب محل الماء فكنى عنه وقال الاستاذ رحمه الله نحوا من هذا قال انما سأل عن مستقر الملائكة وغير ذلك من خلقه ألا تراه قال أين كان ربنا ولم يقل أين هو وقال قبل أن يخلق خلقه وقد علم انه ليس هو في خلقه ثم لما أجابه بذكر العماء سكت ولم يقل وأين كان قبل ان يخلق العماء فدل على انه سأله عن مخلوق ولم يسأل عن الخالق والله أعلم ذكر ذلك في تفسير حديث الامة السوداء الذي فيه أين الله وساق فيه حديثا يدا بعا نحوا من خمسة اوراق رحمه الله * وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الانبياء بالنصر والكلاءة قال الله تعالى انني معكما اسمع وارى ومع العامة بالعلم والاحاطة قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله وهو معهم وسئل ذو النون المصري رحمه الله عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والاشياء موجودة بحكمه كما شاء * وسئل الشبلي عن ذلك فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى (وقال بعضهم) فعل بالعرش فعلا سماه استواء فكان هو به مستويا كما خلق في غيره رزقا فكان هو به رازقا وخلق نعمة في غيره كان بها منعما وقيل الاستواء هو العلو والعلو راجع الى استحقاق صفات المدح ويتضمن القهر والغلبة كما يقال استوى فلان على العراق بمعنى استولى وغلب والله أعلم (وسئل جعفر بن نصير) عن ذلك فقال استوى علمه بكل شئ وليس شئ أقرب اليه من شئ وقال جعفر الصادق من زعم ان الله تعالى في شئ أو من شئ أو على شئ فقد أشرك لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان في شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (وسئل مالك رضي الله عنه) عن ذلك فقال الاستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والايمان به واجب والسؤال

عنه بدعة وقال للسائل وانى أخاف أن تكون ضالا وجاء فى العرش أنه أعلى المخلوقات كلها فانه أكبر خلق الله تعالى وهو فوق الجنان كالسقف لها والكرسى دون العرش فى المنزلة والقدر يقال ما السموات السبع والارضون السبع والكرسى فى العرش الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض واستعظم قدرة الله وخلقه و يخلق مالا تعلمون ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم و يروى عن عكرمة رضى الله عنه أنه قال ما أعطى الله عبده من النور فى عينيه ان لو جعل نور جميع أعين خلق الله من الجن والانس والدواب وكل شئ مما خلق الله فجعل نور أعينهم فى عين عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترا واحدا ودونها سبعون سترا ماقدر على أن ينظر الى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من السترة قال عكرمة فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور ينظر الى وجه ربه الكريم عيانا يعنى بالسترة فى هذا الخبر والله أعلم الحجاب وقد جاء فى الحديث حجابه النور (وعن مجاهد قال) بين الملائكة و بين العرش سبعون حجابا حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من نور وحجاب من ظلمة وجاء فى حديث آخر مابين كل حجابين كما بين السماء والارض وسيأتى الكلام فى الحجاب وانه فى أبصارنا ما يخلق الله فيها من الموانع وان لم تعتقد هذا والاسبق الى الوهم ان الحجاب أكبر من الله سبحانه وتعالى اذ يستره على تخيلك وهذا محال والله أكبر من كل شئ وأعظم وأجل سبحانه وتعالى فنحن اذا المحجوبون كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون انظره فى باب الذال عند ذكر الاذان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال ابن مسعود مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ثم مابين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام و بصر كل سماء يعنى غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ثم مابين السماء السابعة الى الكرسى مسيرة خمسمائة عام ثم مابين الكرسى الى العرش مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولا يخفى عليه شئ من أعمالكم وفى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض وفوق ذلك العرش و بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله فوق ذلك ولا يخفى عليه من أعمال بنى آدم شئ * وعن الحسن عن كعب الاحبار قال أقرب الخلق الى الله

البصر بضم الباء السمك

عز وجل جبريل وميكائيل واسرافيل وهم تحت زوايا العرش وبينهم وبين رب العالمين مسيرة خمسين ألف سنة (وعن وهب بن منبه قال) أربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه وجه ثور ووجه وجه أسد ووجه وجه نسر ووجه وجه انسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر الى العرش فيصعق وأما جناحان فيهفو بهما ليس لهم كلام سوى أن يقولوا قدسوا الملك القوى الذى ملأت عظمته السموات والارض وعن كعب قال حملة العرش ما بين اخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الارض السفلى والسموات الى حجزهم والعرش الى مناكبهم (وجاء فى تفسير الكرسى) أقوال منها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كرسيه علمه وقاله ابن جبير أيضا ذكره البخارى وكان الطبرى يقوى هذا القول بأن العرب تسمى العلماء كراسى ومنه سميت الكراسة لما تضمنته وجمعته من العلم وأنشد

يحفهم بيض الوجوه وعصبة * كراسى بالاحداث حين تنوب

أى عالمون بالاحداث وقيل كرسيه ملكه (وقال الحسن) الكرسى العرش وكان الاستاذ رحمه الله يقوى هذا القول لانه لم يرد أن العلم وسع الكرسى فادونه دون ما فوقه فجائز أن يريد به العرش وما تحته والله أعلم ويستشهد بما ذكره ثابت ابن قيس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته اذ يقول فيها ووسع كرسيه علمه فليس الكرسى على هذا علمه والله أعلم *(فصل)* قد تقدم ان العرش أكبر المخلوقات وانه لا يعلم قدره الا الذى خلقه وأنه مختص بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق وقد جاء فى القرآن العزيز ذكره وأنه تحمله الملائكة وجاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه يخفق الطير سبعمائة عام والعرش فى اللغة السرير وكذلك فسر ابن عباس قوله تعالى ولها عرش عظيم أى سرير كريم فى حسن الصنعة وغلاء الثمن ذكره البخارى يريد بذلك بلقيس والكرسى فى عرف اللغة ما يقعد عليه أو يرقى به الى السرير وقال ابن ابى زمنين فى كتابه فى أصول السنة ومن قول أهل السنة أن الكرسى بين يدى العرش وأنه موضع

القدمين

القدمين والله تعالى يتعالى عن التحديد والتشبيه والتكييف وهذه المخلوقات التى أظهرها لا شك أن بعضها أكبر من بعض وأعلى من بعض والعرش أعلى خلقه وأكبر وهو غنى عن جميع ما خلق غير محتاج اليه وانما هو ملك أظهره وليس ما أظهره لنا وعلمناه كنه خلقه بل هو بعض خلقه اذ يقول سبحانه ويخلق مالا تعلمون وقد جاء فى الخبر أن السموات والارض والدنيا والآخرة والجنة والنار فى جوف الكرسى والكرسى نور يتلألأ وقد تقدم أن العرش أكبر المخلوقات وأكبر من الكرسى وليس العرش والكرسى الا التشبيه فى الرفعة كما أضاف الكعبة التى فى الارض عندنا اليه وسماها بيته فيقال بيت الله كما أضاف المساجد أيضا اليه فيقال بيوت الله والبيت عندنا انما هو معد للسكنى والله تعالى يتعالى عن صفات البشرية كلها فى جميع صفاته وقد ذكر أبو طالب المكى أيضا بسنده الى مجاهد فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقعده على العرش وهبه لحبيبه فى الآخرة فجعله مكانه تفضيلا له وتشريفا ليكون هنا لك فوق المرسلين فى الجلالة كما كان آخرهم فى الرسالة فيحتمل والله أعلم أن يكون خلقه من أجله صلى الله عليه وسلم فلا أرفع منه ويكفيه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجاء فى الخبر عن الله تعالى وخلقت ما خلقت لاجل محمد فهذه غاية الشرف والحمد لله (وقال أبو طالب المكى أيضا) وقد ذكر ما يعتقده المؤمن الموقن قال وان تعتقد ان الله تعالى رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى ومن كل شئ كقربه من العرش وان العرش غير ملابس له بحس ولا مفكر فيه بوجس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط به بدرك لانه تعالى محتجب بقدرته عن جميع بريته ولا نصيب للعرش منه الا كنصيب عالم موقن به واجد بما أوجده منه وان الله تعالى محيط بعرشه فوق كل شئ وفوق تحت كل شئ فهو فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لانه العلى الاعلى أين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحد بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان فالتحت الاسفل والفوق الاعلى وهو سبحانه فوق كل فوق وفوق كل تحت فى السمو هو فوق ملائكة الثرى كهو فوق ملائكة العرش والاماكن الممكنات ومما يقوى هذا ما قاله بعض العلماء وقد سئل عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فقال ان الله تعالى أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى والتقم الحوت يونس

عليه السلام فهبط به الى قعر البحار فى أسفل الارض فلا تقولوا انى كنت أقرب الى ربى من يونس بل كنا فى القرب سواء أوكما قال وجاء فى الخبر أربعة أملاك اجتمعوا فى الهواء أحدهم هبط من العلو والآخر ارتفع من السفل والآخر من المشرق والآخر من المغرب وكل واحد منهم يقول أقبلت من عند ربى أوكما قالوا فسبحان الموجود فى الكل مكانه مشيئته ووجوده قدرته والعرش والثرى وما بينهما هو وحد الخلق الاسفل والاعلى بمنزلة خردلة فى قبضته هو أعلى من ذلك محيط بجميع ذلك بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد فى دنوه ولا حس فى وجوده ولا مس فى شهوده ولا ادراك لحضوره ولا حيطة لحيطته وقد قال الله تعالى للكل يخافون ربهم من فوقهم و يفعلون ما يؤمرون وقال تعالى سبح اسم ربك الاعلى وقال تعالى ألا انه بكل شئ محيط * رفع ذاته عن القلوب والافكار فلم يخيله عقل ولم يصوره وهم لئلا يملكه الوهم فيكون مربوبا وهو رب ولا ينظر اليه بفكر فيكون مقهورا وهو قهار ولا يعقل بعقل لانه عاقل العقل ولا يدرك بحيطة وهو محيط بكل حيطة يشهد الكون من أوله الى آخره من حيث علمه بعلم هو وصفه ومشاهدة هى نعته لان كلامه بذلك يخبر بأنه قد كان دليل على شهوده المآل لانه شهد ما علم كما علم ما به تكلم فلم يتفاوت كلامه وعلمه ولم يختلف علمه وشهادته قوته كنه قدرته وقدرته دوام بقائه نظره سعة علمه وعلمه مد بصره يدرك الاشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة فثبتت بذلك مشيئته أنه علم ونظر وتكلم لا يدخل الترتيب فى صفاته أعنى بقبل ولا بعد ولا بوقت يحد ولا يوصف بالتعقيب بقدرته وأحكامه أعنى بم ولم ولزم بذلك أنه يعلم بنظره و ينظر بعلمه وصارت الاوائل والاواخر لديه كشئ واحد وصارت صفاته كلها آحادا كاملات تامات غير محدودة للمعدودات ولا موقتة مرتبة للموقتات المرتبات اذ الترتيب فى النعوت من وصف الخلق والادوات رأى خلقه قبل أن يخلقهم كما رآهم بعد أن خلقهم أدخلهم الجنان قبل أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه هو أعز من أن تغضبه أعمال خلقه لكنه نظر الى قوم بعين الغضب قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال الغضب فأسكنهم دار الغضب وهو أكبر من أن ترضيه أفعال خلقه ولكنه نظر الى قوم بعين الرضى قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال الرضى

فأسكنهم

فأسكنهم دار الرضى وكان من هجيرى الشيخ أبي الحسن الكانشي رحمه الله هاتوا عليك فعصوك ولو احببتهم لحميتهم عن المعاصي روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا يعنى كان في علم الله أن يكون فكأنه علق قوله لم يكن شيئا بقوله مذكورا والله تعالى يخبر بما يكون في الدنيا وبما يكون في القيامة ومابعدها بلفظ انه كان لاستواء ذلك في علمه آخرا كالاول اذ لا ترتيب في العلم ولا حد ولا مسافة ولا بعد في القدرة وقال تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين يعنى تقلبك في أصلاب الانبياء في صلب نبي بعد نبي حتى أخرجك من ذرية اسماعيل والله سبحانه عالم بالكون قبل الكون ثم أظهر الخلق عالما بعد عالم وقتا بعد وقت فجاؤا على نظره وسمعه وكلامه كما كانوا في علمه ومشيئته بغير زيادة ذرة ولا نقصان خردلة سبحانه وتعالى علوا كبيرا والكلام كثيرا اختصرته من كتب العلماء وحكم الحكماء وسئل أبو عثمان المقرى رضى الله عنه عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام القدرة وقال الواسطى لما كانت الارواح والاجساد قامتا بالله وظهرتا به لا بذواتها كذلك قامت الحركات والخطرات بالله لا بذواتها اذ الحركات والخطرات فروع للاجساد والارواح صريح هذا الكلام ان اكتسابات العباد مخلوقة لله وكما انه لا خالق للجواهر الا الله تعالى فكذلك لا خالق للاعراض الا الله تعالى صدق الذى يقول هذا وشاهده قول الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وقالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وفي الخبر الله صانع كل صانع وصنعته وهذا الخبر أطول من هذا رويته عن الحافظ رحمه الله بسنده الى حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المعروف كله صدقة وان الله عز وجل صانع كل صانع وصنعته وان آخر ما تعلق به أهل الجاهلية من كلام النبوة اذا لم تستح فاصنع ما شئت وسئل بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لى ماهو فقال هو معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل فاذا عرفت ذلك فقد وحدته وسئل الواسطى عن الكفر بالله أو لله فقال الكفر والايمان والدنيا والآخرة من الله والى الله وبالله ولله من الله ابتداء وانشاء والى الله مرجعا وانتهاء وبالله بقاء وفناء ولله ملكا وخلقا * وقال بعضهم ذكر الله اياك ومحبته ورحمته لك باق ببقائه والجنة باقية بابقائه فشتان مابين باق ببقائه وباق بابقائه

(قلت) ينظر هذا الى قوله تعالى ولذكر الله أكبر على تأويل من فسره ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه لان الله تعالى ذاكر من ذكره قال تعالى فاذكروني أذكركم وسئل بعضهم عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم في القلب يمنعك من التعطيل والتشبيه وقال غيره التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه بالذوات ولا منفي الصفات * وقال بعض المشايخ ماتوهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال أبو المعالي من اطمأن الى موجود انتهى فكره اليه فهو مشبه ومن انقطع الى موجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل والقول أيضا في هذا الباب يطول وقد أحكمه أهل الاصول في أبواب وفصول فمن طلبه أصابه فاقتنع منه بهذه الصبابه وان كانت لك بها صبابه وسيأتي طرف منه في هذا الكتاب في مواضع فاسترحم الرحمن للواضع وقد نسيت نفسي بقال فلان وفلان قال حتى طال المقال ولما خرجت من ثقاف اللغات الثقال صرت كالمنشط من العقال والحديث ذو شجون وذو شعوب وفنون (وقلت)

خرجت من اللغات فطاب عيشي * وجاء الفكر بالدر النفيس
وأفرح حين آخذ في سواها * كما فرح المؤدب بالخميس
ولكن بذ يحضر يوم سبت * فيعبس فيه أكثر من عبوس
اذا ماقلت لي فسر حروفا * فتلجيني الى حرب البسوس
ولو صحفته قشر خروفا * لكان علي أسهل من جلوسي
ولكني سأرجع للذي قد * أردت كرامة لك ياجليسي

ولكن بعد أن أفسر لكم أيها البنون الشجون والفنون أما الشجون فصدر شجن وهو الحزن يقال أشجنني الامر فشجنت شجونا والجمع أشجان ويقال رجل شجن بكذا وقد أجازوا في الشعر شجي بالتشديد وأنشدوا * أياويح الشجي من الخلي * ولهم في ذلك كلام والشجنة قرابة مشتبكة (ومنه الحديث) الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله (يروى) بضم الشين وكسرها يعني قريبة أي قريب ثوابها من الواصل قريب عقابها من القاطع وأصله الاختلاط يقال شجر متشجن أي ملتف ومنه (قالوا الحديث) ذو شجون كما تقدم * وقال البكري وذكر الحديث ذو شجون مأخوذ من الشواجن وهي أودية كثيرة

قد ذكر فى التعقيب الشجر وصوابه الشجر كما هنا

الشجر غاضة يقال أشجنت الارض اذا كثرت فيها الشجون وهى الاودية واحدها شجن قالوا والشجون أيضا الحاجات (قال الشاعر) * والنفس شتى شجونها * وقد يستعمل فى معنى الحب قال الراجز

انى سأبدى لك فيما أبدى * لى شجنان شجن بنجد * وشجن لى ببلاد الهند

(والفنون) جمع فن وهو الحال والضرب من الكلام يقال رجل معن مفن وهو الذى لا يعرض له شئ الا تكلم فيه وهو محمود اذا أصاب الصواب ومذموم اذا تعرض فى الامور وتكلم بغير علم ولا دعته اليه ضرورة * قال ابن السيد وهو الذى تسميه الناس الفضولى وأما المعن بضم الميم فهو الفرس الذى جعل له عنان وهو من أعننت والفن غصن الشجرة وجمعه أفنان قال الله تعالى ذواتا أفنان ومنه يقال فلان يتفنن فى الكلام كأنه يمضى من غصن الى غصن وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون قال فى كل فن يذهبون وقال مجاهد فى كل فن من القول يفتنون وقال الحسن قد رأيت أوديتهم التى يهيمون فيها فى مديح هذا مرة وفى هجاء هذا مرة يعنى ما هو على وزن هذا شؤون وسيأتى ان شاء الله تعالى فى فوائد باب الراء وتقدم معن مفن وكما تقول ذلك للرجل فكذلك تقول للمرأة معنة مفنة (قال الراجز)

ان لنا لكنه * معنة مفنه * سمعنة نظرنه * كالريح حول القنه

ويروى * كالذئب وسط العنة * الا تره تظنه * كان الاحمر يكسر سمعنة نظرنه وقال أبو زيد امرأة سمعنة نظرنة بالضم وهى التى اذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئا تظننته تظنيا وأما قولهم الحديث ذو شجون فأول من قاله ضبة بن أد وهو والد سعد وسعيد الذى تقدم ذكرهما وكان قد أرسلهما فى طلب ابل له فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة اذا رأى شخصا يقول أسعد أم سعيد فذهبت مثلا ثم ان ضبة خرج فى سفر فى الشهر الحرام ومعه الحارث بن كعب فمرّا بمكان فقال الحارث لضبة انى لقيت فى هذا الموضع فتى من صفته كذا وكذا فعرف ضبة صفة ابنه سعيد فقال له وما فعلت به قال قتلته وأخذت منه هذا السيف فقال ضبة أرنى اياه فسله ودفعه اليه فرأى أنه سيف ابنه فقال الحديث ذو شجون ثم ضرب الحارث فقتله فلامه الناس على ذلك فقالوا أقتلت فى الشهر الحرام فقال سبق السيف العذل فقال الفرزدق فى ذلك من شعر له آخره

ولا تأمن الحرب انا استعارها * كضبة اذقال الحديث شجون

وسيأتي سبق السيف العذل وان أول من قاله خزيم بن نوفل انظره في فصل الاجواد من باب الجيم ان شاء الله وأنا أقول أيضا الحديث يجر بعضه بعضا تقدم في هذا الفصل *أيا ويح الشجي من الخلي* ولي من لفظ الشجي قطعة مطولة أولها ليت شعري أيستريح الشجي * فيرى بعد ذا الذي وهو خلي انظرها في التكميل ومن أملح ما رأيت في هذه اللفظة ما خرج البكري قال أوقف عبد الملك بن مروان جارية للشعراء فقال أيكم يجيز هذا البيت وهذه الجارية له ثم أنشد بكى كل ذي شوق يمان فشاقه * شآم فأنى يلتقي الشجنان

فجثا جرير على ركبتيه وقال هلمي يا جارية الي ثم قال

يغور الذي بالشرق أو ينجد الذي * بنجد تهامات فيلتقيان

فأخذ الجارية وانصرف *(فصل)* الحروف في اللغة تأتي على وجوه منها القراءة تقول قرأت بحرف فلان ومنها المذهب والجهة على غير يقين بمعنى الشك والتجربة وفي القرآن ومن الناس من يعبد الله على حرف جاء في تفسيره عن مجاهد أي على شك وحقيقته أنه على ضعف في عبادته كضعف القيام على حرف جرف قاله المهدوي وسيأتي طرف من هذا المعنى داخل الكتاب ان شاء الله فهذا وجه (وجاء في الحديث) أنزل القرآن على سبعة أحرف فسره ابن شهاب رحمه الله قال بلغني أن السبعة الاحرف انما هي في الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام ذكره مسلم رحمه الله وفسره أبو عبيد فقال يعني سبع لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم نسمع به قط ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة هذيل وبعضه بلغة أهل اليمن ثم فسر عن ابن سيرين هو كقولك هلم وتعال وأقبل *وقال أيضا في حديث يرفعه على سبعة أحرف حلال وحرام وأمر ونهي وخبر من كان قبلكم وخبر ما هو كائن بعدكم وضرب الامثال ثم قال أبو عبيد ولسنا ندري ما وجه هذا الحديث لانه شاذ غير مسند وصحح ما قاله أولا في القرآن حسبما ذكره في الغريب وهذه نخبة قوله رحمه الله (قلت) ولعمري ان النفس تميل الى ما ذله أبو عبيد رحمه الله من أنها لغات متفرقة في ألسنة العرب ألا ترى أن من لغة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم بكسر العين على ما حدث به

معنى الحرف في اللغة

الكسائي عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سألهم عن شيء فقالوا نعم فقال انما النعم الابل قولوا نعم وكان مذهب علي بن أبي طالب رضي الله عنه نعم بالفتح يدلك على ذلك حين أخذ البيعة على أصحابه فجعلوا يقولون نعام يريدون نعم فقال علي رضي الله عنه ان النعام والباقر في الصحراء الكثير ولم ينكر عليهم الازيادة الالف في نعم والله أعلم (وأما ابن قتيبة رحمه الله فقال) تدبرت الاختلاف في وجوه القراآت فوجدتها سبعة (أولها) في اعراب الكلمة أو في حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها ولا يغير معناها نحو قوله تعالى هؤلاء بناتي هن أطهر لكم وأطهر وهل يجازى الا الكفور وهل نجازي الا الكفور والبخل والبخل وميسرة وميسرة (والوجه الثاني) أن يكون الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب نحو قوله تعالى ربنا بعد بين أسفارنا وربنا باعد واذ تلقونه وتلقونه وادكر بعد أمة وبعد أمه وهو النسيان (والوجه الثالث) أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم وفزع (والوجه الرابع) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الا زقية واحدة وصيحة وكالعهن المنفوش وكالصوف (والوجه الخامس) أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى وطلح منضود وطلع (والوجه السادس) أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت في موضع (والوجه السابع) أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى وما عملته أيديهم وما عملت أيديهم وان الله هو الغني الحميد وان الله الغني الحميد في سورة الحديد وقراءة بعض السلف ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى وان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وقد تكلم ثابت رحمه الله في الدلائل على هذا الحديث وذهب في ذلك مذهب أبي عبيد رحمه الله وقال ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم والعرب متباينون في كثير من الالفاظ واللغات ولكل عمارة لغة دلت بها ألسنتهم وفحوى قد جرت عليها عاداتهم وفيهم الكبير العاسي والاعرابي القح ومن لا زم نفي عادته وحمل لسانه على غير دربته تكلف منه حملا ثقيلا وعالج منه عناء

شديدا ثم لم يكسر غرب به ولعلك استمراره الا بعد التمرين الشديد فأسقط الله عنهم هذه المحنة وأباح لهم القراءة على لغاتهم وحمل حروفهم على عاداتهم فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقرئهم بما يفقهون ويخاطبهم بالذي يستعملون بما طوّقه الله من ذلك وشرح له صدره وفتق به لسانه وفضله على جميع خلقه صلى الله عليه وسلم وهذا معنى الحديث والله أعلم وأيضا فلم يكن لهم يومئذ كتاب يعتبرونه ولا رسم يتعارفونه ولا يقف أحدهم في الحروف على كتبة ولا يرجعون منها الى صورة وانما كانوا يعرفون الالفاظ بجرسها او يحدّونها بمخارجها وكان أكثرهم لا يعلم بين الراء والزاى سببا ولا بين الصاد والضاد سببا فلهؤلاء جاءت الرخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القراءة على سبعة أحرف أى على سبع لغات والله أعلم والدليل على أنه كان أكثرهم لا يكتب ولكنهم يفقهون ما روى بعض الاخباريين ان هشام بن عبد الملك مر على ميل فقال لاعرابى انظر ما الذى عليه مكتوب فنظر ثم أقبل فقال محجن وحلقة وثلاث كأنها أطباء الكلبة وهامة كأنها منقار طائر فقال هشام هذه خمسة وقال ثابت أيضا فى قول أبى عبيد حين أنكر أبو عبيد أن يكون فى الحرف الواحد سبع لغات وقال هذا لم نسمع به قط قال ثابت قد جاء فى كتاب الله عز وجل ماله وجوه من القرآن سبعة أو تزيد على السبعة من غير أن نقول هذا مراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله أنزل القرآن على سبعة أحرف ثم ذكر قوله تعالى وعبد الطاغوت بضمها وعبد الطاغوت مضافة وعبد الطاغوت بالاضافة وضم العين والباء وعبد الطاغوت بضم العين وتشديد الباء وعابد الطاغوت وعباد الطاغوت وعبدوا الطاغوت فهذه سبعة أوجه محفوظة عن أبى حاتم السجستانى وسمى من قرأ بكل حرف منها ثم قال وذكروا عن الخليل رحمه الله أنه قال ويقرأ وعبد الطاغوت كما تقول ضرب عبد الله وعبد الطاغوت معناه صار الطاغوت معبودا كما تقول فقه زيد وعبد الطاغوت أراد عبدة الطاغوت وطرح الهاء فى اللفظ والمعنى فى اثباتها وعابد والطاغوت وفسر ذلك كله فقال أما من قرأ وعبد فعلى لفظ من أى ومن عبد الطاغوت ومن قرأ وعابدوا الطاغوت فعلى معنى من لان لفظها الافراد ومعناها الجمع كما قال تعالى ومنهم من يستمع اليك ومنهم من يستمعون اليك ومن قرأ وعبد فله وجه مثل رهن ورهن وسقف وسقف ويجوز اسكان الثانى فى هذا فتقول سقف وسقف وأما عبد فجمع عابد مثل شهد وشاهد وغيب وغائب وأما

عباد لجمع مثل كافر وكفار وغائب وغياب وأما وعبد الطاغوت بالاضافة فردود ولا يوجد ذلك الا فى ضرورة الشعر مثل قوله * أنا ابن ماوية اذ جد النقر * على أن سليمان التيمى قرأ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم والله أعلم (قلت) وكثيرا ما يجىء فى الكلمة الواحدة لغات كثيرة مثل عضد من قوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا فسره مكى فى الهداية أى عونا ثم قال وفيه ست لغات عضدا وعضدا وعضدا وعضدا وعضدا وعضدا وستري فى هيهات كذلك لغات كثيرة وفى آزر كذلك وفى غيره هذا كثير فاطلب تصب والله الموفق (وقال المازنى) رحمه الله فى هذا الحديث ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وزيف قول من قال انها معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص وغير ذلك وقال ذلك خطأ لانه لا يجوز ابدال آية أمثال بآية أحكام قال الله تعالى قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى وكذلك زيف قول من قال ان المراد به ابدال خواتم الآى فيجعل مكان غفور رحيم سميع بصير مالم يناقض المعنى فيبدل آية رحمة بآية عذاب قال وهذا أيضا فاسد لانه قد استقر الاجماع على منع تغيير القرآن ولو زاد أحد من المسلمين حرفا أو كلمة أو نقص أخرى أو خفف مشددا أو شدد مخففا لبادر الناس الى انكاره فكيف بابدال الكثير من كلماته واذا فسد هذا فينبغى أن تعلم أن الحرف فى اللغة هو الطرف والناحية ومنه حرف الوادى أى طرفه وناحيته ومنه تسميتهم الشكل المنقطع من حروف المعجم حرفا لانه ناحية من الكلام وطرف ولا بد من حمل الحديث على وجه يجوز ابدال بعضه من بعض فلم نجد الا أنه نحو الترقيق والتفخيم والاظهار والادغام والهمز والتسهيل والفتح والامالة فهذا لا يغير المعنى والله أعلم والحرف فى اللغة أيضا حرف الشئ مثل الجبل وغيره تقول انحرف الرجل وتحرف واحرورف اذا مال عن الشئ وأما الحرف بالضم فحب الرشاد والحرف أيضا الحرمان والمحارف المحروم وهو خلاف قولهم مبارك وقد حورف كسب فلان اذا شدد عليه فى معاشه كأنه ميل برزقه عنه (وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه) موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت أى يشدد عليه لتمحص عليه ذنوبه والحرفة الصناعة والمحترف الصانع وفلان حريفى أى معاملى قال الاصمعى هو يحرف لعياله أى يكتسب من ههنا وههنا مثل يقرف وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره وتحريف القلم قطه محرفا وانحرف عنه وتحرف واحرورف مال

وعدل والحرف بالفتح أيضا الناقة الصلبة ويقال المهزيلة ولبعض أصحابنا يلغز في الحروف التي هي جمع حرف يعني النوق المتعبة في السفر

وقائلة ولم تلفظ بحرف * وكم لفظت حروفا أضمرتها

عوامل دائبا رفعا ونصبا * وخفضا في معاني أضمرتها

يعني بالقائلة الهاجرة وبالحروف الابل التي أضعفها العمل حتى أضمرت جسومها لكثرة السير في المرتفع من الارض والمطمئن والمنخفض حتى لفظتها يعني طرحتها وألقتها منها مهزولات مضمرات والمعاني التي أضمرتها هي مانوتها في سيرها من صنوف المآرب وضروب المنافع واعلم أنه يقال لفظ بالكلام اذا نطق به بكسر الفاء و بفتحها ولفظ الشيء رمى به يلفظ فيهما جميعا ولفظ بالفتح وفلظ مات والحروف التي بني عليها جميع الكلام هي حروف الهجاء (قال ابن عطاء) ان الله تعالى لما خلق الاحرف جعلها سرا له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك في أحد من الملائكة فجرت الاحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجزئيات في فنون اللغات فجعلها الله تعالى صورا لها وهي الثمانية والعشرون حرفا المذكورة وجعلها أبو القاسم الزجاجي تسعة وعشرين وعد منها الهمزة وقال ابن دريد الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الاسماء والافعال والحركات والاصوات تسعة وعشرون حرفا مرجعهن الى ثمانية وعشرين حرفا وأما الحرف التاسع والعشرون فخرس بلا صوت أي تصويت وهي الالف الساكنة وذلك أنه لا يكون الا ساكنا أبدا فمن أجل ذلك لم يبدؤا به فاذا احتيجت الى أن تحرك تحول الى لفظ أحد الحروف المعتلات الياء والواو والهمزة فمن ثم لم يعدوه في حروف المعجم لان اللسان لا يبتدئ بساكن ولا يقف على متحرك فاذا كانت الكلمة أولها ألف صارت همزة فمن الحروف حرفان تختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثير وأن الظاء وحدها مقصورة على العرب ومنها ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم وهي العين والصاد والضاد والقاف والطاء والثاء وما سواها فللخلق كلهم من العرب والعجم الا الهمزة فانها ليست في كلام العجم الا في الابتداء وهذه الحروف تزيد على هذا العدد اذا استعملت فيها حروفا لا تتكلم بها العرب الا ضرورة فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء

والفاء

والفاء مثل بوراذا اضطروا اليها قالوا فور ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف وبين الجيم والكاف وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل وأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون الكوم في موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف انتهى كلامه وسترى في هذا الكتاب ماجاء من ذلك في أبوابه ان شاء الله واذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف واذا تقاربت صعب النطق بها لاسيما حروف الحلق لا يجيء منها ثلاثة في كلمة واحدة وسيأتي طرف من هذا ان شاء الله تعالى (وأما أبو القاسم) فقال انها تبلغ خمسة وثلاثين حرفا بحروف مستحسنة نحو النون الخفيفة والالف الممالة وهمزة بين بين وألف التفخيم والصاد التي كالزاي والشين التي كالجيم قال ثم تصير اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة (قال ابن دريد) وهذه الحروف تسعة أجناس يجمعهن لقبان المصمتة والمذلقة ثم فسر ذلك مع مخارجها على ماسأذكر لك ذلك مفرقا في باب كل حرف ان شاء الله تعالى ويجمع الحروف المصمتة قولك حثه شخص فسكت وهي عشرة وقيل لها مصمتة أي صمت عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف المذلقة في الاكثر والمذلقة مشتقة من ذولق اللسان وهو طرفه ولا تكاد تجد خماسيا ولا رباعيا يخلو من أحدها ولذلك استغربوا لفظة العسجد والزهزقة والعسطوس اذ ليس فيها حرف منها وهي ستة الراء واللام والنون والباء والفاء والميم يجمعها مل بفرن وهذه الحروف ثلاثة منها شفهية وهي الفاء والباء والميم سميت بذلك لحركة الشفتين عند ذكرها وثلاثة ذولقية وهي الراء واللام والنون سميت بذلك لخروجها من طرف أسلة اللسان كما تقدم يقال لسان ذلق طلق وذليق طليق وذلق طلق وذلق طلق أربع لغات وذلق كل شئ حده وكذلك ذولقه تقول ذلق اللسان بالكسر يذلق ذلقا أي ذرب وكذلك السنان تقول ذلق يذلق فهو ذلق وأذلق وهذه الحروف منها عوامل ومنها حروف علة ومنها صحاح وجميعها يذكر ويؤنث مالم تسم حروفا تقول هذه ألف وهذا ألف قال الشاعر في التذكير

كافا وميمين وسينا طاسما

وقال آخر في التأنيث

* كما بنيت كاف تلوح وميمها *

وقد ذكرت من ذلك في هذا الكتاب ماقدر الله لي أن أذكره وعسى الله أن ينفع بالنية فيه *(فصل قد تقدم فضل حروف المعجم)* وأخبرتك ان الله تعالى قد فضل الاشياء بعضها على بعض ورأيت أن الالف أفضل

الحروف ويتلوها في الفضل الباء لوجوه منها اجماعهم على تقديم الالف في أبجد وبعدها الباء على مذهب من استعمله وفي ألف با تا ثا ولان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك فأول اللفظة الالف وان كانت همزة فالالف تحملها وأول كلمة بعد هذه اللفظة باسم ربك فالباء أول هذه الكلمة الاخرى فهي تالية للالف وان أزلت الباء وقلت انها زائدة بقي اسم وأوله الالف والباء هنا لها معنى عظيم أي انك لا تقرؤه بحولك وقوتك ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا فهو يعلمك ويحفظك لانه قال قبل ذلك ما أنا بقارئ أي اني أمي ولا أقرأ الكتاب فقيل اقرأ باسم ربك الذي خلقك فينبغي على هذا أن لا يتحرك متحرك الا بذكر اسم الله تعالى ألم تسمع قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها وينبغي أن يتحفظ في لفظه فيقول باسم الله ولا يقل على اسم الله فانه قد جاء عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كره أن يقول الرجل للقوم قوموا على اسم الله وسمع قائلا يقول في جنازة ارفعوا على اسم الله فقال ابن عمر ان اسم الله على كل شئ ولكن قولوا ارفعوا باسم الله وروى أن رجلا قال لصاحبه اجلس على اسم الله وذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اجلس على استك وقع هذا الخبر في كتاب آداب الاسلام لابن أبي زمنين (قلت) لا أدري كيف هذا وقد خرج مسلم رحمه الله عن جندب بن سفيان قال شهدت الاضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته بالناس نظر الى غنم قد ذبحت فقال من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاة مكانها ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله فرغ الحديث اللهم الا أن يكون كره للرجل الذي قال لصاحبه اجلس على اسم الله سوء الادب في لفظه هذا والله أعلم وعند العامة من هذا كثير يرسلون أقوالهم ويسيئون كلامهم الا ترى قول الناس الحمد لله الذي جئت يقولونه لمن قدم عليهم قال بعض العلماء لا ينبغي أن يقال هذا ولكن يقال الحمد لله الذي جاء بك أو الحمد لله اذ جئت (رجع الكلام الى فضل الالف) خرج أبو عمرو المقرى رحمه الله في المحكم بسنده الى عبد الله بن سعيد قال بلغنا أنه لما عرضت حروف المعجم على الرحمن تبارك اسمه وتعالى جده وهي تسعة وعشرون حرفا تواضع الالف من بينها فشكر الله له تواضعه فجعله قائما أمام كل اسم من أسمائه قال أبو عمرو وقال بعض العلماء انما تقدمت الالف على سائر الحروف لانها صورة الهمزة

المتقدمة فى أوّل الكلام (ويروى عن بكر) بن خنيس ان الله تعالى لما خلق الالف انتصب قائما فلما خلق الباء اضطجعت فقيل للالف لم انتصبت قائما قال أنتظر ما أومر وقيل للباء لما اضطجعت قالت سجدت لربى قال بكر فأيهما أجل الذى فعل ما يؤمر أو الذى انتظر ما يؤمر كأنه فضل الالف على الباء ثم هى مع اللام فى اسم الله وفى أوّل كل اسم من أسمائه التسعة والتسعين اسما ولذلك جاءت فى القرآن فى قوله تعالى هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وفى الحشر هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الى آخر السورة (وحيثما ذكرت هذه الاسماء) * تذكر بالالف واللام وان لم يكونا من نفس الكلمة وسمعت بعض أشياخى ينكر على من يكتب أو يذكر اسم الله تعالى منكرا وأنكر على من قال أن الا من قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هو الله وقال حذار حذار من أن تقول هو اسم الله فتسمى الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى سبحانه معرفة وأن اذا نكرة وحاش لله أن يكون اسمه نكرة انما الال ماله حرمة وحق مثل القرابة والرحم والجوار وهو من أللت اذا اجتهدت فى الشئ وحافظت عليه فاذا كان المصدر آلا بالفتح فالال بالكسر الاسم كالذبح من الذبح (قلت) وهذا الذى أنكره هذا الشيخ قد قاله ابن عزيز رحمه الله وذكر أن الال تجيء على خمسة أوجه ذكرها وأوّل ما قال الال الله عز وجل وكذلك فسر أبو عبيد الال انه الله فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع سجع مسيلمة ان هذا شئ ما جاء عن ال وسيأتى هذا كله فى بابه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وجاءت الالف فى أوّل آمين فمن جعله اسما من أسماء الله تعالى وفى أوّل سورة فى المصحف الحمد لله رب العالمين وجاء فى معنى الحمد لله لا نفسره بغيره لان لفظة الحمد أعم من كل لفظة ترجمت عن الحمد وهو أعم من الشكر فبدأ بالالف فى الحمد لله فى أوائل السور وحيثما وقع فى أوّل آية الكرسى التى هى أعظم آية الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى أوّل الصلاة الله أكبر وفى آخرها السلام عليكم وهذا كله راجع الى اسم الله تعالى *(فصل)* تقدّم ان الحمد أعم من الشكر وقد قال فى ذلك الامام الحافظ أبو بكر بن العربى رضى الله عنه

مالى بوصف الاله الحق من قبل * جلت معاليه عن قولى وعن عملى
لا حمد الا الذى قد جاء عنه له * فرد عن المثل معلوم على المثل

يا أيها المتعاطي وصفه صلفا * مهلا فقد خلق الانسان من عجل
سلي عن الدين والدنيا أجبك وعن * محامد الله رب الناس لا تسل
هذا النبي وقد أوتي جوامعه * من الكلام بلا عي ولا خطل
قد قال ما أحسن الاخبار عنه ولا * أحصي ثناء عليه آخر الأجل
وأنت ان كنت تبغي وصفه فلقد * ركبت في الامر ظهر الحادث الجلل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل
ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا يقابل حول الله بالحيل

قال الفقيه الاستاذ أبو الحجاج رضي الله عنه قد تقدم ان الحمد أعم من الشكر ولذلك قلت

الحمد أبلغ في الثنا * من لفظ شكر فاعتبر
بمقالة العلماء فيه أولي البصائر والبصر
وأنا أقول بقولهم * وأزيد معنى لي حضر
في لفظ حمد أحرف * مدح والا فاختبر
حمد الذي لك ثلثه * ليس المعاين كالخبر

قد تقدم الالف في الدوالر والمر والمص كما تقدم ان الباء تتلو الالف في الفضل لكونها كما تقدم في باسم ربك وفي بسم الله الرحمن الرحيم على مذهب من جعلها آية من كل سورة من القرآن فبدأ بها في المصحف قبل الحمد لله وكونها في أول كل سورة للفصل وللفضل وقد خرج الدارقطني عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأتم الحمد فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها وخرج أبو داود عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وقد جاء في فضلها ما لا ينبغي لاحد اذا سمعه أن يترك قول ذلك وأذكر منه هنا بعض ذلك لعل أحدا يستعمله فأكون دالا على خير والكريم ذو الجلال لا يضيع الدلال * ذكر النقاش في كتابه بسنده الى ابن جريج عن عكرمة قال ان الله كان ولا شئ غيره فخلق نورا وخلق من النور القلم واللوح أول كل شئ ثم أمر القلم فجرى على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة فأول ما كتب على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم وجعل الله هذه الآية أمانا لخلقه ما داموا على قراءتها وهي قراءة أهل سبع سموات وأهل سرادقات المجد والكروبيين والصافين والمسبحين

وأول ما نزلت على آدم فقال قد أمن ذريتي من العذاب ماداموا على قراءتها ثم رفعت بعده فأنزلت على ابراهيم الخليل في سورة الحمد فتلاها وهو في كفة المنجنيق فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ثم رفعت بعده فأنزلت على موسى في العصب فقهر بها فرعون وسحرته وهامان وجنوده وقارون وأشياعه ثم رفعت بعده فأنزلت على سليمان بن داود فعندها قالت الملائكة اليوم والله تم ملكك يا ابن داود فلم يقرأها سليمان على شئ الا خضع له وأمره الله تعالى يوم أنزلت عليه أن ينادي في أسباط بني اسرائيل أنه من أحب منكم ان يستمع أمان الله فليحضر الى سليمان في محراب داود فانه يريد أن يقوم خطيبا فلم يبق محبوس حبس نفسه في العبادة ولا سائح الا هرول اليه حتى اجتمعت الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلها عنده فقام فرقي منبر الخليل عليه السلام وتلا عليهم آية الأمان بسم الله الرحمن الرحيم فلم يسمعها أحد الا امتلأ فرحا وقالوا نشهد انك لرسول الله حقا فقهر بها سليمان الملوك وبها فتح الله عز وجل لنبيه عليه السلام مكة ثم رفعت بعد سليمان وأنزلت على المسيح عيسى ابن مريم ففرح بها واستبشر بها الحواريون فأوحى الله اليه يا ابن العذراء أتدري أي آية أنزلت عليك آية الامان بسم الله الرحمن الرحيم فأكثر من تلاوتها في قيامك وقعودك ومضجعك ومجيئك وذهابك وصعودك وهبوطك فانه من وافى يوم القيامة وفي صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمنا بي وبرسولي عتقته من النار وأدخلته الجنة فلتكن في افتتاح قراءتك وصلاتك فانه من جعلها في افتتاح قراءته وصلاته ومات على ذلك لم يروعه منكر ونكير وأهون عليه سكرات الموت وضغطة القبر وكانت رحمتي عليه وأفسح له في قبره وأنور له مد بصره وأخرجه من قبره أبيض الجسم وأنور الوجه يتلألأ نورا وأحاسبه حسابا يسيرا وأثقل ميزانه وأعطيه النور التام على الصراط حتى يدخل به الجنة وآمر المنادي ان ينادي له في عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة قال عيسى عليه السلام اللهم يارب فهذا الى خاصة قال لك خاصة ولمن اتبعك وأخذ بأخذك وقال بقولك عامة وهو لأحمد وأمته من بعدك فأخبر عيسى عليه السلام أتباعه بذلك فقال ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ونعته وفضله كيت وكيت وأخذ ميثاقهم بالايمان به وجدد ميثاقه حين رفعه الله الى السماء لاصحابه فلما انقرض الحواريون ومن اتبعهم وجاء الآخرون فضلوا وأضلوا وبدلوا واستبدلوا بالدين دنيا رفعت عندها آية الأمان من

صدور النصارى وبقيت فى صدور مؤمنى أهل الانجيل مثل بحيرا وأمثاله حتى بعث الله النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه فى سورة النمل بمكة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكتب على رأس السور وصدور الدفاتر والرسائل فكان نزول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحا عظيما وحلف رب العزة بعزته أن لا يسمى بها مؤمن على شئ الا باركت عليه ولا يقرؤها مؤمن الا قالت الجنة لبيك وسعديك اللهم أدخل عبدك هذا فى " بسم الله الرحمن الرحيم فادا دعت الجنة لعبد فقد استوجب له دخولها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم قال وان أمتى يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فيثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الانبياء لم فيقال لان مبتدأ كلامهم ثلاثة اسماء من أسماء الله الكرام لو وضعت فى كفة الميزان ثم وضعت سيئات الخلق كلهم فى كفة الاخرى لرجحت حسناتهم قال وقد جعل الله هذه الآية شفاء من كل داء وعونا لكل دواء وغنى لكل فقير وسترا من النار وأمنا لهذه الامة من الخسف والمسخ والقذف ما داموا على قراءتها وفى هذا الكتاب من فضائلها اكثر مما ذكرته لكنى اختصرته وفضلها لا شك فيه لكن أين الداعى والمتكلم بها كما يجب لها من حرمة ورعاية كما حدثنى بعض أشياخى عن من كان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى الصحفة فتنشق ثم يأتى بأخرى فيكتب فتنشق مرارا كان هذا من الذين يتلونه حق تلاوته كما فسره بعضهم ليس بحفظ حروفه بل بحفظ حدوده (وجاء عن عثمان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب جعلنا الله ممن وفقه لطاعته وحماه عن معاصيه انه منعم رحيم كريم وهذا الفضل المذكور فى بسم الله الرحمن الرحيم يذكر لمن لا يرى أنها آية من كل سورة من القرآن وقد أجمع العلماء أنها آية منه فى سورة النمل وانما اختلفوا فى كونها آية فى كل سورة أو فى الحمد خاصة فمالك والاوزاعى لا يريان انها من القرآن الا فى سورة النمل ولا يقرآن بها فى الفريضة سرا ولا جهرا وهى عند الشافعى وابن حنبل وغيرهم آية من أم القرآن يقرؤنها فى الفريضة جهرا فى صلاة الجهر وسرا فى الاسرار (وذلك يروى عن عمر وعلى وزيد بن ثابت رضى الله عنهم) وكذلك اختلفوا فى التعوذ مع اجماعهم أنه ليس من القرآن ومالك لا يراه فى الصلاة المفروضة والشافعى وأبو

حنيفة وغيرهما يتعوذون فى أول ركعة منها ومحمد بن سيرين يتعوذ فى كل ركعة وكانوا يكتبون أولا باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتبوا بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتبوا بسم الله الرحمن فلما أنزلت فى النمل وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبوها كذلك وكان بعد ذلك جبريل عليه السلام ينزل ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ومن بركة هذه الكلمة وفضلها ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان فانه يتعاظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتى صنعته ولكن قل بسم الله فانه يتصاغر حتى يصير مثل الذباب فقل هذا الكلام لا ينبغى أن يترك مع اثباتها فى سواد المصحف فى أول كل سورة باجماع من الصحابة وحاشاهم أن يثبتوا فى المصحف ما ليس بقرآن مع ما تقدم فى ذلك من الفضل العظيم والله الموفق (ووقع فى مصنف عبد الرزاق) السبب الذى منع من الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة ووصله **سبب الاسرار بالبسملة** بسنده الى البراء بن عازب رضى الله عنه قال لما ظهر مسيلمة الكذاب باليمامة ادعى النبوة فقيل له من أنت من الانبياء فقال بسم الله الرحمن الرحيم قيل له فمن يعلم ذلك قال محمد وأصحابه فانهم لا تجوز لهم صلاة حتى يذكروا اسمى فأرسلوا معبد بن مالك الاشجعى وأمية بن أبى الصلت الثقفى الى المدينة ليقفوا على تحقيق قوله فهبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يخافت ببسم الله الرحمن الرحيم فأقام بها ثلاثة أيام فرجعا بتكذيب مسيلمة فأتت الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نعود الى ما كنا عليه فهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد دم على ما أنت عليه فقد جرت سنة الله بذلك فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يقرؤها فى نفوسهم ولا يتركوها نقلته على المعنى من كتاب غير المصنف والحمد لله * وتقدم ذكر أمية بن أبى الصلت ووقع فى المسعودى أنه أول من أدخل مكة لفظة باسمك اللهم جاء بها من الشام فى خبر عجيب حملة اياها شيخ أبيض الرأس واللحية وجده فى كنيسة فى فلاة من الارض نجا بها وأصحابه من الهلكة وقد كتبت الحكاية بكمالها فى باب الهاء من هذا الكتاب عند ذكر الهاتفات فانظرها هنالك وهذا الفضل العظيم قد أورده النقاش رحمه الله فى هذه الكلمة وأورد فى فضل الحمد لله رب العالمين المذكور فى أم القرآن وفى علمها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال لى على رضى الله

عنه يا ابن عباس اذا صليت العشاء الآخرة فالحق الى الجبانة قال فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قال فقال لى ماتفسير الالف من الحمد قلت لا أعلم فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة قال ثم قال ماتفسير اللام من الحمد قلت لا أعلم فتكلم فيها ساعة تامة ثم قال ماتفسير الحاء من الحمد قال قلت لا أعلم قال فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة ثم قال ماتفسير الميم من الحمد قال قلت لا أعلم قال فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة قال فما تفسير الدال من الحمد قال قلت لا أدرى فتكلم فيها الى أن برق عمود الفجر قال وقال لى قم يا ابن عباس الى منزلك فتأهب لفرضك فقمت وقد وعيت ماقال ثم تفكرت فاذا علمى بالقرآن فى علم على كالقرارة فى المثعنجر قال القرارة الغدير الصغير والمثعنجر البحر (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله وعلم على رضى الله عنه من علم النبى صلى الله عليه وسلم وعلمى من علم على وما علمى وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى علم على رضى الله عنه الا كقطرة فى سبعة أبحر فانظر كيف تفاوت الخلق فى العلوم والفهوم يقال ان عبد الله بن عباس أكثر البكاء على على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى ذهب بصره واذ قد وقع ذكر على وابن عباس رضى الله عنهما فلنذكر بعض فضائلهما وانشد أبو الفاخر على الزكى العلى ابن عم النبى ولنثن بالثناء على ابن عباس العدل الرضى ابن عم النبى أيضا (قال أبو الطفيل شهدت عليا يخطب) وهو يقول سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ الا خبرتكم به وسلونى عن كتاب الله فوالله مامن آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ولو شئت أوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وسيأتى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وقول ابن عباس فيه لقد أعطى على تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وكان معاوية رحمه الله يكتب فيما ينزل به فيسأل على بن أبى طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب وكان عمر ابن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن وسئل عطاء أكان فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من على قال لا والله ما أعلمه (وفضائله) كثيرة قد جمعها الناس ودونوها وأجمعها لنعته ماوصفه به ضرار الصدائى اذ قال له معاوية صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أما اذ لابد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة

ذكر فضل على رضى الله عنه

من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوى فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول يادنيا غرى غيرى الى تعرضت أم الى تشوقت هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها (وسئل الحسن) بن أبى الحسن عن على بن أبى طالب فقال كان على والله سهما صائبا من مرامى الله عز وجل وربانى هذه الامة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالملومة فى دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذاك على بن أبى طالب رضى الله عنه وأعز من مدحه وأخزى من قدحه تقدم فى هذا الخبر قوله يادنيا غرى غيرى كذلك كان رضى الله عنه لا يستأثر من الفىء بشىء قسم ما فى بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة وكان يلبس القميص اذا مد كمه بلغ الى الظفر واذا أرسله بلغ الى نصف الساعد وازاره الى نصف الساق ويكفيه فضلا قول النبى صلى الله عليه وسلم فيه من كنت مولاه فعلى مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهو أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة رضى الله عنه وأرضاه * وأما ابن عباس رضى الله عنه فان طاوسا قال ما رأيت أحدا كان أشد تعظيما للحرمات الله من ابن عباس والله لو أشاء اذا ذكرته أن أبكى لبكيت وعن أبى رجاء قال كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالى وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل فى أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوى عليه سمعنا صوتا نسمع صوته ولا نرى شخصه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية

فضل ابن عباس رضى الله عنه

فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى (ومن فضائله رضى الله عنه) أنه كان أعلم الصحابة بالتأويل وحق ذلك له فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ودعا له بالحكمة وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل واجعله اماما تقيا وفى رواية ضمه الى صدره وكل ميسر لما خلق له وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يدنى مجلسه ويقدمه على من كان أسن منه لا سنه كان يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن عشر سنين وكان عمر رضى الله عنه يقول من كان سائلا عن شئ من القرآن فليسأل عبد الله بن عباس وكان اذا اعضل به الامر قال له غص يا غواص أى أشر برأيك وكان يقول فيه على بن أبى طالب كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق ومع هذا فلم يغفل نفسه عن الطلب قال والله لربما مررت بالآية من كتاب الله تعالى فى جوف الليل فلا أعرف فيمن أنزلت فآخذ ثوبى ثم آتى المسجد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأوقظ الرجل منهم فأسأله فيمن نزلت آية كذا وكذا فان لم أجد عند واحد منهم وجدت عند آخر حتى أمر عليهم جميعا وربما غدوت فأبدأ بالمهاجرين فأسألهم فان لم أجد عند واحد منهم أتيت قرى الانصار فتتبعتهم رجلا رجلا حتى أجد حاجتى وكان يقول ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال سعيد بن جبير كنت عند ابن عباس جالسا اذ أتاه أهل التفسير فسألوه وأتاه أهل القرآن فقرأوا عليه وأخذوا لهم بإعرابه ثم جاء أهل الحلال والحرام فسألوه ثم جاء أهل العربية والشعر فسألوه فأخبرهم حتى جاء قوم من فارس فسألوه عن رستم واسفنديار فحدثهم بحديثهم فقمت اليه فقبلت رأسه وقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على الارض أعلم منك فتبسم وقال مجاهد كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه وقال عطاء ما رأيت بيتا أكثر علما وعملا وخيرا من بيت عبد الله بن عباس رضى الله عنه وفيه يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما فى الصدور فلم يدع * لذى حجة فى القول جدا ولا هزلا

ووجدت شبه هذين البيتين وقبلهما مكتوب لمعاوية

اذا قال لم يترك مقالا ولم يقف * لعى ولم يثن اللسان على الهجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر فى أعطافه نظر الصقر

كذا وجدته لمعاوية فلا أدرى أقيلت فى معاوية أو قالها معاوية فى ابن عباس وكذا

أظنه والله أعلم رضي الله عنهما * وسئل عنه الحسن بن أبي الحسن رضي الله عنهما فقال كان والله سحابا يسيل عذبا بحر بيان يتدفق على لسانه أعذب في الاسماع من الشهد في الاحناك وأحسن في الابصار من الدر في الاسلاك * سأله رجل ما تقول فيمن طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه منها كواكب الجوزاء وكان من سجيته أنه ينشد الشعر فيحفظه من سمعة واحدة فيقال له أكنت ترويه فيقول لا وهل أحد يسمع شيئا ولا يحفظه يتعجب ممن سمع ولا يحفظ ما سمع (ومن فضائله رضي الله عنه) ما خرج البخاري رحمه الله بسنده عن ابن عباس قال كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد في نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم قال فما رأيت أنه دعاني يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون في قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لي أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به فقال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم ومن غير البخاري قال يوما وقد سأل ابن عباس عن شئ فأجابه فالتفت الى المهاجرين فقال أعييتموني ان تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذي لم تجتمع شؤون رأسه وسيأتي تفسير الشؤون ان شاء الله وفي البخاري أيضا عن عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة قالوا الله ورسوله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أولا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شئ يا أمير المؤمنين قال عمر يا ابن أخي قل ولا تحقرن نفسك وذكر باقي الحديث وفضائله كثيرة رضي الله عنه وكان له ابن اسمه علي كان له خمسمائة أصل زيتونة يصلي كل يوم الى كل أصل ركعتين وكان يقال له ذو الثفنات لما كان بوجهه وركبتيه من أثر السجود والثفنات من البعير ما بركبتيه وذراعيه من الاثر من كثرة بروكه على الارض هذا شكر مولاه على ما أولاه وبذلك كان أهل الدين والصون يتواصون ألم تسمع قول الشاعر وقد دخل على بعض الاجواد في حديقة له فقال له صف هذه الحديقة ولا تعدوا الحقيقة فقال

ترفعت عن ندى الاعماق وانحدرت * عن المعاطش فاستغنت بسقياها

فاهتز بالبقل والريحان أسفلها * واعتم بالنخل والرمان أعلاها
أبا معاوية اشكر فضل واهبها * وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وكان أيضا يقال لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج ذو الثفنات لان طول السجود كان قد أثر في ثفناته كذلك * تقدم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدني مجلس ابن عباس وهو حديث السن وقد كان يفعل ذلك بغيره وروي عن يوسف بن الماجشون أنه قال لابن شهاب ولابن عمر ولآخر معنا لا تستحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا أعياه الامر المعضل دعا الاحداث فاستشارهم لحدة عقولهم ذكره القاضي أبو محمد الحسن ابن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي في كتابه المسمى بالفاصل بين الراوي والواعي وهو رواية شيخي أبي الطاهر السلفي رحمه الله عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي القالي عن أبي عبد الله محمد بن اسحاق ابن حمدان النهاوندي عن المؤلف وفي هذا الكتاب تفضيل كثير من الصغار وقال أنشدنا أصحابنا البغداديون

ان الحداثة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تذكي قلبه * فيفوق أكبر منه سنا

وذكر عن بعض البصريين قال مر رجل بحماد بن سلمة وحوله صبيان فقال يا أبا سلمة ماهذا قال هؤلاء الذين يحفظون عليك دينك وقيل لابن المبارك وكان يدني الاحداث على الاشياخ قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان فقال هؤلاء أرضى عندي منكم انكم كنتم تعبثون وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم وكان هشام بن عروة يقول كان أبي يقول أي بني كنا صغار قوم فأصبحنا كبارهم وأنتم اليوم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبارهم ولا خير في كبير لا علم عنده فعليكم بالسنة وقال اسماعيل ابن عياش كان ابن أبي حسين يدنيني منه فقال له أصحاب الحديث نراك تقدم هذا الغلام السلمي وتؤثره علينا فقال اني أؤمله فسألوه يوما عن حديث حدث به عن شهر ابن حوشب اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل فذكر الثلاثة ونسي الرابعة فسألني عن ذلك فقال لي كيف حدثتكم فقلت حدثتنا عن شهر أنه قال اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل اذا كان أوله حلالا وسمي الله عليه حين يوضع وكثرت عليه الايدي وحمد الله حين يرفع فأقبل على القوم فقال كيف ترونه وذكر في الكتاب المذكور بسنده

قال سمعت سفيان بن عيينة يقول كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه الدين فحملنا الى مكة فلما ذهبنا الى المسجد لصلاة الظهر وصرت الى باب المسجد اذا بشيخ على حمار فقال لي ياغلام أمسك على هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع فقلت ما أنا بفاعل أو تحدثني قال وما تصنع بالحديث واستصغرني فقلت حدثني فقال حدثني جابر بن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره وجعلت أتحفظ ما حدثني به فلما صلى وخرج قال ما نفعك ما حدثتك فحدثني فقلت حدثني بكذا وحدثني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال بارك الله فيك وذلك الشيخ هو عمرو بن دينار * تقدم في أول السند الماجشون وهو لقب لجده وكان من أصبهان انتقل مع طائفة منهم الى المدينة فكان أحدهم اذا لقي صاحبه قال له شون شون ير يد بذلك كيف أنت فلقبوا بالماجشون ذكر ذلك الرامهرمزي المذكور وقد زدت على التطويل بهذا القيل لكنه من الخفيف ليس الثقيل وقد آن أن أعود الى الذي وعدت بعد أن بدأت وأعدت وأقول

الماجشون

رجعت الى الذي منه خرجت * ولكن بعد ما نفسي أرحت
وقد أنفقت ما في الكيس حتى * لآخر حبة ثم استرحت
وآخذ بعد في شرح الذي قد * ذكرت كما سواه قد شرحت

(فصل) واسم الله تعالى الذي هو الله مخالف لغيره من الاسماء ألا ترى أنك تقول يا ألله فتهمز الالف ولا تقول يا ألعباس وتدخل عليه حرف النداء فتقول يا ألله ولا تفعل ذلك بغيره وتقول يا أيها الرجل ولا تقول يا أيها الله فمن أجل هذه المخالفة قال جابر بن زيد اسم الله الاعظم هو الله ألا ترى أنه يبتدأ به (ويروى) عن أبي بن كعب أنه قال جميع الاسماء تفيد معنى ربوبية الرب جل وعز قال واسمه الذي هو اسمه الله وقال غيره هو اسم علم وليس بمشتق انما هو اسم خص به نفسه فتركه اسما بكماله لانه يكون نعتا ولا ينزع منه الالف واللام لانه وضع للرب جل جلاله مفرد الا شريك له فيه فيكون متى سمعه سامع علم أن الله هو المراد به فلذلك لا يكون منه صفة يوصف بها غيره وهو معنى قوله هل تعلم له سميا وقال الخليل لا تطرح الالف واللام من الاسم انما هو على التمام وليس من الاسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما تقول رحم يرحم (قلت) ومع ذلك فقد تجاسر قوم وطرحوا منه الالف واللام وجعلوه مشتقا من كذا وقالوا فيه كذا وكذا

ما اختصت به الجلالة عن الاسماء

كسائر الاسماء وهم أهل علم وسداد ولكل نية واجتهاد *(فصل)* تقدم ذكر التسعة والتسعين اسما التي لله تعالى ولذلك جاء في الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة خرجه الترمذي رحمه الله (قلت) لا تظن أن ليس لله تعالى أسماء غير هذه بل أسماؤه تعالى كثيرة لا نهاية لها كما لا نهاية لذاته ولا لصفاته ولا لافعاله والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام في دعائه أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك و وقع في جامع ابن وهب سبحانك لا أحصي أسماءك وخص العدة المذكورة في الحديث لكونها في القرآن أو لفضلها على غيرها بمعنى أن الله تعالى يعطي السائل اذا دعاه بهذه الاسماء ما لا يعطيه اذا دعاه بغيرها فتكون الزيادة في الثواب والنقصان منه راجعا للسائل لا الى الاسماء لان المدعو بها كلها واحد كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى فله على هذا سبحانه أسماء استأثر بها لم يعلمها غيره *قال بعض العلماء أسماء الله تعالى المعدودة في الحديث في قوله عليه السلام ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هذا الكلام كله قضية واحدة لا قضيتان وخبران فقوله من أحصاها دخل الجنة بمنزلة قولك ان لزيد ألف درهم أعدها للصدقة لا يقتضي هذا الكلام أنه ليس له دراهم الا هذه الالف بل له دراهم سواها هي لغير الصدقة والله ورسوله أعلم بما أراد من ذلك كله *(فصل)* وقع في هذا الحديث ذكر الاحصاء قال بعض العلماء يكون الاحصاء بمعنى العد أي يعدها حفظا فيدعو بها ربه كقوله تعالى وأحصى كل شئ عددا و يكون الاحصاء بمعنى الطاقة كقوله تعالى علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا و يكون الاحصاء بمعنى حسن المراعاة لاسماء الله تعالى والمحافظة على حدودها في معاملة الرب سبحانه بها مثل أن يقول الرحمن الرحيم فيخطر على قلبه الرحمة على خلق الله تعالى واذا قال السميع البصير علم أنه لا تخفى على الله تعالى خافية وأنه بمرأى من الله ومسمع فيخشاه في سره واعلانه و يراقبه في كافة أحواله وجميع أزمانه واذا قال الرزاق اعتقد أنه المتكفل برزقه واذا قال المنتقم استشعر الخوف من نقمته واستجار به من سخطه واذا قال الضار النافع اعتقد أن الضر والنفع من قبل الله سبحانه وكذلك في سائر الاسماء (و ينبغي أيضا) اذا ذكر

ما اختص

ما اختص الله به من الكبرياء والعظمة والجلال من مثل قوله الجبار المتكبر ذو الجلال والاكرام أن يستشعر في نفسه الذلة والقلة والخضوع والاحتقار والمسكنة والافتقار فاذا كان بهذه الصفة فقد أحصاها قولا وعملا ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله وكان الداعي ربه باسم من أسمائه على هذه الحالة حبيبه وخليقا أن يجيبه وهذا الغرض قد ورد به الخبر * روى في بعض الآثار أن الله أوحى الى داود عليه السلام أن تخلق بأخلاقي وان من أخلاقي انى أنا الصبور وفي رواية أخرى ياداود عليك بالصبر تأتك المعونة ان من أسمائى انى أنا الصبور والى هذا المعنى أشار أبو حامد رحمه الله حيث قال اعلم أن من لم يكن له حظ من معانى أسماء الله تعالى الا بأن يسمع لفظا و يفهم في اللغة تفسيره و وضعه و يعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان سماع اللفظ لا يستدعى الا سلامة حاسة السمع التي بها تدرك الاصوات وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها الاديب وأما فهم وضعه في اللغة فلا يستدعى الا معرفة العربية وهذه رتبة يشارك فيها الاديب اللغوي بل الغبي البدوي وأما اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف فلا يستدعى الا فهم معانى هذه الالفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشارك فيها العامي بل الصبي وحظوظ المقربين في معانى أسماء الله ثلاثة * الاول معرفة هذه المعانى على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذى لا يجوز فيها الخطأ معه وتنكشف لهم أوصاف الله تعالى انكشافا يجرى في الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التي يدركها بمشاهدة باطنة لا باحساس ظاهره * الثاني استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه يبعث من الاستعظام شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان * الثالث اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلى بمحاسنها وذكر ما تقدم والله أعلم بما أراد رسوله من ذلك (تقدم قبل في الكلام) وهو في أسماء الله تعالى الضار النافع أعتقد أن الضر والنفع من قبل الله سبحانه فأذكر في ذلك حديثا عجيبا حدثنيه الفقيه أبو محمد عبد الحق قال حدثني عبد الرحمن بن محمد الامام حدثنا أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفراني حدثنا أبو بكر بن ثابت الخطيب باسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى ياغلام أو يابنى ألا أعلمك

كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرّف اليه فى الرخاء يعرفك فى الشدّة اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو أنّ الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان أرادوا أن يضرّوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل لله بالشكر واليقين واعلم أن فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وانّ مع العسر يسرا قرأته عليه ببجاية وقال خرجه ابن ثابت فى كتاب الفصل للوصل وهو حديث صحيح وقد خرجه الترمذى وهذا أتم وقد ذكر أبو حامد رحمه الله فى معنى تسمية الله تعالى نفسه الضارّ النافع كلاما بديعا قال الضارّ النافع هو الذى يصدر منه الخير والشرّ والضرّ والنفع وكل ذلك منسوب الى الله عز وجل اما بواسطة الملائكة والانس والجمادات أو بغير واسطة فلا تظنّ أن السم يقتل و يضر بنفسه وان الطعام يشبع و ينفع بنفسه وأن الملك أو الانسان أو الشيطان أو شيئا من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرها يقدر على خير أو شرّ أو نفع أو ضرّ بنفسه بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بيد الكاتب كما أن السلطان اذا وقع بكرامة أو عقوبة لم ير ضرر ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط والاسباب على أن الجاهل يرى أن القلم مسخر للكاتب والعارف يعرف أنه مسخر فى يد الله تعالى وأنه مهما خلق الكاتب وخلق له القلم وسلط عليه الداعية صدرت حركة الاصابع والقلم لا محالة شاء أو أبى

(فصل) وقد ورد فى اسم الله الاعظم أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد الآية والله لا اله الا هو الحىّ القيوم وسمع رجلا يدعو يقول اللهم انى أسألك بأنّ لك الحمد لا اله الا أنت أنت المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام فقال لقد دعا الله باسمه الاعظم وقال فى حديث الترمذى وقولك الله لا اله الا هو هو الاسم الاعظم لانه لا سمىّ له وقال بعض العلماء فى التسعة والتسعين اسما انها كلها تابعة للاسم الذى هو الله فهو اسمه الاعظم لانك تقول العزيز اسم من أسماء الله ولا تقول الله اسم من أسماء العزيز وكذلك سائرها وتفخم اللام من هذا الاسم وليس ذلك فى كلام العرب الامع حروف الاطباق نحو الطلاق فهذا فضل الاسم بقى شرط الداعى به

اسم الله الاعظم

من

من الخشوع وخضوع القلب وأكل الحلال وعمل الصالحات وفى أى شئ يدعو وله أوقات تفضل غيرها منها الدعاء اثر الصلوات المكتوبات وثلث الليل الاخير وعند الاذان وعند الصف فى سبيل الله وفى الساعة التى فى يوم الجمعة وقد جاء فى ذلك كله الحديث من ذلك ما ذكره عبد الرزاق ان أبا امامة سأل النبى صلى الله عليه وسلم أى الدعاء أسمع قال شطر الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبات و يقوى ذلك رجاء الداعى ان الله يستجيب له بكرمه الى غير ذلك ومن شروطه خوف الداعى وهيبة المدعوّ عنده والتزام حرمته كما روى عن بعض الشيوخ أنه كره أن يقول الداعى يا الله فيناديه باسمه تعالى مفردا ولكن ليقل يا مولاى يا الله أو يارب يا الله أو اللهم ربنا لان الله تعالى قال ادعوا ربكم تضرّعا وخفية فيخضع ويتضرّع و يناديه من نعوته بما أحبّ نحو يا أرحم الراحمين و يا أكرم الا كرمين ونحو هذا *(فصل)* وقد اختلف فى تسمية الله تعالى بالسيد فكره أكثر العلماء أن يقال فى الدعاء ياسيدى وأجازه بعضهم واحتج بحديث ليس اسناده بالقوى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رجل ياسيدى فقال السيد الله وأما مذهب القاضى فى مثل هذا من الاسماء التى يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز مالم يرد نهى عنه أو تجمع الامة على ترك الدعاء به كما أجمعوا على أنه لا يسمى بفقيه ولا عاقل ولا سخى وان كان فى ذلك مدح نقلت هذا الفصل من كلام الاستاذ رحمه الله ثم قال متصلا به والذى أقول فى السيد أنه اسم يعتبر بالاضافة لانه فى أصل الوضع بعض ما أضيف اليه تقول فلان سيد قيس اذا كان واحدا منهم ولا يقال فى تيمى أنه سيد تميم لانه ليس واحدا منهم فكذلك لا يقال فى الله عز وجل هو سيد الناس وسيد الملائكة وانما يقال ربهم فاذا قلت سيد الارباب كما قال كعب ابن زهير فى شعره * من نصر ربك سيد الارباب * جاز وقد سمعه النبىّ صلى الله عليه وسلم فلم ينكره وكذلك اذا قلت سيد الكرماء جاز لان معناه أكرم الكرماء وكذلك سيد الارباب معناه أعظم الارباب ثم يشتق له من اسم الربّ فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد لانه ليس باسم له على الاطلاق وقد جاء فى شعر حسان الذى رثى به النبى صلى الله عليه وسلم * ياذا العلا والسودد * يصف به الرب ولكن لا تقوم به الحجة فى الطلاق هذه الاسماء الا أن يسمعها الرسول عليه السلام كما سمع شعر كعب فلم ينكره وانما يوصف الرب على الوجه الذى قدمناه وعلى المعنى الذى

مبحث اطلاق السيد على الله

بناه انتهى كلامه رحمه الله (قلت) قد جاء في أشعار العرب ماذهب اليه القاضي رحمه الله من أنه اذا ذكر الله باسم فيه مدح وتعظيم فذلك جائز كما قال أبو النجم الحمد لله الوهوب المجزل * وقال غيره * ثم الكتاب وربنا المحمود * وان لم يكن قديما ففي سكوت أهل العلم عنه دليل على جوازه وكيف ما دارت الحال فتعظيم ذي الجلال من أفضل الخلال ودعاء العبد مولاه القريب المجيب بكرم الله وفضله لا يخيب لانه لا يخلو من احدى ثلاث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اما أن يستجاب له واما أن يدخر له واما أن يكفر عنه ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا لاصحابه قالوا اذا نكثر يارسول الله قال الله أكثر فالحمد لله على ما به أنعم وقد جاء في الحض على الدعاء مع البر مالا ينبغي للعاقل أن يتركه خرج الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء وفي حديث آخر من لم يسأل الله يغضب عليه وفي حديث آخر لا يرد القضاء الا الدعاء والاصل العمل كما قال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال وهب بن منبه مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر وقيل لانس بن مالك رضي الله عنه يا أبا حمزة ادع الله عز وجل لنا فقال الدعاء يرفعه العمل الصالح وصدق قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ادعوا الله بأعمالكم وصدق رضي الله عنه انظر الى الثلاثة الذين أووا الى الغار فانحطت على فم غارهم الصخرة كيف دعوا الله فاستجيب لهم وفي هذا الحديث المقطوع بصحته ما ثبت كرامة الاولياء واذا كان في غير هذه الامة فأمة محمد عليه السلام أولى بهذه الفضيلة مع قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس مع قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه جاء في التفسير المضطر هو الذي يقف بين يدي مولاه فيرفع اليه يديه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لي يا مولاي بلا شئ هذا وان كان أصحاب الغار قد كانت لهم أعمال رفيعة أدلوا بها فهذا المضطر قد أحدث عملا جديدا وهو الافتقار الى الله تعالى وهو من أنفع شئ مع الذلة للعزيز الجبار وما التوفيق الا من عند الله ولكن لا تغفل عن العمل فترى الامل وكما روي من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل ويقال لا يستجاب دعاء داع حتى يرضى عمله ولا يرضى عمله حتى يطيب مطعمه ولا قوة الا بالله

(وفي الصحيح) في الرجل يرفع يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له (وقد خرج علي) بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية له عن عبد الله بن عمر قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم تقبل منه صلاة ما كان عليه قال ثم أدخل اصبعيه في أذنيه ثم قال صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين أو ثلاثا وخرج أيضا عن خالد بن الحسن قال اذا وضع الرجل مائدته من حرام فقال بسم الله قال الله للملائكة العنوه لعنه الله قالت الملائكة لعنه الله فاذا فرغ قال الحمد لله قال الله للملائكة العنوه لعنه الله قالت الملائكة لعنه الله ويروى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال بلغنا أن دعاء العبد يحبس من السماء بسوء الطعمة وقال عليه السلام ان الرجل ليتناول اللقمة الحرام فيقذفها في فيه فما تستجاب له دعوة أربعين يوما ومن العون على استجابة الدعاء ترك المعاصي والذنوب أنشدني الحافظ رحمه الله لبعضهم

نحن نخشى الاله في كل كرب * ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو استجابة لدعاء * قد سددنا طريقه بالذنوب

(فصل) وأسماء الله تعالى كلها عظيمة وان كانت تابعة لهذا الاسم الذي هو الله كما تقدم فحذار حذار أن تحفظ اسما منها الا بعين التعظيم والوقار والاجلال والاكبار فانها ترجع الى القديم المتسمي بها قبل أن يوجد خلقه في الازل وان اختلفت ألفاظنا بها مع ألفاظ العبراني والسرياني والعجمي والبربري وغير ذلك من الالسنة فانها كلها ترجع الى مسمى واحد وهو الله الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال بعض العلماء) لا ينبغي أن يدعو الله أحد الا بأسمائه العربية المعلومة ولا يسعه الا أن يعرفها بالعربية ويتلفظ بها كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو الله بأسمائه ويسأله حوائجه بلغته وان كان ذلك كله في الصلاة لم تفسد صلاته بعد أن يأتي بكل ما لا تتم الصلاة الا به بالالفاظ العربية وكذلك لا ينبغي أن ينظر الى حرف من جميع الحروف بعين الاحتقار وان كان مفردا بل يرفع من الارض ويعظم كل ما يعطي من معنى أسماء الله تعالى كما تقدم من قول ابن عباس رضي الله عنه في كهيعص ان الصاد من صادق والعين من عليم وغير ذلك *ولقد شاهدت رجلا من المؤدبين الفضلاء كان له رحمه الله اناء الى جنبه اذا أراد أن يمحو حرفا من حروف ألواح الصبيان أدخل اصبعه في الماء ومحا به لئلا

مبحث تعظيم أسماء الله تعالى

يمحوه بالبزاق وان لم يذكره أهل الصحاح فالأخذ بهذا الأدب حسن وكان هذا المؤدب يجمع ما تناثر من براية الأقلام وكسر القصب فيؤلفها ثم يطرحها اذا اجتمعت في موضع طاهر وربما ألقاها في الماء بحيث لا تداس ولا تمتهن ويقول ان لهذه الاقلام حرمة بما قد كتبت من أسماء الله وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من كتاب فيه اسم الله ملقى في الارض الا بعث الله اليه ملائكة يحفونه بأجنحتهم حتى يبعث الله له وليا من أوليائه يرفعه فاذا رفعه أدخله الله الجنة وخفف عن والديه العذاب وان كانا مشركين (ورأيت في طرة كتاب) وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له في ذلك (فقال كان عليه اسم الله تعالى قلت هذا) كان يعرف حرمة اسم الله فينبغي على هذا ان يرفع كل كتاب كائنا ما كان لانه حروف يجتمع منها اسم الله ولكل امرئ ما نوى (وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه) انه قال الر وحم ونون فواتح ثلاث سور اذا اجتمعت كانت الرحمن وحروف القرآن من مثل هذه اجتمعت وائتلفت منها الكلمات ومن الكلمات الآي ومن الآي السور فعدد السور مائة سورة وأربع عشرة سورة وعدد آياته ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون وعدد كلماته سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وأربع وعشرون كلمة وعدد حروفه ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفا فيما يذكر يعطى لكل قارئ بكل حرف منه حسنة كما خرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وعلى هذا الترتيب عند أحمد بن حنبل من حلف بالقرآن فحنث وجبت عليه كفارة بكل حرف فيه وخالفه في ذلك مالك وغيره فأوجبوا عليه كفارة واحدة في جميعه وأهل هذه المقالة يقولون ان حلف بحرف واحد منه فحنث فعليه كفارة كما لو حلف بجميعه (ووقع في كتاب الاعراب) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها يمين صبر ان شاء بر وان شاء فجر وبه يقول الحسن وأحمد وزاد في موضع آخر وابن مسعود نقلته من الاحكام الشرعية وحيث وقع لفظ جميعه أو بعضه أو جزء منه انما يرجع الى ما دون من عملنا وكسبنا من نسخه أو قراءته أو كتابتنا اياه بأيدينا في الصحف بالمداد وبالحروف وهو الذي يباع ويشترى

وأما كلام الله تعالى وحقيقته فصفة من صفاته القديمة كقدرته وارادته وعلمه لا يقبل التبعيض ولا التفريق ولا الانتقال الا من جهة الذكرمنا والانزال علينا وعلمنا بذلك مع الاعتقاد أنه متلو بألسنتنا مذكور بأفواهنا محفوظ في قلوبنا مكتوب في مصاحفنا كما أنا نذكر الله بذلك وهو مع ذلك غير حال في شئ من ذلك ولا منتقل اليه وكما يكتب الموثق في الوثيقة الدار ويحددها ويذكر قبضها وحلول المشترى فيها محل البائع ونزوله فيها منزلته وهو لم يحل فيها ولا انتقلت الدار الى الوثيقة ولا زالت عن موضعها ولله المثل الاعلى ومعنى أنزله بعاه أى أفهم جبريل عليه السلام كلامه وجبريل في علو وعلمه قراءته ثم أداه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سفل فكان ذلك معنى نزول الكلام لا أن الكلام يزول أو ينتقل أو يتحول لانه صفة من صفاته تعالى كقدرته وعلمه وارادته كما تقدم سبحانه وما جاء من ذكر التفضيل في السور والآى بعضها على بعض على مذهب من رآه فان ذلك راجع الى التلاوة المخلوقة في ألسنتنا والحروف المؤلفة الخارجة من مخارجها في أفواهنا المحدثة الكائن من جملتها كلامنا الذى هو عمل من أعمالنا يعطى الله العبد اذا وفقه لذكر من الاذكار ثوابا لا يعطيه مثله الا على ذلك الذكر بعينه الذى ربما يخلق في العبد عنده مالم يخلقه عند ذكر غيره من خشوع أو رقة أو حدث ما عما لم يكن قبل ذلك فيه وقد تعرف ذلك بالذوق من نفسك اذا تلوت مثل أول الحديد أو آخر الحشر أو مثل آية الكرسي أو آخر البقرة أو آخر آل عمران وقل هو الله أحد وربما وجدت من نفسك مالا تجده اذا قرأت تبت يدى أبى لهب وقصة امرأة العزيز وحديث ذى القرنين وقصة أصحاب الكهف وان كان كل كلام الله صفة واحدة من صفاته القديمة لا يقبل التفضيل والاختلاف الا من جهتنا المخلوقة وكلامنا المحدث كما تقدم وكما انك اذا خفت أسرعت الى قراءة مثل يس وفيها وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا واذا وجع منك عضو قرأت وله ماسكن في الليل والنهار ومثل الرقى بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ومثل ماقرأ السائب على اللديغ بفاتحة الكتاب مع قول النبي صلى الله عليه وسلم له وما يدريك انها رقية مع قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين مع اعتقادك أنه كله شفاء وبركة ونافع من كل ضر ولكن النفس تسرع الى ذكر هذه الآيات التى فيها معنى من الغرض الذى قصدت اليه واستشعرته فيه حتى لو قرأ عليك قارئ

و نت مريض كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فان لوجدت من نفسك فرقا بين ذلك وبين من يقرأ عليك فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكذلك لو فتحت المصحف فنظرت فيه على جهة الفأل فخرج لك من الآيات ما فيه استبشار لسر لذلك وضده بضده وكذلك اذا أخذت في عمل من أعمال البر مثل التلبس بالوضوء أو الطهارة للصلاة مثلا وجدت في نفسك نشاطا أحدثه الله فيك لا تجده قبل ذلك نعم و بعد الفراغ من العمل تستشعر نفسك الثواب عليه بفضل الله فتفرح عند ذلك فرحا لم يكن قبل وترجو ممن أعانك على تلك الطاعة وقواك علها وألهمك اياها مالم تكن ترجو قبل ذلك كما يروى أن رجلا قام من الليل للصلاة فلما توضأ أصابه البرد فتألم لذلك فطفق يبكي فسمع هاتفا يقول لما أقمناك لخدمتنا وأنمنا غيرك كان جزاؤنا منك أن تبكي علينا ففرح عند ذلك و زاد في نشاطه وحق له فهذه درجة رفيعة وكذلك فضل الله تعالى الصلاة بعضها على بعض وفضل فرائضها على النوافل منها وكل طاعة له يراد بها القربة من رحمته وكذلك جميع العبادات والقرب وجعل أم القرآن لا تجزئ صلاة بدونها وهو مع ذلك غني عن جميع أعمال خلقه غير محتاج الى شئ من ذلك سبحانه هو الغني الحميد ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم لأبي أي آية معك في كتاب الله أعظم (فقال) الله لا اله الا هو الحي القيوم فقال ليهنك العلم يا أبا المنذر فانظر قوله أو لا معك بمعنى عندك وفي نفسك وفيما خلق الله فيك من العلم بموقعها من قلبك و رقتك عند قراءتك اياها و بما أحدثه لك من الفهم بثواب ما يعطيك على تعظيم المذكور فيها لا أنها عند الله أعظم من غيرها وكله كلام الله والله أعلم بما أراد رسوله من ذلك وقال المازري في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن كلاما قريبا من هذا المعنى (قال) رحمه الله يقال معنى ذلك ان الله تعالى يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها و يكون منتهى التضعيف الى مقدار ثلث ما يستحق من الاجر على قراءة القرآن من غير تضعيف أجر (وقال) معنى ذلك ان القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وأوصاف الله تعالى وقل هو الله أحد تشتمل على ذكر الصفات فقط فكانت ثلثا من هذه الجهة وربما أسعد هذا التأويل الحديث الذى ذكر ان الله جزأ القرآن على ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزأ منها أو كما قال وقال الربيع بن خيثم سورة يراها الناس قصيرة وأنا

أراها طويلة عظيمة لله تعالى بحتا ليس لها خلط فأبكم قرأها فلا يجمع معها
شيئا استقلالا لها وليعلم أنها تجزئه يعنى سورة الاخلاص ولما كانت قل هو الله
أحد صفة الرب تبارك وتعالى جعل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلهج بقراءتها وكان امام قومه فكان يقرأ بها فى كل ركعة مع السورة وذلك
فى مسجد قباء فقال له أصحابه انك لتفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى
تقرأ بأخرى فاما أن تقرأ بها واما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال ما أنا بتاركها ان
أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم فأخبروا بذلك النبى صلى الله عليه
وسلم فسأله النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال انى أحبها فقال حبك اياها
أدخلك الجنة خرجه البخارى أطول من هذا وانظر حديث الرجل الآخر الذى
كان يرددها فقال النبى صلى الله عليه وسلم وجبت يعنى الجنة وبلال رضى الله عنه
سمعه النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من سورة وأخرى من أخرى فسأله فقال
أخلط الطيب بالطيب والكل عنده طيب لا محالة ولكن يخلق الله فى العبد
عندذكر شئ مالا يخلقه عند غيره ألا ترى أنه يخلق فيك من السرور به اذا أعطاك
وأنعم عليك مالا يخلقه اذا منعك وأصابك بمصيبة مع اعتقادك أنه نظر منه لك اذ
لا يمنع من بخل ولا عدم بل يأخذ ليعطى ويبلى ليجزى كما ورد فى الحديث ولكن
النفس أمارة بالسوء تحب المسار وتكره المضار وعسى أن تكرهوا شيئا وهو
خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ولكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا
بما آتاكم (قال الاستاذ) رحمه الله عندذكر حديث أبى رضى الله عنه ومحال أن
يريد بقوله أعظم معنى عظيم لان القرآن كله عظيم فكيف يقول له أى آية فى القرآن
عظيمة وكل آية فيه عظيمة كذلك وانما سأله عن الاعظم منه والافضل فى ثواب
التلاوة وقرب الاجابة وفى الحديث دليل أيضا على ثبوت الاسم الاعظم وان لله
اسما هو أعظم أسمائه ومحال أن يخلوا القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول
ما فرطنا فى الكتاب من شئ فهو فى القرآن لا محالة وما كان الله ليحرمه محمدا صلى الله
عليه وسلم وأمته وقد فضله على الانبياء وفضلهم على الامم (فان قلت) فأين هو
فى القرآن فقد قيل انه أخفى فيه كما أخفيت الساعة فى يوم الجمعة وليلة القدر
فى رمضان ليجتهد الناس ولا يتكلوا وفى قوله عليه السلام لأبى أى آية معك
فى كتاب الله أعظم ولم يقل أفضل اشارة الى الاسم الاعظم أنه فيها اذ لا يتصور

أن تكون هى أعظم آية و يكون الاسم الاعظم فى أخرى بل انما صارت أعظم الآيات لان الاسم الاعظم فيها ألا ترى كيف هنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بما أعطاه الله من العلم وما هناه الا بعظيم بأن عرف الاسم الاعظم والآية العظمى التى كانت الامم قبلنا لا يعلمه منهم الا الافراد مثل عبدالله بن التامر وآصف بن برخيا صاحب سليمان عليه السلام و بلعوم قبل أن يتبعه الشيطان فكان من الغاوين وكان هذا الاسم عندهم مصونا غير مبتذل معظما لا يمسه الا المطهرون ولا يلفظ به الا الطاهر و يكون الذى يعرفه عاملا بمقتضاه متولها بحبه قد امتلأ قلبه بعظمة المسمى به لا يلتفت الى غيره ولا يخاف سواه فلما ابتذل وتكلم به فى معرض البطالات والهزل ولم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته فلم يكن فيه من سرعة الاجابة وتعجيل قضاء الحاجة للداعى ما كان قبل ألا ترى الى قول أيوب عليه السلام فى بلائه قد كنت أمر بالرجلين يتراعمان فيذكران الله يعنى فى تراعمهما أى تخاصمهما فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكرالله الا فى حق (وفى الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت أن أذكرالله الا على طهر فقد لاح تعظيم الانبياء له وقد ذهبت طائفة الى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى وقالوا لا يجوز أن يكون اسم من أسماء الله أعظم من الاسم الآخر وقالوا اذا مر فى خبر أو أثر ذكر الاسم الاعظم فمعناه العظيم كما قالوا فى أكبر من قولك الله أكبر انه بمعنى كبير وان لم يكن قول سيبويه وفى أهون من قوله تعالى وهو أهون عليه انه بمعنى هين واستشهدوا على ذلك بقولهم انى لاوجل أى وجل ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول الى جماعة منهم ابن أبى زيد والقابسى وغيرهما * ومما احتجوا به أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم وقد علمه من هو دونه ومن ليس بنبى ولم يكن ليدعو حين اجتهد فى الدعاء لامته أن لا يجعل بأسهم بينهم وهو رؤف بهم عزيز عليه عنتهم الا بالاسم الاعظم ليستجاب لهم فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله تعالى الا وهو كسائر الاسماء فى الحكم والفضيلة يستجيب الله له اذا دعى ببعضها اذا شاء ويمنع اذا شاء وكذلك ذهبوا الى أنه ليس شئ من كلام الله تعالى أفضل من شئ لانه كلام واحد من رب واحد (قال الاستاذ) رحمه الله ولا يستحيل أن يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل وكلمة من الذكر على كلمة فان التفضيل راجع الى زيادة الثواب

ونقصانه

ونقصانه وقد فضلت الفرائض على النوافل باجماع وقد فضلت الصلاة والجهاد على كثير من الاعمال والدعاء والذكر عمل من الاعمال فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب الى الاجابة من بعض وأجزل ثوابا فى الآخرة من بعض والاسماء عبارات عن المسمى وهى من كلام الله سبحانه القديم ولا نقول فى كلام الله تعالى هو هو ولا غيره كذلك لا نقول فى أسمائه التى تضمنها كلامه انها هو ولا هى غيره فان تكلمنا نحن بألسنتنا المخلوقة وألفاظنا المحدثة فكلامنا عمل من أعمالنا والله تعالى يقول والله خلقكم وما تعملون وقبحا للمعتزلة فانهم زعموا ان كلامه سبحانه مخلوق فأسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها وسووا بين كلام الخالق تعالى وكلام المخلوق فى الغيرية والحدوث واذا ثبت هذا وصح جواز التفضيل بين الاسماء اذا دعونا بها فكذلك القول فى تفضيل السور والآى بعضها على بعض فان ذلك راجع الى التلاوة التى هى عملنا لا الى المتلو الذى هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة سبحانه (وأما استشهادهم) فى أكبر أنه بمعنى كبير وفى أهون بمعنى هين فليس بمذهب سيبويه ولا عليه حذاق النحاة (وأما دعاؤه عليه الصلاة والسلام) فى أمته ان لا يجعل بأسهم بينهم فنعها فقد أعطى عوضا من ذلك وهى الشفاعة لهم فى الآخرة وقد قال أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن خرجه أبو داود فاذا كانت الفتن سببا لصرف عذاب الآخرة عن الامة فما خاب دعاؤه لهم على انى تأملت هذا الحديث وتأملت حديثه الآخر حين نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم فقال أعوذ بوجهك فلما سمع أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك فلما سمع و يذيق بعضكم بأس بعض قال هذه أهون فمن ههنا والله أعلم أعيذت أمته من الاولى والثانية ومنع الثالثة حين سألها بعد ونزول هذه الآية كان قبل دعائه لان سورة الانعام مكية بلا خلاف ودعاؤه عليه السلام كان بالمدينة فى مسجد بنى معاوية والحمد لله انتهى كلامه رضى الله عنه *(فصل)* فى ذكر سور من القرآن سمى فضلها وكام فاضل جاء فى الحديث أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن تقدم طرف من القول فى بسم الله الرحمن الرحيم وجاء فى الحمد لله رب العالمين انها السبع المثانى والقرآن العظيم وما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وجاء أيضا عنه عليه السلام من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ

التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال للرجل الذى رقى بها اللديغ فبرأ وما يدريك انها رقية كما تقدم وجاء عن ابن عباس رضى الله عنه أم الكتاب تعدل ثلثى القرآن ذكره القضاعى فى كتاب الاعداد وجاء فى السبع الطوال وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس ان النبى عليه الصلاة والسلام قال أعطيت السبع مكان التوراة وأعطيت المبين مكان الانجيل وأعطيت المثانى مكان الزبور وفضلت بالمفصل وأول المفصل من الاحقاف وقيل من قاف وكان الصحابة رضوان الله عليهم قد حزبوا القرآن سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة الحزب الاول ثلاث سور والثانى خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع والخامس احدى عشرة والسادس ثلاث عشرة والسابع المفصل من قاف والمفصل يقال له المحكم ووقع فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه جمعت المحكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وما المحكم قال المفصل كذا كان قيل ان تحدث فيهم هذه الاخماس والاعشار والاجزاء يقال ان الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة على ذلك منهم عاصم الجحدرى ومطر الوراق وغيرهم وكان الحسن وابن سيرين ينكران ذلك وقد تقدم طرف من هذا وكان بعضهم لا يقف على الاحزاب التى أحدثها الحجاج بل يتعداها ويخالفها بزيادة أو نقصان أو بتمام السورة وتقدم الكلام فى آية الكرسى (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) ما أرى رجلا ولد فى الاسلام أو أدرك عقله الاسلام يبيت أبدا حتى يقرأ هذه الآية الله لا اله الا هو الحى القيوم الآية ولو تعلمون ماهى انما أعطيها نبيكم صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش ولم يعطها أحد قبل نبيكم عليه الصلاة والسلام وما بت ليلة قط حتى قرأتها ثلاث مرات أقرؤها فى الركعتين بعد العشاء الآخرة وفى الوتر وحين آخذ مضجعى من فراشى وكذلك جاء فى الآيات من آخر سورة البقرة انهن لمن كنز تحت العرش وقال عليه السلام ان الله ختم البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهما وعلموهما نساءكم وابناءكم فانهما صلاة وقرآن ودعاء ولقن جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عند خاتمة القرآن أو قال خاتمة البقرة آمين وقد جاء عن جماعة من الصحابة والتابعين انهم كانوا يقولون عند خاتمة البقرة آمين وقال فيهما النبى عليه السلام من قرأهما فى ليلة كفتاه وجاء فى البقرة وآل عمران ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا الزهراوين

سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غيايتان أو قال غمامتان أو قال كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما (وجاء في المائدة) انها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته فانصدعت كتفها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي من آخر ما نزل وليس فيها ناسخ ولا منسوخ هذا من ثقل الوحي كيف لا والله تعالى يقول انا سنلقي عليك قولا ثقيلا وكذلك قال زيد بن ثابت رضي الله عنه نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته على فخذي فثقلت علىّ حتى خشيت أن ترض فخذي أو كما قال وأبو بكر رضي الله عنه يقول ان الحق ثقيل وهو على ثقله مريء ومن اسماء القرآن الحق (وقال قتادة) في قوله تعالى قولا ثقيلا يعني فرائضه وحدوده والعمل به وجاء في الانعام عن ابن عباس انها نزلت بمكة ايلا جملة ونزل معها سبعون ألف ملك لهم زجل حولها بالتسبيح وجاء في براءة عن أبي عطية قال كتب الينا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تعلموا سورة التوبة وعلموا نساءكم سورة النور (وجاء في هود) من قوله عليه السلام شيبتني هود واخواتها أو في آخر واذا الشمس كورت وانشدني شيخي أبو محمد عبد الحق رحمه الله من قطعة مطولة لنفسه

بالذي في النجم ظاهرة * وبما في هود والزمر

وقبله بين نظم الآي والسور * خبر أربى على الخبر

(فقلت له) وما في النجم قال وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى (قلت وما في هود) قال فمنهم شقي وسعيد (قلت وما في الزمر) قال وسيق الذين الآية انظر القطعة بكمالها في التكميل بحول الله تعالى (وجاء في سورة الكهف) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق وعن النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة (وجاء في طه ويس عن شهر بن حوشب) قال يرفع القرآن عن أهل الجنة الا طه ويس وجاء في الشهاب وفي البزار أيضا قلب القرآن يس (وخرج أبو نعيم) الحافظ في كتاب الحلية عن الحسن عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ يس في ليلة التماس وجه الله

الغياية كل شيء أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها كذا في النهاية

غفرله وفى النسائى يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله واليوم الآخر الا غفرله فاقرؤها على موتاكم (وخرج الترمذى عن أنس بن مالك قال قال النبى) صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات (وجاء فى سورة الحج) عن النبى عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج على غيرها بسجدتين (وجاء فى سورة النور) من قول عمر علموها نساءكم وقد تقدم وقرأها ابن عباس رضى الله عنه وجعل يفسرها فقال رجل لو سمعت الديلم هذا لأسلمت (وجاء فى السجدة وتبارك الذى بيده الملك عن ابن عمر رضى الله عنه قال) فيهما فضل ستين درجة على غيرهما وجاء هذا عن النبى عليه السلام قال فضلهما على كل سورة فى القرآن بستين درجة وجاء عنه عليه السلام تجىء ألم تنزيل السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك وجاء فى ص كان ابن المسيب رضى الله عنه لا يدع قراءة ص كل ليلة فسئل عن ذلك فقال ما من عبد قرأها الا اهتز لها العرش وزاد فى رواية انه سئل عن ذلك فقال أخبرت ان رجلا من الانصار صلى الى شجرة فقرأ بص فلما مر بالسجدة سجد وسجدت الشجرة معه فسمعها تقول اللهم أعطنى بهذه السجدة أجرا وضع عنى بها وزرا وارزقنى بها شكرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود وجاء فى آل حم عن ابن عباس رضى الله عنهما) ان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن آل حم أو قال الحواميم (وقال عبد الله) آل حاميم ديباج القرآن وجاء فى الواقعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة (فائدة) وهذا الحديث قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسكندرية بسنده قال مرض عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فعاده عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا آمر لك بطبيب قال الطبيب أمرضنى قال ألا آمر لك بعطاء قال لا حاجة لى فيه قال يكون لبناتك قال لا تخش على بناتى الفقر انى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا (وقال مسروق) من سره ان يعلم علم الاولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة وجاء فى المسبحات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كألف آية وكان يحب سبح اسم ربك الاعلى وجاء فى فضل تبارك

ماتقدم (وجاء عن النبي) صلى الله عليه وسلم ان سورة من القران ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفرله وهى تبارك الذى بيده الملك (وجاء فى اذا زلزلت انها تعدل نصف القرآن) وقل ياأيها الكافرون ربع القرآن واذا جاء نصر الله ربع القرآن وقد تقدم قل هو الله أحد ثلث القرآن وجاء فى المعوذتين عن النبي عليه السلام نزلت على آيات لم ينزل على مثلهن قط المعوذتان وفى لفظ آخر وقرأته على شيخي الحافظ بالاسكندرية بالسند الصحيح المتصل الى عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل على آيات لم ير مثلهن قل أعوذ برب الفلق الى آخر السورة وقل أعوذ برب الناس الى آخر السورة (وعنه قال قلت) يارسول الله أقرأ من سورة يس أو من سورة هود فقال ياعقبة اقرأ قل أعوذ برب الفلق فانك لن تقرأ سورة أحب الى الله عز وجل وأبلغ عنده منها فان استطعت ان لاتفوتك فافعل وخرج أبوداود عن عقبة بن عامر بينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذغشيتنا ريح شديدة وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس و يقول ياعقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة (وجاء عن ابن شهاب) من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل ان يتكلم سبعا سبعا كان ضامنا قال أبو عبيد أراه قال على الله هو وماله وولده من الجمعة الى الجمعة (وجاء من شهد فتح القرآن) فكأنما شهد فتحا فى سبيل الله ومن شهد ختمة القرآن فكأنما شهد غنيمة تقسم فى سبيل الله ويكفى حامل القرآن انه من أهل الله وخاصته وخرج البزار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أهلين من الناس قيل يارسول الله من هم قال هم أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وقد تقدم انه يعطى لقارئه بكل حرف فيه عشر حسنات ورأيت فى بعض الكتب الصحاح ان ذلك فى غير الصلاة وأما فى الصلاة فان كان قاعدا فخمسون حسنة وان كان قائما فمائة حسنة ومن قرأ ختمه كانت له دعوة عند الله مستجابة معجلة أومؤخرة وختمة كل أحد من حيث علمه (ومما قرأته على الحافظ بسنده الى ابن عمر رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل عند الله قال قراءة القرآن فى الصلاة ثم قراءة القرآن فى غير صلاة فان الصلاة أفضل عند الله وأحبها اليه وتمام الحديث والدعاء والاستغفار فان الدعاء

هو العبادة وان الله يحب الملح فى الدعاء ثم الصدقة فانها تطفئ غضب الرب ثم الصيام فان الله تعالى يقول الصوم لى وأنا أجزى به والصيام جنة للعبد من النار (وأما صفة القارئ فقد) قال ابن مسعود رضى الله عنه ينبغى لحامل القرآن ان يعرف بليله اذ الناس نائمون وبنهاره اذ الناس مفطرون وبحزنه اذ الناس يفرحون وبخشوعه اذ الناس يختالون ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا صياحا ولا حديدا ويكون باكيا محزونا حليما مسكينا نقلت أكثر هذا الذى تقدم من كتاب فضائل القرآن لابى عبيد رحمه الله الا يسيرا من غيره هذا كله لتعلم ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ومن أراد الله أن يوفقه ألهمه للاعمال الصالحة فى الاوقات الفاضلة فذلك يزكى عمله فيرى أمله وماجاء فى هذه السور من انها تجىء يوم القيامة كذا وتجادل عن كذا انما هو ثواب ذلك المتلو وجزاء ذلك العمل كذا أوله العلماء رضى الله عنهم والحمد لله على نعمه وقد طال الكلام فى هذا الفصل ولكنه نعم الاصل يؤدى الى منال من الله وفضل ونوال وبذل

خرجت من خبر لا مثله خبر * افرط حتى لم أقدر لا تركه
لا شئ أوسع من باب العلوم فما * شبهته مثلا الا كما الشبكه
تجره منا تجر العين أربعة * كذاك حتى تعم الكل بالحركه
وبالشباك يصاد الوحش فى جبل * والطير فى الجو والحيتان فى البركه
كذاك بالعلم يدرى من أحاط به * من سدرة المنتهى حتى الى السمكه
وفوق ذلك ما ان ينتهى أحد * له ويعلمه المولى بلا شركه
لكن لذا العلم شرط أن تكون بما * علمته عاملا فاعمل على البركه
فى سنة مع اخلاص يتم به * ان لم يكن هكذا أدى الى الهلكه

تقدم فى هذه الابيات سدرة المنتهى وقع فى مسند الحارث لو غطيت بورقة من ورقها هذه الامة لغطتهم (وقال) ابن عباس سألت كعبا عن سدرة المنتهى فقال ينتهى اليها بأرواح المؤمنين اذا ماتوا الاحبار وزهار وح مؤمن فاذا قبض المؤمن تبعه مقربو أهل السموات حتى ينتهى به الى السدرة فيوضع ثم تصف الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون على موتاكم أنتم ههنا (وفى حديث الاسراء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فاذا ورقها مثل آذان الفيلة واذا نبقها مثل قلال هجر واذا أربعة أنهار تخرج من أصلها نهران باطنان

ونهران ظاهران (قلت) ياجبريل ماهذه الانهار قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وقوله تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى قال غشيها فراش من ذهب ذكره هذا ابن سلام ووقع في مسلم فلما غشيها من أمر الله ماغشي تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها (وسيأتي) في باب النون ذكر الأنهار وانها خمسة وذكر في حديث آخر أنها في السماء السابعة وقال في حديث آخر انها في السماء السادسة اليها ينتهي مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي مايهبط به من فوقها فيقبض منها وذكر أنه رأى في السماء السابعة ابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه وفي آخر ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام وذكر أنه رأى آدم عليه السلام في سماء الدنيا قال بعض العلماء حكمة ذلك لانه أبو البشر واذا مات أحد من ولده لابدّ أن يعرج بروحه حتى يراهم أبوهم وروح الكافر لا تفتح له أبواب السماء كما في القرآن فكان في السماء الدنيا لذلك حتى يرى الكافر والمؤمن فيعرج بالمؤمن الى عليين ويهبط بالكافر الى أسفل السافلين وشاهد ذلك في الحديث أن النبي عليه السلام رآه في السماء الدنيا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فسأل عن ذلك جبريل عليه السلام فقال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ذكر هذا أيضا مسلم والأسودة الشخوص وسيأتي تفسير ذلك في باب الدال وهذا من الذي قلنا ان الحديث يتسلسل وأنه يجري كالماء السلسل وأرجع الى ذكر الابيات والاعمال بالنيات

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد في تفسير شعري
أوطئه فيرجع بعد عسر * الى يسر وسهلا بعد وعر

قد وقفت أعزك الله على بداءة الشعر ومارأيته قبله من الابيات ذوات الكلمات المزدوجات فان أعجبتك فحسن والافاسلك هذا السنن واجعل ابتداء الابيات جمعت لغات واستعن بالله الكريم وقل بسم الله الرحمن الرحيم

(جمعت لغات وضمنتها * حروف الهجاء كال وآل)

باب الالف مع الباء

(وآب وآب وأب وأب * وأت وأث وبل وبل)

قد تقدم تفسير الحروف ووجوهها وأفسر لك هنا معنى الهجاء تقول هجوت الحروف هجوا وهجاء وهجيتها تهجية كله بمعنى وأنشدوا

يادار أسماء قد أقوت بانشاج * كالوحي أو كامام الكاتب الهاجي

والهجو خلاف المدح وقد هجوته هجوا وهجاء وتهجوا فهو مهجو واسم الفاعل هاج كما قال * فهل لها جي من هاجي * بدأت في أول لفظة من القافية بالالف لفضلها وجعلتها بين الواو التي لا بد منها للعطف واللام التي هي القافية فقلت وال وسترى تفسير ذلك في باب الالف واللام ان شاء الله مستوفى وكان ينبغي أن أبدأ بالالف مع الالف فأقول (وآء وأأ) ولكنني اسميت الكتاب بالف باء بدأت بهما وأيضا فلم يجتمع لي من الالفين بيت كامل لانه لا ينعكس فأخرت ذلك الى باب الالف مع الياء في آخر بيت اذ لا يجتمع أيضا من الالف والياء بيت فبالحرى أن يكمل من جميع ذلك كله بيت وليت فأما (آب) فمعناه رجع قال الشاعر

آب

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

وهذا البيت سيأتي تفسيره ان شاء الله في باب الضاد يقال منه آب يؤوب أو باوايابا قال الله تعالى ان الينا ايابهم وآبت الشمس غابت والمآب المرجع وائتاب مثل آب فعل وافتعل بمعنى قال الشاعر

ومن يتق فان الله معه * ورزق الله مؤتاب وغادى

ومآبة البئر حيث يجتمع الماء واسم الفاعل منه آيب ومنه الحديث آيبون تائبون وتوبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا والحوب والحوب الاثم وقد جاء في الحديث رويته حوبا بالضم الحاء * وقع في المعاني للنحاس ان أبا أيوب طلق امرأته أوعزم على أن يطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان طلاق أم أيوب لحوب * قال المهدوي في قوله تعالى انه كان حوبا كبيرا الحوب الاثم وأصله الزجر للجمل فسمى الاثم حوبا لانه يزجر عنه والتحوب التأثم وهو أيضا التحزن وهو أيضا الصياح الشديد كالزجر وقرأ الكل حوبا بالضم وقراءة الحسن حوبا بالفتح كما وقع في الحديث والحاب مثل الحوب تقول حبت بكذا أي أثمت تحوب حوبا وحوبة وحيابة وفلان أحوب وأعق والحوبة أيضا القرابة من ذوي الارحام يخاف عليها الضيعة تقول ان لي حوبة أصلها ويقال ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة وفلان يتحوب

من كذا أى يتأثم والتحوب أيضا التوجع والتحزن قال الشاعر
من الغيظ فى أكبادنا والتحوب وأما الاوب فيقال جاء القوم من كل أوب أى من كل وجه والتأويب فى السير تبارى الركاب (وفى القرآن العزيز) ياجبال أوبى معه قيل المعنى سيرى معه حيث شاء من التأويب الذى هو سير النهار وقيل من التأويب الذى هو الرجوع ومبيت الرجل فى منزله فعلى هذا يكون التأويب سير الليل والنهار وأصله من سرعة رجع أيدى الابل وأرجلها فى السير الحثيث وقيل معناه سبحى و يكون معناه ترجيع التسبيح ومن الأوب الذى هو سرعة تقليب اليدين والرجلين فى السير قال الشاعر

كأن أوب ماتح ذى أب * مدارك النهر سريع التعب* أوب يديها برقاق سهب

و يقال فلان سريع الاوبة أى الرجوع قال أبو عبيد وقوم يحولون الواو ياء فيقولون سريع الايبة ويقال ناقة أؤوب على وزن فعول (وأما آب) فاسم فاعل من أبى يأبى اباءة واباء فهو آب وأبى وأبيان بالتحريك (قال الشاعر) آبى

وقبلك ماهاب الرجال ظلامتى * وفقأت عين الاشوس الابيان

قالوا أبى يأبى بالفتح فيهما مع خلوه من حروف الحلق وهو شاذ ومعنى آب كاره وأبى فلان كذا اذا كرهه وفى أسماء رجال الحديث مولى آبى اللحم وأنشد الفراء

لقد غدوت خلق الاثواب * أحمل عدلين من التراب

لعوزم وصبية سغاب * فآكل ولاحس وآبى

قال والعوزم العجوز وهى الناقة المسنة أيضا وفيها بقية من شباب ومنه قولهم رجل أبى من قوم أباة قال الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم

و يعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

(وأما أب) من قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال ابن عباس رضى الله عنه الفاكهة الثمار التى يأكلها الناس والأب ماترعاه البهائم وعنه أيضا الأب الثمار الرطبة ذكره المهدوى وقال صاحب كتاب العين الاب الكلأ وهو مارعته الانعام مثل الاول (وقال الشاعر) أبّ

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب بها والمكرع

يقال كرعت الماشية اذا شربت الماء وهى فيه واقفة ثم كثر ذلك حتى سمى كل شارب كارعا (وأما أب) فعلى وجوه شتى يقال أب الرجل يؤب أبابة اذا تهيأ

للسير وهو فى أبابه أى جهازه وأبت أبابة الشئ اذا استقامت طريقته وأب للشئ اذا تهيأ له قال الاعشى

صرمت ولم أصرمكم وكصارم * أخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا

أى تهيأ وشمر للذهاب وأب الرجل أبا اذا حن لوطنه قال هشام بن عقبة أخو ذى الرمة

وأب ذو المحضر البادى ابابه * وقوضت نيه أطناب تخييم

ويقال أب يؤب وأوب يؤوب وأب الرجل يده الى سيفه اذا ردها اليه ليستله (واما أت) فيقال أته يؤته أتا اذا غلبه بالكلام أو كبته بالحجة قاله ابن دريد فى الجمهرة (وأما أث) فمن قولهم أث النبت يأث ويئث أثا اذا كثر ونبت أثيث وكذلك الشعر أثيث أيضا وكل شئ وطأته ووثرته من فراش أو بساط فقد أثثته تأثيثا وأثاث البيت من هذا قال الراجز

أتّ

أثّ

يخبطن منه نبته الأثيثا * حتى ترى قائمه جثيثا

أى مجثوثا مقلوعا وفى القرآن العزيز من هذا اجتثت من فوق الارض والاثاث متاع البيت قال الله عز وجل أثاثا ورئيا يقال أث الرجل يأث أثا اذا صار ذا أثاث قال الاعمش الاثاث المال يستمتع به الى حين الموت وقال المهدوى واحد الاثاث أثاثة كحمام وحمامة قاله الاحمر وقال الفراء لا واحد له من لفظه ويجمع على أثثة وأثث وما قبل هذا فى الجمهرة وأنشد ابن دريد قول القرى وهو محمد بن نمير بن أبى نمير

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزى الجميل من الاثاث

قال وأحسب ان اشتقاق اسم الرجل أثاثة من هذا ويقال أثاثة بالضم والفتح وأنشد لرؤبة

ومن هواى الرجح الاثائث * تميلها أعجازها الاواعث

الوعثة العظيمة العجز والوعث من الرمل ماغابت فيه الارجل وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من وعثاء السفر أى مشقته والاثائث الوثيرات الكثيرات اللحم وقد جمعوا أثيثة أثاثا ووثيرة وثارا وقال صاحب العين أث الشعر يؤث أثاثة وهو أثيث وكذلك النبات وتأثث فلان أصاب خيرا وقال امرؤ القيس يصف الشعر

وفرع يغشى المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

فرغ البيت وبقيت قافيته وقد أخرتها الى آخر بيت من هذا الباب ومما ضاق عنه ولو احتجته لاخذته مثل آت اسم فاعل من أتى يأتى وسيأتى الكلام عليه فى باب

أبا وآب اسم شهر من شهور العجم وهو أعشت وقد تقدم وهو كله يتزن وانما
ذكرته لك هنا تقدمة لأني أدخل مثل هذا في البيت اذ لم أجد غيره لاقامة الشكل
واكمال البيت كما صنعت في البيت الثالث الذي يأتي بعد هذا سقت فيه مصادر
أفعال هذا البيت اذ لم أجد مما أقيم به بيتا الا بها حسبما تراه بعد ان شاء الله ومما
لم يتزن وهو من هذا الشكل وأب على ان تكون الواو أصلية مصدر وأب الحافر وأب
يئب انضمت سنابكه وحافر وأب خفيف قاله ع (ومما لم يتزن) أيضا وهو من
هذا الشكل أب مخفف وهو معلوم والابوة الآباء مثل العمومة والخؤلة (وكان
الاصمعي يروي قول أبي ذؤيب أب

لو كان مدحة حي أنشرت أحدا * أحيا أبوتك الشم الامادبح

وغيره يرويه * أباكن يا ليلى الامادبح * وقوله يا أبة افعل كذا يجعلون
علامة التأنيث عوضا من ياء الاضافة كقولهم في الام يا أمة وتقف عليها بالهاء
الا في القرآن فانك تقف عليها بالتاء لاجل الكتاب وقد يقف بعض العرب على
هاء التأنيث بالتاء فيقولون يا طلحت وستراه في باب الهاء من هذا الكتاب ان شاء
الله تعالى وانما لم تسقط التاء من يا أبت اقبل في الوصل كما سقطت في قولك
يا أم أقبلي لان الأب لما كان على حرفين كان كأنه قد أخل به فصارت الهاء لازمة
وصارت الياء كأنها بعدها وقول الشاعر

تقول ابنتي لما رأتني شاحبا * كأنك فينا يا أبات غريب

أراد يا أبتاه فقدم الالف وأخر التاء ويقال يا أبت ويا أبت وقرئ بهما فمن نصب
أراد الندبة فحذف ويقال لا أب لك ولا أبالك وهو مدح وربما قالوا لا أباك لان اللام
كالمقحمة قال أبو حية النميري

أبالموت الذي لا بد أني * ملاق لا أباك تخوفيني

أراد تخوفينني فحذف النون الآخرة والابوة أيضا فعل الاب وتأبيت فلانا اتخذته
أبا وهو يأبو اليتيم اباوة أي يغذيه ويربيه والنسبة اليه أبوي وأصل أب أبو
بالتحريك لان جمعه آباء مثل قفا وأقفاء ورحا وأرحاء فالذاهب منه واو لانك
تقول في التثنية أبوان وتقول أبوت خمسة أو ستة اذا كان لك من الولد ذلك العدد
وكذلك أخوت في الاخوة (وقال اعرابي) أبوت عشرة وأخوت عشرة وسيأتي
خبره وبعض العرب يثني أبا مرفوعا أبان ويجمعه أبون وكذلك أخون وحمون

وهنون قال الشاعر وهو الكميت

فلما تعرّفن أصواتنا * بكين وفدّيننا بالأبينا

وعلى هذا قرأ بعضهم نعبد الهك واله أبيك ابراهيم واسماعيل واسحاق يريد أبينك فحذف النون للاضافة وعلى هذه اللغة تقول في الاضافة أبيك اذا ثنيت والعرب تسمي الجد أبا أيضا وكذلك العم وسيأتي الشاهد على ذلك في فصل الفوائد ان شاء الله تعالى *(فصل من الفوائد الزوائد)* تقدم آيبون تائبون وأوبا وحوبا (بيان الفوائد) وذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وأما أوبا فروى ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الرجوع يعني من سفره قال آيبون تائبون الحديث واذا دخل على أهله قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وتقدم قول بعض العرب أبوت عشرة وأخوت عشرة (خبر اعرابي) وهذا الخبر ذكره الخطابي رحمه الله عن الاصمعي رحمه الله قال كنت يوما في منزلي فأتاني رجل فقال تركت في سوق الصيارفة أعرابيا يسأل لم أر أفصح منه فقمت وأنا أجر ثوبي حتى أتيت السوق فاذا أنا به قائما يسأل فوجأت في صدره فقلت من أنت فقال أنا عكاف بن روبية أبوت عشرة وأخوت عشرة كنت مقنعا للهمة ومفزعا للملمة فانباق على الدهر بكلكله متخيفا اخوتي واحدا فواحدا حتى أساف رجاليه وأباد ماليه فقرع مراحي وفنيت أوضاحي وملكتني السنون وحذفتني بالمذلة العيون فرحم الله من أعان أخا جهد وشصاصاء وحاجة ولأواء نعشكم الله باسباغ الرزق واصطناع المعروف واذا هو أبو عون الاعرابي وفسره الخطابي قال قوله انباق على الدهر بكلكله أي وطئني بثقله وأصابني بمكروهه وأصله من البوق ويقال باقته بائقة اذا نزلت به نازلة شديدة ويقال ان أصل البوق كثرة المطر وقوله متخيفا اخوتي أي متتبعا لهم يأتيهم من نواحيهم فيهلكهم وأصله من الخافة وهي الناحية يقال خافة الوادي أي ناحيته وقد يكون التخوف من الحيف أيضا وقوله قرع مراحي أي صفر وخلا من الغنم قلت وسيأتي تفسير هذا الحرف ان شاء الله والأوضاح جمع الوضح وهي الدراهم الصحاح والوضح حلي من فضة يجمع على الاوضاح

وقوله ملكتني السنون أي جهدتني * قلت وسيأتي هذا في باب الكاف ان شاء الله وقوله حذفتني بالمذلة العيون أي رمتني أبصار الناظرين بالذل وتقدم كرهت الماشية وجاء منه في الحديث من طريق ابن عمر قال مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على بركة فجعلنا نكرع فقال لا تكرعوا ولكن اغسلوا أيديكم فاشربوا منها فانه ليس من اناء أطيب من اليد خرجه ابن أبي شيبة والحديث معتل من قبل الاسناد والصحيح ما خرجه البخاري عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنه والا كرعنا قال والرجل يحول الماء في حائطه الحديث وقد سألت بعض أشياخي عن الكرع فقال هو مشتق من الأكارع التي للدواب كأنه يدخل الرجل في الماء برجليه ويشرب بفيه كما تفعل الدابة ذات الأكارع والله أعلم وقد جاء في الحديث الاول النهي عن ذلك وان كان الحديث معلولا فتركه ذلك أسلم والله أعلم

وقد يلام الفتى في الشئ يصنعه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

وهذا البيت لي من شعر مطول ان أردته انظره في التكميل وتقدم ان العرب تسمي الجد أبا وكذلك العم شاهد ذلك قوله تعالى نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق فبدأ بابراهيم وهو الجد وثنى باسماعيل وهو العم لانه كان أسن من اسحاق وكذلك قال يوسف عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق و يعقوب وكذلك تسمي العرب الخالة أما كما قال الله تعالى ورفع أبويه على العرش يعني أباه وخالته وسيأتي فيها حديث بعد هذا ان شاء الله وكما سموا أبا الاب وان علا أبا كذلك سموا ابن الابن ابنا وان سفل وجعلوهما في الميراث عند عدم من فوقهما سواء واحتج يحيي بن يعمر على الحجاج بأغرب من هذا روى ابن عبد ربه ان الحجاج بعث الى يحيي هذا فقال له أنت الذي تقول ان الحسين بن علي ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتين بالمخرج من ذلك أو لأضربن عنقك فقال له ابن يعمر وان جئت بالمخرج فأنا آمن قال نعم قال له اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم الى قوله ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيي وعيسى فمن أبعد أعيسى من ابراهيم أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن بنته

نكتة

فقال له الحجاج والله كأني ماقرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات (فائدة في اسم ابراهيم عليه السلام) يقال ابراهيم وابراهام وقرئ بهما وابراهم وابراهم وابرهام واختلف العلماء في ميراث الجد وكذلك الصحابة رضي الله عنهم والذي ورد في البخاري قال أبو بكر وابن عباس وابن الزبير الجد أب وقرأ ابن عباس يابني آدم واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب ولم يذكر أن أحدا خالف أبا بكر في زمانه وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم متوافرون وقال ابن عباس يرثني ابن ابني دون اخوتي ولا أرث أنا ابن ابني قال هذا على جهة الانكار على من لا يقول بقوله وكان يمثله بابن الابن ويقول ألا يتقي الله زيد بن ثابت ويجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل أبا الاب أبا وأما علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال من سره ان يتقحم في جراثيم جهنم فليقض بين الجد والاخوة ذكره ثابت رحمه الله وقال الجرثومة ما اجتمع وكثر من رمل أو تراب حول أصول الشجر وأنشد

* وجرثومة لا يبلغ السيل أصلها * ثم يستعار في غير ذلك فيقال في جرثوم العرب قبائلها قلت وهذا من علي بن أبي طالب رضي الله عنه على جهة التغليظ لمن لم يتثبت وذلك لاختلاف الصحابة رضي الله عنهم في ذلك والله أعلم والا فقد حكم رضي الله عنه في ذلك وقضى بمبلغ علمه واجتهاده كما فعل غيره من الصحابة رضوان الله عليهم وذكر ثابت في الدلائل أيضا عن الشعبي قال احتاج الحجاج الي في فريضة فقال ماتقول في أم وأخت وجد فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وعلي وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم قال ماقال فيها ابن عباس ان كان لتقنا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الأخت شيئا وأعطى الام الثلث قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعني عثمان قلت جعلها أثلاثا قال فما قال فيها زيد بن ثابت قلت جعلها من تسعة فأعطى الام ثلاثة وأعطى الجد أربعة وأعطى الاخت سهمين قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام سهما وأعطى الجد سهمين قال فما قال فيها أبو تراب يعني عليا رضوان الله عليه قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام سهمين وأعطى الجد سهما ذكر هذه الحكاية محمد بن يزيد في الكامل وجعل عوض ابن عباس أبا بكر رضي الله عنه فلما انتهى الى آخر قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال فأطرق ساعة يعني الحجاج ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن

قوله * قلت ولما رأيت هذه الحكاية فى الكامل وقول الحجاج فى على رضى الله عنه هذا الجفا لم أملك نفسى وحملتنى الغيرة على حبيبى على رضى الله عنه أن كتبت فى طرة الكتاب

حجاج فيما قلته تكذب * فى قول من فيه الورى يرغب
ذاك على بن أبى طالب * من مثله أو منه من يقرب
يكفيه أن كان ابن عم الذى * فى جاهه تطمع يا مذنب
صلى عليه الله من سيد * ما تطلع الشمس وما تغرب

وقلت أيضا انظر الى الحجاج وقلة جده مع سطاحة خده يقول فى مولانا على هذه المقاله ويرغب عما قاله تالله ما حمله على هذا القول الردى الا الحسد المردى والا فقد علم الغوى أن مكان على فى العلم المكان العلى كيف لا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وابن عباس رضى الله عنه يقول والله لقد أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه تسعة أعشار العلم وايم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقضانا على وقال ابن مسعود أعلم أهل المدينة بالفرائض ابن أبى طالب وصدقوا رضى الله عنهم كم له من تشقيق فى العلوم وترقيق وبصر بالحساب وتدقيق حتى كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكم من قضية قضاها لما بلغت الى النبى صلى الله عليه وسلم أمضاها وربما تبسم عليه السلام اذا سمعها استصوابا ثم أنفذها اذ رآها صوابا وكم مسألة بديعة دقق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن حبيش رضى الله عنه قال جلس رجلان يتغذيان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغذاء فجلس وأكل معهما واستوفوا فى أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الارغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الارغفة الثلاثة لا أرضى الا ان تكون الدراهم بيننا نصفين فارتفعا الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه اكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لا رضيت منه الا بمر الحق فقال على رضى الله عنه ليس لك فى مر الحق الا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو

مسئلة حسابية

يعرض على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذه فلم أرض وتقول لى الآن انه لا يجب لى فى مر الحق الا درهم واحد فعرفنى بالوجه فى مر الحق حتى أقبله فقال على رضى الله عنه أليس الثمانية الارغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الاكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون فى أكلكم على السواء قال بلى قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وتبقى له سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحد لك وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن انتهت الحكاية وشبيه بهذه المسألة رجل استأجر أجيرا يحفر له سهريجا فى الارض طوله ثمانية أذرع وعرضه كذلك وعمقه كذلك بثمانية دراهم فحفر له أربعة فى أربعة ثم جاء يطلبه بما شرط له فحاسبه على مقدار حفره فلم يبرز له الحساب الا درهما واحدا وهذه اذا نظرتها وجدتها مثل الاولى والحمد لله وحده وتقدم من فضائل على رضى الله عنه فى هذا الكتاب ويأتى أيضا بعضها وهى أكثر من ذلك (ومن أغرب مسألة) وقع فيها الاختلاف ماخرج ثابت رحمه الله أيضا فى الدلائل حدث بسنده الى عبد الصمد بن عبد الوارث قال وجدت فى كتاب جدى أتيت مكة فأصبت بها أبا حنيفة وابن أبى ليلى وابن شبرمة فأتيت أبا حنيفة فقلت له ما تقول فى رجل باع بيعا واشترط شرطا قال البيع باطل والشرط باطل وأتيت ابن أبى ليلى فقال البيع جائز والشرط باطل وأتيت ابن شبرمة فقال البيع جائز والشرط جائز فقلت سبحان الله ثلاثة من فقهاء الكوفة يختلفون علينا فى مسألة فأتيت أبا حنيفة فأخبرته بقولهما فقال لا أدرى ماقالا حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط فأتيت ابن أبى ليلى فأخبرته بقولهما فقال لا أدرى ماقالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اشترى بريرة واشترطى لهم الولاء فان الولاء لمن أعتق فأجاز البيع وأبطل الشرط فأتيت ابن شبرمة فأخبرته بقولهما فقال ما أدرى ماقالا حدثنى مسعر بن حكيم عن محارب ابن دثار عن جابر بن عبد الله قال اشترى منى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فشرطت حملانى فأجاز البيع والشرط وانما ساغ للصحابة الاختلاف فيما لم يأت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص فحينئذ رجعوا الى القياس واجتهاد الرأى والحجة فيه لهم من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين

لطيفة

أنفذه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال أجتهد رأيي فقال له النبي عليه السلام الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحب رسول الله وقد أجمع كثير من الصحابة رضوان الله عليهم على الرأي والقياس في عدة مسائل مع عدم النص ولم ينكر عليهم ذلك سائر الصحابة بل صار أمرا معمولا به الى اليوم على اختلافهم فيها واتباع الفقهاء اياهم عليها على مذاهبهم من ذلك مسألة العول والحرام والجد وغير ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه أقضى فيها برأيي وقوله كدنا نقضي فيها برأينا وقول عثمان لعمر رضى الله عنهما ان نتبع رأيك فرأي سديد وان نتبع فيها رأى من قبلك فنعم ذو الرأى كان وقول على رضى الله عنه أجمع رأيي ورأى عمر أن لا يبعن يعني أمهات الاولاد ثم رأيت بيعهن وقال ابن مسعود ثم أقول فيها برأيي * ورد بعضهم الحرام الى اليمين و بعضهم الى الطلاق الثلاث و بعضهم الى الظهار وبعضهم الى الايلاء وبعضهم الى أخف من هذا هذا كله انظره في التحصيل ومما قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسناد المتصل الى علقمة ان ابن مسعود رضى الله عنه أتى في رجل هلك وترك امرأته ولم يكن دخل بها قال فترددا اليه فيها شهرا لا يقول له فيها شيئا فقال أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله عز وجل وان كان خطأ فمن نفسي قال أقول لها مثل مهر نسائها ولها الميراث وعليها العدة فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق بمثل ذلك ففرح ابن مسعود قلت وهذا كله فيما لم يجئ فيه نص جلي كما تقدم وأما مع الاثر فلا يصح لاحد من الناس معه رأى ولا قياس ألم تر ما أخرجه البخاري رحمه الله من طريق أبي الزناد رضى الله عنه قال ان السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأى فما يجد المسلمون بدا من اتباعها من ذلك الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة انتهى كلامه قلت وهذا الذي تقدم كان في زمن الصحابة رضى الله عنهم وأما اليوم فليس لنا الا اتباعهم فيما أمضوا وحكموا به وقضوا واستمر عليه عملهم حتى جاء أجلهم ولا نبتدع ولا نخترع بل نستمع ونتبع ولا نتخير الرخص في المذاهب بل نسلك الجادة وندع البسابس والسباسب وسيأتي تفسير البسابس والسباسب ولو ألقيت بالك أيها السائب لرأيت احدى اللفظتين عكس الاخرى فتحققت بالادب نحرا فاجتهدات كنت به تعنى أن تتفقه في اللفظ والمعنى والله المعين على الرشاد والهادي الى السداد ونرجع الى

القول الذاهب فى تخيير الرخص فى المذاهب فى مثل هذا حدثنى شيخى أبو الطاهر السلفى رحمه الله بالاسكندرية قال سمعت والدى رحمه الله بمكة يقول سمعت معمر بن أحمد العبدى بأصبهان يقول قال متقدمو مشايخنا الصوفى اذا تمذهب يصفع قفاه حتى يذهب وقد تقدم له ولغيره من فضلاء الناس طرف فى ذم القياس وسيأتى منه طرف أيضا فى باب الميم ان شاء الله * قلت ولعل ذلك الذم انما هو فيمن يقيس برأيه فى مثل زماننا هذا او يدع قول علمائنا المتقدمين والله أعلم *(فصل)* واذ وقع ذكر الجد فلنستقص هذه اللفظة بمبلغ الجهد * الجد أبو الاب والجد البخت والسعد ومنه قول اليهودى حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا المدينة أول يوم دخلها يا بنى قيلة هذا جدكم قد جاء أى سعد كم يقال رجل ذو جد ورجل مجدود وضده محدود بالحاء أى محروم كما قال ابن قتيبة فى امرئ يخرج من جملة المجدودين ويدخل فى جملة المحدودين وفى القرآن العزيز وأنه تعالى جد ربنا فسره ابن عزيز عظمة ربنا يقال جد فلان فى الناس أى عظم فى عيونهم وجل فى صدورهم ومنه قولهم كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم فى أنفسنا وقال المهدوى عن مجاهد كذلك عظمته وعنه أيضا ذكره وعن أنس بن مالك غناه وعن الطبرى قال بعض أهل التأويل جهل الخلق فيما قالوا يشير والله أعلم الى قول ابن عباس رضى الله عنه اذ قال لو علمت الجن ان فى الانس جدا ما قالوا تعالى جد ربنا وقال أبو عبيد يذهب ابن عباس الى ان الجد انما هو الغنى ولم يكن يرى ان أبا الاب جدا انما هو عنده أب ذكر هذا أبو عبيد فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا انصرف من الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال أبو عبيد الجد بفتح الجيم لا غير وهو الغنى والحظ فى الرزق ومنه قيل لفلان فى هذا الامر جد اذا كان مرزوقا منه فتأويل قوله لا ينفع ذا الجد منك الجد أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه انما ينفعه العمل بطاعتك وهذا كقوله عليه السلام قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا أصحاب الجد محبوسون يعنى ذوى الحظ فى الدنيا والغنى قال وزعم بعض الناس ان الجد بكسر الجيم وهذا خلاف ما دعا الله اليه المؤمنين ووصفهم به من الخير وهو الاجتهاد والعمل الصالح فى قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى آخر الآيات فكيف

معانى الجد

يحثهم

يحثهم على العمل ويبعثهم به ويحمدهم عليه ثم يقول انه لا ينفعهم لم يرض أبو عبيد هذا الحرف الجد بالكسر فى هذا الموضع والذى اختاره الجد بفتح الجيم وكذا جاء فى البخارى عن الحسن جد غنى وجمع الجد الذى هو البخت جدود قال الشاعر

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاظى قسمت وجدود

وأحاظى جمع حظ وهو النصيب ويجمع أيضا على حظوظ وفى القلة أحظ والجد بضم الجيم البئر تكون فى الكلأ قال الاعشى

ماجعل الجد الظنون الذى * جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتى اذا ما طما * يقذف بالبوصى والماهر

الظنون البئر التى يظن ان فيها ماء ولا يكون والظنون الذى لا يوثق بما عنده واللجب السحاب الذى له صوت واختلاط الاصوات من كل شئ لجب من الناس وغيرهم والبوصى السفينة والماهر السابح الحاذق وتفسير السابح العائم سبح فى الماء سباحة من قوله تعالى كل فى فلك يسبحون أى يسيرون وجد كل شئ جانبه والجد أيضا شاطئ النهر وهو الجدة أيضا وأكثر ما يقال جدة بالهاء وبها سميت جدة لانها ساحل البحر وسيأتى ذكر هذا ان شاء الله والجد بالكسر نقيض الهزل وقد جد وأجد والجدة مصدر الجديد وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موعظة له يقول فيها فبادروا وأنتم فى مهل الانفاس وجدة الاحلاس قبل ان يؤخذ بالكظم ولا يغنى الندم ويقال أجد الرجل ثوبا واستجده وجاء ذكر ذلك فى الحديث وسيأتى ان شاء الله * ومن مضاعف هذا الباب الجدجد بفتح الجيم المفازة الملساء والجدجد بالضم دويبة كالجندب قال ابن قتيبة هو الذى يصرصر بالليل فى الصيف ووقع فى السير اجد اجد وهو أحد المواضع التى سلك عليها النبى صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة قال الاستاذ رحمه الله كانها جمع جدجد قال وأحسبها آبارا ففى الحديث أتينا على بئر جدجد قال وهو كما يقال فى الكم كمكم وفى الرف رفرف وجدود موضع بالبادية وجدة بلدة على ساحل البحر بينها وبين مكة شرفها الله مسافة تقصر فيها الصلاة عند مالك وذلك أربعة برد والبريد اثنا عشر ميلا والفرسخ ثلاثة أميال والميل من الارض قدر مد البصر وقيل قدر ألفى ذراع وهو ألف باع قيل بباع الجمل وقيل وهو أصح بباع الفرس وهى عشرة غلاء والغلوة مائتا ذراع وهى طلق الفرس وقال أبو عمر بن عبد البر الميل ثلاثة آلاف ذراع

وخمسمائة ذراع و يستشهد على الغلوة بقول عنترة

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصف غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فسره أهل اللغة فقال بعضهم الغلوة منتهى رمى السهم وقال بعضهم قدر رمية الرامى وقال بعضهم هو الطلق والاكثر على انه منتهى الرمى واستعير للطلق وجدة النهر ماقرب منه من الارض والجدا الناقة المقطوعة الاذن والجد أيضا المفازة اليابسة وكذلك السنة والشاة وناقة جدود يابسة اللبن والجمع جداد وجدائد والجداد زمن تجد فيه النخل و يقال فى هذا اجداد كما يقال حصاد وحصاد وقرئ بهما معا والجدد وجه الارض وطريق جادة وتجمع على جواد وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلوا على جواد الطريق والجدد من قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر جمع جدة وهى الطرائق المختلفات الالوان ولو كان جمع جديد لكان جددا قاله الاخفش ذكر ذلك المهدوى وقال ابن عزيز جدد خطوط وطرائق واحدتها جدة ومن شكل الجدا الجذ بالذال المعجمة القطع والجذاذ قطع ماتكسر والسويق الجذيذ الكثير الجذاذ وفى القرآن العظيم فجعلهم جذاذا أى حطاما عن ابن عباس وعن قتادة قطعا من قولهم جذذت الشئ اذا قطعته وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل عطاء غير مجذوذ أى غير منتقص وقال مرة غير منقطع * بقى مقلوب هذه اللفظة دج الدجة الظلمة وليل دجوج ودجوج وشعر دجوجى وليلة دجداجة والمدجج الفارس المتدجج فى شكيمته والدجاجة معروفة والدجان الدبيب وهو يدج على الارض دجا اذا مشى رويدا فى تقارب خطو ومنه قولهم أقبل الحاج والداج فالحاج الذين يحجون والداج الذين يدبون فى آثار الحاج من التجار وغيرهم وفى كلام بعضهم أما وحواج بيت الله ودواجه لأفعلن كذا وقال ابن عمر رضى الله عنه وقد رأى قوما فى حج لهم هيئة انكرها قال هؤلاء الداج فأين الحاج قال الخطابى قال أبو عمر قال ثعلب يقال هم الحاج والداج والناج فأما الحاج فهم أصحاب النيات والداج الاتباع والناج المراؤن قال الخطابى أنشدنى بعضهم

عصابة ان حج موسى حجوا * وان أقام بالعراق دجوا * ما هكذا كان يكون الحج *

يريد موسى بن عيسى الهاشمى وقد يقال فى هذا حاجة وداجة ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل ماتركت من حاجة ولا داجة الا أتيتها فقال له أليس

تشهد

تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله قال نعم قال فان الله قد غفر لك كل حاجة وداجة
قال الخطابى هكذا رواه ابن قتيبة بالتخفيف وفسره فقال أراد لم يدع شيئا دعته
نفسه اليه من المعاصى الاركبه قال وداجة اتباع كقولهم شيطان ليطان
واخواتها قال الخطابى وقد روى هذا الحرف من غير هذا الطريق مثقلا وفسر
على غير هذا المعنى ان الرجل قال للنبى صلى الله عليه وسلم أرأيت رجلا عمل الذنوب
كلها وهو مع ذلك لا يترك حاجة ولا داجة الا قطعها بيمينه هل له من توبة قال هل
أسلمت قال أما أنا فاشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال فاعمل الخيرات ودع
الشرات يجعلهن الله لك خيرات قال رواه محمد بن اسحاق بن خزيمة عن أبى نشيط
عن أبى المغيرة قال سمعت مبشر بن عبيد الله يقول الحاجة الحاج اذا أقبلوا والداجة
اذا رجعوا وقال غيره الحاجة القاصدون الى البيت والداجة من كان فى ضمنهم من
مكار وتاجر * ومن شكل جد خد وهو معروف وهما خدان يكتنفان الانف عن يمين
وشمال وفيه مسيل الدمع والجمع خدود والخد والاخدود شقان فى الارض
مستطيلان غامضان كذا فسره أبو عبيد فى قوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود
والله أعلم وقد قيل للخد فى الارض خدة وخدود والمخدة مفعلة لان الخد يوضع عليها
والمخدة أيضا حديدة يخد بها الارض والمصدر فيهما خد تقول خددت أخد خدا
وتخدد اللحم ذهابه من الهزال يقال رجل متخدد ومنه قول الشاعر

* يا من لشيخ قد تخدد لحمه * وسيأتى بكماله فى باب الفاء ان شاء الله

ومقلوب هذه اللفظة دخ لغة فى الدخان قال الشاعر * لا خير فى الشيخ اذا ما اجلخا *

وسال غرب عينه فلخا * تحت رواق البيت يغشى الدخا

ومعنى لخ سال وجرى وسيأتى فى مقلوب خل فى بابه ان شاء الله وجاء من هذا
فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة ابن صياد انى قد خبأت لك
خبأ قال فما هو قال دخ فزجره النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى أيضا ان شاء الله
وقد ألحق هذا الفعل بالرباعى فقالوا دخدخه بمعنى ذلله ووطأه والدخدخة
مشتقة من الدوخ يقال دخدخناهم ودوخناهم ومن شكل خد خذ
أمر من أخذ وهو مفهوم * ومن شكل جد حد فصل ما بين الشيئين ودار فلان
حديدة دارك اى تحاذها وحد كل شئ طرفه وحددت الرجل منعته ورجل محدود
عن الخير ضد مجدود والحداد البواب والمحدود الذى ضرب الحد ويقال مالك عن

خد

حد وما تصرف منه

هذا الامر محيد ولا حدد أى معدل وأحددت الحديدة واستحد الرجل اذا حلق شعره بالحديد ومنه الاستحداد الذى ورد فى الحديث وتستحد المغيبة وحدان حى من الازد ومن الجمهرة حد السكين وغيره معروف تقول حددته أحده حدا وحد الرجل عن الشئ صرفه عنه ومنه فلان محدود أى مصروف عن الخير ورجل حد اذا كان محدودا وأصل الحد المنع ومنه الحد بين الشيئين الفرق بينهما لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ويقال حده عن كذا وكذا أى منعه وبه سمى السجان حدادا لمنعه عن الحركة قال الشاعر

يقول لى الحداد وهو يقودنى * الى السجن لا تجزع فمابك من باس

وسمى الاعشى الخمار حدادا لانه حبس الخمر عنه فقال

فقمنا ولما يصح ديكنا * الى خمرة عند حدادها

وحدت المرأة وأحدت فهى محد وحاد اذا تركت الطيب والزينة بعد زوجها وأبى الاصمعى الا أحدت فهى محد ولم يعرف حدت وقال أبو عبيد لغة النبى صلى الله عليه وسلم تحد ويقال هذا أمر حدد أى ممتنع وقالوا دعوة حدد أى مردودة لا تجاب وبنو حداد بطن من طى وحدان من بنى سعد وحدان من الازد ومعكوسه

دح دح بمعنى بسط ووسع وفى التنزيل دحاها أى بسطها وذكر الخطابى من حديث عطاء رحمه الله انه قال بلغنى ان الارض دحيت دحيا من تحت الكعبة وفسره الخطابى دحيت بسطت ووسعت ويقال دحت الشئ اذا وسعته وبنى فلان بيته فدحاه أى وسعه وأصله دحه كقولك اباه وأصله ابه وعلى هذا قوله تعالى وقد خاب من دساها قالوا الاصل دسسها انتهى كلامه ويقال دح فى قفاه يدح دحا ودحوحا مثل دع سواء وفى القرآن يوم يدعون الى نار جهنم دعا بمعنى يدفعون والدح شبه الدس * ومن مضاعفه دحدح ومعكوسه حدحد وهو الرجل الغليظ القصير ويقال فيه أيضا دحداح ودحداحة وفى الصحابة رضى الله عنهم أبو الدحداح الانصارى وله خبر عجيب والدحندح بالكسر دويبة قاله صاحب العين ومن شكله حذ الشئ يحذه حذا اذا قطعه قطعا سريعا والحذة القطعة من اللحم وهى الغلذة وقال الشاعر

تكفيه حذة فلذات ألم بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

ويروى حزة وقد تقدم والحذ أيضا الناقة السريعة ويقال حذاء أيضا والحذ خفة

وسرعة

وسرعة و يقال قطاة حذاء سريعة الطيران وفى خطبة عتبة بن غزوان ان الدنيا قد
أدبرت حذاء أى سريعة الادبار وقالوا قطاة حذاء قليلة ريش الذنب وقال صاحب
العين والحذاء اليمين المنكرة التى يقطع بها حق صاحبه والأحذ الماضى بين
الحذذ والأحذ اسم لضرب من الشعر *(فصل من الفوائد)* تقدم فى الحديث ذكر الفوائد
وجدة الاحلاس يعنى جديد هذا النوع من الثياب و يكنى به عن صحة الجسم
وشبابه وقوته قبل أن يأخذ فى البلاء والضعف وانحطاط الجسم والعجز عن العمل
والله أعلم بما أراد من ذلك وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه
أسألك من خيره ومن خير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وقال أبو نضرة
وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى
و يخلف الله عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لام خالد بن سعيد وكان عليها
قميص أصفر أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى ثم أبلى وأخلقى ولبس عمر بن الخطاب
رضى الله عنه يوما ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى
وأتجمل به فى حياتى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا
جديدا فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى
ثم عمد الى الذى أخلق أو قال الذى ألقى فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله
وفى ستر الله حيا وميتا *(فصل)* تقدم ذكر الاب والجد والعم بقى
الخال أخو الام والخالة أختها يقال خال بين الخؤلة وكان للنبى صلى الله عليه وسلم مبحث الخال
خال اسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وقال عليه السلام الخال وارث
من لا وارث له وسميت الخالة أما وكذا قيل فى قوله تعالى فى قصة يوسف عليه
السلام ورفع أبويه على العرش أبوه وخالته لان أمه كانت قد ماتت وقد تقدم وأزيدك
فأفيدك أروى عن الحافظ السلفى رحمه الله فيما أذن له فيه أتى رجل فقال
يارسول الله انى أصبت ذنبا كبيرا فهل لى من توبة قال فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل لك والدان قال لا قال فلك خالة قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فبرها اذا وتقول العرب للرجل الشريف مخول معم ولى فى هذا المعنى من شعر
مطول * مخول فى عشيرته معم * أنظره فى التكميل ولما قتل الزبير بن العوام ياسر
اليهودى يوم خيبر مبارزة قام اليه النبى صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وقبل بين عينيه

وقال فدا لك عم وخال وقد يفتخر بالخال اذا كان أشرف من الاب كما يقولون في مثل
هذا من أبوك يا بغل قال خالي الفرس قال الشاعر

يارب خال لي أغر أبلجا * من آل كسرى يقتدى متوجا

وكان عبد الرحمن بن حسان يفخر لانه ابن خالة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد تقدم وقد ذكر صاحب العين هذه اللفظة على أنواع فقال الخال الخيلاء
يقال خال الرجل يخول واختال يختال و يقال فلان خال وخائل ومختال مفتعل
منه وفي التنزيل والله لا يحب كل مختال فخور وجمع الخائل خالة كبائع و باعة
وصائغ وصاغة قال الشاعر

أودى الشباب وحب الخالة الخلبه * وقد برئت فما بالقلب من قلبه

من رواه الخلبة بكسر اللام فانه أراد الخداعة من النساء ومن روى الخلبة بالفتح
فجمع الخالب و يقال في الخيلاء مخيلة أيضا ومنه قول ابن عباس رضي الله عنهما
كل ما شئت اذا أخطأتك خلتان سرف أو مخيلة و يقال فلان ذو خال أي ذو مخيلة
وأنشد فان كنت سيدنا سدتنا * وان كنت للخال فاذهب فخل
ومن الخيلاء قول طلحة لعمر رضي الله عنهما حين استشار في جموع الاعاجم أنت ولي
ما وليت من لا يوفي بديك ولا يخول عليك خرجه ابن قتيبة والتخول التعهد وفي
الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا
وكان الاصمعي يقول يتخوننا أي يتعهدنا * ومما هو على شكله قولك خال الرجل
أمر من قولك خاليته اذا فارقته ومنه قولهم للمرأة أنت مني خلية ومنه قول الشاعر
* قالت بنو عامر خالوا بني أسد * و يقال خال الرجل الشئ اذا ظنه وفي المثل
من يسمع يخل تقول خلت اخال بكسر الالف وهو الافصح و بنو أسد تقول أخال
بالفتح وهو القياس وخال الراعي يخول خولا اذا حفظ والخولي والخائل الراعي
والخال اللواء والخال كالظلع في الدابة والخال سحابة تنشأ فتخيل لك انها ماطرة
وهي المخيلة يقال تخيلت السماء اذا انشأت اذا لقه وجمعها خايل وقد يقال للسحاب
الخال فاذا أرادوا السحابة قالوا مخيلة بالفتح قاله أبو عبيد وفي الحديث من هذا انه
عليه السلام كان اذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت
سري عنه خرجه مسلم من طريق عائشة رضي الله عنها وفي غيره اذا رأى مخيلة والخال
أيضا جبل ببلاد غطفان وقال امرؤ القيس * ديار لسلمى عافيات بذي خال *

والخال

والخال أيضا برود حمر فيها خطوط سود وهى من رفيع الثياب وقال امرؤ القيس
* وشى البرود من الخال * وقال أنس بن سليم * وأعطى لثوب الخال قبل ابتذاله *
أنظره فى السير وقال الشماخ * وبردان من خال وسبعون درهما * وقالت عفيرة
فجاؤا متفضلين فى الخال والنعال فى حكاية حسنة تأتى ان شاء الله تعالى والخال
الرجل السمح وفلان مخيل للخير أى خليق به والخال شامة سوداء والجمع خيلان
وفى الحديث فى صفة موسى عليه السلام كثير خيلان الوجه وجاء فى التفسير
فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى كان على طرف لسانه شامة
وهى العقدة التى حلها الله له وكان على أرنبته أيضا شامة وكان فى جبهة أخيه
هارون شامة صلى الله عليهما وسلم ويقال رجل أخيل اذا كان كثير الخيلان وكذلك
مخيل ومخيول مثل مكيل ومكيول ويقال أيضا مخول مثل مقول وتصغير الخال
خييل فيمن قال مخيل ومن قال مخول قال خويل وجمع الشامة شام وشامات ورجل
مشيم مثل مكيل والأشيم الذى له شامة والجمع شيم والمرأة شيماء وألف الخال
منقلبة عن واو لانهم قالوا جاء القوم اخول اخول اذا جاؤا متفرقين كأنهم
لزهوهم واختيالهم كرهوا أن يجيئوا مجتمعين * وقد جمع أبو محمد عبد الله بن السيد معانى الخال
البطليوسى رحمه الله الخال فى شعر له بعد ان ذكر الخال كذا والخال كذا نحو
ما تقدم ثم قال والخال لفظة مشتركة تتصرف على معان كثيرة وقد وجدت
ثعلب والمفضل وابن مقسم قد أنشدوا ثلاثة عشر بيتا آخر كل بيت منها خال بغير
معنى الآخر ورأيت قائلها وقد أغفل ألفاظا أخر كان ينبغى أن تضم اليها فزدت
فيها أبياتا ضمنتها ما لم يذكره الشاعر بلغت اثنين وعشرين بيتا وفى الروايات
اختلاف ذكرت منها ما وقع عليه الاستحسان وهى

أتعرف أطلالا شجونك بالخال * وعيش ليال كان فى العصر الخالى
ليالى ريعان الشباب مسلط * على بعصيان الامارة والخال
واذ أنا خدن للغوى أخى الصبا * وللغزل المريح ذى اللهو والخال
وللخود تصطاد الرجال بفاحم * وخد أسيل كالوذيلة ذى الخال
اذا رئمت ربعا رئمت رباعها * كما رئم الميثار ذو الربة الخال
زمان أفدى من يروح الى الصبا * بعمى من فرط الصبابة والخال
وقد علمت انى وان ملت للصبا * اذا القوم كعوا لست بالرعش الخال

ولا أرتدي الا المروءة حلة * اذا ضن بعض القوم بالعصب والخال
واني اذا نادى الصريخ أجبته * على سابح عبل الشوى أو على خال
اذا قطعت عبس وذم خلاؤها * فما هو بالواني القطوف ولا الخال
وانا لنقى الخيل دون عيالنا * فمن غابق طرفا بمحض ومن خال
جياد تباري العاصفات ولا ترى * بها من جبان يشتكين ولا خال
واني لجاد للكماة الى العلا * ولست بحياد للعروج ولا خال
واني لخال للصديق مرزأ * ولست بخيس في الرجال ولا خال
وان ضن خال المزن يوما بنيله * فان ندى كفي مغن عن الخال
نماني الى العلياء كل سميدع * تراه اذا حلت حبا القوم كالخال
حوينا جميع المجد جودا ونجدة * فما شئت من ليث هصور ومن خال
وما أبصرت عين لنا قط سيدا * على حدج يزجي الى الرمس بالخال
فخالف بحلفي كل قرن مهذب * والا تخالفني فخال اذا خال
ومازلت حلفا للسماحة والعلى * كما احتلفت عبس وذبيان بالخال
وثالثنا في الحلف كل مهند * لنا ريم من صلب العظام به خال
حرام عليك الدهر خدع سراتنا * فلا قهم في مجمع القوم أو خال

وهذا تفسير ما مر من هذه الالفاظ على توالى الابيات الخال اسم موضع والعصر الخالي الماضي والخال في البيت الثاني اللواء الذي يعقد للامير وقال بعضهم لا يقال له خال حتى يكون أبيض والخال في البيت الثالث التكبر والخيلاء قال الشاعر

فان كنت سيدنا سدتنا * وان كنت للخال فاذهب فخل

والمرح الكثير المراح والنشاط وقوله كالوذيلة ذي الخال الخال هنا النكتة السوداء والوذيلة القطعة من الفضة وقوله ذي الريبة الخال هاهنا منقوص على مثال القاضي وهو الذي لا أهل له فهو يتبع المواضع التي لا أحد فيها للريب والفجور وقوله من فرط الصبابة والخال الخال ههنا أخو الام وقوله بالرعش الخال هذا أيضا منقوص على مثال القاضي وهو الجبان وقوله بالعصب والخال هما نوعان من الثياب تصنع باليمن قال امرؤ القيس * وشي البرود من الخال * وقد قيل ان الخال في بيت امرئ القيس موضع باليمن تصنع فيه هذه الثياب وقوله على سابح عبل الشوى أو على خال الخال هاهنا البعير الضخم وقوله فما هو بالواني القطوف

ولا الخال

ولا انخال الخال هنا اسم فاعل من خلأ البعير ادا حرن خففت همزته وكان الاصمعى يزعم ان الخلأ لا يكون الا فى الناقة وأما الجمل فانه يقال فيه ألح الجمل ولا يقال خلأ (وقوله فمن غائق طرفا بمحض ومن خال) هو اسم فاعل منقوص من قولك خليت الخلى اذا قطعته وخليت الدابة اذا أطعمتها الخلى وهو رطب النبات (وقوله بجان يتبين ولا خال) الخال ظلع يعترض الدابة والبيان البطؤ فى المشى (وقوله ولست بجاد للعروج ولا خال) من قولهم هو خال مال أو خائل مال اذا كان يرعى الابل ويحسن القيام عليها (وقوله ولست بخيس فى الرجال ولا خال) الخيس الخسيس والخال منقوص الذى لا يعنى بأمر ولا يحتفل به ويخلد الى الراحة (وقوله مغن عن الخال) يعنى خال السحاب (وقوله اذا حلت حبا القوم كالخال) هو الجبل الضخم كذا قال ثعلب وقال ابن دريد الخال الاكمة الصغيرة (وقوله فاشفت من ليث هصور ومن خال) الخال هنا الرجل الجواد شبه بخال السحاب (وقوله يزجى الى الرمس بالخال) الخال هنا ثوب يسجى به الميت يريد أنهم انما يموتون فى الحرب لا على فرشهم (وقوله فخال اذا خال) هذا فعل أمر من قولهم خاليته اذا تركته وتخليت عنه كما قال النابغة * قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * (وقوله عبس وذبيان بالخال) هذا موضع غير الموضع الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله عافيات بذى خال ولذلك كرر فى موضعين (وقوله لما ريم من صلب العظام به خال) أى قاطع وأصله من قطع الخلى من النبت ثم يستعار فى غير ذلك فلذلك ذكر فى موضعين وقوله فى آخر الشعر أو خال من قولك خاليت الرجل مخالاة وخلاء اذا انفردت به على خلوة ومنه قول الشاعر * أبيت مع الحداث ليلى فلم أبن * فأخليت فاستجفت عند خلائى * وروى بكسر الخاء وفتحها انتهى كلامه رحمه الله (فصل من الفوائد) تقدم فى الحديث

ذكر الخيلاء

ان من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب فأما الخيلاء التى يحب الله فاختيال الرجل بنفسه عند القتال واختياله عند الصدقة وأما التى يبغض الله فاختياله فى البغى والفخر فمن المخيلة ما خرج الترمذى رحمه الله عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وطغى ونسى المبتدأ والمنتهى بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله ومن المخيلة

ما خرج أبو داود عن جابر بن سليم قال رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا الا صدروا عنه قلت من هذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت عليك السلام يا رسول الله مرتين قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الميت قلت السلام عليك وذكر الحديث وفيه قلت اعهد الي قال لا تسبن أحدا قال فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة قال ولا تحقرن من المعروف شيئا وان تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة وان امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تشتمه ولا تعيره بما تعلم فيه فانما وبال ذلك عليه وقال النسائي يكون أجر ذلك لك ووباله عليه هذا الحديث فيه فوائد يجب على الموفق استعمالها ذكرنا منها التعيير بالتعيير ورجوع المقال على من قال والبغي على من بغى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لو سخرت من شيء لخشيت محاره معناه يرجع كهيئته خرجه ثابت قال ومنه قولهم لا تسخر من شيء فيحور بك وقال بعضهم اني لأرى الرجل يعمل العمل فأكرهه فما يمنعني ان أعيبه الا مخافة أن أبتلى به والبلاء موكل بالقول وخرج الترمذي رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قيل من ذنب قد تاب منه ومنه قوله

الحور والكور

في الحديث محاره فيحور بك يرجع مثله وفي القرآن انه ظن أن لن يحور ومنه الدعاء ونعوذ بك من الحور بعد الكور ويروى بعد الكون يقال حار بعد ما كان أي رجع عن حالة صالحة كان عليها ومن قال بعد الكور فهو من كور العمامة أي انها تنتقض وترجع عن حالتها الاولى سريعا والله أعلم وفي المثل حور في محارة أي نقصان في نقصان يقال حور وحور يضرب للرجل اذا كان أمره مدبرا قال الشاعر * والذم يبقى وزاد القوم في حور * أي في نقصان وقال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وفي هذا الشعر

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

أراد غدا لان أصل غد غدو وجاء به على أصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والغدو نقيض الرواح قاله جميع تقدم قول الشماخ

وبردان من خال وسبعون درهما * وآخر البيت * على ذاك مقروظ من القد ماعز *

و يروى من الجلد قوله على ذاك أى ضمت على الدراهم والبردين عيبة مقروظة أى مدبوغة بالقرظ وهو من أدعس الدباغ وأطيبه رائحة وفى الحديث من هذا أتى من اليمن بذهيبة فى أديم مقروظ ومن القرظ * قول الشاعر * وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وكانا رجلين ذهبا يلتمسان القرظ فهلكا ولم يسمع لهما خبر فضرب بهما المثل كما قيل حتى يشيب الغراب يأسا من الشئ المذكور وسيأتى ذكر النعال المدبوغة بالقرظ فى باب الراء ان شاء الله وقوله ماعز هو الشديد يقال فلان ماعز من الرجال اذا كان شديد الامر وماعزة من النساء ويقال ما أمعزه من رجل أى ما أشده وأطيبه ومن الماعزة حديث نجبة بن ربيعة اذ جاءه الحارث بن عوف فقال له انا متحبون بخئت لتمخنى وتنكحنى فقال يا أم فلان أعندك امرأة للحارث بن عوف فانما امرأة الحارث بن عوف المؤدمة المبشرة الماعزة المقروظة قالت عندى جارية من خير نساء قال من هى قالت قرصافة بنت نجبة قال قد زوجته فادفعها اليه قالت واكربها ما خطبت خطبا انما سفرت سفرا كما تنكح الاماء قال ادفعها اليه ثم دفع اليه أربعين حلوبا وقال احتلب هذه حتى تخصب واتق الله وقوله المؤدمة المبشرة فانه يقال للرجل الكامل انه لمؤدم مبشر أى جمع شدة ولينا وذلك انه جمع لين الادمة وهو باطن الجلد وخشونة البشرة وهو ظاهره الذى ينبت فيه الشعر ويقال فى المثل انما يعاتب الاديم ذوا البشرة أى يعاد فى الدباغ يقول انما يكلم من يرجى خيره ومن به شدة أو قوة أو مسكة فيقال من هذا امرأة فلان المؤدمة المبشرة يراد أنها تامة فى كل وجه (تقدم قول عفيرة * فجاؤا متفضلين فى الخال والنعال * وكان حديثها وهى عفيرة بنت عفار وقيل اسمها الشموس أخت الاسود بن عفار وكان سيدا فى جديس انه كان قد ملكهم وغلب عليهم رجل من طسم يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه فبلغ من ظلمه وعتوه انه لا تتزوج فى جديس بكر حتى تحمل اليه فيعتذرها وبعد ذلك تحمل الى زوجها فلما تزوجت الشموس وهى عفيرة المذكورة وكانت ليلة هدائها حملت الى عملوق ليطأها ومعها القيان يغنين ويقلن — قصة طسم وجديس

ابدى بعملوق وقومى فاركبى * وبادرى الصبح بأمر معجب

* فما البكر بعد كم من مذهب *

فلما حملت اليه وافتضها خرجت على قومها فى دمائها شاقة جيب قميصها عن قبلها ودبرها وهى تقول

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس

وأبت ان تمضي الى زوجها وقالت تحرض قومها

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل
فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفر من الفعل
ردونكم طيب العروس فانما * خلقتم لاثواب العروس والكحل
فلو أننا كنا الرجال وكنتم * نساء لكنا لا نقر على الذل

فلما سمعت جديس قولها أنفت وغضبت واجتمعت الى الاسود بن عفار فأجمعوا أن يصنع طعاما للعملوق وأصحابه فيدعوهم اليه فاذا جاؤا متفضلين فى الحلل والنعال نهضوا اليهم بأسيافهم فأتوا عليهم فقالت عفيرة لاخيها الغدر عار وعاقبته بوار صبحوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما فقالوا المكر أمكن من نواصيهم فنفذوا لذهبهم واصطنعوا طعامهم واخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل فلما توافى القوم أتوا عليهم جميعا وأفلت منهم رجل فاستعدى عليهم بعض الملوك فأتاهم فاجتاحهم فصاروا امثلا ولى من لفظ الخال ما قلت من مكفرة لزومية

تظل من كل شئ خال * الا بذكر ذوات الخال

الخال الاول من الخلاء والثانى من الخيلاء وفى هذه المكفرة من هذا التجنيس كثير

منها كم من غنى وكم من وال * أمسى وما له منوال

وفيها هل ثم شئ من الاقوال * أقوى من الذكر آرأ قوالى

ومنها هل صوت ذى نغمة قتال * فى قلب ذى لوعة كالتالى

فى أبيات كثيرة من هذا النوع أنظره بكماله فى التكميل وتقدم ذكر الخال التى هى الشامة وجاء من الشامة فى الحديث ما خرج ثابت فى الدلائل خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فبعث عائشة تنظر اليها فجاءت فقالت يا رسول الله ما رأيت طائلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بخدها خالا اقشعرت كل شعرة منك فقالت يا رسول الله ما دونك ستر قال ثابت الاقشعرار من القشعريرة وهو انتفاش الشعر وقيامه ومنه حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا تحاتت خطاياه كما يتحات ورق شجرة يابسة أصابتها ريح شديدة واذ وقعنا فى ذكر الشامة فلنذكر حديثا خرجه أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم قادمون على

اخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس * وفي حديث سيف بن ذي يزن في صفة النبي صلى الله عليه وسلم بين كتفيه شامة وقد تقدم * ومن الخال أيضا فصل للفقيه أبي محمد عبد الوهاب رضي الله عنه * وسببه انا اجتمعنا ذات يوم ولم يكن حاضرا فذكرنا السودان والبيضان فكان في الطلبة من رأى بزعمه ان له الغلبة ففضل الجواري السود على البيض وأراد النهوض بجناح مهيض واستشهد بقول الشاعر

لام العواذل في سوداء حالكة * كأنها اسواد الليل تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * أني أهيم بشخص كله خال

ذكر البياض والسواد

الى آخر الفصل وهو طويل نبيل النظر بكماله في التكميل ففضل فيه الابيض على الاسود وحكم لعمر الله بالأجود واذ وقعنا في ذكر السوداء والبيضا فلنذكر فيه فصلا أيضا * جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بصلاتكم ملائكة النهار فانهم أرأف من ملائكة الليل وجاء في البياض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ان الله خلق الجنة بيضاء وان أحب الزي الى الله تعالى البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ثم جمع الرعاء فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلطها ببيض وذكر ثابت في الدلائل من هذا المعنى كراهية السواد قال من ذلك ان العرب لا تكاد تصف السواد الا في موضع المناكرة والمنافرة تقول كلمته فما ردّ على سوداء ولا بيضاء أي كلمة حسنة ولا سيئة وفي الحديث كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أسود فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض قال وان احتج محتج بقول الشاعر

آليت لا أعطي غلاما أبدا * دلالة اني أحب الاسودا

قيل له ان الاسود هنا اسم ابن كان له وقوله دلالة أي نحلة ونصيبا من ودّي (قلت) وليس ينكر حب الولد وان كان اسود ألم تسمع قول الشاعر

أراد عرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

ووقع في الاغاني

يديرونني عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وسالم هذا هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (قال ابن الهندي)

فى وثاقه وكان اسود حسن الصبغة وكان يلبس العباءة بنحو الدرهمين وقال ابن قتيبة فى المعارف كان سالم من خيار المسلمين وفقهائهم يكنى أبا عمرو وقال الواقدى أبا المنذر وكان أبوه يلام فى حبه فيقول البيت وقال البكرى فى اللآلى اختلف فى قائل هذا البيت فقال قوم أبو الأسود الدؤلى يقوله فى غلام له اسمه سالم يديرونى عن سالم وأديرهم البيت وبعده

ولو بان منى ملكى لبت مسهدا * ونبهان عما بى من الشجو نائم

ونبهان جار لابى الاسود كان يديره على بيعه ثم مات سالم فقال أبو الأسود الشعر وقال ابن الكلبى ان البيت لعبد الله بن معاوية الفزارى يقول فى ابنه الأشيم واسمه سالم قال الخطابى بسنده الى سعيد بن المسيب قال قال لى عبد الله بن عمر هل تدرى لم سميت ابنى سالما فقلت لا قال باسم سالم مولى أبى حذيفة قال هل تدرى لم سميت ابنى واقدا قلت لا قال باسم واقد بن عبد الله اليربوعى قال هل تدرى لم سميت ابنى عبد الله قال قلت لا قال باسم عبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وممن كان أسود عبادة ابن الصامت وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وغيرهم رضى الله عنهم وقال عبادة للمقوقس حين دخل عليه فهابه المقوقس فقال له عبادة ان فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود لو رأيتهم كنت أهيب لهم وقد تقدم قول الاخضر وهو بلونه يفتخر وهو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب

وأنا الاخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة فى بيت العرب

وفى معنى هذا الشعر

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

ولما سمعه الفرزدق وكان شريفا فى قومه أيضا نضى ثيابه وقال أنا أساجلك فلما انتسب له وتبين انه من ولد عبد المطلب لبس ثيابه وقال والله لا يساجلك الا من عض بذكر أبيه وكان الفضل هذا أحد شعراء بنى هاشم وفصحائهم وكان شديد الادمة وهو هاشمى الابوين وانما أتته الادمة من قبل جدته وكانت حبشية ومن أحسن ما اعتذر به الجون الاسود اللون قول نصيب

كسيت ولم أملك سوادا وتحته * قميص من القوهى بيض بنائقه

والقوهية ثياب بيض وكذلك قيل جسم قوهى قال الشاعر

وذات خدمورد * قوهية المتجرد

ويقال هيش قاه أي مخصب ناعم ولابي الطيب

انما الجلد ملبس وابيضاض الجلد خير من ابيضاض العباء

وفي النوادر لعبد بني الحسحاس

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له * عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق

اسم هذا العبد سحيم وكان حبشيا أعجمي اللسان ومولاه جندل من بني الحسحاس فباعه فاشتراه عبد الله بن أبي ربيعة وكتب الى عثمان رضي الله عنه اني قد ابتعت لك غلاما شاعرا فكتب اليه عثمان لا حاجة لي به فاردده فانما قصارى أهل العبد الشاعر ان شبع أن يشبب بنسائهم وان جاع أن يهجوهم فرده عبد الله فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان شبب بابنته عميرة وفحش وشهرها فحرقه بالنار ومن ملح هذا الفصل وفيه ذكر التحلي بالعشق والتخلي من الفسق كان في شعر العبد سحيم الاسود الذي شبب فيه بابنة أبي معبد

توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحنو رجلها من ورائيا

قلت حق للعاهر الاخرق اذا أحصن ان يرجم ان لم يحرق ثم هذا العبد الاحمق لا يخلو أن يكذب أو يصدق فان صدق فقد عهر وشهر وان كذب فقد فخر وفجر وابتأر وابتهر وفي الحديث الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه والعاقل يستتر ويستحي من ذكر ذنوبه ثم العشاق لا الفساق الى هلم جرا اذا خلا أحدهم بمعشوقه لم يضرب زيد عمرا بل يقنع بالشكوى وذكر حديث البلوى (كما روى) ان اعرابيا قيل له وقد كان طال عشقه بجارية ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يرا كما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين كنت أفعل ما أفعله بحضرة أهلها شكوى وحديث عذب وأعرض عما يسخط الرب وقال آخر كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها وأما العشاق الفساق فأكثر ما ينشدون

رأيت الحب ليس له دواء * سوى وضع البطون على البطون

نعم ولو أمكنهم وضع الرقاق على الرقاق لكان ذلك في الرقاق أف لهم أما علموا ان الحب يفسد بالنكاح ولا يكون بعده فلاح كما قالوا الظفر بالمعشوقة يسقط شطر عشقها والنكاح يفسد الحب قلت واذا كان الخلو والدنو فليترك العلو والغلو فان بعدهما السلو ويستشهد على هذا بما أنشده البكري للمأمون

ذكر العشاق والفساق

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
أو كتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغي الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ذكر هذا شاهدا على ماخرجه أبو على فى النوادر من قول الاعرابى هذا الطالب ولد وكيف مادارت الحال فلا بأس بلعشق الحلال ولا يلام عاشق السوداء اذا بلغ حبها الى السويداء ألم تسمع

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

وسيأتى فى ذكر الكلب الاسود كلام أحسن من هذا وأجود انظره فى باب ناب وقد أذكر فى هذا الخبر أبياتا قلتها لرجل اسمه على وكنت أمرته أن يشترى لى سوداء

أباحسن هجرت نساء دارى * لامر ليس من عيب وعار
ولكن عندهن جفاء قول * واغلاظ يقل له اصطبارى
ويعلن احتياجى كل وقت * لهن فيقتصدن لذا اضرار
فسق لى من هنالك يا عمادى * بالاستعجال منك والابتدار
بها عنهن أستغنى ولو لم * تكن الاسويدا مثل قار
تكون خديمتى وتكون أنسى * وتقضى حاجتى عند اضطرارى
فعجل يا علىّ بها وسقها * الىّ على المراد والاختيار
فتاة بنت خمس بعد عشر * مهفهفة بجسم كالنضار

وجعلت أصفها الى أن قلت آخر ذلك

وطال علىّ ذلك فاختصرنا * ألا ان البلاغ فى الاختصار
تكون مليحة وبذا تسمى * فالاسم هو المسمى لاتمار
فان جاءت على المرغوب أشدو * وأنشد بيت ملذوع بنار
أحب لذاك تين الانبذار * أحب لذاك تين الانبذار

أستغفر الله مما لا يرضاه وخار لنا فيما قدره وقضاه وقد أرينك أعزك الله السواد الظاهر للاجتلاب فانظر فى السواد الباطن للاجتناب * اعلم ان الران هو السواد الذى يغشى قلب العبد من تراكم الخطايا والذنوب ثم لهذا الداء والحمد لله دواء يقلعه ويمحوه وهو التوبة والاقلاع والنزوع والاستغفار أخبر بذلك طبيب القلوب

محمد الحبيب صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى ذكره الله تعالى قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون خرجه الترمذى وقال حديث صحيح ولى من قطعة مطولة

وما اسوداد الوجوه الا * من فعل سوء وشؤم حوب

ما اسود أبناء حام الا * بعد ابيضاض من الذنوب

نعوذ بالله من سواد * على وجوه وفى قلوب

والكذب أيضا مما يسود القلب خرج مالك رحمه الله فى الموطأ عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقول لا يزال العبد يكذب وينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين *(فصل)* تقدم فى شعر امرئ القيس * وفرع يغشى المتن أسود فاحم * أردت أيها الولد أن أفرع لك من لفظة الفرع فروعا فتحلب منها ضروعا تكرع فيها كروعا وتشرع فيها شروعا فدونكها مخلوطة اللغة بالفوائد تزرى بالفرائد فأقول

تقدم ذكر الجد والخال انني * أجيء بشئ فى فؤادى قد وقع

أفسر من بيت امرئ القيس لفظة * هى الفرع فانظر ما تفرع من فرع

ولو كان غيرى ساق ما قد ذكرته * ولم يدره ان كان فى العلم قد برع

عسى ينفع المولى بذلك من قرا * على ومن أصغى بأذنيه فاستمع

ومن كان لى شيخا وعانى الذى * جمعت ويا مولاى لا تنس من جمع

الفرع الشعر الكثير يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء بينة الفرع وهو الشعر التام الذى لم يذهب منه شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع وأبو بكر أفرع وكان عمر أصلع له خفاف وكان على رضى الله عنه أصلع والخفاف أن يكون الشعر حول رأسه كالطرة ولعل عمر رضى الله عنه حين قال له رجل الصلعان خير أم الفرعان قال عمر الفرعان انما عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه و يقال فرع الرجل صار أفرع والفرع الشعر أيضا قالت صبية من العرب لامها اشترى لى لوطا أغطى به فرعى فانى قد عتقت * اللوط الازار وعتقت أدركت وجمعها عواتق ومنه فى الحديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن فى الفطر والاضحى العواتق والحيض وذوات الخدور الحديث

ولشيخي أبي محمد عبد الوهاب رضي الله عنه من قطعة مطولة لزومية

هو الشيب مشتعل في المفارق * فوصلا والا فهجر المفارق
أما في ثلاثين حولا تقضت * له زاجر عن هوى كل عاتق
وكم ذا تحمل عبء الهوى * على ثقله بين أذن وعاتق

وقد تقدم بعضه وفي هذا الشعر

وكم شققت منه قلبا سليما * قدود الغصون خدود الشقائق
وكم خالل القلب حتى تبدت * خلال مصلاه خمس شقائق

شقائق — أنظرها بكمالها في التكميل ولا أخليك هنا من فائدة الشقائق في البيت الاول يريد شقائق النعمان الذي يقال له الشقر كما قال طرفة * وعلا الخيل دماء كالشقر * وشقائق جمع شقة ويجمع على شقق وسميت شقة لبعد طرفيها وليس غيرها من الثياب كذلك ومنه شقة السفر أي بعده والله أعلم وقوله في البيت الآخر خمس شقائق يريد أخوات أو أتراب وقال ثابت رحمه الله في قوله عليه السلام انما النساء شقائق الرجال يقول هن في شبههن بالرجال كعصا ارفضت شقتين فكان الرجل شقة والمرأة شقة والشق والشقيق واحد تقول هذا أخي شق نفسي وشقيقي انتهى كلامه وتصغيره شقيق كما قال الشاعر * يا ابن أمي ويا شقيق نفسي * البيت والفرع أيضا أعلى كل شئ ومنه فرع الشجرة قال الشاعر وكان اتخذ قوسه من فرع شجرة أي من غصن غير مشقوق فاذا كان كذلك قيل قوس فرع والذي يعمل من المشقوق يقال لها قوس فلق فقال

أرمي عليها وهي فرع أجمع * وهي ثلاث أذرع واصبع

ذكر هذا الخبر ثابت في الدلائل وقال يقال رميت عن القوس ورميت عليها ولا يقال رميت بها قلت قد جاء في الحديث ورميه بقوسه وأسهمه في حديث ليس من اللهو الا ثلاث * هذا الكلام في الفرع بتسكين الراء فأما الفرع بتحريكها بالفتح فانه — بالفرع والعتيرة — أول النتاج وقد أفرع القوم اذا نتجوا أول الناس وكانوا في الجاهلية يذبحونه لآلهتهم فلما جاء الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرع ولا عتيرة والعتيرة هي الرجبية ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب لانه أول الاشهر الحرم وخرج أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان على أهل كل بيت في كل عام أضحية وعتيرة أتدرون ما العتيرة هي التي يقول لها الناس الرجبية قال أبو داود

العتيرة منسوخة وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا فرع ولا عتيرة ذكر هذا بعد حديث آخر ان النبي عليه السلام قال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع والفرع أيضا الطول ومنه حديث سودة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة عظيمة تفرع النساء يقال فرعت النساء اذا طلتهن ومنه قيل رجل فارع وفارع اسم أطم حسان بن ثابت رضي الله عنه والاطم اسم كل بناء مرتفع مطول والفرع أن يسلخ جلد فصيل فيلبس فصيلا آخر يعطف عليه سوى أمه ومنه قول أوس بن حجر وذكر أزمة في سنة شديدة البرد

وشبه الهيدب العبام من الأقوام سقبا مجللا فرعا

وتقول فرعت الجبل صعدته كما تقول طلعته بالكسر وأفرعت في الجبل انحدرت منه قال بعض العرب لقيت فلانا فارعا مفرعا يقول أحدنا مصعد والآخر منحدر قال الشماخ * فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي * لا يدهمنك افراعي وتصعيدي ويروى لا يدركنك وقد قالوا افرعت في الجبل تفريعا انحدرت وفرعت الجبل أيضا صعدت ويقال فيهما أفرعت وهو من الاضداد ويقال فرعت بين القوم بالتخفيف اذا حجزت بينهم وفرعت الفرس اذا قدعته باللجام ويقال أفرعت وفرعت رأسه بالعصا اذا علوته بها وافتراع البكر هو افتضاضها مأخوذ من الفصل بين الشيئين وفي الحديث ان جاريتين من بني عبد المطلب جاءتا تشتدان والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فأخذتا بركبتيه ففرع بينهما أي فرق وقد يقال في افتراع الجارية انه ادماؤها مأخوذ من أفرع اللجام الدابة اذا أدمى فاها والفرعة القملة الكبيرة تسكن وتحرك وجمعها فرع وفرع وتصغيرها فريعة وبها سميت المرأة ومن أسماء القملة أيضا الحمكة بتحريك الميم وجمعها حمك قال ذلك أبو زيد قال وقد يقال ذلك في الذرة والحمك الصغار من كل شئ والفرع بالضم موضع وفي الحديث فعادت القبلة وهي من ناحية الفرع وفرعة الطريق أعلاه وقال في البيت * كقنو النخلة المتعثكل * القنو العذق وهو العثكول وهي كباسة النخلة ذو الشماريخ وهي العراجين القضبان الرقاق واحدها عرجون كما قال الله تعالى كالعرجون القديم وفي الحديث من العرجون أن سيف عبد الله بن جحش قطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به فكان يسمى ذلك السيف العون وبيع بعد قتله رحمه الله بمائتي دينار من بغا التركي وواحد الشماريخ

شمراخ والعذق بالكسر هو القنو ويقال له أيضا قنى ويجمع قنى اقناء ويجمع قنو قنوان والعذق بالفتح النخلة والمتعشكل المتوارد بعضه فوق بعض لكثرته ويقال عثكول وعثكال كما يقال عنقود وعنقاد ويقال له أيضا أثكول وأثكال وكذا جاء في حديث المقعد الذي زنى بالوليدة فأمر به صلى الله عليه وسلم أن يضرب بأثكال النخل من أجل ضعفه وضره ويروى بأثكول يعني الشماريخ كذا وقع في الدلائل ووقع في كتاب أبي داود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة (ومعكوس فرع) عرف بمعنى علم والمعرفة عند بعضهم

عرف فوق العلم والعرفان المعرفة والعرف بضم العين المعروف وفي القرآن خذ العفو وأمر بالعرف وعرف الفرس سمي بذلك لتتابعه وفي القرآن والمرسلات عرفا أي يتبع بعضها بعضا بالوحي والرسالة والله أعلم والعرف أيضا موضع والعرف شجر الاترجة والعرف أيضا جمع عرفة مواضع منها عرفة ساق وعرفة الاملح وعرفات جبل معروف وأعراف الرمال ظهورها والاعراف سور بين الجنة والنار حبس عليه رجال استوت حسناتهم وسيآتهم والمعرفة منبت عرف الفرس والعرف بفتح العين الرائحة الطيبة وقيل سواء كانت طيبة أو خبيثة لانهم قالوا ما أطيب عرفه وقالوا في المثل لا يجز مسك السوء عن عرف السوء ومنه قوله تعالى عرفها لهم أي طيبها لهم وقيل يعرفون منازلهم فيها اذا دخلوها وجاء معنى هذا في الحديث لأحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه به كان في الدنيا ومن أمثالهم الكريم سمح عرفه ونقع عرفه والعرف بفتح الراء نبت والعرفة قرحة تأخذ في اليد والرجل وربما أشلت قاله أبو علي والعرف بكسر العين من قولهم ما عرفت عرفي الا بأخرة أي ما عرفتني الا أخيرا والعارفة المعروف ورجل عروفة بالامور أي عارف بها والهاء للمبالغة وتقول عرف الرجل عرافة صار عريفا كما تقول خطب خطابة فان أردت انه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافة كما تقول كتب يكتب كتابة والعريف القيم بأمر القوم وهو النقيب وهو دون الرئيس وجمعه عرفاء وفي الحديث حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم وفي التنزيل من ذكر النقيب وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا والتعريف الاعلام والتعريف أيضا انشاد الضالة والتعريف الوقوف بعرفات يقال عرف الناس اذا شهدوا عرفات وهو المعرف للموقف ومثلوبه

رعف رعف يرعف ويرعف رعافا ورعف بالضم لغة ضعيفة ويقال رماح رواعف اما

لتقدمها للطعن وامالما يقطر منها من الدم ورعف الفرس يرعف ويرعف اذا سبق وقد تقدم واسترعف مثله والراعف طرف الارنبة والراعف أنف الجبل وراعوفة البئر وأرعوفتها حجر ناتئ فى أسفلها ويقال بل فى أعلاها يقوم عليها المستقى وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجعل سحره فى جف طلع ودفن تحت راعوفة البئر وفيها لغتان راعوفة وأرعوفة بالضم حكاهما أبو عبيدة ويقال أيضا راغوفة بالغين المعجمة ومقلوبه أيضا عفر وهو التراب والعفرة غبرة فى حمرة وبه سمى الظبى أعفر وجمعه عفر وعفير اسم رجل وعفيرة اسم امرأة وقد تقدم حديث عفيرة والعفر الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من الشهر لم يذكر ابن قتيبة العفر لكنه قال العرب تسمى ليالى الشهر كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر وثلاث نفل وثلاث تسع وثلاث عفر وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدئ وثلاث محاق وعفرت الرجل بالتراب اذا ضربت به الارض والعفار شجر ومنه استمجد المرخ والعفار وسيأتى والعفر بكسر العين ذكر الخنازير والعفر أيضا الرجل الخبيث وجمعه أعفار والشيطان أيضا عفريت وعفرية وعفارية وللفقيه أبى محمد من قطعة ليالى الشهر

رب غاو كأنه عفريت * ذى هجار الى الخنا خريت

ومقلوبه رفع وهو معلوم ورفع بضم الفاء رفاعة صار رفيعا كما تقول شرف والرفعة ضد الذلة ومن شكل الافتراع الاقتراع بالقاف وهو الاستهام ومن هذا الباب مقراع وهى الناقة التى تلقح فى أول قرعة الفحل ومنه قول ابن الرعيل بن الكلاب تحازمت الى هشام بن عبد الملك وأهديت له ناقة نجيبة فلم يقبلها فلما قوضت سرادقاته وقربت نجائبه قت فقلت يا أمير المؤمنين انها مطواع مسراع مرباع مقراع مسياع فضحك وأمر بأخذها وأمر لى بمال خرجه ثابت أيضا وفسر المقراع بما تقدم وقال مطواع أى تطيع راكبها المكرم لها ومسراع تسرع من نجابتها وفراهتها ومرباع تسبق النوق لحدتها وسرعتها ثم تريع أى ترجع لالفها والمرباع التى تنتج فى أول الربيع وقوله مسياع يعنى انها طليت بالشحم كما يطلى الشئ بالطين والسياع الطين وقوله تحازمت أى عارضته فى ركوبه قال الفراء حازمت الرجل الطريق وهو أن تأخذ فى طريق ويأخذ فى غيره حتى تلتقيا فى مكان ومن غير الدلائل الربيع النماء والزيادة وهو أيضا العود والرجوع كما فى هذا ربع

الخبر ومنه قول البعيث

طمعت بليلى أن تريع وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

وسئل الحسن عن القئ يذرع الصائم فقال هل راع منه شئ فقال السائل ما أدرى ما تقول فقال هل عاد منه شئ والريع بالكسر المرتفع من الارض ومنه قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع أيضا الطريق ويقال الجبل وجاء أيضا رجل مضياع مسياع للمال وهو أيضا مضيع مسيع عن أبى عبيد (وأما القرع) فهو ذهاب الشعر وقد قرع فهو أقرع بين القرع ورجال قرعان وقرع وموضع ذلك من الرأس القرعة ويقال ألف أقرع أى تام والاقرع من الرجال يكنى أبا الجعد كما يكنى الاعمى أبا بصير وكما يقال للغراب أعور على القلب لحدة بصره ويسمى اللديغ سليما من قولهم سليما ومسلوما والسلم لدغ الحية قاله ثابت رحمه الله والقرع فى المراح من هذا وكانوا يستعيذون بالله من قرع المراح وصفر الفناء وقال ثعلب نعوذ بالله من قرع الفناء بالتسكين على غير قياس وفى الحديث عن عمر رضى الله عنه قرع حجكم أى خلت أيام الحج من الناس ومن دعائهم اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء وصفر الفناء وعضال الداء ومن هذا قول الشاعر

وجزال لمولاه اذا ما * أتاه عائلا قرع المراح

قرع

جزال يجزل له من ماله اذا أتاه مولاه وهو ابن عم له أو ما أشبهه عائلا فقيرا قد قرع مراحه فليس له مال ولا ابل ومراحه حيث تأوى ابله اذا انصرفت من مرعاها وقد تقدم قول الاعرابى فقرع مراحى وفنيت أوضاحى والاقرع من الحيات الذى لا شعر على رأسه ومنه الحديث من كان له مال لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع أى قد تمعط شعره لكثرة سمه وجمع الشجاع أشجعة ثم شجعان وقال الشاعر

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

وسيأتى تفسيره والقرعة معروفة والقارعة يوم القيامة وقارعة الطريق أعلاه وقارعة الدار ساحتها وقوارع الدهر شدائده وقوارع القرآن الآيات التى يقرؤها الانسان اذا فزع من الجن أو الانس نحو آية الكرسى كأنها تقرع الشيطان والمقارعة المساهمة يقال قارعته فقرعته والمقارعة أيضا مقارعة الابطال اذا قرع بعضهم بعضا وأما القرع باسكان الراء فهو الدباء المعروف وهو حمل اليقطين ومن

بلفظ الدباء الدبى مقصور وهو الجراد قال امرؤ القيس * اذهن أقساط كرجل الدبى *
والرجل الجماعة منها وأقساط قطع وربما قالوا فى الدباء القرع بتحريك الراء قال
المعرى هما لغتان والتحريك أجود وأنشد

بئس ادام العرب المعتل * ثريدة بقرع وخل

وأكثر ما تسميه العرب الدباء والقرع بالتحريك بثر يخرج بالفصال فى الأعناق
والمشافر ودواؤه الملح وجباب ألبان الابل فان لم يجدوا ملحا نتفوا أوباره ونضحوا
جلده بالماء ثم جروه على السبخة ومنه المثل أحر من القرع وربما قالوا أحر من القرع
بالتسكين يعنون به قرع الميسم وهو المكواة قال الشاعر فى ذلك

كأن على كبدى قرعة * حذارا من البين ما تبرد

والعامة تريد به القرع الذى يؤكل وليس كذلك والمقرع هو المجرو وكما تقدم قال
أوس بن حجر

لدى كل أخدود يغادرن دارعا * يجر كما جر الفصيل المقرع

والفصيل قريع والجمع قرعى مثل مريض ومرضى ويقال فى المثل استنت
الفصال حتى القرعى والقرع أيضا مصدر قرع الشئ يقرعه قرعا اذا ضرب به بعصا
أو غيره ومنه المقرعة ومن القرع قول الشاعر * قرع القواقيز أفواه الأباريق *
وقال آخر العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه
وأنشد ابن قتيبة فى عيون الأخبار

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وأنشد غير ابن قتيبة

وزعمتم ان لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم

ومعكوس قرع عرق والعرق معروف وابن عرق اذا فسد طعمه وعرق الشجر عرق
وأعرق اذا امتدت عروقه والعرق واحد العروق وفى الحديث وليس لعرق ظالم
حق وتفسيره أن يجىء الرجل الى أرض قد أحياها غيره فيغرس فيها أو يزرع
فيستوجب الأرض قال الخطابى يروى على وجهين عرق بالتنوين وظالم نعته
وعرق ظالم بالاضافة يعنى به الغارس والعرق الجبل الصغير والعرق نبات أصفر
يصبغ به ورجل معرق فى الحسب وعرق فيه أعمامه وأخواله وأعرقوا وانه
لمعروق فى الكرم ويقال أيضا معرق كما قال بعض الصالحين ان امرأ ليس بينه

وبين آدم عليه السلام أب حى لعرق له فى الموت وأعرق الفرس صار عريقا
والعراق شاطئ البحر وبه سمى العراق لأنه على شاطئ دجلة والعراق بضم
العين العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق وقد تعرقت العظم واعترقته وعرقته
أعرقه عرقا أكلت ما عليه من اللحم وفى الحديث وفى يده عرق ورجل معروق
ومعترق خفيف اللحم والعرق الطير تصطف فى السماء واحدته عرقة والعرق
السطر من الخيل والعرق السفيفة من الخوص وغير المنسوجة وبه سمى الزنبيل
عرقا وفى الحديث فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر ومقلوبه قعر [قعر]
كل شئ أقصاه وبئر قعيرة وتقعر الرجل وقعر اذا تشدق فى كلامه وتكلم بأقصى
قعر فيه والمقعر الذى يبلغ قعر الشئ * ومقلوبه أيضا رعق يرعق رعاقا وهو صوت [رعق]
يسمع من قنب الدابة والقنب غلاف ذكر الفرس ومقلوبه أيضا رقع الثوب رقعا [رقع]
ورقعته والرقيع الأحمق الذى يتمزق عليه رأيه وقد رقع رقاعة ويقال للرقيع
أرقع والرقيع اسم لسماء الدنيا ويقال كل واحدة رقيع الأخرى وهو الذى ألغز به
الحريرى رحمه الله فى قوله أينام العاقل تحت الرقيع * قال أحببه فى البقيع
عنى بالرقيع السماء وبالبقيع بقيع المدينة شرفها الله وفى الحديث من فوق سبعة
أرقعة جاء على لفظ التذكير كأنه ذهب به الى السقف والله أعلم والرقعة القطعة من
الثوب والأرض وغيره ومقلوبه أيضا عقر العقر والعقر مصدر العاقر من النساء
وقد عقرت المرأة وعقرت تعقر فهى عاقر وعقير وفى التنزيل وامرأتى عاقر [عقر]
ويقال عقرت تعقر والعاقر من الرمل ما لا ينبت والعقردية الفرج المغصوب والعقر
بيضة الديك وعقر الحوض موقف الابل اذا وردت وفى الحديث عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال انى لبعقر الحوض أو بعقر حوضى أو كما قال وعقر الدار وعقرها
محلة القوم ويقال العقر والعقر فرجة ما بين الشيئين والعقر كالجرح والعقر
أيضا القتل ومنه عقر فرسه وفى الحديث عقر جواده وأهريق دمه ومنه معاقرة
الاعراب التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ما كانوا يعقرونه للمباهاة
والفخر وقال عليه السلام لا عقر فى الاسلام وفسر بهذا وبما يعقر على القبور
وسيأتى فى باب الواو ان شاء الله والعقار الضيعة والعقار الخمر والعقار والمعاقرة
ادمان شربها وعقيرة الرجل صوته وأصله ما ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب أنظره
فى الكتب والعقيرة أيضا ما عقرت من صيد وغيره وعقر الرجل اذا دهش ومنه قول

عمر رضي الله عنه فعقرت حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاي والعقر موضع وامرأة عقرى حلقى وهو في الحديث من قول النبيّ صلى الله عليه وسلم ومعناه عقرها الله وحلقها ومن ذلك الدعاء الذي لا يراد وقوعه كما قال تربت يداك وسيأتي ان شاء الله تعالى قال الخطابي قال أبو عبيد انما هو عقرا حلقا على معنى الدعاء معناه عقرها الله وحلقها أي عقر جسدها وأصابها بوجع في حلقها قال الخطابي وقال غيره والعرب تقول لأمه العقر والحلق أي ثكلته أمه فتحلق شعرها وهي عاقر لا تلد وروى عن وكيع بن الجراح قال قوله حلقى هي المشؤمة والعقرى التي لا تلد وقيل هي المشؤمة تحلق قومها وتعقرهم أي تستأصلهم من شؤمها ومما يشبه القرع القزع بالزاي وهو السحاب واحدتها قزعة ومنه الحديث وما ترى في السماء قزعة أي قطعة سحاب قال الزبرقان

ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤمن القزع

قال أبو عبيد أكثر ما يكون في الخريف والقزع من الصوف ما تناتف في الربيع وكبش أقزع منتتف الصوف والقزع أيضا ان يحلق من رأس الصبي بعض و يترك بعض ولعله من هذا يشبه به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء من ذكر القزع ما خرج أحمد عن عدي من حديث أبي هريرة أن النبيّ صلى الله عليه وسلم نهى أن يتغوط الرجل في القزع من الارض قيل وما القزع قال ان يأتي أحدكم الارض فيها النبات كأنما قمت قامته فتلك مساكن اخوانكم من الجن ومن القزع قول الاعرابي الذي وصف الابل فقال هي تطاير قزعا يريد انها طارعنها وبرها من السمن وقال الشاعر

فلما فني ما في الكنائن ضاربوا * على القزع من جلد الهجان المجوف

قوله فني هي لغة في فنى يقولون فنى الشيء و بقى مثله وأنشد

فلولا زهيران أكدر نعمة * لقاذعت عنه ما بقيت وما بقي

خرجه ثابت رحمه الله وقد قالوا سخا يسخو وسخى يسخى ومحا يمحو ويمحى ولم يقولوا محي وسيأتي نوع من هذا و يقال قزع الظبي وغيره يقزع قزوعا أسرع وخف ومنه قولهم قوزع الديك اذا غلب فهرب قال يعقوب ولا تقل قنزع لانه ليس بمأخوذ من قنازع الرأس وهو الشعر حوالي الرأس وانما هو من قزع يقزع اذا خف في عدوه هاربا وواحد القنازع قنزعة وفي الحديث غطي عنا قنازعك

يا أم ايمن وقالوا رجل مقزع رقيق شعر الرأس متفرقه وربما قالوا في جمعها قنزعات قال حميد الارقط يصف الصلع

كأن طسا بين قنزعاته * مرتا تزل الكف عن فلاته

ذلك نقص المرء في حياته * وذاك يدنيه الى وفاته

* لا الرزء في بعيره وشاته *

قزع ومعكوس قزع عزق وهو علاج في عسر ورجل عزق منه ومتعزق والمعزاق المسحاة من الحديد ونحوه مما يحفر به وأرض معزوقة اذا شققتها بالمعزقة

زعق (ومقلوبه) زعق وهو الخوف وقد أزعقه الخوف حتى زعق فهو مزعوق والماء الزعاق المر وقد أزعق الرجل اذا حفر فأنبط ماء زعاقا وبئر زعقة وطعام

زقع مزعوق كثير الملح ومقلوبه أيضا زقع الحمار زقعا وزقاعا اذا ضرط ومن

فزع شكل قزع فزع يقال فزعت اليك وفزعت منك ولا تقل فزعتك والمفزع الملجأ وفلان مفزع للناس يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اذا دهمهم أمر فزعوا اليه فهو مفزع وكذلك هم مفزع وهي مفزع والفزع أيضا الاغاثة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقد فسر هذا الحديث صاحب الكامل في أول الكتاب فانظره هنالك والافزاع الاخافة والاغاثة أيضا يقال فزعت اليه فأفزعني أي لجأت اليه من الفزع فاغاثني وكذلك التفزيع من الاضداد يقال فزعه أي أخافه وفزع عنه أي كشف عنه الخوف ومنه قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم أي كشف

عزف عنها الفزع (ومعكوس فزع) عزف تقول عزفت نفسي عن الشئ تعزف عزوفا أي زهدت فيه وانصرفت عنه والعزيف صوت الجن وقد عزفت تعزف والعازف اللاهي والعازف اللاعب بها والمغني وقد عزف عزفا ومنه قول أبي جهل في قصة بدر * وتعزف بها علينا القيان * وعزف الرياح أصواتها وسحاب عزاف

زعف يسمع منه عزيف الرعد وهو دويه (ومقلوبه) زعف تقول زعفه زعفا قتله مكانه وكذلك ازعفه زعفا ومنه سم زعاف وموت زعاف وزؤاف أيضا مثل زعاف و لزعيفة بالكسر القصيرة واصل الزعانف اطراف الاديم واكارعه وذلك ذم وان

زغف نقطت العين قلت زغف وزغف جمع زغفة وزغفة وهي الدرع اللينة وقال

فرغ الشيباني هي الواسعة بقي من شكل قزع (مرغ) فرغت من الشغل أفرغ فروغا

وفراغا

وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودى فى كذا أى بذلته وفرغ الماء بالكسر يفرغ فراغا مثل سمع سماعا أى انصب وافرغته أنا وحلقة مفرغة أى مصمتة الجوانب والفرغ مخرج الماء من الدلو بين العراقى ومنه سمى الفرغان من منازل القمر والفراغة ماء الرجل وهى النطفة وقوس فريغ واسع السى وذهب دمه فرغا وفراغا أى هدرا لم يطلب به والفراغ فى اللغة على ضربين الفراغ من شغل والفراغ الى الشئ ومنه قوله تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان قيل معناه ستقصد لكم أى لحسابكم أى سنحاسبكم فنعذبكم يقال سأفرغ لفلان أى أجعله قصدى والله تعالى ان يشغله شأن عن شأن وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن معناه يميت ويحيى ما يولد ويعز ويذل ويعطى سائلا ويجيب داعيا ويشفى مريضا ويفك عانيا وشأنه كثير لا يخفى لا اله الا هو (ومعكوس فرغ) غرف الغرف شجر غرف
يدبغ به يقال سقاء غرفى أى مدبوغ بالغرف وربما جاء غرف بالتحريك قال أبو خراش

أمسى سقام خلاء لا أنيس به * الا السباع ومر الريح بالغرف

وسقام اسم واد والغريف الشجر الملتف الكثير من أى شجر كان ومنه قيل أسد الغريف وغرفت الشئ فانغرف أى قطعته فانقطع ومنه قول قيس بن الخطيم

تنام عن كبر شأنها فاذا * قامت رويدا تكاد تنغرف

وغرفت الماء بيدى فانغرف غرفا واغترفت منه وفى التنزيل الا من اغترف غرفة بيده أى مرة واحدة وقرئ غرفة بالضم وهو اسم للمغروف منه لانك مالم تغترفه لا تسميه غرفة والجمع غراف مثل نطفة ونطاف وزعموا أن ابنة الجلندى وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت فى البحر فقالت * يا قوم نزاف نزاف * لم يبق فى البحر غير غراف * والغرفة العلية والجمع غرفات وغرفات وغرفات وغرف وفى التنزيل أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وهم فى الغرفات آمنون والمغرفة معلومة ما يغترف به (ومقلوبه رفغ) الرفغ السعة والخصب يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة رفغ
اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ واسع طيب وترفغ الرجل توسع والرفغ والرفيغ واحد الارفاغ وهى المغابن من الآباط وأصول الفخذين (ومقلوبه أيضا فغر) يقال فغر
فغرفاه أى فتحه وفغرفوه انفتح وانفغر النجم والنجم الثريا يقال ذلك فى الشتاء لان الثريا اذا توسطت كبد السماء من نظر اليها فغرفاه والفاغر ضرب من الطيب

وهو أصل البلوغ (ومقلوبه أيضا رغف) جمع رغيف قال الراجز

ان الشواء والنشيل والرغف * والقينة الحسناء والروض الانف

* للطاعنين الخيل والخيل قطف *

ويجمع رغيف أيضا رغفان مثل كثيب وكثبان وأرغفة مثل قيص وأقمصة (ومقلوبه أيضا غفر) بمعنى ستر ومنه غفر الله لنا أي ستر وغطى عيوبنا ومنه مغفر الرأس أي الذي يستره

خرجت من شئ الى غيره * من آب حتى سقت فيه وأب

وكله علم ومن يخله * فانه خلو من أم وأب

(فصل) مما بقي من فوائد هذا الفصل تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يضرب المقعد الذي زنى بالوليدة بمائة شمراخ ضربة واحدة قلت ولعل هذا أخذه صلى الله عليه وسلم من فعل أيوب عليه السلام حين حلف أن يضرب امرأته مائة ضربة ففرج الله عنه وعنها بأن قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فأخذ شمراخا فيه مائة عرجون فضربها به ضربة وكان سبب يمينه ما روى وهب بن منبه قال كان أيوب عليه السلام من ذرية العيص بن اسحاق وتزوج ليا ابنة يعقوب عليه السلام وقيل بل كانت زوجته رحمة ابنة افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكانت أم أيوب ابنة لوط عليه السلام وان ابليس اللعين سمع تجاوب ملائكة السموات بالصلاة على أيوب حين ذكره ربه وأثنى عليه فأدرك ابليس الحسد والبغي فسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلطه على ماله دون جسده فأذهب ماله كله فشكر أيوب عليه السلام ربه ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه فسأل ابليس أن يسلطه على ولده فأهلك ولده فشكر الله أيوب ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه فسأل ابليس أن يسلطه على جسده فسلطه عليه دون لسانه وقلبه وعقله فجاءه وهو ساجد فنفخ في منخره نفخة اشتعل بها جسده فصار أمره الى أن تناثر لحمه فأخرجه أهل القرية من القرية الى كناسة خارج القرية فلم يغيره ذلك عن عبادة ربه وذكره ومما أرويه عن الحافظ رحمه الله بالاسناد الصحيح أن أيوب عليه السلام لما ابتلى قال لنفسه قد نعمت سبعين سنة فاصبري على البلاء سبعين سنة خرجه الثقفي في الاربعين له قلت لعله يهجس في خاطرك أن تقول مثل هذا العبد الصالح يبتليه الله بمثل هذا البلاء وهو الكريم عليه والعزيز لديه فاعلم ان البلاء للانبياء والاولياء كرامة ورفعة وبكفي أيوب عليه السلام شرفا وفضلا أن ابتلاه أياما قلائل وبقي الثناء عليه

قصة أيوب

يتلى فى الصلاة و يقرأ فى المساجد انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب وقال أبو طالب فى كتاب القوت وذكر هذا المعنى قال و بين ذكر سليمان بهذا النعت و بين ذكر أيوب عليه السلام بهذا الثناء ثلاثة عشر مدحا يزيد بها أيوب على سليمان عليهما السلام وعدّدها كلها أنظرها فى الكتاب المذكور وقد جاء فى الحديث ان الانبياء أعظم الناس بلاء ثم الامثل فالامثل لكن الله أعلم حيث يجعل رسالته وفى كتاب الاربعين للثقفى المذكور عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة وأهل الصيام وأهل الصدقة وأهل الحج فيوفون بالموازين و يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان و يصب الاجر عليهم بغير حساب وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أصاب أيوب البلاء أخذ ابليس تابوتا وقعد على الطريق يداوى الناس فجاءته امرأة أيوب فقالت له أتداوى رجلا به علة كذا قال نعم بشرط انى ان شفيته قال لى أنت شفيتنى لا أريد منك أجرا غيرها فجاءت امرأة أيوب الى أيوب فأخبرته فقال ذلك الشيطان والله ائن برأت لاضربنك مائة فكان ماتقدم * حدثنى بعض اشياخى قال رحل رجل فى طلب العلم الى بغداد فقرأ ماشاء الله ثم بدا له فى الانصراف الى وطنه فاكترى دابة وخرج من البلد فوقف المكترى يشترى بعض حوائجه فسمع رجلا بقالا فى حانوته يقول لآخر فى حانوته أيضا أى فل ألم تر مايروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يجيز الاستثناء فى اليمين بعد سنة قال له صاحبه وماذاك قال ذاك باطل قال له ومن أين تقول ذلك قال تفكرت البارحة فى قول الله تعالى فى قصة أيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلو كان الاستثناء ينفع لقال له قل ان شاء الله ولا تحنث فقال هذا الطالب للكارى ردنى الى البلد ان بلدا باعته فى هذه المنزلة من العلم فضلا عن العلماء لا ينبغى أن يرحل عنه هذا معنى الحكاية وقد ذكرت هذه الحكاية لبعض العلماء فقال يحتمل أن يكون ذلك فى شريعة أيوب عليه السلام وليس فى شرعنا والله أعلم * وتقدم المعرفة منبت عرف الفرس وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم رأيتك يارسول الله واضعا يدك على معرفة فرس وأنت قائم تكلم دحية الكلبى قال أوقد رأيتيه قلت نعم قال فانه جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام ورحمة الله و بركاته وجزاه الله خيرا من زائر ودخيل ونعم الصاحب ونعم الدخيل * وتقدم الاقتراع ومنه حديث حميد بن هلال رحمه الله

وذكر شأن يونس عليه السلام قال ركب مع قوم في سفينة فجعلت السفينة لا تمضي فقال بعضهم لبعض ما هذا الا بذنب بعضكم فاقترعوا أيكم يلقى في الماء قال فاقترعوا وبقي سهمه في الشمال خرجه ثابت وقال قوله وبقي سهمه في الشمال يعني أن سهمه خرج مقمورا قال الشاعر

رأيت بني العلات لما تظافروا * يحوزون سهمي دونهم في الشمائل

وذلك أن الضارب بالقداح اذا خرج المنيح أمسكه بيده الشمال لانه لاحظ له فيقول صير واحظي في الشمائل أي صير واحظي المنيح ولم يعطوني شيئا ومعنى تظافروا تعاونوا وخرج أيضا عن سالم بن أبي الجعد في قصة يونس فأوحى الله الى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما وفسره قال صريت الشيء قطعته انتهى كلامه والمنيح من سهام الميسر وهي عشرة ذكرها أبو عبيد وغيره سبعة منها لها أنصباء وثلاثة لا شيء لها فمن التي لها سهم المعلى ومن التي لا شيء لها المنيح أخذ هذا المعنى الشاعر فقال

فسهمي من قطيعته المعلى * وسهمي من مودته المنيح

وهذا الشيء مستحسن مليح وجاء في الهداية تقول العرب اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين عندك ولا تجعلني من المتأخرين وهو قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أي أصحاب التقدم وأصحاب التأخر وأنشد

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني * فأفرح أم صيرتني في شمالك

وسيأتي في باب الهاء نوع من هذا في الايسار والميسر * وتقدم ذكر القرع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكله ويحبه ويقول نكثر به طعامنا وروى أبو طالوت قال دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع ويقول يالك من شجرة ما أحبك الى لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وفي حديث آخر عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع في الصحفة يعني الدباء فلا أزال أحبه وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من أكل الدباء فقلت يارسول الله انك تكثر من أكل الدباء قال انه يكبر الدماغ ويزيد في العقل ومن ملح هذا الفصل أن الغراب يقال له أعور ويقال له أيضا أبو البيضاء وأنشدني بعض الاصحاب ولم يسم قائله

لي عبد سوء وعبد السوء منقصة * والمسترق لعبد السوء مولاه

قالوا اسعادة فأل من سعادته * كأنهم جهلوا اسما ضد معناه

هذا الغراب أبو البيضاء كنيته * فانظر بأى سواد خصه الله

وتقدم المقرعة وأنشدني الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب قال كنت أمشى في الشعواء في موضع قفر واذا بأيل فلما رآني نفر مني وفزع وكان على عنقي أشياء أحملها فقلت وهو لز ومى

ألا لا تكثر الرعبا * فلست بمن به تعبا
وكيف تخاف من عدوى * ضعيف حامل أعبا
ولكن ليت مقرعة * تفتت ذلك الكعبا

وتقدم * لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا * هذا البيت للمتلمس وسببه ان سعيد بن مالك كان عند بعض الملوك فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا ينزله فبعث عمرو ابن مالك بن ضبيعة وهو الذى قيل فيه البيت المتقدم فأبطأ عليه فقال الملك لئن جاء ذاما أو حامدا لنقتلنه فلما جاء عمرو وسعيد عنده قال سعيد للملك أتأذن لى فأكلمه قال اذا أقطع لسانك قال فأشير اليه قال اذا أقطع يدك قال فأومئ اليه قال أقطع جفن عينك قال فأقرع له بالعصا قال اقرع فأخذ العصا فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزها بين يديه فلقن عمرو فقال أبيت اللعن جئتك من أرض بعيدة زائرها واقف وساكنها خائف والشبعاء بها نائمة والمهزولة ساهرة جائعة ولم أر خصبا محلا ولا جدبا مهزلا وتقدم * ان العصا قرعت لذى الحلم وهذا البيت للحارث بن وعلة ومعناه ان الحليم اذا نبه انتبه وأصله أن حكيما من حكماء العرب عاش يقضى بين الناس ثلثمائة سنة يقال هو عمرو بن حممة الدوسى فلما كبر وأهتر قال لابنته اذا أنكرت من فهمى شيئا عند الحكم فاقرعى المجن بالعصا الأرتدع ويقال الزموه السابع من ولده يقرع له العصا اذا غلط * وتقدم العرق ومنه حديث الاعرابى الذى أكل عرقا فلما بقى العظم يلوح قال لاحد أولاده وكانوا ثلاثة ان أعطيتك هذا العظم ما أنت صانع به فقال أتعرقه حتى لا أدع فيه لذرّ مقيلا قال له لست بصاحبه ثم قال لاخيه مثل ذلك ما أنت صانع به قال أتعرقه حتى يمر المار به فلا يعلم ألعامين هو أم لعامه الاول فقال لست بصاحبه فقال للآخران أنا أعطيتكه ما أنت صانع به قال أدقه ثم أسفه فقال أنت صاحبه فأعطاه اياه أو كما قالوا هذا معناه

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى باء وتاء
لعل الله ينفعنى مسنا * بما ألفته زمن الفناء

ومقلوب البيت ﴿وباه وباء وباء وبا * وتاه وثاء وبل وبل﴾

أما باء الاول فحرف من حروف الهجاء وسيأتي الكلام عليها وعلى مخرجها مع الالف في باب لفظة القافية ان شاء الله وأما باء الثاني فالنكاح يقال باء وباه وباءة وباهة ويقال للجماع نفسه باءة وكذلك لعقد النكاح وأصله من المباءة والباءة وهو في اللغة المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا ويجمع على باآت قال الراجز

ان كنت تبغي صالح الباآت * فاعمد الى هاتيكم الابيات

وأفصح هذه اللغات ما نطق بها الرسول عليه السلام حين قال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والوجاء نوع من الخصاء ممدود مهموز ومعناه والله أعلم انه يضعفه ويكسر عنه شهوة النكاح وكذلك جاء في الصوم انه مجفئ أي يقطع شهوة النكاح وسيأتي الوجاء والكلام عليه مستوفى في باب الجيم ان شاء الله وكذلك يأتي الحض على النكاح في باب النون بحول الله * وقال عبد الملك بن مروان من أراد الباءة فبنات يزيد ومن أراد النجابة فبنات فارس ومن أراد الخدمة فالروم * ومن شكل باءة باء يقال للبيت الخالي باء ومن أمثالهم المعزى تبهي ولا تبني وذلك انها تصعد على الأبنية وهي الأخبية فتبهيها أي تخرقها ومع ذلك فان الخباء لا يكون من شعرها انما يصنع من الصوف ذكر معناه أبو عبيد في حديث النبي عليه السلام وسمع رجلا حين فتحت جزيرة العرب أو قال فتحت مكة يقول أبهوا الخيل فقد وضعت الحرب أوزارها فقال عليه السلام لا تزالون تقاتلون الكفار حتى يقاتل بقيتكم الدجال * قوله ابهوا الخيل أي عطلوها من الغزو وكل اناء فرغته فقد أبهيته ومنه قيل للبيت الخالي باه كما تقدم وفي مسند البزار نوهي بالخيل والسلاح وزعموا ان لا قتال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوا الآن جاء القتال وأما باء الثالث ففعل ماض تقول منه باء الشيء يبوء بوءا رجع وباء بذنبه احتمله وانصرف به وفي القرآن العزيز أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وقوله تعالى فباؤا بغضب على غضب واني أريد أن تبوء باثمي واثمك ولا يكون الا في الشر ثم قال تعالى بعد ذلك من أجل ذلك أي من سبب ذلك وقيل من جراء ذلك وجراء بالمد والقصر ويقال فعلته من أجلك بالفتح والكسر ومن أجلالك أي من جرالك والاجل بالكسر لا غير القطيع من بقر الوحش والجمع آجال والاجل أيضا

وجمع

وجع فى العنق يقال منه أجل الرجل اذا نام على عنقه فاشتكى تقول بى اجل فاجلونى منه أى داوونى والاوّل مثله كذلك وجع فى العنق والأجل بالفتح مدة الشئ وأجل مسكن اللام بمعنى نعم هو جواب مثله ويصلح فى التصديق اذا قيل لك أنت تذهب فقل أجل هو أحسن من قولك نعم ونعم فى الاستفهام أحسن اذا قيل لك أتذهب فقل نعم هو أحسن من أجل قاله الاخفش ويقال باء بفلان اذا قتل به وأبأت بفلان قاتله قتلته به واستبأت به استقدت به وباء بدم فلان أقرّ به على نفسه من قولهم بؤ على نفسك بكذا أى اعترف به وأقرّ وقال الاعشى * أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * وأماو بأفانه مهموز مقصور وفيه لغة أخرى وباء ممدود وجمعه على هذه اللغة أوبية وعلى مثل المقصور أوباء والواو أصلية فى هذه اللفظة أدخلتها مع أخواتها لاقامة الشكل وتركت همزه ضرورة لانهم أجازوا ترك الهمز فيما يهمز ولم يجيزوا همز مالا يهمز والوباء الحمى وقال صاحب كتاب العين الوباء الطاعون وأرض وبئة وموبئة وقد وبئت وأوبأت ومن هذا الشكل من غير المعنى أوبأت وذلك انهم قد يبدلون الميم فى أومأت باء فيقولون أوبأت قال الفرزدق

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أوبأنا الى الناس وقفوا

ويقال فى هذه أيضا ومأ وأومأ وأوبأ كما تقدم ووبأ وقيل الايباء ايماء الى خلف وأنشد شاهدا على ومأ * وما كان الا ومؤها بالحواجب * وصدره * فقلنا السلام فاتقت من أميرها * (فصل) * ومما يقرب من هذا الباب مما لا يتزن بأى يبأى بأوا اذا افتخر وزنها وسيأتى مع نأى ينأى فى باب النون ومثل بأى ثأى بمعنى أفسد قال صاحب العين الثأى الافساد ومثله الثأى يقال فى الجراحات والقتل ونحوه وفى خرم الخرز يقال أثأيت خرز الاديم وهو أن تغلظ الاشفى وتدق السير فيسيل الماء (ومن مضاعف هذا الباب) البأبأة هدير الفحل وبأبأت الرجل اذا قلت له بأبى أنت ومن العرب من يقول بأبأنا ومنهم من يقول بيبنا وكذا جاء فى الحديث بهذا اللفظ ذكره البخارى وغيره وقال بعض العلماء أظنه المازرى فيه ثلاث لغات بأبأنا وبيبنا وبيبا لين الهمزة وأبدل منها ياء قال الفراء من قال بيبنا توهم أنه اسم واحد فجعل آخره بمنزلة سكرى وغضبى قال الشاعر

ألا بيبا من لست أعرف غيره * ولو درت أبغى ذلك الشرق والغربا

وقالت امرأة * يا بأبى أنت ويا فوق البيب * وقال الشاعر

الثأى الاولى كالسعىَ والثانية كما لترى قوله البأبأة صوابه بأبيه وزان قبقبه كما فى القاموس ولسان العرب

وصاحب ذي غمرة داجيته * بأبأته وان أبى فديته
* حتى أتى الحيّ وما آذيته *

والبؤبؤ الاصل يقال بؤبؤ الكرم والبؤبؤ أيضا السيد الظريف الخفيف ومن أسماء السيد أيضا البدء والذي يليه في السود ديقال له الثنيان قال الشاعر

ثنياننا ان أتاهم كان بدأهم * وبدؤهم ان أتانا كان ثنيانا

و يأتي من مقلوب وبأ وأب وقد يتقدم ذلك مع أوب وبأو (وأما تأ وثأ) فهما من حروف المعجم وسيأتي الكلام عليهما مع الهاء ان شاء الله وأتدم هنا وثأ اذا جعلت الواو أصلية وهمزت الالف من غير تنوين مثل وجأ فيه يريد فعلا تقول منه وثأ فلان رجل فلان أو يده اذا أصابه بكسر أو نحوه وكذلك وثئت يده مثل خدعت وعثيت

خرجت من شيء الى غيره * من باب باء ثم تاء وثا
وكله علم ومن لم يكن * لديه علم نفسه قد وثا

(فصل) من الفوائد الزوائد تقدم اني أريد أن تبوء باثمي واثمك نزلت في هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام وكان هابيل مؤمنا وقابيل كافرا وقيل كان عاصيا ولم يكن كافرا وروى انه حسد أخاه بسبب أخته التي ولدت معه في بطن وأمر آدم أن يزوجها من هابيل على ما كان يصنع من تزويج ذكر بطن من أنثى البطن الاخرى وقيل انه زوجها من هابيل فحسده على ذلك فلما قربا القربان الذي وصفه الله تعالى وكان قربان هابيل كبشا فتقبله الله تعالى منه وحبسه عنده حتى أخرجه لابراهيم عليه السلام فداء لابنه وكان قربان قابيل زرعا فلم يتقبل وكان علامة تقبل الله القربان أن تأتي نار من السماء فتأكله فازداد قابيل حسدا لهابيل فقال له لأقتلنك فقال له أتقتلني اذ لم يتقبل قربانك وانما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين اني أريد أن تبوء باثمي واثمك قيل معنى ارادته انه أراد الثواب بكف يده عن قتله فصار في ذلك بمنزلة من يريد الاثم لاخيه مجازا وقيل لما كان لا بد قاتلا أو مقتولا أراد أن يكون مقتولا ضرورة وليست بارادة محبة ولا شهوة وقيل المعنى اذا قتلتني أردت لك ذلك لان الله أراد لقاتل ومعنى اثمي واثمك فيما روي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما اثم قتلك اياي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقيل باثم قتلك اياي واثمك الذي لم يتقبل قربانك من أجله عن مجاهد وقيل قال ذلك لانه

لو بسط يده اليه لأثم فرأى انه اذا أمسك يده عنه رجع اثمه على صاحبه الذى بسط يده اليه وقال الحسن كان هذان اللذان أخبر الله عنهما من بنى اسرائيل وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما هما ابنا آدم لصلبه كما تقدم قال مجاهد لم يدر كيف يقتله حتى علمه ابليس قال ابن عباس وابن مسعود وجده نائما فشدخ رأسه بحجر ولما قتله ندم على قتله فقعد يبكى عند رأسه اذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له فدفنه ففعل القاتل بأخيه كذلك ويروى انه حمله على عنقه سنة حتى بعث الله له غرابين يقتتلان كما تقدم والسوأة يراد بها العورة وقيل يراد بها جيفة المقتول وجاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وفى رواية لانه أول من سن القتل وفى أخرى لا تقتل نفس ظلما * وتقدم بؤ على نفسك بكذا أى اعترف وأقر به وجاء منه فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة خرجه البخارى وفى الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ويقال باء بذنبه اذا احتمله كرها لا يستطيع دفعه عن نفسه كما باءت اليهود بغضب الله نعوذ بالله من غضبه وجميع سخطه وتقدم ذكر الحمى والوباء وجاء من ذلك فى الحديث لما قدمنا المدينة نالنا وباء من وعك شديد والوعك اصابة المرض ومسه قال عليه السلام انى لأوعك كما يوعك رجلان منكم وقال له بعض أصحابه ذلك بأن لك أجرك مرتين قال أجل أو كما قال عليه السلام وقالت عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر يقول اذا أخذته الحمى

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله وكان بلال يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

شامة وطفيل جبلان بينهما وبين مكة عشرون ميلا ويروى وقفيل بالقاف وهذه

كلها مواضع بمكة وما يليها قاله البكري وقال الخطابي كنت أحسبهما جبلين حتى وقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء ذكر ذلك في كتاب الاعلام قلت ويحتمل أن يكونا عينين في جبلين ولا يكون خلاف بين الخبرين والاذخر حشيش بمكة معروف والجليل الثمام وسيأتي فيه الكلام ومجنة موضع وقع في النوادر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما سمع بلالا ينشد هذا البيت حننت يا ابن السوداء قلت انظر حنين بلال الى تلك الجبال ولم تزل الشعراء على قديم الزمن تذكر الحنين الى الوطن وقد تسلسل ذلك الامر وانجر الى هلم جرا هذا ابن ميادة يقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي الخزامى حيث ربتني أهلي
بلاد بها نيطت على تمائمي * وقطعن عني حين أدركني عقلي

وقال آخر

بلاد بها حل الشباب تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

وكان عامر بن فهيرة يقول

اني رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة فاجاب الله دعاءه قال عليه الصلاة والسلام رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة وهي الجحفة خرجه البخاري وقال أبو طالب في كتابه قوت القلوب لما جاءت الحمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذهبي الى أهل قباء وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى رجال يحبون أن يتطهروا أي بالامراض من الذنوب ولذلك سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه وفي خبر حمى يوم كفارة سنة قال لان حمى يوم تدخل في جميع المفاصل وفي الانسان ثلثمائة وستون مفصلا عدد أيام السنة فله بكل مفصل كفارة يوم وبسبب هذه الدعوة يقال ان الطائر كان يمر بغدير خم فيسقم وغدير خم فيها وهو على ثلاث اميال من الجحفة يسرة على الطريق ويقال ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم فمن أجل ذلك لا تسكن وهي أرض خجعة والله أعلم ويقال ان مهيعة قريب من الجحفة والجحفة ميقات أهل الشأم والمغرب وهي من جهة البحر بينها وبينه نحو من ستة اميال ويقال انما سميت بهذا الاسم لان الوباء اجتحفها ومن الحمى

حديث عائشة أخذتها حمى نافض فى حديث الافك وفى رواية أخرى قالت عائشة فارتكبنى صالب من الحمى قاله ثابت أيضا قال والصالب من الحمى مالا ينفض وقد يذكر و يؤنث قال الكسائى يقال صلبت عليه الحمى فهو مصلوب عليه وفى خبر عن عبد الرحمن بن حفص قال قدم رجل من بنى كلاب المدينة يكنى أبا حبال فنزل على أبى ومعه ابنه حبال فلم ينشب حبال أن وعك ثم مات فقام أبى لحاجته حتى اذا هممنا أن نواريه فى أكفانه قال أبوه لابى دعنى حتى أدخل فأسلم عليه فقال له أنت وذاك قال فدخل فأكب عليه فسمعناه يقول

فلولا حبال لم تنخ بى مطيتى * بأرض بها الحمى بوجه وصالب
وقائلة أرداك والله حبه * بنفسى حبال من خليل وصاحب

فلم يزل يرددها حتى همد أصوته فقال لنا أبى ادخلوا على الرجل فانى أراه قدمات فدخلنا عليه فوجدناه قدمات والامراض والعلل كفارة الذنوب والخطايا والحمى من جملتها وفيها حبس عن المعاصى وضعف عن ارتكابها ولا يبتلى الله بذلك الا من يحب كما روى عن الله تعالى انه قال الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحب من خلقى وفى الحديث لا تزال الحمى بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة وقال بعضهم علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ويقال سبب دعائه عليه الصلاة والسلام وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ان الجحفة اذ ذاك كانت لأهل الشرك ويقال انما قال ذلك عليه السلام لان الحمى كما قال حظ كل مؤمن من النار فلم يكن عليه السلام ليدعوا أن تنقل الى أرض فارس والروم فلا تصيب أمته وهى حظهم من النار و فى الحديث بشرى ان شاء الله لمن أصابته الحمى من أمته فى الدنيا انها حظه من نار الآخرة ولذلك نهى عن سبها حين دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبى الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد والزفزفة صوت المرتعد من البرد وقال فيها الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وجاء فى لفظ آخر الحمى رائد الموت وسجن الله فى الأرض فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوه عليكم فيما بين الصلاتين قال يعنى المغرب والعشاء خرجه ثابت بن قاسم فى الدلائل وقال فى تفسير سجن الله فى الأرض يريد انها تمنع من التقلب والتصرف كما يمنع المسجون قال وحدثنا اسماعيل الأسدى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنى عاصم بن بهلول قال دخلت على شيخ

الاعراب له زهد وورع قد أحرضته العلة وهو يتقلب على فراشه وينظر فى وجوه اخوانه فقلت له كيف تجدك قال انظروا الى فتى معتبر أسير الله فى بلاده يتقلب على فراشه وينظر فى وجوه أحبته لا يستطيعون كشف كربته يريد المرض فلا يستطيع وما عليه غل ولا قيد وأسير الملوك فى المطابق والحبوس وفى الأغلال والقيود وأنشد يقول

أسير الملوك له المطبق * ومن دونه رتج مغلق
واما هو وانا بثقل الحديد * وضرب السياط التى تحرق
وأما أسير مليك العباد * وان حازه الغرب والمشرق
ففى بيته وعلى فرشه * أسير وظاهره مطلق
يطيل التقلب فوق الفراش * مخلى وبالحتف موثق
ففى مثل هذا وفى شبهه * دليل على الله مستنطق

قوله فى أول بيت رتج فانه الباب المغلق ويقال له الرتاج وقالوا فلان فى كلامه رتج أى تتعتع وعى وهو من قولهم رتج فلان وبكم اذا انقطع عن الكلام وكذلك أرتج على فلان اذا أراد قولا فلم يصل الى تمامه ويروى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه ثم قال الحمد لله ان أول كل مركب صعب وان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام قائل وان أعش تأتكم الخطبة على وجهها وتعلم الناس ان شاء الله ونوع من هذا أرتج على أمير يوم عيد الأضحى فسكت طويلا ثم قال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال وانى لا أجمع عليكم عيا ولوما من كانت له أضحية فليضحها ومن لم تكن له فعلى تمنها قوموا رحمكم الله أو كما قال ومن أحسن ما قيل فى خطيب

ركوب المنابر وثابها * معن بخطبته مجهر
تريع اليه هوادى الكلام * اذا خطل النثر المهمر

هذان البيتان لابن بطحاء العدوى قالهما متمثلا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى معاوية يترحم عليه فى حديث مدحه به قال فى آخره وكان والله كما قال ابن بطحاء العدوى وذكر البيتين (رحيق) وقوله فى الحديث فأبردوها بالماء وشدتها من الحرارة فلذلك أمر بردها بالماء ومنها الحمى تدعى فى أمه سخن يستقى بها الأعلاء

والمرضى وفي الحديث العالم كالحمة يأتيها البعدى ويزهد فيها القربى ومنه الحميم القيظ والحميم المطر الذى يأتى فى شدة الحر والحميم العرق وسيأتى ذكره مع ماشاكله فى باب حم ان شاء الله والحميم أيضا الماء الحار والحميمة مثله وفى البخارى وتوضأ عمر بحميم ومنه قول أبى هريرة لابن عباس رضى الله عنهما حين ذكر له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوضوء مما مست النار فقال له ابن عباس أتوضأ من الدهن أتوضأ من الحميم يريد الماء السخن فقال له أبو هريرة يا ابن أخى اذا سمعت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تضرب له الأمثال ومنه الحمام أيضا والحميم العرق وقد استحم اذا عرق ويقال لمن دخل الحمام طاب حميمك أى عرقك لان الصحيح يطيب عرقه وقيل للصديق حميم كما قال الله تعالى ولا صديق حميم قال أهل التأويل الحميم من الناس الخالص ومنه حامة الرجل كأنهم الذين يحرقهم ما أحرقه مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار ومنه حمة العقرب والزنبور يعنى حرارة لدغهما والله أعلم وأما قوله تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم فان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان خرجه الترمذى فى الصحيح واليحموم الدخان ويأتى فى باب الحاء طرف من هذا الكلام ان شاء الله تعالى

(فصل فيما تقدم من اللغات فى فصل الفوائد) تقدم فى بيت ابن ميادة حيث ربتنى أهلى يقال ربيت الصبى وربيته تربية وربيت الأمر أربه ربا اذا أصلحته قال الشاعر

يربون بالمعروف معروف من مضى * وليس عليهم دون معروفهم قفل

ومنه قولهم ربيت الرزق أصلحته بالرب والأصل فى هذه اللفظة الزيادة والاتمام تقول ربيت النعمة عند فلان تممتها وزدت فيها ومنه ربيت الصبى كما تقدم والربيب ولد المرأة وكان عمر بن سلمة وأخته زينب ربيبا النبى صلى الله عليه وسلم أمهما أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم والربيبة الحاضنة والربيبة أيضا الجارية فى الخدر وقالوا فلانة ربة بيت والربة أيضا العزى وكانت تسميها ثقيف الربة وسيأتى حديثها والراب زوج الأم والربى الشاة التى تربى ولدها ذكره مالك فى الموطأ وهى الحديثة الوضع وجمعها ربات والرباب اسم امرأة والرباب أيضا العود الذى يغنى به

والرباب السحاب والربابة بالكسر خرقة تجعل فيها القداح والربرب القطيع من بقر الوحش والرب الله تعالى ذو الربوبية والرب المالك والرب المربي وسيأتي في آخر الكتاب تفسير قوله تعالى اذهب أنت وربك انه هارون لأنه ربي موسى عليهما السلام ورب وربو ربما وربما كلمة يراد بها التقليل وقد جاء انه يراد بها التكثير

(فصل) الميم في مهيعة زائدة والهاء للتأنيث كما يقال أرض قفر فاذا أردت منزلة أو محلة قلت قفرة والأرض المهيعة الواسعة المنبسطة والطريق المهيع مفعل من التهيع وهو الانبساط ومن قال فعيل فقد أخطأ لانه ليس من كلام العرب فعيل الا وصدره مكسور مثل عثير وحذيم قاله ثابت رحمه الله

(فصل) آخر في قوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم يقال فاحت القدر تفيح اذا غلت وفاحت الشجة اذا نفحت بالدم * قلت ومعلوم ان الشجة والدم رائحتهما وبيلة قبيحة ألم تر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في رائحة دم المقتول في سبيل الله كيف يأتي يوم القيامة كما قال اللون لون دم والريح ريح مسك فلولا أن رائحة الدم عندنا في الدنيا كريهة لما كانت في الآخرة محمودة كرائحة المسك كما قال في مثل هذا لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فاذا كما يقال فاح الطيب فوحا بالواو يقال في ضده فيحا بالياء والله أعلم

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وفيه قد أتتك لغات شتى
فخذ هذا وذا واشدد عليه * يديك بنى واقبل ما تأتى
وها أنا ذا أعود أفي بشرطي * وأكتب بعد ذا أباوأتا

مقلوب البيت حرف بين ألفين

وأبا وأتا وأتا وآبا * وأبا وأتا وبل وبل

(أما أبا وأتا وأتا) فمصادر ألفاظ البيت الاول (وأما آبا) فجمع أب جمع التكسير وهو مهموز ممدود وان ترك همزه فللضرورة كما تقدم وقد تقدم جمعه وتثنيته سالمين ويأتي منه فعل الرجل الآبي تقول أنا آبي هذا الأمر أي أكرهه ويأتي منه أباء فعال للكثير الاباء قال كعب بن الأشرف

رب خال لي لو أبصرته * سبط المشية أباء أنف

يقال من فعله أبيت الشيء آباه اباء ورجل أبي من قوم أباة وقد تقدم قول الزبير رضي الله عنه

و يعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

ويقال للرجل يأبى قبول الشئ وماهذا الأباء بالضم وأما الأبا بالفتح مقصور فداء يأخذ المعز فى رؤسها فلا تسلم وقد أبيت أبا شديدا وعنز أبية وأبوء قاله صاحب العين وأنشد ابن دريد فى قصيدته التى جمع فيها بين المقصور والممدود

وكأنهم معز الأبا * أوكالحطام من الابا

كذا قرأتها على الديباجى رحمه الله بسنده فيهما الى ابن دريد وقال فى شرح البيت الأبا المفتوح الاول مقصور وهو داء يأخذ المعز فى رؤسها اذا شمت بول الأروى ولا يكاد يكون ذلك فى الضأن ويكتب بالألف لان أصله الواو يقال عنز أبوا وتيس أباء بين الابا والاباء أطراف القصب وقال الاصمعى الاباءة القصبة والاباءة الاكمة انتهى كلامه والشرح ليس من رواية العثمانى وقال غيره الاباءة الاجمة التى فيها الاسد وكذلك الغيل والخدر والعرين والعريسة وينشد فى الاباء الذى هو القصب قول كعب بن مالك

من سره ضرب يمعمع بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق

وقد قيل فى هذا انه البردى قاله ابن السيد واحدته أباءة كما تقدم قال ابن جنى الهمزة الاخيرة فيه بدل من ياء هو عنده من الاباية كأن القصب يأبى على من أراده بمضغ أونحوه كما قال الشاعر

يراه الناس أخضر من بعيد * وتمنعه المرارة والاباء

أصوات النار — والمعمعة صوت النار فيما عظم وكثف من الشجر أو القصب أونحوهما والكاعبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه والغطغطة صوت الغليان وكذلك الغرغرة تقول أبأت الرجل منزلا كما تقول بوأته أنزلته فيه فتبوأه وأبأت عليه ماله أرحته عليه وأبأت بفلان قاتله قتلته به وقد تقدم وكذلك أبا يأبى اباية ومن هذا قولهم أبيت اللعن كما قال النابغة * أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى * البيت معناه انك كرهت

أتى — ان تأتى ما تلعن عليه وأما آتى فمعناه أعطى من قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوى القربى الآية تقول منه آتى يؤتى فهو مؤت اسم فاعل كما قال تعالى ويؤتون الزكاة واسم المفعول مؤتى مثل معطى ويجيء مؤتى على وزن مفعل بمعنى مهيا ويجيء آتى اذا مددت الهمزة بمعنى أفعل ومن ذلك قول أبى جهل فى يوم بدر حين دنوا للقتال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو

المستفتح * وعالم يترث سوى ماذكر قبل هذا أتى مقصور يأتى فهو آت وفى القرآن من هذا أتى أمر الله قيل معناه يأتى كقولك ان أكرمتنى أكرمتك تقول منه أتى يأتى أتيا واتيا ناجاء قال الشاعر * فاحتل لنفسك قبل أتى العسكر *
وتقول أتوته آتوه لغة فيه ومنه قول خالد بن زهير

ياقوم مالى وأبى ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب

وتقول ما أحسن أتويدى هذه الناقة وأتى أيضا أى رجع يديها فى السير والاتاوة الخراج تقول منه أتوته آتوه أتوا واتاوة قال الشاعر

فى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ماباع امرؤ مكس درهم

وتقول آتيته على هذا الامر مؤاتاة والعامة تقول واتيته وتقول أتى البعير أتوا استقام وأسرع وأتت الماشية اتاء نمت وزرع لا اتاء له أى لا نماء والاتاء أيضا الغلة وحمل النخل تقول منه أتت النخلة تأتو أتاء وأنشد

هنالك لا أبالى نخل بعل * ولا سقى وان عظم الاتاء

والمؤاتاة المطاوعة وتأتى له الامر طاع له وقد أتاه الله تأتية وأتيت الماء تأتية وتأتيا اى سهلت سبيله ليخرج الى موضع والأتى السيل لايدرى من حيث أتى ورجل أتى وأتاوى غريب وجاء فى الحديث ذكر الأتى مفسرا كان فينا رجل أتى لاندرى ممن هو يقال له قزمان الحديث ومنه حديث عثمان رضى الله عنه حين أرسل سليط بن سليط وعبد الرحمن بن عتاب الى عبد الله بن سلام فقال ائتياه فتنكرا وقولا له انا رجلان أتاويان وقد صنع الناس ماترى الحديث وقال أبو عبيد وذكر هذا الحديث أما الحديث فيروى بالضم وكلام العرب بالفتح يعنى الهمزة من أتاوى والأتى أيضا ماوقع فى النهر من خشب أو ورق والجمع أتى وآناء ومن هذا الشكل أثى مقصور مثل أتى تقول أثا به يأثو ويأثى اثاوة واثاية سعى عليه ونم به ومنه حديث ضبة بن محصن قال انطلقت آثى على أبى موسى عند عمر بن الخطاب ذكره ثابت قال وقال أبو عبيد أثوت بالرجل وأثيت وثثت به وتقول أثأته بسهم اثاءة رميته وهذا مهموز ويشبه أثوت وأثيت وآما آت اسم الفاعل وهو أثى
الذى وعدت بذكره فقوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا وان الساعة لآتية وان أجل الله لآت واسم المفعول منه مأتى وفى القرآن العزيز انه كان وعده مأتيا قال المهدوى ... مفعول من الاتيان كل ماوصل اليك

فقد

فقد وصلت اليه وقال القتيبي هو مفعول بمعنى فاعل وكذلك قال غيره أى آتيا كما قال حجابا مستورا أى ساترا ويجمع بين القولين ماتقدم من أن ماتاك من أمر الله فقد أتيته أنت وتقول أتيت الامر من مأتانه أى من مأتاه أى من وجهه الذى يؤتى منه قال الشاعر

وحاجة كنت على صماتها * أتيتها وحدى من مأتاتها

وجاء فى الحديث ما كان فى طريق ميتاء قال أبو عبيد الميتا الطريق العامرة المسلوك عليها (فصل) من الفوائد الزوائد تقدم أبيت ومنه قول أبى هريرة رضى الله عنه وقد سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون فقيل لابى هريرة روايه أربعون يوما قال أبيت قيل أربعون شهرا قال أبيت قيل أربعون سنة قال أبيت أى كرهت ان أحد فى ذلك وقتا اذلم يحده رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الحدّ مهما رضى الله عنه والله أعلم بما أراد رسوله عليه السلام من ذلك وتقدم مؤتى ومن ذلك قول الاقرع بن حابس حين فاخرهو وقومه بنوتميم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه حسان بن ثابت بشعر وهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع ذلك الاقرع وقومه قال ان هذا الرجل المؤتى له لخطيبه أحسن من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا انظره فى السير وتقدم أتى أمر الله واخبار الله فى الماضى والمستقبل سواء وأمر الله عقابه لمن أقام على الشرك به وتكذيب رسوله عليه الصلاة والسلام وقيل أمره ماجاء به القرآن من فرائضه وأحكامه وقيل امره نصره وقيل هو القيامة وقيل المعنى أتت أشراط الساعة ومايدل على قربها وقيل هو ماوعدهم به من المجازاة على كفرهم كقوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور ذكر ذلك المهدوى وتقدم أتى بمعنى جاء وآتى بمعنى أعطى وفى القرآن العزيز مايقرأ بالوجهين ويكون بالمعنيين من ذلك قوله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يعنى جئنا وقد قرئ آتينا بمعنى أعطينا يعنى جازينا بها وكذلك قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة بمعنى يعطون ماأعطوا وقلوبهم وجلة أى خائفة وفى الآية تخويف شديد لهذه الامة وذلك ان عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل والذين يؤتون ماأتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزنى ويسرق أو يشرب الخمر قال لا يا ابنة

آتى

الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه ذكره أبو جعفر النحاس وقال هكذا روي ومعناه يعطون ولكن المعروف من قراءة ابن عباس والذين يؤتون ما أتوا بالقصر وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا ومثل ما تقدم قوله تعالى ولو سئلوا الفتنة لآتوها يقرأ بالقصر بمعنى لجاؤها وبالمد بمعنى أعطوها وفي الرقائق عن الحسن والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة قال يعملون من أعمال البر وهم يحسبون انه لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وتقدم الميتاء ومنه حديثه عليه السلام انه بكى على ابنه ابراهيم عليهما السلام وقال انه لولا وعد حق وقول صدق وطريق ميتاء لحزنا عليك يا ابراهيم أشد من حزننا وفي هذا الحديث رخصة في البكاء ما لم يكن صوت ولا كلام قبيح كما قال عليه السلام اذ بكى تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون أو كما قال عليه السلام والفرح والحزن حالان يجعلهما الله في العبد لا يقدر أن يدفعهما عن نفسه فليس عليه في ذلك اثم الا ان يتكلم بمحظور فحينئذ يتعلق به الوزر من أجل الكلام ألا ترى الى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ يقول اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينت لنا اللهم اني أسألك ان أنفقه في حقه خرجه البخاري وكذلك فسر قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم يريد الفرح الذي يكون معه الاشر والبطر بدليل قوله في آخر الآية والله لا يحب كل مختال فخور وكذلك الأسى على ما فات يريد الحزن الذي يكون معه الضجر والنطق بالفحش والله أعلم وذكر البخاري رحمه الله أيضا عن علقمة بن أبي وقاص ان مروان قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس وما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب فسألهم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب كذلك حتى اتى الى قوله يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا * وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويبكي كما تقدم في الخبر عند موت ابنه ابراهيم وكذلك بكى اذ عاد سعد بن عبادة فلما رأى القوم بكاءه بكوا

فقال ألا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا واشار الى لسانه أو يرحم وقد أرسلت اليه احدى بناته تخبره ان ابنا لها فى الموت وأقسمت عليه فى ان يأتيها فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقام سعد بن عبادة ومعاذ ابن جبل واسامة بن زيد فرفع اليه الصبى ونفسه تقعقع كأنها فى شنة ففاضت عيناه فقال له سعد بن عبادة ماهذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله فى قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء وخرج النسائى عن أبى هريرة قال مات ميت من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع النساء يبكين فقام عمر ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر فان العين دامعة والفؤاد مصاب والعهد قريب وخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حارثة و جعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه الحزن وذكر الحديث وفى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها قالت أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبر سعد بن معاذ وان الدموع تجرى على وجنتيه وهو قابض على لحيته وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته وتنفس الصعداء وقال حسبى الله ونعم الوكيل فيعرف بذلك شدة غمه صلى الله عليه وسلم وفى الرسول عليه الصلاة والسلام أسوة كيف لا وهو القدوة صلى الله عليه وسلم وعلى آله وفى هذا كفاية وسيأتى نوع من هذا الكلام فى باب الواو ان شاء الله

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى باب وناب
وثاب وتاب تاب الله ربى * على من تاب فى هذا متابى

مقلوب البيت ألف بين حرفين

وباب وثاب وناب وتاب * وثاب وبات وتل وتل

وذا البيت استعرت النون فيه * ومافى ذلكم يا قوم عار
واذ جاءت فأعملها بجهدى * أحق الخيل بالركض المعار

وقد كنت وجدت لباب وأخواته من الكلام ألفه وأوخر النون الى بابه فأسوقه وحرفه ولكن لأمر ما جدع قصير أنفه كنت أسوق عوض ناب وتاب لفظة تات اسم فاعل تتا ولفظة وثاب اسم الفراش ووثاب أيضا مصدر وثب نعم وثم وثاب اسم مشهور الا انه لا يتزن وستأتيك فيه حكاية طريفة مع الوثاب المصدر مع الوثاب الذى

هو الفراش المذكورين لكن رأيت كما قال ان من العلم في النون شتى فنون حسبما
ب تراه مفسرا بعد دام لنا ولك السعد * أما باب فهو المدخل الى الشئ ومنه يكتب
باب كذا وهو النقب المنفتح في الحائط وألفه منقلبة عن واو لانك تقول بوبت بابا
وتجمعه على أبواب فتظهر الواو وتجمعه على أبوبة أيضا لكن للازدواج كما قال

هتاك أخبية ولاج أبوبة * يخالط البر منه الجد واللينا

وأما الذي يسد به فهو مصراع وجمعه مصاريع ويقال له أيضا خلف وقد يسمى
الكل بابا اتساعا على ما يأتي ان شاء الله والباب عند أهل المساحة والذرع قصبة
طولها ستة أذرع بالذراع الهاشمي التي هي اثنان وثلاثون اصبعا والأشل عندهم
عشرة أبواب وأشل في أشل عندهم جريب ذكره ابن السيد والباب أيضا اسم بلد
مشهور ويقال فيه أيضا باب الابواب واليه ينسب الفقيه أبو القاسم بن ابراهيم
الورّاق المعروف بالبابي وهو ممن شرح الشهاب * وسيمر له احاديث من تفسيره
في هذا الكتاب ان شاء الله وباب أيضا اسم والد رجل من الخوارج وفيه يقول الشاعر

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب

قال ابن يزيد ليس من الخوارج ولكنه معتزلي واسمه عمرو بن عبيد بن باب وهو
مولى بني العدوية ويقال من الباب تبوبت بوابا وهي البوابة وقد جاء باب يبوب
والبوّاب الحاجب ويقال للبوّاب أيضا الترّاع والترعة الباب وبه فسر قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان منبري على ترعة من ترع الجنة ويقال الترعة الروضة * وأما
ناب ناب فواحد الانياب وهي التي تلي الرباعيات في الفم الى جهة الشدقين ويجمع
أيضا انيب قال الشاعر * ظلت وقومي يصرفون نيوبهم * البيت يصرفون
من الصريف وهو صوت حك الاسنان بعضها ببعض من الحنق كما قال النابغة
* له صريف صريف القعو بالمسد * والناب أيضا سيد القوم قاله صاحب العين
ووقع في السير في قصة ثقيف فخرج ناب القوم وصاحب أمرهم فخرج عبد ياليل
والناب أيضا الناقة المسنة قال الراجز * ليس بأنياب ولا حقائق * والحقائق
جمع حقة وهي الناقة الفتية التي قد استحقت أن يطرقها الفحل ويحمل عليها
الحمل ويجمع الناب أيضا نيب قال الشاعر

تعدّون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وقوله بني ضوطرى هو كقولهم بنو الغبراء وبنو كهيئة وبنو جدرة كل ذلك اسم

ان

لمن يسب وعبارة عن السفلة قال الشاعر * أولاد درزة أسلموك وطاروا *
قيل هذا فى زيد بن على بن الحسين حين قتل رحمه الله وصدر البيت

يا با حسين لو سراة عصابة * صحبوك كان لوردهم اصدار
يا با حسين والجديد الى بلى * أولاد درزة أسلموك وطاروا

وقال حسان فى الكهبة * بنى كهبة ان الحرب قد لقحت * وهو مشتق من الكهبة وهى الغبرة ولذلك يقال للفقراء بنو غبراء و يقال ذلك أيضا للصوص ومن الناب ما أنشد ثابت فى الدلائل

وناب همة لا خير فيها * مشرمة الاشاعر بالمدار

وفسر الهمة بالهرمة وقال يقال شيخ هم وأشياخ أهمام وامرأة همة ونسوة همات وهما ثم وناقة همة أيضا وذكر الخطابى رحمه الله من حديث أبى الاسود رضى الله عنه أن اعرابيا وقف عليه وهو يأكل تمرا فقال شيخ هم غابر ماضين ووافد محتاج حين أكانى الفقر وردنى الدهر ضعيفا مسيفا فناوله تمرة فضرب بها وجهه وقال جعلها الله حظك من عنده وفسر قوله مسيفا من أساف الرجل اذا ذهب ماله وأصله من السواف وهو داء يصيب الابل فيهلكها مضمومة السين مثل القلاب والسكاد وقال أبو عمرو الشيبانى هو السواف بفتح السين قال وجاء هذا شاذا خارجا عن قياس أخواته وقد تقدم فى أول هذا الباب حديث الاصمعى وقول الاعرابى ووصف كيف أنى الدهر اخوته فقال حتى أساف رجاليه وأهلك ماليه * ومن الناب أيضا قول الشاعر ألم تر أن الناب تحلب علبة * و يترك ثلب لا ضراب ولا ظهر فالناب كما تقدم الناقة المسنة والثلب الجمل المسن وهو العود أيضا وجمعه عودة عود وعيدة وعود البعير اذا أسن وأنشد * يا أيها العود المسن الأثيل * والأثيل العظيم الثيل وهو وعاء قضيب الجمل وكان لابى بن خلف لعنه الله فرس يسمى العود أنظره فى غزوة أحد من السير ومن أمثالهم زاحم بعود أودع أى استعن فى حربك بأهل السن والمعرفة فان رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ومن أمثالهم أيضا عود يعلم الغنج والعود أيضا مصدر عاد يعود عودا قال الشاعر

جزينا بنى شيبان أمس بقرضهم * وجئنا بمثل البدء والعود أحمد

وقالوا رجع عوده على بدئه ومن عاد اشتق العيد لانه من عاد يعود لانه يأتى لوقت معلوم كأنه يعود اليهم أو يعودون اليه كما قال الشاعر

* كما يعود العيد نصراني * وكان القياس أن يقال في مصدره عود الا أنهم لم يقولوا الا عيدا فلما انكسرت العين تحولت الواو ياء لكسرة العين وصغروه عييد وتركوه على التغير وكذا جمعوه على التغير فقالوا أعياد وحسن الجمع على هذه الصفة فرقا بينه وبين أعواد جمع عود وكذلك كل شئ هاج لوقت فهو عيد كما قال ذو الرمة في ذلك

نازلت منذ نأت مى لطيتها * يعتادني من هواها بعدها عيد

وقال آخر * عاد قلبي من الطويلة عيد * وقد جمعوا عيدا عيدات خرجه ثابت في حديث مكحول رضي الله عنه انه سئل عن ذبائح عيدات أهل الكتاب والمزينات لكنائسهم فتلا هذه الآية اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال طعامهم ذبائحهم وقال سئل القاسم بن مخيمرة عن ذبائح أهل الكتاب والمزينات لكنائسهم فقال كل * والعود أيضا الطريق القديم قال الشاعر * عود على عود لأقوام أول * أي بعير مسن على طريق قديم يعني أنه محمود وربما قالوا سودد عود أي قديم قال الطرماح

هل المجد الا السودد العود والندى * ورأب الثأى والصبر عند المواطن

والعود الرجل الكبير وأنشد لشيخ يرقص ولده * يالك من فرخ كبير عود * قد فكني من مالك وزيد * فك الاسير من كبول القيد * وكانا ابني أخيه وكانا ينتظران موته ولا وارث له غيرهما حتى ولد له هذا المولود فقال هذا الرجز * والعود العنز الهرم يقال عود تعويدا وعاد يعود عودا والانثى عودة ذكر ذلك ثابت رحمه الله وساق حديث جابر وأراد أن يذبح للنبي صلى الله عليه وسلم فقمت الى عنزلي لأذبحها فثغت فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم ثغوتها قال يا جابر لا تقطع درا ولا نسلا قلت يا رسول الله انما هي عودة علفناها الرطب والبلح حتى سمنت * والعود أيضا العائد مصدر عاد على أهله بخير يعود عودا وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التي اذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول والله لا أذوق غمضا حتى ترضى والعود بالفتح كل شجرة دقت أو غلظت والعود أيضا خشبة يدخن بها (ومقلوبه) دعوت الرجل ندبته والدعوة من الدعاء والدعوة بالكسر في النسب ومقلوبه أيضا وعد وعدا وعدة ووعدته خيرا

وشرًّا وأوعدته في الشرّ خاصة والوعيد التهدّد (ومقلوبه) أيضاً عدوّ يقال للواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وجمعه أعداء وأعادي وعدا وعداة ومن شكله عدو مصدر عدا يعدو عدوا وعدوا اذا أحضر والعدو والعداء الطلق والعدو والعدواء العدوان *(فصل ومعكوس ناب)* بان اسم فاعل من البنيان وتقول أيضا بان الشئ يبين بينونة وبيونا انقطع والبين الفرقة والبين الوصل ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم على قراءة الجماعة غير نافع والكسائي وحفص أي وصلكم الذي كان يواصل به بعضكم بعضا على عبادة الاوثان ومن قرأ بينكم بالنصب فالمعنى لقد تقطع ما بينكم يروى انها نزلت في النضر بن الحارث وضل عنكم ما كنتم تزعمون أنها تشفع لكم والبين بكسر الباء قطعة من الارض بقدر منتهى البصر والجمع بيون والبين أيضا الناحية عن أبي عمرو ومن شكله تبن لهذا الذي يأكل الناس وتبن للدواب وتبن فطن وثبن تقول ثبنت الثوب اذا ثنيت طرفه وخطته وثنت اللحم مثل نثت أنتن وثبن جمع ثبنة ويقال بان الشئ وأبان وبين اذا استبان ورجل بين فصيح والبانة الشجرة وجمعها بانات ومنه دهن البان (ومن مقلوبه) بناء وألفه منقلبة عن ياء تقول بنى يبني بناء والبنى جمع البنية ومنه قول الشاعر باان

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدّوا

وهذا البيت هو الذي سأل عنه حماد بن سلمة الاصمعي كيف تنشده فأنشده الاصمعي البنا بكسر الباء فقال له انظر جيدا قال فنظرت فقلت لا أعرف الا هذا فقال يا بنيّ القوم انما بنوا المكارم ولم يبنوا باللبن والطين قال فلم أزل هائبا لحماد ابن سلمة والبنية الكعبة شرّفها الله ومنه قول عمر رضي الله عنه أسأل الله رب هذه البنية (ومن مقلوبه) ابن وهو الولد وولد الولد وولد البنت قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحسن ان ابني هذا سيد لولد علي بن أبي طالب وأمه فاطمة رضي الله عنها وقد تقدم يقال منه تبنيت فلانا ادعيت بنوته والنسبة اليه بنوي وان شئت أبناوي مثل أعرابي والبواني أضلاع الزور والزور الصدر وسيأتي ويقال بني يبني اذا أريد التكثير قال الشاعر ابن

ألم ترجو شنا أضحى يبني * حصونا نفعها لبني بقيلة

ومن ذلك ابن بين البنوة وتصغيره بنيّ وتناديه فتقول يا بنيّ ويا بنيّ مثل يا أبت ويا أبت وتجمعه بنون وأبناء وتصغير ابن أبين وان شئت أبينون قال

من نبك لا ساءفقد ساءنى * ترك أبينيك الى غير راع

أبن ويقال ابن وابنم قال * ولم يحم أنفا غير عرس ولا ابنم * ومن مقلوبه أبن أمر من أبان يبين وابن بأهلك أمر من البناء الذى هو النكاح وأصله ان الرجل اذا أراد الدخول الى أهله ضربت عليهما قبة فقيل لكل داخل على أهله بان ويكون أيضا أمرا من البنيان ومن هذا اللفظ أبن فلان فلانا يأبنه أبنا رماه بالقبيح ومنه فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشيروا على فى اناس أبنوا أهلى ويروى وأبنوهم بمن لا أعلم عليه الاخيرا التأبين ذكر الشئ وتتبعه ويروى أبنوا على أهلى ومعناه قذفوها وذكروها بالقبيح ومنه رجل مأبون قال الاصمعى اذا كان فى القوس مخرج غصن فهو أبنة ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال هى الارض المستوية ليس فيها أبنة والأبنة هنا ماتشز من الارض ومن الشكل جمع الابنة أبن قال الشاعر * وأرزات ليس فيهن أبن * ويقال بينهم ابن أى عداوات والابنة أيضا العيب والتأبين مدح الميت وعد محاسنه ومن شكله

آتن أتن بالمكان أى أقام أتونا ويقال فيه وتن بالواو يتن وتنا بمعنى ثبت وهما سواء وفى الموطأ من هذا العين الواتنة وهى ذات الماء العذب الذى لا ينقطع ومن شكله أتن جمع أتان وهى الانثى من الحمير وفى الحديث منه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أقبلت راكبا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام وفيه فأرسلت الاتان ترتع والمأتوناء الاتن مثل المعيوراء من العير واستأتن الرجل اشترى أتانا واتخذها لنفسه وقولهم كان حمارا فاستأتن أى صار أتانا يضرب مثلا للرجل يهون بعد العز والأتون بالتشديد موقد النار وبالثاء آثن على زيد وبالياء أين زيد (ويأتى من معكوس هذا وشكله نثاونتا ونتاو نثاء نثا الحديث أفشاه وفى حديث أم زرع ولا تنث حديثنا تنثيثا فى احدى الروايات ونتا ينتو اذا ارتفع وتباطق من خوص ويقال مائدة من حلفاء وتنا بالمكان يتنو تنوا أقام به وبثا بثلاث نقط أرض سهلة ويقال

نبا هى أرض بعينها من بلاد سليم قاله صاحب التاج (ومن مقلوبه) نبا بمعنى ارتفع ألفه منقلبة عن واو ويقال نبا ينبو نبوا ويقال نبا السيف عن الضريبة نبوة وفى صفة قدمى النبى صلى الله عليه وسلم ينبو عنهما الماء ونبا به منزله لم يوافقه والنبو الارتفاع قال ما لعينى كحلت بالسهاد * ولجنبى نابيا عن وسادى

والنبى بغير همز ما ينبو من الارض أى يرتفع قال الشاعر

لأصبح رتماً دقاق الحصى * مكان النبي من الكاثب

قال البكري هذا البيت لاوس بن حجر والكاثب جبل معروف في ديار بني تغلب وقد أشكل على اعراب هذا البيت ومعناه لانه يروى مكان بالرفع ومكان بالنصب حتى وجدته في تاج اللغة انه قاله يرثي به فضالة بن كلدة وقبله

على السيد الصعب لو أنه * يقوم على ذروة الصاقب

لأصبح البيت وقال الكاثب جبل وحوله رواب يقال لها النبي الواحد ناب مثل غاز وغزى يقول لو قام فضالة على الصاقب وهو جبل يذلله لتسهل له حتى يصير كالرمل الذي في الكاثب وقيل يقوم بمعنى يقاوم وقيل الكاثب اسم قنة في الصاقب ورأيته في عدة كتب رتماً بالتاء باثنتين وفي الدلائل رثماً بالثاء المثلثة وفسره المرثوم المكسور وقال في التاج في البيت رتماً بالتاء باثنتين قال ويقال رتمت الشئ رتماً كسرته ثم قال يقال بالتاء والثاء وقال الرتم المرتوم والرتم ضرب من الشجر وأنشد

نظرت والعين مبينة التهم * الى سنا نار وقودها الرتم

واحدها رتمة والرتيمة باسكان التاء خيط يشد في الاصبع تستذكر به الحاجة وهي الرتيمة أيضاً وقال أبو زيد يقال منه أرتمت الرجل ارتاماً وخرج ابن شاهين رحمه الله في الناسخ والمنسوخ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حرك خاتمه أو عمامته أو علق خيطاً في اصبعه ليذكره بما فيه فقد أشرك بالله عز وجل ان الله تعالى هو يذكر الحاجات ثم ذكر الخلاف في ذلك عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في اصبعه خيطاً ثم قال انما هذه الاحاديث منكرة ومن غير هذا الكتاب في الرتم قول بعض الشعراء يعزي بعض الكبراء

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نبع ولا يعبأن بالرتم

ومن شكل نبا نبأ بالهمز قال تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين يعني القرآن وما فيه من الاخبار وقيل بعد الموت وقيل يوم بدر وقيل يوم القيامة وأصل نبأ أخبر كما تقول أنبأني وأخبرني وحدثني ومنه قوله تعالى فلما نبأت به ومن أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ومنه اشتقاق النبيء بالهمز ثم يسهل تخفيفاً كما تقدم فقوله تعالى عن النبأ العظيم قيل القرآن وقيل البعث لان الكفار كان فيهم من يؤمن به ومنهم من يكذب وقيل الاختلاف هنا بين المؤمنين والمشركين قال سيبويه كل العرب

رتيمة

مبحث النبأ واشتقاق النبي

تركوا الهمز في النبي يعني الرسول والذرية والبرية والخابية الا أهل مكة فانهم يهمزونها وخالفوا فيها جميع العرب كانت نبيئة مسيلمة نبيئة سوء على وزن نبيعة وقال أبو جعفر النحاس في كتاب المعاني له رحمه الله في قوله تعالى و يقتلون النبيين بغير حق من همز نبيئا اشتقه من أنبأ ونبأ أي أخبر عن الله عز وجل ومن لم يهمز اشتقه من نبا أي ارتفع و يجوز أن يكون من الاول وخفف الهمز وقال الكسائي يقال للطريق كما قال * نبي لما وردنبيه * قال فنبي أصله من النبوة مثل النجوة ويراد أنه علم وطريق الى الحق ثم أورد حديثا مسندا قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبيء الله وهمز فقال صلى الله عليه وسلم لست بنبيء الله وهمز ولكني نبي الله ثم قال وهذا الاسناد ليس بجيد ولكن القياس يوجب ترك الهمز لان أكثر استعمالهم في جمعه المكسر أنبياء فصار كغني وأغنياء وقد يقال نبآء والواحد منه مهموز لانه مثل ظريف وظرفاء هذا نص الكتاب وعليه طرة نصها هذا الحديث لا يصح لانه لو لم يكن مهموزا لم ينتف النبي صلى الله عليه وسلم من النبوة بخطأ الذي همز ولما كان للعباس بن مرداس أن يمدحه بما ينتفي منه وقد قال

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداك

ان الاله ثنى عليك محبة * في خلقه ومحمدا سماك

وهذا الجمع لا يجمع الا في المهموز لان فعيلا على وجهين معتل وسالم فالمعتل يجمع على أفعلاء كغني وأغنياء وولي وأولياء ويجمع السالم على فعلاء مثل ظريف وظرفاء وكريم وكرماء ونبيء ونبآء لان نبيئا اذا كان مهموزا فليس بمعتل ولهذا جمعه العباس على فعلاء واذا جمع على أنبياء فهو مأخوذ من غير ذوات الهمز و بالله التوفيق ونبأ أيضا اسم جارية كانت لابي سلمة الكلابي ولها خبر سيأتي ان شاء الله (ومن شكله) ثبا قال الاصمعي ثبيت على الشئ تثبية دمت عليه وقال أبو عمرو التثبية الثناء على الرجل في حياته ومن شكله ثبا الثبا سويق المقر ومن شكله ثناء الثناء مفتوح الثاء ممدودا معلوم والثنى مقصور مكسور تثنية الامر مرتين وفي الحديث لا ثنى في الصدقة أي لا تؤخذ في السنة مرتين ومنه قول الشاعر ثبا

* لعمري لقد كانت ملامتها ثنى * ومن شكله ثنا الحديث أفشاه والثنا مقصور مثل الثناء الممدود الا أن الممدود في الخير خاصة والمقصور في الخير والشر جميعا (ومن شكله) ثتا والثتو الانتفاخ والارتفاع والثواتيون الملاحون والثتا

مقصورا أيضا الشريف ويقال له أيضا الثنيان وهو دون البدء والبدء السيد وأنشد

ترى ثنانا اذا ماجاء بدؤهم * وبدؤهم ان أتانا كان ثنيانا

وسمي بدأ لانه يبدأ به والثنيان لانه يثنى به وقيل لانه تثنى عليه الخناصر اذا عد أهل الشرف كما قال * ويثنى على فضلك الخنصر * والخنصر الاصبع الصغرى التي يجعل فيها الخاتم والتي تليها عن يمينها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة ثم الابهام وصدر البيت يشار اليك بسبابة * ويثنى على فضلك الخنصر

وهو للمعري يمدح بعض الرؤساء وبعده

فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر

ومن أجل ذا كسيت خاتما * يزين وعزيت البنصر

(فصل) وأما ناب ففعل ماض تقول منه ناب فلان كذا وكذا ينوبه نوبا أي لزمه ومنه النوب الذى هو المرض عافانا الله منه قال صاحب العين ناب الامر نوبة والنائبة النازلة والنوب أن يكون بينك وبين الشئ ثلاثة أيام ويقال النوب القرب ويقال النوب من الانتياب ما كان على فرسخين أو ثلاثة وانتبت المكان ونبته نوبا وفى الحديث كانوا ينتابون الى الجمعة من منازلهم ومن العوالى والنوب جيل من السودان والنوب النحل لانها تنوب الى مواضعها ويقال لها أيضا الوب باللام وقد جاءت اللفظتان معا فى حديث زبان بن قسور قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته فقلت يارسول الله ان معنا لوبا يعنى نحلا فكانت فى عيلم لنا به طرم وشمع فجاء رجل فأحله حبين فأنتجها حبا وكفنه بالثمام يعنى نارا من زندين ويعسسه يعنى دخنه فطار الوب هاربا ودلى مشوره فى العيلم فاشتار العسل فمضى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من سرق شور قوم فأضربهم هلا تبعتم أثره وعرفتم خبره قال قلت يارسول الله انه دخل فى قوم لهم منعة وهم جيرتنا من هذيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرك صبرك يازبان تردنهرا الجنة وان سعته كما بين اللفيقة والسحيقة يتسبسب جريا بعسل صاف من قذاه ماتقيأه لوب ولامجه نوب أعجبنى هذا الحديث فكتبته لفصاحته ورونق لفظه وصناعته وفيه لغات فسر فى الحديث بعضها وبقى سائرها أصل العيلم البئر وأراد بها هنا وقبة النحل أو الخلية ويقال لموضعها فى الجبل شيق وجمعه شيقان والطرم الشهد والطرم أيضا الزبد وشاهده فى صفة النساء

فمهن من يلقى كصاب وعلقم * ومهن مثل الشهد قد شيب بالطرم

والطرم أيضا اسم الكانون والسحاب الكثيف يقال له الطرم ويقال لكل دخان نحاس ولدخان النحل خاصة ايام يقال آمها يؤومها اذا دخنها شاهده

فلما جلاها بالايام تحيرت * وبان عليها ذلها واكتئابها

يصف النحل وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه والنحاس الدخان الذي لا لهب فيه والنحاس في غير هذا الموضع النحاس المعلوم وهو القطر وقال ابن عباس في قوله تعالى آتوني أفرغ عليه قطرا انه النحاس وقال غيره الصفر وقيل الحديد وقيل الرصاص من البخاري وقوله شور قوم كذا جاء في الحديث ووقع في كتاب العين الشور الموضع الذي تعسل فيه النحل بتقديم الواو على الراء وقال تقول شرت العسل أشوره شورا وأشرته واستشرته فهو مشور ومشار ومشتار ومنع الاصمعي أشاره وكان يعيب على عدي بن زيد قوله * وحديث مثل ماذي مشار * وكان يرويه ماذي مشار بفتح الميم وقال هي الخلية يشتار منها وقال غيره يقال شرت العسل وشرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وعلمت خبرها والماذي العسل الابيض وقد جمعت ألفاظا من هذا الوزن ثلاثة وهي الداذي والماذي والآذي واقفتها بالنظم فقلت قل للذي يغري بداذي * يقول اذ يشرب غاذي

هلا تغذيت بماذي * وقلت بالخمر في الآذي

قد تقدم شرح الداذي في باب الدال وانه نبت يجعل في النبيذ وقيل هي الخمر والماذي قد تقدم هنا انه العسل الابيض وأما الآذي فانه الموج ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال أخذ الله ذريتهم من ظهورهم كأنهم الذر في آذي من الماء يخرجه نبت ونحوه بهذا وجمع الآذي أواذي قال النابغة * يرمي أواذيه العبرين بالزبد * العبر شاطئ الوادي وتقدم في الحديث هنا الخلية وتقدم أيضا في باب الخاء الخلية واحدة الخلايا وهي الجباح وأنشدني الخطيب أبو محمد رضي الله عنه لبعضهم

يقول لي القاضي معاذ مشاورا * وولى امرا فيما يرى من ذوي الفضل

نعيذك مذا تحسب المرء صانعا * فقلت وماذا يصنع الدب بالنحل

يدق خلاياها ويأكل شهدها * ويترك للذبان ما كان من فضل

والدب اسم عربي مشهور والانثى دبة واسم ولدها الديسم و يقال أيضا مدبة أي ذات دبة والدبة في غير هذا السنة والطريقة يقال جرى على غير دبة أهله ودعني ودبتي أي طريقتي وسجيتي وفلان ركب دبة فلان وأخذ بدبته اذا عمل بعمله ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لتتبعنكم قريش ثم لتركبن بكم دبة فارس والروم والدبة أيضا ظرف للزيت قال الشاعر * البك بالعنف عفاص الدبة *
والدبة بالفتح موضع وفي السير ثم سلك الدبة ويقال هو الكثيب من الرمل وفي السير أيضا ذكر المجانيق والدبابات كأنها آلات يدخل فيها او يدب عليها للقتال والدبيب معروف وهو المشي راكعا وفي الحديث أن عبد الله بن مسعود كان يدب راكعا وكذلك دخل زيد بن ثابت المسجد فوجد الناس ركوعا فركع ثم دب حتى وصل للصف ذكره مالك في الموطأ والدبة بالكسر كهيئة الدبيب تقول جلست دبة
بون ومعكوس نوب بون وهو مسافة ما بين الشيئين والبوان بكسر الباء عمود من أعمدة الخباء والجمع أبونة و بون مثل أخونة وخون و يقال بواني أيضا وقد تقدم البواني أضلاع الزور قال الراجز * ألقي بواني زوره للمبرك * وسيأتي الكلام في الزور في باب الزاي وجاء ذكر النوائب في الحديث الذي خرجه البخاري ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال في خيبر وفدك بما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتا لحقوقه التي تعروه ونوائبه ومنه قولهم نوائب الدهر بقي من الباب ما جاء في الحديث من ذكر الناب وهو نهيه عليه السلام عن أكل كل ذي ناب من السباع و بقي أيضا ناب اسم فاعل من نبا ينبو اذا ارتفع كما تقدم في البيت * ولجنبي نابيا عن وسادي * وألف ناب الذي هو فعل منقلبة عن واو لانك تقول ناب ينوب كما تقدم والف ناب الذي هو السن منقلبة عن ياء لانك تقول في الجمع أنياب وتقول نيب السبع البهيمة نيبها تنييبا وقس على هذا ما يرد عليك من الالفات المنقلبة عن الياء والواو في مثل قال ونال وشبهه فبالتصريف والمصدر والجمع تعرفه ان شاء الله فقد قال بعض الادباء علم التصريف من العربية شريف وجنس من اللغة لطيف اذا كانت المباني مقرونه والمعاني به مدفونه والاصول معه محروسه والعلوم به محروسه لا يصح فيه التمويه والتصحيف ولا يستقيم معه التلبيس والتحريف
تاب وأما تاب فمعناه رجع ومعنى توبوا الى الله أي ارجعوا الى الله من هوى أنفسكم وتاب الله على فلان وفقه للتوبة قال سيبويه التوبة التوبة واستتابه سأله أن يتوب

وأما ثاب فمعناه رجع مثل تاب يقال ثاب الشئ يثوب ثوبا وثؤبا ومنه التثويب بالصلاة كأن المقيم للصلاة عاد الى معنى الأذان فأتى به يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه للحرب قال حسان بن ثابت

في فتية كسيوف الهند أوجههم * لا ينكلون اذا ما ثوب الداعي

ومنه ثاب الرجل الى عقله وثاب الى المريض جسمه أي عاد الى حالته الاولى من الصحة وقوله تعالى مثابة للناس أي يحجون و يثوبون اليه أي يرجعون وقيل يحجون فيثابون فهي مفعلة أصلها مثوبة وقرأها الأعمش مثابات قاله صاحب العين ومثاب البئر وسطها والمثابة مجمع الناس بعد تفرقهم وثاب الحوض ثوبا امتلأ والثوبة وسط الحوض وتصغيرها ثويبة وقال الزبيدي ثبيبة و بها سميت المرأة ثويبة والله أعلم وثويبة جارية أبي لهب وهي التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي ذكرها ان شاء الله في باب النون * والثبة عصبة من الفرسان والجمع ثبات وفي التنزيل فانفروا ثبات تفسيره جماعات متفرقة وقيل الثبات السرايا والجميع الزحف وقياس ثبة وظبة أن يجمع بالالف والتاء فيقال ظبات وثبات على قياس المؤنث الصحيح الا أنهم قد جمعوا المعتل مثل ثبة وظبة بالواو والنون والمؤنث الصحيح لا يجمع بهما الا أنهم قالوا أرضون جمع أرض فجعلوا الواو والنون عوضا من الالف والتاء وذلك في المؤنث الذي ليس فيه هاء وقد يجمع أيضا أرضات كما قالوا عرصات وقال أبو الخطاب يقال أرض وأراض مثل أهل وأهال و يقال أيضا الاراضي على غير قياس كأنه جمع أراض والثوب واحد الثياب و يجمع على أثواب وقد جاء أثوب وقيل يهمز ولا يهمز والثوب أيضا مصدر ثاب يثوب مثل تاب يتوب وللخطيب أبي محمد أكرمه الله وأعزه من خطبة له على فقرة واحدة أيها الناس ثوبوا الى صالح الاعمال أسرع ثوب * والبسوا من تقوى الله تعالى أسبغ ثوب * وتوبوا الى الله فانه غافر الذنب وقابل التوب * وثوبان اسم رجل من رواة الحديث فعلان من ثاب مثل نومان من نام فان أدخلت على ثاب ألفا قلت أثاب ان جعلت الالف للاستفهام فهو ثاب بعينه وان جعلتها أصلية فمعناه جازى من قوله تعالى فأثابهم الله بما قالوا جنات أي جازاهم واشتقاق الثوب من هذا والله أعلم ومنه هل ثوب الكفار بمعنى جوزوا وفي الحديث اذا ثوب بالصلاة يحتمل أن يكون من الثواب لان في الصلاة الثواب العظيم والله أعلم وقال عز وجل لمثوبة من عند الله فسره ابن

سلام يعنى الثواب يوم القيامة والأثأب شجر الواحدة أثأبة قال الكميت

وغادرنا المقاول فى مكرّ * كخشب الأثأب المتطرسينا

والثوباء ممدود يقال تثاءبت تفاعلت ولا تقل تثاوبت وفى مثل أعدى من الثوباء وأما الوثاب الذى ذكرت لك فى أول البيت فان الواو فيه أصلية وهو مصدر وثب يثب وثبا ووثبانا وقد جاء وثابا قال الزبير بن عبد المطلب فى شأن الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها حتى اختطفتها العقاب

عجبت لما تصوبت العقاب * على الثعبان وهى لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب

والوثاب الآخر المذكور أيضا هو الفراش بلغة حمير يقال وثبته وثابا اذا فرشته له وفى الحديث ان عامر بن الطفيل قدم عليه فوثب له وسادة أى أقعده عليها وألقاها اليه وفى شرح السير للاستاذ رحمه الله وأما عمرو أخو حسان الذى ذكر ابن اسحاق قصته وقتله لاخيه فهو المعروف بموثبان سمى بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش وقلة غزوه وقال القتيبى ويقال للفراش ضجاع خرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما حشوه ليف وفى لفظ آخر كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال للفراش أيضا المثال وهو فى الحديث أيضا من قول عائشة رضى الله عنها قالت كنت اذا حضت نزلت عن المثال الى الحصير الحديث وفى حديث آخر أن النبى صلى الله عليه وسلم لما مات حفر له فى موضع المثال الذى كان ينام عليه صلى الله عليه وسلم ويجىء من لفظة وثاب وثاب فعال من الوثوب أيضا قال الشاعر * ركوب المنابر وثابها * وسيأتى * تقدم المثال وهو الفراش وجمعه مثل وان شئت خففت فقلت مثل (المثال مثل) والمثال معروف وجمعه أمثلة ومثلت له كذا تمثيلا اذا صورت له مثاله والمثل مايضرب له من الامثال ومثل كلمة تسوية ويقال فيها أيضا مثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى والعرب تقول هذا مثيل هذا بالتصغير وهو من أمثلهم يريدون أن المشبه به حقير كما أن هذا حقير ومثل به أى نكل به والمثلة بالضم الاسم والمثلة بفتح الميم والثاء العقوبة والجمع المثلات كما فى القرآن العزيز وقد خلت من قبلهم المثلات أى وقائع الله فى الامم السالفة وقال الجوهرى ثب فى لغة حمير اقعد قال الاصمعى ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال

له الملك ثب فوثب الرجل فتكسر فقال الملك ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمر قوله عربيت أراد عربية فوقف على الهاء بالتاء وهي لغتهم وقوله من دخل ظفار حمر يعني تعلم لغة حمير وظفار اسم بلدهم واليه ينسب الجزع يقال له جزع ظفار وخرج الخطابي رحمه الله ان عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه خرج ذات يوم الى المسجد وفيه شباب قريش فتنحوا له عن الاسطوانة فقالوا اجلس اليها يا عم فقال يا بني أخي أنتم خير من شيوخكم من بني مهرة كانوا اذا كبر الشيخ شدوه عقالا ثم قالوا له ثب فان وثب خلوا سبيله وقالوا فيه بقية من ملالة وان لم يثب تركوه في العقال حتى يموت وأما بات فأخت ظل كلمة ترفع الاسم وتنصب الخبر الا ان ظل تستعمل في النهار وبات في الليل وسيأتي الكلام على ظل في باب الظاء ان شاء الله تعالى وجاء من بات في القرآن العظيم قوله تعالى لنبيتنه وأهله أي نطرقه بالليل وكذلك قوله تعالى بيت طائفة منهم غير الذي تقول وكذلك قوله عز وجل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون يعني بياتا بالليل وهم نائمون أو وهم قائلون نصف النهار يعني على غفلة والبأس العذاب أعاذنا الله من سخطه وليست أو ههنا بمعنى الشك انما هي بمعنى أو نصرف الشئ مرة كذا ومرة كذا ولم يقل وهم قائلون كما قال في الآية الاخرى بياتا وهم نائمون لان هذا لا اشكال فيه وأما هذا فلئلا يشتبه ان العذاب جاءهم بالليل وهم قائلون ولم يقل أو وهم قائلون لئلا يجمع بين حرفي عطف وهذه الواو عند النحويين تسمى واو الوقت وفي أول الآية تقديم وتأخير أعني وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا المعنى وكم من قرية أردنا اهلاكها فجاءها بأسنا لان الهلاك انما يكون بعد العذاب كما قال تعالى في موضع آخر فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أراد فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وكما قال تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقيل في هذا غير هذا قيل اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل من المضاجع يعني النوم وكذلك أيضا قيل في قوله وكم من قرية أهلكناها أي بارسالنا اليها ملائكة العذاب فجاءها بأسنا وقيل أهلكنا أهلها بمنعنا اياهم التوفيق للطاعة فجاءها البأس بغتة وقيل الفاء ههنا بمعنى الواو فلا يلزم الترتيب والله أعلم بما أراد من ذلك كله وهو الموفق للصواب وكم للتكثير كما ان رب للتقليل قال المهدوي وقد قيل في رب انها للتكثير أيضا وليست من الاضداد وهي بمنزلة كم قاله صاحب العين وللفقيه

مبحث الألفات

أبي محمد جواب رسالة بديعة ذكر فيها بعد كلام نبيل غير ان رب للتقليل انظرها ان اردتها في التكميل فرغ البيت بقي الكلام على الحروف وهي الالف والباء والتاء والثاء مع القافية (اما الالف) فقد تقدم من الكلام عليها ما في بعضه كفاية وأزيدك هنا شيئا آخر ان شاء الله تعالى اعلم ان الالف على ضربين لينة ومتحركة فاللينة تسمى ألفا والمتحركة تسمى همزة وقد يتجوز فيقال لها أيضا ألف وهما جميعا من حروف الزيادة والالفات كثيرة ولها ألقاب عديدة مثل ألف قطع وألف وصل وألف استفهام وألف المتكلم وألف مالم يسم فاعله وهي تكون في الاسماء والافعال والحروف العاملة وتأتي في آخر الكلمة للالحاق والتكثير وتأتي للتأنيث ومنها ما ينقلب عن ياء ومنها ما ينقلب عن واو وتأتي للامالة وذلك للتقريب والدلالة فالتقريب ان تقرب الالف من الياء من أجل كسرة أو ياء انشا كل اللفظ والدلالة أن تكون الالف منقلبة عن ياء فتمال لتدل بامالتها على أصلها هذا في أغلب الامر وتكون علامة للرفع والنصب وهي من حروف الزوائد على ما ستراه ان شاء الله وتبدل النون الخفيفة في الوقف ألفا اذا كان ما قبلها مفتوحا وكذلك التنوين في حال النصب الى غير ذلك مما لا أذكره الآن وهذا كله مفسر مشروح في الكتب فاطلبه تصب وقد جمع العلماء رضي الله عنهم من ذلك الطويل والوجيز ونظموا فيه الاراجيز وأنا أيضا قد قلت في ألفات الامر وان لم يكن درمكا فهو تمر

اسمع كلاما قاله من ينصح * واحفظه ان كنت تريد تفلح
نظمته في ألفات الامر * هل تبدأن بالفتح أو بالكسر
والضم أو فهل لها من أصل * في حالة القطع وحال الوصل
فبعد بسم الله والصلاة * على الرسول فاستمع وصاتي
كل رباعي مقطوع الالف * في الامر مفتوح كأقبل لا تخف
كذلك في الماضي فقس وبادر * لكنها تكسر في المصادر
والياء فاضممها لما يستقبل * وقل كذا أقبل زيد يقبل
وانظر الى الثالث في المضارع * من الثلاثي فعه وسارع
ان كان مضموما فضم الأمرا * فالامر من ينظر أنظر شزرا
أو كان مكسورا فقل في الامر * اضرب فلانا وابتدئ بالكسر
وان يكن ثالثه مفتوحا * فابدأه بالكسر تكن فصيحا

تقول من يعلم علما اعلم * لا تفتحن خيفة التكلم
شبهه واتر لذ كذاك الضما * خشية ما الفاعل لم يسمى
وكل ما زاد على الرباعي * أوكان عدّه أتى في الداعي
باؤهما تفتح في المستقبل * كقولهم يصلي وزيد يصطلي
ألف هذين معاقد توصل * ان كان حرف بهما يتصل
فان عدمت فابتدئ بالكسر * في مصدر أوماض أو في أمر
تقول منه اصطلى هذا واصلى * هذا المثال فاتخذه أصلا
وقس عليه واحذر الفضيحة * فقد نصحت فاقبل النصيحة
وقل متى تقرؤه يارب * اغفر لمن نظم كل ذنب
وصل من بعد على الرسول * محمد تحظ بكل سول

وهذه الارجوزة قد عارضها الاستاذ أبو محمد القرطبي وفقه الله انظرها وما قيل بسببها في التكميل والالف اذا انفتح ما قبلها فهي من حروف المد واللين الثلاثة وأختاها الواو المضموم ما قبلها والياء المكسور ما قبلها وانما سميت لينة لأن الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترنم في القوافي وغير ذلك وانما احتملت المد لانها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت قاله ابن دريد رحمه الله وقال ابن السيد رحمه الله في تفسير بيت المعرّي رحمه الله

ولي أمل كأنم القنا * وحال كأقصر سهم يكون
فيا ألف الوصل لا تأملي * حرا كافالك الا السكون

يريد المعرى نفسه شبهها بالالف التي بنيت على السكون فتريد تحريكها وذلك مالا يكون قال ابن السيد رحمه الله ليس في حروف المعجم حرف بني على السكون الا الالف وذلك انها صوت لا مقطع له في شيء من الحلق والفم وانما يخرج مستطيلا بمنزلة الصوت الذي يخرج من البوق اذا لم يضع الزامر أصابعه على الثقب فاذا وضع أصابعه على الثقب وداول بينها تقطع ذلك الصوت فصار نغمات وكذلك الصوت المندفع من الرئة اذا تقطع في المخارج صار حروفا ويشارك الالف في هذه الصفة اختاها الموضوعتان للمد واللين وهما الواو والساكنة المضموم ماقبلها في نحو عنقود والياء المكسور ماقبلها في نحو قنديل فانهما صوتان لا مقطع لهما كما لا مقطع للالف غير أن الياء والواو قد ينفتح ماقبلهما فيذهب مافيهما من المد ويبقى فيهما اللين

فى نحو ثوب و بيت وقد يتحركان فيذهب عنهما المد واللين معا ويلحقان بالحروف الصحاح التى لامقاطع لها واما الالف فالمد واللين لازمان لها أبدا ومتى تحركت رجعت همزة انتهى كلامه رحمه الله وقال غيره وهذه الحروف الثلاثة هى من علامات الاعراب وأضيف اليها النون من بين سائر حروف المعجم للغنة التى فيها من الخيشوم فأشبهت حروف المد واللين بهذه الشبهة فجعلت حرف اعراب معها فأما الالف فهى من علامات الرفع فى قولك الزيدان وفيها ثلاث معان علامة الرفع كما تقدم وعلامة التثنية وحرف الاعراب و فى الواو ست علامات فى قولك الزيدون هى علامة رفع وعلامة جمع وعلامة تذكير وعلامة سلامة وعلامة تقليل وحرف اعراب ومثل ذلك الياء وأما النون فعلامة الرفع فى يفعلان وأخواتها الاربعة وحذفها علامة الجزم والنصب والنون فى التثنية والجمع عوض من ذهاب الحركة والتنوين فى المفرد والدليل على ذلك انها تثبت فى الموضع الذى تثبت فيه الحركة مع الالف واللام نحو قولك الرجلان وتسقط فى الموضع الذى يسقط فيه التنوين مع الاضافة كقولك غلامازيد وصاحب أخيك ولو كانت عوضا من التنوين فقط لسقطت فى الموضع الذى يسقط فيه التنوين ولو كانت عوضا من الحركة فقط لسقطت فى الموضع الذى تسقط فيه الحركة للاستغناء عنهما فلما لم يكن ذلك علم انها عوض منهما جميعا والله أعلم * (فصل والالف تحمل الهمزة والهمزة من حروف الحلق وأخواتها الهاء والحاء والعين والخاء والغين) فالهمزة من مخرج أقصى الاصوات ولذلك عدوها أول الحروف وتليها الهاء وهى من موضع النفس والحاء أرفع منها وهى أقرب حرف يليها حتى ربما أشبهتها فى النطق على ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى والعين تتلو الحاء فى المدرج والارتفاع والخاء أرفع منها والغين على مدرج الخاء الا انها أسفل منها والهمزة تبدل من الهاء كثيرا وكذلك تبدل الهاء منها كقولهم أيهات وهيهات وأزيدوها زيد فى الدعاء وأراق الماء وهراق قال الشاعر فاصاخ يرجو أن يكون حيا * ويقول من طرب هيا ربا — حروف الحلق

أراد أيا رب وقال الآخر

وأتى صواحبها فقلن هذا الذى * منح المودة غيرنا وجفانا

أراد أذا الذى وتبدل من الواو فى مثل أرخ الكتاب وأصله ورخ وفى التنزيل واذا الرسل أقتت وقرأ ابو عمرو وقتت وقرأ ابو جعفر بن القعقاع باختلاف

عنه وقتت بتخفيف القاف وعن الحسن رواية ووقتت بواوين وكله من الوقت قال المهدوى ولو قلبت الواو فى هذا ألفا جاز ولذلك قالوا اكاف ووكاف وولاف والاف ووشاح واشاح وأما الواو المفتوحة فلم تبدل من الهمزة فى الكلام الا فى حرفين قولهم امرأة أناة أى حليمة يقال فيها وناة وفى أحد من قوله تعالى قل هو الله أحد بمعنى واحد وأصله وحد فأبدلت الواو همزة فقالوا أحد قاله ابن عزيز وقال البخارى فى جامعه قل هو الله أحد لا ينوّن أحد أى واحد انتهى كلامه والالف أيضا

حروف الزوائد

من حروف الزوائد وهى عشرة الهمزة والالف والواو واللام والياء والتاء والميم والسين والهاء والنون يجمع هذه الحروف كلمتان اليوم تنساه قال ابن دريد وهذا عمله أبو عثمان المازنى قال وبعضهم يجعلها تسعة يريد والله أعلم ان الالف والهمزة شئ واحد ويجمعها أيضا هويت السمان ونظمه بعضهم

هويت السمان فشيبننى * وقد كنت قدما هويت السمانا

ويجمعها أيضا قولك أمان وتسهيل وقد جمعت أنا أيضا هذه الحروف فى قولك أن سهيل ومات وفى قولك موسا ليته ناه وتكتب موسى بالالف على مذهبهم فى جواز كتب ما هو من ذوات الياء بالالف ومنهم من عكسه أعنى ان يكتب ما كان من ذوات الالف بالياء وقالوا اذا شككت فيها فاكتبها بالالف وسترى فى هذا الكتاب منها كثيرا مما كتب بالالف وأصله الياء للضرورة وللشكل فلا تنكره وحروف الزوائد أصل فى علم التصريف فتزاد الهمزة أولا فيما عدده أربعة أحرف فصاعدا نحو أسود وأحمر وأصفر وأخضر لانها من السواد والحمرة والصفرة والخضرة ولا تنظر الى الالف فى أول اسود وأحمر انما هى الهمزة والالف تحمل الهمزة كما تقدم ولا يمكن زيادة الالف أولا لانها ساكنة ولا يبتدأ بساكن ولكن تزاد ثانية فى مثل ضارب وقاتل وثالثة فى ذهاب وكتاب ورابعة فى حبلى ومعزى وخامسة فى حبنطا وحبركا وسادسة فى قبعثرى * الحبنطا العظيم البطن والحبركا القصير الفخذين والرجلين والقبعثرى الجافى الغليظ * تقدم حروف الزوائد فى قولك اليوم تنساه وثم أيضا كلام يجمع حروف البدل على ما ذكره أبو على فى الأمالى وهو طال يوم أنجدته واستشهد على كل حرف منه على ما يأتى مفردا فى هذا الكتاب ان شاء الله وقد تقدم فى ذكر الهمزة انها تبدل من الهاء فى مثل هيهات وأيهات وبابه قال وتبدل الالف من أختيها الواو والياء فى آخر الفعل فى مثل غزا ورمى وبابه وحروف المد

واللاتى أمهات الزوائد لانهن الحركات فلا تخلو الكلمة من بعضهن فى الخماسى والملحق بالسداسى خاصة وفى كثير من الرباعى * (فصل وشكل ألف آلف وألف وألف وألف وألف وألف وألف) وفى القرآن العزيز من هذا ألم فهذا لا ينطق فيه بألف وان يكن منكم ألف ولكن الله ألف بينهم وفى الحديث قالت عائشة رضى الله عنها لفخرت بمال أبى فى الجاهلية وكان ألف ألف أوقية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اسكتى ياعائشة فانى كنت لك كأبى زرع لام زرع ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع المشهور وأما الف وألف ففى القرآن مصدرهما وقد قرئ لايلاف قريش على وجوه فمن قرأ لايلاف قريش فمصدر آلف اذا جعله يألف ومن قرأ لالاف فمن ألف يألف الفا والافا وكذلك قرئت الفهم وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم على الامر وكذلك قال عكرمة أمرهم أن يألفوا عبادة البيت وفتح لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وقد روى حماد بن أبى بكر عن عاصم لالاف قريش ائلافهم فجمع بين الهمزتين قال المهدوى وهذا شاذ والف سيأتى فى باب الفاء رجل الف ثقيل اللسان وهو الى أيضا والف صاحبه وجمعه آلاف كعدل وأعدال ويقال أيضا آلف وآلاف كضارب وضراب وهو أيضا الأليف وجمعه ألائف مثل تبيع وتبائع وأفيل وأفائل والولاف مثل الالاف والولاف والوليف ضرب من العدو وهو أن تقع القوائم معا وكذلك أن يجيء القوم جميعا والائلاف أيضا الأمان والعهد يؤخذ من الملوك جميعا على الامر جاء منه فى خبر هاشم بن عبد مناف فأخذ من أشراف الشام ايلافا أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حلف انما هو أمان الطريق فى حديث طويل أنظره فى الذيل على النوادر ومعكوس ألف فلا جمع فلاة مثل حصاة وحصى ويجمع أيضا على فلوات وفلى وهى المفازة قال الشاعر

موصولة وصلابها الفلى * الفى ثم الفى ثم الفى

أى القفر بعد القفر ويقال فلوت الفلو عن أمه عزلته وافتليته اتخذته ويقال فلو وفلو مثل جرو اذا فتحت شددت واذا كسرت خففت وجمعه أفلاء مثل عدو وأعداء وفلاوى أيضا مثل خطايا ويقال أيضا فلا فلان فلانا اذا رباه قال الشاعر

سعيد وما يفعل سعيد فانه * نجيب فلاه فى الرباط نجيب

وقال آخر وليس يهلك منا سيد أبدا * الا افتلينا غلاما سيدا فينا

ومن شكله أيضا فلا على شرطى المتقدم وبنائى الغير متهدم من أنى أسوق الحرف

الزائد ليكثر الفائد فان فلا هى النافية دخلت عليها الفاء الوافية وفى القرآن العظيم من ذلك فلا أقسم بالخنس وفلا أقسم بالشفق جاء فى التفسير أن لا صلة والمعنى فأقسم وكذلك قالوا فى قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أن معنى ذلك كله أقسم ويشهد لذلك قراءة قنبل عن ابن كثير لأقسم هى لام التأكيد دخلت على فعل الحال ومن قرأ لا أقسم وجعل لا نفيا فهو رد لكلام تقدم وجاز وقوعها فى أول السورة لان القرآن متصل بعضه ببعض فهو فى حكم كلام واحد وفلا أيضا قطع وألفه منقلبة عن ياء تقول فلا رأسه بالسيف فليا اى قطعه ومنه قول حسان بن ثابت فى شأن بنى قريظة

فابرحوا بنقض العهد حتى * فلاهم فى بلادهم الرسول

وقال الراجز * أفليه بالسيف اذا استفلانى * وفليت الثوب فلاية والتفلى التكلف لذلك وتفالت الحمر احتكت وفى الحديث من هذا حديث أم حرام وجعلت تفلى فى رأسه تعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله عنها وسئلت ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته قالت كان بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه والفالية خنفساء رقطاء ضخمة قاله صاحب العين رحمه الله وفى الامثال للاصبهانى أفحش من فالية الافاعى وأفحش من فاسية وقال هما اسمان لدويبة شبيهة بالخنفساء لاتملك الفساء وأنشد عليه

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفسا * وأزهى اذا ما مشى من غراب

والغراب يوصف بالزهو * فائدة فى مد المقصور مد هذا الشاعر للضرورة الخطا فلا تقل أخطأ قد قالها قبله الشعراء القدماء الكبراء قال ورقة * الا ما غفرت خطائيا وقال آخر فكلهم مستقبح لصواب من * يخالفه مستحسن لخطائه

وقال بنصر الله روح القدس فينا * وجبريل فيا طيب الملاء

قال بعضهم ليس هذا من باب مد المقصور وانما هو اشباع كما قالوا الكلكال والصياريف ولا يقال فى عصا عصاء لانه يزيد فى هذا ألفا وهمزة قال غيره فقد قال طرفة * وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل * وقال آخر

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب فى المسعل واللهاء

ومن شكل فلا قلا قلى يكتب بالياء يقال قليت الرجل أقليه قلى وتقلية أبغضته

وقد قالوا اقلاء وأنشدوا

عليك سلام لاملات قريبة * ومالك عندى ان نأيت قلاء

وفى القرآن العزيز ماودعك ربك وماقلا أى ماتركك وما أبغضك وفى موضع آخر انى لعملكم من القالين أى من المبغضين فعلى هذا انما يبغض العمل السوء لاصاحبه ويقال قليت اللحم على المقلى وقلوته أيضا والقلية مرقة من لحم الجزور وأكبادها عربية وجمعها قلايا والمقلاة والمقلى الذى يقلى عليه خرج ثابت رحمه الله فى الدلائل عن جبلة بن سحيم قال ما أكلت أطيب من قلية العصاعص ذكره فى حديث الحسن ابن أبى الحسن رضى الله عنه انه قال فى العصعص الدية وفسره وقال العصعص أصل الذنب الذى ينبت فيه الذنب وأنشد لذى الرمة * كانبط فى طول العسيب العصاعص * والمقلاء والقلة خفيفة عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذى يضرب به هو المقلاء والقلة الخشبة الصغيرة التى تنصب وقال الاصمعى رحمه الله هى القلة والقال هو المقلاء ومنه قول الشاعر

كان نزو فراخ الهام بينهم * نزو القلاة زهاها قال قالينا

يعنى الذين يلعبون بها يقال منه قلوت والقالون الصبيان الذين يقلون أى يضربون القلة واسم الفاعل من قلا قال ونسب أبو على البغدادى القالى الى قرية من قرى بغداد يقال لها قاليقلا ولم يعرف الاصمعى قليت الا فى البغض وأما فى اللحم وغيره فقلوت قلوا وعرفه أبو زيد والرجل قلاء * بقى تصحيف هاتين الكلمتين على شكل اللفظة لا على أصلها لانى سأذكر فى تصحيفها لفأ وألف ولفاء مع فأل وأفل وغير ذلك من المهموز وليس فى قلا همز ولكننى أردت ان أكثر ما يخرج من تصحيف الالفاظ اذا كتبت على هذه الصورة لاغير * أما فقلا فمعكوسه لاف اسم فاعل من لف لاف

وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كل رجل لاف رأسه يبكى ويأتى من مقلوبه فأل وهو ما يسمعه الانسان من خير وشر يقال منه تفاءلت بالأمر وفى فال الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة وخيرها الفأل قيل يا رسول الله وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم وفى حديث آخر ويعجبنى الفأل الكلمة الطيبة وفى حديث آخر وأحب الفأل الصالح خرج ذلك كله مسلم رحمه الله قال الازهرى الفأل مهموز وقال أبو عبيد وجمعه فؤول قال ابن السكيت الفأل هو أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول يا سالم أو يكون طالبا فيسمع آخر يقول

ألعاب صبيان العرب

باواحد ويقال قال رأى فلان اذا لم يصب وأصله من المفايلة لعبة لفتيان الاعراب يخبؤن الشئ فى التراب ثم يقسمونه فاذا أخطأ المخطئ قيل له قال رأيك يقال منه رجل قال الرأى وقيل الرأى ويقال ما كنت أحب أن أرى فى رأيك فيالة قال الكميت

بنى رب الجواد فلا تفيلوا * فما أنتم فنعذركم لفيل

أى لستم أولاد الضعيف الرأى وهو الفيل ولصبيان العرب لعب أخر ذكرها ابن قتيبة فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بينا هو يلعب وهو صغير مع الغلمان بعظم وضاح مر عليه يهودى فدعاه فقال لتقتلن صناديد هذه القرية قال وعظم وضاح لعبة الصبيان بالليل وهو أن يأخذوا عظما أبيض شديد البياض فيلقوه ثم يتفرقوا فى طلبه فمن وجده منهم ركب أصحابه ولهم لعبة أخرى تسمى الخطرة وهى بالمخراق وأخرى تسمى خراج وهى أن يمسك أحدهم شيئا بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما فى يدى ومنها لعبة الضب وهو أن يصور الضب فى الارض ثم يحول أحدهم وجهه ويقول ضع يدك على صورة الضب ثم يقال على أى موضع من الضب وضعته فان أصاب قمر ولهم لعبة أخرى بالتراب يقال لها النقيرى يقال أنقر الصبيان فهم ينقرون وقال الاصمعى فى رجزه

كأن آثار الضرابى تلتقث * حولك نقيرى الوليد المنبحث

* تراب ماهال عليك المجتدث *

والمجتدث القابر والجدث القبر ولهم لعبة أخرى يقال لها الجنة وتشبه الأولى ولعلها هى المفايلة يخبؤن شيئا تحت تراب ثم يصدع صدعين ثم يضرب بيده على أحدهما او على بعضه فان قبض على الخبء فيه قمر ذكر هذه اللعبة ثابت فى حديث ابراهيم النخعى ان غلامين كانا يلعبان الجنة فضرب أحدهما الآخر فشج احدهما وانكسرت ثنية الآخر فضمن الأعلى الاسفل ولم يضمن الاسفل الأعلى وقد تقدم أن المقلاء والقلة عودان يلعب بهما الصبيان * والعرعار لعبة للصبيان ايضا وألف قال منقلبة عن ياء لانك تقول يفيل والفيل الضعيف الرأى والجمع أفيال ومنه قول الحريرى رحمه الله فى لغزه * وكم رأى ناظرى فيلا على جمل * وقد تورك فوق الرحل والقتب * والفيل معروف الدابة والتفيل زيادة الشباب وتفيل رأيه أخطأ وفيلت رأيه ويأتى من مقلوبه أفل تقول أفلت الشمس تأفل أفولا غابت وفى القرآن العزيز فلما أفلت وفلما أفل قال لا احب الآفلين ويقال لبوة آفل اى حامل وأفل

اللقاح فى الرحم استقر والأفيل الفصيل والجمع آفال وأفائل ومنه قول عباس بن مرداس
ألا أفائل أعطيتها * عديدقوائمها الاربع

قال يوسف كتبت الى الفقيه الاديب الخطيب ابى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله عنه مرة اسأله عن الافيل وكنت قد رأيته فى آخر كتاب كتب به الى ولم أعرفه فكتب الى بعد كلام وقلت ما الأفيل فرأيك ان قرمت الى لحمه لا يفيل وهو واحد الآفال وأخذ الدخال قال الشاعر

فأرسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على بعض الدخال

يقول أوردالابل تعترك اعتراكا وقد أدمت لازدحامها صدوراً وأوراكا ولم يشفق على بعض الدخال وهى صغارها المزدحمة وهذا المورد على هذا النحو اسمه عند العرب الحطمة قال الشاعر

أخذ المخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للامير أفيلا

فرغ بعض كلامه رضى الله عنه وان أردته بكماله فانظره فى التكميل ومن مقلوب
لفأ هذه اللفظة أيضا لفأ يقال لفأت الريح السحاب عن الماء كشفته ولفأت اللحم عن العظم والتفأته والقطعة منه لفأة واللفاء التراب والقماش على وجه الارض ومنه يقال فى الدعاء عليه العفاء واللفاء ومعنى العفاء محو الاثر واللفاء أيضا الشئ القليل ويجىء منه أيضا لفا مصدر لف ولفاء يقال امرأة لفاء ورجل ألف
قال وسيأتى مع لف فى باب الفاء ان شاء الله هذا الكلام فى فال * وأما قال للصوت واللحم وقال من قلا القلة اذا ضرب بها اذا كتبته بالالف على أن تكون ألفه منقلبة عن واو فاسم الفاعل منه قائل ومن البغض قال أيضا وألفه منقلبة عن ياء وقد تقدم ويأتى منه قال من القول ومصدره قولا وقالا وقيلا وقالة وقولة ومقالة وفى الحديث فشت فى ذلك القالة قال الكسائى وقرأ ابن مسعود ذلك عيسى بن مريم قال الحق واشتقاق القال والقيل من كثرة ما يقولون قال وقيل هما من القول وقيل هما اسمان لا مصدران وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وفى القرآن العزيز اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وأصل قلت قولت ولا يجوز أن يكون بالضم لانه يتعدى ورجل قوول وقوم قول مثل صبور وصبر وان شئت سكنت الواو ورجل مقول ومقوال وقوال وتقوالة عن الكسائى أى لسن كثير القول واسم الفاعل قائل قال الله تعالى قال قائل منهم وجمع قائل قول مثل راكع وركع وقال

رؤبة * وقول الاده فلاده * وقبل هذا * فاليوم قد نهنهنى منهنهى * وأول حلم ليس بالمسفه * وقول الخ و يجمع أيضا قاتلون مثل قائم وقائمين والمقول اللسان وقال أيضا بمعنى ملك ومنه حديثه عليه السلام فى التسبيح سبحان الذى تعطف العز وقال به يعنى ملك به وقهر ومعنى تعطف ارتدى العطاف للرداء وهو مثل قوله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى من نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار هذا على ضرب المثل اذ العظمة والكبرياء لا يلبسان وانما هما صفتان من صفاته التى لا ينبغى لاحد من خلقه أن يتصف بهما فلما كانا كذلك جعلهما بمنزلة الرداء والازار لانهما لا يفارقان صاحبهما والله أعلم بما أراد من ذلك والقيل منه وجمعه اقيال ويقال أقوال وأهل اليمن يقولون فى القيل مقول وجمعه مقاولة ويقال رجل تقوالة وقوال واقتال قولا اجترّه الى نفسه واقتال الرجل احتكم قال سعد الغنوى

قيل

ومنزلة فى دار صدق وغبطة * وما اقتال من حكم على طبيب

قوّلته

وأقولته مالم يقل وقوّلته أى ادّعيته عليه وفى القرآن العزيز ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل أى زاد فى الوحى أو نقص منه وقال أيضا من القائلة وهى القيلولة أيضا والقائلة نصف النهار والقيل الشرب نصف النهار كاسم واشرب الغداة الصبوح وشرب العشى الغبوق و بين المغرب والعشاء الصحمة وفى السحر الجاشرية وكل شراب يشرب فى أى زمان كان يسمى الصفح يقال أتانى فصفحته أى سقيته وأتانى فأصفحته رددته وحرمته قال ذلك كله الخطابى رحمه الله ويقال قال الرجل يقيل مقيلا وفى التنزيل العظيم أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال قتادة منزلا ومأوى وقيل هو ماتعرفه العرب من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب الخلق فى مقدار نصف يوم فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار واسم الفاعل من هذا قائل وفى القرآن أو هم قائلون وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان لا يبيت مالا ولا يقيله معناه يقسمه لوقته ويقال من البيع أقال اقالة واسم الفاعل من هذا مقيل والمفعول مقال ويقال أيضا قال قيلا وتقيل فلان أباه اذا أشبهه * ومن مقلوبها أيضا لقا مصدر لقيت فلانا لقاء ولقيا ولقية واحدة ولقاة واللقيان الملتقيان ورجل ملقى ولقى أى شقى واللقى الشئ الملقى وينشد عليه

لقا

كفى حزنا كربى عليه كانه * لقى بين أيدى الطائفين حريم

قال

قال ومعنى اللقى فى هـذا البيت الثوب الذى كان يطوف فيه الرجل فى الجاهلية حول البيت ثم يلقيه عن نفسه ولا يقربه يقول لانه الذى اقترف فيه الذنوب وكانت المرأة تلقى على فرجها خرقة وتطوف كذلك قالت احداهن

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

ويروى أن رجلا طاف كذلك فانضم الى امرأة تلاذا واستمتا عاما التزق عضده بعضدها ولم يقدر أحد أن يفك عضده من عضدها فخرجا من المسجد وهما كذلك حتى قال لهما قائل توبا الى الله مما كان فى ضميركما وأخلصا التوبة ففعلا فانحل أحدهما من الآخر وسيأتى الكلام على لاق الدواة اذ هو من تصحيف الكلمة المتقدمة فى باب القاف ان شاء الله تعالى والالاقية واحدة الألالى انتهى الكلام فى الالف * وقد ألفت فيه ما يأتلف ولا يختلف * وبقى لغيرى ما يأتنف * كما بقى لى ان أزدلف الى قوافى الالف * التى فى كل لفظة منها أألف * اذ كنت اشترطت ذلك للنجل الكلف * والشرط كالحلف

خرجت من شئ الى غيره * بحسب ما يأتى وما يطرأ
لكنه علم ومن حقه * يسمع بل يكتب بل يقرأ

وأما الباء فاسمها اسم صورتها اذا لم تعربها أعنى انك تنطق بها كما هى بلا حرف زائد عليها وكذلك ما كان مثلها كالتاء والثاء والهاء والخاء وليست كالجيم ولا الدال وما أشبه ذلك مما تزيد فى النطق بها حرفا آخر ومخرجها من بين الشفتين وكذلك الميم ولذلك اشتركا فيما تراه بعد ان شاء الله وأختهما فى المخرج الواو وهن من الحروف المجهورة وانما سميت مجهورة لان مخرجها لم يتسع فانضغط صوتها والباء من حروف الخفض فى مثل بسم الله ومررت بزيد وتكون للقسم فى مثل فلا أقسم بما تبصرون والباء الاصل فى حروف القسم لانها تشتمل على الظاهر والمضمر تقول فى الظاهر بالله لأفعلن وتقول فى المضمر به لأفعلن قال الشاعر — معانى الباء

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما أبالى

وقد توضع موضع على فى مثل قوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار أى على دينار كما قال اذا رضيت على بنو قشير * لعمر أبيك أعجبنى رضاها

أى رضيت بى وتكون بمعنى من فى قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله أى منها ومثله فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى من علم الله وبعكس هذا تكون من مكان الباء

فى قوله تعالى يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله وقال تعالى يلقى الروح من أمره وقال تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر أى بكل أمر وتأتى الباء بمعنى عن فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع أى عن وبمعنى فى كقوله تعالى السماء منفطر به أى فيه وبمعنى مع فى قول الشاعر * يجتنب الاذى بالمرود * أى مع وبمعنى المصاحبة وهو قريب من معنى مع فى قوله تعالى وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وبمعنى البدل فى قولهم هذا بهذا أى بدل منه وعوض عنه ويقال لهذه أيضا باء العوض وباء المجازاة وفى القرآن منه قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وتكون للالزاق والاستعانة فى كتبت بالقلم وامسحوا برؤسكم وتكون زائدة فى الكلام لمعنى فى مثل قوله تعالى كفى بالله شهيدا وكفى بربك هاديا ونصيرا قال الراجز

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وفى مثل قوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فى قول بعضهم وتنبت بالدهن فى قراءة من جعله من أنبت وكذلك قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة ولا تظن ان فى القرآن العزيز حرفا زائدا لغير معنى أعوذ بالله من هذا الظن وانما معناه ان الكلام يتم دونه كما يتم دونه قوله ان الله الغنى الحميد فى قراءة من قرأ كذلك ويذكره أتم وكذلك قوله تعالى ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا وقال فى موضع آخر ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه أشد من الاولى فهذه الحروف لها معان من التأكيد والتبيين وغير ذلك مما تستعمله العرب فى كلامها قال الاستاذ رحمه الله فى قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة لفظة ألقيت تنقسم قسمين تكون بمعنى وضع الشئ فى الارض كما تقول ألقيت السوط من يدى فلا تحتاج ههنا الباء وتكون بمعنى الرمى والارسال كما تقول ألقيت الى زيد بكذا أى رميته به وهذا القاء بكتاب وارسال به فحسنت الباء هنا والله أعلم وعبر عن ذلك بالمودة لانه من افعال أهل المودة وأما عند الفراء رحمه الله فدخولها وخروجها عنده سواء والباء عند سيبويه رحمه الله لا تزاد فى الواجب ومعناه عند البصريين تلقون اليهم النصيحة بالمودة وقال المهدوى رحمه الله معنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم والباء متعلقة بالمصدر الذى دل عليه الفعل والله أعلم بما أراد من ذلك كله نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة رضى الله

عنه

عنه ويقلب التنوين والنون الساكنة عند الباء ميما في مثل من بعد وصم بكم فتقول مم بعد وصمم بكم هذا على طريقة البيان والرسم كالاول وتبدل الميم منها في لغة بعض العرب يقولون بااسمك يريدون مااسمك كما روى ان بعضهم وكان اسمه بكرا دخل على احد الامراء فقال له الامير بااسمك قال مكر يا أمير المؤمنين وقالوا لازب ولازم وموماة وبوماة للمفازة وبيد وميد بمعنى غير وفي الحديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد وفسره بعضهم من أجل ذلك وكذلك بله معناه غير وقيل أيضا دع وفي الحديث بله ما أطلعتكم عليه فسر بالمغيبين وقالوا ازمة وازبة للسنة الشديدة وذكر الخطابي عن ثعلب رحمه الله يقال ازمة وازبة وازلة وحكى يعقوب ازبة قال الخطابي وازبة وازلة وقد تقدم انه انما يقال سنة في القحط والجدب وعام في الخصب واحتج بقوله تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ثم قال ثم يأتي من بعد ذلك عام *(فصل من مضاعف هذا الحرف ببة لم يوجد)* في الكلام الفاء والعين في كلمة واحدة من جنس واحد لا فاصل بينهما وهما متحرك كان الاددو هو اللهو على انه محذوف من ددن وسيأتي ذكره في باب الدال ان شاء الله وفي هذا الباب قالوا ببة على انه مضعف وهي لغة عربية مشهورة يقلبها النساء حين يرقصن أولادهن قالت امرأة من قريش لأنكحن ببه * جارية خدبه * مكرمة محبة * تجب أهل الكعبة * قال أبو عبيد البكري اختلف في معنى ببة فقال الخليل يوصف به الاحمق وقال ابن جني حكاية الصوت الذي يرقص به الصبي وليس باسم انما هو كقولك قب اسم لوقع السيف وليس في الكلام اسم أوله باآن الا هذا وقول عمر رضي الله عنه ببانا وسيأتي ذكره وأما البيغا والببر فعجميتان ووقع في مختصر العين ببة لقب رجل من قريش وكان في طرة الكتاب اسمه وكرهت أن أذكره صيانة لنسبه الكريم وذكر انه كان أصم وبه لوثة وقالوا من مضاعف هذا الحرف هم على ببان واحد أي على طريقة واحدة على ان هذه اللفظة قد قيل ليست عربية محضة ولكن قد تكلمت بها العرب قالوا ببان واحد كما قالوا بأج واحد وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان عشت فسأجعل الناس ببانا واحدا يريد التسوية بينهم في العطاء والقسم وكان رأيه التفضيل في الاعطية على السوابق ورأي أبي بكر التسوية بينهم وكان يقول هم اخوة أبوهم الاسلام فهم في هذا المعنى اسوة وأجور أهل السوابق عند الله فرجع عمر الى رأي

أبي بكر آخرا رضي الله عنهما تقدّم تحب أهل الكعبة أي تغلب نساء قريش حسنا قال الشاعر * جبت نساء العالمين بالسبب * قال من فسره هذه امرأة قدرت عجيزتها بخيط وهو السبب ثم ألقته الى النساء ليفعلن كما فعلت ووضع السبب الخيط وقال ابن عزيز في قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء أصل السبب الحبل وقال ابن سلام مثله يقول فليعلق حبلا من السماء يعني سقف البيت ثم ليقطع أي ليقطع الحبل أما قوله تعالى فليرتقوا في الاسباب أي في الابواب وكذا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات وكذلك قال في قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا قال قتادة يعني علما وقال في قوله تعالى فأتبع سببا يعني منازل الارض ومعالمها لانه ملك مشارق الارض ومغاربها فالسبب على هذا الوصلة الى الشئ الذي يحاول المرء فعله وأصله كما قال ابن عزيز الحبل ثم استعير في هذه الاشياء والله أعلم وقوله جبت نساء العالمين بالسبب * بعده * فهن بعد كلهن كالمحب * المحب البعير الحسير الذي لا يستطيع براحا يقال بعير محب وقد أحب احبابا اذا برك من الضر الذي أصابه ويكون الاحباب أيضا في الابل كالحران في الخيل وأنشد

كيف قريت ضيفك الهرزبا * لما أتاك يابسا قرشيا
حلت عليه بالقطيع ضربا * ضرب بعير السوء اذ أحبا

ويقال أيضا أحب الزرع وألب اذا دخل فيه الحب واللب * وأما التاء فمن الحروف معاني التاء المهموسة ومخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا وكذلك الطاء والدال والتاء من حروف الزوائد كما تقدم فتزاد في أول الفعل مثل تفعل للمذكر وتفعلين للمؤنث كما قال تعالى فانظري ماذا تأمرين وتلحق في آخر جماعة النساء نحو ذاهبات والمسلمات والمؤمنات وكان أصل هذا أن يقال فيه مسلمتات وذاهبتات لكن حذفت احدى التاءين لئلا يجمع بين علامتي التأنيث وكانت الاولى بالحذف أولى لانها تدل على معنى واحد وهو التأنيث وبقيت الثانية لانها تدل مع التأنيث على الجمع وتبدل مع الواحدة في الوقف هاء نحو ذاهبه ومسلمه وتلحق أيضا في نحو ذهبت وقامت وفي ملكوت وجبروت ورهبوت وغلبوت الذي وزنه فعلوت لانه من الغلب ولهذا يحتاج معرفة الحرف الزائد من الاصلي لسوق الاصلي من

الكلمة بالفاء والعين واللام والزائد على صورته كائنا ما كان كما قالوا فى وزن نكتل من قوله تعالى فأرسل معنا أخانا نكتل وزنه على اللفظ نفتل وعلى الاصل نفتعل لان أصله نكتيل ففيه من الاصلى الكاف والياء واللام الموجودة فى المكيل وهذا أصل قس عليه مايرد عليك من مثله وغيره ان شاء الله وتزاد التاء أيضا فى باب افتعل واستفعل وتكون للقسم كقوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم ولا تدخل الاعلى اسم الله وحده وتبدل من الواو فى مثل تواث وتكاة وتخمة لانه من ورثت واتكأت واتخمت كما قاله أبو القاسم رحمه الله وقالوا اتقاة والاصل وقاة وجمعها اتقى ورجل تقى أصله وقى وأصل تقوى وقوى وسيأتى الكلام فى هذه اللفظة فى باب الفاء والقاف ان شاء الله وتبدل أيضا من الطاء فى قطر وأقطار فيقال قتر وأقتار وهى الجوانب قال الفرزدق

كم من غنى فتح الاله لهم به * والخيل مقعية على الاقطار

ويروى الاقتار قاله ابن هشام فى تفسير قوله تعالى ولو دخلت عليهم من أقطارها يعنى المدينة وأنشد زياد الاعجم * فتى زاده السلتان فى الخير رغبة * البيت أراد السلطان وتبدل تاء افتعل أيضا طاء اذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء ولا بد من ذلك تقول من الصبر اصطبر ومن الضرب اضطرب ومن الطرد اطرد ومن الطهد اطهد ويقال تى وتا بمعنى ذه للمرأة وتحقيرها تيا وكان أصلها تتيا فحذفت التاء كراهة لاجتماع التاآت قاله (ع) وعلى هذا انشدوا

ها ان تا عذرة ان لم تكن نفعت * البيت وتهمثل ذه واذا خاطبت مؤنثا قلت تيك وتلك وتالك بفتح التاء وهى لغة رديئة وفى التثنية تانك وتانك بالتشديد والجمع أولئك فالكاف لمن تخاطبه فى التذكير والتأنيث والتثنية والجمع وما قبل الكاف لمن تشير اليه فى جميع ذلك فاحفظ هذا الاصل وتدخل الهاء على تيك وتالك فتقول هاتيك هند وهاتالك قال عبيد يصف ناقة * هاتيك تحملنى وأبيض صارما * وقال أبو النجم

جئنا نحييك ونستجديكا * فافعل بنا هاتاك أو هاتيكا

أى هذه أو تلك تحية أو عطية من التاج وقد تقدم فى الشعر ألا تا وقول الآخر ألا فا ويقال تأتأ التيس عند السفاد تأتأة وقد تقدم ويقال للرجل اذا تردد فى التاء تأتأ فهو تأتاء على وزن فعلال وفيه تأتأة مثل فأفأة وقد تقدم ويقال فيه أيضا تمتم يتمتم تمتمة فهو تمتام وامرأة تمتامة ومنه قوله

فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال الراجز * ليس بفأفاء ولا تمتام * والفأفاء الذى يتردد فى الفاء وقد قيل التمتام الذى يعجل فى الكلام ولا يكاد يفهمك والالثغ فى الراء ان يجعلها فى طرف لسانه أو يجعل الصاد ثاء والارث أن يجعل اللام تاء وقال المبرد فى الكامل والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شئ اتصل وذكر معها التمتمة والطمطمة واللكنة واللثغة والغنة والخنة وفسر ذلك فانظره * فرغ الكلام يافتى فى التاء ولم يبق غير الثاء *

خرجت من شئ الى غيره * بحكم ما يأتى وما ينعت

لكنه علم ومن حقه * يقرا والا قلما يثبت

معانى الثاء

وأما الثاء فمخرجها من طرف اللسان واطراف الثنايا وكذلك الظاء والذال وهى من الحروف المهموسة وتبدل من الفاء لقرب المخرج فى مثل فوم فيقال ثوم وكذلك يقال جدف وجدث قال رؤبة * لوكان احجارى من الاجداف * وقالوا فم وثم وقالوا حثالة وحفالة قال ابن قتيبة ويقال حثل روى عن انس رضى الله عنه انه قال اللهم انى أعوذ بك ان أبقى فى حثل من الناس لا يبالوا أغلبوا أم غلبوا ويقولون التحنف والتحنث يريدون الحنيفية وقد قيل ان التحنث من الحنث والحنث الحمل الثقيل وتفعل يقتضى الخروج من الشئ واطراحه مثل التأثم والتحرج والتقذر وجاء من هذا فى الحديث وأخبر بها معاذ عند موته تأثما أى ليطرح عن نفسه الاثم كما قال الشاعر

تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

أنشده المازرى شاهدا على الحديث ويجىء أيضا تفعل بمعنى الدخول فى الفعل مثل تفقه وتنسك وهو أكثر من الاول وأشهر فعلى هذا تحنف اى دخل فى دين الحنيفية والله أعلم قال معنى هذا الاستاذ رحمه الله ويقال من مضاعفها ثأثأت الابل سقيتها ولم ترو وقد تثأثأت اذا شربت وثأثأت عنه الغضب أطفأته وثأثأت عن القوم دفعت عنهم والثأى الفساد وقد تقدم قال الشاعر

حبست كريما أن يجود بماله * سعى فى ثأى عن قومه متفاقم

يقول هذا الشعر الابيرد لعبيد الله بن زياد وكان قد حبس مرة بن محكان وكان جوادا تحمل حمالات عن قومه فعجز عنها فسجنه عبيد الله بن زياد فقال الابيرد

ابلغ

أبلغ عبيـــــــد الله عنى رسالة * رسالة قاض بالفرائض عالم
فان أنت عاقبت ابن محكان فى الندى * فعاقب هداك الله أعظم حاتم

لغات الفم

حبست كريما البيت * تقدّم فى البدل ثم وفم ومن شكل ثم فم وفيه لغات يقال هذا فم ورأيت فما ومررت بفم بفتح الفاء على كل حال ومنهم من يضم الفاء ويخفف الميم على كل حال ومنهم من يكسر الفاء على كل حال ومنهم من يعربه فى مكانين تقول هذا فم ورأيت فما ومررت بفم وأما تشديد الميم فانما يجوز فى الشعر كما قال

يا ليتها قد خرجت من فمه * حتى يعود الملك فى اسطمه

قال ابن السكيت لو قيل من فمه بفتح الفاء لجاز قال صاحب كتاب تاج اللغة قال غيره الميم فى فم بدل من واو لان أصله فوه دليله أنه يجمع على افواه ورجل أفوه وامرأة فوهاء وقد فوه يفوه الا انهم استثقلوا اجتماع هاءين فى قولهم هذا فوهه بالاضافة فحذفوا الهاء فقالوا هذا فوه وفو زيد ورأيت فا زيد هذا فى الاضافة فاذا خذلوه من الاضافة قالوا فم أبدلوا من الواو ميما كما تقدّم قال ومن ههنا لم يحسن فى سعة الكلام فك ولا فه ولا فى انما يقال فوك وفوه وفىّ وقد أجازوا فه فى الشعر كما قال * يصبح عطشان وفى البحر فمه * وكما قال الآخر * ما للغراب ولى دق الاله فه * وأكثر ما يأتى فى الكلام فوه وفاه وفىّ كما تقدّم فى الحديث حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك وقالوا كلمته فاه الى فىّ أى مشافهة ونصبوا فاه على الحال والبيت الذى تقدّم يا ليتها قد خرجت من فمه هو لجرير فى سليمان بن عبد الملك يخاطب الرشيد

ان الامام بعده ابن امه * ثم ابنه ولىّ عهد عمه
قد رضى الناس به فسمه * يا ليتها قد خرجت من فمه

قلت قد خرجت من فمه كما تمنى جرير لكنه لم يرض بها الجم الغفير بل حمل الناس عليها بالسوط والعصا وحلق الرؤس واللحى منهم سعيد بن المسيب رضى الله عنه حلق رأسه ولحيته وطيف به المدينة وأمر به بعد ذلك الى السجن فرفعه الله وسيأتى خبره فى باب الجيم ان شاء الله وقد فرغ فى اثناء الكلام ولم يبق الا أبياتها والسلام فدونكها يا غلام

خرجت من شئ الى غيره * بحكم ما يأتى وما يحدث
لكنه علم ومن حقه * يقرا والا قلما يلبث

قافية الابيات

بقيت قافية الابيات بل وبل ويل وبل * وبل وبل وتل وثل * أما بل فمن

بلّ قولهم بل الرجل بللا من مرضه واستبل برأ قال الشاعر

اذا بل من داء به ظن أنه * نجاوبه الداء الذى هو قاتله

ويقال أبل أيضا (فائدة) قول هذا الشاعر وبه الداء الذى هو قاتله يريد أن الكبر الذى أمامه قاتله آخرا لا محالة كما قال الشاعر

يود الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل

يود الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويعدل

وقال الآخر * ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء * وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح من هذا وأوجز كفى بالسلامة داء قيل يريد هذا المعنى وقيل كفاه داء فى الدنيا سلامته من الاسقام والأمراض والمصائب التى لو كانت لأجر عليها وأثيب فجعل هذا داء حيث لم يرزأ فى نفس ولا أهل ولا مال والله أعلم وأما بل خفيفة فحرف من حروف العطف معناه التدارك وقد يكون

بل بمعنى أو وبمعنى الواو وبمعنى لكن وسيأتى الكلام عليها فى باب الواو ان شاء الله ولا أخليك هنا من فائدة قد تأتى بل فى موضع رب كقول الآخر * بل مهمه قطعت بعد مهمه * يعنى رب مهمه وكما قال الآخر * بل جوز تيهاء كظهر الجحفت * يريد رب وقال الجحفت ووقف عليها بالتاء وهى لغة لبعض العرب يقولون هذا طلحت وخذ الذرت أنشد قطرب * الله نجاك بكفى سلمت * من بعدما وبعدما وبعدمت * * صارت نفوس القوم عند الغلصمت * وربما استعملت العرب بل فى قطع الكلام واستئناف آخر فينشد الرجل منهم الشعر فيقول

بل هاج احزانا وشجوا قد شجا * من طلل كالأتحمى أنهجا

ويقول * بل وبلدة ما الانس من آهالها * فبل فى أول هذا الرجز ليست من البيت ولا تعد فى وزنه ولكن جعلت علامة لانقطاع ما قبله قلت قد تفعل العرب هذا فى غير بل قال الشاعر ويروى انها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أو قالها متمثلا رضى الله عنه أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

انما يصح البيت بأن يسقط منه اشدد ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما يتم به المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون منه علما بان المخاطب يعلم ما يريدون به فهذا اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر أشدد فأظهره ولم يعتد به قال أبو العباس

حدثنى

حدثني ابو عثمان المازني قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وتمام الشعر لعمري لسعد بن الضباب * رجع القول الى بل هي كلمة نقصانها مجهول ومثلها هل وقد ان شئت جعلت نقصانها واوا فقلت بلو هلو قدو وان شئت جعلته ياء فقلت بلى هلى قدى ومنهم من يجعل نقصانها مثل آخر حرف منها فيدغم فيقول بل هل قدّ بالتشديد وانما يقدر فيها ذلك كله اذا سميت بها ولا يرد الا في التصغير ولا تسكون الاحرف لين فان لم تصغر فهي كيد ودم وتقدم بلى بالتخفيف والسكون وشكله شكل بلى القبيلة المشهورة في العرب والنسب اليها بلوى ومن شكل بلى قولهم فلان بذى بلى مشدّدا اللام والياء للذى لا يعرف موضعه وفيه لغة أخرى فلان بذى بليان مخفف الياء على وزن فعليان مثل صليان جمع صليانة وهي حشيشة تأكلها الابل * وأما بل الثالث فمن بل الثوب وغيره فعل ماض وسيأتي * وأما بل الرابع فالمباح من قولهم حل و بل" واختلف في قولهم وبل فمنهم من جعله اتباعا على مذهب من يجيزه بحرف العطف ومنهم من جعل له معنى وهو المباح كما تقدم وهذا أحسن لأن الاصمعي قال كنت أرى ان بل اتباع حتى زعم المعتمر بن سليمان أن بل في لغة حمير المباح قال أبو عبيدة شفي من قولهم بل الرجل من مرضه وأبل اذا برأ كما تقدم قال العباس بن عبد المطلب في زمزم لا أحلها المغتسل وهي لشارب حل و بل قالوا والاتباع في الكلام انما يأتي للتقوية ولا معنى له الا ذلك كما قالوا شيطان ليطان وحسن بسن * سئل بعض العرب عن الاتباع في الكلام فقال انما هو شئ نشد به كلامنا اى نقوّيه وقالوا جائع نائع واختلفوا فيه ايضا فجعله بعضهم اتباعا وبعضهم قال نائع عطشان وعليه أنشد ابن قتيبة

لعمر بني شهاب ما أقاموا * صدور الخيل والأسل النياعا

يعني الرماح العطاش وتقول بلت به بلالة و بلولا صليت به ومنه قولهم لئن بلت به لتبلن بالاسد وسيأتي الكلام عليه في باب الراء ان شاء الله تعالى ويقال أيضا بللت به ظفرت ولئن بلت بك يدى لا تفارقني أو تؤدي حقي ويقال لا تبلك عندي بالة أي لا يصيبك مني ندى ولا خير ويقال أيضا لا يبلك عندي بلال مثل قطام قالت ليلى الاخيلية

فلا وأبيك يا ابن أبي عقيل * يبلك بعدها عندي بلال

بل"

والأبل الشديد اللؤم يقال منه رجل أبل وامرأة بلاء اذا لم يدرك ما عندهما من اللؤم ورجل أبل اذا كان خبيثا وأنشد ابن دريد فى ذلك لبعضهم

ألا تتقون الله يا آل عامر * وهل يتقى الله الأبل المصمم

وفسر ثابت الابل بالمطول فى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض عماله ماله قاتله الله انه لفاجر أبل أو أمين مابقل وفى بعض الروايات أوهو من لا يفعل وفسر الابل الذى يمضى على أمره وشأنه لا يرجع عنه وأنشد

محرش يخلط افكا بجدل * أبل ان قيل اتق الله احتفل

والابل الحاذق البصير برعية الابل ومنه المثل أبل من حنيف الحناتم وكذلك قالوا أبل من مالك بن زيد مناة وكانا يحسنان معارعى الابل والأبل مخفف مضموم الهمزة والباء الاوان قال الرياشى سألت أبا العطاف قلت ما الفشو قال الذى ينبت فى غير أبل فسره بعضهم الأوان كما تقدم ويقال نشو ونشى ونشأة ونشوة ومعكوس أبل لبأ مهموز مقصور وسيأتى ومن شكله لى فلان بالحج يكتب بالياء وكتبه بالالف جائز كما تقدم ويقال لبأ فلان بالحج تلبئة بالهمز (و ج) وقال متصلا به قال الفراء وربما خرجت بهم فصاحتهم الى ان يهمزوا ماليس بمهموز قالوا لبأت بالحج وحلأت السويق ورثأت الميت والابل الذى لا يستحيى قال ابن دريد بلات من المرض وبلات من فلان بشر اذا لقيته منه وبلة الشباب طراوته ويقال طويت فلانا على بلته وبلالته وبلوله وبللته وبلوالته اذا طويته على ما فيه من عيب وأنشد

ولقد طويتكم على بلاتكم * وعرفت مافيكم من الاذراب

ويقال للنور العضاه اذا خرج البلة والبلة داء يصيب الانسان فى جسمه ويقال فى الثوب بلة أى رطوبة والبلبلة الحركة والاضطراب تبلبل القوم بلبلة وبلبالا والبلبلة والبلبال أيضا ما يجده الانسان فى قلبه من حركة الحزن والبلبلة حكاية صوت التيس عند السفاد وفسره أيضا بحس الشاة ولدها ومن البلبال ويجمع بلابل حديث على رضى الله عنه صيام ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن بلابل الصدر يعنى وساوسه وخرجه ثابت وقال فى تفسيره نحو ما تقدم والبلبلة وسواس الهموم فى الصدر وانشد

وانى لأرضى منك يامى بالذى * لو ايقنه الواشى لقرت بلابله

بلى وبان لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد والتسويف قد مل آمله

لبأ

وبالنظرة

وبالنظرة الجلي وبالحول ينقضي * أواخره لا تنقضي وأوائله

والبلبلة بالضم ضرب من الكيزان في جنبه بلبل ينصب منه الماء والبلبل الخفيف العوان * وأما بل الخامس فأمر من بل الشيء يبله بالماء وغيره بلا وبللا وبلة وتقول ما أحسن بلة لسانه بالكسر والبليل الريح الباردة وبللت رحمي بللا وصلتها وجاء منه في الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام وجاء في حديث آخر ان لكم رحما سأبلها ببلالها كذا رواه المحدثون بكسر الباء وقال الخطابي انما هو ببلالها الباء مفتوحة من بله كالملال من مله يمله * وأما بل الآخر فبل أيضا مبني لما لم يسم فاعله وان شئت فقل بل مخففا أمر من البول ولا تخلي هذه اللفظة أيضا من فائدة والغرض في ذكرها ان لا تكرر في القوافي لفظة الا لمعنى وكذلك في ألفاظ الابيات ان شاء الله فالبول معروف وسيأتي في فصل الفوائد من كره ان يقول أبول ولكن ليقل أريق الماء ومن أجاز ذلك وسيأتي ذلك ان شاء الله والبول أيضا ولد الرجل فان جعلت الواو أصلية في وبل فله معنى تقول وبل المرتع بالضم وبلا ووبالا فهو وبيل أي وخيم ومنه استوبلت البلد أي استوخمته وفي الحديث في شأن العرنيين استوبلوا المدينة وهو من هذا والوبل والوابل المطر الشديد وقد وبلت الارض توبل فهي موبولة قال الاخفش ومنه قوله تعالى أخذا وبيلا أي شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل منه أي شديد والله أعلم بقي من معكوس هذه اللفظة (لب) لب كل شيء من الثمار ولبابه داخله الذي يطرح خارجه وجمعه لبوب ولب الرجل عقله ولباب كل شيء خالصه كما قال الشاعر * لباب البر يلبك بالشهاد * وسيرد في الكتاب عليك ساقه الله حلالا اليك * ورجل ملبوب موصوف باللبابة واللبة وقد لب يلب ولب معروف واللبب البال يقال هو رخي اللبب واللبة واللبب من الصدر أوسطه ولبة القلادة واسطتها والتلبيب ما في موضع اللبب من ثياب الرجل ولببته جعلت في عنقه ثوبا وقبضت عليه وفي الحديث من هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلببته بردائه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حكيم بن حزام رضي الله عنه والمتلبب المتحزم بالسلاح واللبب الملازم للشيء ورجل لب قريب لطيف وألب بالمكان أقام به ومنه قولهم لبيك معناه لزوما لأمرك طوعا لك وقيل معناه اجابة بعد اجابة ومخرجه مخرج حنانيك وقد تقدم ونصب على المصدرية كقولك حمدا وشكرا وكان حقه أن يقال لبابك وثنى على معنى التأكيد أي البابا لك بعد

بل (في الهامش، بجانب سطر «العوان * وأما بل الخامس»)

بل (في الهامش، بجانب سطر «من بله كالملال»)

وبل (في الهامش، بجانب سطر «وبل فله معنى»)

اب (في الهامش، بجانب سطر «والله أعلم بقي من معكوس هذه اللفظة (لب)»)

الباب واقامة بعد اقامة قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب داري أي تحاذيها أي أنا مواجهك بما تحب اجابة لك وقد جمع على الب كما جمع بؤس على أبؤس ونعم على أنعم وربما أظهروا التضعيف قال الكميت

اليكم ذوي آل النبي تطلعت * نوازع من قلبي ظماء وألبب

ويقال بنات ألبب عروق في القلب تكون منها الرقة وقيل لأعرابية تعاتب ابنا لها مالك لا تدعين عليه فقالت تأبى له ذلك بنات ألببي والالبابة لحس الشاة ولدها وقد تقدم واللبابة حشيشة ولبابة اسم امرأة قال أكثر هذا (ع) وقال ابن دريد يقال لب بالمكان وألب لبا والبابا وقال في باب الراء رب بالمكان وأرب به اذا أقام ورب الرجل النعمة ربها ربا اذا تممها وقد تقدم * يربون بالمعروف معروف من مضى * البيت وقد تقدم أيضا اللب الزرع وألب اذا دخل فيه الحب واللب ولب الرجل اذا صار لبيبا قالت صفية بنت عبد المطلب * أضربه لكي يلب * وكي يعود ذا اللجب * ورأيت في موضع آخر ذا الرجز وفيه قالت أم الاحنف وأنشدت أضربه * واللب العقل والرجل اللبيب العاقل وجمعه ألباء تقول منه لببت يا رجل بالكسر تلب لبابة أي صرت ذا لب وحكى يونس فيه لببت بالضم وقالوا رجل لبيب وكذلك قالوا امرأة لبيبة وقد تقدم لب كل شئ خالصه وربما سمى سم الحية لبا وجاء في الحديث من لفظة لبيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت خرجه الترمذي وقال حديث صحيح وفي مسند شعبة من الزيادة فلا يحدثن بها الاحبيبا أو لبيبا فرغ هذا * وأما تل وثل فالتل مصدر تل يتل تلا وسيأتي ان شاء الله تعالى والتل أيضا الرابية والجمع تلال ويجمع أيضا تلول وجاء في حديث الابراد بالصلاة وقال فيه حتى رأينا فيء التلول يعني بالتلول ما ارتفع من الأرض كالهدف ونحوه وسيأتي الفيء في باب الفاء ان شاء الله وفي الحديث أيضا منه قال عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة ثم يؤذن لي فأقول ماشاء الله فذلك المقام المحمود وقيل في المقام المحمود غير هذا وسيأتي في باب السين ان شاء الله والتل أيضا موضع معروف قال الشاعر تل

الضاربون عميرا عن بيوتهم * بالتل يوم عمير ظالم عادي

ويقال رجل ضال تال وجاء بالضلالة والتلالة وهو الضلال ابن التلال وكل ذلك

اتباع والتلتلة الاقلاق والحركة وقد تقدم وفى الامالى التلاتل والتراتر الهزاهز والتليل العنق وتلتله أى زعزعه وزلزله وقد جاء فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حين أتى بسكران أو بشارب فقال تلتلوه ومزمزوه خرجه أبو عبيد وقال قال أبو عمرو وهو أن يحرك ويزعزع ويستنكه حتى يوجد منه الريح ليعلم ما شرب وهى التلتلة والهزهزة والترترة بمعنى واحد والتلاتل الشدائد مثل الزلازل والتلاتل بضم التاء آنية تصنع من جف الطلعة قال أبو حنيفة والجف غلاف الطلعة ويكون لغيرها أيضا ويقال للجف أيضا القيقاء والمتل القوى الشديد يقال رمح متل وأسد متل منتصب وكان بعض أهل اللغة يقول انما سمى الرمح متلا لانه يتل به أى يصرع كأنه مفعل وهذا لا يقوله البصريون وقال الاصمعى المتل الغليظ وأنشد * فرأين منهوس الشجاع بكفه رمح متل * والمتل بالفتح المصرع ومنه حديث أبى الدرداء ابتنوا عليك البنيان وتركوك لمتلك ويقال هو بمتلة سوء أى بحال سوء وتأمر من هذا الفعل فتقول تل زيدا وكذلك المبنى لما لم يسم فاعله تقول فيه تل زيد * وأما تل الثانى فهو فعل ماض تقول تللت الشئ فى يد فلان اذا وضعته فى يده وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الاشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء فقال لا والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحدا قال فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده خرجه مالك رحمه الله فى الموطأ وفى القرآن العزيز فلما أسلما وتله للجبين معنى أسلما استسلما لامر الله رضى ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه ورضى ابنه عليه السلام بالذبح وقراءة على وابن مسعود رضى الله عنهما فلما سلما ومعنى تله صرعه على جبينه قاله المهدوى وقال البخارى فى جامعه وتله وضع وجهه بالارض وكلاهما قريب بعضه من بعض الا أن الجبين على ما قاله ابن قتيبة ما عن يمين الجبهة ويسارها وقد جاء فى الحديث ان الجبين هى الجبهة لقول الراوى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من مصلاه وعلى جبينه وأنفه أثر الماء والطين وفى حديث آخر لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الارض ما يمس الجبين فهو هنا الجبهة بلا شك وان سمى ما يكتنف الجبهة جبينا على ما قاله ابن قتيبة فجائز على الاتساع * وأما معكوس تل فهو لت لت السويق وغيره يلته لتا اذا بسه بالماء أو غيره واسم الفاعل من هذا لات والمفعول ملتوت أنشد الاصمعى لرؤبة لت

ويأكل الحية والحيوتا * ويدمق الاقفال والتابوتا
ويخنق العجوز أوتموتا * أوتخرج المأقوط والملتوتا

والمأقوط المعمول بالأقط يقال منه أقط طعامه يأقطه أقطا ونوع منه البكيلة وهو السمن يخلط بالأقط وأنشد * غضبان لم تؤدم له البكيله * وقال أبو زيد البكيلة والبكالة جميعا الدقيق يخلط بالسويق ثم تبله بماء أوسمن أوزيت تقول منه بكلت السويق بالدقيق أى خلطته وبكيل حى من همدان ولعل نوفا البكالى الذى جاء فى حديث موسى والخضر عليهما السلام من هذا الحى أو مما ذكر قبل هذا والله أعلم وكذلك قرأ ابن عباس ومجاهد أفرأيتم اللاتّ والعزى بالتشديد قال ابن دريد وقد ذكر اللات قد جاءت فى التنزيل بالتخفيف والتثقيل والله أعلم فان حملت هذه الكلمة على الاشتقاق لم أحب أن أتكلم فيها ولم يجئ فى الشعر الا بالتخفيف قال زيد بن عمرو بن نفيل

لات

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى عمرو أزور

بقى من شكل هذا الحرف لات الذى تقدم ولات حين مناص لات عند سيبويه مشبهة بليس ولا تستعمل الا مع الحين واسمها مقدر فى الجملة محذوف التقدير وليس الحين حين مناص وجاز الحذف مع تشبيه المرتفع بها المحذوف بالفاعل والفاعل لا يحذف لان أصل هذا الكلام بعد لات الابتداء والخبر فجاز الحذف كما يحذف المبتدأ وحكى سيبويه ان من العرب من يرفع الحين بعدها و يظهر الخبر وهو قليل والوقف عليها بالتاء فى مذهب سيبويه وابن كيسان والفراء والزجاج وعلى مذهب المبرد والكسائى بالهاء وذكر أبو عبيد أن التاء فى المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وخلاف قول المفسرين وكذلك روى الدورى وابن قتيبة عن الكسائى قراءتها ولاه فى الوقف بهاء ومعنى الآية ولات حين مناص وليس حين فرار عن ابن عباس وقال عكرمة ليس حين انفلات وقال قتادة نادوا حين لا حين نداء وسيأتى الكلام على حين وزيادة التاء فى تحين وتلان على ما أنشدوه فى الشعر ولا أقول فى القرآن العزيز شيئا أنظره فى باب النون فى الشعر الذى لى فاستمعه تلانا ان شاء الله ويقال ناص ينوص نوصا اذا فر واذا تأخر والمناص أيضا الملجأ قاله المهدوى وبقى من شكله اللات أيضا جمع التى وفيها خمس لغات اللات بكسر

التاء بلا ياء واللاتى بالياء واللواتى واللوات بلا ياء واللوا باسقاط التاء وأنشد أبو عبيد
من اللواتى والتى واللاتى * زعمن أن قد كبرت لداتى
وفى تثنيتها ثلاث لغات اللتان واللتانّ بتشديد النون واللتا بحذفها وفى مفردها ثلاث لغات أيضا التى واللت بكسر التاء مخففة واللت باسكانها وهى اسم مبهم للمؤنث وهى معرفة ولا يجوز نزع الالف واللام منها للتنكير ولا يتم الا بصلة وتصغيرها اللتيا قال الراجز
بعد اللتيا واللتيا والتى * اذا علتها أنفس تردت
ويقال وقع فلان فى اللتيا والتى وهما اسمان من أسماء الداهية وبعض الشعراء أدخل على التى حرف النداء وهو لا يدخل على ما فيه الالف واللام الا على اسم الله تعالى وحده فقال
من اجلك يا التى تيمت قلبى * وأنت بخيلة بالود عنى
ومن شكله أيضا الات بمعنى نقص من قوله تعالى لا يلتكم من أعمالكم شيئا أى لا ينقصكم وفيها لغتان لات يليت وعليها قراءة الجميع غير أبى عمرو فانه قرأ يألتكم من ألت يألت تقول ألته حقه ألته ألتا نقصته وجاء فى حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثاركم وتولتوا أعمالكم أى تنقصوها قال ابن قتيبة كانه من أولت يولت أو ألت يألت ان كان مهموزا وقوله توتروا ثاركم أى توجدوهم الوتر فى نفوسكم والثأر العدو لانه موضع الثار *(فصل ومعكوس لات)* تال اسم فاعل من تلا يتلو اذا قرأ أو تبع تقول تلوت الرجل أتلوه تلوا خذلته وتلوته تبعته وناقة متلية التى تنتج فى آخر النتاج ومتل التى يتلوها أولادها والجميع متال وأتليت عليه من حقى تلاوة اى بقية وتلوت القرآن تلاوة وجاء فى الحديث لا دريت ولا أتليت يقوله منكر ونكير عليهما السلام للمسئول فى القبر اذا قال لا أدرى قال الخطابى رحمة الله عليه المحدثون يقولون تليت والصواب ائتليت افتعلت من ألا بمعنى استطاع تقول ما ألوت هذا الامر وفيه وجه آخر وهو أن يقال وما أتليت يدعو عليه بأن لا تلى ابله أى لا يكون لها أولاد تتبعها ويقال ناقة متلية كما تقدم والله أعلم ويقال فلان تلاء للقرآن جاء منه فى الحديث ما خرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل حين دلاه فى قبره رحمك الله ان كنت لأواها تلاء للقرآن ويقال تلى فلان صلاته المكتوبة بالتطوع والتلاء بالتخفيف تال

اتل الذمة قال الشاعر * وسيان الكفالة والتلاء * ومقلوبه أتل يأتل أتلانا اذا قارب الخطو كأنه فى غضب وأنشد الفراء

أرانى لا آتيك الا كأنما * أسأت والا أنت غضبان آتل

لاث واتل أمر من تلا قال الله تعالى اتل ما أوحى اليك من الكتاب * ومن شكله لاث بالثاء المثلثة وألفه منقلبة عن واو لاث عمامته على رأسه ولاث ازاره عليه أداره مرتين يلوث فى ذلك لوثا واللوث أيضا كثرة اللحم يقال ناقة ذات لوثة وديمة لوثاء تلوث النبات بعضه على بعض واللاثث من الشجر ما التبس بعضه على بعض ويقال لاث على القلب أى لائث كما قال الراجز * لاث به الأشاء والعبرى * وفى القرآن العزيز من هذا النوع جرف هار أى هائر والله أعلم وفى الحديث منه لا يحتكر الطعام الا طاغ أو باغ أو زاغ أراد أو زائغ فقلب للطابقة ولو لم تكن لجاز على مذهب العرب والتاث فلان اذا أبطأ والتلوث فى الامر منه ورجل فيه لوثة أى حمق والملاث والملوث السيد الشريف وجاء فى الحديث من لاث أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وقد أقيمت الصلاة يصلى ركعتين فلما انصرف لاث به الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح أربعا الصبح أربعا خرجه الخطابى وقال معنى لاث به الناس أحاطوا به واجتمعوا عليه وكل شئ اجتمع والتبس بعضه ببعض فهو لاثث وأنشد البيت المتقدم * لاث به الاشاء والعبرى * ومن مقلوبه

أثل أثل من قوله تعالى خمط وأثل فالخمط الاراك والاثل شجر شبيه بالطرفاء الا انه أعظم قاله ابن عزيز واختلف فى الطرفاء فمنهم من قصره ومنهم من مده وهو الاكثر قاله ابن ابى زمنين قال صاحب العين ويقال أثل يأثل أثولا اذا تأثل وأثل الله ملكه أى عظمه وأثلة كل شئ أصله وفى الحديث من قول أبى قتادة رضى الله عنه انه

لثا لأول مال تأثلته فى الاسلام ويأتى من هذا اللفظة لثا يكتب بالياء قال (ع) اللثى شئ أبيض من ماء الشجر يسيل كالصمغ فاذا جمد فهو صعرور وقد الثيت الشجرة وألثت ما حولها والملثياء التى يعرق قبلها وجاء فى كتاب الخطابى من اللثى قول أبى ثوران العكلى أخويت فلم أطعم ثلاثا الا لثى الاذخر ومجاجة صمغ الشجر أى ما تحلب من الصمغ وخبز مجاج خبز الذرة يفت فيروى باللبن ثم يؤكل قال الشاعر

* أطيب شئ بالعين * خبز مجاج باللبن * ذكره فى تفسير حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأكل القثاء بالمجاج وقال المجاج أحد شيئين العسل أو اللبن واللثة

واحدة

واحدة اللثات وهى لحم الاسنان وتجمع أيضا اللى وأصل لثة لثى والهاء عوض من
ليث الياء قاله صاحب التاج ومن مقلوب هذا الحرف بالياء ليث وهو الاسد لايث فلانا
زاولته مزاولة الليث وقد تليث وليث صار كالليث ومنه حديث عبد الله بن الزبير
انه كان يواصل سبعا ثم يصبح اليوم السابع وهو أليثنا أى أشدنا مزاولة وأعظمنا
غناء مشتق من اسم الليث ويقال تليث وليث أيضا اذا صار ليثى الهوى قال
الراجز * دونك مدحامن أخ مليث * ومنه قول العجاج يصف الثور والكلاب
لاب * شكس اذا الاينته ليثى * ومن شكل لاث لاب يلوب لوبا ولوابا اذا عطش ونخل
لوب ولوائب ومن شكله لاب جمع لابة وهى الحرة ويقال لوب ومنه الحديث
عن النبى صلى الله عليه وسلم مابين لابتيها حرام يعنى المدينة ويقال لابة وجمعها الاب
ولابات ولوب يقال مابين لابتيها مثل فلان ولا يقال ذلك الا فى المدينة شرفها
بال الله تعالى وفى الكوفة (ومعكوس) هذه اللفظة بال يبول من البول والاسم
البيلة كالجلسة والركبة والمبولة بالكسر اناء يبال فيه ويقال لتبيلن الخيل
فى عرصاتكم وبال قديم كما قال امرؤ القيس

ألا اننى بال على جمل بال * يقودبنا بال ويتبعنا بال

وقال الحريرى فكم أخطر فى بال * ولا أخطر فى بال

والبال الحال والبال رخاء العيش والبال بال النفس وتقول مابالينبهذا الامر
أى لم أعبأ به وما أباليه بالة ولم أبال ولم أبل وفى الحديث من هذا الا يباليهم الله بالة
بمعنى انه يهينهم ولا يجزيهم خيرا والله أعلم والبالة أيضا القارورة التى يجعل فيها
الطيب فارسى معرب وأصله بلغتهم بيلة والبال الذكر والبال القلب والبال جمع
بالة وهى الجراب الضخم والبال سمكة ربما كان طولها أكثر من خمسين ذراعا قاله
الجاحظ والبوال داء يصيب الانسان فيأخذه البول ويقال رجل بولة * ومن
بلى مقلوبها بلى مقصور جواب ألم تفعل ولا يكون الا فى السؤال المنفى بخلاف نعم تكون
جوابا للسؤال الموجب واذا غيرهذا عن هذه الحال فسد المعنى وانقلب جاء من هذا
فى القرآن فهل وجدتم ماوعدربكم حقا قالوا نعم وألست بربكم قالوا بلى وأما بلاء
بالهمز فعناه الاختبار والتجربة بلوته أبلوه بلوا وبلاء وابتليته جربته والبلاء يكون
فى الخير والشر يقال أبليته بلاء حسنا وبلاء سيئا ويقال بلى الشئ بلى بالقصر
وبلاء بالمد والهمز وأبليت فلانا عذرا والبلوى البلية والبلية أيضا دابة كانت تشد

فى الجاهلية عند قبر صاحبها حتى تموت وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى وبلى حى من اليمن ويقال الناس بذى بليان وبذى بلى أى متفرقون وقد تقدم وأزيدك فائدة قال خالد بن الوليد رحمه الله فى كلام أما وابن الخطاب حى فلا ولكن اذا كان الناس بذى بلى وذى بلى قال أبو عبيد يريد تفرق الناس وان يكونوا طوائف مع غير امام يجمعهم وبعد بعضهم من بعض وأنشد الكسائى

ينام ويذهب الاقوام حتى * يقال أتوا على ذى بليان

الب ومن مقلوبها ألب وقد تقدم وألب عليه بمعنى كثر وأمال ومالأ وألب منه يقال الناس الب واحد عليه قال الشاعر

والناس الب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف وأطراف القنا وزر

ويقال ألب الابل يألبها ويألبها ألبا جمعها وساقها وتألبوا تجمعوا فهم ألب والب وقال الالب الصغو ومعناه الميل ومنه فقد صغت قلوبكما أى مالت وفى الحديث فأصغى لها الاناء حتى شربت يعنى أماله والالب أيضا نبات مسموم ان وجدت سباع الطير ريحه عميت وصمت وان أكلته ماتت والقشب ضرب منه وهو نبات رطب مسموم ينصب لسباع الطير فى لحم فاذا أكلته ماتت والعرب يجنبونه ماشيتهم فى المرعى كى لا تحطمه فيفوح من ريحه ما يقتلها قال هذا كله أبو حنيفة فى كتاب النبات وقال أيضا الفحاج كل نبات مسموم والألب لغة فى اليلب وهى الترسة ويقال الدرق ويقال هى البيض من جلود الابل ويقال اليلب الفولاذ من الحديد الواحدة يلبة قال (ع) ويقال للبيضات أيضا الخوذ قال الشاعر

وما ينفع الخائفين الحمى * لبس دروعهم والخوذ

لبى ومن مقلوبها لبى يكتب بالياء تقول لبى الرجل يلبى تلبية بمعنى أجاب وقد تقدم ولبأ مقصور وهو لبن خاثر تأتى به الشاة وغيرها عند الولادة يقال لبأت الشاة ولدها وألبأته أرضعته اللبأ والتبأ هو ولدها ولبأت الشاة والتبأتها حلبت لبأها واللبوة واللبوة واللباة الانثى من الاسد قاله (ع) وعن أبى حاتم اللبوة واللبة واللباة وفى الحديث من اللبأ ما خرج الترمذى عن كلدة بن حنبل ان صفوان بن أمية بعث بلبن

ابل ولبأ الى النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى كاملا مفسرا * ومن مقلوبه ابل وابل وابل وابل فأما الابل فمعلومة جمع لا واحد لها من لفظها لان أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم فاذا صغرتها

ادخلتها

أدخلتها الهاء فقلت أبيلة وغنيمة وربما قالوا للابل ابل بسكون الباء للتخفيف والجمع
ابال قال الراجز يصف الغيم * ابل في السن الى ربابه * اسنمة الابال في سحابه *
يعني ان سمن الابل وارتفاع أسنمتها انما هو من المرعى الذي ينبت من هذا المطر
فتأكله فسمن عليه واذا قالوا ابلان وغنمان فانما يريدون قطيعين من الابل والغنم
والنسبة الى الابل ابلي بفتح الباء استيحاشا لتوالي الكسرات وابل أبل مهملة
فان كانت للقنية فهي ابل مؤبلة وان كانت كثيرة قلت أوابل والابل المؤبلة أيضا
التي جعلت قطيعا قطيعا والآبل ذو الابل كما تقول لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر
وقد تقدم والآبل الحاذق البصير برعية الابل * وأما ابل تقول أبلت الابل تأبل
وتأبل أبلا وأبولا اذا اجتزأت بالرطب عن الماء والأبول الاقامة في المرعى وتأبل
الرجل عن امرأته اجتزأ عنها والابيل القطعة من الخيل وخيل أبابيل كما تقول
في الطير من قوله تعالى طيرا أبابيل قال ابن عزيز أبابيل جماعات متفرقة أي حلقة
حلقة واحدها ابال وأبول وابيل ويقال هو جمع لا واحد له وأما ابل واشكاله فقد
تقدم وتقدم أيضا بل وأبل من مرضه بمعنى برأ والوبلة بالتحريك الوخامة والثقل من
الطعام وفي الحديث كل مال أديت زكاته فقد ذهبت ابلته وأصله وبلة من الوبال
فأبدل بالواو الالف مثل أحد أصله وحد كما تقدم والابالة بالكسر الحزمة من
الحطب وفي المثل ضغث على ابالة أي بلية على أخرى كانت قبلها وبعضهم يقول ابالة
مخففا وينشد لي كل يوم من ذؤالة * ضغث يزيد على اباله
والابيل راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى عليه السلام أبيل الأبيلين حذفوا ياء
النسبة كما حذفوا في الاشعرين وغيره * فرغ الكلام من القافية على حد ثل
الاختصار بقي من شكلها ثل أخرت الكلام عليها الى باب النون لاني لم أجد
في قافية النون الانل واحتجت الى مايشاكلها فسقت معها ثل على ماتراه ان شاء الله
وكنت أيضا قرنت مرة النون في باب الباء وأخواتها فرددت لها الثاء عوضا
عما استعرت وقلت في ذلك

لما استعرت النون في باب با * عوضتها بالثاء في حرف نون
فان تصرفه يلح فيه من * علمهما ان تتبحر فنون
نفذ هد الذ الله بيتين في * آخر كل فيهما حرف نون

خرجت من شئ الى غيره * من باب ناب ثم ناب وتاب

وها أنا أذكر من بعد ذا * فوائد الباب بنص الكتاب
وأنت بإقرائه فاجتهد * وادع لمن ألفه بالمتاب

(فصل من الفوائد تقدّم في أوّل الباب مثلان) أحدهما أحق الخيل بالركض المعار والآخر لامرٍ ما جدع قصير أنفه أما هذا فقد تقدم طرف منه وشارح مقصورة ابن دريد ذكره مطولا انظره هناك موفقا وأما * أحق الخيل بالركض المعار * فإن فيه أقوالا قالوا المعار من العارية وذلك أنه لا شفقة من المعير على العارية لأنها ليست له واحتجوا بالبيت الذي قبله وهو لبشر بن أبي حازم في صفة الفرس

كأن حفيف منخره اذا ما * كتمن الربو كير مستعار
وجدنا في كتاب بني تميم * أحق الخيل بالركض المعار

قالوا والكير إذا كان عارية كان أشد لكدّه وقال من ردّ هذا المعار السمين يقال أعرت الفرس إعارة إذا أسمنته واحتج بقول الشاعر

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

واحتج أيضا بأن أبا عبيدة زعم أن هذا البيت وما بعده في كتاب بني تميم ليس لبشر وإنما هو للطرماح وكان أبو سعيد الضرير صاحب عبد الله بن طاهر يردّ هذه الرواية فيرويها * أحق الخيل بالركض المغار * بالغين المعجمة أي المضمر من قولهم أغرت الحبل إذا فتلته وإذ وقعنا في ذكر الخيل العراب فدونك فيها حديثا غريبا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباكم اسماعيل أول من ذللت له الخيول العراب فاعتنقها ثم أورثكم حبها وذلك انها كانت كسائر الوحش فلما أذن الله تعالى لابرهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت أعطى كل واحد منهما كنزا من كنوزه فأوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام اني معطيك كنزا من كنوزي لم أعطه أحدا قبلك فاخرج فناد بالكنز يأتك قال فخرج اسماعيل عليه السلام وما يدري ما ذلك الكنز ولا يدري كيف الدعاء به حتى أتى أجيادا فألهمه الله تعالى اسماعيل الدعاء بالخيل فنادى يا خيل الله أجيبي فلم يبق في بلاد العرب كلها فرس الا أتاه وذلله الله له فأمكنته من نواصيها قال ابن عباس رضي الله عنهما فلذلك سمي ذلك الموضع أجيادا وقال عليه الصلاة والسلام الخيل العراب تراث أبيكم اسماعيل عليه السلام فاعتقوها واركبوها فانها ميامين فالخيل المعروفة عند العرب بنات الأعوج والوجيف

الخيل

ولاحق وبنات العسجد وآل ذوى العقال وداحس والغبراء والجرادة والجبقاء والنعامة والشما وحافل والشقراء والزعفران والحرون ومكتوم والبطين وقرزل والصريح والزبير والوجيف وغلوى * ومن كتاب التاج قال الاصمعى الحرون من الخيل أعوج وسمى بذلك لانه كان يسبق الخيل ثم يحرن ثم تلحقه فاذا الحقته سبقها ثم حرن ثم سبقها * ومن كتاب عياض رحمه الله قال أبو العباس المبرد وأعوج فرس لغنى وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن تشتد عظامه فاعوجت قوائمه وقيل بل ظهره وامه سبل وكانت لغنى وهذا أعوج الاصغر وأما أعوج الاكبر فهو فرس اسمه الهجرس والهجرس ولد فرس اسمه الدينار والدينار ولد زاد الراكب فرس سليمان بن داود عليهما السلام وهو بقية من الخيل التى خرجت من البحر وكان أعطاه لقوم وفدوا عليه وقال لهم تصيدوا عليه ماشئتم وكانوا من جرهم فكان لا يفوته شئ فسمى زاد الراكب والله أعلم انتهى كلام عياض رحمه الله * ومن بركة الخيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والغنيمة قال بعض العلماء يخرج من هذا الحديث ان الغزو مع كل بر وفاجر الى يوم القيامة ومن بركة الخيل ماقاله أبو ذر رضى الله عنه خرجه أبو ثابت رحمه الله قال ليس فرس الا انه يدعو الله فى كل سحرية يعنى سحرا وأنشد * فى ليلة لاتحس فى * سحريها وعشائها * وذكر ابن قتيبة رحمه الله فى كتاب تفضيل العرب وقد ذكر جهل بعض الناس بمعرفة الشعر فقال بعد كلام طويل وبعضده كقول القائل

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

الابيات وتاتى ويعارض ذلك بملوك فارس وأسرتها وتيجانها وبان ابرويز ارتبط تسعمائة وخمسين فيلا على مرابطه وبلغت نجدتها التى كان يشرب بها الداخل عليه ألف اناء من الذهب وخدمته ألف جارية وقد جهل هذا معنى الشعر فأخطأ فى المعارضة ونخربما ليس له فيه حظ ولا نصيب أما معنى الشعر فان أبا عبيدة رحمه الله ذكر أن وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر فأخرج بردى محرق وهو عمرو بن هند وقال ليقم أعز العرب قبيلة فيأخذهما فقام عامر بن احيمر بن بهدلة فأخذهما فاتزر بواحد وارتدى بالآخر فقال له بم أنت أعز العرب قال العز والعدد من العرب فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم فى بنى تميم ثم فى سعد ثم

في كعب ثم في بهدلة فمن أنكر هذا من العرب فلينا فرني فسكت الناس قال النعمان
هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت في أهل بيتك وفي بدنك قال أبو عشرة وعم
عشرة وأخو عشرة وخال عشرة يعني الأكابر على الأصاغر والأصاغر على الأكابر
وأما أنا في بدني فهذا شاهدي ثم وضع قدمه على الأرض وقال من أزالها من مكانها
فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد من الناس فذهب بالبردين فسمي ذا البردين قال
الفرزدق فما تم في سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتبهدل
لهم وهب النعمان بردي محرّق * بمجد معدّ والعديد المحصل
وأما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب وسبب الغزو وسلم المجد وثمال
العيال وبها يدرك الثأر وعليها تصيد الوحش وكانوا يوثرونها على الأولاد باللبن
ويشدونها بالأفنية للطلب والهرب وقد كنى الله عنها بالخير في كتابه فقال حكاية عن
سليمان صلى الله عليه وسلم اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب
يعني الخيل وبها شغل حتى غابت الشمس وقال لبيد
وللخيل أيام فمن يصطبر لها * ويعرف لها أيامها الخير يعقب
وقال آخر ولقد علمت على توقي للردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى
والنبي عليه السلام يقول الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة واذا كان
للرجل منها جواد كريم مبرز شهر وعرف وقيل العسجدي ولاحق وداحس والورد
كانوا يسمونها ويفتخرون بها في كلام طويل وكان للنبي صلى الله عليه وسلم خمسة من
الخيل ذكرها البخاري وسماها السكب والحيف والمرتجز واليعبوب واللزاز
ويأتي تفسيرها في باب الزاي ان شاء الله تعالى عند ذكر اللزاز وقد نظمتها في بيتين
وهما *خيل النبي السكب واليعبوب ثم المرتجز*
* ثم اللحيف واللزاز خمسة في ذا الرجز *
وكان للنبي صلى الله عليه وسلم خيل غيرها ذكر أبو داود أن ذا الجوشن الضابي قال
أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من بدر بابن فرس يقال لها القرحاء وذكر
الحديث الا انه ليس فيه بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم أتخذ هذا الفرس أم لا
وصح انه كان له فرس يسمى الضريس وآخر يقال له ملاوح وآخر يقال له الورد
وهو الذي وهبه عليه السلام لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فحمل عليه رجلا
في سبيل الله ثم أراد الرجل بيعه وأراد عمر أن يشتريه قال عمر وظننت انه بائعه

برخص فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشتره وان أعطاكه بدرهم واحد فان العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه وهو المذكور فى الموطأ وكان للمسلمين يوم بدر ثلاثة من الخيل لا غير فرجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لا أقف على اسمه الآن وفرس جبريل عليه السلام حيزوم وقيل ما اكتسب أحد من العرب فرسا الا سماه وكذلك الابل وذلك مشهور عندهم معلوم ويذكرون ذلك فى أشعارهم كما قال بعضهم

قد لفها الليل دوار حطم * هذا أوان الشد فاشتدى زيم

وسيأتى الكلام فى الغزو بالخيل وما لصاحبها فى ذلك من النيل فى باب الهاء ان شاء الله تعالى *(فصل فى فضل العرب)* من ذلك ما جاء فى الخبر من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا أريت وما أعطيت الليلة أعطيت الكنز من كنز كسرى وقيصر وأمددت بالملوك ملوك حمير اللهم ارحم حمير وخص قضاعة بالسلام وقال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص ان حمير تزعم أن تبعا منهم قال نعم والذى نفسى بيده وانه فى العرب كالانف بين العينين وكان بينهم سبعون ملكا قال النعمان بن بشير

لنا من بنى قحطان سبعون تبعا * أطاعت لها بالخرج منها الاعاجم

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ملوك العرب حمير ومن حمير الثامنة وهم ثمانية رهط ولاة العهد بعد الملك وبعد الثامنة أربعة الاف قيل والقيل الذى يسمع الملك كلامه ولا يكلمه غيره ومنهم الوزعاء الشاة وهم عمال المخاليف وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاقيال والاقوال والعباهلة وانما قيل له قيل لانه اذا قال شيئا لم يرد عليه * وقال خلف الاحمر المتوجون من ملوك العرب فى ثلاث قبائل قضاعة ومتوجوها فى بنى آكل المرار وبنو عامر ومتوجوها فى الخزرج وفى مضر متوجون وذكر ابن عبد ربه رحمه الله ان النعمان بن المنذر وفد على كسرى فوجد عنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثنى فارسا ولا غيرهم فقال كسرى وأخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم فرأيت الروم كذا ووصف من حالهم وجعل يثنى عليهم ورأيت الهند التى لها كذا وكذا ثم قال مثل ذلك فى الترك والخزر والصين متى ذكر قبيلة أثنى عليها ووصف ما يفتخرون به

ذكر فضل العرب على العجم

ثم قال ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير وجعل يصف شأنهم وهو يحقرهم
ويصغرهم فقال النعمان أصلح الله الملك وجعل يثني عليه ثم قال ألا ان عندي
جوابا في كل ما نطق به الملك في غير ردّ عليه ولا تكذيب له فان آمنني من غضبه
نطقت به قال كسرى فأنت آمن فقال النعمان أما أمتك أيها الملك فليست تنازع
في الفضل لموضعها الذي هي به في عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها
وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التي ذكرت فأي أمة تقرنها
بالعرب الا فضلتها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها
ودينها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدّة عقولها وأنفتها ووفائها فأما عزها
ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوّخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجنود
لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم مهادهم الارض
وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزها
الحجارة والطين وجزائر البحور وأما حسن وجوهها وألوانها فقد تعرف فضلهم
في ذلك على غيرهم من الهند المحرّقة والصين المخنّعة والترك المشوّهة والروم
المقشّرة وأما أحسابها وأنسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها
وأصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه دنيا فلا
ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أبا أبا حفظوا بذلك أحسابهم
وضبطوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى
الى غير أبيه وأما سخاؤها فان أدناهم رجلا الذي يكون عنده البكرة أو الناب
عليها بلاغه في حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة
ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له من دنياه كلها فيما يكسبه حسن
الأحدوثة وطيب الثناء وأما حكمة ألسنتها فان الله أعطاهم في أشعارهم ورونق
كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضرب الامثال وابلاغهم
في الصفات ما ليس لشئ من ألسنة الاجناس ثم خيلهم أفضل الخيول ونساؤهم
أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم
الجزع ومطاياهم التي لا يبعد عن مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر وأما دينها
وشريعتها فانهم متمسكون بها حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه ان لهم أشهرا حرما
وبلدا حراما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون ذبائحهم فيلقى الرجل

قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وادراك دمه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى وأما وفاؤها فان أحدهم يلحظ اللحظة ويومى الايماء فهى الى وعقد لا يحلهما الا خروج نفسه وان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان أحدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى تفنى تلك القبيلة التى أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحروب من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله وأما قولك أيها الملك يئدون أولادهم من الحاجة فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون فى المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائرهم فيلقون اليهم أمورهم وينقادون اليهم بأزمتهم فأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطء والعسف وقال الى غير ذلك كلاما طويلا اختصرته فعجب كسرى مما أجابه النعمان به وقال انك لأهل لموضعك من الرياسة فى أهل اقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفى نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم بعث الى أكثم بن صيفى وحاجب بن زرارة وجماعة من رؤس العرب سماهم فلما قدموا عليه فى الخورنق قال لهم قد عرفتم حال هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالة أتخوف أن يكون لها غور واقتص عليهم مقالة كسرى وما ردّ عليه فقالوا وفقك الله أيها الملك ما أحسن ما رددت عليه وأبلغ ما حاججته به فرنا بأمرك وادعنا الى ما شئت قال النعمان انما أنا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وبما يتخوف من ناحيتكم وليس شئ أحب الى مما سدّد الله به أمركم وأصلح به شأنكم والرأى ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا بكتابى هذا الى باب كسرى فاذا دخلتم عليه نطق كل واحد منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن أو حدثته به نفسه ووصاهم بوصايا وكتب لهم كتابا سماهم فيه واحدا بعد واحد بعد أن اعتذر اليهم فى تقدمة بعضهم على بعض وقال انما فعلت ذلك لعلى

يحرص كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه في الكلام فلا يكونن ذلك فجد في آدابكم مطعنا فانه ملك مترف وقادر مسلط ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرف حلل الملوك فكسا كل واحد منهم حلة وعممه بعمامة وختمه بياقوتة وأعطاه نجيبة مهرية وفرسا يجنب معه وكتب في كتابه أما بعد فان الملك ألقى الى من أمر العرب ما قد علم وقد أوفدت اليك أيها الملك رهطا من العرب فليسمع الملك منهم وليغض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم ويعجل سراحهم فلما قدموا على كسرى أذن لهم بالكلام فتكلم كل واحد منهم بما قد كتب ودون واتخذ أصلا حسبما هو مذكور في العقد فعجب كسرى من بلاغتهم وخطابتهم وربما كان في بعضها قوة وجفاء فقال لهم آخر ذلك كله قد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من غير ذلك فانصرفوا الى ملككم والتزموا طاعته وأمر لكل واحد منهم بخمسين دينارا وحلة وصرفهم اختصرت الخبر فهذا بعض فضل العرب وللخلف الاحمر في فضلهم أيضا كلام كثير وقد تقدم منه طرف في أول الكتاب وتقدم أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان رضي الله عنه ياسلمان لا تبغضني في أخبار كثيرة من هذا المعنى فاذا لا يبغضهم الا زنديق أو من حاد عن الطريق كما ذكر عن أبي عامر بن غرسية البشكسي انه انشأ رسالة يفضل فيها العجم على العرب ظن انه أعرب فيها وأغرب ففسق بها وبدع وسب بسببها وجدع ورد عليه جماعة من العلماء الفضلاء النبلاء أما أحدهم فافتتح الرد عليه بقوله

وذي خطل في القول يحسب انه * مصيب فما يهتف به فهو قائله

والبيت لزهير وممن رد عليه الفقيه الفاضل أبو مروان عبد الملك بن محمد الاوسي في رسالة سماها رسالة الاستدلال بالحق في تفضيل العرب على جميع الخلق والذب والانتصار لصفوة الله المهاجرين والانصار وللفقيه الاديب أبي الطيب عبد المنعم ابن من الله رسالة سماها حديقة البلاغة ودوحة البراعة المونقة افنانها المثمرة أغصانها بذكر المآثر العربيه ونشر المفاخر الاسلاميه والرد على ابن غرسيه فيما ادعاه للامم العجميه وللفقيه الامام الكاتب ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي رسالة سماها خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسية الفاسق في تفضيله العجم على العرب وقرعه النبع بالغرب ومن المتأخرين ايضا الفقيه الاجل

المحدث

المحدث الافضل أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي عرف بابن الفرس رحمهم الله فأما ابن أبي الخصال فأخنى عليه وصال بحجاج أمضى من النصال ماله عنها انفصال وقد أراني جميع ذلك بعض الاصحاب ممن هو في العلم في السحاب وفي جملتها كلام ابن غرسية المذكور في رسالته الدالة على فساد القول وفسالته التي فضل فيها على العرب العجم وأراد أن يعرب فأعجم فقلت وقد غاظني ما رأيت لهذا الجاهل من الاقتراف وأنا بالعجز عن معارضة من سبقني من العلماء ذو اعتراف

أقول لباغ في مقالته يهفو * حسود كثير الضغن شيمته السخف
يعيب بما قد قاله العرب الالى * هم الرأس والباقون بعدهم الظلف
وزاد كذا تفضيل قوم لبؤسهم * رئيسهم شيخ الكنيسة أسقف
ألا فاغضبوا يا مؤمنين لدينكم * ولا تضعفوا فالدين ليس به ضعف
أليس عظيما يقدم الاوجه القفا * ومعلوم ان الاذن يقدمها الانف
ولكنه من عاش يبصر عجائبا * ويسمع حديثا ليس يبلغه الوصف
فقلت لنفسي مسليا عن تلهف * ترفق بنفس كاد يتلفها اللهف
وهل حاسد الامقالته أف * وهل ضوء نور الشمس يستره كف
فقل للذي قد عاب قوما أعزة * رويدك ان النكر يغلبه العرف
حضضت على نشر الثناء عليهم * ولم يك مستورا فينشى له كشف
ولكنه كالعود شب له الغضى * فألقى فيه فانثنى وله عرف
وأيضا فمن هذا الذي رام حطهم * بما حط من سخف تضمنه صحف
اذا قيل من قالوا ابن غرسية كفى * به شرفا ان النصارى له الف
تعلم منهم قسوة القلب والجفا * ولكنه جاف ولفظ له جلف
فهب انه عباب والله قد وفى * بما لاح في مكتوبه انه خلف
أيطفئ نور الله نفثة نافث * وهل ماء هذا البحر ينزفه غرف
أبيت ويأبى الله ذلكم لهم * ولو جاء من مثل ابن غرسية ألف
فقل للكرام السادة العرب حسبكم * لسان الورى طرا على مدحكم وقف
ونصركم حقا عليهم بكل ما * يطيقونه والود منهم لكم صرف
ولو لم يكن الا لأن محمدا * عليه سلام منكم أيها الصنف

خليـل اله العـالمـين نبيناً * ومن منه نرجو العطف يتبعه العطف
ولكن سيدى من يقول مقالتى * ومن قال أيضاً ضدها من له العنف
وقـد قلت ذا أبغى به الله وحده * وان شـا به شئ فربى قـد يعفو
فان كنت لم أشبع فقد قيل قبل ذا * كلام ويكفى من مضمتـه النصف
وأسـتغفر المولى وأسأله الرضى * فمن عنـده تأتى المبرات واللطف

وكان ذلك الصاحب المذكور أيضاً قد ردّ عليه بمكتوب فيه مقطوعة من نظم فيه أبدع فيها وفى قوافيها وأراد منى أكرمه الله ان أحذو حذوهم فى ذلك الغرض ورآه على أهل الادب كالشئ المفترض

فقلت له دع ذا فليس بشانى * وتكليف مثلى ذا من الهـذيان
ومن أين للمقصوص بالطيران * وللفرس المرهوص بالجـريان

ظن وفقه الله ان عندى فى ذلك طول اتساع وطول ذراع وباع فنادته ياذا المعقول لو كنت كما تقول ورزقت من العلم ما رزقه اولو العقول ما زدت على ان أسلم ذلك المنقول وهل تركوا رضى الله عنهم لقائل ما يقول سبقوا الى المشاهد والاثر واستبقوا الى الشاهد بالخبر والاثر وحلوا كتبهم بالشعر والمثل وخلوا ابن غرسية حلت به المثل فسقوه وبدّعوه وسبوه وجدّعوه وكأس الموت قبل الفوت جرّعوه فليت شعرى الذى يسلك اليوم مسلكهم أو يقفوه بما ذا يفوه فوه فكيف وليت من يقفو آثارهم وكيف يشق غبارهم لكنى لا أخليك من صحيفة كلام كصفحة حسام هو لذلك العائب كلام كـكلام وملام ذو ايلام ثم أقصد السجع والفصاحه ولا أشينه بفحش وقباحه اذقد كفانى أصحابنا ذلك أولوا الحفائظ والرجاحه الذين فللوا سلاحه وقللوا صلاحه لكن قصدت بهذا الكتب نوعاً من العتب على سبيل الاقتصار على الاختصار ومن الصنف الذى عهدت منى ورويت عنى من المقلوب المعكوس فى ذم كتاب هـذا المنحوس المنكوس ولم آت منه الا باليسير القليل بجمود الذهن الحسير الكليل لكنه مع قلته آهل عامر بثلب مكتوب أبى عامر لانه آذانى بما وقع فى آذانى من سبه فى كتابه جميع العرب الا بعدمنهم والاقرب عابهم فيه وشانهم وحقر أمرهم فيه وشانهم ثم مد لسانه الالكن بما قدر عليه من القبيح وأمكن فجاهر بذكر المطهرة هاجر صرح فى ذلك الكتاب المنطوى على العمه بانها أمه وهب كان ذلك كذلك أليس ابراهيم الخليل عليه

السلام

السلام خليلها وضجيعها وحليلها أليس اسماعيل الكريم ولدها ومكة شرفها
الله بلدها حيث فجرت زمزم بسببه فجرت عينا المشرب به وقيل فيها هذه زمزم
لا تنزف أبدا ولا ترم تذهب الوله والبله وماء زمزم لما شرب له وكم لها رضي الله عنها
من فضيلة وسنه ووسيلة ومنه هي لنا الى اليوم أسوه وعبادة وقدوه كالطواف
بين الصفا والمروه والسعي في بطن المسيل ودمعها يسيل شفقة على ابنها
اسماعيل اذ كان صبرها عليه قد عيل وكجر الذيل سترا للنساء حتى في المرط
والكساء وكتدميتهن في الارتفاع منهن والانخفاض في ثقب الأذنين والخفاض
هذا لابقاء ماء الوجه وحظوة الزوج الالوف وذلك لتعليق القرط والشنوف الى غير
ذلك من الشعائر والمشاعر التي عمي عن علمها الطاعن المباهر المكنى بأبي عامر
الملقب بالشاعر الذي ترك ذكر هذا كله من العرف وهدم عليه أي جرف ولم
يتفقه فيه بحرف بل قصدنا بالمعائب وأمتنا وأدخل معنا في ذلك المرأة أمتنا
فعمنا وغمنا فهلا اذ قدح مدح ولما فتق رتق وحين جرح داوى ذلك الجرح وترك
موضعا للصلح لا جرم انه اجترم ولم يحفل بمنصب النبوه ولم تهزه أريحية الفتوه ولا
لاح عليه عرف البنوه ولا فاح منه عرف الابوه فلذلك استحق على قوله المقت من
وقته الى هذا الوقت ولما صرح به من القبوح والفضوح وهل بعد شتم الوالدين صلوح
ثم ان المسكين زاد الطين بله بمدحه غير أهل الملة من الاكاسرة والقياصره ويأبى
الله الا أن يعز هذا الدين وناصره أقام له حماة أمجادا كماة أنجادا نصروه بكلامهم
وزبروه في الكتب بأقلامهم اذ لم يمكنهم الا ذلك حين أعجلهم بموته وأعجزهم بفوته
ولو أدركوه حيا لما أبقوه ولا خافوه ولا اتقوه والعجب من أهل ذلك الزمن كيف
استقروا على هذه الفتن وأقروا هذا المجتري على هذا الاجترا وما جاء به من
الافترا أم كيف أبلعوه ريقه وأوسعوا له طريقه ولم يهلكوه وفريقه هلا
ضرجوه بالأضاميم أو أخرجوه من بين آل حاميم الظن بهم وبه انهم لم يعلموا
بكذبه وانه حين أنشأ هذه الرسالة وأوجدها جمدها وحين كتبها كتمها ولعله
بعث بها سرا الى اخوانه وأفشاها لاخدانه وحين مات ظهرت واشتهرت وحينئذ
رد عليه من وقعت اليه ويحتمل أن يكون عن هذا المذهب قد نزع وأقلع عنه
ورجع والله يعلم السرائر وما تخفي الضمائر ونسأل الله العصمه من مثل هذه
الوصمه والتوب من الحوب وصلى الله الغفور الرحيم على سيدنا محمد رسوله

الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين
(فصل) وأنت أيها الطالب المريد لابد من اسعافك ولو فى بعض ماتريد
لما كثر القول فى ابن غرسية من أولئك العلماء الاحبار الفضلاء الاخيار وألفوا
فيه الاجزاء كالأسفار وسارت بها السفار وأنجد ذكرها فى البلاد وغار وانتشر
أمرها فى البلاد وطار واشتهر خبرها فى أكثر الأقطار اقتصرت أنا الضعيف من
تلكم الاخطار على ثلاثة أسطار وفى ظنى انى لم أسبق اليها ولا وقع أحد منهم عليها
لانها من ذلك الفن المقلوب المعنى للقلوب الذى ولعت به على قديم الزمن ولم
يأت بمثله الامن ومن وكل ينفق من كيسه ويوسف من تشكيه السطر
الاول عكس الثانى والثانى عكس الاول وهذا هو القلب المحوّل والسطر
الثالث أولاه أخراه فرجلاه رأسه ورأسه رجلاه

أعجوبة لمن يرى * يمشى أماما وورا * كأنه لما جرى
أمامه تذكرا * شيئا نسى فاذكرا * فكر يمشى القهقرى

وبتلكم الثلاثة الاسطار الرفيعة الاخطار أخذت نصيبى من نصرة الدين وحماية
حوزة العرب الموحدين وأعملت براعتى على قلة براعتى فعل المجاهدين
للعين بالطبين على شرط أن يكون ابن غرسيه لم يتب من تلكم البليه فان كان
مقيما على تلكم القضيه الى المنيه فقد وقع الكلام فى حقه ورجع على مستحقه
وان كان قد تاب ورجع وعن مذهب السوء أقلع فلست بمغتاب من تاب والله
يتوب على التائبين ويعفو عن المذنبين ويغفر لنا أجمعين وصلى الله على سيدنا
محمد خاتم النبيين * وقد نظمت هذه المعانى كلها فى أبيات تبين لك من الاسطار
معناها وتشرح لك مغزاها

اصاح مهلا كتاب ابى عامر ذا اذا * نكال الى العرب لو قتناذا هنا
انه اذا ان تقول برع لالا لا كن اذا * اذرما عيبا باتكالهم حاصا
هذا كتاب اتمه هجوكله هنا تمالآت * الامة انه ملك وجهه جهتنا باتك اذاه

ياجامعا للكتب بالاوقار * من شاعر أو كاتب أوقار
لا تحتقر هذا الكلام فانه * عجب لما فيه من الاثمار
أنظر الى السطرين الاوّل منهما * عكس لثانيه من الاسطار
وكذلك الثانى للاوّل عكسه * فاعجب لذا الترداد والتكرار

لا زايد

لازائد حرفا ولا نقص ولا * معنى سوى القلب الغريب الدار
والثالث اردد منه أخراه على * أولاه ثم تحيلك فى المضمار
ان تسله نصايحتك بفائد * وكذلكم عكسا بلا انكار
قلب أتى قلب به فكأنه * ترق بكفى حائك مكثار
فمن اليسار الى اليمين برده * ومن اليمين كذلكم ليسار
ان كنت تحقره فجئ بمثاله * تشرف وتعظم آخر الاعصار
ان أنت لم تقدر عليه فعندها * تدرى بذاك حقيقة المقدار
وتقول يا ابن الشيخ انك أوحد * ماقلته سحر من الاسحار
وأنا أقول الحمد للمولى وأسأل رحمة من ربى الغفار
ومذمتى هذى بشرط أن يموت ولم يتب من قول ذاك العار
وان استقال من الذى قد قاله * فالله يصرف عنه حر النار
ثم الصلاة على النبى محمد * خير البرايا المصطفى المختار

ونسأل الله الرضى وجميل الصفح عما لا يرضى من مكتوب هذا الصفح وجميل العفو عما وقع فيه من الهفو والتجاوز عن الخطا والخطل والتهافت والزلل ونرغب اليه فى السداد فى القول والعمل فعليه المتكل وهو الرجاء والامل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان أبو عمرو هذا وفقه الله واياى قد عودته كما تقدم ان أبعث اليه بما أمكن من هذا المقلوب وكان يولع به فبعث الى مرة بأرنب فكتبت اليه بأبيات منها

ابن راء نيلا أتى * أتى الينا ارنبا * ابنى نوبا مثلها
هل ثم آتونى نبا * أبلغت رحب تكلم * وملكت بحر تغلبا

وبقية الابيات وسواها من هذا الفن مذكور حيث قلت لك والحمد لله وقد أطلت الكلام وخرجت عن النظام وتقدم المصراع وفى الحديث منه ان بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وفى هذا رجاء عظيم لهذه الامة وأرجى منه ما جاء فى الخبر أن للجنة ثمانية أبواب ولامة النبى صلى الله عليه وسلم خاصة باب يدخلون منه وخرج الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول وسيأتى فى باب الباء

عندذكر الالطيط نوع من هذا لانه يروى فى ذلك الباب وله ألطيط من الزحام وتقدم
باب ولى من لفظة باب كلام هو عندى من لباب اللباب أردت ان أثبته فى هذا الكتاب
ليعلم حذاق الكتاب أن قد جاء فى الخلف من يحوو نحو ماسلف للسلف كان يقرأ
على بعض الطلبة المقامات المذكورة للحريرى رحمه الله فلما انتهينا منها الى ذكر
الكلمات التى تنعكس وقول كل واحد من الخمس كلماته المعكوسة التى قال أولهم
لم أخامل وقال الآخر كبر رجاء أجر ربك وكذلك فكذلك الى آخرها مع الابيات
الخمسة أيضا التى أولها * أس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا * قلت
كان من حق الحريرى رحمه الله ان تكون الابيات سبعة على عدد الكلمات
فكان ثم من قال ومن يقدر على هذا كانه يعرّض بى فقلت أنا فى ذلك منظوما
عشرة أبيات وقد تقدم ذكرها وكتبت له منها بيتا واحدا باسم الشوق الى الذوق
والترقى من الاسفل الى الفوق ومن الذيل الى الطوق وأزيد لك هنا بيتا آخر افخر
به فمثله يفاخر اسبق تقوم لعلا * العلم وقت قبسا
الى آخرها وقلت من المنثور كذلك عشر كلمات وجعلت قبلها كلاما وبعدها مثله
وأضفت اليها ماجمعته من شكل الكلمات التى تنقط كلها والاخرى العرية من
النقط ومايخالط من الخط ومالايخالط ومايعكس ولا ينقط ومايعكس وينقط وغير
ذلك من البديع وما أجاب عليه بعض من رآه وجمعت ذلك فى الجزء المذكور وقبل
هذا فن الكلمات التى ذكرت جعلت الجماعة عشرة وقال أحدهم كلمة والثانى
ثنتين وكذلك الى تمام العشرة قال الاول باب وقال الثانى (عد و دع) وقال الثالث
(ان البلا ناء) وقال الرابع (ليس يلب بل يسيل) وقال الخامس (تربص أملك تؤت كما
صبرت) وكذلك الى آخر النثر والنظم وقد أنبأتك أين تجد هذا وسواه من
التكميل الذى ذكرت لك ان شاء الله والحمد لله على منته وتقدم انه يسمى الغلق
الذى يسدّ به الفتح فى الحائط بابا اتساعا كما قالوا فى المطر سماء لانه ينزل من السماء
وللسقف سماء وفى حديث اسلام عمر رضى الله عنه اذ جاء الى البيت الذى كان
فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل فنظرت من خلل الباب وفى الحديث
أيضا وأنا أنظر من صائر الباب شق الباب فهذا يحتمل ان يكون من بين ألواح الباب
أو من بين اللوح والحائط وفى الآخر اطلع رجل فى باب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحديث الموطأ فى الفتى الذى قتل الحية برمحه فماتت وخرّ هو ميتا فوجد

امرأته قائمة بين بابين وجاء في حديث آخر اذا لم يكن على الباب ستر ولا باب فلا بأس أن يطلع في الدار وسيأتي ان شاء الله وكيفما كان يسمى هذا بابا وهذا بابا اتساعا كما تقدم وكذلك تقدم أيضا انه يقال له الخلف وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس ابراهيم فان قريشا حين بنت الكعبة استقصرت وجعلت لها خلفا وفي حديث آخر وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا خرج هذا مسلم وقال البخاري قال أبو معاوية عن هشام وجعلت لها خلفا يعني بابا كذا فسره في الحديث وقال حماد بن سلمة عن هشام ولجعلت لها خلفين وفي رواية وألصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر أو كما قال عليه السلام فلما كان ابن الزبير وحدثته خالته عائشة رضي الله عنها هذا الحديث قال ليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث عائشة رضي الله عنها ووافق ذلك أنها احترقت في عهده يقال طارت شرارة من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت ويقال ان امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمرة في أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره فهابوا هدمها وقالوا نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد ابراهيم عليه السلام فأمرهم أن يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا وهولا أفزعهم فأمرهم ان يقروا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر وفي الخبر انه سترها حين وصل الى القواعد فطاف الناس بتلك الاستار فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الا جمل يطوف بها فلما استتم بنيانها ألصق بابها بالارض وعمل لها خلفا أي بابا آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها فلما قام عبد الملك بن مروان قال لسنا من تخليط أبي خبيب في شئ فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمرو بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت الارض بمخصرة في يده ويقول وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك قال أبو يوسف

ذكر الكعبة

ابن الشيخ وأما أنا فقد خانت يوما تحت أستار الكعبة شرفها الله من جهة الغرب
فرأيت أثر الباب في الحائط قد أغلق وأحكم الصاقه بالكذان المنحوت حتى كاد
يخفى على من أبصره وهو مقابل الباب الشرقي وعلى قدره الا انه ينتهي شقه الى
الارض وما يظهر منه الا قدر غلظ الخيط من أثر الباب القديم على شكل الباب
المنفتح اليوم من جهة الشرق الا ان البيت قد ردم وقدر ارتفاعه دون القامة فهو
والله أعلم الى المنكب يصعد اليه بدرج شبه المنبر يضم اليه يوم يفتح البيت ثم يزال
لئلا يمنع من الطواف وعدد درجاته عشر على سعة الباب يصعد فيه رجلان في صف
واحد وأسفل البيت مبسوط بالرخام وأعلاه مسطح قد سمرت في سقفه شقق الحرير
الملوّن من أبيض وأحمر وأصفر وأسود وحيطانه فوق القامة منه رخام مرصع
ومنه الى السقف شبه شجرة ملتفة الاغصان قد دخل بعضها في بعض من
أحسن ما يرى وكسى ذلك البيت ذهبا يكاد يغشي البصر وفي وسطه قائمتان من
خشب من الارض الى السقف وكان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء
في الموطأ على ستة أعمدة والموضع الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أفرغ فيه كوكب من فضة في رخامة هنالك يعلم به وبابه مصفح بصفائح الفضة المنيلة | الكوكب هو المسمار
بالسواد في غاية من الترصيع ونهاية من الاتقان وكواكب فضة تمسك الصفائح
عوض المسامير وعتبته من ذهب وعليه قفل عظيم في حلق فضة وأظن القفل من
فضة أيضا أو مغسولا بفضة والبيت مستور كله بالديباج الا موضع الباب وموضع
الحجر الاسود ولون أستاره خضر منسوج فيها صور المحاريب في كل محراب منها على
صغرها مكتوب طرة قد قطعت من الحلة الاحمر وخيطت على الاستار حروفها
تقرأ على بعد لعظم الحروف مكتوب بعد البسملة ان أوّل بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا الآية هذا ما أمر بعمله فلان ابن فلان عام كذا يعني صاحب بغداد وهو
يرسل كسوتها كل عام مع أشياء سوى هذه من الاسباب يطول بذكرها الكتاب
قال

أراها الله رأى العين عبدا * شديد الشوق للبلد الحرام
فيشفى سقمه بطواف بيت * كريم عند زمزم والمقام

وقد ذكرت بعض وصف البيت في قصيد مطوّل أقول فيه

وقد حلوا أعاليه بتبر * وقد بسطوا أسافله رخاما
وقد جعلوا له بابا وقفلا * وحلوا بابه ورقا وساما

الى آخره وهو فوق المائة بيت انظره فى التكميل ويروى ان أبا الفضل الجوهرى رحمه الله لما انتهى الى الكعبة شرفها الله ورأى ماعلق عليها من الزينة تمثل بهذين البيتين ماعلق الدر على نحرها * الا لما يخشى من العين

أقول والدر على نحرها * من علق الشين على الزين

وقلت أنا فى ذلك وذيلت البيتين

أهلا بمن مكة قد حاكى * بحـو وما بالقلب من رين

فاذ رأى البيت وقد علقوا * من فوقه الاستار للزين

لم يتمالك اذ رأى ذاك أن * أنشد فى الكعبة بيتين

قالهما صب رأى جيد من * حلى باللؤلؤ والعين

ماعلق الدر البيتين وينظر هذا الى قول الشاعر * مبتلة الاعطاف زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها * ومثله ماقال خالد بن عبد الله القسرى حين دخل على عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها ومن تكن قد شرفته فأنت قد شرفتها فأنت كما قال الشاعر

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

رجع الحديث الى ذكر الكعبة فلما قام أبو جعفر المنصور وأراد أن يبنيها على مابناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال له مالك بن أنس رضى الله عنه أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه وكانت الكعبة قد بنيت فى الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه السلام على القواعد الاول والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين بناها ابن الزبير والخامسة حين بناها عبد الملك كما تقدم وقيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين من أجل السيل وكان اصلاحا لم يكن ابتداء بنيان ولا هدمت وكانت قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم عليه السلام ويأنس بها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حج اليها من الهند وقد قيل ان آدم هو أول من بناها وفى الخبر ان موضعها كان على الماء قبل أن يخلق الله سبحانه السموات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سموات دحا الارض من تحت مكة ولذلك سميت

أم القرى وروى فى سبب بنيان البيت ان الله سبحانه لما قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فأمرهم الله سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا كل واحد منها مسامت لصاحبه أى فى مقابلته لو سقطت لسقط بعضها على بعض وروى ان الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الارض الى منتهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الابل فتلك القواعد من البيت التى رفع عليها ابراهيم واسماعيل البيت فلما جاء الطوفان رفعت وأودع الحجر الاسود أبا قبيس وذكر ابن هشام ان الماء لم يعلها حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت هى فى هواء الى السماء وان نوحا عليه السلام قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت أنتم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا والله ولا يمس أحد كم امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح عليه السلام ان يسود لون بنيه فاسود كوش بن حام ونسله الى يوم القيامة وقد قيل سبب دعوة نوح على حام غير هذا والله أعلم فلما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج اليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام ألا تبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى بعدى يتخذه الرحمن خليلا فلما بعث الله ابراهيم عليه السلام وشب اسماعيل أمر ابراهيم ببناء الكعبة فنزلت عليه السكينة وظللت له على موضع البيت فكانت عليه كالجحفة فلما بلغ ابراهيم عليه السلام الركن جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من جوف أبى قبيس وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وعنه والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وروى الترمذى أيضا مرفوعا ان الحجر الاسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب وفى رواية غيره ولأبرآ من استلمهما من الخرس والجذام والبرص وروى غير الترمذى من طريق على رضى الله عنه ان العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره أن لا يشركوا به شيئا كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود

ولذلك

ولذلك يقول المستلم ايمانا بك ووفاء بعهدك وذكر هذا الخبر الزبير وزاد فيه ان الله سبحانه وتعالى أجرى نهرا أطيب من اللبن وألين من الزبد فاستمد منه القلم الذى كتب العهد وفى الحديث الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح به عباده كما يصافح بعضهم بعضا ومعناه ان الملك اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكان الحجر لله فى الارض بمنزلة اليمين للملك يستلم ويلثم هذا على وجه التمثيل فى المعنى والله أعلم وذكر أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك له ان ابن الزبير رضى الله عنه حين أراد هدم البيت خرجوا من مكة الى منى وأقاموا بها ثلاثا خيفة أن ينزل عليهم عذاب وابن الزبير علا على البيت بنفسه حتى لم يجترئ أحد على هدمه وجعل يهدمها ويرمى بحجارتها فلما لم يصبه شئ صعدوا وهدموا معه فما ترحلت الشمس حتى ألصقها كلها بالارض وذلك يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة أربع وستين ولما هدمه عمد الى الحجر الاسود فجعله فى ديباجة وأدخله فى تابوت وأقفل عليه ووضعه عند دار الندوة حتى علا البناء وأمر بوضعه فبنى فى الحجر الذى تحته وفى الحجر الذى فوقه حيث يدخل حتى يكون فى نهاية من الالصاق والثبات ثم أمر ابنه عبادا وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلا الركن فى ثوب وقال لهما اذا دخلت فى صلاة الظهر فاجعلاه فى موضعه ففعلا ذلك وارتفع عليه البناء والناس فى الصلاة وكان طول الحجر ذراعا وشبرا وعرضه اثنى وعشرين اصبعا وقال من رأى مؤخره الداخل فى الجدار هو مضرس على ثلاثة رؤس ولونه الداخل فى الحائط مورد وقال بعضهم هو أبيض قال وأرقى ابن الزبير عبيدا من الحبش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة قال مجاهد قال عبد الله بن عمرو بن العاص كأنى به أصيلع أفيدع قائما عليها يهدمها بمسحاته والله أعلم وأراد ابن الزبير أن يبنيها بالورس فأخبر ان الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة فأرسل الى صنعاء بأربعمائة دينار واشترى له بها قصة بها بناها وذكر ان القرمطى المكنى بأبى طاهر المسمى سليمان بن الحسن لعنه الله وكان صاحب البحرين دخل مكة بالسيف فى سبعمائة رجل من أصحابه وذلك يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلثمائة فقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة زهاء ثلاثين ألفا وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك وأقام بها ستة أيام وقتل الناس وهم متعلقون بأستار الكعبة وردم منهم

زمزم وفرش منهم المسجد ومايليه وقلع الحجر الاسود من موضعه وحمله الى بلاده فأصابه الله تعالى ببلاء فى جسده حتى تقطعت أوصاله فلما أهلكه الله رد الحجر الى مكانه بعد مدة طويلة ذكر بعد اثنتين وعشرين سنة غير أربعة أيام والحمد لله على كل حال ورأيت فى بعض التواريخ ان الذى رده الى مكانه شبر بن الحسن ابن شنبر القرمطى ولد صاحب البحرين رئيس القرامطة وحج شنبر هذا مع الناس وقد نال المدينة شرفها الله نوع من هذه الوقيعة قبل هذا وذلك يوم الحرة أيام يزيد بن معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى الذى تسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة سنة ثلاث وستين قتل فيها من وجوه المهاجرين والانصار ألفا وسبعمائة وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وانتهب المدينة ودخل على امرأة من الانصار رجل من أهل الشأم وهى ترضع صبيها وقد كان أخذ ما عندها فقال لها هات الذهب والا قتلتك وصبيك فقالت ويحك إن قتلته فأبوه أبو كبشة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما خنت الله فى شئ بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتفض الصبى من حجرها وثديها فى فيه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الارض والمرأة تقول يابنى لو كان عندى شئ أفديك به لفديتك فاخرج من البيت حتى اسود نصف وجهه وسار مثلة فى الناس وكان سبب هذه الفتنة ان أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية وأمروا عليهم عبد الله بن حنظلة بن الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ولم يوافق أهل المدينة على هذا الخلع أحد من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزموا بيوتهم مثل عبد الله بن عمر وأهله وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى رضوان الله عليهم ودخلوا على أبى سعيد بيته فقيل له من أنت أيها الشيخ فقال أبو سعيد الخدرى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد سمعنا خبرك ونعم مافعلت حين كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم على وماعندى شئ فقالوا كذبت ونتفوا لحيته وأخذوا ماوجدوا حتى صوف الفراش وحتى زوجين من الحمام كانا فى البيت وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر اليهم فيما ذكروا وبذل لهم من العطاء أضعاف مايعطى الناس واجتهد وافى استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف ولكن أبى الله الا ما أرادوا والله يحكم

بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ولتظهر أيضا معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فانه يروى انه وقف يوما بتلك الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد أصحابي ويذكر عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال لقد وجدت صفتها في كتاب يهودا بن يعقوب عليهما السلام الذي لم يدخله تبديل فانه يقتل فيها قوم صالحون يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وذكر الحديث وخرج جابر بن عبد الله رضي الله عنه في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة وهو أعمى والبيوت تنتهب وهو يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل ومن أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي فحملوا عليه ليقتلوه فأجاره منهم مروان وأدخله بيته وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن أحد منكم انه خلع يدا عن طاعته الا كانت الفيصل بيني وبينه ثم لزم بيته كما تقدم وكان جدارا لكعبة أولا رصا بحجارة بعضها على بعض من غير ملاط طوله تسعة أذرع من غير سقف فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادت في جدارها تسعا فكانت ثمان عشرة ذراعا ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج أو سلم وقد سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا أو كما قال عليه السلام ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسعة أذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وعلى ذلك هي الآن وأما المسجد فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك ان الناس ضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها فقال عمر رضي الله عنه ان الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم كان عثمان رضي الله عنه فاشترى دورا أخر وأغلى في ثمنها وزاد في سعة المسجد فلما كان ابن الزبير زاد في اتقانه لا في سعته وجعل فيها عمدا من الرخام وزاد في أبوابه وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل اليه السواري في البحر الى جدة واحتملها من جدة على العجل الى مكة وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج وقد كان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ذكره الزبير بن بكار وذكر

أيضا ان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الاسلام وسيأتى حديث تبع وكيف كساها فى باب الكاف ان شاء الله تعالى ثم لما كان الوليد بن عبد الملك زاد فى حليها وصرف فى ميزابها وسقفها ما كان فى مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية للكعبة فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد الهادى زاد أيضا فى اتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل الى الآن نقلت هذه الاخبار من كتاب الاستاذ أبى القاسم السهيلى رحمه الله فى شرح السيرة وقال بعد تمام هذا الخبر وفى اشتراء عمر وعثمان رضى الله عنهما الدور التى زادا فيها دليل على ان رباع مكة ملك لأهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء اذا شاؤا وفى ذلك اختلاف

ذكر زمزم

وذكر رحمه الله فى حديث زمزم كلاما بديعا أثبته هنا فكن له سميعا قال كانت زمزم سقيا اسماعيل عليه السلام فجرها له روح القدس بعقبه وفى تفجيرها اياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيرها اشارة الى أنها لعقبه ووراثه وهو محمد وأمته كما قال سبحانه وجعلها كلمة باقية فى عقبه أى فى أمة محمد ثم ان زمزم لما أحدثت جرهم فى الحرم واستخفوا بالمناسك والحرم وبغى بعضهم على بعض واجترم تغور ماء زمزم واكتتم فلما أخرج الله جرهم من مكة بالاسباب التى أحدثوها عمد الحارث بن مضاض الأصغر الى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة وقيل سابور وكانت الاوائل من ملوك الفرس تحجها الى عهد ساسان أو سابور فلما علم ابن مضاض انه مخرج منها جاء تحت الليل حتى دفن ذلك فى زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة عافيا أثرها حتى آن مولد المبارك الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء وينفجر من بنانه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرواء فلما آن ظهوره أذن الله تعالى لسقيا الله ان تظهر ولما اندفن من مائها ان يجهر فكان صلى الله عليه وسلم قد سقيت الناس من بركته قبل ان يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدب بهم البلد وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش وسقيت الخلائق كلها غيوث السماء فى حياته صلى الله عليه وسلم الفئة بعد الفئة والمرة بعد المرة تارة بدعائه وتارة من بنانه وتارة بالقاء سهمه ثم بعد موته استشفع عمر بعمه الى الله تعالى عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه فلم يبرح حتى قلصوا المآزر واعتلقوا الحذاء وخاضوا الغدران

وسمعت

وسمعت الرفاق المقبلة الى المدينة صائحا يصيح فى السحاب أتاك الغوث أبا حفص كل ذلك ببركة المنبعث بالرحمتين والداعى الى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين صلى الله عليه وسلم صلاة تصعد ولا تنفد وتتصل ولا تنفصل فرغ كلامه رضى الله عنه * قلت ذكر فى هذا الحديث ان جده استسقى به لقريش فيما تقدم فسقوا ببركته صلى الله عليه وسلم ونفس المؤمن الى سماع الحديث عن ذلك تتشوف وبكونه من أمته عليه الصلاة والسلام يتشرف فها أنا قد سقته اليك مسندا فاشدد به يدا حدثنى الفقيه الحافظ أبو الطاهر رحمه الله فيما أذن لى فيه قال أخبرنى القاضى أبو المحاسن بالرى أخبرنا أبو نصر البلخى أخبرنا أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى حدثنا أبو سعيد بن الاعرابى قال حدثنا محمد بن على بن البحترى حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حدثنا عبد العزيز بن مروان عن ابن حويصة قال حدثت مخرمة بن نفيل عن أمه رقيقة بنت ابى صيفى بن هاشم قال تتابعت على قريش سنو جدب قد أمحلت الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة أو مهمومة ومعى صنوى اذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان نجومه فحى هلا بالحيا والخصب ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض وضاء أشم العرنين سهل الخدين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل ألا فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ألا فليستسق الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم اذا أبدا ما عشتم وشئتم قالت فأصبحت مذعورة قد قف جلدى وو له عقلى فاقتصصت رؤياى فو الحرمة والحرم ان بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد فتتامت عنده قريش وانقض اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا الماء ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهله حتى قروا بذروة الجبل فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه فرغ الحديث وهذه القصة

حديث الاستسقا

شهدها أبو طالب عمه ولذلك يقول

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو شعر مطول وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبى صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش لها كل ميزاب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * وروى أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون وروى انه قال فى استسقائه بالعباس اللهم انا نتقرب اليك بعم النبى صلى الله عليه وسلم وقفية آبائه وكبر رجاله دلونا به اليك مستشفعين خرجه صاحب التاج وقال دلونا معناه استشفعنا وقد تقدم تفسير القفية انه تلوهم واستسقى يومابه فلما فرغ من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم اليك بمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال وفى ذلك يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

سأل الخليفة اذ تتابع جدبه * فسقى الغيوث بغرة العباس

عم النبى وصنو والده الذى * ورث النبى بذاك دون الناس

أحيا المليك به البلاد فأصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

هذا كله ووجهه المطيب مغيب وأما بحضرة غرته فأسرع بالغيث ودرته روى أنس أيضا قال جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو قاعد فى المسجد فقال يارسول الله لقد أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صبى يصيح وأنشد يقول

أتيناك والعذراء تدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

وألقى بكفيه الكبير استكانة * من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلى

ولا شئ مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه الى السماء فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا سريعا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فوالله مارد يديه الى نحره حتى ألقت السماء بأرواقها وجاء أهل البطاح يضجون يارسول الله الغرق فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى السماء ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال كأنك أردت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل
تلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

الابيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل وقام أعرابي من كنانة فقال

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر
دعا الله خالقه دعوة * اليه وأشخص فيها البصر
فلم يك الا كالقا الردا * وأسرع حتى رأينا الدرر
دفاق العزالي جم البعاق * أغاث الاله علينا مضر
وكان كما قاله عمه * فهذا العيان لذاك الخبر
فمن يشكر الله يلق المزيد * ومن يكفر الله يلق الغير

فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن شاعر يحسن فقد أحسنت وأختم لكم هذا الفصل أيها الاحباب بذكر الحديث الذي وعدتكم به في أول الكتاب وسقته هناك كما ذكرته مجملا فخذوه كما شرطت لكم مكملا روت عائشة رضي الله عنها قالت شكا الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه قالت عائشة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا اله الا هو يفعل مايريد اللهم أنت الله لا اله الا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل

علينا الغيث واجعل ما أنزلته الينا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض ابطيه ثم حوّل الى الناس ظهره وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه ثم أقبل على الناس ونزل وصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت باذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم الى الكن ضحك حتى بدت نواجذه فقال أشهد ان الله على كل شئ قدير وأني عبد الله ورسوله وأزيدكم أيها البنون استسقاء سعدون المجنون قال عطاء السلمي رضي الله عنه منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فاذا نحن بسعدون المجنون فنظر الي فقال يا عطاء هذا يوم النشور أم بعثر من في القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقي فقال يا عطاء بقلوب خاوية أو بقلوب سماوية فقلت له بل بقلوب سماوية فقال هيهات يا عطاء قل للمتبهرجين لا يتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال الهي لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا تحيي به العباد وتروي به البلاد يا من هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا * اذ لولاهم أجاعوا البطونا

شغلتهم عبادة الله حتى * قيل في الناس ان فيهم جنونا

وروى ان الناس أقحطوا سنة فرأى رجل من الصالحين في النوم يقال له استسق بهذين البيتين ففعل فسقوا بهما

يا محيي الارض بعد ميتتها * ومنزل الغيث والورى قنطوا

ارحم عبيدا نفوسهم ظلموا * وأحي أرضا أصابها القحط

وهذا القول أيضا قد فرغ بعد ما أفرغت عليك منه عباب اللباب خرج من خلل ذلك الباب ثم أرجع الى بقية الكلام بعون الله ذي الجلال والاكرام وتقدم ذكر الباب وفي كتاب الله عز وجل منه كثير قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب وأتوا البيوت من أبوابها ومعناه ان قريشا كانت في الجاهلية اذا أحرم أحدهم بالحج لم يدخل بيته من بابه ونقب في الحائط نقبا من خلف الدار أو الحجرة فدخل منه وكانوا يفعلون ذلك لئلا يحول بينهم وبين السماء سقف أو عتبة وكان ذلك من دينهم فنسخه الله بالاسلام وقيل معناه اطلبوا الخير من بابه ولا تطلبوه من الجهال المشركين وقيل هو كناية عن اتيان النساء في أدبارهن والله أعلم بما أراد من

ذلك

ذلك وسيأتى الكلام على هذا فى باب النون عند قوله تعالى أنى شئتم مستوفى
ان شاء الله وأختم لك باب باب بحكمة من لباب الالباب رأيت للفقيه الفاضل أبى
القاسم عتيق بن محمد الصقلى رحمه الله فى قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب كلاما أعجبنى فنقلته من كتابه الذى سماه جامع الخير وأنا على ظهر البحر
ما بين الاسكندرية والمهدية وكان فى ذلك الكتاب عجائب ورقائق قال وقد ذكرت
اعجاز القرآن وكثرة معانيه وفوائده وان ذلك قد يوجد فى اللفظة الواحدة وقال
رحمه الله وتأمل يا أخى قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب كيف
أفادك سعة المنازل بكثرة الابواب واكبار الملائكة لهم واعزازهم حتى عنت
بأنفسها اليهم وكثرتهم وجمعهم لدخولهم من كل باب وشدة عنايتهم ومسارعتهم
وسرورهم بالبشرى لانه لولم يستفزهم ذلك لدخلوا من باب واحد وان كانوا عددا
شيئا بعد شئ تأمل هذه الجملة هل قامت الشعراء فى المحافل والخطباء على المنابر
بأفصح أو أمدح منها ثم أفهمنا ان جماع ذلك كله فى الصبر وعليه جعل الجزاء ومنه
قول الملائكة سلام عليكم بما صبرتم الصبر هو ذلك المر ليس بالتمنى ولا الاقتراح ثم
قال وانظر يا أخى هل حالى وحالك حال من يكون الله سبحانه مادحه والملائكة تزدحم
على أبوابه فتعتبر ذلك بما قاله بعضهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه
اذا شئت أن تعرف مالك عند الله فانظر ما لله عندك فى كلام جليل طويل * وتقدم
ناب وانه واحد الانياب وهى التى تلى الرباعيات فى الفم الى جهة الشدقين وهى
الحديدة الديدة القوية الشديدة قيل لابنة الخس ما أحد شئ فقالت ناب جائع
يلقى فى معاء ضائع وفى الفم اثنان وثلاثون سنا أربع ثنايا وأربع رباعيات وأربعة
أنياب وأربع ضواحك واثنتا عشرة رحا وأربعة نواجذ وهى أقصاها وآخرها
نباتا فى الناس من لا يخرج له شئ من النواجذ فتكون أسنانه ثمانيا وعشرين ومنهم
من يخرج له اثنان فتكون اسنانه ثلاثين فيزعمون ان من خرجت نواجذه كلها
كان وافر اللحية عظيمها ومن لم يخرج له شئ كان كوسجا والله أعلم ذكر ذلك ابن
السيد فى شرح خطبة أدب الكاتب حين ذكر حديث الاعرابى الذى قدم على أحد
الولاة متشكيا من عامله فذكر ظلامته بعنجهية وجفاء فقال له الوالى انى لأحسبك
جاهلا لا تعرف كم تصلى فى اليوم والليلة فقال له الاعرابى أرأيتك ان أخبرتك
بذلك أتجعل لى عليك مسألة قال نعم فقال الاعرابى

ذكر الاسنان

ذكر فقار الظهر والعظام

ان الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع * ثم صلاة الفجر لا تضيع *
قال صدقت فاما سألتك قال كم فقار ظهرك قال لا أدري قال أفتحكم بين الناس
وأنت تجهل هذا من نفسك ثم فسر ابن السيد رحمه الله جميع ما تقدم في كتابه مع
عدد الثقب التي في ابن آدم مع أشياء لا يستغني عن معرفتها الاديب ولا الكاتب
اللبيب فقال جميع الثقب التي في بدن الانسان اثنتا عشرة العينان والاذنان
والمنخران والفم والثديان والفرجان والسرة حاشا الثقب الصغار التي تسمى المسام
يخرج منها العرق وينبت فيها الشعر فانها لا تنحصر وأما الفقار فأربع وعشرون سبع
منها في العنق واثنتا عشرة في الظهر وخمس في القطن وهو العجز والاضلاع أربع
وعشرون اثنتا عشرة في كل جنب وجملة العظام التي فيه مائتان وثمانية وأربعون
عظما حاشا العظم الذي في الكتف والعظام الصغار التي حشي بها خلل المفاصل
وتسمى السمسمية سميت بذلك لدقتها والسمسم هو الجلجلان وذكر ثابت في الدلائل
عدد العظام وفسرها فقال منها خمسة في كل اصبع وخمسة في ظهر كل قدم وثلاثة
في كل ركبة وعظمان في كل ساق وعظم في كل واحد من مرفقيه وخمسة في كل
واحدة من المتنين وتسعة وثلاثون في الرأس وثمانية في الصدر وثماني عشرة فقارة
في الظهر وتسعة عشر ضلعا وثلاثة أعظم تحت كل واحد من الكتفين وثلاثة
أعظم في الذراعين وفي الكف مثل ما في الرجل انتهى كلامهما رضي الله عنهما
وفائدة هذا أن تعلم ان الله عز وجل لم يخلق هذا عبثا ولا جعل عدد هذه الاعظم لغوا
وانما ذلك لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها وأقل ما يجب على العبد غير
العالم بتفصيل هذا كله ان يعلم ان جميع ذلك وسواه مما فيه من لحم وجلد وعظم
ودم وعصب وشعر وعرق خلق من ماء مهين لا يظهر فيه شئ من هذه الاكوان
ولا الالوان الظاهرة ولا من الصفات الباطنة التي هي الحياة والسمع والبصر وغير
ذلك والعقل الذي يدبر به أمره وبه تجب الحجة عليه في طاعته ومعصيته ثم سخر له بعد
ذلك ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة ورضي منه
بعد هذا كله أن يقر له بالوحدانية وان جميع ما يتقلب فيه نعمة منه عليه لا شريك
له في شئ من ذلك وانه لا يجب له على مولاه حق بل كل ذلك تفضل منه على عبده فاذا
أقر بهذا وأمثاله فقد شكره كما أنه ان جحد منه شيئا فقد كفره كما يذكر عن عيسى
عليه السلام انه قال يارب كيف أشكرك وشكري اياك نعمة منك علي يجب علي

الشكر

الشكر عليها فقال اذا علمت هذا فقد شكرتني أو كما قال فسبحان الله العلي الكبير الذي يرضى من العبد الحقير باليسير ويجزي عليه بالكثير وجاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ابن آدم ثلثمائة مفصل وستون مفصلا يجب على كل مفصل منها صدقة قالوا يارسول الله ومن يستطيع ذلك قال يحي أحدكم الأذى عن الطريق وفي حديث آخر كل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى أو كما قال وجاء في حديث آخر تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ركع أحدكم يسبح ثلاث مرات فانه يسبح الله تعالى من جسده ثلاث وثلاثون وثلثمائة عظم وثلاثة وثلاثون وثلثمائة عرق خرجه الدارقطني رحمه الله وقال عبد الرحمن بن أبان بن عثمان في مرضه وكان أعتق رقابا كثيرة في صحته بلغني ان ابن آدم فيه ثلثمائة وستون مفصلا والحمد لله قد أعتقت عشرين وثلثمائة رقبة فأنا متمها ان شاء الله حتى تكون ثلثمائة وستين رقبة وذكر في هذا الخبر رقبة وجاء في حديث آخر نسمة وقد فرق العلماء بين الرقبة والنسمة خرج ثابت من حديث سليمان بن موسى قال اذا ولد الصبي فهو نسمة واذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة واذا صلى فهو مؤمنة وفسر قوله نسمة يعني يجزئ في مراد النبي صلى الله عليه وسلم من أعتق نسمة وقاه الله بكل عضو منها عضوا من النار وقوله رقبة يريد أنها تجزئ في الظهار وكفارات الايمان قال تعالى فتحرير رقبة ولم يشترط فيها مؤمنة وقوله واذا صلى فهو مؤمنة يريد أنه يجزئ في كفارة القتل خطأ قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة قال وجاء في الرقبة والنسمة تفسير آخر عن البراء بن عازب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال لئن كنت قصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليستا سواء يارسول الله قال ان عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وان فك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تستطع ذلك

الفرق بين الرقبة والنسمة

فكيف لسانك الا من خير * وتقدم ذكر الرقبة وهي تجمع على رقاب وفي القرآن العزيز وفي الرقاب قال الجوهري في كتاب التاج وتجمع أيضا على رقبات ورقب قلت ومازال ذو والانتظار للموت والارتقاب يعتقون الرقاب لجواز العقاب منهم من لطمه فأعتقه خشية أن يكون ظلمه ومنهم من أعتقه لسبب من الاسباب من غير هذا الباب كما روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رأى كسرة خبز فقال لغلامه ارفعها وأمط عنها الأذى فلما أمسى وأراد الفطر قال لغلامه مافعلت بالكسرة قال أكلتها قال اذهب فأنت حر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من وجد كسرة خبز فرفعها من الارض ثم أكلها لم تصل جوفه حتى يغفر الله له فأنا أكره ان أستعبد من غفر الله له سقت هذا الخبر هنا لأتطرق به الى ذكر أبيات صنعتها بسبب كسرة خبز من الارض رفعتها وبعض الاصحاب يراني وخفت أن يكون ازدراني فقلت

يا صاحبي مهلا * لاتأكلن عرضي * رزق من المولى
ملقى على الارض * هل أخذه الا * من أوكد الفرض

ولي أيضا أبيات فيها ذكر العتق من الرق فقلت

لك الحمد يامولاي حمدا مباركا * كثيرا أثيرا دائما أبدا يبقى
تباركت يا ألله من لم تكن له * معينا على أسبابه ماشقا يلقى
وكيف ولا حول ولا قوة لنا * ولا ملجأ الا اليك ولا مرقى
فان لم تكن عونا لنا في خلاصنا * من النار يارحمن انا اذا غرقى
فمن وأعتق يا كريم رقابنا * وكم سيد أعطى مواليه العتقا
وكل مماليك وكل أشحة * وأنت جواد مالك رقنا حقا
وليس لنا مولى سواك ومن تكن * الهي مولاه فلا أبدا يشقى

تقدم مالك رقنا حقا وفي مثل هذا يقال عبد قن وهو الذي يملك هو وأبوه وأمه فاذا ملك دون أبويه فهو عبد مملكة بضم اللام وفتحها قاله ابن السيد رحمه الله وقد يعبر بالنواجذ عن الانياب كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وهذا ان حمل على النواجذ المعلومة فبعيد في حقه عليه السلام لان هذا لا يمكن ولم يعرف من ضحكه الا التبسم فحمل هذا الحديث على الأنياب وقد جاء ذلك مذكورا في بعض الروايات ضحك حتى بدت أنيابه عليه السلام خرجه

مالك

مالك رحمه الله فى موطائه وقال الاصمعى هى الاضراس وجاء فى حديث آخر ان الملكين قاعدان على ناجذى العبد يكتبان وذكر مكى فى الهداية انه يروى ان الملك يجلس على ناب الانسان وقلمه اللسان ومداده ريق الانسان وهذا تمثيل فى القرب والله أعلم بكيفية ذلك وقال أبو العباس النواجذ الانياب كما تقدم فى الحديث وقيل النواجذ الضواحك ذكره المازرى فى المعلم وكذا قيل فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام فتبسم ضاحكا من قولها جاء فى التفسير أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان ضحكهم التبسم وقيل لنبينا عليه السلام فبهداهم اقتده فكان كذلك صلى الله عليه وسلم وروى عن جابر بن سمرة انه كان لا يضحك الا تبسما وعبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر جل ضحكه التبسم والقهقهة فى الضحك مكروهة جدا جاء فى تفسير قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الاوزاعى الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وفى الحديث كثرة الضحك تميت القلب وفى حديث آخر واياك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك فساد القلب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للاحنف يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به الناس ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب ويل له وويل له وقال بعض العلماء اياك وضحك القهقهة فان فيه ثمان آفات (الاولى) يذمك العلماء والعقلاء (والثانية) يجترئ عليك السفهاء والجهال (والثالثة) ان كنت جاهلا ازداد جهلك وان كنت عالما نقص علمك لانه ورد فى الخبر ان العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة يعنى رمى من علمه بعضه (والرابعة) ان فيه نسيان الذنوب الماضية (والخامسة) ان فيه جراءة على الذنوب فى المستأنف لانك اذا ضحكت قسا قلبك (والسادسة) ان فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة (والسابعة) ان عليك وزر من ضحك بضحكك (والثامنة) ان الضحك فى الدنيا يعقب بكاء طويلا فى الآخرة ويقال ثلاثة تقسى القلب منها الضحك من غير عجب وقال عليه السلام ويل لمن يكذب ليضحك به الناس وويل له وويل له ثلاث مرات وفى حديث آخر والذى نفسى بيده ليتكلم من الرجل بالكلمة ليضحك بها القوم فيغضب الله عليه فيها

النهى عن القهقهة والضحك

ويكفي من ذلك ان الله تعالى عير أقواما بالضحك فقال تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ومدح آخرين بالبكاء فقال تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وسيأتي الكلام في البكاء في باب الراء عند ذكر الأزير ان شاء الله العزيز ومن أشد ماجاء في الضحك انه ينقض الوضوء ويفسد الصلاة عند طائفة من اهل العلم وحجتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي فأقبل رجل في بصره سوء فر ببئر عليها خصفة فوقع فيها فضحك بعض من كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة ذكره أبو عبيد وفسر الخصفة انها الجلة التي تعمل من الخوص للتمر وجمعها خصاف وهذا التفسير يحتاج الى تفسير آخر عندنا اليوم ولئن عشنا قليلا نسأل الله السلامة كثر عندنا الجهل فعم الحدث والكهل أتدري من الكهل هو ابن ثلاث وثلاثين سنة قاله ثابت وعما نقلت من كتاب الاخيار بفوائد الاخبار للامام الحافظ أبي بكر ابراهيم بن محمد بن يعقوب البخاري رحمه الله الضحك شئ يختص به الانسان من بين سائر الحيوان ومعناه استفادة سرور يلحقه فتنبسط له عروق قلبه فيجري الدم فيها فيفيض البشر الى سائر عروق بدنه فتثور فيه حرارة فينبسط لها وجهه وتملأ الحرارة فاه فيضيق عنها فينفتح فاه وتبدو أسنانه فان تزايد ذلك السرور ولم يكن في الانسان ما يضبط به نفسه استخفها الفرح فضحك حتى قهقه ولذلك قيل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وضحكه تبسم لانه كان لا يستخفه السرور فيغلبه فيقهقه وهذه الصفة منفية عن الله عز وجل وجميع أوصاف الحدوث تعالى الله عن ذلك وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يضحك الله وقال عوف بن الحارث وهو ابن عفراء يارسول الله مايضحك الرب تعالى من عبده قال غمسه يده في سبيل الله حاسرا قال فنزع درعا كان عليه ثم شد على القوم فقتل بشرا كثيرا ثم قتل رحمه الله يحمل الضحك في هذه الاحاديث على الرضى من عبده وعلى اختصاصه به فضحكه له تعالى عبارة عن الرضى عنه والقبول له ويجوز أن يكون الضحك هنا تجليه لعبده فيراه رؤية عيان كما جاء في القرآن العزيز وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والضحك بمعنى الظهور مشهور في لسان العرب يقال ضحك الفجر وضحك السحاب وضحك الشيب كله بمعنى الظهور قال دعبل

لا تعجبي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فيكون معنى يضحك اليك أى يقدم عليك فرحا بلقائك وتضحك اليه اى تتجلى له وتكشف الحجب عنك فيراك وينظر اليك كما قال فى حديث جابر بن عبد الله ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك فكلمه كفاحا وقد يكون معنى الضحك من الله تعالى ادرار الرحمة على عبده كما تدر السحاب المطر على وجه الارض يقال ضحك السحاب اذا اصب ماءه لان الماء فيه كامن فاذا اصبه ظهر وقد يقال بكت السماء وضحكت اذا أمطرت يراد به السحاب قال الشاعر

سحابة صادقة الأنواء * تعقب بين الضحك والبكاء

وقال آخر من غير الكتاب

كل يوم بأقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

(فصل) مما تقدم من الفوائد فى اللغات تقدم القحط بفتح الحاء وهذا جائز لا سيما وسط الكلمة حرف حلق وقد سهلوا ذلك فيما ليس وسطه حرف حلق ولكنه شاذ وأما أقحط فان ثابتا رحمه الله قال فى الدلائل يقال أقحط الناس من القحط وأجدبوا من الجدب وأخصبوا من الخصب ويقال قحط المطر أى قل واحتبس وتقدم العنجهية يقال فيه عنجهانية بالتشديد والتخفيف وهى الكبر ويقال الجهل والحمق وأنشد

عش بجد فلن يضرك نوك * انما عيش من ترى بجدود
رب ذى اربة مقل من المال وذى عنجهية مجدود

وتقدم الضحك وفيه اربع لغات ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا والضحك أيضا الطلع حين ينشق تشبه الاسنان به لبياضه وتراصفه والضحكة المرة الواحدة والتبسم دون الضحك يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم والمبسم الثغر ورجل بسام ومبسام كثير التبسم *(فصل من الملح)* تقدم القحط قال ثابت رحمه الله زعموا ان اعرابيا اعلمه بعض الصحابة سورة لا أقسم بيوم القيامة فجاء الاعرابى ذات يوم الى الذى علمه فقال أرتج على بعض الذى علمتنى فزدت فيها آيات لا أحسبها دونها قال قلت ماذا قال لما قلت فاذا برق البصر وخسف القمر أرتج على فقلت وقحط المطر ويبس الشجر وغلبت ربيعة مضر فقلت ان هذا لا يصلح أن يتكلم به فى الصلاة (قلت) انظر الى هذه الكلمات المتباينات الصور مما بعدها من نظم آيات السوره والله ماتشبهها فى ورد ولا صدر وما خرج هذا الكلام ولا

صدرا لا من جلف جاف عن الخير متجاف قلبه فى غلاف بلا خلاف تاب الله علينا وعليه ورحمنا اذا صرنا اليه وكذلك ما يروى عن أحد الشعراء المجان أنه حضر استسقاء قوم وكانوا خرجوا والسماء مغيمة فدعوا فى الاستسقاء ولم يغض الله لهم بالماء لكن انقشع الغيم وطلعت الشمس فقال

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * بحرية يبدو لها رشح
حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لأعينهم بها نضح
كشف الغطاء اجابة لهم * فكأنهم خرجوا ليستصحوا

نعوذ بالله من دعاء لا يسمع ومن عمل لا ينفع وتقدم الناب ومنه ما أنشدنى بعض أصحابنا للوزير الفقيه الحاج أبى الحسن بن الشيخ الوزير أبى جعفر أحمد بن جبير

صحبت الزمان وقابلته * بصبر جميل اذا الخطب نابا
وكم رام هضمى فما اض لى * جناحا ولا فل للصبر نابا
كذلك كنا قديما اذا * دعينا الى خطة الضيم نابا

فقلت للذى أنشدنيها ينقصه ناب سيد القوم وناب للناقة المسنة كما تقدم وقلت له ألحق الابيات

ولم أرض بالدون فى ديننا * ولا للدناءة أعملت نابا
ومن كان فى دهره هكذا * فذا الذى يسمى فى الاقوام نابا

وتقدم ذكر الانياب وهى التى تراها بارزة فى السبع والكلب والسنور مديدة على الاسنان حديدة كالسنان تفزع الشجعان فكيف الجبان لذلك قلت

أعوذ بالرحمن المفضل المنان من شر ذى أسنان تلمع كالسنان ويجوز أن يتعوذ منها ويتلوذ عنها فان مرآها مرعب مرهب وشباها مهلك معطب لاسيما وكل من له أنياب فله اظفار حديدة كالشفار أحدهما يفتق المعا فكيف بهما اذا اجتمعا هذا امرؤ القيس على جراءته وجزالته وشجاعته وبسالته قد هولهما فى مقالته

وأعلم اننى عما قريب * سأنشب فى شبا ظفر وناب

وقد ذكر فى هذا البيت قصة كانت عندى كالميت اعترتنى فيما سلف أشفيت منها على التلف حمل على ذات يوم كلب أسود له مقلة تتوقد كانها الفرقد أو الشهاب الموقد أعجلنى عن الاقعاء وألزقنى بالدقعاء فظلت بين يديه طليحا وكاد يلعنى صحيحا فلولا ان الله تعالى جادنا بالتلافى لكان فى ذلك اتلافى لكنه سبحانه وتعالى عافى

وتلا في بعد أن كان ما كان حسبما ذكرته بكماله في غير هذا المكان وحينئذ أيقنت اني رجل جبان خوار الجنان بيد أني أنست نفسي بعض التأنيس بالبيت المتقدم لامرئ القيس وقلت

ان ابن حجر حند جال ان ابى * أن يغفل الاظفار والانيابا
بل ساقها في معرض التهويل * وهو الشجاع في الوغى المهول
فكيف ممن فزعه من فار * يبصر ذا اناب وذا أظفار
ككلب له لون بهيم أسود * عيناه حمر مثل جمر يوقد
أنيابه حديدة مديده * من أجلها هيبته شديده
لاسيما اذا تراه يكشر * عنها وعيناه هنالك تبصر
اكتب أخالك غائبا عن محضره * ان فؤادي طار من تذكره
وحق لي يا صاحبي ان أحذره * فلا تلمني واقبلن المعذره
خرج لي يوما من الايام * من خرب من تلكم الآطام
وأنا عطل من شبا السلاح * النبل والسيوف والرماح
ما في يدي عصى سوى أكمامي * كأنني جاء من الحمام
فلم يكذب بل سعى أمامي * يريد أن يجلب لي حمامي
صير في أمامه طليحا * وكاد أن يبلغني صحيحا
والله لو لا الله ما نجوت * منه ولا فت ولا سعيت
لكنه نجى وعاقى بعد ما * كدت أرى بعد وجودي عدما
ومع ذا مزق لي سلهاميتي * فالحمد لله على سلامتي
حين أصاب جبتي لا هامتي * لونا لها شالت اذا نعامتي
حينئذ ماشت منه رعبا * وانقلب القلب فليس قابا
هذا من الكلاب فكيف بالاسد * يا صاحبي اقرأ قل هو الله أحد
ذاك الذي يبلع ما ألفاه * وليس يحتاج لسد فاه
وهذه خرافتي جليتها * بالنظم ثم عندكم خليتها
ماقلت هذا القول يا أحبابي * الا لتنشيط أولي الالباب
كي يستجيب نبلهم لفعلها * أو فوقها أو تحتها أو مثلها

وقد قلت اني ذكرت هذا الخبر في غير هذا الموضع مرة وما ولكن منثورا لا منظوما

وكان فيه من المنظوم

وان الذى عافى من الكلب بعدما * ظللت طليحا بين كفيه مجدل

يمزق أثوابى على وسترة * على جلدتى من ان يمزق منسدل

لربى الذى أرجو يفرج كربتى * ويكشفها انى على فضله مدل

وهذه الابيات والارجوزة قد كتبتها فى التكميل مجردة مما قبلها من القيل

(فصل من الفوائد أيضا) هولت فى الارجوزة المتقدمة بذكر الكلب الأسود ولم أقض فيها بالاجود واذا الكلب الابيض أجرأ وأجرى فكان بالذكر أولى وأحرى رأيت فى كتاب لبعض الكتاب ما أقصه وهذا نصه السواد أشد من البياض قوة وأصدق جراءة وأهول منظرا وأسوأ مخبرا قالوا وليس شئ من الاجناس الا وسوده أصلب من بيضه ما خلا الكلاب فان بيضها أصلب من سودها انتهى كلامه قلت ولعل ذلك كذلك كما قالوا أجلد الابل وأصلبها الحمر وأما ابن قتيبة فقال فى عيون الاخبار سود الكلاب أعقرها ولذلك أمر بقتلها قال والكلب من بين الحيوان يحتلم وقالوا فى الكلبة انه يسفدها كلب أسود وكلب أبقع وكلب أصفر فتؤدى الى كل سافد شكله قال ومن الامثال فى الكلاب سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك ونعم كلب فى بؤس أهله وأحرص من كلب على عقى صبى والأم من كلب على عرق وأجوع من كلبة حومل وهى امرأة كانت تجوع كلبتها فنظرت الى القمر فظنته رغيفا فلما لم تقدر عليه جعلت تنبح عليه وقيل غير هذا وهو أحسن فى نبح الكلب للقمر انه اذا أصابه البرد ورأى القمر خرج اليه يستدفئ به يظنه الشمس فلما لم ينفعه نبح عليه وقال فى دواء الكلب الكلب عافانا الله من شره بلغنى عن الخليل بن أحمد انه قال دواء عضة الكلب الكلب الذراريح والعدس وقال يزعمون ان الذى يصيبه هذا الداء يطلب الماء أشد الطلب فاذا أتوه به صاح عند معاينته لا أريد لا أريد أو معنى هذا وأما الذى جاء فى الحديث من أمر الكلاب فان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وتكلم العلماء على اقتصاره على هذه السبع فقيل عبادة اذ لو كان للنجاسة لم يحد وقيل فيه معنى من الطب كالنشرة كما جاء فى حديث آخر أريقوا على من سبع قرب ثم تحل أوكيتهن وقيل غير ذلك والله أعلم وفى حديث آخر أنه أمر بقتل الكلاب وفى حديث آخر لولا ان الكلاب أمة من الامم لأمرت

ذكر الكلاب

بقتلها

بقتلها كلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم ويروى عنه عليه السلام انه قال الكلاب من ضعفاء الجن فاذا حضرت طعامكم فاطردوها فان لها أنفس سوء والحديث المشهور لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة وفى حديث آخر لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وفى الحديث المشهور مامن أهل بيت يرتبطون كلبا الا نقص من عملهم كل يوم قيراط الا كلب صيد أو كلب غنم أو كلب حرس وفى حديث آخر قيراطان وقد جاء عن ابن عمر رضى الله عنهما انه دخل أرضا له فرأى كلبا فهم بقيم أرضه فقال أتدخل أرضى كلبا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاب فقال الرجل انى لم أتخذه انما هو كلب عابر دخل الارض فأخذ المسحاة فقال حوشوه على فبطحه حتى قتله خرجه ثابت رحمه الله وخرج الترمذى عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الرجل وليس بين يديه كآخرة لرحل أو كواسطة الرحل قطع صلاته الكلب الاسود والمرأة والحمار قال الراوى فقلت لابى ذر مابال الاسود من الاحمر من الابيض قال يا ابن أخى سألتنى كما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكلب الاسود شيطان وفى الباب قال أحمد الذى لا أشك فيه ان الكلب الاسود يقطع الصلاة وفى نفسى من المرأة والحمار شىء وقال اسحاق لا يقطعها الا الكلب الاسود قلت وقد تكلم العلماء فى معنى قطع الصلاة فذهب الشافعى انه يفسدها وكذلك رأيت المؤذن بمكة شرفها الله اذا أراد أن يقيم الصلاة وقف قبل ذلك بازاء الطائفين حول البيت وقال خففن يانسوة يقول ذلك مرارا فاذا سمعنه استعجلن وقضين طوافهن وحينئذ يأخذ فى الاقامة ومادام يصلى الامام لا تطوف امرأة ومذهب مالك وغيره من الائمة ان معناه يقطع خاطر المصلى أو يشغله ذلك عن الصلاة وأما قطع تبتدأ به الصلاة فلا وفى الموطأ من قول مالك لا يقطع الصلاة شىء مما يمر بين يدى المصلى وسئل سعيد بن المسيب رضى الله عنه ما يقطع الصلاة فقال الفجور ويسترها التقوى فهذه جملة فى الكلاب وقال الشاعر

كلاب الناس ان فكرت فيهم * أضر عليك من كلب الكلاب
لان الكلب تخسأه فيخسا * وكلب الناس يربض للعتاب
وان الكلب لا يؤذى جليسا * وأنت الدهر من ذا فى عذاب

وهذا الكتاب فيه من هذا النوع كثير وفيه حكايات حسان واشعار وأحاديث

منها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه رأى اعرابيا يسوق كلبا فقال له ماهذا معك فقال يا أمير المؤمنين نعم الصاحب ان أعطيته شكر وان منعته صبر وان استنصرته نصر فقال له عمر نعم الصاحب فاستمسك به ورأى ابن عمر أعرابيا معه كلب فسأله عنه فقال يشكر بري ويكتم سري فقال له ابن عمر احتفظ بصاحبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلب أمين خير من انسان خائن ومن حكايته ان أبا عبيدة أنشد لبعض الشعراء

يعرّج عنه جاره وصديقه * وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

ثم قال أبو عبيدة قيل هذا الشعر في رجل من أهل البصرة خرج الى الجبانة ينتظر ركابه فاتبعه كلبه فضربه وطرده وكره ان يتبعه ورماه بحجر فأدماه فأبى الكلب الا ان يذهب معه فلما كان في بعض الطريق والكلب رابض قريبا منه اذ أتاه أعداء له يطلبونه وكان معه جار له وأخوه قال فأسلماه وهربا عنه وتركاه فجرح الرجل جراحات كثيرة ورمي به في بئر غير بعيدة القعر وحثوا عليه التراب حتى غطوا رأسه والكلب مع هذا يهرّ عليهم وينبح وهم يرجمونه ثم انصرفوا وهم لا يشكون في قتله فأتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوي ويبحث التراب بيديه ومخالبه حتى ظهر رأسه وفيه نفس يتردد وقد كان أشرف على التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه فتنفس ووصل اليه الروح فبينما هو كذلك اذ مر أناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبرا فأتوا اليه فنظروا فاذا الرجل في تلك الحال فاستخرجوه حيا وحملوه حتى أدوه الى أهله فزعم أبو عبيدة ان ذلك الموضع يدعى ببئر الكلب وحكى صاحب الكتاب عن أبي بكر بن بكر الجوهري قال حدثني جعفر بن الوليد الانماطي قال كان لي صديق من التجار فخرج في بعض تجاراته بمتاع فقطع عليه الطريق فرجع عاريا فسرت أتوجع اليه وأهنيه بسلامة نفسه فقال لي ما ربحت في خرجتي هذه من جميع ما كان معي غير هذا الكلب فسألته عن قصته وعن خبر الكلب فقال جلست في المنزل الفلاني أتغذى فمثل لي هذا الكلب فألقيت له شيئا من الطعام فأكله وارتحلنا فتبعنا فجعلنا كلما أكلنا أطعمناه ولزمنا الى أن قطع علينا واتبعني فاني لجالس في منزلي وهو رابض بباب الدار اذ دق الباب قوم فقمت اليهم وقلت لهم ما شأنكم قالوا كلبك هذا اقد هرّ على رجل مارّ بالطريق ومنعه من طريقه وما ينبغي ان تلزمه بابك فقلت ما عهدته بهذه الصورة وخرجت أنظر

الى الرجل و وثوب الكلاب عليه فاذا الرجل أحد من قطع علينا فقبضت عليه وسرت به الى السلطان فرجع الى كثيرمما أخذ مني ومن الناس وحدثت أيضا عن رجل آخرعدي عليه في الطريق وكتف وجمعت يداه ورجلاه بقيد ورمى به في واد قال وأخذ كل ما كان معي قال فيئست من نفسي وكان معي كلب خرجت به من عند أهلي قال فتركني الكلاب ومضى ثم جاءني برغيف وطرحه بين يدي فأكلته ولم يزل الكلاب يعوي حتى أصبحت وحملتني عيني فنمت وفقدت الكلاب فما كان بأسرع من أن وافاني برغيف آخر فأكلته وفعلت فعلي في اليوم الاول فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فلم ألبث أن جاء ومعه الرغيف فرمى به الى ولم يزل بحذائي رابضا وأنا آنيله من ذلك الرغيف فما استوفيت أكله حتى طلع على أبي فلما نظر الى بكى وحل كتافي وأخرجني وحملني فقلت له من أين علمت بمكاني ومن دلك على فقال كان الكلاب يأتينا في كل يوم فنطرح اليه الرغيف فلا يأكله وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولست أنت معه وكان يحمل الرغيف في فيه ولا يذوقه و يخرج يعدو ويلزم المحجة فلما رأيناه أنكرنا ذلك من فعله فتبعته حتى وقعت عليك فكان الرجل بعد ذلك يقرب هذا الكلاب و يجلسه الى جنبه و يغطيه بثوبه و يدخل بدخوله و يخرج بخروجه و يقول هذا الذي خلصني بقدرة الله عز وجل وهذا الكتاب ألفه أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان ويرويه عنه أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا ابن حيويه الخرازوير ويه عن أبي عمر أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري ويرويه عن أبي محمد المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفي وفي هذا الكتاب قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات الربيع ودفن جعل الكلاب يتضرب على قبره حتى مات وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات عامر وتفرق عنه الاهل والاقارب لزمت الكلاب قبره حتى ماتت ومن أشعار هذا الكتاب قال حدثني أحمد بن منصور الزيادي عن أبيه عن الاصمعي قال حضرت اعرابيا الوفاة وفي جانب خيمته كلب فقال لأكبر ولده وأوما الى الكلاب

أوصيك خيرا به فان له * صنائعا لا أزال أذكرها

يدل ضيفي على في غسق الليل اذا النار نام مسعرها

وأنشد لبعض الشعراء فقال

أيها الشاني الكلاب أصخ لي * منك سمعا ولا تكونن خيسا

ان فى الكلب فاعلمن خصالا * من شريف الخصال يعددن خمسا
حفظ من كان محسنا ووفاء * للذى يقتنيه حربا وحرسا
واتباع له وذب اذا ما * كان نطق الشجاع للخوف همسا
وهو غوث لنابح من بعيد * مستجير بقفرة حين أمسى

قال أبو بكر وذلك ان الرجل فى البادية اذا ضل عن الطريق وهاله الليل ولم يدر كيف يتوجه وخاف الهلاك نبح نباح الكلاب فتنبح كلاب الحى فيتبع أصواتها حتى يصير الى الحى قال الشاعر

ويدل ضيفى فى الظلام اذا سرى * ايقاد نارى أو نبيح كلابى
حتى اذا واجهنه وعرفنه * فدينه ببصابص الاذناب
وجعلن مما قد عرفن يقدنه * ويكدن أن ينطقن بالترحاب

وأنشد لعمرو بن عصام يمدح

لعبد العزيز على قومه * وغيرهم منن غامره
فبابك أكبر أبوابهم * ودارك ماهولة عامره
وكلبك آنس بالطارقين من الأم بابنتها الزائره

وقال فى تفضيل الكلاب

أشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

ومن غير هذا الكتاب قول الشاعر

الناس منهم كلاب * هروا بكل طريق
فان ظفرت بحر * فاحذره فهو سلوقى

كان هذا الشاعر مجيدا منطيقا فى البيتين والثلاثة ولم يقل هذا الشاعر الناس منهم ان اصلحته كذا وانما قال والله يعفو عنه الناس طرا فاستعظمت طرا وبدلته بمنهم والله الموفق وفى ذم الناس قال المعرى وكان أعمى

أبا العلاء ابن سليمانا * ان العمى زادك احسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى * لم ير انسانك انسانا

وكانت كنيته أبا العلاء يخاطب نفسه ومن الكتاب المذكور ومما يدل على رفعة الكلاب كثرة ما يجرى على ألسنة الناس بالخير والشر والمدح والحمد حتى لقد ذكر فى القرآن وفى الحديث والاشعار والامثال حتى استعمل فى طريق الفأل والطيرة

والاشتقاقات للاسماء فمن ذلك كليب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة وكلب بن يربوع انتهى كلامه والذى ذكر الجوهرى فى الكلب قال يجمع على أكلب وكلاب وكليب مثل عبد وعبيد والاكالب جمع أكلب والمكلب الذى يعلم الكلاب وفى التنزيل مكلبين والكلاب صاحب الكلاب وأنشد

كان تجاوب أصدائها * مكاء المكلب يدعو الكليبا

وأختم لك هذا الفصل فى الكلب الاسود بمسئلة نحويه جدلية هزليه ظريفة غزليه وان كانت مثبتة فى التكميل فكم بينك وبينه من ميل وجدت بخط الخطيب أبى محمد عبد الوهاب رضى الله عنه

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

لا يجوز النصب فى قوله حتى أحب لانه انما اشترط دوام حبه لمحبوبته وانه يألف من يشبهها فى اللون وان خالفها فى الحسن ومن كان على هذا فحبه دائم لا ينقطع مستمر لا يقلع فلو نصب أحب لنقض ما أصل ونقص ما أكمل لانه كان يعتقد الغاية وهى انتهاء الشئ اذا انتهى ومن ثم لم يبق له رسم ولا يعرض له وهم وربما استحال الى ضده نخرج عن محكم عقده لو حكمت يا هذا بالأجود لأرحته من هوى الكلب الاسود اذ لو نصب لرفع عن نفسه النصب وسلا واستراح ولن يحفل بمن غدا أو راح ولكان النصب يرفع غرام قلبه ويقطع دوام حبه حين أبعد الغوايه واعتقد الغايه ومن بلغ النهاية كان أحرى ان يرجع القهقرى

كل أمر اذا تناهى تواهى * وانتقاص البدور عند التمام

هذا ما انتهى فيه القول من وصف الكلب الاسود وأما هول السبع المسمى بالاسد الذى ذكرته قبل فى الرجز فذهنى عن وصفه قد عجز ويكفيك منه فى هذا الرسم ان له مائة اسم وان أردت ان تتيقن صفته وتتبين معرفته فانظر ما قيل فى وصفه فاعجب من وصفه خرج أبو على صاحب الامالى فى الذيل عن أبى عبيدة قال اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زبيد الطائى وجميل بن معمر العذرى والاخطل التغلبى فقال أيكم يصف لى الأسد فى غير شعر فقال أبو زبيد أنا يا أمير المؤمنين لونه ورد وزئيره رعد وقال مرة أخرى رغدو وثبه شد وأخذه جد وهوله شديد وشره عتيد ونابه حديد وأنفه أخثم وخده أدرم ومشفره أدلم وكفاه عراضتان وجفناه ناتئتان وعيناه وقادتان كأنهما لمح بارق أو نجم طارق اذا

استقبلته قلت أفدع واذا استعرضته قلت أكوع واذا استدبرته قلت أصمع قصيرا اذا استقصى هموس اذا مشى اذا أقعى كش واذا جرى طمس براثنه شثنة ومفاصله مترصه مصعق لقلب الجبان مروع للماضي الجنان ان قاسم ظلم وان كابردهم وان نازل غشم ثم أنشأ يقول

خبعثن أشوس ذو تهكم * مشتبك الانياب ذو تسبرطم
وذو أهاويل وذو تجهم * ساطٍ على الليث الهزبر الضيغم
وعينه مثل الشهاب المضرم * وهامه كالحجر المثلم

فقال حسبك يا أبا زبيد ثم قال قل يا جميل فقال يا أمير المؤمنين وجهه فدعم وشدقه شدقم وثغره معردم مقدمه كثيف ومؤخره خطيف ووثبه خفيف وأخذه عنيف عبل الذراع شديد النخاع مرد للسباع مصعق الزئير شديد المرير أهرت الشدقين مترص الخصرين يركب الاهوال و يهصر الابطال ويمنع الاشبال ما ان يزال باثا في خيس أو رابضا على فريس أو ذا ولغ ونهيس ثم قال

ليث عرين ضيغم غضنفر * مداخل في خلقه مضبر
يخاف من أنيابه ويذعر * ما ان يزال قائما يزمجر
له على كل السباع مفخر * قصاقص شثن البنان قسور

فقال حسبك يا ابن معمر ثم قال قل يا أخطل فقال ضيغم ضرغام غشمشم همام على الاهوال مقدام وللاقران هضام ريبال عنبس جريء دلهمس ذو صدر مفردس ظلوم أهوس ليث كروس ثم قال

قصاقص جهم شديد المفصل * مضبرا لساعد ذو تعثكل
شرنبث الكفين حامي أشبل * اذا لقاه بطل لم ينكل
ململم الهامة كش الارجل * ذو لبد يغتال في تمهل
أنيابه في فيه مثل الانصل * وعينه مثل الشهاب المشعل

فقال له حسبك وأمر لهم بجوائز قوله اذا لقاه بطل هي لغة في لقيه ومثله فنا في فنى وبقا في بقي وقد تقدم مع الشاهد عليه في تفسير بيت امرئ القيس قلت انظر كلام هؤلاء الرجال على الارتجال وكيف أجابوا وهم عجال ولو أرخى لهم في الطول وأمهلوا بعض المهل لجاؤا بالعلل بعد النهل ولو لم يسكتهم يزيد لجاؤا بما ليس له مزيد والا فانظر كلام أبي زبيد المذكور قبل هذا ايضا والحديث

يشبه

يشبه بعضه بعضا وكيف وصف الاسد لعثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن خلصه الله منه وقد سقت الخبر بطوله لتقف على مهوله قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لابي زبيد الطائي رحمه الله يا أخا تبع أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد فأنشد قصيدته التي يقول فيها

من مبلغ قومنا النائين اذ شحطوا * ان الفؤاد اليهم شيق ولع

ووصف فيها الاسد فقال له عثمان تالله تفتؤ تذكر الاسد ماحييت والله انى لأحسبك جبانا هوانا فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكنى رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا يبرح يتجدد ذكره في قلبي فأنا معذور يا أمير المؤمنين غير ملوم فقال عثمان وأنى كان ذلك فقال خرجت في صيابة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوى هيبة وشارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وسالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيهد وصر الجندب وضاف العصفور الضب في وجاره وقال قائلنا أيها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادى واذا واد قد تمنا كثير الدغل دائم الظلل شجراؤه مغنه وأطياره مرنه فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فأصبنا من فضلات الزاد وأتبعناها الماء البارد فانا لنصف حر يومنا ذلك ومماطلته اذ صر أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه فوالله مالبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحدا فواحدا فتضعضعت الركاب وتكعكعت الخيل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا انا قد أتينا وادى السبع ففزع كل امرئ منا الى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا رزدقا فأقبل يتظالع من بغيه كأنه مجنوب أو في هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهله وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن فضرب بيديه فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلولة وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذى بيته في السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقصه ثم

نفضه نفضة قضقض متنه فجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي فبعد لأي ما استقدموا
فكر مقشعر ابزبره كأن به سهما حوليا فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة
تزايلت مفاصله ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق
يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه فأرعشت الايدي واصطكت الارجل
وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وجحظت العيون وخفقت البطون وساءت
الظنون فقال عثمان رضي الله عنه اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين
هذا حديث كبير وفي شرحه علم كثير تركته لك دون شرح الى أن يأتيك الله من
عنده بالفتح وقلت

بنيّ هذا الحديث عدّه * فيه لغات كالرمل عدّه
سل عنه من رام أن يعدّه * فلم يطق حصره وعدّه
ألقى عليه منشيه عقده * فاقرأ عسى أن تحل عقده

أظنك أيها الولد لا تعرف من ألفاظ هذا الحديث سوى الاسد اللهم والا الخيل
والبغال وأحسبك تشك في الشكال والعقال ومع ذلك فاحفظه سوادا في بياض
واكرع مع الورّاد في تلك الحياض الى ان يفتح الله لك في علم تفهم به هذه الاغراض
ولا تدعه بالاعراض فتبقى أيها الشهم لا حفظ ولا فهم ليس لك في الادب سهم
فان كان بك همة الى أن تعرف معناه وجئت مغزاه ومغناه وأين أصله من كتب
الادب ثابت فانظره في الدلائل لثابت وقد حداني شغفي بألفاظ هذا الحديث
الى ان قلت فيه

قد قلت قولا وليس هزلا * يا صاحبي اسمع فأنت عاقل
رأيت في ذا الحديث فصلا * أتاك في الليث وصف قائل
به كلام يعدّ جزلا * اذا تراه تقول هائل
رمى عليه الطائي قفلا * فسره عالم وفاضل
فثابت حل ذاك حلا * أعني به صاحب الدلائل
لولاه كان الحديث غفلا * أعطاه مولاه كل طائل
جزاه ربي خيرا وفضلا * من أعظم الخير والفضائل
ونال منه برا ووصلا * بالبكر والغدو والاصائل

أعزك الله لا تحتقر هذه الثمانية الابيات فانها لزوميات ان قرأت السطر من أوله

الى آخره كان بقافيتين وان قرأت النصف الاول من البيت وماتحته الى آخرها كانت الابيات أربعة كذلك بقافيتين ثم ترجع الى السطر الذى تركته الى آخر السطر فتقرأه كذلك وماتحته الى آخره فتجده كذلك مثل الاول وقام كل بيت بنفسه ولم يفتقر الى غيره مثال الاول

قدقلت قولا وليس هزلا * رأيت فى ذا الحديث فصلا

ومثال الثانى ياصاحبى اسمع فأنت عاقل * اتاك فى الليث وصف قائل

فيا أخى كل ينفق مما أولاه مولاه ولم يسوّ الله سبحانه بين العباد بل فضل بعضا على بعض حتى فى الازمنة والبلاد هذا أبو زيد قدقال بالطبع ماوقر منك فى السمع وليس بغريب فصاحة عربى فى زمانه لانها لغة لسانه لم يتعلمها بكتابة ولا دراسه ولا لقنها بتمرين ولا سياسه بل أخذها الولد عن الوالد والطريف عن التالد ولو كاف أحدهم ان ينتقل الى مثل لغتنا لما قدر كما لا ننتقل نحن الى لغتهم الا بعد النظر والفكر والسمر والسهر وبالحرى أن نقفو آثارهم ونلحق غبارهم فتستغرب الفصاحة منا والبيان فى مثل هذا الزمان مع اللسان الفاسد والذهن الراكد ومع الخلط المبرد والخليط المبعد لذلك لا توجد الفصاحة فى ذا الزمن الا عند من ومن ممن منّ بها عليه الملك الوهاب مثل شيخنا الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب خصصته بالذكر لانه امامنا وزمنه زماننا وعليه كانت الدوره واليه كانت الزوره فأذكر لك هنا فصلا من رسالة كتب بها الى وتفضل بها على جواب كلام كتبته اليه فاذا اطلعت عليه استدللت بذلك على معرفته وفضله وحذقه بالادب ونبله ووقفت من رونق كلامه وطلاوته على رقة طبعه وحلاوته وان أثبتها فى الملح فهو أملح قال لى رضى الله عنه بعد كلام وبسملة وسلام * صلح فى بعض الاعوام زرعى حتى ضاق عنه ذرعى وبقر بناغيران فهاجم كثير من الفيران فعندما حصلت الارزاق فى الغرفه توزعها الفساق بالغرفه فلما عاملونى بالفسوق أعملت القدم الى السوق وناديت فى أحفله أسمع من بأعلاه وأسفله ياأوجه الدنانير هل عند كم سنانير فاذا برجل يمشى على عجل وعنده هر أسود كالقار أسمعت بجبة البقار فقال لى هذا الهر من شأنه كيت وكيت وسترى اذا ولج البيت فابتعته منه بكل محبوب شفقة على الحبوب واحتملته على الفور لا أدرى أليث أم سنور سوى انه مصبور

المتن عريض الزور عبل الذراعين حديد نظر العين مصمت العظام ذو مخالب عظام وربما اختطف بها مسامير الاوضام اذا بدا فقتل الليث واذا عدا فتخيل الغيث أخف الضيا ونهضه وأثقفهم عضه ثم يكشر عن أنياب فيكبت فيرانك في الغاب يرميهم بها وماالديه من رزق ويختطفهم وليس سوى مقلتيه البرق عنده في الصيد أعظم الكيد يأتي بمكر الثعلب عند عسر المطلب وانقضاض العقاب عند انخفاض الانقضاب يتقاعس في الوهد كانه في المهد واذا كان في ذرى المطالع فكسيد الغضا اذ يأتي كالمتطالع يتعاشى فيتلاشى حتى اذا امكنته الفرصه لم يدعها وان لوحت له بقرصه بل يحمل حملة الحوت الملتقم ويفعل فعلة الطاغي المنتقم فكم اهاب مزقه وناب بالفؤاد أرزقه في كلام عجيب مثل هذا وبعد هذا قال في آخره نعوذ بالله من شر القدر ونحمده عدد الحصى والمدر ونستغفره من هذا الهذر ونسأله أن يجعلنا من الموت على حذر وصلى الله على سيدنا محمد سيد البشر ما أضاء نور الشمس وانتشر اختصرت لك هذه الرسالة من كمالها ولو رأيتها بجملتها عجبت من جمالها كالو عاينت رسالتي لعجبت من قلة جزالتي ولكن لابد أن أذكر لك هاهنا منها شيئا نزرا ومن جوابه عليها سطرا كان رضي الله عنه قد أمرني أن آتيه بسنور حين جارت عليه الفيران أيما جور ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فأرسلت به اليه وكان درسا وكتبت اليه طرسا

ياخير عجم وعرب * هل لك في هر أرب

اذا رأى الفار هرب * وان رأى الخبز اقترب

من أرجوزة مطولة فوق السبعين وكان أول رسالته الي بعد شعر طويل ونثر نبيل لا كان هذا الضيون ومثله لا يكون جزاء هذا القط ان تستأصل أدناه بالقط وبالحرى أن يكون حديدا اذا ذاق حديدا وتمادى كذلك في ذمه ولم يرغب في ضمه الى ان بلغ بط قته الى وصف الهر الممدوح في بطاقته واختصرت ذلك أيضا بعد أن شوقتك لماذوقتك ولتجرب نفسك فهذا وقتك ومازال أهل الادب ممن ومن على قديم الزمن يكتبون الرسائل في كل فن ويسحبون فيها الذيل الرفن هذا ثابت رحمه الله قد خرج في الدلائل أنشد خلف الاحمر في هذا المعنى وأظنها لخلف الكاتب يرثي هرا له مات

رماني الدهر بكل معضله * ونال مني صرفه ماأمله

ماهكذا كنت عهدت أوّله * وكان لى هر يسمى حملة

أسود ذو براثن مسدله * ماحازه بطرفه فهوله

قوله ماحازه بطرفه فهوله ينظر الى قول ابن المعتز فى صفة كلب

قد وثق القوم له بما طلب * فهو اذا حل لصيد واضطرب

عرواسكا كينهم من القرب

وأوّل من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس قال

اذا ماركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطب

ومن كلام الشيخ الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران القيسى الميرتلى رضى الله عنه فى الهر * نعم الجليس الهر لا يخبر ولا يستخبر ولا يبوح بسر يحفظ سرك عليك ولا ينقل عنك ولا اليك كريم المؤانسة سليم المجالسة لا يهمز ولا يلمز ولا يغتاب ولا صاحبه منه بمرتاب يحفظه اذا نام ويطرد عنه الهوام منافعه كثيرة ومؤنته يسيرة فاقتصر عليه انيسا واتخذه جليسا يسلم لك معه دينك ودنياك واياك أن تفارق موضعك اياك فهو أنفع لك من كثير من اخوانك وأحرس من خدمك واعوانك

شعر

نعم الجليس ونعم الانيس * ونعم المعدّ لدفع الاذى

يجوس البيوت لطرد الهوام * اذا عسعس الليل واجلوّذا

ونعم الضجيع لمستدفئ * اذا كاب القرّ واستحوذا

وأنا أيضا أدلى دلوى فى الدلاء وان لم أكن من الادلاء وأقول لنفسى حين أردت أن ارعى فى ذلك المرعى استنت الفصال حتى القرعا * مالنا هر فسئلت أن أقول فيه شعرا على طريقة الزهد فقلت فى ذلك شعرا ابدلته على قافيتين فصارت فيه الفئة فئتين وهو هذا

ألا اسمع كلاما فيه منفعة اذا * تذوّقته (لم تلف فى طعمه أذا * ألفيت شهد ابل الحيبا

ورب كلام يستحق تبعدا * وآخر (أهل أن يحيى وينبذا * أيضا يستحق تقربا

وهل يستوى فى اللين جلدة أرنب * وجلدة ذا المدعوّ فى الناس (قنفذا * أرنبا

وأنت كما لاتقرن الدر والحصى * كذلك لاتقرن (عيا وجهبذا * خبيثا وطيبا

وانى امرؤ ان قلت شعرا فحكمة * (وليس بحمد الله فحشا ولا بذا

كبيرا بحمد الله أو زمن الصبا

هاتان القافيتان احداهما ذالية والاخرى بائية فأما الاولى فظاهرة وأما الثانية فتختلف من القوس الى النجمة وتقرأ بدلها ما بعد النجمة

وقد آخذ الشئ المحقر قدره * (فأسبك منه لؤلؤا وزمرذا * فأسبكه مفضضا ومذهبا
وخير كلام المرء ما كان صادقا * ولم يك مأفوكا مطرا (مشعوذا * مكذبا
فأجدر بافك أن يذم وينبذا * وأخلق بصدق أن يضم (ويؤخذا * ويصحبا
وكان لناهر فأصبح ميتا * فقلت لنفسى (ويحك اعتبرى بذا * ان فى موت ذا نبا
ألا فانظرى لاحوال جسمه * كأن لم يكن يجرى (على الارض قبل ذا * طليقا مسيبا
ولم يك طوافا عليك محببا * اليك ترين اللهو منه (تلذذا * تعجبا
فها هو منبوذ الى جنب حائط * مهانا ومطروحا (كما يطرح الاذا * منحى مجنبا
اذا رىء قال الناس أف لجيفة * وقد كان قبل اليوم يسمع (حبذا * مرحبا
وقد كان فى حجر الغوانى مجلسا * وقد كان محفوظا مفدى (معوذا * محببا
فان قلت ذا هر فانك مثله * تذوقين (من ذوق المنية ذوق ذا * كأسا أهلك الأم والابا
وقد سل منه الروح من كل شعرة * ولا بد أن ينسل منك (ويجبذا * ويجذبا
فتنسين ماقد كنت قبل رأيته * (ونعمت فيه من لباس ومن غذا *
ونعمته لبسا وأكلا ومشربا
فيا خجلتا ان سيل مم اكتسبته * ويا حسرتا ان قيل (أنفق فيم ذا * لى فيم سربا
ولا بد من هذا فأما بهيمة * فليس عليها (من حساب ولا عذا * أن تسأل وتطلبا
فيا ليتنى اذ مت كنت كمثله * ترابا ولم أسأل ويا ليتنى (قذا * هبا
وأعلم أنى ميت ومحاسب * فيا رب كن مما (أحاذر منقذا * أخاف منكبا
ويسر حسابى بالنبى محمد * أعز الورى من (احتفى ومن احتذا * احتذى ومن احتبا
فكل امرئ يحتاج يمسى فؤاده * ويصبح من خوف الحساب (مجذذا * قد اكربا

ولى من هذا النوع المبذل على قافيتين وعلى ثلاث وعلى أربع وعلى خمس وعلى ست وعلى أكثر وحروف المعجم كلها أكثر من ألف بيت وقد قال الفقيه الخطيب أبو محمد من ذلك أيضا شيئا كثيرا وقد تقدم لى بعض ذلك وسيأتى غيره ان شاء الله تعالى أقول هذا كله لتنشط فتصنع مثله أخشى أن تنشدوا يا أولادى

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادى

(فائدة فى الاختصار) تقدم فى الشعر ولا عذا أراد ولا عذابا فحذف لعلم السامع ومن مذهب العرب الاختصار وقد جاء فى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا أراد شاهدا فحذف اتكالا على فهم المخاطب ومثله من بحث الاختصار

الاختصار ماخرجه أبوداود عن النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا قلنا وما منا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل يريد والله أعلم ومامنا الامن يجد ذلك ومثله ماخرجه البزار من حديث أبي الدرداء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه يقطر فصلى بنا في ثوب واحد متوشحا به قد خالف بين طرفيه فلما انصرف قال له عمر تصلي في ثوب واحد وفيه قال نعم أصلي فيه وفيه يعني الجنابة ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ادني مني فقالت اني حائض فقال وان أراد وان كنت حائضا ومثله ماخرج الترمذي بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلق لاعبا أو أعتق لاعبا فقد يريد والله أعلم فقد لزمه وقال الشاعر من شاذلي النفس في هوة * ضنك ولكن من له بالمضيق أراد من له بالخروج من المضيق وهذا كثير ولأبي محمد عبد الوهاب في هذا فصل جزل ذكرته في التكميل *(فصل في التوبة)* قال الله تعالى توبوا الى ربكم وقال عليه السلام أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة خرجه مسلم ومن غير مسلم قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم مائة مرة فسر هذا الحديث بعض العلماء قال الغين شئ يغطي القلب بعض التغطية فهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يكاد يحجب عين الشمس ولا يمنع ضوأها أشار بعض الناس الى انه كان صلى الله عليه وسلم ينتقل من حال الى ماهو أرفع منه فاذا رفع الى درجة رأى ما انتقل عنها تقصيرا في واجب حق الله فرأى ذلك ذنبا يجب له الاستغفار منه وفي الجملة ان النبي صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق رتبة عند الله وأعلاهم منزلة * روى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خير قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فأخبر انه خير الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم

وفى البخارى ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه وجاء مصدر هذا الفعل فى القرآن على توب كقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب وعلى متاب كقوله تعالى فانه يتوب الى الله متابا واليه متاب وعلى توبة كقوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا ومعنى نصوحا خالصة مأخوذ من النصح وجاءت على فعول للمبالغة فى النصح وقرئت نصوحا بضم النون مشتقة من النصاح وهو الخيط أى مجردة لايتعلق بها شئ ولا تتعلق بشئ وهى الاستقامة على الطاعة وسئل الحسن البصرى رضى الله عنه عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار أن لا يعود وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله ليس شئ من الاشياء أوجب على الخلق من التوبة وقال من قال ان التوبة ليست بفرض فهو كافر وقال أيضا التائب الذى يتوب من غفلته فى الطاعات فى كل طرفة ونفس قلت ولعل توبة النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يتوب فى اليوم مائة مرة كما تقدم كانت من نحو هذا والله أعلم وللتوبة شروط لا تكمل الا بها أولها الاقرار بالذنب ثم الاعتراف بالذنب ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذى كان عقده على اعمال السيئات والانابة الغذاء بغاية مايقدر عليه والندم على مافات واعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهى واستبدال السيئات بالحسنات ويدخل فى هذا استبدال الاصحاب السوء بالصالحين ثم دوام الحزن على ما كان منه من القبيح ثم المسارعة للخيرات الى الممات قلت ولا تستثقلن هذا ولا تستكثرنه فانك تتعرض لمحبة الله تعالى ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومحبة العبد لله عمله بطاعته وانتهاؤه عن معصيته ومحبة الله للعبد رحمته اياه كذا فسر فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال الحسن نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا نحن الذين نحب ربنا ولى فى معنى حب الله تعالى

ظن قوم بأن حبى الهى * مثل مايحبب الانيس أنيسه
غلطوا فى القياس مامثله يشبه شيئا فيقتضى أن تقيسه
وكذا حبه يجل عن الوصف تعالى عن الصفات الخسيسة
انما حبه لمن كان أهلا * للمعالى وللمعانى النفيسه
كل من كان للمحبة أهلا * حبه يلزم النفوس الرئيسه

وسئل أبو محمد سهل رحمه الله متى يكون التائب حبيب الله تعالى فقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله الآية ومن رحمة الله تعالى وكرمه انه يقبل التوبة عن عباده ويعفوعن السيئات ويقبل توبة العبد مالم يغرغر فالحمد لله على هذه النعمة وقد خلق الله تعالى ابن آدم كما قال عجولا فلا يتماسك وهو مفتن تواب لكن برحمته جعل له التوبة تطهيرا عما سبقها من السوء كما جعل له الماء طهورا من الأحداث فمن أحدث بقلبه تاب فتطهر كما اذا أحدث ببدنه استعمل الماء فتطهر والعاقل يود أنه لا يحدث أبدا فاذا كانت ضرورة بادر الى التوبة بحسب الامكان فاذا هو قد عاد كما كان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء له الحمد شكرا وله المن فضلا وقال بعض الصالحين من يسر للتوبة لم يمنع المغفرة وقال الشعبي مثل الذنب والاستغفار والتوبة كمثل الداء والدواء والشفاء فالذنب هو الداء والاستغفار هو الدواء والتوبة هي الشفاء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه العجب لمن يهلك والنجاة معه قيل وما هي قال الاستغفار وقالت عائشة رضي الله عنها طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماذكر العبد خطيئة عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله الا محاها عنه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما أفضل مايعطيه الله للعبد اذا أحبه قال يلهمه الاستغفار وقال محمد بن علي رضي الله عنه يابني اذا أنعم الله عليك فقل الحمد لله واذا أحزنك أمر فقل لا حول ولا قوة الا بالله واذا أبطأ عنك رزق فقل أستغفر الله وقال أبو عمران السلمي

وانى لراتى الذنب أعرف قدره * وأعلم ان الله يعفو ويغفر
لئن عظم الناس الذنوب فانها * وان عظمت في رحمة الله أصغر

تفكرت فيما يتضمن هذا الفصل من الفضائل في ذكر التوب وما تضمن الذى قبله من الرذائل والحوب وفى تعطيل الوقت بذكر الكلاب والسنور وأعوذ بالله من الحور بعد الكور فحملنى ذلك على ان صنعت أبياتا أثبتها في هذا الورق أعتذر فيها وأستغفر الله عما سبق وهي

كم بين ذا الفصل وماقبله * ذلك قصدير وهذا ورق
لكنني أعجبني ذا الكم * من أجل ذا أثبته في الورق

فالعين تلتذ ونفسي لما * تقذفه الأذن لها تسترق
فان يكن شرا فذا بعده * خير وفي أنواره يغترق
والعبد ان تاب الى ربه * فذنبه في عفوه يحترق
يارب ذا عبدك مستغفر * داع بقلب منضج محترق
فاجعل الهي مادعا كم به * السبع السموات العلى يخترق
وفرق الشر الذى فيه قد * جمع واجمع خيره المفترق
حتى ينال التوب مما جنى * ويستفيد الأمن مما فرق

(فصل وتقدم الفالية) والفالية المرأة التى تفلى الرأس ومنه قول اعرابى أيضا عير ببنت ولدت له

ماذا على ان ولدت جاريه * تمشط رأسي وتكون فاليه
خير من ابن عاره علانيه * يجر في كل أوان داهيه

وعلى هذا المعنى قول قتادة رضى الله عنه رب جارية خير من غلام ورب غلام كان هلاك أهل بيته على يديه وذكر عن بعض التابعين انه قال رب جارية محمودة الاخلاق طاهرة الثياب سعيدة العواقب جامعة شمل أهلها يخلق الله تعالى منها النسل الزكى والذرية الطيبة ورب غلام طالعه النحوس ومنشؤه الريب عاق لوالديه حياته داء وموته شفاء وعيرت امرأة بمثل ذلك فقالت

وما على ان تكون جاريه * تحفظ بيتي وتضيء ناريه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا تمت لها ثمانيه
أو تسعة من السنين الوافيه * زوجتها مروان أو معاويه
أزواج صدق ومهور غاليه

وعاب اعرابى امرأة له ببنت ولدتها له وكان اسمه عروة فقالت

تلومنى ان لم ألد غلاما * نجدا هزبرا بطلا مقداما
يمارس الصعدة والحساما * عروة مه لا تكثر اللاما
الا أكن ولدته قماما * مواتيا مقدما اماما
فانها تقتنص الضرغاما * والملك المتوج الهماما
وتأسر العقول والاحلاما

وغاضب آخر امرأته واعتزل عنها في بيت وجفاها من أجل ذلك وكان يكنى

أباحمزة فقالت

مالأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا * وانما نأخذ ما أعطينا

وباختيار الله قد رضينا

فسمع ذلك فاتعظ ورضي عنها وقال آخر لامرأته ولدتها اثمان ولا تمون وتصان ولا تصون وتزدريها العيون فقالت بل ولدتها تنفج مال اهلها وتعمر بيت بعلها وتسره بدلها معنى تنفج مال أهلها اى تعظمه وتكثره وكانت العرب يأخذ الرجل مهر ابنته ابلا فيدخلها في ماله فينفجه ولذلك كانوا يقولون للرجل تولد له الجارية هنيئا لك بالنافجة (قلت) وقد قيل في النساء كثير منهم من يذمهن ومنهم من يضمهن وكل ينفق من ماله وينطق عن حاله فمن استغنى مدح ومن استغنى قدح وليس ذو الشرخ في هذا الفن الساحب الذيل الرفن كمثل الشيخ اليفن هذا يباح له في الصيام التقبيل وذا يزاح عن الكلام الا في قيل وهل يستوى الشبان ومن ذهب منه الاطيبان *(فصل وقد ذم جماعة النساء بعض الحكماء من القدماء قال)* هن نار توهج وسلم الى كل بلاء وهن مثل شجرة الدفلى لها رونق وبها فاذا أكله البعير أداه الى التوى ومن أمثالهم طاعة النساء تردى العقلاء وتذل الاعزاء ونظر بعض الصالحين الى امرأة تتزين وتتعطر فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها وزاد جمالها فقال لمن حوله انما المرأة مثل النار اذا زيد في حطبها تأججت واشتد حرها وضاءت للناس فهي حسنة المنظر تحرق من دنا منها * وقال بعض الحكماء الكيس من لم تضطره النساء وقال أيضا من كانت لذته في النساء وقع في أعظم البلاء وقال من أراد أن يعيش عيشا رغدا ويحيا حياة بلا نكد فلا يشغل فكره بشهوة النساء ولا يومى اليهن بطرفه ولا يده وقال كل أسير يفتك الا أسير النساء فانه غير مفكوك وكل مالك يملك الا مالك النساء فانه مملوك وما استرعين شيئا قط الا ضاع ولا استؤمن على شئ الا ذاع ولا أطعن شرا فقصرن عنه ولا حوين خيرا فأبقين منه فقيل له كيف تذمهن ولولاهن لم تكن أنت ولا امثالك من الحكماء فقال مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء لا يلامسها احد الا اشتكى وحملها مع ذلك الرطب

مبحث ذم النساء

الطيب الجنا والسلاء جمع سلاءة وهي شوك النخل وسيأتي في باب السين واللام
وروى فهن انهن محملو الآصار ومكلفو الأوزار وأكثر أهل النار ولا يصبر
عليهن الا الاخيار وانهن يسرعن اللعن ويكثرن الطعن وفي صحيح الحديث
ويكفرن العشير ويشكرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت
منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط * وقال لقمان استعذ بالله من شرار
النساء وكن من خيارهن على حذر وقيل لبقراط أي السباع أحسن
سورة فقال النساء ورأى امرأة قد ذهبت احدى عينيها فقال قد ذهب
نصف الشر ورأى البحر قد حمل امرأة فقال شر يحمل شرا ورأى رأس امرأة
على شجرة فقال ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر ونظرت عجوز من الفلاسفة
الى رجل يريد أن يعرس وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب لا يدخل
على هذا الباب شئ من الشر فقالت له العجوز فامرأتك من أين تدخل وقيل
ان الاسكندر خرج اليه في بعض حروبه نساء يحاربنه فقال لاصحابه كفوا عنهن
فان ذلك جيش ان غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر وان غلبنا فهي
الفضيحة الباقية مع الدهر ورأيت في بعض الكتب ان هؤلاء النسوة لا يسكن
مع الرجال وان أزواجهن يسكن ناحية منهن فتى احتاج الرجل الى امرأته
أتاها فقضى حاجته منها وانصرف فاذا ولدت ولدا ربته حتى يكبر وأرسلته الى
أبيه وان كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ييبس لئلا يمنعها الطعن بالرمح
وتركت الآخر الايسر لترضع به ولدها ومع هذا فلا بد من صحبتهن ولكن لا بد من
الادب في ذلك قال عمر رضي الله عنه عودوا نساءكم لا فان نعم تجريهن على
الاسنة وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاوروهن وخالفوهن
وقال علي رضي الله عنه لابنه محمد بن الحنفية اياك يا بني ومشاورة النساء
فان رأيهن الى الافن وعزمهن الى الوهن واكفف عليهن من أبصارهن
بحجبك اياهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تطل الجلوس معهن
فيملك وتملهن واستبق من نفسك بقية وقال النبي عليه السلام كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا امرأتان آسية بنت مزاحم امرأة فرعون
ومريم ابنة عمران وخاطبهن فقال انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن أشرتن أو قال
خجلتن أو كما قال عليه الصلاة والسلام معنى دقعتن خضعتن ولصقتن بالدقعاء وهي

غبرة

غبرة التراب ويقال في الدقعاء أيضا الدقم بكسر الدال والميم زائدة كما قالوا للدرداء دردم ويقال فقر مدقع أي ملصق بالدقعاء وقالوا رماه الله بالدوقعة وهي الفقر والذل وجوع ديقوع أي شديد وقد شبهن بالقوارير لسرعة الكسر اليهن ولا يمكن فيهن الجبر وفيهن قال النبي صلى الله عليه وسلم رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير يعني ضعفة النساء بقوله عليه السلام لأنجشة وكان حاديا حسن الصوت وسيأتي في باب الراء عند تفسير كلمات من القرآن وقال النبي عليه السلام في النساء ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وفي الشهاب النساء حبائل الشيطان وقال سعيد بن المسيب رحمه الله ما أيس الشيطان من شئ الا أتاه من قبل النساء وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهب بصره ما شئ أخوف عندي من النساء وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لهن اسكتن فانما أنتن لعب اذا فرغ لكن لعب بكن ولي أنا في هذا المعنى ولكن متى قلته قلته بعد أن ذهبت الشهوة وضعفت القوة وحين قرت المرة وسدت الكوة

أضر شئ على الانسان خصيته * تلك التي أورثته لجة النكد
ان الفضول لعمر الله أدخله * في أن يكابدهم الأهل والولد
يحتاج دارا وأهل الدار يطلبه * كل بشهوته فليعط أو يعد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم * فظل من بلد يسري الى بلد
كأنه حجر يرمى به ورق * من ها هنا ها هنا ومن يد ليد
ما همه الدهر الا ما يؤلفه * وما يجمعه من جيد وردي
وما يبالي أحل أم حرام أتى * فعل امرئ ليس في الاخرى بمعتقد
حتى اذا اجتمعت تلك المكاسب من * تلك الهاوش بعد الأين والجهد
أمسى يفرقها فيهم وبيته * في كسب أخرى كذا دأبا بلا أمد
وربما أسخط المسكين خالقه * اذ ليس في فعله هذا بمقتصد
الفرض ضيعه والدين أتلفه * بالمكر والغش ثم الغل والحسد
وكل ذلك من أجل النساء فلا * أهلا بهن ولا قربن من خلد
يسلبن لب ذوي العقل الرصين كما * يصرعن من كان ذا أيد وذا جلد
يا رب شهوة وقت أورثت غصصا * وأعقبت حسرات آخر الامد

القبقب البطن والذبذب الذكر

قد كان في شغل بهم قبقبه * عن هم ذبذبه لو كان ذا رشد
لكنه عميت عن ذا مقلته * حتى هوى مكرها في هوة الاسد
عسى تقول رسول الله حض على النكاح يعني بذا كم كثرة العدد
نعم وقال لنا أيضا عليك بذات الدين فاليوم فاطلب ضدها تجد
قد كان يصلح ذاك الامر في زمن * أخنى عليه الذي أخنى على لبد
ذاك الزمان مضى وأهله معه * فاليوم ياليت أم المرء لم تلد
يكلف المرء مالا يستطيع له * حملا وليس على شرع بمطرد
عرس بدف وطبل واصطفاق مزامير ورقص الى أنواع كل دد
الى أمور سواها سوف تعلمها * اذا أردت الزواج اليوم يا سندي
ولست تسمع من بعد الدخول سوى * سق سق وهات وعجل غير متئد
ان قلت قد سقت قالوا تم ذلك في * أمس سق اليوم ما يكفي لبعد غد
ان كنت تقوى على هذا والا فرح * يجيء غيرك فاصدر بعد أو فرد
فيحوج المرء أن يلقى هنالك ما * ذكرت قبل من الأحزان والنكد
يا خائفا ضرهن اسمع وصية من * قد جرب الامر لم يحتج الى أحد
عليك بالصوم واترك ذكرهن ولا * تنظر اليهن يثج القلب من كمد
واقنع بثوب وبيت تستتر بهما * واجعل طعامك عند الفطر ملء يد
واعكف على طاعة الرحمن مجتهدا * فليس يخلص الا كل مجتهد
وعن قريب يجيء الموت وهو كما * علمت يفرق بين الروح والجسد
فان تكن صالحا تفرح وتحظ غدا * بجنة الخلد دار السيد الصمد
مجاورا لجميع الانبياء بها * مكلما ناظرا للواحد الاحد

ومن شعر أبي عمران الميرتلي رضي الله عنه

يقولون زوج فنعم الفتاة * عرضنا عليك تنل خيرها
ولو أستطيع لطلقت نفسي * فكيف أضيف لها غيرها
أأشقى بها دون ماضرة * وآمن معضرة ضيرها
وماتقنع العرس مني بشيء * سوى أن نصير نخيرنها
فنفسي أولى بنفسي ودع * سواها تسر وتصل سيرها

وقال يوسف عفا الله عنه وقد سألني تذييل ذا البيت صاحبي

وكنّ اذا أبصرنني أو سمعن بي * بدرن فرقعن الكوى بالحواجب
مشيبي يشي بي فاغتديت مبغضا * لدى قاصرات الطرف عين ربائب
وعهدي في غصن الشباب وانني * لكالشمس في حسن وهنّ صواحبي
وكنّ اذا أبصرنني أو سمعن بي * بدرن فرقعن الكوى بالحواجب
يسلمن طورا بالبنان وتارة * بأنملة زينت بتخضيب خاضب
اذا غبت عن عين فاني حاضر * بقلب ففي التحقيق لست بغائب
فأضحيت لا شئ بأبغض يا فتى * اليهن من شخصي وكن حبائبي
ينادينني ياشيخ لا عن كرامة * كما قد ينادي الناس أهل المراتب
ولكنّ عيبا واحتقارا وذلة * ولو كنت ذا عقل لما كنت عائبي
فان يعيب المرء الا ذنوبه * وذلك يردي لا ابيضاض الذوائب
فيارب ان أبغضنني فأحببني * فأنت وليي دونهن وصاحبي
ولا تحرق الشيب الذي قد جعلته * وقارا بنار يوم يكشف غائبي

وهذه المقطوعة قلتها على أن قافية البيت بالحواجب ثم رأيته بالمحاجر فدعت الضرورة الى أن بدلته أيضا على المحاجر فقلت

مشيبي يشي بي فاغتديت مبغضا * لدى قاصرات الطرف عين غرائر
وعهدي في عصر الشباب محببا * اليهن في بال أقيم وخاطر
وكنّ اذا أبصرنني أو سمعن بي * بدرن فرقعن الكوى بالمحاجر

الابيات وبدلته أيضا على قافية القاف فقلت

مشيبي يشي بي فاغتديت مبغضا * الى قاصرات الطرف عين عواتق
وعهدي في عصر الشباب محببا * اليهن لا يقطعن وصل علائقي
وكن اذا أبصرنني قمن للكوى * فألقمنها سود العيون الروامق

مبحث مدح النساء

كذلك الى آخر الابيات أنظرها بكمالها في التكميل * ومن الناس من مدحهن قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ما مرّض المرضى ولا ندب الموتى مثل النساء وقال بعض الحكماء ما آنس الانسان ولا عمر المكان ولا سلى الأحزان ولا أعان على الزمان مثل البيض الغوان وفي كتاب مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وفي كتاب الاربعين للثقفي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أيّ النساء خير فقال

التي تسره اذا نظر ولا تعصيه اذا أمر ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ولا ماله وهذا الحديث من العوالي حدثني به الحافظ السلفي عن الثقفي عن الفضل بن عبد الله عن عبد الله بن جعفر عن مروان بن سليمان عن أبي عاصم عن أبي عجلان عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قلت أنظر قوله عليه السلام تسره اذا نظر هل هو الا أن تكون من أحسن الصور وما زال الجمال اليه عيال ومن أمثالهم المرأة الوسيمة من المثن الجسيمة وفي الشهاب النظر الى المرأة الحسناء يزيد في البصر ولله در الذي يقول

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وقول الناس في الملاح معلوم وهو الجمال مرخوم وقال الشاعر

ويقبح من سواك الفعل عندي * فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقال الآخر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

قلت فكما أن المرأة الصالحة خير متاع الدنيا فكذلك المرأة السوء شر متاع الدنيا هي الداء العضال والعثرة التي لا تقال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث قاصمات للظهر فذكر منهن زوجة يأتمنها صاحبها وهي تخونه ذكر في هذا الحديث زوجة وأنكر الاصمعي أن يقال زوجتي وانما يقال زوجي وكذلك قال غيره واحتج بقول الله تعالى أمسك عليك زوجك واسكن أنت وزوجك الجنة قلت ولعلهما لغتان ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال زوجة في هذا الخبر وفي مسلم من كتاب الجنائز في الدعاء للميت وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من زوجته الحديث وسيأتي في الحديث بعد هذا وزوجة ومنة فهي اذا لغة مشهورة مذكورة وقال في حديث الاعتكاف للرجل الذي لقيه بالليل والنبي عليه السلام شيع امرأته الى منزلها انها زوجتي وفي حديث ذكره النسائي عن معاوية بن حيدة قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك الحديث وخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عمر قال أتت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته قال لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة الله عز وجل وذكر باقي الحديث

وذكر البزار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يامعشر النساء اتقين الله والتمسن مرضاة أزواجكن فان المرأة لوتعلم ماحق زوجها لم تزل قائمة ماحضر غداؤه وعشاؤه وخرج الترمذى رحمه الله عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا قال هذا حديث حسن غريب وخرج أيضا عن طلق بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور وقال هذا حديث حسن غريب وخرج مسلم رحمه الله بسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وهذه فوائد فى المعنى واللفظ ينبغى ان تقيد بالحفظ وتتعاهد بالدرس كى لا تنسى ويحتج بها على النساء فى خروجهن بغير اذن أزواجهن ونرجع الى اللغة فى الزوج والزوجه فنفصل فيهما بالجمله قال بعض العلماء لغة أهل الحجاز زوج ولغة بنى تميم زوجة قال الفرزدق وهو تميمى

وان الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستبيلها

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم كل قوم بلغتهم رجع الكلام الى ذكر النساء قال النبى صلى الله عليه وسلم فى النساء رأيتهن أكثر اهل النار ثم ذكر العلة فقال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا تنكره قالت مارأيت منك خيرا قط وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا فليس الا المداراة فداراة الناس صدقة والناس يمكنك التخلص منهم وليست الزوجة كذلك الا فى القليل وقد قال عليه السلام هى كالضلع ان ذهبت تقيمه كسرته وان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وقال كسرها طلاقها وفى الخبران ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه شكا الى الله عزوجل خلق سارة فأوحى الله عزوجل اليه انما المرأة كالضلع المعوج اذا أقمته كسرته فداره تعش به وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى

أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

وقد كن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره احداهن حتى

الليل وكذلك كثير من الصحابة وسيأتي حديث ابي ذر رضي الله عنه عند ذكر الموؤدة
ويروى عن انس بن مالك رضي الله عنه ان امرأته راجعته يوما فقال لتنتهن
اولأدعون الله عليك فقالت انت منذ عشرين سنة تدعو على الحجاج فما زاد عنقه
الا غلظا ومما عدوه من الحمق التماس مودة النساء بالغلظة والجفاء والتماس مودة
الاخوان بلا وفاء والآخرة بالرياء والعلم والفضل بالخفض والدعة ونفع النفس بضرر
الغير وقال المغيرة بن شعبة ملكت النساء على ثلاث طبقات كنت أرضيهن
في شبيبتي بالباءة فلما اكتهلت كنت أرضيهن بالمداعبة والمفاكهة فلما شبت
أرضيتهن بالمال وفي رواية عن الحافظ بسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم قال
المهاجرون لما أنزل في الذهب والفضة ما أنزل وددنا انا علمنا اي المال خير فنتخذه
فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين
أحدكم على ايمانه خرجه في أحد أجزاء المحاملي رحمه الله وخرج أبو داود هذا
الحديث بهذا المعنى على غير هذا اللفظ من قوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بخير
ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها
حفظته قلت وينبغي كما يتخير الرجل الارض لغرسه كذلك فليتخير الزوجة لنفسه
ونجابة ولده بحول الله في صلاح غرسه ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تخيروا لنطفكم فان العرق دساس وقال اياكم وخضراء الدمن وقال عليه الصلاة
والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك
ويروى ان رجالا خطبوا لرجل مجوسي ابنة له كانت جميلة فقال لهم العجب من
طباعكم لا تمتثلون قول نبيكم ولا قول مشايخنا نبيكم يقول عليكم بذات الدين
ومشايخنا يقولون عليكم بمن له أصل وجوهر فان العرق يرجع الى أصله فأجمل
القوم وتركوا الخطبة وقال ابن عبدوس رحمه الله وذكر الجمال كفى بالوجه الحسن
ان يستمتع به في كل حالة وانه ليخشع له القلب والبصر والانثى والذكر والشديد
والضعيف والفاجر والعفيف وقالت حكماء الهند بحسن الصورة تستمال أعنة
الابصار ثم قال ابن عبدوس بعد ذلك ألا ان الجمال من اكبر اسباب الفساد وقلما
تجد الجميلة عفيفة ولو كانت عفيفة لم تسلم من مراودة من ليس بعفيف وكم
عاها ان تمع وقد سئل بعض الحكماء عن التزويج فقال للسائل نعم ما تفعل تغض
طرفا وتحصن فرجا ولكن اياك والجمال الرائع قال ولم واتما يرغب الناس فيه

فقال أوما سمعت قول القائل

ولن تمرّ بمرعى ممرع أبدا * الا وجدت به آثار مأكول

وفي الحديث لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى ان يرديهن ولا تنكحوهن لأموالهن فعسى أموالهن ان تطغيهن وانكحوهن على الدين ولأمة سوداء جذماء ذات دين أفضل من ذات جمال وليس لها دين قال ابن عبدوس والحسناء كثيرة المنّ على زوجها بحسنها والعفيفة أكثرمنا عليه بعفتها حتى كان الواجب عندهن ان لا يكن عفائف وقال أكثم بن صيفي يابني تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة الحسب فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف وقال الشاعر

وأوّل خبث المرء خبث ترابه * وأوّل لؤم المرء لؤم المناكح

وقال الآخر

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء في العين صافيا

وفي هذا الشعر

على وجه ميّ مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

ودخل خيرى بن أبي أوفى على هشام بدمشق ملفوفا في عباءة فسلم وانتسب فقال كيف أبوك قال كالخير لنفسه وكالشرّ لي قال وكيف ذاك قال كنت نطفة في صلبه يضعني حيث شاء فألقاني في رحم سوداء لو وقع القمر فيه لاسودّ ثم سماني بشرّ الاسماء واختار لي شر الاعمال رعية الابل فأعدني عليه قال أما لونك فلا تستطيع تغييره وأما اسمك فمن أسماء أبيك وأما عملك فقد أبدلك الله الفريضة السنية والجائزة الحسنة ففرض له ووصله أصاب خيرى وصدق فيما به نطق هذه الأوصاف قد قالها غيره قبله قالوا من حق الولد على والده ان يستفره أمه ويحسن اسمه فان كان ذكرا يعلمه كتاب الله ويعلمه الرمي والسباحة وان كانت أنثى يعلمها سورة النور ولا يعلمها سورة يوسف عليه السلام ولا يسكنها الغرف ويعجل سراحها الى بيت زوجها وقال عروة بن الزبير رحمه الله ما عشقت من امرأة قط الا حسن شرفها وفسره بعضهم واستشهد بقوله في موضع آخر اني لأعشق الشرف كما أعشق الجمال فعل الله بفلانة ألفت بني فلان وهم بيض طوال فقلبتهم سود اقصارا وقال غيره انما أراد الحسب وصراحة النسب واحتج بقول عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ما عشقت من امرأة قط الا حسبها ولعل قائلا يمدح القصار ويستشهد بقول كثير

قوله خيرى هكذا في النسخ ولعله حرب أو جزى كما يقتضيه سياق الحكاية

الشاعر وأنت التي حببت كل قصيرة * الي وماتدرى بذاك القصائر

فلم يرد القصيرة القدّ وانما أراد المقصورة فى الحجال من قولك قصره اذا حبسه يقال منه قصيرة وقصورة كما يقال مقصورة اذا كانت محجوبة ومنه قول الله تعالى حور مقصورات فى الخيام أى محبوسات وقوله تعالى قاصرات الطرف أى قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا وقال الشاعر

تراها عند قبتنا قصيرا * ونبذلها اذا باقت بؤوق

أى مقصورة مقربة لا تترك تتردد لنفاستها عند أهلها ويدل على انه أراد هذا المعنى قوله فى البيت الذى بعده

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطى شر النساء البحاتر

والبحاتر القصار ورواه الفراء وأنشده البهاتر بالهاء وقال بحتر بالحاء وبهتر بالهاء لغة فيه وهو القصير كما تقدم والهاء تبدل من الحاء كثيرا وسيأتى ذلك وقد يحتمل أن يريد بقوله كل قصيرة أى قصيرة النسب وتلك صفة الأشراف ومعناه أن يقال بنت فلان فيعرف ولا يحتاج الى تطويل فى النسب كما يحتاج من ليس بشريف أن ينتسب حتى يبلغ الى رأس القبيلة وبالحرى أن يعرف ان عرف قال رؤبة قال لى النسابة من أنت انتسب فقلت رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت وقد بين الشاعر هذا المعنى فى قوله

أحب من النسوان كل طويلة * لها نسب فى العالمين قصير

وقال الطائى

أنتم بنو النسب القصير وطولكم * باد على الكبراء والاشراف

ومع هذا فان نجابة الولد انما هو فى النسب لا فى الطول ولا فى القصر وقال ابن الزبير لا يمنعكم من تزوج المرأة القصيرة قصرها فان القصيرة تلد الطويل والطويلة تلد القصير واياكم والمذكرة فانها لا تنجب وسيأتى خبر الاعرابى القبيح الطويل الذى تزوج امرأة قصيرة جميلة لتلد له بزعمه غلاما يشبه أمه فى الحسن وأباه فى الطول فولدت له ضد ذلك والعرب تقول ان الغيرى لا تنجب واذا أكره الرجل المرأة وأصابها وهى مذعورة فان أذكرت أنجبت ولذلك قال عبيد الله ابن الحسن اذا أردت أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها ولذلك قالوا أنجب النساء الفروك لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجل وقالوا أنجب النساء

النزائع الواحدة نزيعة وهي التي زوّجت في غير قبيلتها قال الشاعر

نمت بي من شيبان ام نزيعة * كذلك ضرب المنجبات النزائع

واولاد الغرائب عندهم أشد وأقوى قال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى وليد القرائب

ومنه قول عنترة * أنا الهجين عنترة * افتخر بأنه هجين لانه أقوى من الصريح وأجلد ذكر هذا الخطابي رحمه الله في تفسير قوله عليه السلام طوبى للغرباء فقيل من هم يارسول الله قال النزاع من القبائل ثم فسره قال النزاع جمع نزيع وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته وجاء في حديث آخر بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء قيل من الغرباء يارسول الله قال الذين يصلحون ما أفسد الناس وقال الحارث بن كلدة اذا أردت ان تحبل المرأة فشها في عرصة الدار عشرة أشواط فان رحمها تنزل ولا تكاد تخلف وكانت العرب تقول اذا المرأة لقحت قبل الطهر في أوّل الشهر عند تبلج الفجر ثم أذكرت جاءت به لا يطاق قال الشاعر

لقحت في الهلال عن قبل الطهر وقد لاح للصباح بشير

ذكر أوقات حمل المرأة

وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين وهو أوّل وقت الوطء وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها وهي بنت ست وبنى بها وهي بنت تسع وتوفي عنها وهي بنت ثمان عشرة سنة وتوفيت وهي بنت ثمان وخمسين سنة وتحمل المرأة وهي بنت عشر وفي البخاري عن بعضهم رأيت امرأة جدة وهي بنت احدى وعشرين سنة وبضده خرج ثابت ان هند بنت ابي عبيدة حملت بابنها موسى بن عبد الله بن حسن لستين سنة ويقال لا تحمل لستين الا قرشية ولا لخمسين الا أعرابية ويقال ان امرأة من عجلان أقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت وحملت مرة أخرى ثلاث سنين قال الليث وحملت مولاة لعمر بن عبد الله ثلاث سنين ويقال ان الضحاك ولد لسنتين وقالت عائشة رضي الله عنها ما حاضت امرأة بعد خمسين سنة ويقال ان الرجل يستفرغ ولدا مرأتين يولد له وهو ابن تسعين سنة وولدت مريم عيسى عليهما السلام لثمانية اشهر وتلك آية لانه لا يعيش مولود لثمانية اشهر وأتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة ولدت لستة أشهر فهم بها فقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ثم قال والوالدات يرضعن

حمل مريم بعيسى عليه السلام

اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فالحمل يكون ستة اشهر وذكر مالك تلك القصة لعثمان رضي الله عنه تقدم في هذا الخبر ان عيسى عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر وقد اختلف في ذلك فروى عن الحسن انه قال حملته تسع ساعات وولدته من يومها وقال بعضهم حملته تسعة أشهر كما تحمل النساء والله اعلم وحديثها مذكور في القرآن وجاء في الخبر انه كان معها في المحراب ابن خال لها يقال له يوسف كان يخدمها من وراء حجاب ويكلمها كذلك وكان أول من اطلع على حملها فاهتم لذلك وأحزنه وخاف أن يقع في الاثم وسوء الظن فقال لها يا مريم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم قال وكيف ذلك قالت ان الله خلق البذر الاول من غير نبات فلعلك تقول لولا انه استعان بالبذر لغلبه قال يوسف أعوذ بالله ثم قال لها وهل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر قالت ألم تعلم ان للبذر والزرع والماء والمطر والشجر خالقا واحدا ثم قال لها هل يكون ولد أو حمل من غير ذكر قالت نعم قال وكيف ذلك قالت ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء امرأته من غير حبل ولا ذكر ولا أم قال بلى قال فأخبريني خبرك قالت فان الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم الى قوله ومن الصالحين فسكت عنها ومن ولده وهو صغير عبد الله بن عبد المطلب وهو والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزيد عليه ثمانية عشر عاما وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان لأيوب بن سلمة وهو من ولد الوليد المخزومي ابن يسمى اسماعيل كان أيوب يزيد عليه في المولد ثلاث عشرة سنة وكان له من الولد اثنا عشر ولابنه اسماعيل كذلك اثنا عشر فوقع بينهم كلام وكانوا في المدينة في دار واحدة فأغلقوا عليهم الباب واقتتلوا واجتمع أهل المدينة فلم يقدروا على فتح الباب حتى تسوروا عليهم الجدار فوجدوا صرعى ذكره ثابت وأغرب من هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص يزيد عليه أبوه في السن اثني عشر عاما هذا نادر والمعروف الا كثر الأشهر ما قاله بعض العلماء يستدل على بلوغ الصبي بالانبات والاحتلام وبلوغ خمسة عشر عاما والجارية كذلك وتزيد على الغلام بالحمل والحيض وأقوى ما في الغلام الاحتلام وفي الجارية الحمل والحيض ويستشهد على الانبات بأهل قريظة اذ قتل منهم من أنبت ومن لم ينبت خلى سبيله ويستدل على بلوغ خمسة عشر عاما بما خرجه مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا

ابن خمس عشرة سنة فأجازني قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ
خليفة فحدثته هذا الحديث فقال ان هذا الحد بين الصغير والكبير وكتب الى
عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة فما دون ذلك فاجعلوه في العيال
واذ قد وقع ذكر عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فلنذكر بعض
فضائلهما أما عبد الله بن عمر فلا خفاء بفضله وورعه وعلمه وسابقته أسلم مع أبيه
وهو صغير لم يبلغ الحلم وبلغ ستا وثمانين سنة وأفتى في الاسلام ستين سنة وكان
كثير الاحتياط والتوقي في فتاواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد موته عليه السلام مولعا بالحج قبل الفتنة وبعد الفتنة
الى أن مات وكان قد أشكلت عليه حروب علي رضي الله عنه فقعد عنها وندم على
ذلك حين حضرته الوفاة قال ما آسى على شيء الا تركي قتال الفئة الباغية مع علي
رضي الله عنه وعلى صوم الهواجر وكان يقول الحق لا تأخذه في الله لومة لائم خطب
الحجاج يوما وأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك والحق لا يعذرك فقال
له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك فقال ان تفعل فانك سفيه مسلط
فأمر الحجاج رجلا معه حربة يقال انها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفة لصق
به ذلك الرجل فأمر الحربة على قدمه وهي في غرز راحلته فمرض منها أياما فدخل
عليه الحجاج يعوده فقال له من فعل بك يا أبا عبد الرحمن فقال وما تصنع به قال قتلني
الله ان لم أقتله قال ما أراك فاعلا انت الذي امرت من نخسني بالحربة فقال لا تفعل
يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه فلبث اياما ثم مات رضي الله عنه وصلى عليه الحجاج وأما
عبد الله بن عمرو فكان ايضا من الفضلاء العلماء يكنى ابا محمد وقيل ابا عبد الرحمن
توفي بمصر سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقيل مات بمكة وهو الذي
استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث فأذن له وهو الذي قال له النبي
صلى الله عليه وسلم صم وأفطر وقم ونم حين بلغه انه قال لأصومن النهار ولأقومن
الليل ما عشت فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال له ما تقدم وهو الذي كان
يقول مالي ولصفين وقتال المسلمين والله لوددت اني مت قبل هذا بعشر سنين ثم يقول
أما والله ماضربت فيها بسيف ولا طعنت فيها برمح ولا رميت فيها بسهم ولوددت
اني لم أحضر شيئا منها وأستغفر الله من ذلك وأتوب اليه

خرجت من شيء الى غيره * لكنني لم أعد عين الصواب

ومنى الجمع ومنك ابنى الحفظ ومن ربى الكريم الثواب

ثم البنات ومدحهن

وأما البنات فمن الناس من كرههن لا لذاتهن لكن لما يتخوف عليهن كما قال بعضهم

ألا ياموت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره
شكرنا فعلك المحمود لما * كفيت مؤنة وسترت عوره
فأنكحنا الضريح بغير مهر * وزوجنا الفتاة بغير شوره

وقال آخر

أحب بنيتى وودت انى * وضعت بنيتى فى قعر لحد
ومابى بغضها غرضا ولكن * أخاف بأن تذوق الذل بعدى
وتسلم ان فقدت الى لئيم * فيشتم والدى ويسب جدى
فليت الله عاجلها بموت * وان كانت أعز الناس عندى

وقال آخر

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم
وأوله لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب فى البلاد حندس الظلم
وزادنى رغبة فى العيش معرفتى * ذل اليتيمة يجفوها ذوو الرحم
أحاذر الفقر يوما أن يلم بها * فيهتك الستر عن لحم على وضم

وقال آخر

الماء الرنق هو الكدر

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف
مخافة أن يرين البؤس بعدى * وان يشربن رنقا بعد صافى
وأن يعرين ان كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف

الكرم فى هذا البيت مصدر يقال رجل كرم وقوم كرم وامرأة كرم ونسوة كرم وقال عبد الله بن طاهر

لكل ابى أنثى اذا ماترعرعت * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر
فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

وجاء فى الشهاب دفن البنات من المكرمات وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما عزى فى بنته رقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وأنشدنا الحافظ ابو الطاهر رحمه الله ولم يسم قائله فقال

القبر ستر لجميع البنات * وهو كما يروى من المكرمات

أمارأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وبنات نعش سبع كواكب أربعة نعش وثلاث بنات ويقال للواحد منها ابن نعش لأن الكوكب مذكر قاله ثابت وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم رب هرزن سهيه أعوذبك من كل عقرب وحيه وقال في تفسيره نجم صغير يكون في بنات نعش وفيه يقول القائل * أريها السها وتريني القمر * ومن أحسن ماسمعت في هذا قول بعضهم في الحجاج وكان قد أراد أن يزيد في جباية السواد فمنع أهل السواد من ذبح البقر ليكثر الحرث والزرع فيما زعم فقال شاعرهم

شكونا اليه خراب السواد * فحرم فينا لحوم البقر

وكان كما قال من قبلنا * أريها السها وتريني القمر

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقدون أبصارهم فيه وخرج عياض رحمه الله في كتاب شرف المصطفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أربعة عشر نجما لحدة بصره صلى الله عليه وسلم وأخبرني بعض العلماء ان أسماء بنات نعش النجم الاول الذي يلي النعش القائد والثاني العناق وهو الذي الى جنب السها والثالث الحوار وفي هذه النجوم أعني بنات نعش فائدة أنها بها يستدل على القبلة اذا جعلتها على كتفك الايسر في بلادنا هذه وذلك على الدوام لانها لا تدور ولا تغيب وهذه بنات نعش الكبرى وبقربها بنات نعش الصغرى وهي على مثل تأليفها وفيها الفرقدان والجدي وفي وسطها القطب وعليه مدار الفلك شبيه بقطب الرحا تدور عليه جميع الافلاك وهو ثابت على موضعه لا يتحرك وكان لمعاوية رضي الله عنه بنت تحبه وكان يدنيها ويلزمها حجره ويعانقها ويقبلها فرآه بعض خواصه يوما فقال له اف لهذه ابعدها عنك ونحها فوالله ما علمتهن الا يلدن الأعداء ويورثن البعداء فقال له معاوية أجل ثم سكت ساعة فقال أما انهن بضعة منا ربيهن ربينا ويشيبهن شيننا وأيم الله مع ذلك ما عالل ذوي العلات بالاعظم المصيبات ولا بكى الأموات مثلهن وقال بعض الشعراء في هذا المعنى

رأيت اناسا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والايام يعثرن بالفتى * عوائد لا يمللنه ونوائح

فمن صالحات النساء وفضائلهن ما يروى ان أسماء بنت يزيد الانصارية من بني عبد الاشهل أتت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بأبي أنت وأمي يارسول الله

أنا وافدة النساء اليك واعلم ان نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بخروجي هذا أولم تسمع الا وهي على مثل رأيي ان الله عز وجل بعثك بالحق الى الرجال والنساء آمنا بك وبالذي أرسلك وانا معشر النساء محظورات مقصورات وانا قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله وان الرجل منكم اذا خرج حاجا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في الأجر يا رسول الله فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه كله الى أصحابه فقال لهم هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من مقالتها وسؤالها عن أمر دينها فقالوا يا رسول الله ماظننا ان امرأة تهتدي في دينها الى مثل مقالتها ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من الرجال والنساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها لمرضاته واتباعها لموافقته يعدل ذلك كله فأدبرت المرأة تهلل وتكبر سرورا واستبشارا بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الخبر ابو القاسم على بن محمد بن عبدوس الكوفي رحمه الله في كتاب التسلي عن الدنيا * وفي كتاب من حزم النساء ما يروى أن أحد الامراء شتم امرأة فأفحش في القول فقالت لاصحابه أهكذا كلام الامراء قالوا لا فقالت له خذ اليك العزل الحق وجاء في خبر ولم أره ولا تكرهوا البنات فاني أبو البنات وقال أيضا لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات المجهزات والمربيات المبكيات وأنشدوا في هذا المعنى

نخير الناس كلهم جميعا * رسول الله كان أبا البنات
وهن المؤنسات وهن أيضا * بعيد الموت أحرق باكيات

ومن أحسن ما قيل في تفضيلهن

فما التأنيث في اسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

وأنشدني بعض أصحابي ولم يسم قائله

أحب البنات فحب البنا * ت فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من اجل البنا * ت أخدمه الله موسى كليمه

صلى الله عليهما وعلى نبينا محمد وسلم وزادفيهما أبو عمران الميرتلي رحمه الله

ودفن

ودفن البنات من المكرمات * وأجر وذخر وبعى جسيمه

وجاء فى الحديث من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر وذلك ان الله تعالى يقول يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وجاء فى تفسير قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال ابن عباس بدلا منه جارية ولد من نسلها سبعون نبيا وقال ابن جبير كانت أمه حاملا فولدت غلاما مسلما وجاء فى التفسير ان الغلام كان كافرا وكان اسمه حيسور وفى الصحيح من ابتلى من البنات بشئ فأحسن اليهن كن له سترا من النار وفى آخر من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه صلى الله عليه وسلم و ينبغى ان تفضل البنات على البنين فيما يدخل به من السوق لانهن محجوبات لا يرين الا ما دخل به عليهن ولان الكفار كانوا يقتلونهن بالوأد وقد أمرنا بمخالفتهم فاذا كان الواجب علينا حبهن فنفضلهن و يروى ان رجلا ولدت له بنت فاغتم لذلك فدخل عليه رجل صالح عالم فقال له مالى أراك مغموما فقال له ولدت لى بنت فقال له على الله عز وجل رزقها وعلى الارض ثقلها تعيش فى غير أجلك وتأكل من غير رزقك ما سميتها فقال فاطمة فقال آه آه أما اذ سميتها فاطمة فلا تشتمها ولا تضربها قال الشاعر

خرجت من الفلا جميع الفلاة * لغالية فتاة كالمهاة

وأفضى القول فى مدح وقدح * الى ذكر البنات والامهات

ولم أقنع بمن فى الارض حتى * صعدت لذكر نعش والبنات

ولكن كله علم وان كنت لاتبغى سوى ذكر اللغات

فها أنا سوف أرجع بعد هذا * لها فاسمع فان القول يأتى

(فائدة) تقدم ذكر المهاة وهى البقرة الوحشية تسكتبها بالتاء اذا وصلتها بخلاف المهاه الذى هو الطراوة والحسن قال عمران بن حطان

فليس لعيشنا هذا مهاه * وليست دارنا الدنيا بدار

وقال جرير كفى حزنا ان لامهاه لعيشنا * ولا عمل يرضى به الله صالح

(فصل وتقدم فى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام) معناه والله أعلم صلوا أرحامكم بما أمكن وان عدمتم فأقل شئ يكون بالسلام وهو بأن تزور ذا رحمك فتسلم عليه وتؤنسه بالقول وتلين له القول ويمثل هذا استمال الغريب فكيف بالقريب ألم تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على شئ اذا أنتم فعلتموه

صلة الرحم وذكر الجار

تحاببتم آفشوا السلام بينكم وقد جاء في صلة الرحم مايكاد لكثرة الامر يذلك أن يكون فرضا وجاء في قطيعة الرحم كذلك مايكاد يلحق بالكبائر واذا كان الجار يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقد جاء في حق الجار كثير قالوا الجار القريب المسلم ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وللجار المسلم حقان ولغيره حق واحد وخرج الترمذي ان عبد الله بن عمر ذبحت له شاة في اهله فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودي أهديتم لجارنا اليهودي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا وعن ابن شريح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه وفي حديث آخر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره وفي آخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن أحسن ماقيل في حسن الجوار

ناري ونار الجار واحدة * واليه قبلي تنزل القدر
ماضر جارا لي أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر

هذان البيتان لمسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر ومسكين لقب له ولذلك قال

وسميت مسكينا وكانت لحاجة * واني لمسكين الى الله راغب

وفي الشعر الاول بيت خرجه أبو علي في النوادر وهو

لا آخذ الصبيان ألثمهم * والامر قد يغرى به الامر

قال أبو عبيد البكري في شرح الامالي المسمى باللآلي ويروى يغرى أي يقصد من قولك عرفت مغزاك ويروى يعنى به قال وأنشد صاعد في هذا المعنى

اذا رأيت صبي القوم يلثمه * ضخم المناكب لا عم ولا خال
فاحفظ ثيابك منه أن يدنسها * ولا يغرنك حسن الحال والمال

ذكر هذا المعنى في معنى عفة الجار عن جاريه وفيه أنشد أبو علي

ولست بسائل جارات بيتي * أغياب رجالك أم شهود
ولست بصادر عن بيت جاري * صدور العير غمره الورود
ولا ألقي لذي الودعات سوطي * لألهيه وزينته أريد

قال

قال أبو عبيد ويروى وريته أريد قال وهذا أحسن يعني أمه وفسر غمزه الورود بشئ حسن قال ان الحمار اذا لم يرو صدر متلفتا الى الماء فيقول لست ألتفت الى بيت جاري كذلك انظر في التكميل البيت الذى للخطيب ابى محمد رضى الله عنه

باحدى هذه الخيمات جاره * ترى هجرى وتعذيبى تجاره

وكيف ذيله جماعة من أهل الادب وجوابه على كلامهم بأبرع كلام وأبدع نظام وجاء في الحديث أيضا يقول عليه الصلاة والسلام لابى هريرة رضي الله عنه يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس وأحب للمسلمين والمؤمنين ما تحب لنفسك وأهل بيتك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمنا وجاور من جاورت من الناس باحسان تكن مسلما وقال لابى ذر رضي الله عنه يا أباذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي حديث آخر ان الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم منعنى معروفه وسد بابه دوني وفي حديث آخر انه يقول يارب سل هذا لم بات شابعا وبت الى جنبه طاويا ومما يصدق هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة بن زيد في وصيته يا أسامة اياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فانه ما آمن بي من بات شبعانا وجاره طاو الى جنبه (قلت) هذا في الجار أفليس أولوا الارحام أحق بهذا الاكرام مع قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة قاطع رحم ومع قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وفي رواية قامت الرحم فأخذت بحقوى الرب فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة وسيأتي تفسير قوله بحقوى الرب ان شاء الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام في الحض على ذلك من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه وقال عليه الصلاة والسلام صلة الرحم تزيد في العمر وقال عليه الصلاة والسلام ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها وسأله رجل فقال له ان لى قرابة أصلهم ويقطعوننى وأحسن اليهم ويسيئون الى وأحلم عنهم ويجهلون على فقال لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك قوله في هذا

الحديث المل قال الخطابي هو الرماد الحار وسيأتي الكلام على هذه اللفظة في باب الميم ان شاء الله تعالى ما اتقى الله عبد قطع رحمه وقطع كلمه ورحم الله عبدا أطاب كلامه وأطال سلامه وانتهى به الى البركات فبذلك تحصل له الحسنات المباركات كما روى عن عمران بن حصين قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فسلم فقال السلام عليكم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عشر ثم جلس ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عشرون ثم جلس ثم جاء آخر وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلاثون خرجه النسائي رحمه الله وقال في حديث آخر وجاء آخر فزاد ومغفرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون وقال هكذا تكون الفضائل أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وان انتهى الى ورحمة الله فحسن أيضا قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي عن أبي تميمة الهجيمي واسمه طريف بن مجالد عن رجل من قومه قال طلبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم أقدر عليه فجلست فاذا نفر هو فيهم ولا أعرفه وهو يصلي بينهم فلما فرغ قام معه بعضهم فقالوا يا رسول الله فلما رأيت ذلك قلت عليك السلام يا رسول الله عليك السلام يا رسول الله عليك السلام يا رسول الله قال ان عليك السلام تحية الميت ثلاثا ثم أقبل علي فقال اذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل السلام عليكم ورحمة الله ثم رد علي النبي صلى الله عليه وسلم قال وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله * وبركة السلام كثيرة ألم تر أن عبد الله بن عمر كان يغدو الى السوق وما كان غدوه الا ليسلم ويسلم عليه فيذكر الله وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان فسلم عليهم ومن بركة السلام انك تسلم على الميت فيرد عليك وذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في الاستذكار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وقال فيه اسناده صحيح وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عشر مرات فله أجر عتق رقبة وكذلك لو ردا السلام وقد ورد في ردا السلام واين الكلام حديث جامع لمن حفظه وعمل به نافع وهو ما خرج أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الاولياء عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل

ذكر السلام

انطلق

انطلق فرحل راحلتك ثم ائتنى أبعثك الى اليمن قال فانطلقت فرحلت راحلتى
ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى يأذن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ
بيدى ثم مشى معى فقال يا معاذ عليك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء
الامانة وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح
وبذل السلام ولين الكلام ولزوم الايمان والتفقه فى القرآن وحب الفكرة
والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل واياك ان تشتم مسلما أو تكذب
صادقا أو تصدق كاذبا أو تعصى اماما عادلا يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر
وأحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية قلت هذا حديث ذكر
فيه انالة السلام ولين الكلام فمن استعمله ألان كلامه وأنال سلامه ولا أقل فى الصلة
من السلام لاهل الاعدام وأما أهل الايسار فلا يسعهم الا الاكثار والله أعلم
(فصل تقدم ذكر البول) قد كره قوم ان يقول الرجل عوض بلت أرقت الماء البول
وقالوا هذا كذب ليس بماء ولكنه بول ورووا عن أبى هريرة رضى الله عنه انه
قال لا تقل أهريق الماء ولكن قل أبول وسمع ابن عباس رضى الله عنهما رجلا
يقول أهريق الماء فقال لا تقل أهريق الماء ولكن قل أبول وأجاز ذلك قوم ورووا
عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال لابى ذر رحمه الله حين قدم مكة ليسلم
فادخله على النبى صلى الله عليه وسلم وقال له على ادخل معى فان رأيت شيئا أخافه
عليك فانى أقوم كانى أريق الماء فاذهب أنت وجاء فى حديث اسامة بن زيد ذكر
البول غير مكنى ان النبى صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفة اتى الشعب
فبال وفى تفسير الحديث قال عكرمة روى الحديث ولم يقل أراق الماء وأكثر
ما يكنى عن الغائط ويصرح بذكر البول كما جاء فى الحديث فى شأن القبلة نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تستقبل بغائط أو بول قلت وانما كنى عنه والله أعلم لانه
لما كره مرآه كره النطق به وليس مرآى البول كذلك على انه قد جاء فى الحديث
غير مكنى عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا
انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذى يدهده الخرء
بأنفه ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقى وفاجر
شقى كلهم بنو آدم وآدم من تراب وكما قال سلمان الفارسى رضى الله عنه وقيل
له علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط

أوبول وان نستنجي باليمنى وذكر الحديث فذكر الخراءة وحسن هنا ذكرها على جهة الاغياء كما قال أبوذر رضي الله عنه ولقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما صلى الله عليه وسلم وعلى آله وقال حذيفة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنا به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه علمه أصحابي ألا وانه ليكون منه الشيء فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن جميع العلماء الذين لم يغفلوا من العلم شيئا حتى هذه اللفظة فانهم قالوا خرئ خراءة والاسم الخرء والمكان المخرأة بالقصر وقال أبو عبيد خرء الفأرة بالضم كذا رأيته بالضم وكذا وقع في كتاب تاج اللغة خرء الكلاب بالضم أيضا ونوع مما تقدم من يعلم كل شيء حتى الخراءة ما روي ان رجلا من بني بكر بن كلاب كان يعلم بني أخيه العلم فيقول لا فعلوا كذا وافعلوا كذا فثقل عليهم فقال له بعضهم قد علمتنا كل شيء وما بقي علينا الا الفعالة لا يكنى فقال يا بني والله ما تركت ذلك من هوان بكم على اعلموا الضراء واتبعوا الخلاء واستدبروا الريح وخوّوا تخوية الظليم وامتشوا بأشملكم ذكره البكري وفسره الضراء هو ما واري من الشجر ويقال خوّى الظليم اذا جافى بين رجليه ويديه وقوله امتشوا يريد امسحوا واستنجوا بأشمال أيديكم ولذلك سمي المنديل المشوش وانشد * نمش بأعراف الجياد أكفنا * البيت خرج البكري ما تقدم على قول أبي عبيدة في الامثال لا تفا كهأمه ولا تبل على أكمه والنهي عن البول على الاكمة خشية ان يرجع بوله عليه لانصبابها وان بال بأعلاها ردت عليه الريح بوله ولذلك قال قبل هذا واستدبروا الريح والله أعلم قلت وما أحسن العلم وأفضل من اكتسى به وأنبل من جد في اكتسابه لا أقول في فن واحد بل في جل فنونه وكل عيونه ذكر ابن قتيبة ان الحسن بن علي رضي الله عنهما لما قدم على معاوية بالشام اشار عمرو بن العاص على معاوية ان يأمره ان يصعد المنبر فيتكلم على الناس والغرض ان يخجل فيخطئ فيعاب وأبى الله ان ينطقه الا بالصواب فلما صعد كان أول كلامه أن قال أيها الناس لو طلبتم ابنا لنبيكم من جابلص الى جابلق لم تجدوا غيري وغير أخي وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فساء ذلك عمرو وأراد أن يقطع كلامه فقال يا أبا محمد هل تنعت الخراءة قال نعم تبعد المشي في الارض

أي بين جابلص وجابلق

الصحيح حتى تتوارى من القوم ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة ولا بالعظم ولا تبل في الماء الراكد وأخذ في كلامه رضي الله عنه وقد اعترى نوع من هذا لواعظ كان يتكلم على الناس فسأله رجل وأراد ان يبكته عن صفة الغائط وطعمه فقال على الفور ولم يتوقف سأل هذا السائل عن طعم العذرة صفة نفسه القذرة فأقول طعمها أولا حلو دليله ان الذباب ينزل عليه ولا ينزل الا على حلو ثم بعد ذلك حامض دليله ان البعوض ينزل عليه ثم بعد ذلك مر دليله ان لا يقرب منه حيوان ومن كذبني فليذقه ثم رجع الى كلامه رضي الله عنه وعن العلماء (قلت) ومن ملح ما رأيت في هذه اللفظة على شناعة ذكرها ما قال عمر بن الخطاب لابي سفيان بن الحارث رضي الله عنهما خرج عبد بن حميد ان أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه الاسلام كيف أصنع بالعزى فسمعه عمر رضي الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه أكلم انتهى كلامهما رضي الله عنهما تقدم ذكر الصاحبين الحسن وأبي سفيان رضي الله عنهما وأرضى وجعل خدي لاخمص اقدامهما أرضا أما الحسن بن علي فمكانه العلي وكلامه الذي أراد عمرو ان يخجله كان زائدا على ما في الكتاب بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقي واحمق الحمق الفجور وان هذا الامر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية اما ان يكون حقه فهو أحق به مني واما ان يكون هو حقا لي وقد تركته ارادة اصلاح الامة وحقن دمائها وآخر ما قال وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفيه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين فكان كما قال عليه السلام اصلح به بين الناس ورفع عنهم البأس وقيل له في ذلك فقال قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن فضله رضي الله عنه انه قال اني لأستحيي من ربي ان ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه وقسم ماله نصفين حتى تصدق بفرد نعله وفي رواية خرج الحسن من ماله مرتين وقاسم الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى ان كان ليعطي نعلا ويمسك نعلا ويعطي خفا ويمسك خفا وكان آخر أمره ان مات شهيدا رحمه الله سقي السم حتى قتله حدث

عمير بن اسحاق قال دخلت انا ورجل على الحسن بن على رضى الله عنهما نعوده فقال يا فلان سلنى قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثم أسألك قال قد ألقيت طائفة من كبدى وانى قد سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه فقال يا أخى من تتهم قال لم لتقتله قال نعم قال ان يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لم يكن فما أحب أن يقتل بى برىء ثم قضى وفى رواية لما احتضر قال أخرجونى الى الصحن لعلى أنظر فى ملكوت السماء يعنى الآيات فلما خرج قال اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانها أعز الانفس على فكان مما صنع الله تعالى له ان احتسب له نفسه رضى الله عنه وأما أبو سفيان رضى الله عنه فكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضعتهما حليمة وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه فلما نبئ كان أبعد الناس عنه وأهجاهم له واياه عنى حسان بن ثابت بقوله

الا أبلغ أبا سفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمدا الابيات فلما أسلم كان أصح الناس ايمانا وألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه رضى الله عنه وفيه قال النبى عليه السلام أبو سفيان خير أهلى أو من خير أهلى وله قال النبى عليه السلام أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا وقيل بل قالها لابى سفيان بن حرب والاول أصح ومات أبو سفيان بن الحارث رضى الله عنه بالمدينة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال عند موته لا تبكين على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت ومات من ثؤلول كان فى رأسه حلقه الحلاق له فى حج فقطعه مع الشعر فنزف دم منه واسمه المغيرة وقيل بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه قال القتيبى اخوته المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب نقلت أكثر هذا من كتاب الصحابة لابن عبد البر وكان أبو سفيان هذا يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه أيضا جعفر بن أبى طالب والحسن بن على وقثم بن العباس والسائب بن عبيد وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين وله مقطوعات من شعر يبكى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول

وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل

لقدعظمت مصيبتناوجلت * عشيةقيل قدمات الرسول
وأضحت ارضه مما عراها * تكادبها جوانبها تزول
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبريل
وذاك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أوكادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه ومايقول
ويهدينا فلانخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

أسلم أبو سفيان هذا يوم الفتح قال له علي بن أبي طالب ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون احد أحسن قولا منه ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين مات رضي الله عنه بعد أخيه نوفل بأربعة أشهر الا ثلاث عشرة ليلة سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة وقد حفر قبر بنفسه قبل أن يموت بثلاثة أيام ذكره هذا كله أبو عمر رحمه الله *(فصل تقدم قوله تعالى وتله للجبين والجبين الجبهة والوجه في الآية أحسن لانه جاء في التفسير انه قال لابيه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليهن شئ من دمي فتراه أمي فتحزن وانزع هذا الثوب الذي علي لئلا يصيبه الدم وكفني فيه وأسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت أهون علي واقذفني للوجه لئلا تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا انظر الى الشفرة فأجزع واذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام وكان حينئذ ابن ثلاث عشرة سنة فلما جر ابراهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا ثم ضرب به على جبينه وجر في قفاه فلم تعمل شيئا قال ابن عباس كبه على جبهته فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت فاذا بكبش وهو الذبح العظيم كان قد رعى في الجنة أربعين سنة وقيل فدي بوعل قال ابن عباس كان ذبح الكبش بالشأم وقال مجاهد معنى عظيم كبير متقبل واختلف في الذبيح فقيل اسحاق وقيل اسماعيل فمن قال اسماعيل احتج بقول معاوية بن أبي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه اعرابي

قصة الذبح وتعيين الذبيح

فتكلم فقال فى كلامه يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره
قال معاوية فالذبيح الاول اسماعيل والثانى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر قصته مع أبيه عبد المطلب وهذا هو الاصح لانه قال تعالى بعد ان فدى ابنه
من الذبح وبشرناه باسحاق وقال من جعله اسحاق انما بشر بأن يكون نبيا من
الصالحين والله أعلم بما أراد من ذلك وجواب لما عند البصريين محذوف ٣ وهو عند
الكوفيين تله والواو عندهم زائدة صلة فى الكلام والله أعلم واختلف العلماء
فى سبب رؤيا ابراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ولده فقيل انه ادعى المحبة ثم
التفت الى الولد فلم يرض حبيبه محبة مشتركة فأمر بذبح الولد ليرجع عن محبته
فتكون المحبة خالصة لله عز وجل فلما فرغ قلبه عن محبة ولده ووطن نفسه على
ذبحه وتشمر لذلك نودى يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح ولدك انما المراد تخلية قلبك
عن كل محبة سوا محبتنا فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا ولدك عليك وقيل كان
سبب ذلك انه كان عليه السلام يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى
وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على
مذنب مصر على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشى على أرضك
ويخالف أمرك فأهلكه الله فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودى كف عن
عبادى رويدا رويدا فانى طالما رأيتهم عاصين فلما أهبط رأى فى المنام ما ذكره الله
تعالى حيث يقول انى أرى فى المنام أنى أذبحك فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده
قال اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس الى فسمع قائلا يقول أما تذكر الليلة
التى سألتنى اهلاك عبدى أوما تعلم انى رحيم بعبادى كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتنى
اهلاك عبدى أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادى أظلم ذكر هذا كله الفقيه
الحافظ أبو منصور نصر بن منصور بن مهران الهمدانى السكوفى رحمه الله فى تفسير
قصة يوسف عليه السلام وتقدم اللات قال ابن عباس رضى الله عنهما اللات رجل
كان يلت السويق بالسمن عند صخرة ويصب عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت
ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق قاله المهدوى وقال غيره زعموا ان عمرو
ابن لحى لما غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة جعلته العرب ربا لا يبتدع
لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى المواسم فربما نحر فى
الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة حتى قيل انه اللات الذى كان يلت

٣ قال البيضاوى تقريره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله على ما أنعم اهـ

خبر اللات

السويق الى الحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى كان
يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة
ثم أمرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام أمره وأمر
ولده من بعده ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء
واتخذت صنما يعبد وعمرو بن لحى هذا هو أول من سيب السائبة ونصب النصب
وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه وعمرو هذا هو
أول من أدخل الاصنام أرض العرب قدم بهبل من مآرب من أرض البلقاء
فنصبه فى الكعبة وأمر الناس بعبادته ثم صار أمر اللات الى أن بنيت بيتا يعبده
أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى ويطوفون حوله
ويسمونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة فلما قدم وفد ثقيف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ان فتحت مكة يريدون الصلح وتيقنوا انهم لا طاقة لهم بقتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه منهم بضعة عشر رجلا من اشرافهم فيهم
كنانة وعبد ياليل وكان رئيسهم يومئذ ذكر ابن اسحاق عبد ياليل هذا وقال فيه هو ناب
القوم وصاحب أمرهم وقد تقدم ناب وفسر انه السيد فرض عليهم النبى صلى الله
عليه وسلم الاسلام فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نغترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم
حرام قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رؤس أموالكم قالوا فالخمر
فانها عصير ارضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلى عليهم بذلك كله قرآنا فقالوا
أرأيت الربة ماذا نصنع فيها قال اهدموها قالوا هيهات لو تعلم الربة انك تريد هدمها
قتلت أهلها فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويحك يا عبد ياليل ما أحمقك انما
الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فأما نحن
فلا نهدمها أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأبعث اليكم من يكفيكم
هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم رسله وفيهم
المغيرة بن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فلما قدموا عليهم عمدوا
الى اللات ليهدموها وانكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج
العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فقام المغيرة بن
شعبة فأخذ الكرزين وقال لاصحابه لأضحكنكم من ثقيف فضرب بالكرزين الكرزين فاس كبير
ثم أخذ يرتكض فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا أبعد الله المغيرة قد

قتلته الربة وفرحوا حين رأوه ساقطا وقالوا من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا تستطاع أبدا فوثب المغيرة فقال قبحكم الله يامعشر ثقيف انما هى لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجرا بعد حجر حتى سووها بالارض وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد دعنى احفر أساسها فحفروا حتى أخرجوا ترابها وأخذوا حليها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وذكر ابن اسحاق ان الذى أرسل مع المغيرة أبو سفيان بن حرب وهو كان الامير والله أعلم * وأما العزى فكانت نخلات مجتمعات أخبرهم عمرو بن لحى أن الرب يشتى بالطائف و يصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتا وأهدوا لها كما يهدون الى الكعبة وكان آخر أمرها ان بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه فهدمها * ومما يحسن ذكره هنا من حديث اللات والعزى من سرعة الجواب واصابة المعنى ما يروى ان قريشا قالت قيضوا لابى بكر رجلا يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو فى القوم فقال يا أبا بكر قم الىّ فقال الام تدعونى قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات قال بنات الله قال فمن أمهم فسكت طلحة وقال لاصحابه أجيبوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فانى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبى صلى الله عليه وسلم ونوع من حديث أبى بكر مع طلحة رضى الله عنهما حديث ذى الكفل مع ملك كان فى زمانه كان أهله يعبدونه من دون الله تعالى قال له ذو الكفل تزعم انك اله أفاله من تملكه أنت أو اله جميع الخلق فان كنت اله من تملك فان لك شريكا فيما لا تملك وان كنت اله جميع الخلق فمن الهك قال فمن الهى قال اله السموات والارض * تقدم ذكر طلحة بن عبيد الله وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو من المهاجرين الاولين ولما أسلم على يد أبى بكر كما تقدم عدا عليهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة وكان له قدر فى الجاهلية فقرنهما بحبل فلذلك سميا القرينين و يقال ان الذى عدا عليهما هو نوفل بن خويلد وهو ابن العدوية والله أعلم وكان طلحة هذا أحد المياسير كانت غلته كل يوم ألف دينار وافٍ و يكنى أبا محمد قتل شهيدا رضى الله عنه فدفن بقنطرة قرة فرأته

ابنته

ابنته عائشة بعد موته بثلاثين سنة في المنام انه يشكو اليها النز فأمرت به فاستخرج طريا فدفن في داره بالبصرة فقبره هناك مشهور وكان اخراجه من قبره بعد ثلاثين سنة ولا يستغرب هذا فان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين حفر معاوية العين وجد صحيحا لم يتغير وأصابت الفاس اصبعه فدميت وانظر حديثه في الموطأ وتزوج عائشة هذه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه ثم تزوجها مصعب بن الزبير فأعطاها ألف درهم ومن مواليه مسلم بن يسار أحد العلماء وكان لا يفضل عليه أحد في زمانه وكان يقول اني لا كره ان امس فرجي بيميني وأنا أرجو ان آخذ بها كتابي وكان لا يلعن شيئا فاذا غضب على البهيمة قال أكات سما قاضيا رضي الله عنه وعن جميعهم وجزاهم خيرا على صنيعهم وقد فعل مثل ما فعل مسلم هذا من كان أفضل منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قال ما بلت قائما منذ اسلمت ولا مسست فرجي بيميني ومثله ما روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ما مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ولو لم يكن هذا افقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يمس الرجل ذكره بيمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى فالموفقون من أرباب الحقائق قد استعملوا هذه الطرائق وألفوا هذه الخلائق ولقد جعلت بالي لهذه الاعمدة التي في الابواب لا تجد الذكرمنها الا من جهة الشمال ليتنا وله الذي يفتحه بشماله وان كان من حديد فان اسمه ذكر والذي ركبه أولا في الباب كان فقيها أو أمره عالم موفق بذلك وضع الاشياء مواضعها واعطى لكل ذي حق حقه وأقام الوزن بالقسط لقوله عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤل عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها وهي مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا فكلكم راع ومسؤل عن رعيته قلت فان لم يكن للانسان أهل ولا مال ولا كان واليا على أحد ولا له من يلي عليه فان له جوارح هو راع لها ومسؤل عن رعيتها كاليدين والرجلين والعينين والاذنين فعليه أن يرعاها ولا يستعملها الا فيما ينبغي كما ينبغي وهنا يحتاج الى العلم ليقدم

من يجب تقديمه ويؤخر من يستحق التأخير ويؤتى كل ذى حق حقه فلا يستنجى باليمين ولا يأكل بالشمال ولتكن اليمنى للفضائل واليسرى للرذائل ألم تسمع قول عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع فى ترجله اذا ترجل وفى انتعاله اذا انتعل وفى طهوره اذا تطهر وفى شأنه كله كذلك وقد تقدم قولها كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وكذلك أمر عليه السلام أمته فقال اذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين واذا خلع فليبدأ بالشمال ولتكن اليمنى أولها تنعل وآخرها تنزع والحكم فى ذلك ان اليمنى أفضل واللباس أفضل من التعرى فيبدأ بالزينة للافضل أولا ويتركها من زينة آخرا ومراعاة هذا القدر وان دق هو من اقامة الوزن بالقسط وكذلك يفعل فى دخول المسجد يبدأ بادخال رجله اليمنى فيه لانه أفضل من الزقاق فيدخل الافضل فى الافضل واذا خرج يبدأ بالشمال فأخرجها أخرج الادون الى الادون وترك الافضل فى الافضل وبضد ذلك فى دخول الخلاء يدخل الشمال قبل لانها الادون الى الادون واذا خرج قدم الافضل فى الخروج الى الارض التى ليست موضع الخلاء لانها أفضل ولهذا يحتاج العلم فيستعمله صاحبه فيكون طول عمره فى عبادة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتصرف وحسناته تكتب *(فصل تقدم الاحتكار)* وجاء فى بعض الاخبار أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الاحتكار فى عشرة أشياء فى البر والشعير والتمر والزبيب والذرة والسمن والعسل والجبن والجوز والدخن وقد ذكر أبو الحسن على بن مهدى الطبرى فى كتاب المجالس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من تمنى الغلاء على أمتى ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة وفيه أن محتكر الطعام يحشر مع قتلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر عن الحسن أنه قال من تربص بطعام أربعين يوما يريد الغلاء ثم تصدق به لم يكن ذلك كفارة لما صنع وقال الحسن المحتكر ملعون ينقص من عقله ويزاد فى وسوسته فى صلاته نقلت هذا من شرح الشهاب لابى القاسم بن ابراهيم الوراق رحمه الله ومنه أيضا ان المسور بن مخرمة رضى الله عنه احتكر طعاما كثيرا فرأى سحابا من الخريف فكرهه فقال ما أرانى الا قد كرهت ما ينتفع به المسلمون من جاءنى وليته كما اشتريته فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأرسل فيه فقال يا أمير المؤمنين كان من أمرى كذا

فقالت

فآليت أن لا أربح فيه شيئا فقال له عمر جزاك الله خيرا وتقدم ما بين لابتيها وانه لا يقال ذلك الا في المدينة وفي الكوفة سمع رجل بالبصرة شبيب بن شيبة يقول في حديث السقط انه يظل محبنظئا على باب الجنة بالظاء المنقوطة فقال له الرجل أخطأت انما هو بالطاء قال الراجز

انى اذا استنشدت لا أحبنطى * ولا أحب كثرة التمطى

فقال له شبيب أتلحننى وما بين لابتيها أفصح منى فقال له الرجل وهذه لحنة أخرى أو للبصرة لابتان انما اللابتان للمدينة والكوفة ومعنى المحبنطى المتغضب المتكره يقال منه رجل حبنطأ وحبنطأة سمين ضخم البطن والمحبنطى يهمز ولا يهمز وهو الممتلى غيظا اخرج الخطابى عن ابن دريد قال أبو زيد قلت لاعرابى ما المحبنطئ قال المتكأكئ قلت ما المتكأكئ قال المتآزف قلت ما المتآزف قال اذهب فأنت أحمق *(فصل وتقدم قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى)* وهذا القول والاشهاد حقيقة أعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم لانه روى ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه من هو مولود الى يوم القيامة كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك أخذت عليهم العهد بأن يعبدونى ولا يشركوا بى شيئا وعلى رزقهم قال نعم يارب فقال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فقال للملائكة اشهدوا فقالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الى قوله بما فعل المبطلون هذا كله من قول الملائكة ومعنى أن تقولوا لئلا تقولوا كما قال تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أشهد بعضهم على بعض فالمعنى على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض كى لا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فيوقف على القول الاول على بلى ولا يحسن الوقف عليه على الثانى وفى بعض الروايات أنهم أجابوا الله بالتلبية فقالوا أطعناك لبيك اللهم لبيك فأعطيها آدم عليه السلام فى المناسك *(فصل فيما ورد فى هذا الفصل من اللغات)* تقدم الضيون وهو السنور الذكر والجمع الضياون واحذر أن تصحف الضيون بالضيزن فتحزن وتخزن والضيزن الذى يزاحم أباه فى امرأته وأصله الذى يزاحمك عند الاستقاء فى البئر وضيزن اسم صنم والضيزن الشريك والضيزن الحاسى نقلته من تاج اللغة وتقدم فى الاخبار عن الفقيه أبى محمد حذقه بالادب أصل الحذق القطع يقال حذقت الحبل

أحذقه بفتح الذال اذا قطعته قال الشاعر * يكاد منه نياط القلب يحذق *
ومنه قيل خل حاذق أى قاطع من شدّته وعتقه ومنه قيل حذق الغلام القرآن أى
قطع العمل عنه فهو حاذق وقال أبو عبيد الحذاق الفصيح اللسان البين اللهجة
والفعل منه حذق يحذق حذقا وحذقا وحذاقة وحذاقا وقد حذق يحذق لغة وقد
حذقت الحبل أحذقه اذا قطعته بالفتح لاغير كما تقدم خرج ذلك كله ثابت فى حديث
... عن أبى مسعود انه اشترى جوزا بأربعة دراهم فأنهبه على ابن له فى حذاق
أو ختان قال غيره والحذيق المقطوع أيضا وأنشد

أنورُ سَرْعَ ماذا يا فَرُوقُ * وحَبْلُ الوصل مُنْتَكِثٌ حَذِيقُ

ويقال لليوم الذى يختم فيه الغلام القرآن هذا يوم حذاقه ويقال فلان فى صنعته
حاذق باذق وهو اتباع له والحاذق القاطع كما تقدم قال أبو ذؤيب

يرى ناصحا فيما بدا واذا خلا * فذلك سكين على الحلق حاذق

وتقدم اليفن وهو الكبير والصغير وهو من الاضداد فاذا قلت شيخ يفن فهو الكبير
واذا قلت صبى يفن فهو الصغير قال الاعشى

وما ان أرى الدهر فيما مضى * يغادر من شارف أو يفن

والساحب الذيل الرفن وهو الذى يجر أذياله من الخيلاء ويوصف به الفرس
الطويل الذيل ويقال فيه أيضا رفل باللام وهو مما يتعاقب فيه النون مع اللام وله
نظائر سترى منها كثيرا فى باب النون ان شاء الله وتقدم فى الشعر * أضر شئ على
الانسان خصيته * قال ثابت فى الدلائل قال يعقوب يقال فى الواحد خصية وخصية
وقال أبو عبيدة خصية ولم أسمع خصية وسمعت خصياه ولم يقولوا خصى للواحد
وقال غيره ربما حذفوا الهاء من بعض الكلام فى التثنية وأقاموا زيادة التثنية
مقام الهاء المحذوفة فيقولون لدان تثنية لدة وأليان تثنية ألية وخصيان
تثنية خصية قال الراجز

قد حلفت بالله لا أحبه * ان طال خصياه وقصر زبه

وأنشد

كأنما عطية بن كعب * ظعينة واقفة فى ركب
ترتج ألياه ارتجاج الوطب

وربما حذفوا الهاء وجعلوا المضاف اليه عوضا من الهاء قال الشاعر

بان الخليط بليلى منك فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

اراد

أرادعدة الامر ومثله * قام ولاها فسقوه صرخدا * أرادولاتها قال ثابت وقد جاء عن بعضهم خصيتان وأورد حكاية قال بسنده ان فتى من أهل الكوفة أتى حمادا الراوية فعرض عليه شعرا قاله فقال له ليس هذا بشعرك انما اجتلبته فقال لا والله انه لشعرى قال فان كان شعرك فاهجني وكان حماد ضخم البطن فتنحى الفتى ناحية ثم رجع اليه فقال قد قلت قال هات فأنشأ يقول

سيعلم حماد اذا ما هجوته * اكنت اجتلبت الشعر أم أنا شاعر
ألم تر حمادا تقدّم بطنه * يجاوز منه ما تجنّ المآزر
فليس براء خصيتيه ولو حنى * لركبته مادام للزيت عاصر

فقال له حماد أشهد انه شعرك قال أبو عمرو الخصيتان البيضتان والخصيتان الجلدتان اللتان فيهما البيضتان وينشد

كان خصييه من التدلدل * ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

أراد فيه حنظلتان وقوله فى الشعر المتقدّم ولو حنا معناه انحنى واكب وفى الموطأ فى شأن اليهوديين المرجومين قال فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفسر معنى يحنى يكب عليها وقال الشاعر وبدلتنى بالشطاط الحنا * وتقدّم البحتر القصير ومثله فى القصر الجعبر والدحدح ويقال أيضا فى هذا دحداح ودحداحة وكذلك الجحدر والحنبل والجحذر والكهمس والأصمع القصير الاذن والنفاش القصير الناقص وذكره الخطابى فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه مر برجل نفاش فخر ساجدا ثم قال أسأل الله العافية وفسره بما تقدّم وقال قال النضر بن شميل يقال رجل نفاش أى قصير وملطى وهو فوق النفاش وسئل رجل من أهل اللغة عنه وكان قصيرا ففطن ان السائل يعرض به فقال هو أقصر منى ولم يزده على ذلك ويقال لكل شئ من الطير والهوام اذا خف وتحرك من مكانه فقد تنفش قال ذو الرمة يصف القردان

القاب القصار والطوال

اذا سمعت وطء المطىّ تنفشت * حشاشتها فى غير لحم ولادم

وأما الطوال فالمشعان وجاء فى الحديث فاذا رجل مشعان يسوق غنما والعطبول ومن صفة النبى صلى الله عليه وسلم ليس بعطبول ولا قصير ويقال رجل عطبول وامرأة عطبول سواء والمشذب الطويل ووصف هند بن أبى هالة النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان أطول من المربوع واقصر من المشذب والممغط أيضا الطويل

مبحث الثريا

ومنه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بالطويل الممغط * وتقدم ذكر الثريا ولعلك لا تدري مكبرها يقال للمال الكثير ثرى على فعيل وفي حديث أم زرع وأراح على نعما ثريا ومنه قيل رجل ثروان وامرأة ثروى وتصغير ثروى ثريا وبذلك سميت المرأة قال صاحب كتاب تاج اللغة ويقال للثريا النجم معرفا بالالف واللام وسواه نجم وفي القرآن العظيم والنجم اذا هوى قال مجاهد والثريا اذا سقطت مع الفجر وقيل والقرآن اذا نزل وقيل المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل في قوله تعالى النجم الثاقب انه الثريا وقيل زحل ومعنى الثاقب المضيء وقيل العالي وأما في قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان فقيل نجم السماء وقيل النجم مالا ساق له والشجر ماله ساق وسجودهما دوران ظلهما وسمى النجم من نجم اذا طلع وظهر ومنه نجم ثدي المرأة وضده أنجم بالالف معناه استتر قال الشاعر

فسد الزمان فلا رشاد ناجم * بين الانام ولا ضلال منجم

وتقدم الفرأ وهو الحمار الوحشي قال البطليوسي رحمه الله يمد ويقصر والاشهر القصر وجمعه فراء مثل جبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله * وطعن كايزاغ المخاض تبورها

أي تختبرها ومن قصر الفرا احتج بقولهم في المثل أنكحنا الفرا فسترى ومعنى قوله كل الصيد في جوف الفرا أن من اصطاد شيئا من الصيد كائنا ما كان فانه صغير بالنسبة للفرا فكأنه في جوفه ومن صاد الحمار الوحشي فكأنه صاد جميع الصيد * (فصل من الملح أيضا) * تقدم الوثاب قال ابن قتيبة قال ابن أبي عتيق لرجل ما اسمك قال وثاب قال فما اسم كلبك قال عمرو فقال واخلافاه ويروى أن الشعبي قال كذلك لرجل ما اسمك قال وردان قال وما اسم حمارك قال عمران فقال واخلافاه وتقدم القائلة وأنشدني الخطيب أبو محمد عبد الوهاب لنفسه وكتب به ملغزا الى بعض الاصحاب

قل للفتى اللوذعي * محمد بن علي * ماقائل ولعمري
ماان يفوه بشي * وانه لمصيب * بذاك قول النبي

فأجابه المكتوب اليه

يامن يرى سيبويه * يحار بين يديه
نوم الهواجر تعني * بما أشرت اليه * ومن ينم لا يفدما * خالط الكرام قلتيه *

أراد الفقيه وفقه الله وانه لمصيب بذلك قول النبي عليه السلام قيلوا فان الشياطين

لا تقيل ومن القائلة أيضا حديثه عليه السلام في ذكر ما في القيامة من هول يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين و راهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا وفي الحديث أيضا من مات غدوة فلا يقيلن الا في قبره ومن مات عشية فلا يبيتن الا في قبره وتقدم تلتلة ومقلوبها التلتلة

بنـيي أخرجت من تلتلـه * خبيثا وما ان تفطنت له

فان قلت ماهـو فاعـلم بأن * لتلتة عكسها تلتله

فان قلت أخرجت شيئا عظيما * تلهي وتهزأ قل لا تله

فان الاديب الموفق لا * يضيع من أدب خردله

وقد قيـل في مثـل قبل ذا * تقدّم ماخاب من قصدله

ومن الملح أيضا أخرت فيه القول لان فيه ذكر البول كان الفقيه أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله من أظرف الناس وأعلاهم وأحسنهم خلقا وأحلاهم فكان يتصرف في حاله بيده في حفير وزبير وغـير ذلك وأنا كذلك فقلت له يوما ربما أحفر فأرى حيوانا في الارض فأكره أن أدفنه في التراب فقال لي وأنا يعتريني ذلك فأقول له تبوّأ وأترك ذلك الموضع ثم أرجع اليه فأجده قد ذهب فصنعت أنا ذلك أيضا فوجدت مرّة ضفدعا في موضع فقلت له كذلك ثم عدت الى الموضع فوجدته في موضعه فأزحته عن مكانه فوجدت موضعه مبلولا وهذا شأنه أبدا فقلت أخاطبه انما قلت لك تبوّأ ولم أقل لك تبوّل فذكرت الخبر لابي محمد رحمه الله فضحك على ذلك وقال لي أساء سمعا فأساء جابة لعلك أن تقول ياقارئ هذا السخف مثل هذا يعلق في الصحف فانظر أيها الحرّ مايجيء بعد من الدرّ قوله رضي الله عنه أساء سمعا فأساء جابة هـذا المثل ذكره أبو عبيد القاسم بن سـلام رحمه الله وقال هكذا تحكى هـذه الكلمة بغير ألف وذلك لانه اسم موضوع يقال أجابني فلان جابة حسنة واذا أرادوا المصدر قالوا أجاب اجابة بالالف انتهى كلامه وقال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري في فصل المقال في شرح كتاب الامثال قال أبو عمرو المطرز ناديت فلانا فأجابني اجابة وجوابا وجابة وجيبة وجيبا فالجابة اسم للجواب كالطاعة والطاقة فاذا أردت المصدر قلت اجابة والطاعة والطاقة قال الشاعر

وما من تهتفين به لنصر * بأسرع جابة لك من هذيل

وقال أبو العتاهية فنظم هذا المثل

اذا ما لم يكن لك حسن فهم * أسأت اجابة فأسأت سمعا

ولست الدهر متسعا لفضل * اذا ما ضقت بالانصاف ذرعا

وقد ذكر الزبير فيما ثبت عنه فى الكتاب ان المثل لسهيل بن عمرو وذكر خبره قال ابن درستويه أصل الجابة من قولهم جاب يجوب البلاد اذا قطعها طوافا لأن الجواب هو ما يرجع الى السائل ومنه جواب الأخبار وقولهم هل من جائبة خبر وهى الواحدة من الجوائب التى تئوب وترجع

خرجت من شئ الى غيره * من واحد لاثنين زد ثالثا

لكنه علم ولو أننى * أحلف فيه لم أكن حانثا

باب الجيم مع أختيها الحاء والخاء

وأج وأج وأح وأخ * وأخ واخ وجل وجل

أما أج تقول أج الظليم يئج أجا اذا سمعت حفيفه فى عدوه وكذلك أجيج الكير من حفيف النار ومنه قول الشاعر يصف ناقته * تئج كما أج الظليم المفزع * والظليم ذكر النعام والحفيف الصوت وكذلك حفيف الماء صوت جريه واما أج فصدر أج تقول سمعت أجة القوم يعنى حفيف مشيهم واختلاط كلامهم وكذلك تقول أجت النار أجيجا وائتج الحر والأجاج الماء المر أو الملح كما قال تعالى وهذا ملح أجاج وقراءة طلحة بن مصرف هذا ملح بفتح الميم وكسر اللام أراد مالح فحذف الالف و يقال للماء الملح ماج وقد أج يئج مؤوجة وقال الجوهرى موج الماء يموج مؤوجة فهو مأج اذا صار أجاجا والمأج الاحمق المضطرب كان فيه ضوى (ع) ويقال ماء ملح وسمك مالح وقد قيل فى الماء أيضا مالح والأفصح ملح وفى حديث موسى عليه السلام مع الخضر حين سأل السبيل الى لقيه فقيل له تزود حوتا مالحا خرجه مسلم والملح والملح الرضاع كما قال الشاعر * وانى لأرجو ملحها فى بطونكم * وسيأتى أكثر من هذا ويقال فى وج أج وهى أرض الطائف قال يعقوب فى كتاب الامثال ويقال له وج بالواو وهو المشهور قال أمية بن أبى الصلت

ان وجا وما يلى بطن وج * دار قومى بربوة وربوق

فى الحديث ان آخر وطأة وطئها الرب بوج معناه آخر غزوة وآخر وقعة كانت

بارض

بأرض العرب بوج لانها آخر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا وهذا أحسن والله أعلم وان كانت آخر غزواته صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فانما أراد الروم وقال فى هذا الحديث بوج وهى آخر غزواته للعرب صلى الله عليه وسلم و يأجوج ومأجوج قبيلة من قرأهما بالهمز فاشتقاقه من أج الحر كما تقدم ومن لم يهمزهما جاز أن يكون من يجج ومجج و جاز أن يكونا أعجميين وجاء فى السيرة ان على بن أبى طالب رضى الله عنه انطلق بالراية يأجج وفى غير رواية ابن اسحاق يؤجج ومعناه يسرع يقال أجت الناقة تؤج اذا أسرعت فى مشيها ومن رواه يأنح فهو من الأنيح وهو علو النفس يقال أنح يأنح أنوحا اذا تأذى من مرض أو بهر فتنحنح ولم يئن وقال غيره فى مصدره أنحا وأنيحا وأنوحا وقوم أنح مثل راكع وركع واسم الفاعل آنح وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه رأى رجلا يأنح ببطنه فقال ماهذا فقال بركة من الله تعالى فقال بل هو عذاب عذبك به وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

لا طائش رعش ولا * ذو علة بالحمل آنح

وأما أح فحكاية تنحنح أو توجع وأح الرجل اذا ردد التنحنح فى حلقه وأح ايضا يؤح أحا اذا سعل قال الشاعر

ما أبتغى سب اللئيم القح * يكاد من تنحنح وأح * يحكى سعال الشرق الأبح *

وتقول سمعت لفلان أحة وأحاحا وأحيحا اذا رأيته يتوجع من غيظ أو حزن وفى قلبه أحاح وأحيح ومنه اشتقاق أحيحة بن الجلاح قال الشاعر الراجز

* يطوى الحيازيم على احاح * والاحاح العطش والاحاح أيضا الغيظ والاحاح والأحيحة والاحة الطعن والحيازيم جمع حيزوم وهو مااشتملت عليه الاضلاع من الصدر والوحوحة الصوت والوحواح الحديد النفس والوحوحة أيضا صوت الذى يصيبه البرد وهو أن يقول أح أح يقال سمعت له وحاوح و وحوحة أيضا وكذلك تقول سمعت له قعقعة وزقزقة ومنه الحديث مالك تزقزقين وقد تقدم وجاء فى كتاب الاصوات لابن السكيت يقال للتيس بس بس وللبقر وح وح وأما أخ مثقل وأخة فلغة لبعض العرب فى الأخ المخفف ذكر ذلك ابن الكلبى والمستعمل المخفف كما قال الله عز وجل وله أخ أو أخت ولكن قد روى أبو بكر بن أبى أويس عن نافع انه قرأ الأخ مثقلا اذا كان معرفا بالالف واللام وقال

الشاعر في الاخ وان لم يكن من القدماء فهو من الحكماء

احصب الناس على ✱ ما كان فيهم وتوخى

كل ذي عقل ودين ✱ فاتخذه لك أخا

وهذا الشاعر هو ابراهيم الشامي رحمه الله ومن معنى البيت الأخيخة وهو حساء رقيق من دقيق بزيت أو سمن قال الراجز

يصفر في أعظمه المخيخه ✱ تجشؤ الشيخ عن الأخيخه

شبه صوت مصه العظام التي فيها المخ بجشاء الشيخ لانه مسترخي الحنك وسيأتي الكلام في المخ وأما المح بالحاء غير المعجمة فهو صفرة البيض وجمع أخ اخوان واخوة واخوة واخاء وتأخيت الرجل اتخذته أخا وآخيته وواخيته لغة ويجوز أن تصنع بأخ ما صنعت بأب وقد تقدم فتقول في تثنيته أخان وفي جمعه أخون كما قال الشاعر

وكان بنو فزارة شر قوم ✱ وكنت لهم كشر بني الأخينا

ويجمعه أيضا اخوة عن الفراء والاخوان أكثر ما استعمل في الاصدقاء قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين والاخوة في الولادة وقد جاء في ان الاخوة اثنان على مذهبهم ان الاثنين جماعة قال الله تعالى فان كان له اخوة قال العلماء هم الاثنان فما فوق وهذا أيضا على حد قولهم نحن فعلنا ونحن صنعنا يقوله الاثنان فما فوق نعم والواحد العظيم وقد تقدم وأصل أخ أخو لانه جمع على آخاء مثل أب وآباء فالذاهب منه واو والنسبة اليه أخوي وللاخت كذلك لانك تقول أخوات وقال يونس أختي وليس بقياس والأخية عود يعرض في الحائط تشد اليه الدابة والجمع أواخي ومنه حديثه عليه الصلاة والسلام مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس في أخيته يجول ثم يرجع الى أخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع الى الايمان فسره أبو عبيد رحمه الله قال الاخية العروة التي تشد بها الدابة وتكون في وتد أو سكة مثبتة في الارض وقال غيره يقال أخية وأخون وجمعها أخايا وأخاوين وأواخي قال والاخية أيضا الحرمة والذمة تقول فعلت ذلك به لأواخي وأسباب تدعوله ✱ وأما أخ فكلمة تقال عند التأوه قال ابن دريد وأحسبها محدثة قد جاءت في الشعر الذي فيه ✱ لا خير في الشيخ اذا ما اجلخا ✱ وسيأتي وفيه ✱ وقال للوصل الغواني أخا ✱ ومعنى اجلخ سقط حاجباه على عينيه من الكبر وأما اخ فان ابن دريد قال يقال للجمل اخ ليبرك ولا يقولون أخخت الجمل انما يقولون

أنخته قال (ع) نخخت الابل اذا زجرتها فقلت لها اخ اخ والنخ من الزجر للابل يقال نخها ونخ بها وهو السوق الشديد وأنشد

أكرم أمير المؤمنين النخا * فالنخ لم يبق لهن مخا

والنخ بالضم ان تناخ النعم قريبا من المصدق وأنخه والنخة الحمر وجاء من هذا الحديث ليس فى النخة صدقة والنخ أيضا بالضم بساط طويل جمعه نخاخ وجاء من هذه اللفظة فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمله أو ناقته اخ اخ انتهى *(فصل من الفوائد)* قد تقدم فى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه انطلق بالراية يأنح وكان هذا الفعل منه يوم خيبر اذ أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم فجاء وهو أرمد فتفل فى عينيه النبى صلى الله عليه وسلم فبرئ قال فما وجعت عينه حتى مضى لسبيله قال وكان يلبس القباء المحشو الثخين فى شدة الحر فلا يبالى الحر ويلبس الثوب الخفيف فى شدة البرد فلا يبالى البرد وسئل عن ذلك فأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله وأن يجنبه الحر والبرد فكان ذلك وإذ ذاك قال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وتقدم ذكر يأجوج ومأجوج وانها قبيلة وقع فى كتاب الطاعة لعلى بن معبد رحمه الله بسنده الى جبير بن نفيل قال ان يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كالأرز وصنف طولهم وعرضهم سواء وصنف يفترش الرجل اذنه ويلتحف الأخرى فتغطى سائر جسده وعن حسان بن عطية رضى الله عنه قال يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف ليس منها أمة تشبه الأخرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الأرض ستة أجزاء خمسة فيها يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق اه وهم من ولد يافث ابن نوح عليه السلام وعن ارطاة بن المنذر قال هم ذر جهنم ما كان منهم صديق قط وفيما قرأته بالاسكندرية على الحافظ رحمه الله بالاسناد المتصل الى حذيفة رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر بين يديه من صلبه كلهم قد حملوا السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت وما الأرز قال شجر بالشأم

طول كل شجرة عشرون ومائة ذراع في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش اذنه ويلتحف بالأخرى
لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم
بالشأم وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وذكر أبو عبيد
البكري أن الذي وجهه الواثق بالله الى السد سأل من هناك هل رأوا أحدا
من يأجوج ومأجوج فذكروا انهم رأوا مرة منهم عددا فوق شرف السد مقدار
الرجل منهم في رأي العين شبر ونصف ثم هبت ريح سوداء فألقتهم الى ناحيتهم وسيأتي
ذكر السد في تفسير ألفاظ القرآن عند قوله تعالى زبر الحديد في باب الراء والزاي
ان شاء الله تعالى وتقدم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة أوناقة اخ
اخ خرجه البخاري عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة رضي الله عنها
زوج النبي صلى الله عليه وسلم وزوج الزبير بن العوام رضي الله عنهم وأسوقه
هنا بسندي اعظاما لما فيه من العلم وصنيع الله تعالى بأصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والتعريف بحالهم أولا وآخرا ولأطرز به هذا الكتاب لعل الله تعالى
ينفع به الكاتب والجامع والقارئ والسامع قرأت على الشيخ الفقيه الحافظ
أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بابن الفخار رحمه الله تعالى قال حدثني
الفقيه الامام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي رحمه الله
قال حدثني أبي عن أبي عبد الله بن منظور عن أبي ذر قال أبو ذر أخبرنا أبو محمد
الحموي وأبو اسحاق المستملي وأبو هاشم الكشميهني عن الفربري عن الامام أبي
عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه قال حدثني محمود قال حدثني أبو
أسامة قال حدثنا هشام قال أخبرني أبي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما
قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شئ غير ناضح وغير فرس
فكنت أعلف فرسه وأسقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز وكان
يخبز لي جارات من الانصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير
التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت
يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الانصار
فدعاني ثم قال اخ اخ ليحملني خلفه فاستحييت ان أسير مع الرجال وذكرت الزبير
وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فمضى

أسماء بنت أبي بكر زوج الزبير وبعض سيرتها

فجئت

فجئت الزبير فقلت لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل الي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني هذا كان أمر الزبير أولا ثم انظر ما كسب بعد ذلك من المال وما أنفق في سبيل الله وفي وجوه البر وما أفاء الله عليه في غزواته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم خرج البخاري بسنده الى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وأمه هي أسماء ابنة أبي بكر المتقدمة الذكر قال عبد الله لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت الى جنبه فقال يابني انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم واني لا أراني الا سأقتل اليوم مظلوما وان من أكبر همي لديني أفترى ديننا يبقي من مالنا شيئا فقال يابني بع مالنا واقض ديني وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه يعني لبني عبد الله بن الزبير يقول ثلث الثلث فان فضل من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك قال هشام وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات قال عبد الله فجعل يوصيني بدينه ويقول يابني ان عجزت عن شئ منه فاستعن عليه بمولاي قال فوالله مادريت ما أراد حتى قلت يا أبت من مولاك قال الله قال فوالله ما وقعت في كربة من دينه الا قلت يامولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه فقتل الزبير ولم يدع دينارا ولا درهما الا أرضين منها الغابة وأحد عشر دارا بالمدينة ودارين بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر قال وانما كان دينه الذي عليه ان الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فاني أخشى عليه الضيعة وما ولي امارة قط ولا جباية خراج ولا شيئا الا أن يكون في غزوة مع النبي صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان قال عبد الله بن الزبير فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف قال فلقي حكيم بن حزام عبد الله ابن الزبير فقال يا ابن أخي كم على اخي من الدين فكتمه وقال مائة ألف قال حكيم والله ما أرى أموالكم تسع لهذه فقال له عبد الله أفرأيتك ان كان ألفي ألف ومائتي ألف قال ما أراكم تطيقون هذا فان عجزتم عن شئ منه فاستعينوا بي قال وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف ثم قام فقال من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر

وكان له على الزبير أربعمائة ألف فقال لعبد الله ان شئتم تركتها لكم فقال عبد الله لا فقال ان شئتم جعلتها فيما تؤخرون ان أخرتم فقال عبد الله لا قال فاقطعوا لى قطعة قال عبد الله لك من هاهنا الى هاهنا قال فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقى منها أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال معاوية بكم قومت الغابة قال كل سهم مائة ألف قال كم بقى قال أربعة أسهم ونصف قال المنذر قد أخذت سهما بمائة ألف وقال عمرو بن عثمان قد أخذت سهما بمائة ألف وقال ابن زمعة قد أخذت سهما بمائة ألف فقال معاوية كم بقى قال سهم ونصف قال قد أخذته بخمسين ومائة ألف قال وباع عبد الله ابن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف قال فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادى بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير أربع نسوة ودفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف قلت ذكر فى هذا الحديث وما ولى امارة قط قد ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الامارة ولكنه مات وعليه من الدين ثمانية وعشرون ألف الف لم يأكل منها خبيصا ولا لبس منها قميصا بل كانت جبته مرقعة بالجلود وباب منزله من الجريد لكنه أنفق هذا المال فى سبيل الخير لا غير فلما فرغت حياته وحانت وفاته قال لابنه عبد الله ولابنته حفصة رضى الله عنهما انى قد أصبت من مال الله شيئا وانى أحب ان ألقى الله عز وجل وليس فى عنقى منه شئ فبيعا فيه حتى تقضياه فان عجز عنه مالى فسلا فى بنى عدى فان بلغ والا فلا تعدوا قريشا فباع عبد الله من معاوية دار عمر التى يقال لها دار القضاء بالمدينة وباع ماله بالغابة فقضى دينه فلذلك قيل لداره دار القضاء رضى الله عنه وقد فعل مثل هذا من هو فوقهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال لابنته عائشة رضى الله عنها انظرى يا بنية فما زاد فى مال أبى بكر منذ ولينا هذا الأمر فرديه على المسلمين فوالله ما نلنا من أموالهم الا ما أكلنا فى بطوننا من جريش طعامهم ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم فنظرت فاذا بكر وجردة قطيفة لا تساوى خمسة دراهم وحبشية فلما جاء بها الرسول الى عمر قال له عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين أتسلب هذا ولد أبى بكر قال كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر

فى حياته وأتحملها من بعد موته رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعبا ومعنى تأثم طرح الاثم عن نفسه وقد تقدم شرح ذلك * انظر رحمك الله هذه الأخبار بعين الاعتبار وكيف كانت سيرة القوم ومعاملاتهم وأماناتهم وديانتهم هذا كله ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودعائه لهم بالخير كما دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة وكان قدم المدينة وليس عنده شئ فقال دلونى على السوق وحديثه مشهور وقيل له ماسبب يسارك قال ثلاث مارددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسأة ويقال انه باع ألف ناقة بربح عقلها باع كل عقال بدرهم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو رفعت حجر الرجوت ان أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى كلت فيه الايدى وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثلاثين الفا وأوصى بخمسين ألفا هذا كله بعد صدقاته الفاشية العميمة وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها * ويروى عن قتادة قال ذكر لنا أن عبد الرحمن ابن عوف جاء بنصف ماله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا نصف مالى وتركت نصفه لعيالى فدعا له النبى عليه السلام أن يارك الله له فيما أعطى وفيما أمسك زاد فى الرقائق ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله وذكر أبو عمر رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم حض يوما على الصدقة فأتى عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله أربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار واتى عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر فلمزهما المنافقون وقالوا هذا رياء وجاء أبو عقيل بصاع تمر فقال مالى غير صاعين نقلت بهما الماء على ظهرى حبست أحدهما لعيالى وجئت بالآخر فقال المنافقون وتضاحكوا به ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وكان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه من المياسير قال عمرو بن العاص رضى الله عنه ان ابن الصعبة يعنى طلحة ترك مائة بهار كل بهار ثلاثة قناطير ذهبا واذ وقعنا فى هذا الباب فاسمع مافيه تلقيح للالباب

خرجت من اج فهو يؤج اجا * ومن يأجوج والملح الاجاج
وتصريفي لذلك واشتقاقي * لغات ذكرها للقلب راج
فالآن أمد باعي باتباعي * لسبل الجود في سبل الفجاج

قد يستحسن الكلام في ذكر الكرام وان كانت طريقهم اليوم قفرا مابها أنيس ففي المرور بالذكر عليها للقلوب تأنيس وللنفوس تنفيس لا تلتي في ارتيادي للأنفس من فعال الناس الأعلى والانفس فصفات الجود له تثبت وتدرس وصفات البخل تنسى وتدرس * الاجواد في الجاهلية ثلاثة حاتم بن عبد الله وهرم ابن سنان وكعب بن مامة ولكل واحد منهم مكارم واخبار ولا حاجة لنا في ذكرها الاعلى جهة الاعتبار اذ أربابها كفار وسكان النار فلنذكر أجواد الاسلام سكان دار السلام أما الصحابة رضي الله عنهم فأجودهم على التحقيق أبو بكر الصديق رضي الله عنه أتى بماله كله صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك لنفسه ثمن درهم وأما عمر رضي الله عنه فأتى بنصف ماله ولم يتلبس بشئ من الدنيا حين ملك حتى هلك وقال

ذكر الاجواد

وقد فتحت عليه كنوز كسرى * وجبته ترقع بالجلود
خطام بعيره من حبل ليف * ومسكنه بباب من جريد

وهذان البيتان من قصيد لي مطول يزيد على المائة انظره في التكميل هذا والله هو الزهد ومبلغ الجهد وسيأتي من ذكره وفضائله في هذا الكتاب كثير ان شاء الله تعالى وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فجهز جيش العسرة وهي غزوة تبوك انفق فيها فيما قال ابن هشام ألف دينار وقال قتادة حمل في جيش العسرة على ألف بعير الا خمسين فكملها بخمسين وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض رضي الله عنه وارضاه وقال فيه أيضا وقد أتى بدنانير في غزوة تبوك ماعلى عثمان ماعمل بعد هذا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره و يقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم مرتين واشترى بئر رومة وكانت ركية ليهودي يبيع للمسلمين ماءها بالمدينة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بذلك مشرب في الجنة فأتى اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى

نصفها

نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين فقال عثمان ان شئت جعلت على نصفي قرنين وان شئت فلي يوم ولك يوم فكان اذا كان يوم عثمان استقى الناس ما يكفيهم يومين فلما رأى ذلك اليهودي قال لعثمان افسدت على ركيتي فاشتر النصف الآخر فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يزيد في مسجدنا فاشترى عثمان رضي الله عنه موضع خمس سواري فزاده في المسجد وفيه يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وفيه قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وبلغ من شدة حيائه انه كان يكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء ان يقيم صلبه وسيأتي في باب الميم من ذكر الحياء من هذا النوع كثير ان شاء الله تعالى وهذه بعض فضائل عثمان صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحائز منتهى المنى وغاية السؤل بما أنفق من المال الجزيل في كل وجه جميل من البر والسبيل وأما علي رضي الله عنه فكانه علي وشرفه سني أول من دخل في الاسلام وزوج فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقد نظم في أبيات المفاخرة وذكر فيها مآثره حين فاخره بعض عداه ممن لم يبلغ مداه فقال رضي الله عنه يفخر بحمزة عمه وبجعفر ابن أمه رضي الله عن جميعهم

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وبنت محمد بيتي وعرسي * منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فأيكم له سهم كسهمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي * يطير مع الملائكة ابن أمي
سبقتكم الى الاسلام طفلا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي الولا حقا عليكم * رسول الله يوم غدير خم

يريد بذلك قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولما ولي الخلافة كان يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى فيه شيئا ثم يرشه ويقيل فيه وفي رواية ثم يصلي فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ويتمثل بهذا البيت

هذا جناي وخيره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

وكان يقول اذا نظر الى ما فيه من الذهب والفضة ابيضي واصفري وغري غيري اني واثق من الله بكل خير وقدم عليه مال من أصبهان فقسمه سبعة أسباع وكان فيه رغيف فقسمه سبعة كسر وجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أيهم يأخذ أولا وفضائله رضي الله عنه لا تحصى ومن يعد الحصى وجوده وكرمه أكثر من ان يعد وفضله أكبر من أن يحد فمن جوده وفضله انه عمل خصلتين لم يعملهما أحد قبله احداهما انه لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة أشفق المسلمون من ذلك وشق عليهم لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فعمد علي رضي الله عنه فتصدق بدينار وناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رحم الله المسلمين ونسخ ذلك عنهم بقوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فهذه آية نسخها العلي ولم يعمل بها غير علي رضي الله عنه وكان سبب نزول الآية ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأراد الله التخفيف عنه فكف كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالآية التي بعدها قاله ابن عباس وقيل نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي عليه السلام ويقولون انه أذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين فلما أنزل الله ذلك انتهى أهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على المسلمين لضعف مقدرتهم كما تقدم فخفف الله عنهم بالآية الناسخة والله أعلم والخصلة الأخرى التي لعلي وحده رضي الله عنه انه أعطى مسكينا خاتما من فضة وهو رضي الله عنه راكع فأنزل الله تعالى في ذلك الذي يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون قال مجاهد والسدي رضي الله عن جميعهم قيل خرج النبي صلى الله عليه وسلم ومسكين يسأل في المسجد فسأله عليه الصلاة والسلام هل أعطاك أحد شيئا قال نعم قال ماذا قال خاتم من فضة قال من أعطاكه قال ذلك الرجل القائم فاذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فكبر رسول صلى الله عليه وسلم عند ذلك ونزلت الآية بدأت بذكر الاربعة الخلفاء الكرام الشرفاء الذين قال فيهم الشاعر ذو الوفاء

خيار الناس بعد المصطفى المفضال ذو اللسن

أبو بكر أبو حفص * أبو عمرو أبو الحسن

رضى الله عن جميعهم وقد تقدم حديث عبد الرحمن بن عوف والزبير وما أنفقا في وجوه البر وسبل الخير ومنهم من جاد بأكثر من المال وهى النفس التى لها يكسب المال كما قال الشاعر

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال بعض العلماء هذا أمدح بيت قالته الشعراء وكذلك الصحابة رضى الله عنهم من عدم منهم المال الذى هو فى الحقيقة كالآل جاد بالنفس فى الجهاد الذى هو أفضل الاعمال ولى فيهم رضى الله عن جميعهم

أولئك قوم أتلفوا مهجاتهم * لاحياء دين الله بالطعن والضرب
بكل طويل من رماح ردينة * وكل حسام مرهف ذكر عضب
على كل مخماص من انسال أعوج * يمر كمر الريح فى أثر السحب
غيوث اذا أعطوا ليوث اذا التقوا * معانون منصورون بالرهب والرعب

ذكر أجواد الزهاد

من شعر لى طويل وهو فى حقهم قليل ان أردته انظره فى التكميل ومن أجواد الزهاد من اذا أعطى آثر غيره حدبا على فقره وغيره مثل عائشة رضى الله عنها وجه اليها معاوية رضى الله عنهم مائة ألف درهم ففرقتها فى يومها وان درعها لمرقوع وقالت لها الخادم وكانت صائمة لو اشتريت لنا لحما بدرهم فقالت لو ذكرتنى فعلت * فعلت هذا رضى الله عنها طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أوصاها فقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومخالطة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه وتمادت على فعلها الى ان ماتت رضى الله عنها أخرج البخارى عن أيمن الحبشى قال دخلت على عائشة وعليها درع قطن ثمنه خمسة دراهم فقالت ارفع بصرك الى جاريتى انظر اليها فانها تزدهى ان تلبسه فى البيت وقد كان لى منه درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كانت امرأة تقين بالمدينة الا أرسلت الى تستعيره وقد فعل مثل فعل عائشة رضى الله عنها ابراهيم التيمى دفع اليه ستون ألفا وكان عليه دين وبه حاجات فأخرجها من يومه فعوتب فى ذلك فقال كرهت ان أمحو اسمى من ديوان الفقراء بستين الفا ويروى عن سعيد بن عامر بن حذيم لما بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه واليا على حمص اشتدت فاقته حتى تحدث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر فأرسل اليه بأربعمائة دينار وكتب اليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين ذلك

عليه فقالت له امرأته نفسي فداك مالي أراك مهتماً أبلغك موت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك فقالت أبلغك عن ثغور المسلمين شيء قال أعظم من ذلك قالت وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر ألا فشر أيامي أيام عمر قالت وماذاك بأبي أنت وأمي قال اني أخافك قالت اياي تعني قال نعم قالت فأذنت آمن من هذا قال بلغني أن أمير المؤمنين أرسل الي بأربعمائة دينار وعزم علي أن أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا والله ما أحب أن لي حمر النعم واني أحبس عن الفوج الاول قالت قد ونكها فاصنع بها ماشئت فقال هل من خرق فأعطته درعا لها خلقا فزقه خرقا ثم صر فيه ما بين أربعة الى عشرة ثم طرحها في مخلاة ثم خرج الى باب الرستق من حمص فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة في المخلاة فدفعها والمخلاة الى رجل ثم رجع فذهب عنه واستراح * وذكر أبو نعيم الحافظ رحمه الله في كتابه الحلية قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمص قال يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم فشكوه اليه وكان يقال لاهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا نشكو أربعا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال وماذا قالوا لا يجيب أحدا بليل قال وعظيمة قال وماذا قالوا له يوم من الشهر لا يخرج فيه الينا قال وعظيمة قال وماذا قالوا يغط الغطة بين الأيام حتى تأخذه موتة قال فجمع عمر بينهم وبينه وقال اللهم لا يفيل فيه رأيي اليوم ماتشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال والله ان كنت لأكره ذكره ليس لاهلي خادم فأعجن عجيني فأجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج اليهم فقال ماتشكون منه فقالوا لا يجيب أحدا بالليل قال مايقولون قال ان كنت لأكره ذكره اني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال وماتشكون قالوا ان له يوما من الشهر لا يخرج الينا فيه قال مايقولون قال ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم ألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وماتشكون منه قالوا يغط الغطة بين الانام قال مايقولون قال شهدت مصرع خبيب الانصاري وقد بضعت قريش لحمه

ثم حملوه على جذعه ثم قالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال والله ما أحب انى فى أهلى وان محمدا يشاك بشوكة ثم نادى يا محمد فاذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحالة وانا مشرك لا أومن بالله العظيم الا ظننت ان الله لا يغفر لى بذلك الذنب أبدا قال فتصيبنى تلك الغطة فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل رأيى فيك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن بها على فقرك فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك فى خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا أحوج ما يكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصرها صررا شديدا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهبية فقال أنفق هذه ثم عاد الى عمله فقالت ألا تشترى لنا خادما ما افعل ذلك المال قال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه كذا رواه حسان وأبو خالد بن معدان وشبيه بقصة سعيد هذا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى أهل حمص اكتبوا الى فقراءكم فكتبوا اليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعيد وكان واليا عليهم فلما قرأ اسمه قال من عمير بن سعيد قالوا أميرنا قال أوفقير هو قالوا اليس أهل بيت أفقر منه قال فأين عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يمسك منه شيئا قال فوجه اليه بمائة دينار فأخرجها كلها فقالت له امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتينى فعلت ذكر هذه الحكايات أبو طالب رحمه الله فى باب الزهد من كتابه *وذكر من زهد عيسى ابن مريم عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما ارتفع رأسه من الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك قد زهدت فى الدنيا قال نعم قال فهذا الذى قد وطأته تحت رأسك من أى شئ هو قال فرماه عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت من الدنيا ثم وضع رأسه على التراب وقد كان من الزهاد من لا يأخذ اذا أعطى *أمر بعض الامراء لأحد الفقراء بعطاء فقال لا حاجة لى به قال فنجرى عليك ما يكفيك طول عمرك قال له يا أمير المؤمنين أنا وأنت فى عيال الله تبارك وتعالى فمحال أن يذكرك وينسانى وهذا رأس الزاهدين رسول رب العالمين اختار الفقر على الغنى والضيق على السعة وكان من دعائه عليه السلام اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين

وقربهم فان الله يقربك يوم القيامة خرجه الترمذى وقال عن أبى هريرة يدخل
الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وقال حديث صحيح وخرج أيضا قال قال
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله انى لأحبك فقال انظر ماذا تقول
فقال والله انى لأحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبنى فأعدّ للفقر تجفافا فان الفقر
أسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه وفى الخبر ما اتضع امرؤ لآخر يريد
عرض الدنيا الاذهب ثلثا دينه وقالت عائشة رضى الله عنها ماشبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض وكان عليه الصلاة
والسلام لا يدّخر شيئا لغد رواه أنس رضى الله عنه وقال ما أكل رسول الله صلى الله
عليه وسلم على خوان ولا أكل خبزا مرققا حتى مات وعن سهل بن سعد قال ما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم النقىّ حتى لقى الله فقيل له هل كانت لكم مناخل على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كانت لنا مناخل قيل فكيف كنتم
تصنعون بالشعير قال كنا ننفخه فيطير ماطار ثم نثريه فنعجنه ولذلك كان أبوذر رضى الله
عنه يقول للصحابة أنا أقربكم مجلسا يوم القيامة من النبى صلى الله عليه وسلم قيل
وكيف ذلك قال انه قال أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من تركته على حال فلم يتغير
عنها وكلكم قد نخل الشعير غيرى فأقرب الناس من النبى صلى الله عليه وسلم أقربهم
من الله وأقربهم من الله ومن رسول الله صلى الله عله وسلم أسبقهم بالخيرات
وأغرب من هذا ما أخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت انا كنا ننظر الى الهلال
ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه
وسلم نار ان هو الا الأسودان التمر والماء ومما قرأته على الحافظ رحمه الله بسنده
الى بلال رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الق الله فقيرا ولا تلقه
غنيا قال قلت كيف لى بذلك يارسول الله فقال اذا رزقت فلا تخبأ واذا سئلت فلا تمنع
قال قلت كيف لى بذلك يارسول الله قال هو ذاك والا فالنار وتجشأ رجل عنده
فقال له عليه الصلاة والسلام كف عنا جشاءك فان أكثر الناس شبعا فى الدنيا
أطولهم جوعا فى الآخرة أو كما قال * يروى ان أبا جحيفة قال فما أكل أبو جحيفة
ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تغدى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى ومن
بعض فضائل أبى سعيد الحسن بن أبى الحسن الكثير الخوف والحزن القليل
النوم والوسن كان رحمه الله له كلام حرّ يشبه الدرّ يشفى من الضر ويبرى من

قوله نثريه أى نصب
عليه الماء

العز وحق ذلك له فانه ارتضع ثدى أم سلمة رضى الله عنها ونفعه بالبركة التى نال منها حدث عوف بن أبى جميلة الاعرابى قال كان الحسن ابنا لجارية لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فبعثت أم سلمة جاريتها فى حاجتها فبكى الحسن بكاء شديدا فرقت عليه أم سلمة فأخذته فوضعته فى حجرها وألقمته ثديها فادرّ عليه فشرب منه فكان يقال ان المبلغ الذى بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذى شرب من أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وممن وصفه بالحزن علقمة بن مرثد رحمه الله قال أما الحسن بن أبى الحسن فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ما كنا نراه الا انه حديث عهد بمصيبة وكان يقول نضحك ولا ندرى لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال لا أقبل منها شيئا ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة انه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف لو رأيتهم قلت مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما يمسى أحدهم ولا يجد عنده الا قدر ما يكفيه فيقول لا أجعل هذا كله فى بطنى لأجعلن بعضه لله عز وجل فيتصدق ببعضه وان كان هو أحوج ممن تصدق عليه زاد غيره والله لقد أدركت أقواما ما طوى لاحدهم فى بيته ثوب قط ولا أمر فى أهله بصنيعة طعام قط وما جعل بينه وبين الارض شيئا قط وان أحدهم ليقول وددت انى آكل أكلة تصير فى جوفى مثل الآجرة قال ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى فى الماء ثلثمائة سنة ولقد أدركت أقواما ان كان أحدهم ليرث المال العظيم قال وانه لمجهود شديد الجهد قال فيقول لاخيه يا أخى انى قد علمت ان ذا ميراث وهو حلال ولكنى أخاف أن يفسد على قلبى وعملى فهو لك لا حاجة لى فيه قال فلا يرزأ منه شيئا أبدا زاد غيره والله لقد صحبنا أقواما كانوا يقولون ليس لنا فى الدنيا حاجة ليس لها خلقنا وكان يقول أدركت سبعين من الاحيار ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط قال وكان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه ثم ذكر تفاوت الزاهدين ولأى شئ زهدوا فقال منهم من زهد حياء من الله تعالى ومنهم من زهد خوفا من الله ومنهم من زهد رجاء موعود الله ومنهم من زهد مسارعته لامر الله ومنهم من زهد حبا لامر الله ومنهم من زهد حبا لله وهو أعلاهم وأدناهم من زهد

مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهم يوم القيام أشد حسابا من
ذي الدرهم وان طريق المقربين لا يسلكه من ملك من الدنيا زوجين من شئ وقال
عبد الله بن عمر رضي الله عنه لا يصيب عبد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند
الله وان كان عند الله كريما وقيل له رضي الله عنه توفى فلان فقال رحمه الله قيل له
يا أبا عبد الرحمن ترك مائة ألف فقال لكن هي لم تتركه وسمع رجلا يقول أين الزاهدون
في الدنيا الراغبون في الآخرة فأراه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر
فقال عن هؤلاء تسأل وقال عمران القصير للحسن ان الفقهاء يقولون كذا وكذا
فقال وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على
عبادة الله عز وجل ويقال ما أحد يعطى من الدنيا شيئا الا ويقال له خذه على
ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الاغنياء ليوقف
للحساب مالو ورد عليه مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء وانه ليرى
منازله من الجنة وقال يوسف بن اسباط لو أن رجلا ترك الدنيا مثل أبي ذر وأبي
الدرداء وسلمان رضي الله عنهم ماقلنا له انك زاهد لان الزهد لا يكون الا على ترك
الحلال المحض والحلال المحض لا نعرفه اليوم وانما الدنيا حلال وحرام وشبهات
فالحلال حساب والحرام عذاب والشبهات عتاب فأنزل الدنيا منزلة الميتة خذ منها
مايقيمك فاذا كانت حلالا كنت زاهدا فيها وان كانت حراما لم تكن أخذت منها
الا مايقيمك كما يأخذ المضطر من الميتة وان كانت شبهات كان العتاب يسيرا ومثله
قول بعضهم ليس الزهد ترك كل الدنيا ولكن الزهد التهاون بها وأخذ البلاغ منها
قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فأخبر انهم
زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا وقد تكلم في الزهد في أي شئ هو فقال بشر الحافي الكلام على الزهد
ابن الحارث الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وقال
غيره الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف لانه دنياك فبقدر ماتملك من بطنك تملك
من الزهد وقال الفضيل الزهد القناعة فكل لدنيا عنده الحرص وقال سفيان
الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولبس العباءة قلت عجبا
للمرء كيف لا يقصر أمله ودونه اجله ألم تسمع قول الشاعر

امسي من دونه اجلي * فمتى افضي الى أملي

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مربعا وجعل في وسطه

خطا

خطا وجعل خطا آخر خارجا من المربع وجعل حول هذا الخط من داخل خطوطا كثيرة ثم قال هذا الانسان وهذا أجله قد أحاط به فى كل جانب وهذا أمله الخارج من المربع يعنى فتى ينتهى اليه والاجل قد أحاط به من كل جانب وقال لهذه الخطوط الكثيرة حوله وهذه الاعراض والاسقام ان أخطأه هذا أصابه هذا قلت سقت معنى الحديث لا لفظه وأقول أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولى فى الامل

أؤمل آمالا ولست بعارف * أ أبلغها أم يقطع الموت قبلها

وللمرء نفس لا تزال بحرصها * تمنى وتهوى أن تبلغ سؤلها

وليست تبالى من سفاهة رأيها * أ كان عليها ذلك الامر أم لها

لكن مما رويته بالاسناد عن الحافظ رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما الامل رحمة من الله لولا الامل ما غرس غارس شجرا ولا جنى جان ثمرا وقال أبو سليمان الدارانى الدنيا كل ما شغل عن الله فكان الزهد عنده التفرغ لله وكان يقول من تخلى من الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فهو الزاهد فأما من تركها وتبطل فانما طلب راحة نفسه * وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه الزهد على ثلاث مقامات زهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك المشتبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال * وقال غيره الزهد اخفاء الزهد والزهد ترك ما يشغلك عن الله عز وجل وقال بعض الحكماء الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وفى الترمذى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى أيدى الناس وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك * قال تكلم فى اسناد هذا الحديث وخرج أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا وفيه عنه عليه الصلاة والسلام قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقال يا ابن آدم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف * أخذ هذا المعنى شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله فقال وأنشدنيه

دع الدنيا لطالبها وجاف * بنفسك من مزاحمة العوافى
وخذ منها كفافا من حلال * فانك لا تسلام على كفاف

وفى الحديث أيضا طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع ولما قدم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الشأم صنع له طعام لم ير قبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا فى هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا وقال لأبى عبيدة رضى الله عنه اذهب بنا الى منزلك قال ماتريد الا أن تعصر عينيك على" قال فدخل منزله فلم ير شيئا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا لبدا وشنا وصحفة وأنت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك لا تعصر عينيك على" يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما يبلغ المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة وقال الثورى وفضيل رضى الله عنهما جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجاء فى الخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة فيخرج من دليل الخطاب ان بغضها رأس كل طاعة فعلى هذا ينبغى أن لا يؤخذ منها الا ما لا بدّ منه كما يروى عن عمير بن سعيد الذى تقدم ذكره انه قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من حمص اذ كان أميرا عليها فقال له عمر ما معك من الدنيا يا عمير قال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها ثوبى ورأسى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى ووضوئى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله رضى الله عنهما تقدّم فى الشعر الذى لى * وجبته ترقع بالجلود * قال أبو عثمان النهدى رأيت عمر بن الخطاب يطوف حول البيت وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة احداهن أدم أحمر وقد فعل مثل هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سعيد ابن جبير ان عليا قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره برقعة ليست بقطرية من ورائه فجاء اعرابى ينظر الى تلك الخرقة مخالفة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت أو مقتول قال ان هذا خير لى فى صلاتى وأصلح لعملى وأشبه بهيئة الصالحين قبلى وأجدر أن يقتدى

بي من أتى بعدي وكان علي رضي الله عنه أنه مقتول اذ كان قد أخبره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويروى أنه أتى بابن ملجم اليه وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما ولا نأمن قتله اياك فقال ما أصنع به ثم قال رضي الله عنه

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك

ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

وقد تقدم القول في هذا البيت وان أوله حيازيمك وان اشدد انما هو ابتداء كلام ليس من البيت * قال بعض العلماء ان لله عبادا جعلوا ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم كما يروى ان هشام بن عبد الملك كانت كسوة نفسه دون كسوة عياله وحشمه وقر سبعمائة جمل وعشرين جملا كان فيها اثنا عشر ألف قميص وسبعمائة تكة طول كل تكة سبعة أذرع وكان عمرو بن عامر ملك من ملوك اليمن يلقب مزيقيا لانه كان يلبس كل يوم حلة ثم يمزقها بالعشي يكره أن يعود فيها ويأنف أن يلبسها أحد غيره (قلت) أين هذا من الذي قيل له عند الموت أوص قال اذا مت تصدقوا على بقميصي قيل له أين ندفنك قال الذي يختار موضعي يدري حيث ينقلني أو كما قال * وقد تقدم كيف كان لباس الصحابة رضي الله عنهم وكان سالم بن عبد الله يلبس العباءة ثمنها نحو الدرهمين وكان يحيي بن اليمان أحد العلماء الفضلاء وهو الذي قال فيه شريك أو بالكوفة أحد يشبه يحيي بن اليمان قال يحيي تزوجت أم داود وما كان عندنا ليلة العرس الا بطيخة أكلت أنا نصفها وهي نصفها وولد لنا داود وما كان عندنا شيء نلفه فيه حتى اشتريت له كسوة بحبتين فلففناه فيه ويروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت له نفس تواقة الى الكسوة والدنيا في حداثة سنه فلما ولي الخلافة تخلى عن ذلك روى مالك قال بلغنا ان عمر بن عبد العزيز أمر رجلا أن يشتري له لحافا بستمائة درهم فلما جاءه به تسخطه فلما ولي الخلافة أمر ذلك الرجل أن يشتري له كساء بسبعة دراهم فلما جاءه به لبسه ثم تعجب لحسنه قال فضحك الرجل فقال له عمر اني لأظنك أحمق تضحك من غير شيء قال انما ضحكت لمكان اللحاف الذي أمرتني أن أشتريه لك بستمائة درهم قال فصمت ساعة ثم قال اخشى ان لا يشتري أحد ثوبا بستمائة درهم وهو يخاف الله زاد غيره كانت لي نفس تواقة الى الدنيا فلما وليت الخلافة تاقت نفسي الى الجنة وكان يلبس الثوب المرقوع بعد ذلك يروى انه قومت ثيابه وهو يخطب باثني عشر درهما

وكانت قباء وعمامة وقيصا وسراويل وبردا وخفين وقلنسوة قلت هكذا يكون الزهد كما قيل لبعض الزهاد زهدت في الدنيا قال وفي أي شئ زهدت انما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فزهد فيها وفي مثل هذا أنشدوا

يعف عن الدنيا اذا عن توددا * وان برزت في زي عذراء ناهد

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * معصفرها الدنيا فليس بزاهد

وأنشد الحافظ رحمه الله قول الشاعر

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

صدق في هذا المقال وهو لعمري كما قال أذكرني هذا البيت خبر بشر بن الحارث خرج أبو طالب مكي رحمه الله في القوت قال كان بشر بن الحارث قد اعتل فسأل عبد الرحمن الطبيب عن شئ يوافقه من المأكولات فقال له عبد الرحمن تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني فقال له بشر صف لي حتى أسمع فقال تحتاج ان تستعمل ثلاثة أشياء فان فيهن صلاح جسمك قال وماهن قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفناخ فقال له بشر أتعلم شيئا اقل ثمنا من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وما هو قال الهندبا بالخل تقوم مقامه ثم قال أفتعرف شيئا أقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وما هو قال الخروب الشامي في معناه ثم قال أتعرف شيئا أقل ثمنا من الاسفناخ يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وما هو قال ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن فأنت أعلم بالطب مني فلم تسألني قلت انظر هذا الموفق كيف استعمل زهده حتى في الدواء وأقل ماصنع انه زهد في الدواء رأسا والله أعلم هكذا الظن به كما فعل غيره وغيره * ومن الزهد أيضا ماروى ان ملك الهند أهدى الى المنصور تحفا وأرسل معها بفيلسوف طبيب فأنزله وأحسن اليه ثم دعاه بعد ذلك فقال له الفيلسوف جئتك ياأمير المؤمنين بثلاث خصال يتنافس الملوك فيها قال وماهي قال أخضب لحيتك بسواد لا ينصل أبدا او أعالجك بعلاج تتسع به في المأكل فتأكل ماشئت ومتى شئت ولا يؤذيك الطعام وأقوى صلبك بقوة تنشط الى الجماع فتجامع ماشئت لا تمل ولا يضعف بصرك ولا ينقص من قوتك فأطرق المنصور ثم رفع رأسه اليه وقال قد كنت الطنك أعقل مما أنت أماما ذكرت من السواد فلا حاجة لي به لانه غرور وزور والشيب هيبة ووقار ولم أكن لأغير نورا جعله الله في وجهي بظلمة السواد وأما ما

ذكرت من الاكل فوالله ما أباشره ومالى فى الاستكثار حاجة لانه يثقل الجسم ويشغل عن الواجب وأقل مافيه اختلافى الى الخلاء فأرى ما أكره واسمع مالا أحب وأما ماذكرت من النساء فان الجماع شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة مثلى يجثو بين يدى صبية ارجع الى صاحبك مذموما مدحورا * انظر هذا الموفق الآخر كيف زهد مع الملك والقدرة فى الاشياء التى هى معنى الدنيا وجل شهواتها لاسيما البطن كما قال بعضهم وسئل عن الزهد فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبمقدار ماتملك من بطنك تملك من الزهد وكذلك قال وهب بن منبه لكل شى وسط وطرفان فان أمسكت باحد الطرفين مال الآخر وان أمسكت الوسط اعتدل الطرفان وكذلك البطن وسط بين الجوارح ان أمسكته اعتدلت الاطراف السمع والبصر واللسان والفرج والرجل وكذلك قال غيره اذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمعت بك النفس الى الهلكة واذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك وقد تقدم لى فى هذا المعنى طرف وان لم يكن بجة فهو المحجة * تقدم فى أول الكتاب من كان همه بطنه وفرجه فلا ترجه والابيات بعده التى أولها

اذا أعطيت بطنك مشتهاه * وفرجك سؤله انت البهيمه

وتقدم أيضا * أضرشئ على الانسان خصيته * الابيات قلت ولعمر الله ان الزاهد لفى راحة وحال استراحة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ولقد صدق القائل

لاعيش يصفو للملوك وانما * تصفو وتحمد عيشة النساك

لذلك قال بعضهم ان كنت تريد أن تكون ملكا فى الدنيا والآخرة فازهد فى الدنيا وقد تقدم لعبد الحق رحمه الله

فصرت غنيا بلا درهم * أتيه على الناس تيه الملك

وقال بعض من تزهد من الملوك لم أجد طيب العيش حتى استبدلت الخمص بالكظة ولم آكل مما أغسل يدى منه ولم ألبس من ثيابى ما أخدمه * وقال اياس بن معاوية لأن البس ثوبا أقى به نفسى أحب الى من أن ألبس ثوبا أقيه بنفسى وقال عون ابن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أر أحدا أكثرهما منى أرى دابة خيرا من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى وصحبت الفقراء فاسترحت وقالوا عيب الغناء انه يورث البله

الكظة شئ يعترى الانسان عن الامتلاء من الطعام

وفضيلة الفقر انه يبعث الجبلة وقالوا مع الحاجة تقع الفكرة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة وقال اكتم بن صيفي مايسرني انني مكفي كل أمر الدنيا قيل ولم قال أكره عادة العجز قلت لقد صدق عون رحمه الله اذ يقول من ترك الفضول فقد استراح والفضول هي الشهوات ألم تسمع قول الشاعر هو أبو الطيب المتنبي

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ماقاته وفضول العيش اشغال

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه أهل الاموال يأكلون ونأكل و يشربون ونشرب و يلبسون ونلبس ويركبون ونركب ولهم فضول أموال ينظرون اليها وننظر اليها معهم عليهم حسابها ونحن منها براء وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى

قنعت فنلت الغنى وادعا * وعشت هنيئا بستر الخمول
ونلت الذي نال منها الملوك * فلم يفضلوني بغير الفضول
وذاك الفضول متاع قليل * يكون عليه الحساب الطويل

وله أيضا ما الزهد ياقوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال واخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * مع حسن آداب وأخلاق

وله أيضا كفى بسليخة في البيت مرطا * معدا للشتاء وللمصيف
يكون وطاء جلد في مصيف * وفي زمن الشتاء وطاء صوف

وله أيضا ان السليخة والحصير كفاية * ولو اقتصرت على الحصير كفاني
ان القليل لمن يموت مبلغ * فان يبلغه قليل فاني
حسبي القليل وليتني أنجو غدا * عند الحساب عليه من دياني

وقال ورأى رجلا يبني و يشيد فذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام من بنى فوق سبعة أذرع أو تسعة نودي الى أين يا أفسق الفاسقين فقال

أطلت البناء وشيدته * وأنفقت ويحك فيه المئينا
وأنت تنادى ولا ترعوى * الى أين ياأفسق الفاسقينا
فهلا اقتصرت على قدرما * يواري و يمنع عنك العيونا
فكنت على هدى من قدمضى * و وفرت وفرا وعرضا ودينا
ولم تك تحمله في غد * على الظهر شيدا وصخرا وطينا

ولبعض الزهاد

كسرة خبز وكوز ماء * ورقع ثوب مع السلامه

خير من الملك في نعيم * تكون عقباه للندامه

وقال بعض أبناء الملوك ممن أضربه الدهر وروى في هيئة رثة فرق له من رآه وقال الى هذا اصار أمرك فقال رحمك الله مافقدنا الا الفضول وجاء في الحديث ماعال من اقتصد والاقتصاد الاقتصار على القوت وقال القناعة مال لا ينفد وقال الشاعر

كفاهم أقل الزاد اذقنعوا به * ومن قنع استغنى عن القبض بالقبص

القبص بالصاد غير المعجمة الأخذ بأطراف الاصابع والقبض بالضاد الأخذ بجميع الكف ومما أنشدنيه أبو محمد عبد الحق رحمه الله لنفسه من قطعة أولها

رأيت القناعة أغنى الغنى * فصرت بامساكها أمتسك

وأعتقت نفسي ولم أشرها * ببخس فملك فمن ملك

فصرت غنيا بلا درهم * أتيه على الناس تيه الملك

وقرأت على الحافظ السلفي رحمه الله بسنده لبعضهم

منزلي منزل الكرام ونفسي * نفس حر ترى المذلة كفرا

واذا ماقنعت بالقوت دهري * فلماذا أزور زيدا وعمرا

لعلك أن تقول سمعنا عن الزهاد ولم نرهم صدقت لو كنت منهم لرأيتهم ان في عصرنا هذا الذي هو سنة ثلاث وستمائة رجلا باشبيلية عالما عاملا زاهدا فقيها شاعرا أديبا مشهورا بذلك كله وهو الفقيه أبو عمران موسى بن عمران القيسي المرتلي رضي الله عنه وقد تقدم من شعره في هذا الكتاب كثير ومن شعره وما الزم نفسه به قوله رضي الله عنه

ألزمت نفسي والله المعين على * امضاء عزمي فما بعد أذكره

فمن تصفح ما أملي ويعذرني * فالله عني يجزيه ويشكره

والمعزوم عليه والله المستعان ان لا أشهد مشهدا ولا أبرح عن منزلي الا لفرض ان استطعت وأعجل الانصراف بمشيئة الله ولا أبايت ولا أخاطب مبتدئا ولا مجاوبا ولا أقبل هدية ولا دينارا ولا درهما لنفسي ولا لغيري ولا تلج يدي في طعام أحد ولا أدخل في وساطة ولا في حكومة ولا أقبل وديعة ولا أجيب لوليمة ولا أتعرف لمن لا يعرفني وأقلل ما أمكنني من معرفة كثير ممن يعرفني بالانقباض وحسن التلطف طلبا للسلامة لي وله ولا أجيب في مشورة الا بالدعاء ولا آمل غير مولاي لي أولسواي ولا أتولى خطة ما كانت ولا أكون اماما ولا خطيبا ولا

أفعل شيئا من كل مارسمته الا لطال ضرورة والله تعالى يغنى من سعة فضله ويعين على هذا كله

فحسبي نفسي وما كلفت * وفى ذاك لى شغل شاغل
وحسبي مولاى من خلقه * لقد خاب من غيره يامل

عمر الله قلوبنا بذكره ولا شغلنا عنه بغيره انه منعم كريم * وله فصول من كلام الحكماء مثل كل ما يغنى ماله معنى القناعة بالقوت واللباس خير من سؤال الناس من تقحم فيما لا يعنيه وقع فيما يتعبه و يعييه من خف قدمه كثر ندمه ومن تنبط اغتبط مالا ينفع لا يصنع ومن هذا النوع كثير * ومن أملح ما رأيت له وهو من الذى كلفت به من المعكوس رأى رجلا يكتب بطاقة فأشار الى القلم وقال احذر أن تلقى فى مكتوبك من مقلوبه وذلك ان مقلوب قلم ملق قلت أعاننا الله على طاعته ووفقنا لاتباع طريقة الصالحين آمين بكرمه وفضله * وأما أجواد الاسلام بعد هؤلاء فأحد عشر رجلا فى عصر واحد وبعضهم قريب من بعض لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد أهل الحجاز ثلاثة عبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص وأجواد أهل البصرة خمسة فى عصر واحد عبد الله بن عامر بن كريز وعبد الله ابن بعمر القرشى ثم السلمى ثم التيمى وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعى وأجواد أهل الكوفة ثلاثة عتاب بن ورقاء الرياحى وأسماء بن خارجة الفزارى وعكرمة بن ربعى الفياض * فمن جود عبد الله بن عباس انه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ان لى عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوّبه فلم يعرفه ثم قال له ما يدك عندنا فقال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يميح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائى حتى شربت فقال أجل انى لأذكر ذلك وانه ليتردد بين خاطرى وفكرى ثم قال لقيمه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفى بحق يده عندنا قال له الرجل والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيك ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم ثم شفع بك و بأبيك (قلت) والشئ يعرف بالضد كالوصل بالصد والعطاء بالرد انظر هذا السخى الجدير الحيى الحدين كيف استحيا أن يرد من سأله و يخيب من أمله وجعل يحدثه بما نصه انه يعرف تلك القصه ويحتمل أن يكون انما قال ذلك لهذا السائل خشية أن يخجل فيكدر عليه النائل

أجواد الاسلام

أين هذا مما أنشدني الحافظ رحمه الله لبعضهم بالاسكندرية وهو عندي في أجزائها المرويه قال رحمه الله

أتيت أخالي في حاجة * وكنت عليه خفيف المؤن
فأنكر معرفة لم تزل * وابدى عماذقة لم تكن
وقال وجاحدني حبه * أبو من وممن ومن وابن من

ومن جود عبد الله بن جعفر انه اعطى امرأة سألته مالا عظيما فقيل له انها لم تعرفك وكان يرضيها اليسير فقال ان كان يرضيها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي * ولد عبد الله بن جعفر هذا بأرض الحبشة ووافق ان ولد للنجاشي رحمه الله مولود يوم ولد عبد الله فأرسل الى جعفر يسأله كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي أيضا ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله هذا فكانا يتواصلان حين كبرا بتلك الاخوة وولد لجعفر أيضا بأرض الحبشة محمد وعون الله رضي الله عن جميعهم ومن جود سعيد بن العاص انه كان يسمر معه ليلة قوم فانصرفوا وبقي رجل فعلم انه لطالب حاجة ويمنعه الحياء من ذكرها فأمر سعيد باطفاء الشمعة وقال ما حاجتك يا فتى فذكر ان عليه دينا أربعة آلاف درهم فأمر له بها قال وكان اطفاؤه الشمعة أكثر من عطائه وعوتب في كثرة العطاء فقال ان الله تعالى عودني ان يتفضل علي وعودته ان أتفضل على عباده فأخاف ان قطعت أن يقطع وهو الذي أنشد له

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال ان هذا البخل الناس ولكن امطر والمعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنتم له أهلا * وقال الفضل بن سهل اذا لم أعط الا مستحقا فكأني انما أعطيت غريما * ومن السخاء ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل * ومن جود عبد الله بن أبي بكرة رضي الله عنه ان رجلا أدلى اليه بحرمة فأمر له بمائة ألف درهم * ومن جود عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رجلا من أهل البصرة كانت له جارية وصف من حسنها وأدبها شيئا كثيرا وانه أملق فاحتاج الى بيع الجارية بعد ان استأذنها في ذلك واعتذر اليها

وكان لها محبا وهى له كذلك فأشارت اليه ان يهديها لابن معمر بعد ان اصلحت من شأنها ففعل وأوقفها بين يديه وقال له أصلحك الله هذه جارية ربيتها ورضيت لك أدبها فاقبلها منى هدية فقال مثلى لا يستهدى مثلك فهل لك فى بيعها فأجزل لك الثمن فيها حتى ترضاه قال الذى ترضاه قال يقنعك منى عشر بدر فى كل بدرة عشرة آلاف درهم فقال ياسيدى والله ما امتد أملى الى عشر ما ذكرت ولكن هذا من فضلك المعروف وجودك المشهور فأمر عبد الله باخراج المال حتى صار بين يدى الرجل وقبضه وقال للجارية ادخلى الحجاب فقال سيدها أعزك الله لو أذنت لى فى وداعها قال نعم فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجع * أقاسى به ليلا يطيل تفكرى

ولولا قعود الدهر بى عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذرى

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن معمر

فقال عبد الله بن معمر قد شئت ذلك فخذ بيد جاريتك وبارك الله لك فى المال فذهب بجاريته والمال وصار غنيا * ومن الاجواد من غير من ذكر أبو مرثد مدحه بعض الشعراء فقال والله ما عندى ما أعطيك ولكن قدمنى الى القاضى وادع على بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها فيحبسنى على دينك فان أهلى لا يتركونى محبوسا ففعل فلم يمس حتى دفع اليه المال وكذلك كان عبد الله بن جدعان لما كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه من التصرف لفرط جوده فكان اذا أتاه الرجل يستعطيه يقول له ادن منى فاذا دنا منه لطمه وقال اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى فكانت بنو تيم ترضيه من ماله * ومن الاجواد أيضا من غير من ذكر عبد الله بن طاهر رضى الله عنه حدث بعض قواده انه فرق فى مقام بخراسان ألف ألف دينار ومنهم عبد الله ابن المبارك رضى الله عنه كان يفرق ماله على اخوانه ويؤثرهم بأرباحه ويلبس ثوبا بثلث دينار ويعطى صاحب الحمام دينارا والحجام دينارا ومنهم الفضل بن يحيى رضى الله عنه ذكر أنه جاءه رجل فذكر أن بينهما نسبا فقال وما هو قال جوار قريب واسمى مشتق من اسمك وولادتى تقرب من ولادتك فقال له أما الجوار فممكن وقد يوافق الاسم الاسم فما أعلمك بالولادة فقال أخبرتنى أمى أنها لما ولدتنى قيل لها قد ولد الليلة ليحيى ولد وسمى الفضل فسمتنى أمى فضيلا اكبارا لاسمك فتبسم الفضل وقال له كم لك من السنين قال خمس وثلاثون قال هو المقدار وأمر له

بألف لكل سنة * ومن الاجواد عروة بن الورد الذى يقول

أتهزأ منى أن سمنت وقد ترى * بجسمى مس الحق والحق جاهد
فانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

كان عبد الله بن مروان يقول من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد وما يسرنى ان أحدا من العرب ولدنى الا عروة بن الورد لقوله هذه الابيات ومثله الذى يقول

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له * أكيلا فانى لست آكله وحدى
قصيا كريما أو قريبا فاننى * أخاف مذمات الحديث لمن بعدى
وانى لعبد الضيف ما زال نازلا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وكان يسمى عروة الصعاليك لانه كان يجمع الفقراء فى حظيرة ويرزقهم مما يغنمه * ومنهم الحكم بن حنطب وحنطب جده وهو الحكم بن المطلب بن عبد الله ابن المطلب بن حنطب وكان المطلب بن حنطب ممن أسر يوم بدر والحكم هذا كريم أهل زمانه وأسخاهم وتزهد فى آخر عمره ومات بمنبج وفيه يقول الراعى يرثيه

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا * فقلت انهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفى بذمته * قبل السؤال اذا لم يوف بالذمم

حكاية ظريفة

ذكر الدارقطنى فى موته حكاية ظريفة قال حميد بن معروف حضرت وفاة الحكم فأصابه من الموت شدة فقال قائل فى البيت اللهم هون عليه الموت فقد كان وقد كان يثنى عليه فأفاق الحكم فقال من المتكلم فقال الرجل أنا فقال الحكم يقول لك ملك الموت أنا بكل سخى رفيق ثم كأنما كانت فتيلة فطفئت فمن جوده أنه سأله اعرابى فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابى فقال ما يبكيك يا أعرابى لعلك استقللت ما أعطيتك قال لا والله ولكنى أبكى لما تأكل الارض منك وقيل لنصيب بن رباح خرف شعرك يا أبا محجن قال لا والله ولكن خرف الكرام لقد رأيتنى وقد مدحت الحكم بن حنطب فأعطانى ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة وروى القتيبى قال أخبرنا رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم ابن حنطب وهو مملق فأغنانا قلت له وكيف أغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم

فعاد غنينا على فقيرنا وكان الليث بن سعد يستغل كل سنة خمسين ألف دينار وكان قد أمر لمالك بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الرشيد فشنع عليه وعاتبه فقال استحييت أن أنقصه عن غلة يوم وما وجبت عليه زكاة قط هكذا قرأته على الحافظ بالاسكندرية رحمه الله ورأيت فى موضع آخر انه كان يستغل كل يوم ألف دينار ووصل مالك بن أنس بألف دينار وكان أبو شريح الخزاعى من عقلاء أهل المدينة وقال اذا رأيتمونى أبالغ من أنكحته أو أنكحت اليه الى السلطان فاعلموا أنى مجنون فاكوونى وان رأيتمونى أمنع جارى ان يضع خشبة فى حائطى فاعلموا أنى مجنون فاكوونى ومن وجد لأبى شريح سمنا أو لبنا أو جداية فهو له حل فليأكله وليشربه ويروى ان عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك قال انما أجعل هذا المال عند الله وأجعل الله ذخرا لولدى ثم أمر فقسم المال كله فى أهل الحاجة * ونوع من هذا ماصنع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز فى مرضه الذى توفى فيه فقال له يا أمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عالة ولا بد لهم من شئ يصلحهم فلو أوصيت بهم من أهل بيتك من يكفيك مؤنتهم فقال عمر أجلسونى فأجلسوه فقال له يامسلمة أما ماذكرت أنى فطمت أفواه ولدى من هذا المال وتركتهم عالة فانى لم أمنعهم حقا هو لهم ولم أعطهم حقا هو لغيرهم وأما ماسألت من الوصاة بهم فان وصيتى بهم الى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين انما بنو عمر أحد رجلين رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ويرزقه من حيث لا يحتسب أو رجل عنده فجورة فلا يكون عمر أول من أعانه على المعصية ثم دعا عمر بنيه وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد فيهم بصره ويصوّبه حتى اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم ثم قال يابنىّ انى تركتكم من الله بخير انكم لا تمرّون بمسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله يابنى انى نظرت بين أن تفتقروا فى الدنيا وبين ان يدخل أبوكم النار فكان ان تفتقروا خيرا من دخول أبيكم النار يابنى عصمكم الله رزقكم الله قالوا فما احتاج أحد من ولده ولا افتقر الى آخر الدهر وفى رواية انه قال لهم عصمكم الله من الشيطان الرجيم فلما ولوا قال بنفسى الفتية الذين تركتهم عيالا لاشئ لهم * ومنهم يزيد بن المهلب كان هشام بن حسان اذا ذكره قال والله ان كانت

السفن لتجرى فى جوده قيل ليزيد بن المهلب مالك لا تبنى قال مسترلى دار الامارة أو الحبس ودخل عليه الفرزدق فى السجن فأنشده

أصبح فى قيدك السماحة والجد وفك العناق والأغلال

فقال له أتمدحنى وأنا فى هذه الحالة فقال أصبتك رخيصا فاشتريتك فأمر له بعشرة آلاف ومنهم يزيد بن حاتم الذى يقول فيه الشاعر

شتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والأغر بن حاتم

فهم الفتى الأزدى اتلاف ماله * وهم الفتى القيسى جمع الدراهم

وبعد هذا * فلا يحسب التمتام انى هجوته * البيت وقد تقدم وكتب الى يزيد بن حاتم هذا بعض أصحابه يستوصله فبعث اليه بثلاثين ألفا وكتب اليه أما بعد فانى قد بعثت اليك بثلاثين ألفا لا أكثرها امتنانا ولا أقللها تحقرا ولا أستثنيك عليها ثناء ولا أقطع لك بها رجاء والسلام * ومنهم خالد بن عبد الله القسرى بينما هو جالس فى مظلته اذ نظر الى اعرابى يخب به بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم أدخله الحاجب عليه فسلم وأنشأ يقول

أصلحك الله قل ما بيدى * فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهر ألقى بكلكله * فأرسلونى اليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك الى وانتظروا والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة * ومنهم عدى بن حاتم دخل عليه ابن دارة فقال له انى امتدحتك فقال له أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه فانى أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول لى ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى حبيس فى سبيل الله فامدحنى على حسب ما أخبرتك فقال

وأبقى الليالى من عدى بن حاتم * حساما كنصل السيف سل من الخلل

أبوك جواد لا يشق غباره * وأنت جواد ليس تعذر بالعلل

فان تفعلوا شرا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

الخلل جمع خلة بالكسر وهى جفن السيف

فقال له عدى أمسك لا يبلغ مالى أكثر من هذا * ومنهم معن بن زائدة الذى كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج أتاه رجل يستحمله فقال يا غلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هؤلاء لأعطيتك وحدثنى بعض الطلبة ونحن على ظهر مركب فى النيل

قف على سياحة المؤلف الى الصعيد

طالعين الى قوص سنة احدى وخمسين وستمائة قال يذكر أن اعرابيا دخل على معن يوم قعوده للناس فأنشده

أتذكر اذ لحافك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

قال له معن أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب فقال له

فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

فقال له معن سبحانه لا اله الا هو فقال له

فلست مسلما مادمت حيا * عليك ولو لحونى بالامير

فقال له معن ذلك اليك ان شئت أن تسلم والا فلا تسلم فقال له

ولا أسكن بلادا أنت فيها * ولو نلت الشآم مع الثغور

فقال له معن ذلك اليك ان شئت أن تقيم وان شئت فارحل فقال له

فجدلى يا ابن ناقصة بشئ * فانى قد عزمت على المسير

فقال معن لخادمه يا غلام ادفع اليه ألف دينار فقال له الاعرابى

قليل ما امتننت به فانى * لأطمع منك فى الشئ الكثير

فقال معن يا غلام ادفع له ألفا أخرى فقال

فلك اذ ملكت الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بألف فكان الاعرابى استحيا فقال

فأنت المرء ليس له كفاء * ومن جدواه كالبحر الكبير

قال معن قد أعطيناه على هجونا ثلاثة آلاف فأعطه على مدحنا ثلاثة آلاف فأخذ الاعرابى ستة آلاف وانصرف * تقدم ذكر عمرو مزيقيا وهو الذى خرج من اليمن بسيل العرم ومزيقيا لقب له وكان أبوه عامر بن حارثة الازدى من الاجواد أيضا وكان يلقب ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الغيث فقالوا ماء السماء لانه خلف منه وقيل لولده بنو ماء السماء وقد قال بعض الانصار فى شعر له يفخر بذلك

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدى * أبوه عامر ماء السماء

وجاء فى الحديث فى شأن هاجر فتلكم أمكم يا بنى ماء السماء وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الاحوص

ما من مصيبة نكبة أرمى بها * الا تشرفنى وترفع شانى

واذا سألت عن الكرام فاننى * كالشمس لا تخفى بكل مكان

وقال غيره

وقد شاع ذكرى فى البلاد فمن لهم * باخفاء شمس ضوءها متكامل

ومن الاجواد غيره من ذكر الجنيد الذى يقول فيه أبو جويرية

ذهب الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد السلام

أصبحا ثاويين فى بطن قبر * ماتغنى على الغصون الحمام

وقد احتجت أنا الى هذا المعنى فى حديث جرى فقلت فى قصيد مطوّل

صدق الشاعر المجيد الذى قا * ل يبكى خليله وصفيه

ذهب الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد التحيه

والشعر بكماله والحكاية بكمالها مذكورة فى التكميل والشئ يعرف بضده

وقال أبو على البصير

لعمر أبيك مانسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوّح نبتها رعى الهشيم

ومما قلته فى الكرام

ذكرت الكرام ومامنهم * أنا غيرأنى أحب الكرام

وانى أروم لحاقا بهم * فغيرى ذالك مع الملك رام

فنال مناه وكم رمية * قد اردت وماجالب الهلك رام

ودونك شعرا قوافيه طرّا * ثلاث مرارا الكرام الكرام

وها أنا أرجع من بعد ذا * بعون الاله لباقى الكلام

أذكرتنى هذه القافيه شعرا قلته فى أحد الاصحاب

أيا عابدالله أنت الوفى * وعن مثلك الخلف قد ينتفى

وعدت بوعد فهل لك يا * خليلى بما قلته أن تفى

وانى أحبك مهما وفيت * فهل تشتهى أنت فى أن تفى

وقافية ان تأملتها * تجد ينبغى ان تفى ان تفى

وذلك فأل وحاشاك أن * تكون كذاك ولكن تفى

واذا اجتمع الى الكريم الصدق والحلم وانضاف اليهما الصبر والعلم فقد تمت خصاله وتناهى كماله ويدخل تحت الصبر الشجاعه ومايحتاج اليه فى جميع أعمال الطاعه لان الطاعة عمل والصبر عليها بالمداومة عمل آخر وكفى بالصبر شرفا فاقول مبحث الصبر

النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الايمان فقال الصبر وفى حديث آخر قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله ولن يفترقا والصبر صبران صبر على الطاعة كما تقدم وصبر عن المعصية وجاء فى الخبر الصبر على ثلاثة أوجه صبر على المصيبة وصبر على ما أمر الله به وصبر عما نهى الله عنه فمن صبر على المصيبة كان له بذلك ثلثمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الارض ومن صبر على ما أمر الله به كان له بذلك ستمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الثرى ومن صبر عما نهى الله عنه كان له بذلك تسعمائة درجة مابين كل درجتين كما بين العرش الى الارض السفلى ومما قيل فى الصبر

وانى اذا لم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

وفوق الصبر درجة أعلى منه وهو الرضاء بالقضاء فمن رضى رضى الله عنه وكذا جاء فى الحديث فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ولا تصدر هذه الأخلاق الا عن الكرماء الحلماء وأشجع الناس وأقواهم من ردّ غضبه بحلمه وقال عليه الصلاة والسلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال على رضى الله عنه الخير الذى لا شرّ فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة وكم من منعم عليه غير شاكر ومبتلى غير صابر * ومن أسنا لهم الحلم مطية وطية وروى عن على رضى الله عنه انه قال لرجل ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك وقال أيضا رضى الله عنه الحلم لا يظهر الا عند الغضب فمن أغضب ولم يحلم فليس بحليم وقال الشاعر

ليست الأحلام فى حال الرضى * انما الأحلام فى حال الغضب

يروى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أسمعه رجل كلاما محرجا فقال له عمر أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تنال منى غدا انصرف يرحمك الله وقال بعض العلماء اذا لم تكن حليما فتحلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن تحر الخير يعطه ومن توق الشرّ يوقه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقرى رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فاذا برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا ابنك قتله أخوك هذا فوالله ما قطع كلامه ولا حل حبوته حتى فرغ من حديثه وأنشأ يقول

الصرعة بوزن همزة من يصرع الناس

أقول للنفس تأسيا وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم التفت الى أخيه وقال له يا أخى أنت رميت نفسك بسهمك وقتلت ابن أخيك ثم قال لابن له آخر قم يا بنى فوار أخاك وحل كتاف عمك واحمل الى أمك مائة ناقة دية عن ابنها فانها غريبة منا * ونوع من هذا يحكى عن صلة بن أشيم انه دخل عليه رجل و بين يديه طعام فنعى اليه أخاه فقال له هلم فتعجب الرجل وقال هل سبقنى اليك بنعيه أحد قال نعم قول الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وكل نفس ذائقة الموت وكان الاحنف يقول ما نازعنى أحد قط الا أخذت عليه فى أمرى باحدى ثلاث خصال ان كان فوقى عرفت قدره وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه وقيل للاحنف من أحلم أنت أو معاوية فقال معاوية قدر فحلم وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس به وجعل لرجل ألف درهم على أن يسفه الاحنف فقال منه والأحنف عنه معرض فلما رآه لا يرد عليه أقبل يعض أنامله و يقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه وفى مثل هذا أنشدوا

أسمعنى عبد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلب ان عضا

ولى فى هذا المعنى وسمعت رجلا ينشد

اذا نطق السفيه فلا تجبه * ودعه فالسكوت له جواب
أيحمل باللبيب يعض كلبا * اذا ما عضه ماذا صواب

وقالوا فى هذا المعنى لا تعاقب شاتمك فما يعاقب الاحمق بمثل السكوت وأنشدوا

وما شئ أحب الى سفيه * اذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب * أشد على السفيه من السباب

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ما يرى الحليم من بركة حلمه ان الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال أبو سليمان الدارانى أحضر الناس جوابا من لا يغضب * وشتم بعض السفهاء المهلب فلم يلتفت اليه فظن أنه لم يسمعه فقال اياك أعنى فقال له المهلب وعنك أعرض و ينشد فى مثل هذا

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فأجوز ثم أقول لا يعنينى

ووقع بين أبى مسلم و بين بعض أصحابه كلام فأغلظ له فيه فأطرق أبو مسلم فلما

سكنت فورة الغضب عن الرجل ندم وعلم أنه قد أخطأ فقال له أيها الامير والله ما انبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى استنطقتني فاغفر لي قال قد فعلت قال انى أحب ان استوثق لنفسي فقال أبو مسلم سبحان الله كنت تسيء فأحسن فحين أحسنت أسيء وما أحسن قول الشاعر في ذلك

فلم يرني ضعفة متشدد * ولم يرني شدة متلين

وقال رجل للاحنف ان قلت لي كلمة لتسمعن مني عشرا فقال له الاحنف لكنك لو قلت لي عشرا لم تسمع مني واحدة وقال عيسى عليه السلام احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشرا وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك والله يدخل لا معي وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو ينال منك ويذكر أشياء رحمتك منها قال فهل سمعتني أذكره بشيء قال لا قال فاياه فارحم وقال مساور الوراق

انى وهبت لظالمي ظلمي * وغفرت ذاك له على علم

مازال يظلمني وأرحمه * حتى رثيت له من الظلم

وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه علي الجرائم

فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف فضله * وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فان قال صنت عن * اجابته نفسي وان لام لائم

وأما الذي مثلي فان قال أوهفا * تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

ومر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خاف الله تعالى لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال أبو الدرداء رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب وقال عليه الصلاة والسلام لرجل سأله أن يعلمه كلمات يعيش بهن وقال له الرجل لا تكثر علي فأنسى فقال له لا تغضب * وقال بعض الحكماء الغضب يفسد الايمان كما يفسد العسل الصبر وشتم رجل الشعبي فقال له الشعبي ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك ومن

منثور الحكم اذا أردت أن تحتمل المكارم فاحتمل المكاره وشتم رجل يوما الحسن رضي الله عنه فبالغ في شتمه فقال له الحسن أما أنت فلم تبق شيئا وما يعلم الله أكثر وكذلك قال الاحنف لمن سبه الذي ستر الله علينا أكثر مما قلت وكان معاوية رضي الله عنه يقول لو كانت بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت قيل وكيف قال اذا جبذوها أرسلتها واذا أرسلوها جبذتها وقال اني لآنف أن يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي وقسم يوما قطفا فأعطى شيخا منها قطيفة فلم يرضها وأقسم أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه واخبره بقسمه فقال له معاوية أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ * الشيخ يقع على الكبير السن وكذلك الشيخة في المرأة المسنة ويقع على الثيب من قوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ويقال الشيخ أيضا للرجل العالم وان لم يكن مسنا وكذلك الرجل العظيم القدر ولي من قطعة

ينادينني يا شيخ لا عن كرامة * كما قد ينادى الناس أهل المراتب

يقال شاخ الرجل يشيخ شيخا وشيخوخة وشيخته دعوته شيخا للتعظيم والتبجيل وجمع الشيخ شيوخ وأشياخ وشيخة ومشيخة وشيخان ومشايخ ولي من قطعة عددها عشرة أبيات كل أحرفها منقوطة فيها ذكر الشيخ

تخضب شيبة تخضيب غش * شيخ نبذت نبذ شخ ضنين

وقبله خشيت تجنبي فخضبت شيبي * ففتنني ببيت بقتضيني

تخضب البيت أنظرها في التكميل مع أخرى * شيوخ ليس مثلهم شيوخا *

وكيف أجيز هذا القسم بالمدح تارة وبالذم أخرى مع قسم آخر تشيخوا قبل أن تشيخوا وقال معاوية رضي الله عنه اني لأجد للعفو عن الذنب العظيم لذة وأريحية ما أجدها الشيء من لذات الدنيا وطاف يوما بالكعبة فزحم جنده السائب بن صيفي فسقط فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال ارفعوا الشيخ فلما قام قال ماهذا يا معاوية تصرعوننا حول البيت أما والله لقد أردت أن أتزوج بامك فقال معاوية ليتك فعلت فجاءت بمثل أبي السائب يعني عبد الله بن السائب وقال له أبو مسلم الخولاني يوما وكان قد حبس العطاء عن الناس شهرين أو ثلاثة يا معاوية ان هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك فأشار معاوية الى الناس ان امكثوا ثم دخل فاغتسل ثم رجع فقال أيها الناس ان أبا مسلم قد ذكر ان هذا المال ليس بمالي

ولا مال أبي وصدق أبو مسلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفئ النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل أغدوا على عطاياكم على بركة الله * ومن جوده وحلمه رضي الله عنه انه بعث عامل من عماله اليه بأجمال فرت الابل على الحسين بن علي رضي الله عنهما فأخذ منها عشرة أجمال فعزلها وقال هذا حقي وبقي لي أكثر منه فلما بلغ ذلك معاوية كتب اليه

يا حسين بن علي ذا الأمل * لك عندي وثبة لا تحتمل
ليس بعدي لك من يحملها * ليس بعد المال والوثب عمل
انما أحذر أن تبلى بمن * عذره قد سبق السيف العذل

وهذا المثل أول من قاله خزيم بن نوفل الهمداني في خبر طويل ذكره البكري أذكر معناه مختصرا قاله لسعيد بن النعمان كان له اخوان فأراد تجربتهم فعمد الى كبش فذبحه ثم أضجعه في قبته وغشاه بثوب ثم دعا أحد اخوانه وكان أوثقهم به في نفسه فقال يا أبا فلان اني قتلت فلانا فما عندك قال وما تريد قال أن تعينني عليه حتى أخفيه قال لست لك بصاحب وفعل ذلك مع ابن نوفل المذكور فقال له لهان ما فزعت فيه الى أخيك وحضر ذلك عبد لسعيد فقال له هل اطلع على هذا غير عبدك هذا قال لا فأهوى خزيم الى العبد بالسيف فقتله وقال ليس عبد بأخ لك فقال سعيد ما صنعت انما أردت تجربتك فقال خزيم سبق السيف العذل انتهى كلامه * وأما الذي ذكر أبو عبيد رحمه الله بأن قائل ذلك ضبة بن أد كان له ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة كلما رأى شخصا مقبلا قال أسعد أم سعيد فذهبت كلمته هذه مثلا وقد تقدم ذلك قبل فصل الحروف بيسير وجعل لرجل ألف درهم على ان يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر من أمه فسأله فقال له أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان منه ثم صارت الى العاص فولدت فأنجبت فان كان جعل لك شيء فخذه * وقال بعض العلماء ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يكفه عن المحارم وخلق حسن يداري به الناس * وقال الحسن رضي الله عنه من كان فيه أربع خلال حرمه الله على النار وأعاذه من الشيطان الرجيم من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب ويروى انه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه

أم عمرو بن العاص

محمد

محمد بن الحنفية رضي الله عن جميعهم كلام فافترقا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب الى الحسين بن علي بن أبي طالب أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه أبونا علي لا أفضلك فيه ولا تفضلني وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل أمي ما وافين بأمك فاذا قرأت رقعتي فالبس رداءك ونعليك وتعال فترضني واياك ان أسبقك الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه فترضاه رضي الله عنهما وعمن اقتدى بهما * ومما يتعلق بهذا الباب العفو عن الجاني لاسيما مع المقدرة عليه كما يروى عن علي رضي الله عنه اذا قدرت على عدوك فاجعل عفوك عنه شكرا للمقدرة عليه ومن أمثالهم في هذا المعنى لا تشن حسن الظفر بقبيح الانتقام * ويروى عن يحيى بن خالد أن رجلا جفاه فأمر باحضاره وقال له أتعلم اني قادر على اساءتك قال بلى قال فانصرف فانما يمنعني منك قدرتي عليك ومن أمثال الحكماء الاقتدار يمنع الحر من الانتصار وقيل لبعض الحكماء وكان من أهل المقدرة ان فلانا ينتقصك فلو عاقبته قال ذلك أعذر له في انتقاصي هذا كله مع ترك اعتذار الخاطئ وأما اذا اعتذر وأقر بالذنب فالعفو عنه في حكم المروءة واجب أو قريب منه ألم تسمع قول الشاعر

اذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

آخر اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

وقال بعضهم العفو عن الذنوب لذة لا يبلغها بل العليل من الاسقام ويحكى ان المأمون عتب على ابراهيم بن المهدي فلما دخل عليه أنشده

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه

فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه

ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

ومثل هذا حكى ابن أبي داود قال ما رأيت رجلا عاين الموت ملء عينيه فلا أذهله ولا أشغله عما كان يجب أن يفعله غير تميم بن جميل أتي به الى المعتصم بالله في جناية جناها فدعا بالسيف والنطع وكان تميم رجلا وسيما يملأ العين فلما رآه المعتصم أراد أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره فقال له يا تميم تكلم وان كان لك عذر فأت به وان

مبحث العفو

كان لك حجة فأدل بها فقال أما وقد أذن أمير المؤمنين في الكلام فاني أقول وذكر خطبة بليغة يقول فيها بعد كلام حين * ان الذنب يخرس الألسنة ويصدع الأفئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو أو الانتقام وأرجو أن يكون العفو أقربهما منك وأسرعهما اليك وأولاهما بك وأشبههما بخلائقك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي * وأي امرئ مما قضى الله يفلت
وأي امرئ يدلي بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل على السيف فيه فأسكت
وما جزعي من أن أموت وانني * لأعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

فضحك المعتصم وقال كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد وهبتك للصبية وعفوت عن الهفوة وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفرات وأحسن وأجمل السيرة ومثل قول تميم * وما جزعي من أن أموت وانني * قول الدراح الضبابي

فلا السجن أبكاني ولا القيد شفني * ولا انني من خشية الموت أجزع
بلى ان قوما قد أخاف عليهم * اذا مت ان يعطوا الذي كنت أمنع

ذكر البيتين ثابت في الدلائل وساق عليهما حكاية شريفة حدث عن بعض القرشيين انه قال لما قدم علينا عبد الرحمن بن الضحاك واليا بالمدينة اجتمع اليه القرشيون فقال يا معشر قريش لكم عندي ثلاث لعلي أن أقصر قالوا فاهن قال والله لا يأتيني فيكم خير الا عجلته ولا شر الا أخرته ولا أطلع على سر منكم من وراء حجاب وكان والله على أكثر مما قال وولينا سنتين وبعض أخرى ثم أتاه العزل فاجتمعنا اليه كاجتماعنا له قبل ولايته فاستعبر وانتحبنا حوله فقال أيكم ينشد قول الدراج الضبابي وذكر البيتين ثم قال والله ما بكائي جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية غير اني أخاف

أن يلي هذه الوجوه من لا يرعى لها حقا قلت هذا والله هو الوفاء لا الجفاء وعلى الناكث العفاء واللفاء ان الحجاج على ما كان عليه من قلة الحياء وكثرة سفك الدماء قد كان ينفع عنده الصدق أحيانا فيعقب الاساءة احسانا قال المدائني حبس الحجاج رجلا في مائة ألف فأخذ فأتي به اليه فقال لقتيبة احتفظ به ليلتك ثم بكر به علي فانصرف به قتيبة الى منزله فأحضر له العشاء فامتنع منه فقال له قتيبة مالك لا تتعشى قال للذي في صدري أصلحك الله من البلبال والذي أشفيت عليه من الهلكة وان أخالي هلك وأوصى الي فلست آمن على تركته الضياع وأنا محتاج الى ان أوصي فيها قال له قتيبة لو كان لك من يضمنك لتركتك تأتي منزلك وتحكم أمرك قال الله كفيلي قال قتيبة كفى بالله كفيلا انطلق فانطلق الرجل وخشي قتيبة أن يؤخذ به فجعل لا يتقار ليله حتى أصبح فأتاه الرجل مصبحا فقال له قتيبة ما الذي خلفك الى هذا الوقت قال التجهز للموت أخرني فركب قتيبة الى الحجاج وانطلق به معه فلما رآه الحجاج قال أين صاحبك قال قد جئت به أيها الامير وأخبره خبره فقال له الحجاج فاني قد وهبته لك فخرج اليه قتيبة فقال له ان الامير قد وهبك لي وقد وهبتك لله عز وجل فقال الرجل نعم القادر الله ولم يزد عليها وانطلق الى المسجد فصلى ركعتين ثم أقبل الى قتيبة فقال له قتيبة أعلمتك اني قد مننت عليك وأعتقتك فلم تشكرني الشكر الذي يشبه ما كان مني فقال أحببت ان أبدأ بشكر الله تعالى فأخلصه ولا أشرك به أحدا فقلت ما سمعت ودخلت المسجد فصليت ركعتين وحمدت أمرك الى الله عز وجل فكتب قتيبة على خاتمه من يومئذ نعم القادر الله * وشبيه بهذا الخبر ما يحكى ان ملكا من الملوك كان له يوم بؤس اذا خرج فيه ولقي أحدا على صورة يكرهها حبسه أياما معلومة ثم أمر بضرب عنقه فخرج يوما من تلك الايام فلقي رجلا غريبا قاصيا لم يكن عنده علم بشأنه على الصفة التي كان يكرها فأمر بحبسه وأعلم الرجل بالامر فحمد الله وسلم للقدر فلما قرب الامر كتب الى الملك يرغبه في تخلية سبيله ليودع أهله ويوصي في ماله فأحضره وقال له هذا أمر لا يكون الا بضامن آخذه بما أطلبك به فنظر الرجل في الحاضرين يمينا وشمالا ثم مد يده الى رجل منهم وقال هذا يضمنني فقال الملك أتضمنه وقد عرفت ما يراد به قال نعم فأمر بحبسه مكانه ونهض المضمون الى بلده فأوصى في ماله وودع أهله وانصرف وقد وافق قدومه يوم تمام المدة فلما استأذن على الملك امر باحضارهما معا وقال للضامن ما حملك على ضمانه والمخاطرة بنفسك

فى شأنه ولو تأخر ساعة لسبق السيف العذل قال له أيها الملك ما رأيت وقد وثق بى ان أخالف ظنه فى فرجع الى المصمود وقال له ما حملك بعد تخلصك على المجىء وقد علمت المراد بك قال له لم يكن يحمل بى ان أراه بمكان الثقة فيرانى بمكان الغدر فعجب من وفائهما جميعا وعفا عنهما ورفع بؤس ذلك اليوم فلم يقصده بعد * وكان يذكر أن ربعى بن خراش رضى الله عنه لم يكذب قط فأقبل ابناه من خراسان وكان الحجاج يجد فى طلبهما فأعلمه بعض العرفاء بوصولهما فبعث الحجاج الى ربعى ليختبر حقيقة ما وصف به فلما جاءه قال له أيها الشيخ قال له ما تريد قال له ما فعل ابناك قال الله المستعان هما فى البيت قال الحجاج لا جرم والله لا أسوءك فيهما أيداهما لك وربعى هذا هو الذى آلى أن لا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أم فى النار قال الحارث الغنوى وهو الذى روى هذا الحديث عنه فلقد أخبر فى غاسله عنه انه لم يزل متبسما على سريره وهو يغسله حتى فرغنا منه وكذلك كان أخوه ربيع بن خراش آلى أيضا أن لا تفتر أسنانه ضاحكا حتى يعلم أين مصيره قال فما ضحك الا بعد موته وكان لهما أخ تكلم بعد موته بكلام حسن فيه رجاء وخير والحمد لله * ذكر هذه الاخبار الامام أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى الدنيا فى كتاب الآيات ومن تكلم بعد الموت والكتاب قرأته على أبى الحسن على بن مؤمن القرطبى لقيته بمكة شرفها الله تعالى وقرأت عليه وأجازنى رضى الله عنه أذكرنى حديث ربعى رضى الله عنه قول الله تعالى وكان أبوهما صالحا انظر كيف أنجى الله الابنين بصلاح أبيهما ولم يسؤه فيهما وقد كان حصلا من الاسد فى شدقه فخلصهما الله بصدقه اذ لا سلاح أحسن من الصلاح ولا جنة أوقى من التقى وانظر ماذا حصل لذلك النمام من الآثام ولم ينل فى نمه سوى ان شرق بهمه وغرق فى غمه ولم يثبت به فى قلب من سمعه من المحبة وزن حبة فقل يا بنى عبد الرحيم لذلك النمام الرجيم

أفلس لست تساوى * اذا عملت المساوى

بل انت للشيخ ابليس فى الفعال المساوى

فاحذر طريق المعاصى * فان فيها مهاوى

وكل من سار فيها * فانه ثم هاوى

وللهوى هوة من * هوى بها فهو ثاوى

فاتركه رأسا أخى لا * تركن اليه وتاوى

وكن لكل قبيح * معاديا ومناوى

وللجميل وفعل الصلاح يا شهم ناوى

وهذه ابيات لزوميات أضرب بها وجوه القتات ويكفيه المسود الوجه بعد هذا النجه ماقال فيه النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات ولى فى هذا المعنى الاولى ياصاح ان الله ينفع بالصلاح

عصيت الهى فخفت الدواهى * وخنت ولم أطع الناصحا

فلو كنت برا لما خفت ضرا * ونلت المنى غاديا رائحا

وكان صلاحى وكان * يقينى يقينى لردى الفادحا

كذا سنة الله فى الخلق فاقرأ * وأما الجدار الى صالحا

تجد حفظ الابن من أجل صلاح أبيه فأصلح تكن رابحا

ولا حول للعبد فى ذاك الا بمولاه فاهتف به صائحا

الهى لى افتح طريق الصلاح فلاهم ان كنت لى فاتحا

وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا من قول ابن عباس رضى الله عنهما حفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا * وقال محمد بن المنكدر ان الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه فى دويرته والدويرات التى حوله مادام فيهم وقال خيثمة ان الله ليطرد بالرجل الواحد الشيطان من الأدور * وذكر ابن أبى الدنيا فى الكتاب المتقدم وقرأته بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه قال عدت شابا من الانصار فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب فقال بعضنا لأمه احتسبيه قالت أوقد مات قلنا نعم قالت أحق ماتقولون قلنا نعم فمدت يدها الى الله تعالى وقالت اللهم انى آمنت بك وهاجرت الى رسولك ماذا نزلت بى شدة دعوتك ففرجتها عنى وأسألك اللهم أن لا تحمل على هذه المصيبة اليوم قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا * ومما جاء فى النمام فى بعض الآثار أن موسى عليه السلام خرج يستسقى ببنى اسرائيل ثلاث مرات فلم يسقوا فقال الهى عبادك فأوحى الله اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك لان فيهم نماما قد أصر على النميمة فقال يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما

قلت والكذاب شر من النمام الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئل أيكون المؤمن كذابا قال لا وقيل له أيكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل أفيكون جبانا قال نعم وقال فى الكذاب لا وقال الله تعالى انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال الشاعر

ان الهموم أغطى دونه خبرى * وليس لى حيلة فى مفترى الكذب

وقال آخر

لى حيلة فيمن ينم * وليس فى الكذاب حيله

من كان يكذب ما أراد * فحيلتى فيه قليله

ذكر هذه الابيات ثابت رحمه الله وقال قال أبو زيد يقال منه رجل نم من قوم نمين وامرأة نمة من نساء نمات * يروى عن عبد الله بن حسين انه كان يقول لكل تاجر رأس مال ورأس مال صاحب الحديث الصدق وقد تقدم عن النسابة البكرى يصف العلم حيث قال ان للعلم آفة وهجنة ونكدا ثم قال ونكده الكذب فيه وقال ابن المعتز لو تميزت الاشياء لكان الصدق مع الشجاعة والكذب مع الجبن والتعب مع الطمع والراحة مع اليأس والحرمان مع الحرص والذل مع الدين وهذا كلام جامع ولمن استعمله نافع وقال سليمان بن سعد لو صحبت رجلا فقال لى اشترط على خصلة واحدة ولا تزد عليها قلت له لا تكذب اقتدى هذا بقول النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى جاءه وأسلم وقال له انى أستسر بخلال قال وما هى قال الزنا والكذب والسرقة وشرب الخمر فأيتهن تحب أن أدعها لك سرا تركتها قال له دع الكذب فلما خرج من عنده هم بالزنا ثم قال يسألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت كذبت ونقضت عهده وان أقررت لزمنى الحد فتركه وقال مثل ذلك فى السرقة وشرب الخمر فتركهن جميعها ثم جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال قد تركتها أجمع يارسول الله * وقال أبو حنيفة لرجل وسمعه يقول ما كذبت كذبة قط فقال ابو حنيفة أما هذه فواحدة أشهد بها عليك * وقال الاصمعى لرجل كذاب أصدقت قط قال أكره ان أقول لا فأصدق وفى الصحيح ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا اؤتمن خان * ويروى ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وعد رجلا من قريش أن يزوجه ابنته فلما كان عند موته أرسل اليه وزوجه وقال كرهت ان ألقى الله بثلث النفاق والكذب كله حرام وقبيح ومنتن مفضح وهو فى اللسان

لا فى القلب ومن قبحه وفضيحته ان اللسان يكذب فيكذبه القلب * وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول الكذب فجور والنميمة سحر فمن كذب فقد فجر ومن نم فقد سحر وقال النبى عليه الصلاة والسلام اذا كذب العبد تباعدت عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به ولم يرخص فى شئ منه الا فى ثلاثة موا طن عند الحرب فانها خدعة والرجل يصلح بين اثنين فيقول خيرا و ينمى خيرا والرجل يرضى امرأته وفى هذا كله لا يقصد الكذب المحض ولكنه ورّى * وقد جاءات فى المعاريض لمندوحة عن الكذب ومعنى مندوحة أى سعة وفسحة يقال ندحت الشئ ندحا وسعته يعنى ان الرجل يتسع فى المعاريض عن الكذب اذا اضطر الى ذلك والمعاريض ما اذا اضطر الانسان اليه ورّى بغيره وعرّض بسواه والتورية مثل ماجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوة ورّى بغيرها وهذه مكيدة من مكايد الحرب وحيلة والحرب خدعة مثال ذلك ان يريد غزوة الشرق مثلا فيسأل فى الظاهر عن طريق الغرب وكيف السفر فى تلك الجهة وكيف الماء ونحو أشياء من هذا النوع حتى يشيع فى الناس انه يريد ذلك الوجه المخالف لمقصوده فتذهب بذلك الجواسيس فتأمن أهل الجهة التى يريد أن يقصدها فيلقى أهلها وهم قارّون مطمئنون فيأخذهم بغتة وهذا ضرب من السياسة مستحسن عند أهل الرياسة و بقى هنا شئ وهو اذا كان مصلحة العسكر فى افشاء السر امالبعد الطريق واما لكثرة العدو فلا يسعه الا اظهار الوجه الذى يقصده كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وكما جاء فى الحديث فلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها فلما أراد غزو الروم ورّى بتبوك واستقبل مفازات وسفرا بعيدا وغزو عدد كثير جلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك صلى الله عليه وسلم يروى عن ابراهيم ان رجلا أتاه فقال له انى اعترضت على دابة وانها نفقت ولست أعطى عطائى الا ان أحلف انها الدابة التى اعترضت عليها فقال ابراهيم اذهب فخذ دابة فاعترض عليها بجسدك ثم احلف انها الدابة التى اعترضت عليها وأنت تعنى اعتراضك بجسدك خرجه أبو عبيد رحمه الله وكما يروى ان أحد الفضلاء اضطره بعض الملوك الى أكل طعامه وكان لا يرضاه فقال له أصلحك الله الصائم لا يأكل صدق فى قوله وأخفى فطره فيه وكان بعضهم يقول لاهله اذا طلبت فى الدار فقولوا اطلبه فى المسجد وربما قيل لبعض الناس هل عندك نار فيقول له مرّ للفرن

ولا يكذب وكان رجل له امرأتان فقالت له احداهما بحضرة الاخرى من تحب منا أكثر فقال لا أقول لكما الآن شيئا ثم اشترى رأسا وأكله مع احداهما وقال لها لا تعلمي بذلك ضرتك وفعل مع الأخرى مثل ذلك فلما اجتمعوا بعد ذلك قالت احداهما المقالة الاولى لمن تحب أكثر فقال للتي أكلت معها الرأس فسكتت كل واحدة منهما وقالت في نفسها أنا وقد صنع مثل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه انه اجتمع عنده أزواجه ذات يوم وقلن يارسول الله أينا أحب اليك فوعدهن الغداة ثم أعطى لكل واحدة منهن خاتما من غير أن يعلم غيرها ثم قال لهن بالغداة اجتمعن فلما اجتمعن قال صاحبة الخاتم أحب الي ويروى عن شريح انه دخل على زياد في مرضه فلما خرج من عنده قيل له كيف تركت الامير قال تركته يأمر وينهى فقد كذلك لمسر وق فقال ان شريحا صاحب تعريض فاسألوه ما معناه فسئل قال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء

(فصل في السعاية وقلة الرعاية) سعى بعض الناس الى بعض الولاة برجل فقال له من حدثك بذلك قال الثقة قال ان الثقة لا يبلغ وقال الشاعر

اذا الواشي سعى يوما صديقا * فلا تدع الصديق لقول واشي

أتى رجل الوليد بن عبد الملك وهو على دمشق لأبيه فقال للامير عندي نصيحة فقال ان كانت لنا فأظهرها وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها قال جار لي عصى من بعثته قال أما أنت فتخبر انك جار سوء فان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أقصيناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال بل تاركني قال قد فعلت * وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة فقال لاصحابه اذا شئتم فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك على رسلك اياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك أو تكذبني فانه لا رأي للكذوب أو تسعى بأحد الي وان شئت أقلتك قال أقلني قال قد فعلت * ووشى واش برجل الى الاسكندر فقال له أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وقال ذو الرياستين قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبل وأجاز فامقت الساعي على سعايته وان كان صادقا لؤمه في هتك العورة واضاعة الحرمة مبارزة لله عز وجل بقول البهتان والزور وقال بعض المحدثين

لعمرك ماسب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

تقدم من قول عبد الملك رحمه الله اذا شئتم وتلك علامة كانت بينه وبين أصحابه اذا أراد أن يقوموا عنه وكذلك قال أصحاب معاوية لمعاوية انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فكنا نريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك فقال علامة ذلك أن أقول اذا شئتم وقيل ذلك ليزيد فقال اذا قلت على بركة الله وقيل ذلك لآخر فقال اذا ألقيت الخيزرانة من يدي * رجع الكلام الى ذكر الحجاج

خرجت من ذكر سفاك لأفاك * ومنهما لنموم بالبرى شاكى
بالله أيهم شر الثلاثة قل * هم سواسية مافيهم زاكى
لكن نفسي للحجاج قالية * لانه شر قتال وفتاك
لو لم يكن غير قتل ابن الزبير كفى * وبعده ابن جبير الخاشع الباكى
الى ألوف سوى هذين حكم في * رقابهم كل ماض الحد بتاك
جورا وظلما وعدوانا بكل فتى * بر تقى زكى غير شكاك
لكنني لا أقول النار منزله * فالله يغفر كلا غير الاشراك

اتفق العلماء على تفسيقه واختلفوا فى تكفيره وذكروا له قبائح يشنع ذكرها فمن جراءته وظلمه ماخرج ابن قتيبة انه خطب يوما فقال فى خطبته سوطى سيفى ونجاده فى عنقى وقائمه فى يدى وذبابه قلادة لمن اغتر بى فقال الحسن بؤسا لهذا ما أغره بالله وحلف رجل بالطلاق ان الحجاج فى النار ثم أتى امرأته فمنعته نفسها فأتى ابن شبرمة يستفتيه فقال يا ابن أخى امض فكن مع أهلك فان الحجاج ان لم يكن فى النار لم يضرك أن تزنى وان كان فى النار برت يمينك وهذا القول لا يغتر به وليس عليه العمل لانه أمر غيب وقد صرح ابن شبرمة ان الرجل على هذه الحالة زان لقوله لم يضرك أن تزنى والله أعلم بمذهبه وأخبار الحجاج كثيرة مروية وانما أردت أن لا أخلى هذا الكتاب من فائدة ويقال آخر ماقال الحجاج اللهم اغفر لى فان هؤلاء يزعمون انك لا تفعل * تقدم فى البيت ذكر ابن الزبير وهو أبو خبيب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضوان الله عليه وهو أول مولود ولد فى الاسلام وقيل أول مولود ولد فى الاسلام الحسن بن على ولد سنة اثنتين من الهجرة وأول طعام دخل فى جوفه أعنى ابن الزبير ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش كما قال فيه عبد الله بن عمر رضى الله عنه حين وقف عليه مصلوبا فسلم وقال السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك

ذكر ابن الزبير

أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله ما علمتك الا صواما قواما وصولا للرحم أما والله لأمة انت شرها لأمة خير ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله فأرسل اليه فأنزله عن جذعه وألقي في قبور اليهود ثم ارسل الى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فأبت أن تأتيه فأعاد اليها الرسول لتأتيني أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك قال فأبت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الي من يسحبني بقروني قال فقال أروني سبيبتي فأخذ نعليه ثم انطلق يتوذف حتى دخل عليها فقال كيف رأيتيني صنعت بعدو الله قالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك بلغني انك تقول له يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي بكر الصديق رضي الله عنه من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن في ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا اخالك الا اياه قال فقام عنها ولم يراجعها هذا نص مسلم من قوله السلام عليك أبا خبيب الى هنا وكان ابن الزبير رحمه الله اذا قال له عدوه يا ابن ذات النطاقين على جهة التعيير ينشد

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وصدر هذا البيت لابي ذؤيب الهذلي

وعيرني الواشون اني أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فان أعتذر منها فاني مكذب * وان تعتذر يردد على اعتذارها

ويروى فتلك شكاة نازح عنك عارها * وهذا بين وأما الرواية الأخرى فمعنى ظاهر أي عال عنك أي ليس يصيبك ولا يلحقك ومن هذا المعنى قول الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوا عليه وكذلك الحديث والشمس في حجرتها قبل ان تظهر أي تعلو على السقف وفضائل ابن الزبير رضي الله عنه كثيرة روى ابن جريج عن ابن أبي مليكة قال ذكرت ابن الزبير عند عبد الله بن عباس فقال رضي الله عنه كان عفيفا في الاسلام قارئا للقرآن والله لا حاسن نفسه محاسنة لن أحاسنها لابي بكر ولا لعمر أبوه الزبير وأمه أسماء وجده أبو بكر وعمته خديجة وجدته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته عائشة رضي الله عنها وذكر حديثا طويلا رضي الله عنهم وكان سبب فتنته وقتله ان معاوية لما قدم مكة شرفها الله تعالى دعاه الى

البيعة ليزيد ابنه فأبى عليه وقال أكره أن أبايع لرجلين أيكما أطيع بعد أن أعطيكما العهود والمواثيق فان كنت ملكتنه الامارة فبايع ليزيد فنحن نبايعه معك وفى رواية أخرى انه قال اخترمنا خصلة من ثلاث قال ان فى ثلاث لمخرجا قال اما ان تفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا قال لم يستخلف أحدا قال وماذا قال أو تفعل كما فعل أبو بكر رضى الله عنه قال فعل ماذا قال نظر الى رجل من عرض قريش فولاه قال وماذا قال أو تفعل كما فعل عمر قال فعل ماذا قال جعلها شورى فى ستة من قريش قال ألا تسمعون انى قائم فقائل مقالا لئن صدقت فعلى صدقى وان كذبت فعلى كذبى والله لا ينطق احد منكم فى مقالتى الا ضربت عنقه ثم قام خطيبا فقال ان فلانا وفلانا قد بايعوا فبايعوا ثم ركب نجائبه وانصرف الى الشأم فبايعه الناس فلما مات معاوية تثاقل ابن الزبير عن طاعة يزيد بن معاوية فبلغ ذلك يزيد فأقسم لا يؤتى به اليه الا مغلولا والا ارسل اليه فقيل لابن الزبير ألا نصنع لك غلا من فضة تلبس عليه الثوب وتبر قسمه فالصلح اجمل بك قال لا أبر والله قسمه ثم قال

ولا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قال والله لضربة بسيف فى عز أحب الى من ضربة بسوط فى ذل ثم دعا الى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد فكان آخر أمره أن قتل رحمه الله فى المسجد الحرام وجعلت الجيوش تدخل من ابواب المسجد فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم ويقول *لو كان قرنى واحدا كفيته* وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمى عدوه بالآجر فأصابته آجرة فى مفرقه حتى فلقت رأسه فوقف قائما وهو يقول

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أعقابنا تقطر الدما

ثم سير اليه فأخذ رأسه ثم صلب منكوسا فجاءت امه وهى مكفوفة البصر فقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب ان ينزل فقال الحجاج المنافق فقالت والله ما كان منافقا ان كان لصواما قواما برا فقال انصرفى يا عجوز فقد خرفت فقالت لا والله ماخرفت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فأنت فلما أبى عليها قالت وددت أن لا أموت حتى يدفع الى فأغسله وأحنطه وأكفنه ثم أدفنه فلم يلبثوا أن جاء كتاب عبد الملك ان يدفع الى اهله فأتى به اسماء فغسلته ثم كفنته ثم دفنته وعاشت بعد ذلك ثلاثة أيام وكان سنها مائة سنة لم يسقط لها سن رضى الله عنهما *(فصل)* واما ابن

مقتل سعيد بن جبير

جبير ففضله ايضا مشهور وفى الدواوين مذكور * ذكر ابن قتيبة فى الامامة والسياسة انه لما قدم على الحجاج سعيد بن جبير قال له ما اسمك قال أنا سعيد بن جبير فقال الحجاج بل انت شقى بن كسير قال سعيد أمى أعلم باسمى واسم أبى قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد العلم يعلمه غيرك قال لأوردنك حياض الموت قال سعيد أصابت أمى اذا اسمى قال الحجاج لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد لو أنى اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال الحجاج فما قولك فى محمد صلى الله عليه وسلم قال سعيد نبى الرحمة ورسول رب العالمين وامام المتقين وسيد المرسلين قال فما قولك فى الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال اشتمهم أو امدحهم قال سعيد لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسى قال الحجاج أيهم أعجب اليك قال حالاتهم تفضل بعضهم على بعض قال الحجاج كيف قولك فى على بن أبى طالب رضى الله عنه أفى الجنة هو أو فى النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من فى النار من أهلها علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ وحجب عنك قال الحجاج فأى الرجلين انا يوم القيامة قال سعيد أنا أهون على الله من أن يطلعنى على الغيب قال الحجاج أبيت أن تصدقنى قال سعيد بل لم أحب ان أكذبك قال الحجاج دع عنك هذا كله أخبرنى مالك لم تضحك قط قال لم أر شيئا يعجبنى فكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار و يوم القيامة حسابه وهو يصبح ويمسى وقد وصفت له النار قال الحجاج فأنا أضحك قال سعيد ليست القلوب كلها بالسواء قال الحجاج مارأيت من اللهو شيئا قال لا أعلمه فدعا الحجاج بالعود والناى فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى سعيد عند ذلك فقال الحجاج ومايبكيك قال ذكرتنى ياحجاج أمرا عظيما والله لاشبعت ولارويت ولا اكتسيت ولازلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو قال سعيد بل هذا والله الحزن ياحجاج أما هذه النفخة فقد ذكرتنى النفخ فى الصور وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك يوم القيامة وأما هذا العود فنحت من عود قطع بغير حق قال الحجاج أنا قاتلك قال سعيد فرغ من سبب موتى قال الحجاج أنا أحب الى الله عز وجل منك قال سعيد الله أعلم بالغيب منك قال الحجاج كيف ترى مايجمع لامير المؤمنين قال لم أر منه شيئا فدعا الحجاج بالذهب والفضة والياقوت فوضع بين يديه فقال هذا لأمير المؤمنين كيف ترى ياسعيد قال ان تحملت له ياحجاج أن تشترى له بها الامن من الفزع الاكبر يوم القيامة فهو صالح

والا

والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ولا تنفع الاموال يوم القيامة الا ما طاب
منها قال الحجاج فنحن نرى جميعها طيبا قال برأيك جمعته قال أتحب انه لك قال
لا أحب ما لا يحبه الله قال الحجاج ويلك يا سعيد قال الويل يا حجاج لمن زحزح عن
الجنة وأدخل النار قال اذهبوا به فاقتلوه قال أشهدك يا حجاج انه لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أستحفظكهن حتى ألقاك فلما أدبر به
ضحك قال ما يضحكك يا سعيد قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك قال
اضربوا عنقه قال حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فقال الحجاج اصرفوه عن القبلة
الى قبلة النصارى فصرف عن القبلة فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله فصلى
سعيد ثم قال اللهم لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي ولا تبقه بعدي واجعلني آخر قتيل
يقتله قال فضربت عنقه فما قضى حتى خولط الحجاج وجعل يصيح قيودنا قيودنا
يعني القيود التي كانت في رجلي سعيد بن جبير متى كان الحجاج يسأل عن قيود
أو يعني بها ويروى انه قال اختر أي قتلة شئت فقال له ابن جبير بل اختر أنت
لنفسك فان القصاص أمامك انتهى كلامه رحمه الله * استجاب الله دعاء سعيد التقي
واستريح من الحجاج الشقي ويروى انه أخذه الكزاز على اثر قتل سعيد فما زال
مكزوزا حتى مات وكان يصيح في كزازه مالي ولسعيد بن جبير وقيل لما قتل سعيد
ابن جبير خرج منه دم كثير فهال الحجاج ذلك فأرسل الى طبيب فسأله فقال انك
قتلته وهو مستجمع ليس فيه من خوفك شئ * وتوفي الحجاج بواسط في آخر شهر
رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وكانت امرته على العراق
عشرين سنة وكان رجلا قصيرا صغير العينين ناتئ الجبهة جهير الصوت كأن صوته
يخرج من شدقيه وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه عبدا اسود يكنى ابا عبد الله
لرجل من بني أسد بن خزيمة قد اشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد فأعتقه وكان
مجاب الدعوة يروى انه كان له ديك في قفص يضعه عند رأسه فاذا صاح قام الى
الصلاة فاعتل ليلة الديك فلم يصح فنام سعيد فدعا عليه فقال قطع الله صوتك قال
فما صاح بعد ذلك وكانت أمه تقول له لا تدعون على شئ وكان قد فر الى مكة من أجل
الحجاج وترك امرأته حبلى فولدت غلاما فسمته عبد الله فلم يره سعيد حتى قدم عليه
مكة وقد اخضر شاربه ولقي سعيد وهب بن منبه رضي الله عنهما بمنى فشكى اليه

ذكر الحجاج ووفاته

خروجه من وطنه وخوفه من الحجاج وقال له قد خرجت وتركت جنينا في بطن أمه فارأيته حتى اخضر شاربه خوفا من الحجاج فقال له وهب ان الصالحين كانوا قبلكم اذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا فقالوا ماذا يريد بنا ربنا فسرى عن سعيد بن جبير وقال الاوزاعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا سلط عليه من يظلمه وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه اذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يظلمه وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما أغبط رجلا لم يصبه في هذا الامر اذى (قلت) يعني عمر رضي الله عنه ما أصاب العلماء والفضلاء من المحن والفتن اذ كانوا يؤمرون بأن يقولوا القرآن مخلوق ويحملون على سب الصحابة وعلى البيعة لمن لا يرضون فمنهم من ضرب ومنهم من حلق رأسه ولحيته ومنهم من سجن ومنهم من اختفى وستره الله فممن ضرب سعيد بن المسيب رحمه الله جلد مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وطيف به حتى ان كانت الدور بالمدينة لتغلق كراهية النظر اليه اعظاما له وما يسمع فيها الا بكاء بالشر وبعد ذلك أمر به الى السجن وسبب ذلك انه لما جاءت بيعة سليمان مع بيعة الوليد بن عبد الملك ابن مروان كره أن يبايع لهما جميعا فأمر أن يفعل به ما تقدم ولما جاء الكتاب بذلك سألوا الوالي أن لا يعجل عليه وأن يخوفه بالقتل فعسى أن يجيب فأرسلوا مولى له وقالوا اذهب فأخفه فجاءه وهو في مسجده وهو يصلي فبكى المولى فقال له سعيد ما يبكيك ويحك قال مما يراد بك جاء كتاب فيك ان لم تبايع قتلت فجئتك لتتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك قال ويحك قد وجدتني أصلي أفتراني كنت أصلي ولست بطاهر وثيابي غير طاهرة وأما ما ذكرت من العهد فاني أضل عن أرسلك ان كنت بت ليلة ولم أفرغ من عهدي فاني لم أكن لأبايع بيعتين في الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت بيعتان فاقتلوا الحدثاء فحمل الى الوالي ففعل به ما ذكر ثم انه لما خلي سبيله اتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فسمع المؤذن فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له مالك يا أبا محمد قال ما سبقني اليه المؤذن منذ أربعين سنة وكان يسمى حمامة المسجد ويوم الحرة لم يبق في المسجد غيره وكان أعمى فكان اذا كان وقت الصلاة سمع أذانا من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامة الصلاة فكلما سمع الاذان قام وصلى وحده وكان أهل الشأم يدخلون عليه زمرا فيقولون انظروا الى هذا الشيخ المجنون

(ذكر بعض ما أصاب العلماء من الفتن والمحن)

وسيأتي

وسيأتي طرف من فضائله في باب الواوات شاء الله تعالى وكذلك ممن ضرب
من أهل المدينة محمد بن المنكدر وربيعة بن عثمان التيمي وربيعة بن أبي عبد
الرحمن وحلق رأسه ولحيته وأقيم للناس وعثمان بن عبد الله بن رافع ومحمد بن
عمران بن طلحة ونفي من المدينة والفضال بن عبد الله بن محمد بن عون وعبد الرحمن
ابن عبد الله الجهني وضرب الدراوردي وضرب مالك بن أنس فوق القميص مائة
سوط وخلعت كتفه فكان اذا مشى اتكأ على معن بن عيسى فكان يقال له عصية
مالك الطول مكثه معه وأصابه فتق في بطنه فكان يخرج منه الريح فلم يشهد جماعة
ولا جمعة سبع سنين وممن ضرب من أهل البصرة قتادة بن دعامة السدوسي وعبد
الله بن عوف وثابت البناني وأبو نصر ومن أهل الكوفة عبد الرحمن بن أبي ليلى
وعبد الرحمن بن الأسود وأبو حنيفة وسجن ومات في السجن وكان أريد على القضاء
فأبى فقيل له ان الوالي قد حلف ان لا يخرجك حتى تلي فقال لو سألني أن أعد له
أبواب المسجد لم أفعل وحلف ان لا يلي فقيل له قد حلف أمير المؤمنين فقال أمير
المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني فمات مسجونا وله سبعون سنة
وممن ضرب من أهل اليمن وهب بن منبه وضرب أحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله
عنهم نقلت هذا كله من كتاب محمد بن شبل رحمه الله وممن توارى وفر امام الخلفاء
سفيان الثوري رضي الله عنه وكان فراره من أبي جعفر المنصور وفر الى مكة منه فدخل سفيان الثوري
ومنادي أبي جعفر ينادي ألا من آوى سفيان الثوري فقد برئت منه الذمة فقال
سفيان الى بعض أزقة مكة فرفع يديه نحو السماء وهو يقول يارب حرمك وأمنك يا من
فيه الطير والوحش وسفيان لا يأمن فيه فبينما هو يطوف بالبيت اذا به في الطواف
معه فقيل له يا أمير المؤمنين هذا الثوري الذي تجعل فيه الجعائل فلما حاذاه ضرب
على منكبه فحس به فقال له أتعرفني قال ما أعرفك ولكني أحسست في ضربتك
انها ضربة جبار قال له ابو جعفر ما منعك ان ترفع الينا ظلامات الناس وتعظني فأفعل
وأفعل فقال له سفيان يا أمير المؤمنين علمت انك رجل تقرأ القرآن وكل من يقرأ
القرآن ولم يتعظ به لا يتعظ بشيء أبدا قال فكان مالك رحمه الله يعجبه هذا الكلام
من الثوري ويراه وجه العمل في ذلك قال أبو عمر بن عمر الشيباني ودخل سفيان
الثوري على المهدي فالتفت اليه الحاجب وقال له يرسل اليك أمير المؤمنين
وتأبى أن تأتيه ما أولاك كأنه يتهدده فقال اسكت يا هامان فقال يا أمير المؤمنين

ألا تسمع مايستقبلني به عندك فقال له ويلك اسكت اذا أنت عنده هامان فما أنا عنده فجلس الثوري عنده ساعة ثم قال انى أردت البول فقال له المهدى على ان ترجع فقال له نعم فمضى الثورى ثم رجع فأخذ نعليه فاستبطأه المهدى فقال ياقوم أماتخشون أن تسقط السماء علينا كسفا ياقوم أماتخشون أن تنشق الارض من تحتنا فنذهب فيها اسفا الا قيل له ماهو يا أمير المؤمنين قال مثل الثورى يكذب فقيل له انه قد رجع فأخذ نعليه ومضى فقال خدعنا والله قال ومات الثورى متواريا عند حماد بن زيد بالبصرة فغسله حماد وأخرجه الى باب المسجد فقالوا جنازة الثورى فذهب به الى المقابر فى نحو من عشرة أو خمسة عشر قال حماد فوالله مابلغنا المقابر حتى صرنا فى نحو من عشرة آلاف رقبة فأقام الرجال والنساء على قبره ثلاثة أيام يصلون عليه رضي الله عنه ومات رحمه الله وهو ابن أربع وستين سنة

وحدث أحمد بن عبيد فى أخبار الحجاج انه لما حضره الموت قال أسندونى وأذن للناس فدخلوا عليه فذكر الموت وكربته واللحد ووحشته والدنيا وزوالها والآخرة واقبالها ثم أنشأ يقول أخبار الحجاج

ان ذنبى وزن السموات والارض وظنى بخالقى أن يحابى

فلئن منّ بالرضى فهو ظنى * ولئن مرّ فى الكتاب عذابى

لم يكن ذاك منه ظلما وهل يظلم رب يرجى لحسن المآب

ثم بكى وبكى جلساؤه ثم أمر بكتاب يكتب الى الوليد بن عبد الملك بن مروان أما بعد فقد كنت أرعى غنما أحوطها حياطة الناصح الشفيق فجاء الاسد فبطش بالراعى ومزق المرعى كل ممزق وقد نزل بمولاك مانزل بأيوب الصابر وأرجو أن يكون ذلك تكفيرا لما حصل من ذنوبه ثم كتب فى آخر الكتاب

اذا مالقيت الله عنى راضيا * فان سرور النفس فيما هنالكا

فان مت فاذكرنى بذكر محبب * فقد كان عما فى رضاك سالكا

لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا * ونحن نذوق الموت من بعد ذلكا

فى أبيات كثيرة ثم دخل عليه أبو يعلى بن مجالد المجاشعى فقال كيف ترى مابك ياحجاج من غمرات الموت وسكراته فقال يا أبا يعلى أرى ألما فظيعا ونزعا جريضا وسفرا طويلا وزادا قليلا فويلا وويلا ان لم يرحمنى الجبار فقال له انما يرحم الله من عباده

الرحماء أولى الرحمة والتحنن والتعطف على عباده وأنت قتلت الصالحين وأفنيتهم وأطعت المخلوق فى معصية الخالق وضربت الابشار وسست سياسة متكبر جبار عززت بنى مروان وأذللت نفسك وعمرت دورهم وخربت دارك فاليوم لا ينجونك ولا يغنونك لقد كنت لهذه الامة اهتماما واغتماما وعناء وبلاء فالحمد لله الذى أراحها منك فكأنما قطع لسانه عنه فلم يحر جوابا وتنفس الصعداء وخنقته العبرة ثم قال

رب ان العباد قد آيسونى * ورجائى بك الغداة عظيم

ولما مات رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة فقيل له فما تنتظر قال ماينتظره الموحدون وقال على بن جدعان أخبر الحسن بموت الحجاج فسجد وقال اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة * أحصى من قتل الحجاج بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا سوى من قتل بسببه فى الملاحم والحروب وأطلق سليمان بن عبد الملك من سجنه سبعين ألفا قد حبسهم للقتل وأمر أن يبتتوا معناه يكسوا بتا بتا وجمع البت بتوت والبتى الذى يعمله والبت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ لونه أخضر كذا فسره ثابت قال وقد يجوز أن يكون معنى يبتتوا يزودوا وأنشد على المعنى الأول قول الراجز

يارب بيضاء عليها بت * بت السويق لحمها واللت * كما بنى بخت العراق القت

واستشهد على القول الآخر بقول طرفة بن العبد

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

قال البتات هو من لم تستزد له زادا وكان الحجاج بلاء على الناس لا يبالى بما يقول ولا بمن يوقع وحسبك أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال فيه لو جاءت كل أمة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقد كان سجن رجلا من اليمن وحبس معه ابراهيم التيمى فكان الحجاج اذا أراد أن ينام أتاه فى المنام آت يقول له أخرج اليمانى فلم يزل كذلك ليلته كلها حتى أصبح فلما أصبح دعاه فأخرجه وقال له اذهب بسلام ثم أتى اليمانى الى السجن ليودع ابراهيم التيمى فقال ادع الله لى فقال اليمانى ان أطعته لم يعصك أولم يخالفك * خرج ثابت من حديثه ان الحجاج قال ماذكرت قول ابن عمر وأنا على المنبر كذبت الا ندمت أن لا أكون ضربت عنقه فقال له عبد الله بن عبد الله

ابن عمر لو فعلت لصعر الله رأسك فى جهنم ذكره ثابت فى الدلائل وسيأتى فى باب الواو بقية الخبر وذكره أبو عبيد وقال لكوسك الله فى النار رأسك أسفلك وذلك ان الحجاج قال وهو على المنبر ان ابن الزبير بدل كلام الله وغيره فقال له عبد الله بن عمر كذبت وكذلك قال لأنس بن مالك رضى الله عنه لأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة فقال أنس من يعنى الامير قال اياك أعنى وقال كلمة سبه بها أجل مولاى انساعن ذكرها رضى الله عن أنس خرج هذا ثابت ورأيت لغيره ان أنس بن مالك رضى الله عنه قال بينما الحجاج جالس وقد أمر باخراج خيله اذ التفت الى فقال أين هذه الخيل من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنس هيهات هيهات يا حجاج وأين هذه الخيل من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل رسول الله قد أعدها فى سبيل الله أرواثها وأبوالها ثقل فى الميزان ونور يوم القيامة وخيلك هذه أعددتها فى سبيل الشيطان أرواثها وأبوالها نقص فى الميزان وظلمة عليك يوم القيامة فالتفت الحجاج اليه فقال والله لقد هممت بقتلك فقال له أنس ما أنت على ذلك بقادر يا حجاج قال ولم ألست الامير عليك قال بلى ولكنى خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فعلمنى كلمات اذا أنا قلتها فى يومى وليلتى لم أخف شيطانا ماردا ولا سلطانا جائرا مع تيسير الحوائج وقضائها فقال له الحجاج هاتها فقال له أنس والله ما أراك لهن بأهل فلما حضرت الوفاة أنسا بعث الى أخ له من اخوانه فقال له اكتب ماعلمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى بعثه بالحق لولا ماحضرنى من الوفاة ماعلمتكها قل اذا أصبحت وأمسيت الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على كل شئ أعطانى ربى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله خير الاسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله ربى ولا أشرك به شيئا اللهم انى أسألك من خيرك الذى لا يعطيه غيرك أللهم اجعلنى فى عياذك وجوارك وأعذنى من الشيطان الرجيم وأستجيرك من جميع ماخلقت وأعوذ بك منهم ثم اقرأ قل هو الله أحد قال عبد الملك بن حبيب وانا أحب للرجل أن يدعو بهذا الدعاء كلما أصبح وأمسى قلت واذ وقعنا فى الدعاء فلا نخلى هذا الكتاب من فائدة فيه حدثنى العثمانى رحمه الله بالاسكندرية بلفظه من الحديث المسلسل الى جعفر بن محمد رضى الله عنه كل شيخ فى السند يقول حدثنى فلان و يقول عن هذا الدعاء الذى يأتى ذكره

فكتبته فجعلته في جيبي وذلك لعظمه عندهم لان الله أنقذنه راويه جعفر بن محمد من أمر عظيم والحمد لله انظره بسنده وحكايته في المسلسلات قال محمد بن جعفر حدثني أبي عن جدي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول دعاء الفرج اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي" أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها علي" قل لك بها شكري وكم بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويامن قل عند بلائه صبري فلم يخذلني ويامن رآني على الخطايا فلم يفضحني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم أعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك واغفر لي مالا ينقصك يا الهي أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله * ورأيت في كتاب محمد بن شبل ولم أره انه لما دخل على ابي جعفر حرك شفتيه فلما رآه أبو جعفر نهض اليه فاعتنقه وأجلسه معه ثم عاتبه وقال له قد رفع الي" أن الاموال تجبى اليك بالسوط ولا عصي ثم أمر بالرافع فأحضر فقال له أبو عبد الله أحق مارفعت الى أمير المؤمنين قال نعم قال فاستحلفه يا أمير المؤمنين قال أبو جعفر رد اليمين عليه فقال له أبو جعفر احلف فقال والله الذي لا اله الا هو فقال له أبو عبد الله رضي الله عنه ليس هكذا لأن العبد اذا مجد الله في يمينه أمهله بالعقوبة ولكن قل أنا بريء من الله والله بريء مني وأنا خارج من حول الله وقوته راجع الى حول نفسي وقوتها قال فحلف فوالله مارفع الا ميتا فراع ذلك أبا جعفر وقال انصرف يا أبا عبد الله قلت أسألك بعدها عن شيء قال فسئل عن الذي حرك به شفتيه عند دخوله فقال قلت اللهم بك أستفتح وبك أستنجح وبنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أتوجه اللهم ذلل لي حزونته وكل حزونة وسهل لي صعوبته وكل صعوبة اللهم أعطني من الخير فوق ما أرجو واصرف عني من الشر فوق ما أحذر فانك تمحو ماتشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وهذا دعاء آخر حسن أيضا اللهم ان استغفاري اياك مع كثرة ذنوبي للؤم وان تركي للاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك

لعجز الهى كم تتحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك سائلك عند بابك قد ذهبت أيامه وبقيت آثامه وانقطعت شهواته وبقيت تبعاته فارض عنه فان لم ترض عنه فاعف عنه فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض سبحان من اذا توعد عفا واذا وعد وفى لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير * رجع الكلام يروى ان الحجاج أتى بمانوى فأمر بقتلهم فلما وصل الى أحدهم قال له يا حجاج لا جزاك الله عن السنة خيرا فان الله عز وجل يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله عز وجل فى كتابه وقد قال شاعركم

وما نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل القلائد

فقال لهم الحجاج ويحكم أفعجزتم عن مثل هذا وأمسك عن الباقين وأمر بقتل آخر وجعل يسبه اقتلوا ابن الفاعلة فقال له بئس ما أدبتك به أمك يا حجاج أبعد الموت منزلة أصانعك عليها أما خشيت أن أرد عليك مثل الذى قلت لى فاستحيا منه وأمر باطلاقه * هذا الرجل هو عمران بن حطان كان ممن خرج على الحجاج فلما أطلقه قال له أصحابه والله ما أطلقك الا الله فارجع الى حربه فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
انى اذا لأخو الدناءة والذى * طهرت على أفعاله جهلاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته
وتحدث الأقوام أن صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته
أأقول جار على انى فيكم * لأحق من جارت عليه ولاته
تالله لا كدت الامير بآلة * وجوارحى وسلاحها آلاته

وأتى يوما بامرأة حرورية فقال لاصحابه ما تقولون فى هذه فقالوا اقتلها أصلح الله الامير ونكل بها ليعتبر غيرها قال فتبسمت الحرورية فقال لها لم تبسمت فقالت لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك يا حجاج قد استشارهم فى قتل موسى فقالوا أرجه وأخاه وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلى فضحك الحجاج وأمر باطلاقها وكذلك يروى انه أمر بتقديم قوم للقتل فقام رجل من الأسرى فقال أيها الامير ان لى عندك يدا قال وما هى قال سمعت ابن الاشعث يسبك فرددت عليه قال ومن يشهد

لك بذلك فقام الرجل فقال أنشد الله رجلا سمع مقالتى الا شهد لى فقام رجل من الأسرى فقال صدق فقال الحجاج أطلقوا هذا ثم أقبل على الآخر فقال ما منعك ان ترد عليه أنت كما رد عليه هذا قال لقديم بغضى فيك فقال وهذا أيضا أطلقوه لصدقه ويروى ان معن بن زائدة كان عزم على قتل جماعة من الاسرى وكان من الكرام كما تقدم فلما أمر باخراجهم للقتل ومثلوا بين يديه قام اليه أصغر القوم سنا وقال له يامعن أتقتل الاسرى وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشبعوا وارتووا قام اليه فقال له يامعن أتقتل أضيافك فحلم عنهم وخلى سبيلهم وتعجب من حيلة الفتى وأما سوء سيرة الحجاج وقبح سريرته فقد خرج ابن قتيبة فى عيون الأخبار انه خطب الناس حين أراد الحج فقال أيها الناس انى أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابنى هذا وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الانصار أوصى أن يقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم وانى أمرته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون بعدى مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا مخافتى ستقولون لا أحسن الله له الصحبة ألا وانى معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل * قلت والشئ يذكر بضده ويعرف بضده أنظر هذا الكلام وهذه النية أين هى من نية عبد الرحمن بن الضحاك والى المدينة الذى تقدم قبل وأين هذا وهذا من نية أحد الأمراء الذى أصيب فى سمعه فتأسف لذلك وقال والله ما أسفى على سمعى وانما أسفى على انى لا أسمع نداء المظلوم ثم قال لا جرم ان كان ذهب سمعى فقد بقى بصرى لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم ثم جعل يطوف فى البلد يتفقد المظلومين قلت والكلام أيضا فى هذا الفن طويل عريض وفى الناس الصحيح والمريض

دع عنك تذكار حجاج وسيرته * كل امرئ سوف يجزى بالذى فعلا
واذكر حديث فتى ما ان أراق دما * أيام دولته هذا بما فعلا

حدث عن أحد الولاة المتأخرين انه أقام فى رعيته مدة ما أراق فيها لأحد محجمة دم الا رجلا واحدا أخذ فى جريرة فسجنه مدة ثم ألح عليه فيه فاستفتى فيه فقهاء ذلك الموضع فأفتوا بقتله وصلبه فأمر به فقتل وصلب فكان يركب فيقف عليه ويقول الله يعلم أيها الانسان انى برئ من دمك * وأغرب من هذا ما خرج أبو عمر فى كتاب الصحابة رضى الله عنهم عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغنى ان عمر بن عبد العزيز

جلد سوطا فى خلافته الا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط قلت كذلك ضرب الظهر وسفك الدماء شديد وقد جاء فيه أشد الوعيد اللهم الا فى اقامة الحدود فانها تعفر فيها الحدود وتقام على الآباء والجدود والحديث الجامع فى هذا المعنى كما تكونوا يول عليكم وقال عليه الصلاة والسلام خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة وذكر البخارى من وصية

الدعاء لولاة الامور

لصفوان ان أول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم اهراقه فليفعل ولا بد للناس من سلطان به يستقيم أمرهم وبه صلاحهم فالدعاء اذا لهم مهم كما قال بعض الصالحين لو كانت لى دعوة مستجابة لجعلتها فى السلطان ولى فى هذا المعنى من قطعة مطولة فى وصايا

وأخلص فى الدعا للخلق طرا * وخص به القضاة مع الولاة

فان صلحوا فيصلح من سواهم * فما المرعى الا بالرعاة

وقال عمر بن الفضل سألت أبا العلاء والحجاج فى غيابه فقلت يا أبا العلاء أسب الحجاج قال ادع الله له بالصلاح فان صلاحه خير لك من فساده وكذلك قال الحسن رضى الله عنه أيها الناس تعلمن والله ما سلط الحجاج عليكم الا عقوبة من الله فلا تعارضوا عقوبة الله بالحمية والسيوف ولكن عليكم بالذلة والاستكانة والتضرع والدعاء والتوبة وكان يتلو هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وكان يقول انى لأعجب ممن خف عليك كيف خف مع هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى * وقد روى ان مالك بن دينار قال وجدت فى بعض الكتب يقول الله عز وجل أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدى فمن أطاعنى جعلتهم عليه رحمة ومن عصانى جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الى أعطفهم عليكم وكذلك قال الرشيد لعلى بن عتيق فى جملة ما وصاه به أطع الله يعطفنى عليك وقال سهل رحمه الله أطيعوا السلطان فى سبعة ضرب الدراهم والدنانير والمكاييل والاوزان والاحكام والحج والجمعة والجهاد ولا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم

وقال

وقال آخر من لم ير طاعة السلطان على نفسه فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن يأتيه من غير دعوة فهو جاهل فان كان السلطان عادلا فقد تمت النعمة وان كان جائرا فالصبر عليه خير من القيام عليه واعتزاله سلامة وقال سحنون اذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة فينبغي أن لا تقبل شهادته وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان الجائر وقال ابن عباس رضي الله عنهما للرجل الذى سأله آمر امامي قال ان كان فيما بينك وبينه فان خفت أن يقتلك فلا وقال الفضيل ليس الآمر والناهي من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم انما الآمر والناهي من اعتزلهم وللفقيه ابي عمران الميرتلي رحمه الله

تباعد عن السلطان لا تغش بابه * فتسلب دينا أو تصاب بفاقره
فليس بناج من ألم ببابه * وان هو أغناه وسدّ مفاقره
وما هو الا النار يحرق من دنا * اليه فلا تقرب به واخش بوادره

وقال ابن المبارك من اعتزلهم فقد أمرهم ونهاهم قلت هذا كله في غشيانهم واتيانهم فكيف بمن أكل من حلواتهم وانخط في أهوائهم فكأنه لم يسمع ما قيل فيمن أخذ منهم الدراهم فضلا عن المثاقيل المتلبس بمال السلطان كالسفينة في البحران أدخلت بعضه في جوفها أدخل جميعه ما في جوفه وما أقبح بالعالم أن يزور العامل ولذلك قال الاوزاعي ماشئ أبغض على الله من عالم يزور عاملا * وقال مكحول الدمشقي من تعلم القرآن وتفقه في الدين ثم صاحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما في يديه خاض في بحار جهنم بعدد خطاه * وقال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص * وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب * وقال الفضيل بن عياض لو كان للعلماء صبر ما تبذل هؤلاء بهم وقال أيضا واسوأتاه من أن يقال فلان القارئ قدم حاجا في نفقة فلان الفاجر والكلام الجامع في هذا المعنى من اقترب من السلطان افتتن ومن ابتلى بالدخول عليهم والقرب منهم فليسكت كما فعل الاحنف عند معاوية رضي الله عنهما روى الحسن قال ذكروا شيئا عند معاوية فتكلموا فيه والاحنف ساكت فقال معاوية يا أبا بحر مالك لا تتكلم فقال أخشى الله ان كذبت وأخشاكم ان صدقت ومثله ما حدث سفيان قال قدم الحجاج على عبد الملك وافدا ومعه معاوية بن قرة فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال

ان صدقنا كم قتلتمونا وان كذبنا كم خشينا الله فنظر اليه الحجاج فقال له عبد الملك لا تتعرض له فنفاه الحجاج الى السند وأقوى من هؤلاء ماقال بعض العلماء من ابتلى بالدخول عليهم فعليه أن يقول الحق ولا يداهن ولا يبالي ويصبر على الاذاية في الله ولا تأخذه في الله لومة لائم وعليه ان يقول الحق وان كان مرّا ويتق الله سرا وجهرا فيحب في الله البعيد ويبغض في الله القريب كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أحب لله وابغض لله وعاد في الله ووال في الله فانه لا تنال ولاية الله الا بذلك ولا يجد رجل طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك ويروى عن عيسى عليه السلام انه قال يامعشر الحواريين تحببوا الى الله ببغضكم أهل المعاصي وتقربوا الى الله بما يباعدكم منهم والتمسوا رضاه بسخطهم وتمام الخبر قالوا ياروح الله فمن نجالس قال من تذكركم بالله رؤيته ومن يزيد في علمكم منطقه ومن يرغبكم في الآخرة عمله وقول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فيه تصديق لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم فكان ذلك كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام بسطت عليهم الدنيا كما روى عبد الله بن حوالة الازدى رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر والعرى وقلة الشئ فقال أبشروا فوالله لأنا بكثرة الشئ أخوفني عليكم من قلته والله لا يزال هذا الامر حتى تفتح لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشأم وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل منكم مائة دينار فيسخطها قال ابن حوالة فقلت يارسول الله ومن يطيق الشأم وبها الروم ذات القرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة منهم البيض قمصهم المحلقة أقفاؤهم قياما على رؤس الاسود منكم المحلوق ما أمرهم به من أمر فعلوه وان بها اليوم رجالا لأنتم أهون في عيونهم من القردان في أعجاز الابل قال ابن حوالة قلت يارسول الله خرلي ان أدركني ذلك قال أختار لك الشأم فانها صفوة الله من بلاده واليها يجبي صفوته من عباده يا أهل الاسلام فعليكم بالشأم فمن أبى فليلحق بيمنه فان الله قد توكل لي بالشأم وأهله قال عبد الرحمن بن جبير فعرف أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم نعت هذا الحديث في جزء بن سهل السلمي وكان ولي الاعاجم وكان أويدم قصيرا فكانوا يعبرون به وتلك الاعاجم حوله قياما يأمرهم بأمره ويبتدرون اليه فيتعجبون من نعت هذا الحديث خرجه ثابت في الدلائل وفسره فما فسره منه قوله أخوفني قال هي لغة بمعنى أخوف مني عليكم قال وفيه لغة أخرى أخوفي عليكم بياء الاضافة وقال القمع جمع قمعة وهي من البعير السنام فأراد عليه الصلاة والسلام بقمعهم بيض ألوانهم وذكر القمع وهو مغرز العنق كما يقولون بيض السوالف وبيض الطلى لا يريدونها خاصة انما يدلون بها على بياض جميع الجسد وقال في صفوة ثلاث لغات صفوة وصفوة وصفوة فاذا نزعوا الهاء قالوا صفو لا غير وخرج في حديث آخر ان رجلا قام اليه فقال يارسول الله تخرقت عنا الخنف وأمرح بطوننا التمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كأعكة وجل طعامنا البرير وانا قدمنا المدينة على اخواننا وانما جل طعامهم التمر فأسوناه فيه واني لو قدرت لكم على الخبز واللحم لاطعمتكم منه وعسى أن يبقى منكم بقية حتى يغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى قال فقالوا يارسول الله أنحن اليوم خير أم ذلك اليوم قال بل أنتم اليوم خير أنتم اليوم متحابون وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض أراه قال متباغضون * البرير ثمر الأراك واحده بريرة وبه سميت بريرة وهو أسود وقد يقال له أيضا البريم واحده بريمة ومنه قولهم حته الله حت البريمة ومعنى أمرح أسهل وأوهى وقال صاحب العين الخنيف ثوب أبيض غليظ وقد طول الكلام على هذا البيت وليته لو طال ليت لأن فيه زائدا عن العلم ذكر فضائل أهل الكرم والحلم وما أجلها من اخلاق يرضى بها الملك الخلاق ولا ينكرها الا من ليس له في الادب من خلاق وقد سقت هنا حكاية طريفه عن امرأة من الاعراب ظريفه أختم لك بها هذا الفصل فاستعملها فهي نعم الاصل يروى ان امرأة من الاعراب وقفت على جماعة فقالت لهم ما الكرم يرحمكم الله قالوا بذل المعروف والايثار على النفس قالت هذا في الدنيا فما هو في الدين قالوا طاعة الله سبحانه وتعالى وبذل المجهود في عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك نفوسنا قالت لهم أتريدون بذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فأين الكرم قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو أن يعبد الله حق عبادته ولا يراد على ذلك جزاء حتى

يفعل بكم مولاكم مايشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشئ * قيل لرابعة العدوية رضى الله عنها هل عملت عملا قط ترينه قيل منك قالت ان كان فخوفى أن يرده على * ولى أيها الاخ المعظم فى هذا الكلام منظم وهو

الجود والكرم * والحفظ للحرم * والرعى للذمم * من أرفع الهمم
وبارئ النسم * مولاك قد قسم * بين الورى القسم * فى كلها الامم
فأبؤس تغم * وأنعم تعم * فاسمع أيا ابن عم * قولى وقل نعم
أشكر على النعم * واصبر على النقم * وارض الذى حكم * العادل الحكم
وهذه حكم * تضم لا تذم * نظمتها ابن أم * فاقصد لها وأم
ودن بها ودم * وانهض بها وقم * فانها شيم * ماان لها قيم

خرجت من شئ الى غيره * ولم أقف ها أناذا أخرج
لكن من علم الى مثله * أنت له من غيره أحوج

معكوس البيت

وحاء وخاء وحاء وحا * وجاء وجاء وحل وجل

أما الحاء فحرف هجاء عد ويقصر وقد تقدم ان اسمها اسم صورتها وانها من حروف الحلق وكذلك الخاء والحاء تشبه الهاء فى النطق حتى تجعل احداهما مكان الأخرى قال رؤبة * لله در الغانيات المره * يريد المرح ويروى المزه يريد المزح وجاء فى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة حتى تشقح وفى لفظ آخر حتى تشقه بالهاء ثم فسرا جميعا بمعنى واحد قلت وماتشقح والآخر وماتشقه قال تحمار وتصفار ويؤكل منها وتقول العرب هذا الامر مهم لى ومحم وقالوا أنه يأنه فهو آنه من قوم أنه فى معنى أنح يأنح فهو آنح من قوم أنح وقد تقدم هقهق فى السير وحقحق والأبه مثل الأبح والأجله مثل الأجلح وفى الشعر المتقدم

لله در الغانيات المره * سبحن واسترجعن من تأله

أى من تعبد وتنسك وقبل هذا يروى * برّاق أصلاد الجبين الأجله * ومن الأبه البوهة وهى البومة الصغيرة ويشبه بها الرجل الاحمق ومنه * ياهند لاتنكحى بوهة * وقال النعمان بن المنذر لرجل ذكر عنده رجلا بأمر أراد به شينه فكان ذلك زينه أردت أن تذيمه فدهته يريد مدحته * قوله أردت أن تذيمه أراد

تذمه

تذمه يقال ذمه يذمه ذمافهو مذموم وذامه يذيمه ذيمافهو مذيم وذأمه يذأمه ذأمافهو مذؤم وقال الله تعالى اخرج منها مذؤما مدحورا ومن الذام المثل لا تعدم الحسناء ذاما وربما أبدلت الحاء من العين في مثل معهم في لغة من سكن العين فتقول محهم ولكن لابد من التثقيل حكى ذلك عن بعض العرب وقالوا بعثرت الشئ وبحثرته كشفته واستخرجته وقالوا ادح في قفا ميدح في دع يدع بمعنى دفع وقد تقدم وقال الخليل لولا بحة في الحاء لأشبهت العين ولذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة وكذلك الهاء ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة معنى على حدة نحو قولك حي هل وكما قال هيهاؤه وحيهله في معناه هلم وهلا جئتنا ومنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وسيأتي الكلام عليه بأكثر من هذا ان شاء الله تعالى تقدم قول الخليل في العين والحاء وانهما لم يأتلفا في كلمة واحدة ومن قوله أخذ المعري بيته الذي يقول فيه

بعض الأقارب مكروه تقاربهم * وان أتوا لذوي قربى وأرحام
كالعين والحاء تأبى أن تقاربها * في لفظة قد حماها قربها حام

قال ابن السيد في شرحه لشعر المعري لا يوجد في كلام العرب عح ولا حع وكذلك الحروف التي مخارجها من الحلق أكثرها لا تتجاور في التأليف فلا يوجد في الكلام حاء تجاورها خاء مقدمة عليها ولا مؤخرة عنها وكذلك العين والغين فأما العين غير المعجمة فانها تجاور الخاء المعجمة في التأليف اذا تقدمت الخاء كقولهم النخع ولا تقدم العين عليها وأما الهمزة فتجاور الهاء متقدمة وكذلك العين تجاور الهاء في التأليف اذا تقدمت العين نحو عهد وعهن ولا تتقدم الهاء عليها وأما الهمزة فتجاور الهاء متقدمة ومتأخرة كقولك أهأت وهأهأت بالابل وتجاور جميع حروف الحلق اذا تقدمت عليها فاذا تقدمت هي قبل الهمزة فمنها ما تجاورها ومنها ما لا تجاورها ومما جاء مزجا في الكلام قولهم ابن المائة لا حاء ولا ساء أي لا محسن ولا مسيء ويقال معناه لا يستطيع أن يقول حاء وهو أمر التيس بالسفاد ولا ساء وهو دعاء للحمار وجاء في الحديث بيرحاء وهو اسم حائط أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه الذي تصدق به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح يروى بيرحاء وبيرحاء بفتح الراء وضمها والهمز والمد وأحسنها بيرحا بفتح الراء وقصر الألف على انه اسم مركب كبعلبك ورامهرمز والله أعلم وكان الاصيلي يقيدها بيرحاء بالمد وضم الراء وغيره يقول فيها بيرحا

بفتح الباء والقصر ويقال انما سميت بيرحا بزجر الابل عنها وذلك ان الابل يقال لها اذا زجرت عن الماء حاحا وحاء حى من مذحج قال الشاعر

طلبت الثار من حكم وحاء * وبنو حاء من حاء بن سعد وحاء موضع بالشأم وقوله في الحديث رابح بالباء من الربح ورائح بالهمز بمعنى الرواح أى يروح عليك بخير أو رائح الى الله تعالى يعنى انه متقبل والله أعلم والحائط عند العرب النخل المجتمع وان لم يكن عليه بناء وان كان محوطا بالحيطان فهو حديقة وبستان

(وأما حاء) فاسم فاعل من حاء واما وحافالواو أصلية والوحا مقصور بمعنى السرعة ومنه قولهم الوحا الوحا أى العجلة العجلة ومنه قول أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أين الوضاة وجوههم والمعجبون بشبابهم أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب تضعضع بهم الدهر فأصبحوا فى ظلمات القبور فالوحا ثم الوحا ثم النجا النجا خرجه الثقفى فى الاربعين وقرأته على الحافظ رحمه الله ومنه اشتقاق الوحى أى انه يجىء بسرعة وقد جاء الوحا فى الشعر ممدودا ذكره ابن دريد رحمه الله فى قصيدته التى جمع فيها بين المقصور والممدود فقال حاء

واذا سمعت وحا الزمان فلا تقصر فى الوحاء

وفسر الممدود بالسرعة والمقصور بالصوت وقال يقال سمعت وحا القوم أى صوتهم والفعل من هذا ثلاثى قال الراجز * وحى لها القرار فاستقرت * يعنى الارض أمرها بالقرار فقرت ويقال حزرها وأما أوحى بالالف فيتصرف على وجوه منها الارسال كما قال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح ومنها الالهام كما قال تعالى وأوحى ربك الى النحل أى ألهمها ويكون للاشارة كما قال الله تعالى فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا ويكون للاعلام فى المنام كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية ويقال وحى يحى وحيا اذا كتب وأوحى لغة فيه أيضا قال العجاج

* بقدر كان وحاه الواحى * وفى مقصورة ابن دريد

لا بد أن يلقى امرؤ ما خطه * ذوالعرش مما هو لاق ووحا

ويقال سمعت وحاة الرعد وهو صوته الممدود الخفى قال الراجز

يحدوبها كل فتى هيات * تلقاه بعد الوهن ذا وحات * وهن نحو البيت عامدات * نصب عامدات على الحال والوحى السيد ومعكوس شكل هذه اللفظة اذا كتبتها

وحاء بالالف احو يقال احواحو للكبش اذا أمر بالسفاد ومقلوبها حوى الشئ يحويه حيا وحواية اذا ملكه أجمع والحوية مركب يهيأ للمرأة وفى الحديث فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوى لها حوية خلفه يعنى صفية رضى الله عنها والحوية أيضا واحدة الحوايا وهى المباعر ويقال الحوايا ما تحوّى فى البطن أى استدار ويقال الحوايا بنات اللبن وهى متحوّية أى مستديرة وواحدتها أيضا حاوية وحاية وجمعها حاويات والحاوى صاحب الحيات واشتقاقه من الحية وقيل من التحوّى وهو الاستدارة والاوّل أحسن لانا نقول فى تحقيرها حيية قال الجوهرى الحاوى ليس من الحية وانما هو من كونه يحويها فى أوعيته وكذلك الحوى والحية تكون للذكر والانثى وانما دخلتها الهاء لانها واحد من جنسه كبطة ودجاجة على انه قد روى عن العرب رأيت حيا على حية أى ذكرا على أنثى وفلان حية ذكر والنسبة الى حية حيوى والحيوت ذكر الحيات وأنشد لرؤبة وتأكل الحية والحيوتا * وقد تقدم ومن التحوّى ما شرح الخطابى رحمه الله من حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أتانى جبريل ليلة أسرى بى بالبراق فقال اركب يا محمد فدنوت منه لاركب فأنكرنى فتحيا منى قال قوله فتحيا منى انما هو تحوّى أبدل الواو ياء والتحوّى أن يلتوى ويستدير ويقال انما سميت الحية لتلويها يقال حويت الحية تحوى حويا اذا استدارت ويقال بل سميت حية لطول حياتها وهى فيما يقال طويلة الحياة ويقال انها من أطول الحيوان زمانا وسيأتى فى آخر هذا الباب الحواء والاحواء والحوّ ان شاء الله تعالى ويقال للرامى اذا أخطأ اليحى واذا أصاب قيل له برحى ومجموع الوحى كل شئ دللت به من كلام أو كتاب أو اشارة أو رسالة وأصله كله السرعة ومنه وحى الحاجبين والشفتين والعينين والله أعلم وجمع الوحى وحى كحلى وحلى ومن شكل الوحى الوخى بالخاء المعجمة ومعناه القصد تقول العرب جزى الله الوخى خيرا أى العجلة وأما

جاء جاء فهو فعل ماض تقول منه جاء يجىء جيئة ومجيئا والجيئة أيضا قطعة نعل ترقع بها نعل أخرى ويقال أجئ هذا النعل بجيئة والجئة بكسر الجيم مجتمع ماء فى بسطة والجئوة بسكون الهمزة وبالواو سير يخاط به والجياءة بالمد وعاء توضع فيه القدر وجمعها اجاء مثل جراحة وجراح ويقال فيها أيضا جياء هذا قول الاصمعى وقال أبو عمرو الجياء والجواء يعنى بذلك الوعاء وقال الآخر مثله وفى حديث على رضوان

الله عليه لأن أطلى بجواء قدر أحب الىّ من ان اطلى بزعفران وأما الخرقة التى ينزل بها القدر عن الاثافى فهى الجعال فان قدمت الهمزة من جاء فقلت جأى فمعناه عض يقال جأى عليه جأيا اذا عضه ويقال فلان لا يجأى مرفه أى لا يحبس لعابه وسقاء لا يجأى شيئا أى لا يمسكه وأما وجاء فصدر اعرابه فى البيت فاعل بجاء والواو أصلية من وجأته وجأ والوجء فى الفصل أن ترض انثياه لينقطع ضرابه يقال منه وجئ وجاء فهو موجوء فاذا انزعت انثياه نزعا فهو الخصاء يقال منه خصيته خصاء فهو خصى وجاء منه فى الحديث أخصيته اخصاء وستراه بعد فاذا اشدت الانثيان حتى تندرا يقال عصبته عصبا فهو معصوب فاذا اقطع جميع ماهنالك فهو مجبوب وقد تقدم فى الحديث فعليه بالصوم فانه له وجاء وبقى من الباب مالا يتزن والواو أصلية وجا مقصور انوع من الضرب فيه عض و رض يقال منه وجأ يجأ ومنه فى الحديث فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى عائشة رضى الله عنها يجأ فى عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ فى عنقها رضى الله عنهم كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده وكن سألنه النفقة وجاء فى الحديث أيضا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا نعوذ بالله من سخطه وفى الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سقيما فوصف له الوجيئة وأمره أن يأتى الحارث بن كلدة أخا ثقيف وأنه يتطبب فليأخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن ثم ليدلك بهن ذكره الخطابى وقال الوجيئة التمر يبل بلبن أو سمن حتى يلزم بعضه بعضا ويؤكل والوجيئة أيضا الجراد يدق ثم يلت بسمن أو بزيت ويقال التمر يخرج نواه ثم يبل بلبن أو سمن ومن شكل هذه اللفظة وجا وهو الحفا مقصور يكتب بالياء يقال منه وجى الفرس بالكسر وهو ان يجد وجعا فى حافره فهو وج وأوجيته انا وانه ليتوجى ووجيت الدابة وجى فهى وجية ووجأى اذا حفيت وأوجيت الرجل زجرته وسألنى فأوجيت عليه اذا منعته ومن مضاعف جاء جأجأ تقول جأجأت بالابل اذا دعوتها الشرب فقلت لها جئ جئ والاسم الجىء وهأهأت بها اذا دعوتها للعلف ثم قد تستعمل فى غير الابل قال الشاعر

وما كان على الجىء * ولا الهىء امتداحيكا

الجىء الشراب أو الجىء الطعام ومن مقلوبها جوى فهو جو والجوى الماء المنتن قال الشاعر

قوله اذا عضه الذى فى القاموس وتاج العروس وجأى حأوا غطى يقال أجئ عليك هذا أى غطه اه

ثم

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا جو آجن ولا مطروق

فالجوى المتغير المنتن ومنه حديث يأجوج ومأجوج انهم يموتون فتجوى الارض منهم أى تنتن والآجن المتغير وهو دون الجوى فى النتن وهو الذى يروى فيه الحديث عن الحسن وابن سيرين رخص فيه الحسن وكرهه ابن سيرين وأما المطروق فهو الماء الذى خوضته الابل وبالت فيه فهو مطروق ويقال فيه أيضا طرق والطرق فى غير هذا الضرب بالحصى وهو ضرب من الزجر ومنه الحديث الطيرة والعيافة والطرق من الجبت قال لبيد

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

واجتويت الطعام واستجويته كرهته واجتويت الارض اذا لم توافقك وفى الحديث من هذا فى العرنيين الذين اجتووا المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى البادية وأن يشربوا من ألبان الابل وأبوالها الحديث والجوى موضع ويقال الجواء ايضا والجياء بالياء موضع توضع فيه القدر ومن شكل الجواء الحواء بالحاء المهملة أخبية يدانى بعضها بعضا والجمع أحوية والحواء أيضا ما يجعل على كفل البعير من كساء أو حلس مطوى ملوى شبه الكعكة يرفده الراكب وجاء منه فى الحديث فى شأن احدى نسوة النبى صلى الله عليه وسلم قال الراوى فرأيته يحوى لها خلفه ومنه قول المرأة التى نازعها زوجها فى ولدها فقالت ابنى يارسول الله كان له بطنى وعاء وثديى سقاء وحجرى حواء الحديث والحو جمع أحوى وفى الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم خير الخيل الحو والأحوى أهون سوادا من الجون وهو من أحمد الالوان قال الفرزدق * أغر من الحو اللهاميم اذجرى * البيت وسيأتى ان شاء الله تعالى والحو بالفتح مصدر حوى ومنه قولهم فلان لا يعرف الحو من اللو أى ما حوى مما لوى وربما قالوا فى هذا لا يعرف الحى من اللى يضرب مثلا للرجل الجاهل بالامور وأصلها حيو وليو اجتمعت واو وياء فقلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء كما قالوا طويت طيا وشويت شيا والقياس ان تبدل الياء من حوى واوا وتدغم فى الواو التى قبلها اتباعا للوى كما قالوا انى لآتيه بالغدايا والعشايا وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى والحوة لون يضرب الى السواد ومنه قيل شفة حواء وامرأة حواء الشفة ورجل أحوى اذا كان كذلك وقال الشاعر

لمياء في شفتيها حوّة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب

وفي القرآن العزيز فجعله غثاء أحوى قيل ان أحوى من نعت المرعى تقديره أخرج المرعى أحوى أي اخضر فجعله غثاء يضرب الى السواد من نعومته وخضرته ويجوز أن يكون حالا من مرعى وقيل هو من نعت الغثاء أي يابسا أحوى أي أسود من قدمه والغثاء ما يقذف به السيل على جانبي الوادي من الحشيش ومن شكل أحوى أخوى بالخاء المنقوطة يقال أخوى النجم وخوى اذا سقط ولم يكن معه مطر على ما كانت العرب تستعمله في كلامها وسيأتي ان شاء الله تعالى

خرجت من شئ الى غيره * ولم ألحق يا صاح ان أسكتا
ومن يكن يعلم علما فلا * يصلح اذ يعلم أن يصمتا

(فصل من الفوائد) تقدم قول النعمان أردت أن تذيعه فدهته مثل هذا قول الشاعر ان الذي تكرهون مني * ذاك الذي يشتهيه قلبي
وكما قال ابن شرف .

وربما عابه ما يفخرون به * يثنى من الخصر ما يهوى من الكفل

وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها أبا الحسن علي بن أبي الرجا الشيباني وهي من أحسن ما قال رحمه الله وفيها بيت عجيب وهو الذي أخبرتك عنه في أول الكتاب ان القاضي أبا الفضل عياض بن موسى رحمه الله استشهد به في بعض تآليفه في ضرب من البلاغة ولعمر الله انه لغريب وهو قوله

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والأفواه والمقل

فانظر كيف بنى هذا البيت على ثلاثة ألفاظ وهي سل وانطق وانظر ثم أتى بالجواب في ثلاثة ألفاظ تطابق كل لفظة مقابلتها على التوالي بلا تقديم ولا تأخير فان ملء المسامع مقابل لسل والافواه لانطق والمقل مطابقة لانظر ويكفي ابن شرف من الشرف ان استشهد به القاضي أبو الفضل وتلك غاية الفضل وقد رأيت ان أثبت لك هنا من هذه القصيدة ما أحفظه فانها من غرر القصائد وحسنها للالباب صائد أولها

رسم الشجي البكا في الرسم والطلل * والدمع حيلة أهل الفقد الحيل
أفنى دموعي وجسمي طول هجركم * حتى جرت دمعتي طلا على طلل
أبكي فلا جسدي أبقي ولا جلدي * مالو أصيب به جسم البلى لبلي

وحسن صبري فلا يغررك عن ضرر * مثل الملاحة في أجفان ذي السبل

وهذا البيت أيضا غرة في المعنى وذلك ان السبل داء ويكسب العين ملاحة وجمالا يقول فلا تغتر بحسن صبري فانه يؤدي آخرا الى الهلاك ثم قال من مديحها

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل

اسم حكاه المسمى في الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل

فالسيد الماجد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

زان العلى وسواه شانها وكذا * للشمس حالان في الميزان والحمل

وربما عابه البيت وبعده سل عنه البيت أيضا * وتقدم بيرحاء اسم حائط أبي طلحة الانصاري رضي الله عنه حين تصدق به فأنزل الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان أحب أمواله اليه ولما نزلت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله تعالى أرجو برها وذكرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت فيه واني أرى أن تجعله في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة رضي الله عنه في أقاربه وبني عمه ومن فضائل أبي طلحة وامرأته الرميصاء وهي المكناة أم سليم رضي الله عنهما وكان سبب اسلامه على يديها خطبها فقالت يا أبا طلحة ما مثلك لا يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك وفي رواية يا أبا طلحة ألست تعلم ان الهك الذي تعبد خشبة تنبت من الارض نجرها حبشي بني فلان قال بلى قالت أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الارض نجرها حبشي بني فلان ان أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره فقال حتى أنظر في أمري فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قالت يا أنس زوج أبا طلحة وكان أنس هذا ابنها وفي رواية قالت وما مهري قال الصفراء والبيضاء قالت فاني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الاسلام قال فمن لي بذلك قالت لك بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبو طلحة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه فلما رآه قد جاء قال قد جاءكم أبو طلحة غرة الاسلام بين عينيه فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قالت أم سليم فتزوجها

علي ذلك وكانت امرأة مليحة العينين فيهما صغر ثم قضى أن ولد له منها ولد فعاش ماشاء الله ثم اشتكى فاشتد شكواه ثم توفي وأبو طلحة عند النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف من عنده حين صلى المغرب وقد لقيته أم سليم فجعلته في ناحية من بيتها فأهوى اليه أبو طلحة فقالت عزمت عليك بحق أن لا تقربه فانه لم يكن ينام منذ اشتكى خيرا منه الليلة فقربت اليه فطره فأفطر ثم أخذت طيبا فأصابته ثم دنت الى أبي طلحة فأصابها فلما كان في السحر قالت يا أبا طلحة لو رأيت جيرانا أعاروا جيرانا لهم عارية حتى ظنوا أن قد تركوها لهم فلما طلبوها منهم وجدوا في أنفسهم قال بئسما صنعوا قالت فان الله تعالى أعارك فلانا ثم قبضه منك وهو أحق به فغدا الى النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح فأخبره الخبر فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما فحملت بعبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن * (فصل) * قد فعل مثل فعل أبي طلحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في انفاق مايحب اشترى له أبو موسى جارية بثمانمائة درهم فبعث بها اليه فوقعت منه موقعا فسماها زينب فدخلت عليه يوما تقرأ هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فقال اللهم انك تعلم اني أحب زينب وانها حرة ثم تبعتها نفسه فأراد أن يتزوجها فقال له ابنه عبد الله أتحدث العرب انك تزوجت هذه العلجة فوالله لئن تزوجتها لأمشين بين وصليها فخاف عمر بعض هنات عبد الله وبلغ الناس ماقال فيها فخطبها أشراف قريش والعرب فجعل يردهم عنها حتى خطبها مؤذن لعمر فقال يازينب هل لك في هذا وهو خير لك منهم ان أولئك كانوا يتخذونك أمة وانك تخذين هذا عبدا قالت نعم فزوجها اياه خرجه ثابت رحمه الله وفسر قوله وصليها فقال أحد الوصلين موصل مابين عجز البعير وفخذه وهما الوركان والوصل الآخر موصل الظهر في العنق قال ذو الرمة

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

وقد أخذ على ذي الرمة في هذا وشبه معنى البيت الحديث الذي يروى أن امرأة أخذت أسيرة مع لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت على ناقة من اللقاح حتى قدمت المدينة ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني نذرت ان نجاني الله عليها أن أنحرها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما جزيتها أن نجاك الله عليها ثم تنحريها الحديث وأحسن من قول ذي الرمة ومن قول المرأة قول عبد الله

ابن رواحة رضى الله عنه

اذا أدنيتى وحملت رحلى * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلاك ذم * فلا أرجع الى أهلى ورائى

يقول هذا وهو يسير فى الغزو الى مؤتة حيث قتل هو وزيد وجعفر رضى الله عنهم وقوله وخلاك ذم أى فارقك الذم فلست له بأهل وقد أحسن رضى الله عنه فى هذا المعنى وأحسن من اتبعه فى ذلك كقول أبى نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

وقول الآخر

عوفيت من حل ومن رحلة * يا ناق ان قربتنى من قثم
انك ان أوصلتنيه غدا * أحيى لى اليسر ومات العدم

وقد عيب قول الشماخ أيضا

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

ذكر عن الحسن بن هانئ انه كان يشنؤه اذا ذكر هذا البيت وكان أبو تمام يشينه من أجل ذلك وتقدم الوحى والوحى الذى أوحى الى نبينا صلى الله عليه وسلم كان على سبع صور أولها ما يراه عليه السلام من الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحى وقد قال ابراهيم عليه السلام يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فقال له ابنه افعل ما تؤمر فدل هذا على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان الوحى يأتيهم فى النوم كما يأتيهم فى اليقظة ويحتمل أن يكون جبريل عليه الصلاة والسلام جاء نبينا صلى الله عليه وسلم فى المنام قبل أن يأتيه فى اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لان أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل عليه الصلاة والسلام فكان يتراآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحى والشئ ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام فجاءه بالقرآن والوحى فهاتان صورتان والثالثة ان ينفث فى روعه الكلام نفثا كما قال عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين فى قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا قال هو أن ينفث فى

أقسام الوحى

روعه بالوحي والرابعة أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع به قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى والخامسة أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة وكان لفرط جماله اذا قدم المدينة لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه وقال ابن سلام في قوله تعالى تجارة أو لهوا قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية بفتح الدال وكسرها والسادسة أن يتراآى له جبريل عليه الصلاة والسلام في صورته التي خلقه الله تعالى فيها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت والسابعة ان يكلمه الله تعالى من وراء حجاب اما في اليقظة كما كلمه في ليلة الاسراء واما في النوم كما قال في حديث معاذ الذي رواه الترمذي قال أتاني ربي في أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدري فوضع كفه بين كتفي "فوجدت بردها بين ثندوتي" وتجلى لي علم كل شئ وقال لي يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت في الكفارات فقال وماهن قلت الوضوء عند الكريهات ونقل الاقدام الى الحسنات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فمن فعل ذلك عاش حميدا ومات حميدا وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه وذكر هذا الحديث نقلت هذا من كلام الاستاذ رحمه الله على معناه مخلصا ملخصا وتقدم الوجاء ومنه حديث ابن مظعون انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني رجل تشق على "هذه العزوبة في المغازي أفتأذن لي في الخصاء قال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه مجفر وقد تقدم انه يقطع شهوة النكاح والله أعلم وكرهت طائفة من العلماء هذا الفعل بالبهائم واحتجوا بما رواه البزار عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صبر ذي الروح وعن خصاء البهائم نهيا شديدا وبأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكرهه ويقول فيه اتلاف الخلق وقد جاء في تفسير قوله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال هو الخصاء وهو من أمر الشيطان وكذلك الوسم وأما مالك رحمه الله فقال لا بأس بخصاء الانعام فيه صلاح للحومها وأكره خصاء الخيل وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين موجئين هذا كله في الحيوان وأما في بني آدم فحرام ومن فعله بعبده أعتق عليه وكان ولاؤه له وعند غيره لبيت مال المسلمين وحجة من قال بهذا ما خرج أبو داود في المملوك الذي جب سيده مذاكيره فشكى ذلك العبد سيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله

المعصر الجارية أول ما تحيض لانعصار رحمها وانما خص المعصر بالذكر للمبالغة في خروج غيرها من النساء اه نهاية

عليه وسلم اذهب فأنت حر فقال يارسول الله على من نصرتي قال على كل مؤمن أو قال مسلم وذكر البزار من طريق ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من مثل بمملوكه فهو حر وهو مولى الله ورسوله وخرج الامام أبو حفص عمر بن شاهين رحمه الله في الناسخ والمنسوخ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ثم قال ألفيت الخلاف في ذلك وذكر حديثا عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال جاءت جارية الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت ان سيدي اتهمني وأقعدني على النار حتى احترق فرجي فقال لها عمر بن الخطاب رضي الله عنه هل رأى ذلك عليك فقالت لا قال فاعترفت له قالت لا قال عمر علي به فأتي به فلما رأى عمر الرجل قال أتعذب بعذاب الله عز وجل قال يا أمير المؤمنين اتهمتها في نفسها فقال أرأيت ذلك عليها فقال الرجل لا قال فاعترفت لك به قال لا قال والذي نفسي بيده لولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقاد مملوك من مالكه ولا مولود من والده لأقدتك بها فعزره فضربه مائة سوط ثم قال لها اذهبي فأنت حرة لوجه الله تعالى وأنت مولاة لله تعالى ورسوله أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حرق بالنار ومثل به فهو حر وهو مولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * وذكر ثابت في الدلائل ان أول من اتخذ الخصيان من بني أمية هشام بن عبد الملك فأقبل مسلمة ليدخل على هشام فقام اليه فتى هشام فدفعه في صدره وقال له لا تدخل على أمير المؤمنين بغير اذن فلما توصل مسلمة الى هشام قال يا أمير المؤمنين علام يحول هذا في قصرك فوالله لقبيلة من هذا أحب اليهن من عصدمنا قال فأخرجه هشام * فسر ثابت العصد بالجماع قال وهو العصد والعزد والعسد بالسين والزاي والصاد ويقال خصيان وخصية * يروى ان معاوية رضي الله عنه دخل على ميسون بنت بجدل الكلبية ومعه خديج الخصي فاستترت منه فقال لها معاوية رضي الله عنه ان هذا بمنزلة المرأة فعلام تستترين منه فقالت له كأنك ترى المثلة التي به أحلت له ما حرم الله رضي الله عنها * رجع الكلام الى الذين يعذبون الناس بالخصاء واقد حدثني بعض من أثق به من اخواني الصالحين عمن حدثه ممن يثق به انه رأى في النوم أحد الولاة الذين كانوا يعذبون الناس في الدنيا وكان هذا الوالي ربما بنى الانسان في الحائط وتركه حتى يموت جوعا وعطشا وربما نخسه بالكبير في دبره حتى ينشق

أول من اتخذ الخصيان

فرآه فى النوم فقال له مافعل الله بك فأنشده

من سره العبث فى الدنيا بخلقة من * يصور الخلق فى الأرحام كيف يشا
فليحزن اليوم خزنى عند سخطته * معذبا ممتط جمرا الغضا فرشا

* رجع * ومعنى صبر ذى الروح أن تنصب الدجاجة أو الشاة أو مافيه الروح فترمى بالسهام حتى تموت ومعنى أملحين قال (ع) الملحة والملح بياض يشوبه شئ من سواد وكبش أملح منه وعنب ملاحى فى حبه طول يقال ملاحى بالتخفيف وشاهده

ومن تعاجيب خلق الله غاطية * يعصر منها ملاحى وغربيب

ويقال أيضا ملاحى بالتشديد كما قال الآخر * كعنقود ملاحية حين نورا * قال أبو حنيفة رحمه الله من قال الملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو ثمر الأراك وفيه ملوحية قال والغربيب اسم لنوع من العنب والغربيب اذا أطلق لفظه ولم يقيد بذكر شئ موصوف به فانما يفهم منه العنب الذى هذا اسمه خاصة انتهى كلامه قال الاستاذ رحمه الله ولعلك أن تفهم من هذا معنى قوله تعالى وغرابيب سود فسود على هذا يدل وليس بنعت قال غيره ومن شأن العرب أن تنعت الالوان اذا ذكرتها تقول أسود حالك وأسود غربيب وأحمر قان وأصفر فاقع وأبيض يقق وقوله فى البيت الاول غاطية معناه مرتفعة يريد الحبلة وهى شجرة العنب يصفها بالارتفاع من الارض كأنها عريش والله أعلم ومن غطى بمعنى ارتفع قول حسان رضى الله عنه

رب حلم أضاعه عدم المال * وجهل غطى عليه النعيم

وقال الاستاذ رحمه الله غطى بتخفيف الطاء انشده يونس بن حبيب قال ومعناه ارتفع وعلا كما تقدم * رجع * ويقال ملح الرجل ملاحة صار مليحا وأملح جاء بملحة وهى الكلمة المليحة وملحت الشئ وأملحته جعلت فيه من الملح بقدر مايصلحه وملحته أفسدته وملحت بمعنى أرضعت وقد تقدم الملح والملح الرضاع وفى الحديث قول الرجل من بنى سعد بن بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ غنم سبى هوازن يوم حنين لو كنا ملحنا للحارث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منزلك هذا لحفظ ذلك لنا وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك ثم قوله ملحنا بمعنى أرضعنا وانما قال ذلك لانه عليه الصلاة والسلام كان مسترضعا فى بنى سعد والملاح صاحب السفينة والملاح بالضم من نبات الحمض والممالحة المواكلة * تقدم كبش أملح وفى الحديث منه اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت كأنه كبش أملح فيذبح على

الصراط

الصراط ويقال خلود فلا موت وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة يعنى به ذبح الموت اذ يؤتى به فى صورة كبش أملح وينادى أهل الجنة وأهل النار بالخلود وقيل يوم الحسرة يوم يرث أهل الجنة منازل أهل النار التى كانت لهم فى الجنة لو أطاعوا الا انه ليس من نفس الا ولها منزل فى الجنة ومنزل فى النار فمن أطاع حصل له منزله من الجنة ومنزل الكافر من الجنة أيضا وحصل للكافر منزله من النار ومنزل المؤمن من النار أيضا والملاح المليح وفى حديث جويرية ان عائشة رضى الله عنها قالت دخلت علىّ فما هو الا أن رأيتها فكرهت مكانها لأنها كانت حلوة ملاحة ذكره ثابت وقال يقال مليح وملاح وذكر أبو حاتم عن أبى زيد يقال امرأة حسانة فى نسوة حسانات وأنشد رحمه الله

دار الفتاة التى كنا نقول لها * يا ظبية عطلا حسانة الجيد

ويقال رجل جسام فى رجال جسامين وكذلك الناقة والنوق وهو العظيم الطويل ورجل كرام من قوم كرامين من نسوة كرامات وهم الكرام قال الخطابى رحمه الله وذكر المرأة الملاحة وسماها جويرية بنت الحارث وفسرها الموصوفة بالملاحة وقال أبو عبيدة العرب تحوّل لفظ فعيل الى فعال ليكون أشد مبالغة فى النعت وقال غيره فاذا أرادوا التأكيد شدّدوا فقالوا رجل أمّان أى أمين قال الاعشى

ولقد شهدت التاجر الامّان موردا شراؤه

ورجل قرّاء للقارئ قال الشاعر

بيضاء تصطاد الغوىّ وتستبى * بالحسن قلب المسلم القرّاء

وقالوا وضاءة من الوضاءة وهو الحسن قال

والمرء يلحقه بفتيان الندا * خلق الكريم وليس بالوضاء

قلت وفى القرآن العزيز من هذا ومكروا مكرا كبارا فسروه كبيرا قال الاستاذ رحمه الله الملاح أبلغ من المليح فى كلام العرب وكذلك الوضاء والكبار كذلك مع الكبير غير انه لا يوصف البارى سبحانه وتعالى بهذا اللفظ فيقال فيه كبار بمعنى كبير لانه على بنية الجمع نحو ضراب وشهاد فلفظ كبير أبعد من الاشتراك وأدل على الوحدانية وأما الملاح فأصح ما فيه انه مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه وكذلك اذا بالغوا فى المدح قالوا مليح قزيح أى مطيب بالافاويه وهى الاقزاح ويدلك على بعد معنى البياض من الملاح قولهم فى الأسود مليح وفى العينين

اذا اشتد سوادهما وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وألقيت عليك محبة منى قيل ملاحة فى العينين قال الاصمعى الحسن فى العينين والجمال فى الانف والملاحة فى الفم وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها انك لجميل يا أبا صفوان فقال كيف وليس عندى رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده يريد الطول وسواد الشعر والبياض ولكن قولى انك لمليح ظريف

خرجت من شئ الى غيره * ولم أطق يا صاح ان أسكتا
ومن يكن يعلم علما فلا * يصلح اذ يعلم أن يصمتا

مقلوب البيت حرف بين ألفين

وأجا وأحا وأخا وآخا * وواخا اجاء وجل وحل

أجا وأحا مصدران منصوبان من الباب الذى قبله من أج وأح وأخا كذلك مثقل أخ وآخا من قولك آخيت بين الرجلين أى جعلت كل واحد منهما لصاحبه أخا وفى الحديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وواخى مثله يقال آخيته وواخيته مواخاة واخاء * فرغ البيت على أن فيه واوا زائدة على الشكل فى واخا وناقصة من اخاء بحسب الضرورة وبقى من هذا الشكل مالم يترنه أجاء زيد والالف للاستفهام وأجأ مقصور مهموز اسم جبل وله يقول عبد الله ابن رواحة رضى الله عنه

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى * تخب ترائعا خبب الركاب

وبقى من هذا الباب أجاء بمعنى ألجأ قال الله تعالى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قال ابن عباس ومجاهد رضى الله عنهما ألجأها ويقال معناه جاء بها وأصل الكلمة من المجىء يقال جاءت بى الحاجة اليك وأجاءتنى الحاجة اليك قال زهير

وجاء جاء معتمدا عليكم * أجاءته المخافة والرجاء

وفى مثل شر ما يجيئك الى مخة عرقوب يعنى يحوجك ومن هذا الباب أجأى يقال بعير أجأى بين الجؤوة والجأى وهو سواد فى غبرة وحمرة قال زهير * أسك مصلم الأذنين اجنى * ويروى أجأى من الجؤوة المذكورة وسيأتى البيت بكماله وتفسيره فى آخر بيت ان شاء الله تعالى ويقال من هذا اللون كتيبة جأوى أى سوداء والجو جو السماء وسواء الهواء وجو البيت وهو داخله لغة شامية [illegible] ويقول بعضهم لامرأته اكفينى جوا أكفك بر يعنى اكفينى شغل داخل البيت أكفك

خارجه ولذلك يقولون الجوانى والبرانى وربما كنوا بذلك عن أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه لكل امرئ جوانى وبرانى فمن يصلح جوانيه اصلح الله برانيه ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه وكانت العرب تسمى اليمامة جوا قال الشاعر

فاستنزلوا أهل جو من منازلهم * وهدموا شاخص البنيان فاتضما

ومن معكوس جو وج وهى ارض الطائف وقد تقدم فى أول الباب * ومن مضاعف هذا الحرف الجؤجؤ يهمز ولا يهمز وهو الصدر وجمعه جآجئ قال الشاعر * بادجآجئ صدرها ولها غنى * (فصل من الفوائد تقدم) * فى الحديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه حين قدموا المدينة فجعل مع أنصارى مهاجريا فائتلفوا أحسن ائتلاف ولم يكن بينهم اختلاف رضى الله عنهم ونفعهم وحشرنا معهم وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال هذا أخى وكان حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين وكانوا يتوارثون فى أول الاسلام بتلك الاخوة حتى أنزل الله الفرائض والمواريث ثم انظر كيف كان فعلهم رضى الله عنهم ورضاهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وسخاؤهم وكرم طباعهم خرج البخارى فى جامعه لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن انى أكثر الانصار مالا فاقسم مالى نصفين ولى امرأتان فانظر أعجبهما اليك فسمها لى أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك فى أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بنى قينقاع فما انقلب الا ومعه فضل من أقط وسمن ثم ذكر باقى الحديث فانظر هممهم مع فقرهم الذى مدحهم الله تعالى به فقال الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا رضى الله عنهم ثم قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبينهم النخل قال لا قالوا يكفوننا المؤنة ويشركوننا فى التمر قالوا سمعنا وأطعنا ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال للانصار ان شئتم قسمت بنى النضير بينكم وبين المهاجرين وأنتم على مواساتكم فى ثماركم وان شئتم أعطيتها المهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم فقالوا بل تعطيهم دوننا ونمسك ثمارنا فأعطاها

رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين فاستغنوا بما أخذوا واستغنى الانصار بما رجع اليهم من ثمارهم * وتقدم في البيت أجأ وهو اسم جبل وفي الحديث في غزوة تبوك ان رجلا ألقته الريح بجبلي طيء وهما أجأ وسلمى عرف أجأ بأجأ بن عبد الحي كان صلب في ذلك الجبل لما فجر بسلمى بنت حام أو هم بذلك وصليت سلمى بالجبل الآخر فسمي بها وصلبت العوجاء معهما أيضا وهي امرأة كانت تحضن سلمى وكانت السفير بينهما فيما ذكر فصلبت بجبل ثالث قريب منهما فسمي الجبل بالعوجاء والله أعلم * وتقدم فأجاءها المخاض والمخاض دنو الولادة قال ابن عباس رضي الله عنهما حملت به وولدته في ساعة وقال مجاهد حملت به في ستة أشهر وقيل ثمانية وذلك آية لانه لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش وكذلك أيضا لستة أشهر لا يعيش وقد تقدم * وجذع النخلة يروى انه كان جذعا يابسا بغير رأس وكان شتاء فأنبت الله له رأسا وجعل فيه رطبا جنيا وهو ما أخذ من الثمرة طريا فسبحان اللطيف الخبير الذي هو على كل شئ قدير *(مقلوبه أيضا الف بين حرفين)*

وجاح وجاج وحاج وخاج * وحاح وخاح وخل وخل

يقال جاحتهم السنة تجوحهم جوحا وجياحة ومنه الجائحة جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو بعت من أخيك تمرا وأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا لم تأخذ مال أخيك بغير حق واجتاحهم العدو أتى عليهم وفي الحديث من هذا فصبحهم الجيش فاجتاحوهم نعوذ بالله من سخطه * وخرج أبو داود ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان لي مالا وولدا وان والدي يجتاح مالي قال أنت ومالك لوالدك ان أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم ويقال وج الطريق اتضح وأوجحت النار وأوجحت غرة الفرس اتضحت والوجاح الستر ويقال فيه الاجاح والهمزة مبدلة كما قالوا اكاف ووكاف وقد تقدم (وأما حاج) فجمع حاجة وحاجات كما يقال ساعة وساعات ويقال باع منه الشئ مباوعة كما يقال مساومة والحوج الحاجات وكذلك الحوائج وحاجة حائجة وقد أحوج الرجل اذا احتاج وأحوجه الله والتحوج طلب الحاجة وأصل حوائج حواجي ثم قلب قال المطرز حائجة وحوائج هذا أصله والحاج ضرب من الشوك ومنه الحديث الذي يروى أن ابن آدم لما قتل أخاه غضب الله على الارض فأنبتت الحاج والشوك خرجه ثابت في الدلائل قال والحاج

ضرب من الشوك وخرج أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل جاءه يشكو الحاجة انطلق فاحتطب ولا تحقرن شوكا ولا حاجا ففعل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هذا خير من أن تأتى يوم القيامة وفى وجهك نكتة المسألة وقال عليه الصلاة والسلام للرجل الذى باع له القدح والحلس فمن يريد انطلق الى هذا الوادى فلا تدع حاجا ولا حطبا ولا تأتنى خمسة عشر يوما ذكره الخطابى وقال الحاج ضرب من الشوك قال الشاعر * من حسك التلعة أو من حاجها * ويقال فى الحاجة حوجاء ولكن توصل بلوجاء يقال أصابته حوجاء ولوجاء وتصغيرها حويجاء ولويجاء تقول مالى فى أمرك حويجاء ولا لويجاء وهى بمعنى الضر والفاقة لاتصالها بلوجاء من الالتجاء والحاجة والفقر والمسكنة والضراعة الى الناس كما أنشدنى الفقيه أبو محمد عبد الحق لنفسه من قطعة يقول فيها

والمرء لا يصغر مقداره * الا اذا احتاج الى الناس

ويقال حاج يحوج حوجا اذا احتاج والتجأ والحاجة أيضا من حوائج البيت وهو قريب من الاول لانها انما سميت بذلك للافتقار اليها والحاجة أيضا الامر يعرض فى النفس كما قال تعالى الا حاجة فى نفس يعقوب قضاها قيل فى التفسير خاف عليهم العين اذا دخلوا من باب واحد وقيل خاف أن يستراب بهم اذا دخلوا مجتمعين والحاجة أيضا الحسد من قوله تعالى ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا يعنى الانصار مما أوتى المهاجرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاهم غنائم بنى النضير ولم يعط الانصار منها شيئا حاشا رجلين منهم كانا فقيرين وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة وقد ذكر ان الحارث بن الصمة كان ثالثهما فلم يحسدهم الانصار على ذلك فمدحهم الله تعالى على ذلك فقال ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا أى حسدا والله أعلم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهى الحاجة التى يختل بها الحال وأصله من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة انفراد بالحاجة ومقلوب هذه اللفظة حجا والحجا العقل ويقال حاجيته فحجوته اذا ألقيت عليه كلمة محجية مخالفة لمعنى اللفظ وجاء فى الدلائل انه لحجى به ان يفعل كذا أى حرى به وما أحجاه كذلك وقال غيره انه لحج بكذا كما تقول حر وحرى أى حقيق ومثله قمن وقمين وقد قالوا احر وحرى وحرى كله بمعنى وقالوا فى مثله عس قال المعرى * فان مثلى بهجران القريض عسى * وتقول أحج بهذا الامر أى أحر به

حجا

وما أحراه وكذلك يقولون فى مثل هذا انه لحرى ان يفعل وحر وفى الحديث من هذا انه لحران خطب أن لا ينكح وان شفع ان لا يشفع ومثل هذه الالفاظ جدير وخليق وقمن ويقال فى هذا قمن بالفتح وقمين بالياء بمعنى حقيق بكذا ومنه قولهم بالحرى أن يكون كذا كما يقولون هو يتحرى بمعنى يقصد والحجوى هى المحاجاة وتصغيرها الحجيا وهى الأحجية والأحجوة ويقال حجيا لئما كذا والحجا أيضا ما يبنى على السطوح من حاجز يمنع من التردى وهو الاجار أيضا وقال الشاعر

لا تمنع المرء أحجاء البلاد ولا * تبنى له فى السموات السلاليم

وجاء فى الحديث من بات على ظهر بيت ليس عليه حجا فقد برئت منه الذمة أو قال فلا يلومن الا نفسه ومن ركب البحر اذا التج أو ارتج فقد برئت منه الذمة قال بعض العلماء يريد ذمة الشهادة والله أعلم ومثله الحديث الذى يروى عن أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه انه أراد أن يبيت على سطح أجلح ثم قال كدت أبيت ولا ذمة لى خرجه ثابت وقال الأجلح الذى ليس له بناء يرد الرجل ويقال له أيضا الحواط وقد روى فى هذا الحديث فرشنا له على سطح ليس له حواط فقال كنت أبيت ولا ذمة لى وهو مشتق من المنع مثل العقل يعقل صاحبه ويمنعه من أن يقع فى هوة الجهل والحجا مفتوح مقصور الحصن وجمعه أحجاء والحجاء بالمد والسكمر زمزمة المجوس والفحل يحجو الشول اذا هدر بها فانصرفت اليه والحجاة فقاعة ترتفع فوق الماء والجمع حجوات والحجوة الحدقة وحجأت بالشئ حجأ فرحت به وكنت مولعا به ضنينا يهمز ولا يهمز قال الشاعر

فانى بالجموح وأم بكر * ودولافا [illegible] حجئ سنين

ومن شكل حجا خجا بتقديم الخاء المنقوطة على الجيم ومعناه نكح قاله يعقوب (وأما حاج) فاسم الفاعل من حج يحج وربما قالوا فى اسم الفاعل [illegible] المبالغة كما يقولون فى المخاصم بالحجاح المبالغ فى ذلك حجاج [illegible] ومن [illegible] الحج قول الشعبى وقد سئل عن [illegible] ابن زيد الخير [illegible] حجاجا ومعنى الحج القصد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت أى قصده للعبادة وحج علينا لان أى قدم [illegible] والسب [illegible] وكانت السادات [illegible] وقد يقال أيضا لجماعة الحجاج حجيج وحاج يقال قدم الحاج والحاج العام كثير ومن شكل حجة

حجة

حجة التي يحتج بها الانسان كانه يوضح عن نفسه ومنه المحجة التي هي الطريق الواضح والحجة السنة وجمعها حجج قال الله تعالى على ان تأجرني ثماني حجج والحجة واحدة الحجات وقد تقدم والحجة أيضا شحمة الاذن التي يعلق فيها القرط وأنشدوا * برض صعاب الدر في كل حجة * البيت قاله ابن دريد قال والحجة أيضا خرزة أو لؤلؤة تعلق في الاذن وبها سميت حاجة بالتشديد والحجة واحدة الحج وحجج الرجل اذا نكص وحججت البيت الحرام وحججت الشجة أي أدخلت الميل فيها لتقيسها والميل المرود ومنه الحديث ان الشمس تدنو من الخلائق حتى تكون منهم بمقدار ميل قال الراوي فما أدري ما أراد بالميل أمسافة الارض أو الميل الذي تكحل به العين والحجيج جماعة الحاج كما تقدم والحجيج أيضا المشجوج الذي عولج والشجة حاجة ويقال الحجيج الذي اختلط الدم بدماغه فيصب عليه السمن المغلى حتى يظهر الدم والحاج والحجاج العظم المستدير حول العين والجمع أحجة ومنه حديث أبي عبيدة في الدابة التي وجدوها على ساحل البحر قال وجلس في حجاج عينها نفر والحجيج أيضا المحاج عن القوم والمخاصم عنهم وهو من حاج وهي اللفظة التي في البيت مأخوذة من حج يحج اذا غلب خصمه بالحجة ومنه الحديث فحج آدم موسى عليهما السلام وحاج زيد عمرا ومنه قوله تعالى ألم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وقال تعالى وحاجه قومه والحجاج فعال من هذا ومقلوب حاج أجج يقال أججت الكلبة والسبعة اذا أثقلت فهي مجح والجمع مجاح وفي الحديث من هذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة مجح فسأل عنها فقالوا هذه أمة فلان قال أيلم بها قالوا نعم قال لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه في قبره كيف يستخدمه وهو لا يحل له أم كيف يورثه وهو لا يحل له قال أبو عبيدة المجح الحامل المقرب والجحجاح السيد وجمعه جحاجح قال الفرزدق

تري الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

ويأتي من مقلوبه أيضا جحا وهو المضروب به المثل عند العامة ومعكوس حج جح تقول جح الشئ يجحه جحا اذا سحبه لغة يمانية وكل شجر انبسط على وجه الارض نحو الحنظل والبطيخ فهو عندهم الجح وكأنهم يريدون انجح على الارض اذا انسحب ومن مضاعفه جحجح نكص ومصدره كذلك اذا أراد ان يقول ما في

نفسه فأمسك ومن شكله أيضا جخ تقول جخ الرجل اذا تحوّل من مكان الى مكان والجخاج من الرجال الذى ليس لكلامه جهة قاله ابن السكيت وتجخجخ اذا صاح ونادى قاله ع وقال وجخ برجله وجخى بها اذا نسف بها التراب فى مشيه وربما قالوا اجخ بها وتجخابها ويقال جخ ببوله اذا رمى به حتى يخدّ به الارض (وأما حاح) فلقب وهو عندنا مشهور فى رجل يعرف بالحاحى وكانه مأخوذ من صوت زاجر الطير فانه يصيح عليها فى ابان الزراعة وعند مايصير الحب فى السنبل حاح حاح ويرميها بالحجارة ووقع فى التعاليق على كتاب سيبويه لابى على الحسن بن على بن أحمد البسوى مايدل على ان العرب تستعمل هذه اللفظة قال أبو على رحمه الله الالف فى حاحيت بدل من ياء كان أصله حيحيت وليست هذه الالف بالف فاعلت نحو راميت والدليل على ذلك قولهم فى مصدره الحيحاء والحيحاة على مثال الزلزال والزلزلة ووقع فى كتاب العين حاحيت بالكبش وحاحأت وأنكر ذلك الزبيدى وقال انما هو حاحيت لاغير وكذلك قال (ع) حوحأت بالعنز اذا زجرتها فقلت لها حوو وأنكر ذلك (ز) وقال الصواب حوحيت ويقال حاح بضأنك وحاى وقال أبو زيد خاى بكذا كذا رأيته بالخاء المنقوطة وقال معناه أعجل جعله صوتا مبنيا على الكسر يستوى فيه الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وأنشد للكميت

اذا ماشحطان الحاديين سمعتهم * بخاءبك الحق يهتفون وحيهل

وقال ابن سلمة معناه خبت وهو دعاء منك عليه تقول بخاءبك أى بأمرك الذى خاب وخسر كذا رأيته فى كتاب تاج اللغة بخاءبك متصلا (وأما خاخ) فموضع معروف بين مكة والمدينة يقال له روضة خاخ ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة الحديث قال البخارى بعد ذكر هذا الحديث قال ابو عوانة خاخ وحاج تصحيف وخاخ أصح وهو موضع وهشيم يقول خاخ ويروى فى هذا الحديث خاخ منونا وخاخ مسكنا * بقى من هذا الشكل جاخ فانظر فلم يحضرك من ألفاظ البيت فاجعل هذا عوضا منه قد نطقت به العرب رأيت فى طرة كتاب الجمهرة جاخ الوادى السيل يجوخه جوخا وباخت النار تبوخ بوخا وقد تقدم جخ الرجل قبل هذا وكذلك جخجخ بتقديم الجيم على الخاء وبقى ماهو بتقديم الخاء على الجيم تقول خجت الريح تخج فى هبوبها اذا التوت وهى

الجحوج والجخجخة سرعة الاناخة والحلول والجخجخة أيضا الانقباض فى موضع خفى واختبع الجمل فى سيره اذا لم يستقم * وقال صاحب العين الجخاجة الرجل الاحمق وقال الجوهرى والهلباجة الاحمق قال الاحمر لقيت أعرابيا فسألته ما الهلباجة قال الاحمق الاكول الضخم القدم الذى جمع كل شر ومن خاخ أحد شعراء ابن عباد رحمه الله * تفسير القوافى * دامت لنا ولكم العوافى جل وجل أوّل ما أبدأ به من الكلام على الجيم هى من الحروف المجهورة ومن الحروف الشديدة ومخرجها من اللهاة واختها الشين فى المخرج ولذلك تجد كلمات كثيرة ينطق بها تارة وبهذه أخرى لاسيما فى لسان العجم وأكثر ما يوجد ذلك فى أنسابهم مثل البرجانى وابن أبرج رجل من المحدثين لما قرأته على الحافظ رحمه الله قال لى الفظ به بين الجيم والشين فسألته عنه فقال هو اصحاب بلغتهم وربما كتبوا الحرف جيما وكتبوا عليه شيئا حرصا على البيان ليعلموا كيف النطق بهذا الحرف وأما العامة فعندهم من ذلك كثير مثل بخيه وأصلها من القش وكذلك بلج للذى يغلق به الباب وكذلك فورجة وفنجة وغير ذلك مما لا يحتاج الى ذكره ولذلك لا تجتمع الطاء والجيم فى لسان العرب ولذلك قالوا الطاجن والطيجن معرب عربته العرب وهو الطاجن يقلى عليه ذكره هذا الجوهرى فى تاج اللغة ومن شكل جيم ختم بالخاء المنقوطة والتاء وهو معلوم من ختم أى طبع وحتم بالحاء المهملة وهو الواجب وسيأتى ومن شكله أيضا خيم بالخاء والياء جمع خيمة وخيم بكسر الخاء وفتح الياء بعدها وهو موضع قال طفيل

لمن طلل بذى خيم قديم * يلوح كأن باقيه رسوم

ولجرير الرجز المشهور

أقبلن من نهيان أو وادى خيم * قد طويت بطونها طى الادم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

ج واما الكلام على تصريف حروف الجيم فان حذفت ياءه جاء منه جم ومستقبله يجم تقول جم الشئ واستجم كثر والجمة البئر الكثيرة الماء ويروى انه وضع لعبد الملك ابن مروان غداؤه فقال لآذنه ادع لى خالد بن يزيد بن معاوية قال مات يا أمير المؤمنين قال ادع لى روح بن زنباع الجذامى قال مات يا أمير المؤمنين قال ادع لى عبد الله بن

خالد بن أسيد قال مات يا أمير المؤمنين قال ارفع ويحك نغصت علينا ثم أنشأ يقول

ذهبت لداتى وانقضت آجالهم * وغبرت بعدهم ولست بغابر
وغبرت بعدهم فأسكن مرة * بطن العقيق ومرة بالظاهر
العيش منقطع وان أحببته * والموت موردة الهيوب النافر
ماء بمنقطع الموارد كلها * فالبرّ وارد حوضها كالفاجر
ولقد علمت لأشربن بجمة * يوما ولست اذا وردت بصادر

والجمة البئر الواسعة الكثيرة الماء كما تقدم وهذا من الدلائل واللدات جمع لدة وهو الذى يولد معك فى وقت واحد أو قريب منه ويجمع أيضا لدون وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يستحسن فى اللدة قول ابن قيس الرقيات فى امرأة

لم تلتفت للداتها * ومضت على غلوائها

اى سبقت نظراءها وأقرانها وقوله مضت على غلوائها يقال كان ذلك فى غلوائه أى حين يغلو فيطول وغلا النبت يغلو غلوا اذا طال وكذلك غلا الصبي اذا شب ويقال للجارية اذا شبت شبابا حسنا وجاوزت لداتها قد غلا بها عظم قال الشاعر

خمصانة قلق موشحها * رود الشباب غلا بها عظم

رود الشباب ناعمة الشباب ومثله

حتى اذا غلا بنى واحتجن * وزانه الشحم والشحم زين

أراد زين ففتح الياء للاتباع كما كسر الجيم والراء الآخر فى قوله

علمنا اخواننا بنو عجل * شرب النبيذ واصطفاقا بالرجل

والجمة الشعر الكثير وهى أكثر من اللمة والجمع جمم وجمام وتصغيرها جميمة وفى الحديث من هذا وكان للنبى صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة وقول عائشة رضى الله عنها فوفى شعرى جميمة والجمة القوم يسألون فى الدية قال الشاعر

وجمة تسألنى أعطيت * وسائل عن خبرى لويت * فقلت لا أدرى وقد دريت *

ومن الجم الذى هو الكثير واسم الجم الغفير اى المجتمعون ويقال جاؤا جماء غفيرا بالهمز والمد وجما غفيرا والجماء هى بيضة الحديد تعرف بالجماء والصلعاء فاذا جعل معها المغفر فهى غفير هذا أصله ومعناه الاجتماع والاحاطة وشاة جماء

لا قرن لها والذكر أجم ومن أمثالهم عند النطاح يغلب الكبش الاجم يضرب مثلا للرجل الذى لا سلاح له لانه يقال له أجم ومنه قول امية بن أبى الصلت

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

أى لم يلم بمعصية وكذلك فسر فى التنزيل ويحبون المال حبا جما والله أعلم وجمع الاجم جم وهو من هذا الباب قال الاعشى

وان معاوية الاكرمين * حسان الوجوه طوال الامم

متى تدعهم للقاء الحروب * تأتك خيل لهم غير جم

وأما اذا ركبوا فالوجوه * فى الروع من صدأ البيض حم

معاوية قبيلة ويستشهد بقافية البيت الأول فى باب أمة التى هى القامة وجمعها امم كما رأيت وبقافية البيت الثانى على هذا الباب وأما الثالث من صدأ البيض حم فى الفصل بعد هذا الاحم الادهم وجمعه حم خرج البيت الثانى أبو عبيد رحمه الله وأنشده * متى تدعهم لقراع الكماة * واستشهد به على قول ابن عباس رضى الله عنهما أمرنا أن نبنى المساجد جما والمدائن شرفا وفسره بنحو مما تقدم من قولهم شاة جماء اذا لم يكن لها قرن وكذلك الرجل الذى لا سلاح معه وكذلك البناء اذا لم يكن له شرف فهو أجم وجمعه جم ويقال جم الفرس يجم جما ويجم أيضا اذا عفا من التعب وقال أبو زيد جم وأجم وأجمه أنا كذلك جمامة اذا ترك الضراب ويقال أعطنى جمام فرسك وجمت البئر تجم وتجم جموما اذا تراجع ماؤها وضم الجيم فى البئر أكثر من كسرها فى المستقبل وفى الحديث من أحب أن يستجم له الرجال قياما وجبت له النار أى يستجمعون له قائمين وجمة الركى معظم مائها والجمع جمام قال الشاعر * جمام الركايا أنكزتها المواتح * ويقال أجمت الحاجة حانت والجميم النبات الكثير والجمام الكيل الى رأس المكيال * ومن مضاعفه جمجم فى صدره شيئا اذا أخفاه ولم يبده والمصدر الجمجمة ويكون ذلك من غير عى والجمجمة القحف وهو مستقر الدماغ وجماجم العرب القبائل التى تجمع البطون فينسب اليها دونهم اذا قلت كلبى استغنيت أن تنسب الى شئ من بطونه وهم السادة أيضا ومعكوس جم مج التراب من فيه والماء يمجه مجا رمى به وهو المجاج ومجاج العنب شرابه ومجاج المزن مطره ومجاج النحل عسله وللجراد مجاج ومن الرواة محمود بن الربيع وكان صغيرا ولكنه عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم مج

وعقل مجة مجها في وجهه من دلو في بئرهم فعد بذلك من رواة الصحابة رضي الله عنهم وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم من حسن خلقه وممازحته لاصحابه حتى للصبيان وقد نضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال مافيها وأتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك صلى الله عليه وسلم والمج حب كالعدس والمج بضم الميم والمج فرخ الحمام قال ابن دريد ولا أعرف ماصحته والمأج الاحمق وقد تقدم ومن مضاعفه المجمجة تخليط

٢ الكتاب اذا ضربت عليه بالقلم أو غيره فهو مجمج * ومن شكل جم حم تقول حم الله له كذا وكذا اذا قضاه وأحمه أيضا وينشد * وليس لشئ حمه الله دافع * وينشد على أحم بالالف * أحم الله ذلك من لقاءه * أي قضاه وفرس أحم بين الحمة وهي بين الدهمة والكمتة والحم الشحم المذاب فما بقي منه فهو حمة قال الشاعر يصف المطر وانسكابه

كأنه لما وهى سقاؤه * وانهل من كل غمام ماؤه * حم اذا أحمشه قلاؤه *

يروى أحمشه بالحاء المهملة وبالخاء المنقوطة أي أحرقه من قولهم سنة حموش اذا أحرقت النبت * ومن الحم قول مسلمة بن عبد الملك رحمه الله أقل الناس في الدنيا حما أقلهم في الآخرة هما خرجه ثابت وقال الحم المال وأصله الشحم ضرب مثلا للمال كما يقال فلان مابه طرق اذا كان ضعيفا وأصل الطرق الشحم ويقال الحم ما أذبت من اهالته والواحدة حمة وأنشد ابن الاعرابي * يهم فيه القوم هم الحم * قال هم الرجل الشحم يهمه هما اذا أذابه ويقال همك ما أهمك أي أذاب جسمك هذا الحديث الذي يقلقك وأما الحمة مخففة فهي حدة السم ومنه الحديث لا رقية الا من عين أو حمة وحم الرجل من الحمى فهو محموم ويقال أحمه الله أيضا وحمم الفرخ اذا نبت زغبه وكذلك الرأس اذا حلق ثم نبت شعره والحمام قضاء الموت وحممت وجه الرجل اذا سودته بالحمم وهو الفحم واحدته حممة ومنه حديث اليهودي الذي رجمه النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل اليهود عن فعلهم بالزاني قالوا نحممهم ويفضحون واليحموم الدخان * ومن شكل حم حم اسم السورة وقد تقدم الكلام فيه في أول الكتاب عند فواتح السور وفي الحديث منه كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حم لا ينصرون وقال الشاعر

يذكرني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم

* ومن شكل حم أيضا حم وهو قريب المرأة كابن العم ونحوه وفيه لغات حم كما تقدم وحما مثل قفا وحمو وحم ء وفي الحديث من هذا وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول الرجال على النساء فنهى عن ذلك فقيل يارسول الله أرأيت الحمو قال الحمو الموت وتقدم أحم ومعكوسه محا يقال محوت أمحو ومحيت أمحى وفي حديث علي رضى الله عنه ما أنا بالذى أمحاه يعني اسم النبي صلى الله عليه وسلم ومن مضاعفه الحمحمة صوت الخيل حمحم الفرس حمحمة اذ ردد الصوت ولم يصهل كالمتنحنح وأسود حمحم وحما حم شديد السواد * ومعكوسه مح تقول مح الثوب وأمح يمح ويمح محوحا اذا أخلق فهو مح وخرج مسلم عن الربيع بن سبرة في حديث متعة النساء ان أباه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة قال فأقنا بها خمسة عشر ثلاثين بين ليلة ويوم فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء فخرجت أنا ورجل من قومي ولي عليه فضل في الجمال وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا برد فبردي خلق وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض وذكر الحديث بطوله وكيف تلقتهما المرأة وقالت لاحدهما ان برد هذا خلق وفي رواية ان برد هذا خلق مح * والمح صفرة البيض وخالص كل شئ محه ورجل محاح للذى يرضى بالكلام بلا فعل ومن مضاعفه رجل محمح قالوا خفيف نزق وقالوا ضيق بخيل وقد قيل في هذا رجل محامح يوصف به البخيل وقد تقدم المحاح ومن شكل حم خم تقول خم اللحم يخم ويخم وأخم خما وخموما واخماما اذا تغيرت رائحته وأكثر ما يستعمل في المطبوخ فأما النيء فيقال صل وأصل وسيأتي في باب الصاد ان شاء الله تعالى قال الشاعر

وشمة من شارف مزكوم * قد خم أو زاد على الخموم

ويروى * وقبلة من شارف معكوم * الشارف الشيخ والناقة المسنة ولا يقال للمذكر انما يقال عود وتقول خممت البيت أخمه خما اذا كسحته والمخمة المكسحة والخمامة الكساحة وكذلك القمامة والكناسة والمقمة والمخمة المكنسة ورجل مخموم القلب اذا كان نقيا من الغل وغدير خم معروف وقد تقدم انه على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة على الطريق وخم أيضا بئر بمكة شرفها الله تعالى حفرته بنو كلاب ومنه قول الشاعر * ولا تسقى الا بخم أو الحفر * والحفر بئر أيضا قال الشاعر

وسقيت بالماء النمير ولم * أبرد الاطم حماة الحفر

محا

مح

خم

خرجه ثابت وفسره قال قال قطرب الماء النمير الذي يسمن عليه المال ملحا كان
أو عذبا وقال الاصمعي ماء نمير اذا كان مريئا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه ان
رجلا صنع له طعاما فدعاه فلما فرغ قال الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير
وسقانا النمير قال والحبير الحبرة وأما النقاخ فهو الماء العذب وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما شرب من دومة قال هذا النقاخ فسره الخطابي بأنه العذب كما
تقدم قال وسمي نقاخا لانه يكسر العطش والنقخ الكسر وأنشد

فان شئت حرمت النساء عليكم * وان شئت لم أشرب نقاخا ولا بردا

قال والمسوس في العذوبة دون النقاخ والفرات أعذب العذب * ومن معكوس نخم **مخ**
مخ وهو ما أخرج من عظم وسيأتي الكلام عليه في باب الراء ان شاء الله تعالى ومن
مضاعفه المخمخة تقول مخمخت ما في العظم وتمخمخته وسيأتي فان حذفت الميم
من لفظ جيم بقي جي وجي بلد معروف بأصبهان قاله لي الحافظ رحمه الله وأنشد **جي**
لنفسه من قطعة مطولة

سقيا لأيام بجي قد مضت * لي بين أهل الفضل من خلان
أهل الفصاحة والبراعة معشر * فاقوا الشيوخ وهم من الشبان

انظرها بكمالها في التكميل وهو بلد سلمان الفارسي رضي الله عنه جاء عنه انه
قال كنت رجلا من أهل جي وقال ابن دريد الجي غير مهموز جفان تمسك الماء
الواحدة جية وجيء بالهمز أمر من جاء وجيء مبني لما لم يسم فاعله قال الله عز وجل
وجيء يومئذ بجهنم أعاذنا الله منها ومن شكله حي ضد ميت والحي من أحياء
العرب وبنو حي بطن من العرب ومن أسماء رجال الحديث حي وكنيته أبو حية والحي **حي**
الحياة قال الشاعر * وقد نرى أن الحياة حي * وحي على كذا وكذا أي عجل
وحيهل كذا وكذا أي عجله قال الشاعر * بحيهلا يزجون كل مطية * وقال أبو الخطاب
فان أول الأذان حيهل الصلاة نصبوا الصلاة والفلاح على الاغراء والتحضيض
ثم ان بعضهم ألغى هل وأتى مكانها على وذلك على اظهار المعنى فجروا الصلاة
والفلاح وقال الاصمعي قال بعضهم حي على الثريد أي عجلوا على الثريد وجاء في
الحديث اذا ذكر الصالحون فحيهل بعمر أي عجل بذكر عمر ويقال حيهلا وحيهل وحي هل
بعمر من كتاب ابن السكيت وقد يقولون حي من غير أن يقولوا هل من ذلك قولهم
في الأذان حي على الصلاة حي على الفلاح وانما هو دعاء الى الصلاة والفلاح قال

ابن

ابن أحمر
أنشأت أسأله ما بال رفقته * حى الحمول فان الركب قد ذهبا
قال أنشأ يسأل غلامه كيف أخر الركب وحكى سيبويه عن أبى الخطاب ان بعض العرب يقول حى هل الصلاة يصل بها كما يوصل بعلى فيقال حى هل الصلاة ومعناه ائتوا الى الصلاة واقربوا من الصلاة وهلموا الى الصلاة وقد حيعل المؤذن كما يقال حوقل وتعبشم مركب من كلمتين قال الشاعر
ألا رب طيف منك بات معانقى * الى أن دعا داعى الصلاة فحيعلا
وربما ألحقوا به الكاف فقالوا حيهلك كما يقال رويدك والكاف للخطاب فقط ولا موضع لها من الاعراب لانها ليست باسم قال ابو عبيد وسمع أبو مهدية الاعرابى رجلا يدعو بالفارسية رجلا يقول زود زود فسأل أبو مهدية عنها فقيل له يقول عجل عجل فقال هلا يقول حيهلك أى هلم وتعال وقول الشاعر * هيهاؤه وحيهله * فانما جعله اسما ولم يأمر به أحدا وسيأتى طرف من هذا المعنى فى باب الهاء ان شاء الله تعالى * فرغ الجيم * بقيت القوافى قافية أول بيت وجل وجل أما جل الشئ فمعناه عظم فهو جلال وجليل ومنه قول الناس جل الله عظم ملكه وشأنه والجلل العظيم والجلل الصغير وهو من الاضداد ويستشهد على الجلل الصغير بقول المرأة من الانصار التى قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلما نعوا لها قالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وجل الرجل اذا كبر من السن وروى قوم بيت جميل * وجن اللواتى قلن عزة جلت * أى كبرت والرواية المشهورة جنت ويقال جلت الهاجن عن الولد أى صغرت والهاجن الصبية الصغيرة تزوج قبل بلوغها وكذلك الصغيرة من البهائم يقال لها أيضا هاجن يقال جلت العلبة عن الهاجن أى كبرت العلبة والعلبة اناء يحلب فيه وهو اناء كبير وقد تقدم وجل كل شئ عظمه والجل نقيض الدق ومنه الحديث اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله والجل سوق الزرع المحصود ومنه حديث عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يحيى بن يحيى الغسانى كتبت اليه أسأله عن رجل أحرق جلا فى براح فطارت شرارة فأحرقت شيئا لجاره فكتب الى عمر بن عبد العزيز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجماء جبار وأرى ان النار جبار خرجه ثابت وقال الجل سوق الزرع اذا حصد عنه السنبل قال وقد روى أيضا

حديث مرفوع فى النار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العجماء جرحها جبار والمعدن جبار والنار جبار وفى الركاز الخمس قال وكانت العرب تسمى السيل جبارا أى لا يودى ما قتل ولا يقوّم ما أفسد والجلة وعاء من خوص وربما جعل فيها التمر وجمعها جلل قال الشاعر * وعندهم البرنى فى جلل ثجل * الأثجل العظيم البطن ومنه قول الشاعر

بتنا وجلتنا الصهباء بينهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى يلقى المساكين

والجلة البعر والابل الجلالة التى تأكل العذرة ومنه الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن الجلالة وفى حديث آخر عن أكل الجلالة وألبانها وزاد الدارقطنى رحمه الله فى هذا الحديث وأن لا تركب حتى تعلف أربعين ليلة وذكر ضعف الحديث وأما الجل فمعروف جل الدابة وحكى جل بالفتح لغة تميمية وجلال كل شئ غطاؤه ومنه جلال البدن وجل موضع بالعراق وجل بالفتح وجلان حى من العرب والجل أيضا بالضم الورد فارسى معرب قال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسمين * والمسمعات بقصابها

يعنى المزامير ويروى بأقصابها جمع قصب وهى الأمعاء ومنه يجر قصبه فى النار وسيأتى والمجلة الصحيفة وكذلك يروى بيت النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * يريد الصحيفة كأنهم كانوا نصارى فأراد الانجيل وفى الحديث فى الذى قال عندى مجلة لقمان والجليل يقع على الجلة ويعنى به السيد الكبير ويعنى بالسيد أيضا الجليل الكبير خرج ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجذع من الضأن خير من السيد من المعز قال داود بن قيس السيد الجليل قال غيره وكذلك هو عندنا ألم تسمع قول الاعشى

قد حملوه حديث السن ما حملت * ساداتهم فأطاق الحمل فاضطلعا

أى اضطلع وهو صغير السن بما لا يضطلع به الا الجلة الأكابر وفى الحديث فقالت امرأة جليلة كأنها من نساء مضر والجليل أيضا الثمام واحدته ثمامة يعرف ذلك بلال بن حمامة وقد تقدم قوله وهو عليل * وحولى اذخر وجليل * مع قول أبى بكر مولاه فى مرضه رضى الله عنهم ومن أحسن ما رأيت فى هذه اللفظة

بطل تناول فارسين بطعنة * فرأيتموه أتى بذاك جليلا

هذا يقوله بكر بن النطاح والجلجل معروف ودارة جلجل مكان يعرفه امرؤ القيس
لا كان اذ ينشد القوم ولا سيما يوم قال الكلبي دارة جلجل عين كندة وسمى
الجلجل جلجلا لشدة صوته يقال جلجل الجرو الرعد ورجل مجلجل شديد الصوت
وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ودخل عليها بجارية وعليها جلاجل
يصوتن فقالت لا تدخلنها على الا أن تقطعن جلاجلها وقالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس وقال في حديث آخر
لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وقال في حديث آخر الجرس من أمر
الشيطان خرج هذا والذي قبله مسلم رحمه الله والجلجلان ثمر الكزبرة * وبقي من
هذا الشكل جل أمر من جال يجول جولة وجولا نا وجؤلات في الارض وفي الحديث جل
فكانت للمسلمين جولة أي زوال عن مواضع القتال والجولان التراب تجول
به الريح والجول معقول القلب والجول والجال جانبا البئر * ومن معكوس جل لج
يلج ويلج لجاجا اذا أمحك ويقال لجاجة ومنه الخبر الخير عادة والشر لجاجة وقد لج
تقدم بسنده وفي الصحيح لأن يلج أحدكم في يمينه آثم له عند الله من أن يعطي
الكفارة التي أوجب الله عليها أو كما جاء ولجج القوم دخلوا لجة البحر وجمع لجة لجج
ولجج وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنهما لو وضعوا اللج على قفي قالوا يعني السيف
شبه بريقه بلجة البحر ويقال التج الظلام والتجت الاصوات اختلطت ولم تفهم
وسمعت لجة القوم أي أصواتهم * وخرج البخاري في الجهر بالتأمين أمن ابن
الزبير ومن وراءه حتى ان للمسجد للجة وفيه أيضا رجة بالراء وجاء في حديث
التكبير بمنى حتى ترتج منى تكبيرا * وخرج في حديث عذاب القبر ضج المؤمنون
ضجة والجلجة كلام غير بين وتجلجلت اللقمة في الفم اذا لم يسغها آكلها كما قال زهير
* يجلجل مضغة فيها أنيض * وسيأتي البيت في باب الضاد ان شاء الله تعالى واللج
من أسماء السيف وقد تقدم وتجلج بالشئ تبادر به وتقول العرب الحق أبلج
والباطل لجلج وهو المختلط الذي ليس بمستقيم والأبلج المضيء المستقيم وقيل
لاعرابي ما البرد قال اذا دمعت العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان خرجه ثابت
ومن اللجلجة حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ليس يهودي يموت حتى
يؤمن بعيسى فقيل لابن عباس أرأيت ان ضربت عنق أحدهم قال يلجلج لسانه
وقال الشاعر فلجلج بالتوحيد من غير نية * مخافة أن تلقى علاوته صبرا

وسيأتي تفسير العلاوة واليلنجج والبلنجوج والالنجوج عود طيب الريح وبقي من هذا الشكل لج أمر من ولج يلج وسيأتي ان شاء الله تعالى * وأما قافية البيت الثاني وحل وجل فكلام في معنى الكلام قبله لانه وجاء وجاء وحل وجل فيكون وجل فاعل بحل أي نزل فزع وخوف فالكلام أولا في حل يقال حل بالمكان يحل حلولا اذا نزل به وحل العقدة يحلها حلا وحل الدين محلا أي وجب وفي التنزيل ثم محلها الى البيت العتيق والهدى معكوفا أن يبلغ محله وأحل من احرامه احلالا فهو حلال ومحل والمحل الذي لا عهد له ويسمى القرآن الحال المرتحل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل قال الحال المرتحل قيل ما الحال المرتحل قال الخاتم المفتتح حينئذ والمحل الذي لا يرى حرمة الشهر الحرام ولا البلد الحرام وأنشد فقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه المحلة أخت المحل حل

وتقول حل من احرامه أيضا فهو حلال وفعل ذلك في حله وحرمه أي وقت احلاله واحرامه وقرئ وحرم على قرية وحرام أي واجب على قرية أهلكناها انهم لا يرجعون أي لا يتوبون يقال حرم وحرام كما يقال حل وحلال وأحل أيضا معناه حلق وفي الحديث الذي ذكر فيه اعتمار النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة مع محرش بن عبد الله وفيه وأحله محرش يعني حلقه وجاء في الحديث أيضا من قوله عليه الصلاة والسلام أحلوا الله يغفر لكم فسره ثابت قال يعني أسلموا قال وفي موضع آخر الاحلال الحلق وهو شبيه بقوله عليه الصلاة والسلام يرحم الله المحلقين والله أعلم * والحل خلاف الحرم والحل الحلال ومنه قولهم هذا لك حل وبل وقد تقدم القول في بل انه اتباع وأنه مباح وقال الله تعالى للنبي عليه الصلاة والسلام وأنت حل بهذا البلد وهذه الجملة في موضع الحال والمعنى أقسم به محلولا أنت فيه ولم يكن يوم فتح مكة حلا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده قاله ابن يزيد ومن الحل الذي هو ضد الحرام قول عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر برقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل وهو مع أبيه عبد المطلب يوم فدى بالابل فدعته الى نفسها ورأت في وجهه نور النبوة وأحبت أن تحمل منه فتلد هذا النبي المبارك صلى الله عليه وسلم فقال لها عبد الله

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذي تبغينه * يحمي الكريم عرضه ودينه

ثم دخل على آمنة فحملت به صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ويشبه هذا قول بعضهم * أما الحرام فلست أركب محرما * والحل بفتح الحاء دهن السمسم ومحلة القوم ومحلهم موضع حلولهم وقد تقدم بيت النابغة مجلتهم ويروى محلتهم ذات الاله يريد الشأم والارض المقدسة والمحلة القوم النزول ومكان محلال يكثر فيه الحلول ويجمع الحال على حلال وحلل وحلول * وتحلة اليمين تحليلها وفي القرآن العظيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وفي الحديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قالوا فيه قوله تعالى وان منكم الا واردها أي الا داخلها فيجعلها الله على المؤمنين بردا وسلاما كما جعلها الله على ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقال ضربه ضربا تحليلا أي غير بالغ ومنه قول زهير بن أبي سلمى * نجائب وقعهن الارض تحليل * وكذلك قول امرئ القيس * غذاها نمير الماء غير المحلل * يقول ليس بيسير ويحتمل أن يريد غير منزول عليه فيكدر ويفسد والحليل والحليلة الزوج والمرأة والحلال مركب من مراكب النساء والمحلل في غير هذا الذي يتزوج المرأة فيحلها لزوجها الذي طلقها ويسميه الناس التيس المعار وهذه التسمية صحيحة خرج الدارقطني عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى قال هو المحلل ثم قال لعن الله المحلل والمحلل له وجاء عن عمر رضي الله عنه انه ما أتى بمحال ولا محل له الا رجمهما ذكره أبو عبيد رحمه الله وقال يقال رجل حال اذا كان محفوظا وهو من أحللت المرأة لزوجها وانما الكلام أن يقال محل انتهى كلامه والحلال متاع الرجل والحلال جماعات بيوت الناس والبيوت أربعة ما كان من مدر فهو بيت وما كان من صوف أو وبر فهو خباء وما كان من جلود فهو طراف وما كان من حجارة فهو أقنة والحلال أيضا متاع الرجل قال الاعشى

وكأنها لم تلق ستة أشهر * ضرا اذا وضعت اليك حلالها

قال الاصمعي هو كذبان لو أراد في ستة أشهر الصين لأتاه وقال يعقوب يقال رجل كذبان وكيذبان وقال غيره وقد صرف لفظة كذب ويقال كذب يكذب كذبا وكذبا فهو كاذب وكذاب وكذوب وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبة مثل همزة وكذبذب مخففا ويقال مشددا قال

واذا أتاك بأنني قد بعتها * بوصال غانية فقل كذبذب

والكذب جمع كاذب كراكع وركع والكذب جمع كاذب مثل صابر وصبر وقد قرأ

بعضهم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب نعتا للالسنة وقالوا فى قوله تعالى
بدم كذب طرى (رجع) والحلان الجدى ويقال فيه أيضا حلام بالميم وسيأتى والحلة
موضع حزن وصخور والحلة ازار ورداء لا يقال حلة لثوب واحد والحلة بقلة
شائكة وجمعها حلل قاله ابن دريد والاحليل مخرج البول من الذكر ومخرج اللبن
من طبي الفرس وخلف الناقة وأحلت الشاة فهى محل اذا نزل اللبن فى ضرعها
حلحل بلا نتاج * ومن مضاعفه حلحل يقال حلحلت الشاة وحلحلت بالشاة اذا قلت لها
حل حل وفى الحديث من هذه اللفظة وستأتى فى باب العين ان شاء الله تعالى
والحلاحل السيد الشجاع وحلحل موضع ذكره ابن دريد وحلحلة اسم رجل وهو حلحلة
لح ابن قيس سيد فزارة ومعكوس حل لح تقول لحت عينه ولحت لحا ولححا اذا التصقت
أجفانها لكثرة الدمع وتراكم أشفارها وغلظت ومنه قولهم ابن عمه لحا اذا ألصق
نسبه بنسبه وألح فلان فى الشئ الحاحا اذا كثر سؤاله اياه كاللاصق به وفى الحديث
من هذا ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى آخر ألحت على ربك يقوله أبو بكر للنبى
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويقال رجل ملحاح اذا كثر ذلك منه ورجل ملحاح
وكذلك السرج والقتب اذا لصق بالظهر وعضه وتلحلح القوم أقاموا بمكانهم وجاء
فى الحديث ان ناقة النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهت به الى المدينة بركت موضع
مسجده وقبره وتحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى بعنقها كذا قال بتقديم
الحاء وكذا وقع فى السيرة وفسره ابن قتيبة على تلحلح بتقديم اللام أى لزم مكانه ولم
يبرح قال الاستاذ وهذا معناه ومعنى رزمت أقامت من الكلال وأما أرزمت
بالالف فمعناه رغت ورجعت فى رغائها (وأما وجل) فالواو فيه أصلية وهو الفزع
والخوف كما تقدم تقول وجل يوجل فهو وجل كما قال تعالى انا منكم وجلون قالوا
لا توجل ويقال أيضا وجل يجل وييجل فهو واجل اذا أقام وقد تقدم * ومن
جلو مقلوبه جلو تقول جلوت السيف جلاء صقلته وجليت عن الشئ أظهرته
وجلوت العروس جلوة وجلوة أبرزتها وتجليته نظرت اليه وفى التنزيل فلما تجلى ربه
للجبل أى ظهر أو أظهر من أمره ماشاء من تجلى القدرة على ما يليق ان يوصف به
تعالى وتقول جلى الغيم انكشف وأجلوا عن قتيل أفرجوا عنه وأجليت عنا لهم
فرجته ورجل أجلى وقد جلى اذا ذهب الشعر من مقدم رأسه وجبهة جلواء واسعة
وجلى القوم عن المسكن جلاء تركوه وفى التنزيل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء

والجلاء الاثمد لانه يجلو البصر قال الشاعر

وأكحلك بالصاب أو بالجلا * ففتح لكحلك أو غمض

وما أقت الاجلاء يوم أي بياضه * ومن مقلوبه أيضا جول تقول جول فى الارض
جولانا وجال الرجل يجول جولة وفى الحديث كانت للمسلمين جولة أى زوال عن
موضع حربهم وقد تقدم والمجول درع تجول به الجارية والجول معقول القلب يقال
ماله جول ولا مغفر والجول والجال جانبا البئر * ومقلوبه ولج فى الشئ ولوجا دخل قال
الله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى يدخل ما نقص من أحدهما
فى الآخر والوليجة بطانة الرجل من الناس وفى كتاب الله تعالى ولم يتخذوا من دون
الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أصله من الولوج وهو ان يتخذ رجل من المسلمين
دخيلا من المشركين خليطا والتولج كناس الظبي وقد أولجه وأتلجه وشرتالج
وواالج والتاء هنا مبدلة من واو * ومن شكل وجل وحل يقال وحل يوحل وحلا وقع
فى الوحل والجمع أوحال ووحول وقد استوحل المكان ولى مقطوعة لزومية فيها
ذكر الاوحال أنظرها فى التكميل * ومقلوبه لوح وهو معروف وفى القرآن العزيز
فى لوح محفوظ وسيأتى ان شاء الله تعالى وألواح الجسد عظامه العريضة والملواح
العظيم الالواح ولحته ببصرى لوحا وكذلك لوحت به اذا رأيت لوحه ولاح الشئ
لوحا ولؤوحا اذا استبان وألاح البرق أضاء واللوح الهواء واللوح العطش والتاح
الرجل اذا عطش والملواح المعطاش وفى التنزيل لواحة للبشر أى مغيرة من لاحه
اذا غيره وقيل المعنى تلوح لأهلها مسيرة خمسمائة عام نعوذ بالله من غضبه ومعكوسه
حول عام تقول حال حولا وحؤولا وأحال الشئ أتى عليه حول وأحول أيضا لغة
واستحال الشئ وحال حولا وحؤولا اذا تغير وتحول عن حاله وفى التنزيل لا يبغون
عنها حولا أى تحويلا ويقال أرض محوالة تركت أحوالا لم تزرع والحول والمحالة
والحيلة سواء وفى التنزيل شديد المحال قال ابن عباس رضى الله عنهما أى الحول
وقال قتادة الحيلة وقال الحسن المكر والهلاك وسيأتى تفسير المكر الذى يليق
بجلال الله تعالى وقال أبو عبيدة هو من المحل وهو الشدة فمن جعله من الحول فوزنه
مفعل ومن جعله من محل فوزنه فعال قال أبو على تكون الميم فى المحال زائدة لانه
لو كان كذلك لم تعل العين كما لم تعل فى نحو المقول والمعول ونظائره ولم نعلم شيئا
من هذا جاء معتلا وأيضا فان المصدر يكون على مفعل وتقول رجل حول ذو حيل

جول

ولج

وحل

لوح

حول

وحوالى أيضا ورجل محوال كثير المحال والمحالة أيضا البكرة وجاء منه فى الحديث

العصفور أحد عيدان القتب

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة قد حرمتها الا العصفور رقتب أو مسد محالة والحولاء كالغشاء مشيمة الناقة والحوال ما بين الشيئين وحالت الناقة حيالا اذا لم تحمل عامها فهى حائل والجمع حيال وحوّل وحول وكذلك الشجرة وحال فى متن الفرس حوولا اذا وثب وأحلت الغريم حوالة وحولت عينه حولا واحولت واحوالت واحتوله القوم اذا صار واحوله وحواليه والحال حال

حال

الانسان والحال الوقت الذى انت فيه والحال التراب اللين وفى الحديث ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يدس فى فى فرعون من حال البحر أى من طين البحر لئلا يؤمن عقوبة له على عظيم ما صنع * ومن مقلوبه الوليجة الضخم الواسع من الجوالق والجمع الوايج * ومن مقلوبه حلو ضد المر حلا يحلو حلوا وحلوانا واحلولى وحليت السويق وقال فى موضع آخر وحلأت السويق بهمز على غير قياس وأما حلأت الابل اذا حبستها عن الورد فهموز وقال الشاعر

حلأ

لحائم حام حتى لا حوام به * محلأ عن سبيل الماء مطرود

وقال الآخر وأعجبنى مشى الحزقة خالد * كمشى أتان حلئت عن مناهل

وحلأت فلانا مخففا حلا اذا كحلته بالحلاء وهى حكاكة حجرين يكتحل بها ويقال له أيضا حلوء قال الشاعر كأنما أغضى على مضاض

من الحلوء صادق الامضاض * فى العين لا يذهب بالترحاض

الترحاض الغسل يقال رحضت الشئ غسلته وحلاوة القفا وسطه وفى الحديث بينما موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه وهذا فى الحديث فاذا هو بالخضر مسجى بثوب مستلقيا على القفا أو على حلاوة القفا والحلاوى نبت واحدته حلاوية والحلوى اسم لما يؤكل حلواو يقال أيضا حلواء يمد و يقصر وجاء فى الحديث يا دنيا مرى على أوليائى لا تحلولى لهم فتفتنهم فالماضى من هذا الفعل احلولى ولم يجئ على هذا المثال غير اعرورى الفرس اذا صار عريا والحلوى ضد المرى يقال خذ الحلوى وأعطه المرى قالت امرأة فى بناتها غراهن مراهن و يقال تحالت المرأة اذا أظهرت حلاوة وعجبا قال الشاعر * اذا تحالى مثلها لا أطورها * وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى والعسل وتقول حلوت الرجل أحلوه

حلوانا اذا أعطيته شيئا كالرشوة وحلوان الكاهن منه وفى الحديث من هذه
اللفظة قال عليه الصلاة والسلام وحلوان الكاهن حرام والحلوان ما أخذ الرجل
أيضا لنفسه من مهر ابنته قال الشاعر * ونأخذ الحلوان من بناتنا * ومن شكل خول
ما تقدم مقلوبا خول وهم العبيد وغيرهم من الحاشية ويقال الراعى يخول خولا
اذا حفظ والخولى والخائل الراعى وخول اللجام أصل فأسه وتخولت الرجل
تعهدته وفى الحديث من هذا قول عبد الله بن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وتقول أخول الرجل اذا كان ذا أخوال كرام
واسم الفاعل منه مخول قال الشاعر * مخول فى عشيرته معم * وقد تقدم وتخولت
خالا * ومن معكوسه ولخ الولخ من العشب الطويل يقال ائتلخ العشب اذا طال ولخ
وامتد وأرض مؤتلخة * ومن مقلوبه لخو مصدر لخا واللخا المسعط تقول لخوت لخو
الصبى واللخونعت للقبل المضطرب الكثير تقول لخا الرجل لخاء اذا
أكثر الكلام فى الباطل ورجل ألخى وامرأة لخواء * ومن مقلوبه خلو رجل خلو
خلو لاهم له والجمع أخلاء وكذلك خلى والجمع أخلياء ومنه قولهم ياويح
الشجى من الخلى ومنه قول الموثقين عند كتب صداق المرأة خلو من الزوج
والعدة ومنه قولهم فى الطلاق هى خلية اذا قاله الرجل لامرأته بانت منه والخلية
ناقة خلت عن ولدها ورئمت غيره والخلية السفينة دون ملاح قال الشاعر
* خلايا سفين بالنواصف من دد * والخلية واحدة الخلايا وهى الاجباح وسيأتى
ذكرها وخلا الشئ يخلو اذا مضى وخليته أرسلته والسيف يختلى الأيدى
والارجل اذا أبانها وخلى الطريق وغيره خلاء وأرض خلاء لاشئ فيها والخلاء
موضع قضاء الحاجة مشتق منه والخلاء البثور وقد خليت شفتى أى بثرت
وهى قروح تخرج فى الشفاه اثر الحمى (ج ه) وفلان يخلو فلانا اذا خادعه وخلا
استثناء جاءنى القوم خلا أخاك وما خلا أخاك * والخلى الحشيش واحدته خلاة
والمخلاة منه وخليت الحشيش واختليته وفى الحديث فى المدينة لا يختلى خلاها
ويقال خلأت الناقة تخلأ خلاء اذا لم تبرح * وفى الحديث حين بركت ناقة النبى
صلى الله عليه وسلم به قالوا خلأت القصوى وقال عليه الصلاة والسلام ما خلأت
وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل وتقول خلا الانسان يخلو اذا لم
يتزوج فهو خال قال امرؤ القيس * وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى *

وفى المثل خلاؤك أقنى لحيائك أى منزلك اذا خلوت فيه ألزم لحيائك و يقال عبد وخلى فى يديه * وأما قافية البيت الثالث وحل وجل فلا كلام فيه لأنه مثل قافية البيت قبله وقد تقدم الكلام فيه وأما الرابع وخل وخل فأفردت فيه الخاء أما الخل فالصاحب تقول خاللت الرجل خلة وخلالا فهو لى خل وخلة وخليل والجمع خلان والخل بالفتح من عصير العنب وغيره معروف وقد جاء فى الحديث نعم الأدم الخل و فى الحديث أيضا ما أقفر بيت فيه خل أى لم يخل من أدم من قولهم خبز قفار اى غير مأدوم فسمى الخل اداما والخل الطريق بين الرمال يقال حية خل كما يقال أفعى صريمة والخل عرق يتصل بالرأس قال ابن دريد هو عرق فى العنق وأنشد * ثم الى صلب شديد الخل * والخل واد من أودية مذحج والخل موضع قبل سلع وسلع متصل بالمدينة قال الشاعر

سكن الخل والصفاح ومران وسلعا وتارة نجديا

والخل مصدر خللت الشئ أخله خلا اذا جمعت أطرافه بخلال وخللت الخباء أخله خلا اذا جمعت سجوفه والخل الفصيل والخل الثوب البالى والخل المهزول من الرجال وقال ابن دريد الخل الرجل الخفيف الجسم النحيف وأنشد * ان جسمى من بعد خالى لخل * ويقال ثوب خل اذا أخذ منه البلاء وبعث أحد الولاة رجلا على الصدقة فجاء بفصيل مخلول أو محلول فسره بسيء الحال مهزول أى بادى الضر والهزال وخللت الرجل بالرمح واختللته أى طعنته واختللت لسان الفصيل شددت عليه خلالا لئلا يرضع والفصيل مخلول والخلل الفرجة بين الشيئين والجمع خلال قال الشاعر * ينظرن من خلل الستور بأعين * البيت وفى التنزيل وفجرنا خلالهما نهرا وتفجر الانهار خلالها تفجيرا أى بين ما تقدم ذكره والخلل الوهن فى الأمر والخليل الفقير المحتاج وعلى ذلك فسر بيت زهير

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

والخلة الحاجة وفى مثل الخلة تدعو الى المسألة والرجل أخل ومختل و يقال اختل الرجل الى الرجل اذا احتاج اليه * وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم فان أحدكم لا يدرى متى يختل اليه أى متى يحتاج الى ما عنده وفى بعض كتب السلف الصدقات للأخل الأقرب والخلة الخصلة يقال فى فلان خلة حسنة أى خصلة والجمع خلال والخلة من النبت ما ليس بحمض واذا رعت الابل الخلة فأهلها مخلون

قوله عبد وخلى فى يده خلى تصغير خلى وهو النبات الرطب كما فى تاج العروس وانظر الصحاح وبه تعلم ما وقع من الخطأ فى تصحيح أمثال الميدانى

قال

قال الراجز * جاؤا مخلين فلاقوا حمضا * وقال الآخر * وخلة داويت بالاحماض *
ومثل لهم اذا جاء الرجل متهددا أنت مختل فتحمض وسيأتي هذا في باب النون
ان شاء الله تعالى مستوفى وأخللت بالشيء قصرت به وكذلك أخللت بالرجل اذا
خذلته وقت حاجته والخلل والخلال ما يبقى بين الاسنان من الطعام ومنه قول امرأة
انه لأكلة تكاه يلاكل من جشعه خلله أي ما بين اسنانه يستكثر بذلك والخلالة
والخلالة والخلالة بالفتح والضم والكسر الصداقة والمودة قال الجعدي

وكيف تواصل من أصبحت * خلالته كأبي مرحب

وأبو مرحب كنية الظل وقيل كنية عرقوب والخلال البلح واحدته خلالة والخلة
بالكسر جفن السيف والخلة كل جلد منقوش وقال ابن دريد الخلة بطائن كانت
تغشى بها أجفان السيوف وتنقش بالذهب وجمعها خلل وأنشد

لابنة الجون بالجوّ طلل * دارس الآيات عاف كالخلل

وقد تقدم الجواسم اليمامة والخلخال معروف والمخلخل موضعه وخلخل لغة
في الخلخال أو يكون مقصورا منه قال الشاعر * براقة الجيد صموت الخلخل *
ويقال خل كساءه وثوبه يخله خلا اذا شكه بالخلال وعم فلان وخل فلان وخلل
ايضا والمخلل الذي يخص وأنشد

قد عم في دعائه وخلا * وخط كاتباه واستهلا

وقال أبو عبيد ما فلان بخل ولا خمر أي لا خير فيه ولا شر ولبعض الكتاب ان لم يكن خمر
فخل وان لم يصبها وابل فطل ويقال اختل جسم فلان اذا انقص وهزل ومنه الحديث
ان مصعب بن عمير رضي الله عنه كانت تترفه أمه وكان لا يبيت الا وضعت عند
رأسه الحيس فلما أسلم مصعب اختل جسمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رآه بكى قال أبو عبيد يقال فصيل خل أي مهزول وفصيل خل أي سمين وهو من
الاضداد ومن الخل الذي هو موضع قول الشاعر * أقبلتها الخل من سودان
صادرة * وهذا البيت يقوله أبو شجرة بن عبد العزى السلمي خرجه ثابت وقال
أقبلتها تقول أقبلت الابل طريق كذا وكذا اذا استقبلت بها الابل بسوقك
وأقبلت الأباعر الماء * ومعكوس خل لخ تقول لخت عينه تلخ لخا اذا كثر دمعها لخ
وغلظت أجفانها وأنشد

لا خير في الشيخ اذا ما اجلخا * وسال غرب عينه ولخا

والتوت الرجل فصارت فخا * وكان أكلا داثما وشخا
نخت رواق البيت يغشى الدخا

معنى شخ بال والدخ لغة فى الدخان وفى حديث ابن صياد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبأ له فى نفسه فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وقال له قد خبأت لك خبأ فقال له ابن صياد هو الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك وهذا تفسير الراوى وقال غيره قبض من دخان مرّ به بيده والدخن أيضا لغة فيه وأما الدخن المذكور فى الحديث هدنة على دخن فانما هو فساد فى القلب عن باقى عداوة ذكر هذا البكرى ورد على أبى عبيد رحمه الله قوله فيه انما هو من الدخان المعلوم والله أعلم * وقد تقدم معنى اخلولت معناه أتى بنفسه ولم يكن منه حراك والغرب مسيل الدمع قال ابن دريد وربما يقال لخنت عينه مثل لخت سواء واللخلخة ضرب من الطيب واللخلخانية العجمة ورجل لخلخانى اذا كان غير فصيح وقد تقدم ان الخاء من حروف الحلق واللغى مقصور كثرة الكلام فى الباطل يقال رجل ألغى وامرأة لغواء واللثاء بكسر اللام والمد الغذاء للصبى سوى الرضاع والصبى يلتخى اذا أكل الخبز المبلول وألخيته ولخيته أوجرته الدواء والملاخاة الوشى تقول لاخيت به أى وشيت * فرغ الكلام فى الخاء

خرجت من شئ الى غيره * كذلك العالم اذ ينسخ
يكتب هذا ثم هذا وذا * لعله فى قلبه يرسخ

(فصل من الفوائد) تقدم الخلة الحاجة ومن أحسن ما رأيت فى ذلك ما كان يدعو به الربيع بن خيثم رحمه الله كان يقول فى مناجاته أشكو اليك حاجة لا يحسن بثها الا اليك وأستغفرك منها وأتوب اليك وسيأتى ذكر الايثار وما فى ذلك من الآثار فى باب الهاء ان شاء الله تعالى وتقدم ذكر الحسد وفى تركه بقاء الجسد حدثنى الحافظ رحمه الله قراءة عليه من فوائد أبى القاسم الادريسى قال بسنده الى أبى العباس يعنى ثعلبا قال قيل لاعرابى وقد أتى عليه مائة وعشرون سنة ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا الحسود لا يسود قال سفيان بلغنى ان الله تعالى يقول الحاسد عدو نعمتى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وفى الحديث ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعادة من الحاسد فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد ولمنصور رحمه الله

ألا قل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله * اذا أنت لم ترض لي ما وهب
جزاؤك منه الزيادة لي * وأن لا يتم لك المطلب

وقد تقدم ذكر الأسود بن يزيد كان من المجتهدين في العبادة وكان قد حج ثمانين حجة وعمرة وكان يقوم الليل ويصوم النهار انما كان نومه بين المغرب والعشاء وكان رضي الله عنه يصوم حتى يخضر جسمه ويصفر لونه وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد فيقول راحة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له ما هذا الجزع فقال مالي لا أجزع ومن أحق بالجزع مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لأهمني الحياء منه مما قد صنعت ان الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه * وعلقمة المذكور قيل كان أيضا من العباد العلماء القراء وكان حسن الصوت وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرسل اليه فيقرأ عليه القرآن قال فكنت اذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا وقرأ عليه مرة فقال له رتل فداك أبي وأمي فانه زين القرآن وقيل لعلقمة لو جلست فأقرأت الناس القرآن وحدثتهم قال أكره ان يوطأ عقبي وان يقال هذا علقمة هذا علقمة ولما احتضر قال لا تنعوني كنعي أهل الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحدا وأغلقوا على الباب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وان استطعتم أن يكون آخر كلامي لا اله الا الله وقال لامرأته يا صبية خير تزيني واقعدي عند رأسي لعل الله يرزقك بعض عوادي وما ترك اذ مات الا داره وبرذونا ومصحفه وأوصى به لمولى له كان يقوم عليه في مرضه وكان يحسن علم الفرائض روى الأعمش عن ابراهيم رحمه الله أنه قال له علمني الفرائض قال أمت جيرانك * وتقدم الحاج قال مجاهد قلت لابن عمر وقد دخلت القوافل ما أكثر الحاج فقال ما أقلهم ولكن قل ما أكثر الركب قال ذلك رحمه الله حين نظر الى ما أحدث الناس في الحج من الزي والرفاهية والتنعم وكذلك كان العلماء قديما اذا نظروا الى المترفهين قد خرجوا الى مكة يقولون لا تقولوا خرج فلان حاجا ولكن قولوا خرج فلان مسافرا ويقولون حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة قيمته أربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وكان يقول لبيك اللهم لبيك حجا لا رياء فيه ولا سمعة * قلت هذه المحامل مما أحدث الحجاج

في السفر للحاج تجعل على ظهور الجمال للفخر والجمال فتنعم بها الركاب ويستنضر بها الركاب * وقال ابن مسعود رضي الله عنه انما هو رحل وسرج فرحل الى بيت الله الحرام وسرج في سبيل الله فسره أبو عبيد رحمه الله أراد أن البيت انما يزار على الرحال كأنه كره المحمل لانه مما أحدث الناس كما تقدم وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما اذا حططتم الرحال فشدوا السروج والحج أحد الاركان الخمسة التي بني الاسلام عليها وفي الخبر من أمكنه الحج فمات ولم يحج فلا يبالي أمات يهوديا أو نصرانيا وعن عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وفي رواية والله ماهم بمسلمين والله ماهم بمسلمين * وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه لو مات لي جار موسر ولم يحج لم أصل عليه وكذلك قال الاسود بن يزيد لغلامه لو مت ولم تحج لم أصل عليك وقال الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال لابراهيم عليه السلام وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق أي بعيد وفي الخبر ان ابراهيم عليه السلام قال وما يبلغ صوتي فقال له الله تعالى أذن وعلي البلاغ أو كما قال هذا معناه قال مجاهد فقام على المقام فتطاول المقام بابراهيم عليه السلام حتى كان كأطول جبل على ظهر الارض فنادى عباد الله أجيبوا الله عباد الله أطيعوا الله قال فأسمع من تحت الارض السابعة فقالوا لبيك أجبنا لبيك أطعنا فمن حج الى يوم القيامة فهو ممن أجاب دعوة ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ويشهد لذلك قوله تعالى يأتوك رجالا ولم يقل يأتوني وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة الزاد والراحلة ذكره أبو طالب في القوت وقال اذا وجد العبد زادا وراحلة لزمه فرض الحج فان أخره بعد وجود ذلك كان مكروها له فان مات ولم يحج أو مات عن عدم الامكان بعد وجوده كان عاصيا لله من حين أمكنه الى يوم موته ولم يكن كامل الايمان لان الله تعالى أكمل الاسلام بالحج لما أنزل هذه الآية في الحج يوم عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ومن كان ذا قوة على المشي أو ممن يصلح له أن يؤاجر نفسه وأمن التهلكة في خروجه فحج على ذلك كان فاضلا في فعله وللحاج الماشي بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة وللراكب بكل خطوة تخطوها دابته سبعون حسنة والقوة من الاستطاعة ولو لم يكن الحج فرضا لكان القصد الى بيت الله والطواف به من أفضل القربات لانه ليس على وجه الارض اليوم عمل

أفضل من الطواف بالبيت لانه يستوعب بطواف أسبوع مائة وعشرين رحمة تكون كل رحمة ماشاء الله لانه سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء وأقل ماله بكل رحمة عشر حسنات لانه فى حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وأعظم لذة عندى فى الدنيا تقبيل الحجر الأسود لان كل شئ قد تغير عن حاله الا الحجر قد قبله جبريل وميكائيل وجميع الملائكة وآدم ومحمد وما بينهما من النبيين وجميع عباد الله الاولياء والصالحين صلى الله على جميعهم ورضى الله عنهم كلهم * يقال انه ما يرسل ملك من السماء فى حاجة الى الارض الابدأ بالبيت فطاف به وحينئذ يمضى لما أمر به فانظر عظيم فضله جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وذو الحجة شهر الحج وقال الله تعالى الحج أشهر معلومات وهى ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة كله وقيل عشر منه وقال تعالى واذكروا الله فى أيام معدودات وقال تعالى ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات فالايام المعدودات أيام التشريق يوم النحر ويومان بعده وقيل لها أيام التشريق لان اللحم يشرق فيها أى يقطع ويقدد وقال الأصمعى التشريق صلاة العيد وانما أخذه من شروق الشمس لان ذلك وقتها ومنه حديث على رضى الله عنه لا جمعة ولا تشريق الا فى مصر جامع وقال أبو عبيد وقولهم أيام التشريق هى تبع ليوم النحر وقيل لتشريق اللحم فيها كما تقدم والايام المعلومات عشر ذى الحجة قاله ابن عباس رضى الله عنهما وروى نافع عن ابن عمر أن الايام المعدودات والايام المعلومات يجمعهن أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده فاليوم الاول معلوم غير معدود واليومان اللذان بعده معلومان معدودان والرابع معدود غير معلوم وهو مذهب مالك وغيره وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حجات حجتين قبل الهجرة ثم حجة الوداع واعتمر من المدينة أربع عمر كلهن فى ذى القعدة الا التى مع حجته فانه ابتدأها فى ذى القعدة وفرغ منها فى ذى الحجة أولها عمرة الحديبية اذ صده المشركون فى ذى القعدة وعمرة القضاء بعدها فى العام المقبل فى ذى القعدة وعمرة من الجعرانة سنة الفتح فى ذى القعدة بعد ما قسم عليهم غنائم حنين وعمرة مع حجته وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة خرجه مسلم رضى الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح سنة تسع لعشر مضين من رمضان وصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ودخل مكة

لعشرين بقين من الشهر ولم يحج في هذا العام لان الحج كان منقولا عن وقته كان
المشركون ينقلونه على حساب الشهور الشمسية ويؤخرونه كل سنة أحد عشر يوما
وكان فيهم من يطوف عريانا فلما انمحى أمر الشرك وعاد زمان الحج الى وقته
الذي فرضه عز وجل فيه ولم يطف بالبيت عريان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة عشر حجة الوداع وأعلم الناس برجوع الحج الى وقته فقال ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم هذه متصلة ورجب منفرد وكان قبل حجته قد وجه
أبابكر رضي الله عنه سنة تسع فأقام للناس الحج وأمره أن ينادي بسورة براءة لينبذ
الى كل ذي عهد عهده من المشركين ثم أردفه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل أنزل في قرآن
قال لا ولكن أردت أن لا يؤدي عني الا من هو من أهل بيتي قال أبو هريرة فأمرني
علي أن أطوف على المنازل بمنى بسورة براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقي فقيل له بم
كنت تنادي فقال بأربع أن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له وقيل في
قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم أراد ذا الحجة والمحرم من ذلك العام وذلك أجل
من لا عهد له من المشركين ومن كان له عهد فالى انقضاء أربعة أشهر أولها يوم النحر
وبعد هذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر خرج من المدينة لخمس بقين من
ذي القعدة وقدم مكة صبح رابعة من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة
بدأ بالصفا والاسلام قد صفا وأثر الجاهلية قد عفا ولما اعتدل الحج على أثبت قاعدة
أنزل الله تعالى هذه الآية من سورة المائدة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة في يوم جمعة والحمد لله على نعمه
التي لا تعد ومننه التي لا تحد * وقد تقدم في حديث أبي عبيدة في حجاج عينها وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه أميرا في ثلثمائة راكب يرصدون عيرا
لقريش قال فأقمنا في الساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط
فسمي جيش الخبط وألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر
وادهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا قال فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعها

فنصبها

فنصبها ثم نظر الى أطول رجل فى الجيش وأطول جمل فحمل عليه فمر تحته قال وجلس فى حجاج عينها نفر وفى رواية أخرى أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها قال فأخرجنا من عينها كذا وكذا قلة ودك قال وكان معنا جراب من تمر فكان أبو عبيدة يعطى كل رجل منا قبضة قبضة ثم أعطانا تمرة تمرة فلما فنى وجدنا لفقده خرجه مسلم ووقع فى تفسير ابن سلام ان النفر كانوا يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها من الماء ثم يمصها الآخر وذلك فى غزوة تبوك وتقدم فى قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه جاء فى التفسير عن قتادة انه نمروذ وهو أول ملك تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل قال قتادة رضى الله عنه ذكر لنا انه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيى الآخر فقال أنا أحيى وأميت أى أستحيى من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر أى انقطعت حجته وفى التنزيل أيضا فى قصة ابراهيم عليه السلام وحاجه قومه وقد جمعت شكل حجة فى أبيات سببها انه استشفع بى رجل اسمه على لصاحب لى اسمه محمد فى كتاب صداقه فكتبت اليه ولم أمش اليه

أخى محمد مالى * فى ترك قصدك حجه
لكن فؤادى قد حج * ذا الكلام فحجه
وقال حظك يغنيك * عن ركوب المحجه
فابعث عليا سيرعى * صلاته ثم حجه
واكتب له المهر يكتب * لكم به ألف حجه
وهاك شكرى جزاء * لو عشت ألفين حجه

وكتبت له أيضا فى شأنه سيدى وقفت لفعل صالح على هذا أبو الحسن على رجل فيه عفه وفى ماله خفه وهو على هذه الخلقه ماعنده مايسدّ به حلقه ولا يملك أستغفر الله سوى ابرة وخلقه وكانت عادته لافراط ايمانه يحلف باسقاط ايمانه فهفا ذات مرة بوساطة الشيخ أبى مرة فجعل أيمانه لازمه وله نفس حازمه ولكن لابدّ للطرف من عثره ولو بلغ الطرف والنثره ومن الذى ليس عليه للشيطان سلطان وها هو بعد أن طلق عرسه علق بالرجوع نفسه وتاب وندم وعليكم قدم فأذهبوا روعته واكتبوا رجعته واعتاضوا منه اجرا ثوابه وأحرى والمرأة قد نكحت وآمت ثم

حلت وصلت وسامت والله سبحانه يغنيك ويعينك ويقيك فوت الاهفات رافيا
من الفان ولو أنه ألفان

يا قدحي المعلى * بحرمة الصداقه
اذا أتى علي * فاكتب له صداقه
واجعل له أخي * من عندك البطاقه
وكل ذاك منكم * بالفضل لا بطاقه
قد جاءه كساء * يمد فيه ساقه
وانه شكور * لله حين ساقه

هذه الملح من الكتابة لي بها صبابة فتى وقعت في رياضها رتعت وتمتعت ومتى
دفعت عنها ومنعت تقنعت فقنعت لكن لتفسير اللغة أرجع وان تكعكعت
وجمجمت وتقدم قول الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

يعني سعيد بن العاص بن أمية ويقال ان مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق
ينشد هذا البيت حسده عليه فقال قل قعودا ينظرون الى سعيد يا أبا فراس فقال
لا والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام وسعيد بن العاص هذا قد تقدم
في الاجواد ومن أحسن ما قيل في نظر الهلال

للناس في الشهر هلال ولي * من وجهها في كل يوم هلال

وقبل هذا البيت

تمت وتم الحسن في وجهها * فكل حسن ما عداها محال

بعض أخبار جحا

وتقدم جحا وقد سألت عنه فقيل لي اسمه جحا بتقديم الحاء وهو العقل فيحمقه
الناس ولقد رأيت في أخباره جزءا كبيرا ألفه بعض الادباء لبعض الخلفاء وفيه
حكاية تدل على عقله عند نفسه وحمقه عند الناس قال دخل ذات يوم جحا في دار
الرحا فجعل يأخذ من قمح الناس ويجعله في قفته فقيل له لأي شئ تصنع هذا فقال
لاني أحمق فقيل له فلم لا تجعل شيئا من قمحك في قفاف الناس فقال كنت أكون اذا
أحمقين * وأما الاصبهاني فقد ذكره في كتاب الامثال له فقال أحمق من جحا وقال كان
رجلا من بني فزارة وكان يكنى أبا الغصن فمن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمي
مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا فقال له مالك يا أبا الغصن فقال اني دفنت

في هذه

فى هـذه الصحراء دراهم ولست أهتدى الى مكانها فقال عيسى كان يجب أن تجعل عليها علامة قال قد فعلت قال ماذا قال سحابة كانت فى السماء تظلها ولست أرى العلامة أيضا وذكر له أشياء مثل هذه وأنت يا ذا المعقول وقارئ هذا المنقول أراك تضحك من هذه الحكايات محدثا انها احدى السخافات

كم من كلام مبك قد قرأت بهذا السفر لم تبك منه للمضافات

فلا أقل من ان تبكى لموعظة * كما ضحكت اذا تتلو الخرافات

عسالك من شر ذا تنجو بصالح ذا * رأسا برأس فتحظى بالمعافاة

وبعد ذلك قل يارب عاقبة * حسنى وعافية من كل الآفات

وتقدم الحاجى وكان من الصالحين وجار عليه بعض العمال فكلمته فيه فتشاغل عنه ونسى اسمه وأنكره فكتبت اليه

ان الذى أنكرت ياصاح * ذلكم المدعو بالحاجى

فاصنع به ما أنت أهل له * ولا تضيع فيه الحاجى

وقد أنشد فى بعض الاصحاب فى هذا المعنى ولم يسم قائله

نصبت الفخ ثم قعدت عنه * بعيدا كى أرى فيه فلاحا

اذا قرد مقيم عند فخى * يقول لمقبلات الطير حاحا

وقلت لعلك أن تقول أرى ابن شيخ * يجىء بلفظ حاح فى الكتاب

وبالحاجى وبعد يقول لى اقرأ * كأنى جاهل قصد الصواب

فان تك قلت ذا فاسمع جوابا * يردك للمتاب من العتاب

كتابى ذا كروض فيه لب اللباب يضاف للعجب العجاب

ينشط قارئا ويفيد علما * وأرجو فيه مدخور الثواب

خشيت تصيبه عين فعلقت فيه حاجا قل من كلاب

أنا طبعى أقول الشعر سهلا * بغير تكلف ملأى عباب

ومهما قلت سوأقلت غفرا * الهى أعطنى حسن المآب

تقول يردنى لاوالذى لا * اله سواه ماهذا جوابى

اله اغفر لقارئ ذا الكتاب * وجد للكل منا بالمتاب

واذ وقع ذكر الحاجم فاسمع فيها حديثا أيها الواجم وقع فى بعض التراجم خرج أبو داود فى المراسيل له عن على بن عمر بن على عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال يامعشر قريش انكم تحبون الماشية

فأقلوا منها فانكم بأقل الارض مطرا واحترثوا فان الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجماجم وقال عمر بن علي بن حسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمر بذلك من أجل العين وخرج البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالجماجم أن تنصب في الزرع قال أحد رواته من أجل العين وسيأتي حديث في فضل الزرع والغرس في حرف الزاي ان شاء الله تعالى وتقدم روضة خاخ والى ذلك المكان نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هيتا المخنث حين سمعه يقول اذا فتح الله عليكم الطائف الحديث فقيل انه يموت بها جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة واليه أيضا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي ويروى المقداد عوض أبي مرثد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فأتوني بها قال علي رضي الله عنه فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسير على بعير لها وقد كان كتب الى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أين الكتاب الذي معك فقالت ما معي كتاب فأنخنا بها بعيرها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا فقال صاحباي ما نرى معها كتابا قال فقلت لقد علمنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حلف علي والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك فأهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة فأتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما حملك على ما صنعت قال يا رسول الله مالي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد أدفع بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك أحد الا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله قال صدق ولا تقولوا له الا خيرا قال فقام عمر فقال يا رسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه قال أوليس من أهل بدر وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة فاغرورقت عيناه وقال الله ورسوله أعلم قال بعض العلماء وذكر هذا الحديث ان في هذا الخبر معجزتين احداهما الكتاب مع الظعينة والثانية الظعينة في المكان المسمى قلت وفيه معجزة ثالثة انه من حاطب وأخرى انه الى أناس من

المشركين

المشركين وكان في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ماوعده وقول عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله أضرب عنقه دليل على قتل الجاسوس وفي مسند الحارث ان حاطبا قال يارسول الله كنت عزيزا في قريش وكانت أمي بين ظهرانيهم فأردت أن يحفظوني فيها أو نحو هذا ثم فسر العزيز وقال هو الغريب وفي حاطب نزل ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وفي هذه السورة عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قيل هي مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي سفيان بن حرب ومن حديث أبي سفيان هذا في أول اسلامه انه كان يوما في المسجد فخرج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في نفسه ليت شعري بأي شئ غلبني فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده بين كتفيه وقال بالله غلبتك يا أباسفيان ويروى ان أباسفيان قال لزوجته هند ذات ليلة لم أعطى محمد النبوة وانا أكثر منه مالا فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم غداة تلك الليلة فقال يا أباسفيان ماالذي قلت لامرأتك هند في حديث النبوة أما علمت ان النبوة سماوية لا أرضية وهو يعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فقال أبوسفيان في نفسه اذا عدت اليها لأطلقنها لما أفشت سري فعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقال يا أباسفيان لا تطلق هندا فلئن أخبرتني هند بحديث البارحة فمن أخبرني الساعة بتفكرك في انك تطلقها اذا عدت هذا اعلام سماوي لا أرضي هذا اعلام الهي وكان أبوسفيان كما تقدم كثير المال كثير الجاه شيخ قريش وعزيزها في الجاهلية فلما أسلم ذل للحق وانقاد له وكان عمر بن الخطاب شديدا عليه في الجاهلية في الحق والاسلام بلغ من شدته عليه ماخرج بعض أهل التواريخ ان رجلا من بني مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبي سفيان بن حرب رضي الله عنهما وذكر انه ظلمه حدا في موضع كذا وكذا فقال عمر اني لأعلم الناس بذلك وربما لعبت أنا وأنت فيه ونحن غلمان فاذا قدمت مكة فأتني بأبي سفيان فلما قدم مكة أتاه المخزومي بأبي سفيان فقال له عمر يا أباسفيان انهض بنا الى موضع كذا وكذا فنهضوا ونظر عمر رضي الله عنه فقال يا أباسفيان خذ هذا الحجر من هاهنا فضعه هاهنا فقال والله لا أفعل فقال عمر والله لتفعلن فقال لا أفعل فعلاه عمر بالدرة وقال

خذه لا أم لك فضعه هاهنا فانك ما علمت قديم الظلم فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه حيث قال عمر ثم ان عمر استقبل القبلة فقال اللهم لك الحمد اذ لم تمتني حتى غلبت أبا سفيان على رأيه وأذللته بالاسلام فاستقبل أبو سفيان القبلة وقال اللهم لك الحمد اذ لم تمتني حتى جعلت في قلبي من الاسلام ما ذللت به لعمر وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الحارث بن هشام وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية قال فتابوا بعد وحسن اسلامهم وهاجر الحارث بن هشام الى الشام فلم يزل بها مجاهدا مجاهدا حتى استشهد هنالك رضي الله عنه والعذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في لعنه القوم المذكورين ان الله علم منهم ما لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نهاه انتهى وأيضا فانه عليه الصلاة والسلام قال اني اشترطت على ربي عز وجل فقلت انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة وفي حديث آخر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة والحارث بن هشام هذا هو الذي اعتذر من فراره يوم بدر وقال

القوم أعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
وعرفت اني ان أقاتل واحدا * أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

يقال انه لم يقل في الفرار أحسن من هذا وأنشد ذلك بعض الاكاسرة فلما فسر له قال قاتل الله العرب حسنوا بشعرهم كل شئ حتى الفرار أو كما قال وممن اعتذر من فراره أيضا هبيرة بن أبي وهب زوج أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما هرب يوم فتح مكة الى نجران وقال

لعمري ما وليت ظهري محمدا * وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد * لسيفي غناء ان ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي * رجعت لعود كالهزبر أبي الشبل

قال خلف الاحمر ان أبيات هبيرة خير في الاعتذار من قول الحارث بن هشام وقال الاصمعي قول الحارث أحسن (رجع) وأذكر لك حديثا في سنده رجل اسمه ناجح

أخبرنا أبو الطاهر السلفي رضي الله عنه اجازة قال كتب الى أبو سعيد عبد الجليل
ابن محمد بن الحسن الساوي من بغداد قال أنبأنا أبو عبد الله القضاعي قال انبأنا
عمرو بن عثمان قال حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن خاخ عن يونس بن ميسرة
ابن حابس سمعت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الخير عادة والشر لجاجة وتقدم جاخ وكان محسنا وهو الذي يقول

أهديت من شعري اليك قصيدة * يبلى الزمان وذكرها متمادي
من شاعر لم يطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفة ببداد

وكان يدعي انه أمي كاتري ولا أدري كيف هذا وهو الذي يقول

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خد ندى

شبه انعطاف الصدغ على الخد بالعقارب تدب وهو مقلوب البراقع وهذا لا يعلمه الا
كاتب ولعله أعلم بذلك فقاله والله أعلم وهذا البيت من قصيدة له منها

ولما وقفنا غداة الفراق * وقد أسقط البين ما في يدي
رأيت الظعائن فيها البدور * عليها براقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خد ندى
تسالم من وطئت خده * وتلسع قلب الشجي الأبعد
تحامى عن الورد أن يجتنى * فقد أمن الورد من معتد

من قصيدة حسنة هذا ذوقها لم يمكن سوقها فاقنعوا مني أيها الاقارب بما حضر
وكونوا من تلكم العقارب على حذر * وتقدم قول سلمان الفارسي رضي الله
عنه كنت رجلا من أهل جي قال كان أهل قريتي يعبدون الخيل البلق فكنت
أعرف أنهم ليسوا على شئ فقيل لي ان الدين الذي تطلب انما هو قبل العرب فلم يزل
يطلب ذلك الدين من بلد الى بلد حتى بيع وتداولته بضعة عشر رجلا كلهم يرسله
من واحد الى آخر وكان آخر أمره ان انتهى الى طيبة مدينة الاسلام وصحب النبي
عليه الصلاة والسلام وكان له بها أعلام ومشاهد كرام انظر حديثه في السيرة التي
اختصر ابن هشام وكان سلمان مواخيا لابي الدرداء رضي الله عنهما وبلغه ان سلمان
اشترى خادما فكتب اليه يا أخي اني حدثت انك اشتريت خادما واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال العبد من الله وهو منه ما لم يخدم فاذا خدم وجب
عليه الحساب وان أم الدرداء سألتني خادما وانا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت

من الحساب ويا أخي من لي ومن لك بأن توافي يوم القيامة ولا تخاف حسابا وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لا يزال العبد يزداد من الله بعدا كلما مشي خلفه قلت سلمان هذا رضي الله عنه وعظ فاتعظ وحفظ فحفظ عهد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب حدثني الحافظ رحمه الله بسنده الى مورق العجلي ان سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه وهو يبكي فقالا ما يبكيك يا أبا عبد الله قال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب قال مورق فنظروا في بيته فاذا اكاف وقرطاط قيمته عشرون درهما القرطاط للسرج بمنزلة الولية للرحل وقد كره اكتساب الخادم أيضا أبو مسلم الخولاني جاءت امرأة الى زوجته فقالت لها زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم فلما جاء الى امرأته قالت له أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته لأخدمنا وأعطانا فقال اللهم من أفسد على امرأتي فأعم بصره فبينما المرأة التي وصلت امرأته جالسة في بيتها اذ أنكرت بصرها فقالت ما لسراجكم طفئ فقالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت الى امرأة أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل أن يرد بصرها اليها قال فرحمها أبو مسلم ودعا الله عز وجل فرد بصرها عليها والذي يقتدى به في هذا الشان سيد الاولين والآخرين رسول رب العالمين شكت سيدة النساء فاطمة ابنته رضي الله عنها ما تلقى من الشقاء وكانت قد طحنت بالرحى حتى أثر في يدها وكست البيت حتى دنست ثيابها وسألته من يكفيها ذلك فلم يشكها خرج أبو نعيم الحافظ رحمه الله تعالى في كتاب الحلية عن علي رضي الله عنه ان فاطمة كانت حاملا وكانت اذا خبزت صادف حرف التنور بطنها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال لا أعطيها وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ألا أدلك على خير من ذلك اذا آويت الى فراشك تسبحين الله ثلاثا وثلاثين وتحمدينه ثلاثا وثلاثين وتكبرينه ثلاثا وثلاثين وذكر تمام الخبر وتقدم قول بكر بن النطاح

بطل تناول فارسين بطعنة * فرأيتموه أتى بذاك جليلا

يقوله في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وذلك انه لقي أكرادا قطعوا الطريق في عمله وقد ارتدف منهم فارس رفيقا له فطعنهما جميعا فانتظمهما بطعنة فقال بكر

البيت

البيت المتقدم وبعده

لا تعجبوا لو كان طول قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وتقدم قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد قال ابن عباس رضي الله عنهما أحل الله له فيه القتل ولم يحله لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل بها أحدا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت الى يوم القيامة أو كما قال عليه الصلاة والسلام وأمر بقتل ابن خطل وان وجد متعلقا باستار الكعبة فقتل وقينتاه وكان قد أمن أهل مكة الا نفرا سماهم هذا أحدهم والثاني مقيس بن صبابة قتل بالسوق والثالث عكرمة بن أبي جهل هرب من مكة ثم جاء وأسلم وحسن اسلامه والرابع عبد الله بن أبي سرح يكنى أبا يحيي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بالمشركين فلما كان يوم الفتح اختبأ حتى استؤمن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه وأسلم وحسن اسلامه وعرف مكانه وجهاده مع عمرو بن العاص حين افتتح مصر وعبد الله هذا افتتح افريقية سنة سبع وعشرين وغزا الأساود وهادنهم الهدنة الباقية الى اليوم ولما قام الناس على عثمان بن عفان رضي الله عنه اعتزل الفتنة ودعا الله عز وجل ان يقبضه ويجعل وفاته باثر صلاة الصبح فصلى بالناس يوما الصبح وكان يسلم تسليمتين فلما سلم الاولى عن يمينه وذهب يسلم الاخرى قبضت نفسه رضي الله عنه وذلك بعسقلان وممن توفي ساجدا أبو ثعلبة الخشني رضي الله عنه كان يقول اني لأرجو أن لا يخنقني الله بالموت كما يخنقكم قال الراوي لهذا الحديث فسألت كيف مات فقيل لي بينما هو في صرحة داره سحرا وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بيته فخر ساجدا حتى قبض رحمه الله ذكر ذلك ثابت وفيه سرحة الدار قال يقال ساحة الدار وباحة الدار وصرحة الدار كله واحد وروى بهز بن حكيم قال صلى زرارة بن أوفى الغداة فقرأ فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير فخر مغشيا عليه فحملناه ميتا * وتقدم حل وجاء منه في الحديث ان رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ماهي حسنة فأكتبها وقال صاحب السيئات ماهي سيئة فأكتبها فأوحى الله الى صاحب الشمال مترك صاحب اليمين ما كتبه ذكره مكي في الهداية وقال عمرو بن الحارث بلغني ان الرجل اذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال اكتب فيقول لا بل أنت اكتب فيمتنعان فينادي مناد

لصاحب الشمال اكتب ما تركه صاحب اليمين ذكره هذا في تفسير قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قال مجاهد الذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات قال سفيان بلغني ان كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا أذنب قال له لا تعجل لعله يستغفر وفي رواية ان الله جل ذكره جعل لصاحب اليمين على صاحب الشمال سلطانا يطيعه فاذا كان الليل قال صاحب اليمين لصاحب الشمال تعال ألا نقلك أطرح أنا حسنة واطرح أنت عشر سيئات حتى يصعد صاحب السيئات لا سيئات معه * وتقدم ذكر حملة بن قيس سيد فزارة وهو القائل حين قتل صبرا في حديث طويل لما قدم ليقتل قال له قائل صبرا يا حمل فقال اى والله أصبر من ذى ضاغط عركرك * ألقى بوانى زوره للمبرك

ذكره ابن يزيد في الكامل وذكر ان عبد الملك أحضره ليقاد منه وكان قد قتل الاسود الكلبي في خبر طويل ثم قال حملة لابن الاسود أجد الضربة فاني والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم في سلحته وقال عبد الملك أيضا لسعيد ابن أبان بن عيينة بن حصن وقد أحضره أيضا كذلك صبرا سعيد وقال

أصبر من عود بجنبيه جلب * قد أثر البطان فيه والحقب

تقدم قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أي يدخل ما نقص من أحدهما في الآخر والليل والنهار كل واحد منهما اثنا عشر ساعة فاذا كمل الليل طالت ساعاته وقصرت ساعات النهار وكذلك العمل في النهار ذلك تقدير العزيز العليم وذكر أبو طالب أن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وان الساعة ثلاثون شعيرة ويأخذ كل واحد منهما من صاحبه في كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة في شهر وبين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشهر كل يوم في درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من أيلول وهو شينير بالعجمية سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك الشهر في كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاثين يوما فتزيد ساعة حتى يمضى سبعة عشر يوما من كانون الأول فينتهى طول الليل وقصر النهار فكانت تلك الليلة أطول ليلة في السنة وهى خمس عشرة ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم في السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبع عشرة ليلة من أدار وهو مرس استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم

شعيرة

شعيرة حتى اذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران وهو يونية بالعجمية كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت تسع عشرة ليلة من أيلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك والقول الاول أدخل فى الشرع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم الجمعة من راح فى الساعة الأولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكذا ومن راح فى الساعة الثالثة فكذا على تجزئة ست ساعات فى النهار فلو كان على هذا الحساب الاخير لامتد وقت الجمعة الى قرب العصر ويمكن الجمع بين المذهب الاول والآخر بأن يكون هذا على تقدير اليوم القصير من اليوم الطويل واليوم الطويل من القصير قاله بعض الناس والله أعلم وذلك لبعد الشمس عن بعض البلدان وقربها من بعض وارتفاع بعض الارض على غيرها ألا تراها فى البلاد التى هى فى خط الاستواء كيف يستوى فيها الليل والنهار أبدا لا يختلف فى شتاء ولا صيف كل يوم اثنتا عشرة ساعة والليل كذلك وذلك فى مثل أرين وسرنديب وخط الاستواء آخذ من البحر المحيط على وسط بلاد السودان وبلاد النوبة الى جزائر الهند الى أقصى المشرق حيث تطلع الشمس والله أعلم فسبحان المقدر العظيم * وقد ذكر الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الاصبهانى رحمه الله فى كتاب الحلية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والارض من نور وجهه كان مقدار كل يوم من أيامكم هذه عنده ثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالامس أول النهار فينظر فيها ثلاث ساعات ويسبحه ويسجد حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل عليه السلام بالقرن فلا يبقى شئ الا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة فتلك ست ساعات ثم يؤتى بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما الآية فتلك تسع ساعات ثم يؤتى بالارزاق فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كل يوم هو فى شان قال هذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل وقد اختلف العلماء أيضا فى الساعات المذكورة يوم الجمعة فذهب مالك وغيره ان الساعات التى ذكرت فى الحديث انها أجزاء

فى الساعة الرابعة من ساعات النهار وهو أدخل فى كلام العرب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم راح والرواح لا يكون فى السحر ولا فى أول النهار على اختلاف فى ذلك أيضا ويحتج له بقوله عليه الصلاة والسلام مثل المهجر كالذى يهدى بدنة والتهجير لا يكون أول النهار لانه مأخوذ من الهجير وهى القائلة والله أعلم ومنهم من رآها ساعات النهار المعلومة وهو مذهب جماعة من العلماء وتمسك قائل هذا بذكر تسمية الساعات وتجوز فى لفظ التهجير والرواح حتى كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لاجل صلاة الجمعة ورب بما بات أيضا ليلة السبت وذلك والله أعلم من أجل الحديث الآخر لا تخص ليلة الجمعة بقيام من بين الليالى ولا يوم الجمعة بصيام من بين الايام وهذا أيضا قد اختلف فيه فأجزت ذلك طائفة وكرهته طائفة ومن الناس من كان يصلى الصبح يوم الجمعة فى الجامع ويقعد فينتظر صلاة الجمعة وعامة المؤمنين كانوا ينصرفون من صلاة الغداة من مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون فى السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما ترون اليوم فى الأعياد وروى ان ابن مسعود رضى الله عنه بكر يوما الى الجمعة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعنى نفسه وما رابع أربعة ببعيد وكذلك كانوا يفعلون فى الاغتسال للجمعة حتى جعله بعضهم واجبا وجوب الفرائض حتى رأى بعض الصحابة ابنه يغتسل يوم الجمعة فقال أللجمعة غسلك هذا قال لا بل من جنابة فقال أعد غسلك ثانيا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم أن يغتسل يوم الجمعة قال وكان أهل المدينة يتسابون فيما بينهم فيقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وهذا أيضا قد اختلف فيه فحمل بعضهم قوله عليه الصلاة والسلام واجب كغسل الجنابة يعنى فى الصفة وحمل الوجوب على وجوب السنن وحجتهم قول عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان رضى الله عنهما الوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل فالغسل عندهم على الندب ولولا ذلك لما صح لعمر أن يترك عثمان حتى يرده فيغتسل ولما ساغ لعثمان أيضا أن يترك الغسل والله أعلم وتقدم أيضا الخل الصاحب والخليل فوق الحبيب والخلة مأخوذة من تخلل الاسرار بين الحبيبين ومعهما يكون حقيقة الحب والايثار

فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وقد رفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى مقام المحبة فأعطاه الخلة ليلحقه بمقام ابراهيم عليهما الصلاة والسلام أبيه اذ يقول الله فيه واتخذ الله ابراهيم خليلا فكانت الخلة مزيد المحبة وجاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر مستبشرا فقال ألا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله وقال لو كنت متخذا من الخلق خليلا لاتخذت أبابكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفى رواية أخرى ولكن أخى وصاحبى وفى رواية أخرى ولكن أخوة الاسلام فلما اتخذه الله خليلا لم يصلح أن يشرك فى خلة الخالق خلة خلق ثم قال ولكن أخوة الاسلام فأوقفه مع الاخوة كما فعل بعلى رضى الله عنه اذ قال على منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة فأقامه مقام الاخاء وعدل به عن النبوة وكذلك فعل بأبى بكر رضى الله عنه منعه ايثار التوحيد وقيام شهادة الوحدانية ومقتضى صفة الربوبية والغيرة على خليله وهو ربه تبارك وتعالى من أن يشرك معه أحدا فى هذه التسمية وجاء مفسرا فى حديث آخر لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبابكر خليلا وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله وفى حديث آخر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وفى القرآن واتخذ الله ابراهيم خليلا واختلف العلماء فى اشتقاق هذه اللفظة فقال قوم الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقال آخرون هو مأخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه ولم يجعلها قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو فى المنجنيق ليرمى به فى النار فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال قوم الخلة مشتقة من صفاء المودة التى توجب الاختصاص لتخلل الاسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك فى كتابه تعالى بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لايؤاخذ بذنوبه قال هذا القائل والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط

والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي ألطافه عندهما باستصفاء
قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره وحب الله تعالى للعبد هو تمكينه من
سعادته وعصمته وترفيعه وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقد
تقدم نوع من هذا الكلام في باب تاب وقد ذكرت فيه مقطوعة من شعري في صفة
المحبة والحمد لله وكفى شرفا لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
يد الله فوق ايديهم وكفى بنا عزا أن هذه صفة نبينا عليه الصلاة والسلام فالحمد لله
الذي جعلنا من أمته ثبتنا الله على محبته وحشرنا في زمرته برحمته وقال بعض العلماء
هذه الآية أمدح آية لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لانه قال انما يبايعون الله
بل جرده من ذلك كله فقال يبايعون الله فهذه غاية الشرف ونهاية الترفيع صلى الله
عليه وسلم وقال غيره ومن رفيع مدحه قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك
وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك أي اذا ذكرت ذكرت معي وذلك ان
الايمان لا يتم الا بقول لا اله الا الله محمد رسول الله وكذلك قرن مع اسمه في الأذان
وفي التشهد وفي كثير من الاذكار وليس ذلك لغيره وقال ثابت رحمه الله في قوله تعالى
أنقض ظهرك أي أثقله حتى سمع نقيضه تقول أنقضت بالرجل وبالحمار اذا ألصقت
طرف لسانك بالغار الأعلى ثم تصوت بجانبه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه وجاء
في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى يهود بني قينقاع ندارسهم فرأى رجلا متخلقا فأنقض أو قال فنقض به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله لعله عروس قل وان كان فاذهب فاغسله ثم
انهكه ثم اغسله ثم اغسله ثم انهكه والنهك المبالغة ويقال انما سمي ابراهيم
صلى الله عليه وسلم خليلا للفظة قالها وذلك أنه أصاب أهل ناحيته جدب فارتحل الى
خليل له بالموصل وقيل هو من أهل مصر يمتار طعاما منه لأهله فلم يصب عنده حاجته
فرجع فلما قرب من أهله مر بمفازة فيها رمل فقال لو ملأت غرائري من هذا الرمل
لئلا أغم أهلي بدخولي اليهم بغير ميرة وليظنوا أني قد أتيتهم بما يحبون فحول الله
تعالى ما في غرائره من الرمل دقيقا فعجنوا منه وخبزوا واستيقظ فسألهم عن
الدقيق الذي خبزوا من أين هو فقالوا من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك فعلم
ما صنع الله له فقال نعم من عند خليلي فسماه الله بذلك خليلا * وتقدم في الحديث

ما أقفر بيت فيه خل فسمى الخل اداما قال أبو عبيد من حلف أن لا يأكل اداما فأكل بعض ما يصنع مثل الخل والزيت والارى واللبن فهو حانث وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديث فيه طول ان الخل نعم الادام قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من فى نبينا صلى الله عليه وسلم قال طلحة فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر خرجه مسلم و فى بعض طرقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل به بعض حجر نسائه ثم قال هل من غداء فقالوا نعم فأتى بثلاثة أقرصة فوضعت على بتى ويروى على بنى فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا آخر فوضعه بين يدى ثم أخذ الثالث فكسره باثنين فجعل نصفه بين يديه ونصفه الآخر بين يدى ثم قال هل من ادام قالوا الا شئ من خل قال هاتوه فنعم الادام هو كذا وقع فى هذا الحديث بتى وعليه مكتوب بنى وفى الطرة فى مسند ابن أبى شيبة فوضعن على بتى وفسره ابن وضاح طبق من خوص وقال أيضا مائدة من حلفاء اذتهت الطرة وقد تقدم والبت كساء غليظ وقد تقدم أيضا وأنشد

من يك ذا بت فهذا بتى * مقيظ مصيف مشتى
تخذته من نعجات ست * سود دعاج من نعاج الدست

وخرج مسلم أيضا عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يتخذ خلا فقال لا وسئل مالك رحمه الله عن تخليل الخمر فكرهه فان تخللت من غير فعل أحد فهى حلال * و بقى هنا نكتة حسنة ان كان فى اناء قلة أو خابية فلا يستسقى من أعلاها لان جوانبها نجسة فتى تحرك الخل بالاستقاء مس فى الجوانب فتنجس ولكن يثقب فى أسفل الخابية برفق و يستخرج منه قال مالك ولا بأس بما خلله النصرانى من الخمر فان فعله مسلم ففيها قولان والأحوط تركه وللحريرى رحمه الله فى رجوع الخمر خلا شعر لغز يستحلى ولا ينبغى أن يخلى قال

وما شئ اذا فسدا * تحول غيه رشدا
وان هو رق أوصافا * أثار الشر حين بدا
زكى الأصل والده * ولكن بئسما ولدا

وتقدم ان لم يكن خمر فخل وأنشدنى الحافظ رحمه الله بالاسكندرية لبعضهم

أوسع دارى لمن قد نزل * وزادى مباح لمن قد أكل

أقدم حاضر ما عندنا * وان لم يكن غير زيت وخل
وليس قراى كما قلته * ولكنما هو ضرب المثل

ولى فى لفظة خل أبيات لزوميات كان أحد اصحابى قد ارسل بقلات ثمانية فاحتجتها بغرستها وكتبت اليه بعد كلام

ثمانية الابقال انى غرستها * فبارك لنا فى تلك يا أيها الخل
ولا تعقب الاحسان منك اساءة * فيضحى لذيذ الشهد خالطه خل
فالك لى حل لانك لى خل * صحيح وبعض الناس فى وده خل
وأنت امرؤ قد رام شأوك معشر * وشدوا فلم يترك سبيل ولا خل
ففتهم حتى يقول أشدهم * أيا قومنا خلوا الطريق له خلوا
فتى يمتطى من أكرم النجب بازلا * تريدون أن تلفوا ومركوبكم خل

الخل ابن مخاض وقد تقدم وتقدم ذكر مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو الذى قتل يوم أحد فلم يوجد له ثوب يكفن فيه الا نمرة اذا غطى بها رأسه بدت رجلاه واذا غطيت رجلاه بدا رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر ولى فيه من الشعر الطويل

ومصعب مات لم يوجد لديه * من الأكفان بال أو جديد
سوى ثوب ولم يستره حتى * كسوه باذخر لهم خضيد

وتقدم قول ابى شجرة * أقبلتها الخل من شوذان صادرة * وكان سبب قوله ذلك أنه جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقسم على الناس فقال يا أمير المؤمنين أعطنى فانى ابن سبيل قال فمن أنت قال أبو شجرة قال يا عدو الله ألست القائل

ورويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

ثم علاه بالدرة حتى سبقه عدوا فأتى راحلته فركبها راجعا الى بلاده وهو يقول

قد ضن عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق
مازال يضربنى حتى خذيت له * وحال من دون بعض الرغبة الشفق
ثم ارعويت اليها وهى جانحة * مثل الرتاج اذا ما ارزه الغلق
أقبلتها الخل من شوذان صادرة * انى لأزرى عليها وهى تنطلق
وكدت أترك أثوابى وراحلتى * والشيخ يضرب احيانا فيمتحق

خرجه ثابت رحمه الله * أذكرتنى هذه الحكاية من فعله رضى الله عنه بضبيع كان

صبيغ رجلا اتهم برأى أهل الاهواء وكان يسأل عن آى من كتاب الله عز وجل مثل والذاريات والمرسلات والنازعات وما أشبههن من القرآن وكان يأمر الناس بالتفقه فى ذلك وانه قدم على عمرو بن العاص رضى الله عنه بمصر فسأله عن ذلك فقال له عمرو أنا أدلك على من يفتيك فى مسائلك هذه أنا أكتب لك الى أمير المؤمنين فكتب له الى عمر وأرسل معه رسولا بالكتاب وسار صبيغ مع الرسول فدخل الرسول على عمر رضى الله عنه فلما قرأ الكتاب أوعده ان فاته فخرج الرسول فأتاه به فقال ما الذى تسأل عنه فسأله عن والذاريات والنازعات والمرسلات فضربه بجرائد النخل حتى أوبر جسده ثم حبسه حتى اذا كاد أن يبرأ أخرجه أيضا ثم ضربه ثم سجنه ففعل به ذلك مرارا فقال له صبيغ عند آخر ذلك يا أمير المؤمنين ان كان تريد قتلى فقتل جميل وان كنت تريد دوائى فقد بلغنى الدواء قال فأطلقه عمر ونفاه الى العراق وكتب الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن لا يجالسه أحد قال فكان صبيغ يدور فى المسجد ويجلس فيه ولا يجلس اليه أحد قال ثم كتب أبو موسى الى عمر انه قد حسنت توبته فأمره عمر فخلى بينه وبين الناس

خرجت من شئ الى غيره * لكن من العلم فلن أخرجا
ما أملح العلم اذا كنت فى * ضيق تراه عنك قد فرجا
ومن يكن واسع علم متى * يخطئ يجد من قوله مخرجا

الى هنا تم الجزء الاول من الف با ويليه الجزء الثانى وأوله
(باب الالف مع الدال وأختها)

قد تم بعون الله وعنايته هذا القسم الثاني وهو تمام الجزء الاول من كتاب ألف باء
ويليه ان شاء الله الجزء الثاني منه وقد بلغ ما انتهى طبعه وصرف الى أربابه من
الكتب التي تطبع الآن على ذمة جمعية المعارف غير هذا القسم عشرة أقسام وهي
جزآن من تاريخ ابن الوردي وأربعة أقسام من أسد الغابة وقسم من شرح تاريخ
العتبي وقسم من ألف با وقسمان من تاج العروس على التوالي وتم الآن نحو شهر
على غير التوالي وعند اتصال طبع أجزائه بعون الله سبحانه يوزع على أربابه
ولا يخفى انه من صعوبة التصحيح والتشغيل بمكان لا ينكر الا انه جار فيه مزيد الهمة
كغيره من كتب الجمعية لا سيما وبما يزيد في همة هذه الجمعية ويشد أزرها
ويعلي قدرها ان حضرة الوزير الفخم والمشير المعظم المجبول على حب
المعارف وجلائل الشيم صاحب الرشد والاصابه والدولة والنجابه محمد توفيق
باشا أكبر انجال الحضرة الداورية وولي عهد الخديوية المصريه قد شرفها
بحمايته الجليلة وكفايته الجميلة وقد توجه الى مقره الكريم حضرة الامير الكبير
ذي الفضل الشهير عارف باشا وكيل الجمعية وجماعة من أكابر أعضائها النبلاء
لاداء ما يجب لذلك من الشكر والدعاء فقابلهم جناب المشير المشار اليه بما
فوق المأمول من الاقبال والقبول وأبدى لهم مزيد الابتهاج والحبور والانس
والسرور بهذه الجمعية وأنه يكون معهم في التعاون على ما يفيدها دوام
حسن الحال والترقي في درجات الكمال في ظل الحضرة العلية وهمة حضرات
أعضائها وأثنى على حسن مقاصدهم وجميل سعيهم أدام الله الجناب
الخديوي محفوفا بتوفيقه محفوظا بنيل مقاصده الكريمة مسرورا بأنجاله الكرام
وبقاء دولته على مدى الايام